الفارق
بين المخلوق والخالق

تأليف
عبد الرحمن باجه جي زاده

ويليه

ذيل الفارق
في الرد على النصارى

دار عمار

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

موافقة دائرة المطبوعات والنشر
رقم الاجازة المتسلسل ٦٤٥/٦/١٩٩٨م

رقم التصنيف	:	٢٢ر٢٩٨
المؤلف ومن هو في حكمه	:	عبد الرحمن باجه جي زاده ، تحقيق عصام فارس الحرستاني
عنوان الكتاب	:	الفارق بين المخلوق والخالق
الموضوع الرئيسي	:	١ ـ الديانات ٢ ـ المسيحية ـ حوار الاديان
رقم الايداع	:	٨٤٤/٦/١٩٩٨م
بيانات النشر	:	عمان : دار عمار للنشر

* ـ تم اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

دار عمار

عمان - ساحة الجامع الحسيني - سوق البتراء
تلفاكس ٤٦٥٢٤٣٧ - ص . ب ٩٢١٦٩١ عمان - الأردن

الطابعون
جمعية عمال المطابع التعاونية
هاتف ٢ ـ ٤٦٣٧٧٧١ ـ فاكس ٤٦٣٧٧٧٣
ص . ب ٨٥٧ ـ عمان ١١١١٨ الأردن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء سيدنا محمد ﷺ، الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن كتاب «الفارق بين الخالق والمخلوق» لمؤلفه المرحوم عبد الرحمن باجه جي زاده العراقي الموصلي، عضو مجلس المبعوثان في الدولة العثمانية هو دعوة صريحة لنبذ التعصب والاعتساف، ومتابعة الآباء والأجداد على ما هم عليه دون برهان قاطع أو دليل ساطع، وهو دعوة جادة للحوار بين الأديان بعيداً عن الكتب الملفقة المملوءة بالهذيان التي تنسب زوراً وبهتاناً إلى رجل من المسلمين باسم مختلق ولقب مستعار كما فعلوا في الرسالة المنسوبة إلى عبد المسيح الكندي والتي ردَّ عليها العلامة نعمان أفندي آلوسي زادة بكتابه «الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح» وغيره من الكتب المدسوسة.

وقد سلك المؤلف في كتابه هذا طريقة شرح الأناجيل، وبيان ما فعله أهل الضلال من الأباطيل في شأن المسيح عليه السلام، ومقام الرب الجليل، واقتصر في نقل نصوص العهدين القديم والجديد على نسختين: إحداهما مطبوعة في لندن سنة ١٨٤٨م، والأخرى في بيروت سنة ١٨٨٤م.

وبمقابلة النصوص بعضها ببعض يتبين للقارىء أن نصوص العهدين القديم والجديد كالرمال المتحركة أو المَدِّ والجَزْر تتغير وتتبدل الألفاظ والأسماء والجمل من آونة لأخرى تَبَعاً للأهواء والأمزجة، أو لتغطية أمر لا يمكن تغطيته، إذ كما يقولون: إن الشمس لا تحتجب بغربال.

وقد كان المؤلف رحمه الله منصفاً غاية الإنصاف، ومتَّصفاً بالأمانة العلمية في

كل ما نقله أو قابله من النصوص بأسلوب يتسم بالأدب الراقي البعيد عن كل إسفاف، رغم ما تضمنت كتب النصارى من تكذيب المسيح وتحقيره، والقول بألوهيته وصلبه وتشهيره، فهم لا يلتمسون الحق فيهتدون، فحججهم مرفوضة، وبيِّناتهم منقوضة، وليس إلا جحود وعناد، وطغيان وإلحاد.

وقد طبع الكتاب قبل مئة عام أو يزيد، ومعه بهامشه كتابان آخران هما: «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» لابن قيم الجوزية، وكذلك «الأجوبة الفاخرة على الأسئلة العشرة الفاجرة» للإمام القرافي، على عادة قدامى المكتبيين والمؤلفين لندرة الورق وحرصاً على جيب القارىء مع الإتقان الذي قلَّ نظيره في أيامنا هذه.

عملي في هذا الكتاب:

١- ضبط النص ما أمكن ذلك.
٢- استدعاء الآيات القرآنية بالرسم العثماني.
٣- مراجعة بعض نصوص التوراة والإنجيل على نسخة ثالثة طبعت عام ١٩٦٩ في مصر مع ذكر الفوارق أحياناً.
٤- التعليق ما أمكن حيث اقتضى الأمر ذلك.
٥- عمل فهرس تفصيلي للموضوعات.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ الله المعروف بالقِدَم ووجوبِ الوجود، المُنَزَّه عن الحَيِّز والجهة والحدوث والحلولِ والحدود، المُقَدَّس عن الصاحبةِ والصاحب، والشريك والنظير، والولد والمولود، المتعالي في ذاته وصفاته وأفعاله عما يقول المعاندُ الجَحُود، أنزلَ الكتب القُدْسية والأسفار الإلهية مُسْفِرةً عن أنباء البَرَرة الأخيار، وكاشفةً حالَ كل عاتٍ عَنُود، وجاحدٍ ملحدٍ حَقُود، خَلَقَ آدمَ من تراب، ونفخ فيه من رُوحِه، وخلق عيسى مثيلَ آدم، وأرسله نبياً إلى بني إسرائيل مُصَدِّقاً لما بين يديه من التوراة ومُبَشِّراً بأحمد صاحب المقام المحمود، ثم رفعه الله إليه مكاناً عَلِيّاً، ولم تَمَسّه بسوءٍ يدُ اليهود.

أحمدهُ حَمْدَ أهلِ العرفان والشهود، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله شهادةً ينجو قائلُها من عذابِ النار ذات الوَقُود، وأُصلِّي وأُسلِّمُ على سيدنا محمد الذي نسخَ بشريعتِه شرائعَ مَنْ تَقَدَّمَهُ من الأنبياء والمرسلين، صاحب الشفاعة الكبرى في اليوم الموعود، صَلَّى اللهُ عليه وعلى إخوانه النبيين والمرسلين وآله الطيبين الطاهرين وأصحابِهِ الراشدينَ والتابعينَ لهم ما خضعَ خاضعٌ لله، وخفقت أعلامُ الرُّكَّعِ السجود.

أما بعدُ: فيقولُ العبد الذليل، المُفتقِرُ إلى رحمةِ مولاه الجليل، عبدُالرحمن بن سليم البغدادي الشهير بباجه جي زاده، الرَّاجي من كَرَمِ الله الحُسْنى وزيادة، إنني لما توجَّهتُ من بغداد سنة ١٣١٢ هجرية، سالكاً طريقَ البحرِ إلى البصرة، ومنها للقاهرة والإسكندرية، قاصداً دارَ الخلافة الإسلامية، ومركز السلطنةِ العَلِيَّة، المحروسة قسطنطينية، وكنت أُرَوِّعُ النفس أثناء الطريق بمطالعة ما لديَّ من الكتب الدينية، إلى أن استطرد الحالُ لقراءةِ ما لَفَّقهُ رؤساءُ الملة النصرانية، في الطعنِ على المِلَّةِ الحنيفية السمحاء، وإنكارِ نُبوَّةِ خاتمِ الأنبياء، وما تضمَّنَتْ كُتُبهم من تكذيبِ المسيحِ وتحقيره، والقولِ بألوهيته وصلبه وتشهيره، فكنتُ أَعجبُ من

تلك الخرافات، وصرتُ أكرر ما بأيديهم من إصحاحاتِ الإنجيل وأسفارِ التوراة لَعلِّي أقف على سِرٍّ، دَقَّ عن الإدراكِ فَهْماً، أحاطوا به من بين الأمم عِلْماً، فإذا القومُ سكارى وما هم بسكارى، لكنهم في ظُلمةٍ من الضلال حيارى، لا يعلمون ما يقولون، ولا يلتمسون الحقَّ فيهتدون، حُجَجُهم مرفوضة، وبيِّناتُهم مَنْقُوضة، وليس إلا جُحودٌ وعناد، وعنادٌ وطغيان وإلحاد، أسألُ الله تعالى لهم الهدايةَ، والنجاةَ، من الغواية.

ولما وصلتُ إلى دارِ السعادة ومركز الخلافة والسيادة، كنتُ أزداد عجباً من أمةٍ يربو عددها على الملايين، انتشرت في جوانب الأرض شرقاً وغرباً، وهم على ما هُمْ عليه لا يهتدون لمعرفة الحقائق حتى يُفَرِّقُوا (بين المخلوق والخالق)، ثم إذا بالأمرِ قد تفاقمَ والخطب عَمَّ وتعاظم، وظهرت هناك مقالات في أنحاء العالم لرجلٍ كبير بين قومه يسمى مسيو هانوتو، يُسَفِّهُ فيها آراءَ الأمة الإسلامية، وينسبها للتوغل في الجهل بخضوعها للملة الحنيفية، وركب فيها مَتْنَ عمياء، وخَبَطَ خَبْطَ عشواء، فنادى على نفسه بضعفِ رأيه وسخافةِ عقله وعدم درايته وسوء معرفته. وإنِّي أشكرُ مَن انتدبَ فوراً ولله الحمد من الساداتِ المسلمين لإجابتِهِ وإفحامِهِ على الأثر، وأرجو له كمالَ المجد والمفتخر.

ومما يقضي منه العَجبُ أنَّ بعضَ حَمَلَةِ الأقلام من النصارى في هذا العصر أخذوا يُلَفِّقُونَ كتباً مملوءة من الهذيان، ويُظهرون أنها مؤلفة من سالفِ الأعصار، أو ينسبونها إلى رجلٍ من المسلمين في اسم مُخْتَلَقٍ ولقبٍ مستعار كما فعلوا في الرسالة المنسوبة إلى عبد المسيح الكندي التي رَدَّها العلامةُ المرحوم السيد نعمان أفندي آلوسي زاده، رحمه الله تعالى بكتابه «الجواب الفسيح لِمَا لَفَّقَهُ عبد المسيح» وقد طبع في لاهور من بلاد الهند[١]، وكما فعلوا في «الأجوبة السنية عن الشبهات النصرانية» المطبوع في مصر، فالظاهر أنه من دسائسهم أيضاً، إلى

---

(١) وقد طبعته حديثاً دار الجيل في بيروت.

غير ذلك من الرسائل والمقالات التي يطبعونها ويُفَرِّقُونَها في البلاد، يريدون بِزَعْمِهم تقويمَ المُعْوَجِّ من عودهم، وأين هم من عقيدتهم ومذهبهم مما سنسردُه لديكَ ونشرحُه لكَ حتى يحاولوا الاعتراضَ على الشريعة الإسلامية المُطهَّرةِ البيضاء النقيَّةِ من الشِّرْكِ والكفر والرياء، القامعةِ للمنكر والبغي والفجور والفحشاء، فهل من مَساغٍ لعاقلٍ أنْ يُوجِّه عليها الطعنَ وينسبَ المُتَديِّنَ بها للتوحُّشِ في العادات.

وهذه أوروبا على اختلافِ مذاهبها وتباين مسالكها ومشاربها، اتخذت أحكامَ الشريعةِ الإسلامية أساساً لأحكامها القانونية والسياسية، وما ذلك إلا استحساناً منهم لهذه الشريعةِ دونَ ما سواها، ولولا إشراقُ بهجةِ الإسلام على سطح المعمورة لرأيتَ الغربيين وهم عاكفون إلى الآن على فقرهم المعلوم وتَوَحُّشِهم المفهوم، وهل شَمَّ الغربيون رائحة المدنية إلا من أريجِ الإسلام، وها هي صفحاتُ التاريخ تشهدُ بفضلِ علمائه، تنشر في المسكونة من مآثرهم دُرَرَ العلوم ومن آثارهم غُرَرَ المعارفِ.

ولو أصبحنا نُعَدِّدُ مآثر الإسلام وما أدخل على العالم بِظهوره من التمدن وحُسْنِ الانتظام لضاق بنا نطاقُ التأليف. كُلُّ هذا ودعاةُ أهلِ التثليث يَسْتزلّون بُسَطاء الأمم لقبول دين النصرانية، ويتوسَّلون إلى غرضهم بالطُّرُقِ الشيطانية، يأمرونهم بالتثليث وأكلِ لحم الخنزير الخبيث، والسجود للخمرةِ والفطيرةِ والصليب والدعوةِ للإقرارِ بألوهيةِ المسيح ولعنه بلفظ صريح والاعتراض على الحق المبين والإعراض عن الدين المتين بما افتروه بغياً على الله تعالى من النصوص. وعلاوة على ما طبعوه في ديارهم من الكُتُبِ الخرافية دعوةُ «خرستفورس جبارة» لتوحيدِ الأديانِ والتوفيق بين النصرانية والقرآن، وهما ضِدّانِ لا يجتمعان ونقيضانِ لا يرتفعان.

وكنت أثناء تلك الحال ومشاهدة الفظيع من هاتيك الأحوال كثيراً ما يختلجُ

في صدري الذودُ والذبُّ عن حوزة الإسلام، واستخلاص الإنجيل وسيدنا المسيح مِنْ لعنِ هؤلاء الأقوام كما هو الواجبُ على مَنْ يؤمنُ بالله تعالى وأنبيائه العظام غير أني كنتُ أُقَدِّمُ لذلك رِجْلاً وأؤخر أخرى لعلمي أنَّ هذا مقامٌ بأهلِ العلم أحرى، ثم رأيتُ الصوابَ الدخول في هذا الباب والتعلق بتلك الأسباب، إذْ لا يخلو ذلك من فائدةٍ ومصلحة للدين عائدة.

والتزمتُ خدمة نوع الإنسان على العموم بتأليفِ كتابٍ يتضمنُ شرحَ الأناجيل وبيان ما فعله أهلُ الضلال من الأباطيلِ في شأنِ المسيح عليه السلام ومقام الرب الجليل، فاستعنتُ بالله تعالى فيما قصدتُ، وعليه سبحانه توكّلتُ فيما اعتمدتُ، ورَتَّبته على مقدمةٍ وأربع مقاصد، وسميته:

«الفارق بين المخلوق والخالق»

واقتصرتُ في نقل نصوص العهدين على نسختين: إحداهما المطبوعةُ في لندن قديماً سنة ١٨٤٨، والأخرى المطبوعة في بيروت حديثاً سنة ١٨٨٤. فالذي أنقلُه من نسخة لندن، أُصَرِّحُ بأنه منقولٌ من النسخة القديمة، والذي لم أُقَيِّده بشيءٍ، فهو من نسخة بيروت، وجعلتُ حرف (ص) علامة الإصحاح، وحرف (ف) علامة الفقرة، وجعلتُ عددَ كُلٍّ من الإصحاح والفقرة رقماً في الوسط، وكلما ذكرتُ لفظ المترجم، فالمرادُ به مترجم إنجيل مَتَّى دون سائر المترجمين للأناجيل، لأنه انفردَ بإخفاءِ الأصلِ العبراني، وكتمه، وإظهارِ تَرْجمتِه فقط كما ستطلّعُ عليه إنْ شاء الله تعالى. وها أنا أشرعُ في المقصود مُسْتَمِدّاً من فيضِ الخالق المعبود فأقـول:

المقدمة

أطلبُ منك أيها الكتابيُّ، بحقِّ معبودك، كمالَ الإنصاف، وتركَ التعصُّبِ والاعتساف، ثم أسألك بالله بما اعترفتَ بحقيَّةِ أمرِ المسيح أو موسى، وبأيِّ دليل أذعنتَ له، وبأيِّ برهانٍ خضعتَ إليه؟ ولا أظنُّ جوابَكَ يخلو عن أحدِ أمرين.

الأول: القول بأنك تابعٌ أبويك في هذا الدِّينِ كما قال أسلافُكم من قبل ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف] ولا أحبُّ أنْ يكونَ هذا نَعْتَكَ، إذ مَنْ هذا حالهُ لا حاجةَ إلى الجِدالِ معه ولا توجيه الخطابِ إليه، بل يُعَدُّ من القوم العَمِين.

الثاني: ادعاء أَنَّكَ أذعنتَ له بالبرهان القاطع الساطع، أعني المعجزات الفعلية المنقولة إليكم بِطُرُقٍ ظَنِّية على ما سَنُبيِّنُه، فإن اعتبرتها، لَزِمَكَ اعتبارُ معجزاتِ سيدنا محمد الفعلية المنقولة إلينا بالطرقِ القطعية، فحيثُ أنك اعتبرتَ الأول وأذعنتَ إليه، فالواجبُ عليك الخضوع للثاني والانقياد له، ولا أظنك تأبى، فترضى لنفسكَ أنْ تُعَدَّ من المُعاندينَ الذين طبعَ اللهُ على قلوبهم فلا يعقلون، ثم الْتَفِتْ وافهمْ أيها العاقلُ كيف عَلَّمَكَ المسيحُ كيفيةَ الاستدلالِ على صِدْقِ الداعي حيث قال في - ص٧ -ف١٦ من إنجيل متى:

(احْتَرِزُوا من الأنبياء الكَذَبة الذين يأتونكم بثيابِ الحِمْلان، ولكنهم من داخلٍ ذئابٌ خاطفة. مِنْ ثمارهم تَعرُفونهم، هل تَجْتنون من الشوكِ عنباً أو من الحَسكِ تيناً هكذا كل شجرة جيدة أنْ تصنع أثماراً رديئة، ولا شجرة رديئة أنْ تصنع أثماراً جيداً. كُلُّ شجرةٍ رديئة تُقْطع وتُلقى في النار، فإذاً من ثِمارِهم تَعرفونهم).

فتأمَّلْ أيها البصيرُ في هذه العلامة الواضحة الجيدة البينة المُؤيِّدةِ بما في القرآن العظيم ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ ﴿٥٨﴾﴾ [الأعراف]

وقال عزَّ وجل: ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم] إلى أنْ قال عز وجل: ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [إبراهيم].

وانظُرْ، بالله عليك، بعين الإنصاف في أثمار الشجرة المحمدية، هل هي جيدةٌ أم رديئة، فإنْ كابرتَ في المحسوس، وقُلْتَ بالثاني، أفحمتُكَ بقوله: «كُلُّ شجرةٍ رديئة لا تصنع ثمراً جيداً، تُقطع وتُلْقى في النار» وما قُطِعَتْ بَلْ نَمَتْ وبُوركت وعَلَتْ إلى أنْ وصلت الدرجةَ القُصوى والغايةَ العليا، إذ عَمَّ النداءُ الشرقَ والغربَ، وانتشرت الدعوةُ في أقطارِ الأرض وكان الناسُ إذ ذاك منقسمين أقساماً وطوائفَ على اختلافهم في الأديان والعقائد والطبائع والعوائد، وكُلُّ حزبٍ بما لديهم فَرِحونَ يموجُ بعضُهم في بعض، القويُّ يستعبدُ الضعيفَ والغنيُّ يستذلُّ الفقير، فجاء الإسلامُ والأمة العربية أشد الأمم توحشاً وأكثرهم فُرْقة وأعظمهم همجية، فنفذَ شعاعُه في قلوب الكثير منهم حتى غلبوا مَنْ سواهم من العرب والعجم، وفتحوا البلادَ والممالك، وأخضعوا الأُممَ والشعوب، وانقادت لعزَّتهم جميعُ الرؤساء، ودانت لسطوتهم سائرُ الأمراء حتى عَلَتْ راياتُهم، وظهرت أعلامُهم، وأخذوا نهاية الشوكةِ والقوة، ومَهَرُوا في الفنون والصنائع، وكان منهم العلماءُ والحكماء والأطباء والشعراء والخطباء وأصحابُ اليدِ الطولى، في التجارة والسياسة، حتى سَاسُوا نِصْفَ الكرة تقريباً مع قِصَر المدة وقُرْب العهد، فقد كان ذلك في أقل من قرنٍ من الهجرة النبوية، مع ما وقفَ في السبيلِ من الحوادث الجمة والصروف المدلهمّة والمصائب العميمة، وقد شهدَ أبناءُ جنسك على جودتها التامة وفضائلها العامة. والفضلُ ما شَهِدَتْ به الأعداء، فهذا «دروي» أحد وزراء معارف فرانسا السابقين قال في كلامه عن الأمة العربية: وبعد ظهور محمد الذي جمع قبائلَ العربِ أمةً واحدة، تَقصدُ مقصداً واحداً، ظهرت للعيان أمةً كبيرةً، مَدَّتْ جناح مُلْكها من نهر تاج في إسبانيا إلى نهر الجانج في الهند، ورفعت على منار الإشادة أعلامَ التمدن في أقطارِ الأرض أيامَ كانت أوربا مظلمةً

بجهالاتِ أهلها في القرون المتوسطة. إلى آخر كلامه، فأشار إلى أنَّ الإسلامَ هو السببُ الوحيد في إنقاذ العالم من ظُلْمةِ الهمجية إلى نور المدنية.

وسنذكرُ إنْ شاء الله عند الكلام على الفَارِقليط من إنجيل يوحنا شيئاً من العلاماتِ والبشارات الواردة في التوراة والزبور والإنجيل الدالة على نبوة هذا النبيِّ الجليل، مع بعضِ الدلائلِ القاطعة والآثار الواضحة في كونِ مقالتهِ حقاً ورسالته صدقاً، صَلَّى اللهُ عليه وسلّم.

فانظرْ هداكَ الله إلى الحق بعينِ الحقيقة، ولا تكن ممن اتَّبعَ هواه، فَضَلَّ طريقَ هداه، ترى أنَّ هاتيكَ العلامات وتلك البشارات قد أوردناها عن كُتبكم اطمئناناً لقلوبكم، وإلا فدلائلُ نبوةِ هذا النبيِّ الجليل ومعجزاته الباهرة واضحةُ السبيل من المعقولِ والمنقول، لا حاجةَ لإثباتها من كتبكم، وترى أنَّ الباري جَلَّتْ عظمته وعَمَّتْ قدرته ورحمته أشار في القرآنِ الكريم والفرقان العظيم إلى أنَّ صفةَ هذا النبيِّ الرحيم وعلامةَ هذا الرسولِ الفخيم معلومتان من الكُتُبِ المقدسة مع كونها مُحَرَّفةً، فبقيت تلك النصوصُ محفوظةَ المضمونِ، ناطقةً بصفتهِ وعلامته إفحاماً لأهلِ الباطل والفساد وإرغاماً لأهلِ البغي والعناد الذين أرادوا إخفاء ما أراد الله إظهاره من حال هذا الرسول، على أن التوراة والإنجيل لو لم تلعبْ بهما أفكارُ المعاندين والخَلَسة المُحَرِّفين لما احتاج النهارُ إلى دليل، ومع هذا كله فهي مشحونةٌ بذكرِ صفاتِه ونعوته وهم لا يشعرون، وستطَّلِعُ على هذا جميعه فيما أشرنا إليه.

وَمَنْ أرادَ زيادةَ التّبيانِ والاطمئنان فليراجِعْ ما كتبه العلامةُ والحَبْرُ والفهامة الشيخ رحمةُ الله الهندي رحمهُ اللهُ تعالى في الجزء الثاني من كتابه المسمى (إظهار الحق) ففيه غُنيةُ المحتاجِ إذ قد أشبعَ القولَ في ذِكْرِ الدلائل العقلية والبراهين النقلية من كتبِ علمائهم ورؤساء دينهم، وكذلك الفاضلُ الكاملُ فريدُ العصر الشيخ حسين أفندي الجسر، جزاه الله خيرَ الجزاء في رسالته (الحميدية)،

وسنوافيك إنْ شاء الله تعالى بما يَشفيكَ من مرضك، وينفعك في دُنياكَ وآخرتكَ إنْ كنتَ مِمَّنْ أراد الهدى والصلاح والفوز بالفلاح.

وبعد ذلك فارجعْ إلى الحقِّ بالله عليك، ولا تكُنْ من المعاندين، وافتحْ بَصركَ وبصيرتكَ لتفوزَ بنورِ اليقين وتُسْقَى من الماء المعين، وترى عياناً الأنوارَ المحمدية ظاهرةً ظهورَ الشمس في رابعةِ النهار كما رأينا وشاهدنا. والحمدُ لله رب العالمين.

فصل في عقيدة النصارى

على اختلاف مشاربهم وتباين مذاهبهم، وقد نقلتها برمتها من كتاب (الفاصل بين الحَقِّ والباطل) ليحيط القارىءُ علماً بها، فيكون على بصيرةٍ مما سأذكره، فإنَّ مؤلفه حفظه الله استخرجها من كُتُبِ القوم لئلا يتوجه العتبُ عليه واللومُ.

اعلمْ هداكَ اللهُ إلى المنهج القويم والصراط المستقيم أنَّ صاحبَ كتاب «الفاصل» ضَمَّنَ كتابه محاورةً بين مسلم ونصراني، تصادقا فأوجبت بينهما عُقودُ الصُّحبة أنْ يكتبَ النصرانيُّ ما يعتقدهُ لصاحبِهِ المسلم على سبيلِ النصيحة فقال: إنَّ عقيدتنا أنْ تؤمنَ بالله، وأنَّ المسيحَ ابن الله الذي هو الله والروح القدس ثلاثةُ أقانيم أقنوم واحد، أحيا الموتى وأيَّدَ بعض الحواريين، فأحيوا الموتى كمثلِ ما فعل. أرسلهم المسيحُ إلى جمع الأجناس، وأمرهم بإفشاءِ أمرِهِ بعد أنْ كان هو يدل لهم شرائعه بنفسه، ورآه الناسُ بأعينهم وهو يتواضع، فيجبُ عليهم أنْ يفعلوا كما رأوا خالِقَهُم يفعل، لأنه عَزَّ وجل لَمَّا كلَّمَ العالَمَ على ألسنةِ أنبيائه الذين جعلهم رُسُلَهُ ووسائطه إلى خَلْقِه، ليعلموهم الإقرار بربوبيته، وشرعوا لهم تَرْكَ أوثانهم وأصنامهم الفاشية ضلالتها في جميع الأرض، فنزل هو سبحانه وتعالى بعد ذلك من السماء، ليكلِّمَ الخَلْقَ بذاته حتى لا تكونَ لهم حجةٌ عليه، فتنقطع حجتهم بعد أنْ كَلَّمهم بذاتِهِ إتماماً لرحمتِهِ على الناس، فهبطَ بذاتِهِ من السماء، والتحمَ في بطنِ مريمَ العذراء البتول أُمِّ النور، فأخذ منها حجاباً كما قد سَبَقَ في حِكْمتِهِ الأزلية لأنه في البَدْءِ كانتِ الكلمةُ؛ والكلمةُ هي الله وهو مخلوقٌ من طريق الجسم وخالقٌ من طريق النفس، وهو خَلَقَ جسمه وخلق أمه، وأُمُّه كانت من قبله بالناسوت، وهو كان من قبلها باللاهوت، وهو الإلهُ التام، وهو الإنسانُ الكاملُ، ومن تمام رحمته على الناس أنه رضيَ بإهراقِ دمهِ عنهم في خَشبةِ الصليب، فمكَّنَ اليهودَ أعداءه من نفسه، ليتمَّ سخطه عليهم، فأخذوه وصلبوه، وغار دَمُه، لأنه لو وقع منه شيءٌ في الأرض ليبست إلا شيء وقع

فيها، فنبتَ في موضعه النوار، لأنه لما لم يكن في الحِكْمةِ الأزلية أنْ ينتقمَ اللهُ من عبدهِ العاصي آدم الذي استهانَ بقدرته، فلم يُرِدِ اللهُ الانتقامَ منه لاعتلاءِ منزلةِ السيدِ وسقوطِ منزلةِ العبد، أراد أنْ ينتصفَ من الإنسان الذي هو إلهٌ مثله، فانتصف من خطيئةِ آدمَ بصلبِ عيسى المسيح الذي هو متساوٍ معه، فصلبَ ابن الله عز وجل الذي هو الله، في الساعة التاسعة من يوم الجمعة، صلبته اليهود، واليهودُ تُقِرُّ أنها صلبته، وإنكارُ الصلوبية كفرٌ، إلى أنْ قال:

وأركانُ ديننا خمسة: التغطيسُ، والإيمانُ بالتثليث، والاعتقادُ بأنَّ أُقنومَ الابن قد التحم بعيسى في بطنِ مريم، والإيمان بالقربان، والإقرار للقسِّيس.

ثم إنَّ العلاَّمةَ الفاضل صاحب كتاب «الفاصل» أدرجَ عقبَ العقيدةِ المذكورةِ الأمانةَ التي يُسَمُّونَها (شريعه الإيمان أو التسبيحة) غير أنني وجدتُ العالِمَ العلاَّمة البحر الفهامة المرحوم السيد نعمان أفندي آلوسي زاده، في كتابه «القول الفسيح» ذَكَرها برمَّتِهَا مع زيادات، وتلك الزيادات ناشئة عن اختلافِ الكنائس التي هي الفروع الأصلية للأمة النصرانية فأحببتُ أنْ يقفَ المطالعُ على تلك الزيادات، فآثرتُ نقلها عنه، قال: إنَّ المسيحيين ينقسمون إلى ثلاثة فروع أصلية:

الأول: الكنيسة الكاثوليكية، ومرتبها بابا رومية.

الثاني: الكنيسة الأرثوذكسية وهي اليونانية.

الثالث: الكنيسة الإنجيلية وهي البروتستانتية.

والمراد من الكنيسة: العقيدةُ والمذهبُ والدين، يجمعهم في الاعتقاد دستورُ إيمانهم المخلص من الإنجيل وهو هذا: «نؤمنُ بإلهٍ واحد، أب واحد ضابط الكُلِّ، خالقِ السماء والأرض، كل ما يُرى ومالا يُرى، وبربٍّ واحد يسوع المسيح ابن الوحيد، المولد من الأب قبلَ الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للأبِ في الجوهر الذي به كان كُلُّ شيء، الذي

من أجلنا نحنُ البشر ومن أجل خطايانا نزلَ من السماء، وتجسَّدَ من الروحِ القُدس ومن مريمَ العذراء وتأنَّسَ، وصُلِبَ عنا على عهدِ بيلاطس، وتألَّمَ وقُبِرَ، وقام من الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب، وصعد إلى السماء، وجلس على يمين الرب، وأيضاً يأتي بمجدٍ لِيَدين الأحياءَ والأمواتَ الذي لا فناءَ لِمُلْكِه، وبالروح القدس الرب المُحْيي المنبثق مِن الأب الذي هو مع الأب والابن يسجد له ويمجد الناطق بالأنبياء، وبكنيسةٍ واحدة جامعة مقدسة رسولية، ونعترفُ بمعموديةٍ واحدة لمغفرة الخطايا ونترجى قيامةَ الموتى والحياة في الدهر العتيد آمين».

قال العلامةُ الفاضل صاحبُ «القول الفسيح» بعد إدراجه تلك الأمانة ناقلاً لها عن كتاب «سَوْسَنة سليمان» لمؤلفه نوفل بن نعمة الله بن جرجيس النصراني المؤلف المطبوع في بيروت سنة ١٨٧٢ : (ولا خِلافَ بين هذه الفروع الثلاثة في مضامين هذا الدستور سوى ما بين الكاثوليكيين والروم في قضيةِ انبثاقِ الروح القدس. وأصحاب العقيدة الأولى يقولون ذلك، وأصحاب الثالثة لا يتعرضون للمناكفة في شيءٍ من ذلك، ويقولون: إنَّ أصلَ الدستور الذي أَلَّفه المجمعُ النيقاوي المسكوني هذا فحواهُ).

قلتُ: وهو مطابقٌ لما نقله العلامةُ الفاضل في كتابه «الفاصل» وَلْنَعُدْ لكلامِ الفاضل في «الفاصل»: قال النصرانيُّ مخاطباً لصاحبه المسلم: وصلاتنا أحسنُ صلاةٍ تُقرأ وهي هذه: «أبانا الذي فيْ السموات ليتقدَّسْ اسمُكَ، ليأتِ ملكوتك، ولتكن إرادتُكَ في السماء مثلها في الأرض، أعْطِنا خيرَنا، واغفرْ لنا ذنوبنا كما نغفر نحنُ لمن أذنبَ لنا، ولا توقعنا في المحنة، وسَلِّمنا من الشِرِّير آمين. السلامُ عليكِ يا مريمُ يا ممتلئة نعمة، الربُّ معكِ، مباركةٌ أنتِ في السماء، ومباركٌ ثمرةُ بطنكِ يسوع، يا قديسة مريم، يا والدةَ الله صَلِّي لأجلنا نحنُ الخُطاة الآن في ساعة موتنا آمين».

فصل

في اختلافِ علمائكم في هذه الأناجيل التي بأيديكم ومتى أُلِّفَتْ ولُفِّقَتْ، وإثبات التحريف فيها إجمالاً، وأنها ليست واجبة التسليم، وذكر ما وقع بينكم من الشِّقاق الذي تَسَبَّبَ عن الاختلاف حتى بنيتم هذا الدين على قواعدِ الشكِّ مُخالفينَ للمعقولِ والمنقول، فأضللتم أنفسكم بما يَمجُّه ذوقُ العقول ناقلاً ذلك كُلِّه عن أحباركم فيما نقلوهُ إلينا من أخباركم، فأقولُ وبالله المستعان وعليه التكلان.

أولاً: أنتَ تعلم أنَّ الكتابَ السماويَّ الذي يجبُ الخضوعُ له والائتمارُ بأوامره والانتهاء بنواهيه، لا يكفي في إسنادهِ إلى شخصٍ ذي إلهام مُجَرَّدُ الظنِّ والوهم، لا في وجوب اعتقاده، ولا في التمسك به في مقابلة طعنِ المخالف، كما أنَّ مجردَ ادعاء فرقة أو فرق غير كافٍ، وهذا مُسَلَّم عندكم، فإذاً لا بد أنْ يثبت ذلك الكتاب، وأنه كتاب الله الذي أنزله على النبيِّ الفلاني بسندٍ مُتَّصلٍ في جميع طبقاته متواتر في عامةِ مراتبه، بحيثُ يكون قد رواه الجَمُّ الغفيرُ عن الجمِّ الغفير الذي يُؤْمَنُ تَواطُؤهم على الكذبِ بلا تغييرٍ ولا تبديل ولا زيادةٍ ولا نقصان، بأنْ تكون كل طبقة بكثرةٍ عظيمةٍ مختلفة الأمكنة خالية عن الغَرَضِ والعلة والجهل، وقد طلب علماؤنا من علمائكم السندَ، فاعتذروا بفقده، وأنَّ سبب فقدانه توالي وقوعِ المصائبِ والفِتَن على المسيحيين إلى أثناء القرن الرابع من بعد المسيح قائلين في اعتذارهم: إننا تَفَحَّصْنَا كُتبَ الإسناد، فما رأينا فيها ما يوجبُ القطعَ بشيء مما ننقله عن المسيح ونسندهُ إليه؛ بَلْ كُلُّ ما وجدناه لا يفيد أكثر من الظن والتوهم بأنَّ ما جعلناهُ دِيناً وارتضيناهُ مذهباً هو عينُ ما جاء به المسيح، فاقتنعنا بهذا القَدْرِ الطفيف والسَّندِ الضعيف الذي جَرَتِ العادةُ بالتمسُّكِ به فيما لا يترتبُ على اعتقاده ضررٌ، كأخبارِ الأمم الغابرة والحوادث الواقعة، لا لأنه كافٍ في الاعتقادِ ونقل الأديان، بل لعدم وجودِ غيره مما يفيدُ القطعَ ويوجبُ الجزمَ،

وأظنكم لا تَرْضَوْنَ ذلك عذراً إنْ طالبكم مطالِبٌ بسندِ رواةِ دِينكم أو استشهدكم على صِدْقِ أقوالِ مؤسِّسي مذهبكم، وتأنفون أنْ لا يكون عندكم شيءٌ من الأدلة على دِينكم، وأن تكون ثقتكم في دينكم ثقة المُتمسِّكِ بخيطِ العنكبوت في عدم السقوط إلى الأرض.

ولقد فَتَّشنا كتبكم من جهتي العقلِ والنقل، فوجدناها من جهةِ العقل لا يسلمها عاقل، لما فيها من التناقضِ والمغالطات التي تمنع أنْ تكونَ من صحيح الكتب التاريخية فضلاً عن أنْ تكونَ من الكتب الإلهية، وأنتَ ترى أن نيفاً وسبعينَ كتاباً من كتبِ العهدِ الجديد منسوبةٌ إلى عيسى ومريم والحواريين وتابعيهم، قد رفضتها كنيسةُ كريك[1] وكاثوليك وبروتستنت، وادَّعَتْ أن كلاً من هذه الكتبِ من الأكاذيبِ المُصْطنعة.

ومثل ذلك كتب العهد العتيق، ككتابِ المُشاهدات والسِّفر الصغير للتكوين، وكتاب المعراج، وكتاب الأسرار، وكتاب تستمنت، وكتاب الإقرار المنسوب جميع ذلك إلى موسى عليه السلام، فإنَّ تلك الفِرق أيضاً رفضتها بدعوى أنها من الأكاذيبِ المُصطنعة، وأنَّ هناك كتباً من كتب العهدين رفضتها بعضُ الفرق، وسَلَّمت بعضها، وفرقة أخرى عكست فنفت ما أثبتته الفرقةُ الأولى وأثبتت ما نفته، فلم تَتَّفِقْ كلمتُكم عل كتابٍ، وهذا كُلُّه يَعْلَمُه المُطَّلعُ المُنْصِفُ منكم، وأما المكابِرُ المعاند فيكفيه جَهْلُه وعناده وعدم إذعانه للحقِّ، والحق أحقُّ أن يُتَّبعَ، فانظر بعين الحق في القسم الذي يخبر عن الأحوال التاريخية كالتواريخ الواردة في الأسفار الخمس، وكتاب يوشع، وكتاب القضاة، وكتابي صموئيل، وكتاب الملوك، وكتابَي أخبار الأيام، وكتاب عزرا، وكتاب نحميا، وأمثالها، إذ مَنْ يعرفُ مقدارَ اختلافِ العلماء منهم في تعيينِ مَن استندتْ هذه الكتبُ إليه يَعْرِفُ عدم جواز الركون إلى صحة ما ورد فيها.

---

(١) أي: اليونان.

مثالاً: الأسفارُ الخمسة اعتقد بعضُ العلماء المنسوبين لمعرفة التوراة والإنجيل أنها لموسى عليه السلام، ويُبْطِلُه ما وردَ في آخرِ هذا الكتاب من ذِكْرِ وفاة موسى وكيفية إقامةِ بني إسرائيل مناحةً له بعد وفاته، وإنْ ذهب بعضُهم بلا دليلٍ إلى أن الفصلين الأخيرين من سفر التثنية ليوشع بن نون، أضافهما على الأسفار الخمسة تتميماً، وقال بعضُهم: إنَّ هذه الأسفارَ من مُصَنَّفات يرميا، ولا دليلَ له. وبعضهم: أنها من مصنفات عزرا الذي عُبِّرَ عنه في القرآنِ الشريف بِعُزَير، وأنه بعدما رجعَ القومُ من جلاء بابل بأمرِ الملكِ الكبير ازدشير، وبنى القدسَ وجمعَ شملَ اليهود، طلب الشعبُ منه نسخةَ التوراة، فكتب عزرا إجابةً لطلبِ الشعب الأسفارَ الخمسة على مقدار ما بلغت إليه سعةُ المعارفِ في ذلك الوقت.

وعلى هذا القياس، فإذا أمعنتَ النظر وأنصفتَ وجدتها من حيث النقل منقطعةً لا سندَ لها يُعَوَّلُ عليه، ولا مستند يركن إليه، والظنُّ والتخمينُ لا يفيدان في هذا الباب شيئاً، ومجردُ العجز منكم عن إبراز الدليلِ الكافي بإقراركم، يكفي في أنْ تكونَ لنا الحجة عليكم، وأنا أذكرُ لك على سبيل النصح ما لو نظرتَ إليه بعينِ الناقدِ البصير، وتأمَّلْتَهُ تأمُّلَ العاقلِ اللبيب الذي يهمه أمرُ دينه، لكفاكَ في الخلوصِ من الشقاء إلى السعادة فأقول: أنتَ تعلمُ يقيناً أن الله تعالى أنزلَ على المسيحِ إنجيلاً واحداً، ونحنُ نرى بأيديكم أربعة، بل خمسة، بل خمسينَ، بل أزيد، وبديهي أنها ليست كُلّها من عندِ الله تعالى، بل واحد منها، ولا يمكن تَعيينُه بعينه، لمكانِ الاختلاط، واشتباه المُنْزَلَ منها بغيره، فلا يصلحُ اعتمادُ شيءٍ منها، إذْ كلُّ واحدٍ كما يحتمل أنْ يكون هو المنزَل، يحتمل أن يكون غيره.

وإذا قلت: إنَّ الأربعةَ التي اتفقتم عليها هي كلام الله تعالى، فأنتَ خبيرٌ بأنَّ كلامَ الله لا يناقضُ بعضُه بعضاً. ونحن نرى أنَّ ما بهذا الإنجيل مناقضٌ لما بالإنجيلِ الآخر، وليس التناقضُ في اللفظ والتعبير، بل التناقضُ في المفهوم والمعنى معاً، والتناقضُ مُسْتنكرٌ من المخلوقاتِ، فكيف به من العالِمِ الذي لا

يعزبُ عن عِلْمِه مثقالُ ذرة في الأرض ولا في السماء! فإذا جَوَّزْتَ عليه التناقضَ نفيتَ عنه صِفات الكمالِ من الحِكْمةِ والعلم، وجوزتَ عليه سبحانه ما تترفَّعُ عنه الحوادثُ وتنفرُ منه، فلا تكون إذاً من أصحابِ الأديان، لأنَّ الأديانَ ما جاءت إلا بتنزيهِ الباري وتقديسه، فإذاً يجب أن يكون الإنجيلُ واحداً من هذه الأناجيل، وما دمتَ في شك من صحة أحدِها، فأنتَ على غير أساسٍ من دينك.

وها أنا أذكرُ لكَ الالتباس الذي وقع في إنجيلكم على ما نقله علماؤكم، لتكون الحجةُ عليكم. أما التحريفُ فإنه أمرٌ ثابتٌ بإقراركم به في المناظراتِ العلنية، فيا أيها المسيحيون! أنتم تعلمون باليقين وتُقِرُّونَ مع الناسِ أجمعين أنَّ رسالةَ عيسى عليه السلام عبارة عن مدةٍ يسيرةٍ من الزمن، لم تَزِدْ عن ثلاثينَ شهراً، وعلى ما تَزعمونَ لم يأخذ القلمَ بنفسه، ولم يكتبْ من كلامه حرفاً واحداً، ولم يُكَلِّفْ أحداً بجمعِ أقواله، ولا تكلَّفَ أحدٌ من معاصريه وتلامذته تسجيلَ أحواله؛ بل كَلَّفهم اتِّباعَ الإنجيلِ الذي كان يَكْرِزُ[1] به في ذلك الوقت، ويحثُّ الناسَ على العمل بمقتضاه، وذلك الإنجيلُ غير الأناجيل الموجودة بأيديكم الآن، والدليل على ذلك أنَّ المسيح لما رجع من تجربة الشيطان، وصعدَ للهيكلِ ليبلِّغَ رسالته لليهود، كان أول لفظٍ تكلَّم به كما في - ص١ - ف١٥ من إنجيلِ مرقس ونصه: «قد كملَ الزمانُ واقترب ملكوتُ الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل».

ومن البديهي أنه في مبدأ رسالته لم يكن شيءٌ من الوقائع المحرَّرة بالأناجيلِ الموجودةِ الآن بالأيدي، فَعُلِمَ أنَّ هذه الأناجيلَ ليست بالإنجيلِ الذي كان بيدِ المسيحِ في بداية رسالته، ولو فُرِضَ وجودُ بعض من الإنجيل الحقيقي في خلال سطورِ هذه الأناجيل، فتعيينُه مستحيلٌ، وعِصْمتُه من التحريف غير ثابتة، فلذلك كانت هذه الأناجيلُ الموجودة غير صالحةٍ للاحتجاجِ بها، لأنه لا حُجَّةَ مع الاحتمال.

---

(١) يميل إليه (يعتمده). يُبَشِّرُ به.

وأما أحاديثه ومواعظه عليه السلام فكانت شفاهيةً لم تَحْصُرها الدفاترُ ولا سَطَّرتها الأقلامُ في زمنه عليه السلام ولا في زمنٍ متقاربٍ منه، لأنَّ دينكم نشأ في الناصرة بين جماعةٍ من صَيَّادي الأسماك قليلي العدد، والسببُ الداعي لعدم التمكُّنِ من تسطيرِ أقواله وتحريرِ أحواله اختلاطُ عددهم القليل، مع استيلاءِ الجهلِ على الأكثر بين أمة اليهود الكثيري العدد وما هُمْ عليه من العُتُوِّ والجَبروتِ والسلطة؛ والمسيحُ عليه السلام إنما أرسله اللهُ تعالى إليهم مُؤَيِّداً للتوراة التي أنزلها على نبيه موسى عليه السلام، فخذَلُوه ورفضوه، وهكذا اقتضت حكمةُ الله في أنبيائه، ليتمَّ أمره وتكون له الحجةُ البالغةُ على الناس.

وقد كان المسيح عليه السلام يبالغُ في الموعظة والتشديد بالنصيحة طبقاً لما أمرَهُ الله تعالى بتبليغهِ لهم، وهم يزدادون حنقاً عليه وغيظاً منه حتى تَجمَّعتْ جُموعهم لقتلِه وصلبه، فرفعه اللهُ إليه مُكَرَّماً، ولم يتمكن أصحابُه من كتابة شيء يقال له إنجيل غير فقراتٍ قليلة، كانت محفوظةً في صدورِ الآحادِ منهم، ولم يتفكروا إذ ذاك في تحرير شيء من أصلِ دِينكم حتى اشتعلتْ بينكم نارُ المنازعات والمُدَافعات، فأهرقت دماء الألوف من عوامكم بتلك المقاوماتِ الدينية، وبقيَ هذا النَّزْرُ من تلك الفقرات القليلة من الإنجيل، في هذه المدة، في الأذهان، تلعبُ به أهلُ الأهواء، وهو يتقلَّبُ بين ما يمحوهُ النسيان وبين ما تثبته وتزيد فيه تلك العصابة التي قبلتم ذلك منها، بمجرد الدعوى، حتى آل الأمرُ إلى تَفَرُّقِ مذهبكم شِيعَاً وتَعَدُّدِه بِدَعاً، فصار عندكم بسببِ ذلك أكثر من مئةِ إنجيل.

وقد كتب في تَعَدُّدِ الأناجيل من عظمائكم ومؤرخيكم أورشين واذيب والقديس شيروم وغيرهم، ثم أخذ الاختلافُ يزدادُ يوماً فيوماً، ويتطاير شرره في العالم حتى أوجب أنْ تنقلبَ بعضُ فِرقكم على بعض، إلى أن اتفقتم بعد الجيلِ الرابع من رفعِ عيسى عليه السلام على خمسةِ أناجيل، اخترعتموها، تعرفون منها أربعةَ

مشهورة، والخامسُ لا يعرفه إلا القليلُ منكم، وهو المسمى بإنجيل الصَّبْوَة، ذُكرت فيه الأشياءُ التي صدرت من المسيح في حال طفوليته، وهو منسوبٌ لبطرس عن مريم عليها السلام، وفيه ما فيه من الزيادةِ والنقصان، وقد أُهملَ فيه كثيرٌ من أعلام[1] المسيح عليه السلام ومعجزاته، وذُكِرَ فيه قدومُ المسيح وأمه ويوسف النجار إلى صعيد مصر، ثم عَوْدِهِ إلى الناصرة.

وأما الأناجيلُ الأربعةُ المشهورة عندكم التي عليها مَدارُ عقيدتكم، فسأوافيكَ بالكلام على كلٍّ منها وترجمة حالها وحال المنسوبةِ إليه، في أول شروعي في شَرْحِها، إنْ شاء الله تعالى، لتكون هناك العلاقة مُتَّصلةً بين الشرحِ وحالِ المشروح، فلا يطولُ عليك العهد، ثم لعلَّكَ تقول: إنَّ هذه الأناجيل الأربعة إنجيل واحد، أو لعلَّكَ تقول: أنتَ ذكرتَ لنا أن هناك عدداً من الأناجيل، كُلُّ فردٍ منها ينافي الآخر، وأن هذا العدد يتجاوز الأربعة، بل الخمسة، بل الخمسين، فإما أنْ تُبرهنَ بحجةٍ قاطعة وبيِّنةٍ ساطعة من كتبنا، تثبتُ بها هذا التعدد، وإلاَّ فدعواكَ غير مُسَلَّمة.

فأقول: أما كونها ليست إنجيلاً واحداً، فإنَّ التناقض اللفظي والمعنوي أرشدنا إلى المنقول عن مَتَّى، ناقضَ المنقولَ عن لوقا، والمنقول عن لوقا كَذَّبَ المنقول عن مرقس، والمنقول عن مرقس اتهم المنقول عن يوحنا حتى أوجبَ الأمرُ عدم الوثوقِ بشيءٍ من هذه الأناجيل، إذ ليس البعض بأوْلى من البعض.

وها أنا أسردُ عليك هنا بعضاً من هذا التناقض الذي أعيا أقلام شُرَّاح الأناجيل من علمائكم، فأقرَّ المحققون منهم أنَّ هذا خبطٌ، بغير دليلٍ عقلي ولا ذوقٍ علمي، والتجأ غيرهم من المتعصبين إلى التشبث بالأعذار، ولم يأتوا بطائل، ومن ذلك التناقض تعلم أن دعواك هذه عليكَ لا لكَ، وتَطَّلعُ إنْ شاء الله في أثناء

---

(١) أي: من العلامات والأمارات الدَّالة عليه.

الشرح على جملٍ من مثل هذا التناقض غير الذي أذكره هنا، ثم أُورِدُ عليك النصوصَ الدالة على التعدُّدِ، لأُثبتَ لك فيها أن هناك أناجيل، كنتم تعتقدونها غير هذه الأربعة.

أما التناقض فهاكَ: قال في الإنجيل المنسوب إلى متى عن المسيح عليه السلام مُخْبِراً عن يوحنا المعمدان كما في -ص١١ -ف١٤ (هذا هو إيلياء) وحكى خِلافَهُ في إنجيل يوحنا كما في ص١ -ف٢١ سأل اليهود: مَنْ يوحنا المعمدان هل أنتَ إيليا؟ فأجابهم: «أنا لست إيلياء»، فهذا ولا شك تناقضٌ، فإن قيل: لا يبعدُ أن يكون يوحنا المعمدان قد كذب عليهم، فأنكر أن يكون إيلياء.

قلتُ: تجويزُ الكذبِ على الأنبياء، وإسقاط العصمة عنهم مُحَالٌ، وذلك لارتفاع الوثوقِ بالشرائع ولعدم الفرق بين خبرِ النبيِّ والعامي.

وقال متى في - ص٢ -ف٢٣ «وأتىوسكن في مدينة تدعى ناصرة لكي يتم ما قيل بالأنبياء، إنه سيُدعى ناصرياً» ولم تنقل الأناجيلُ الثلاثة مثلَ هذا البتة، ولم يوجد لهذا النص أساسٌ في سائرِ كتبِ الأنبياء، لا صراحةً ولا إشارةً، واليهودُ ينكرون ذلك أشدَّ الإنكار، وما تكلَّفَ بالاعتذارِ به عن ذلك صاحب كتاب «السؤالات» المطبوع سنة ١٨٤٣ بلَنْدَن وذلك ما أورده بالسؤال الثاني بقوله: كتبُ الأنبياء التي كان فيها يُدْعى ناصرياً انمحتْ، لأنَّ كتب الأنبياء الموجودة الآن لا يوجدُ فيها أن عيسى ناصريٌّ، فهو غير كافٍ لأنْ يكونُ دليلاً على صحة النص المذكور، بل يعتبر دليلاً قويماً على أن ترجمة ذلك الإنجيل كانت تجازفُ بذكرِ العباراتِ الواهية بدون تأمل، وليس للمعاندِ المكابر حجةٌ سوى أنْ يقول: إنَّ اليهودَ رفعوا من كتبهم تلك الآية عناداً بالمسيحيين، فترتفع الثقة بكتبهم، لتمكن شبهة الزيادة والنقصان بتسلُّطِ أعدائهم عليها.

وقال لوقا - ص١ -ف٣١ في خطاب جبرائيل لمريم: «وها أنت ستحبلين

وتلدين ابناً، وتُسَمِّينَهُ يسوع، هذا يكون عظيماً، وابن العليِّ يُدْعى، ويعطيه الربُّ الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيتِ يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكهِ نهاية».

وكَذَّبَ هذا النقلَ يوحنا وغيرهُ، فقال: بل حُمِلَ يسوع هذا الذي وعده اللهُ بالملكِ إلى القائد بيلاطس، وقد ألبسه شهرة، وتَوَّجه بتاجٍ من الشوك، وصفعوه وسخروا به، وفاوضه بيلاطس طويلاً، فلم يتكلم، فقال له: (أما تعلم أنَّ لي عليك سلطاناً، إنْ شئتُ صلبتك، وإنْ شئت أطلقتك، إلى أن ذكر أنه صلبه بعد ذلك».

وهذا لا شَكَّ تناقضٌ فاحش، فإنَّ إنجيلاً يجعله ملكاً عظيماً لبني إسرائيل، وآخر يَصِفُه بهذه الذِّلَّةِ والمهانة، فكيف يمكن اعتقاد أنَّ مِثْلَ هذا الإنجيلَ كتابٌ منزل من عند الله، حتى إنَّ المنقولَ عن لوقا نفسه منقوضٌ في بعض هذه القضية بما ذكره في - ص٢٣ فارجع إليه.

وقال لوقا -ص٢٢ ما ملخصه: «لما نزل بيسوعَ الجزعُ من اليهود، ظهر مَلَكٌ من السماء ليقوِّيه، وكان يصلي متواتراً، وصار عَرَقُه كعبيطِ الدم» ولم يذكر ذلك مَتَّى ولا مرقس ولا يوحنا، فإذا تركوا ذلك، لا يُؤْمَن أن يتركوا ما هو الأهم من ذِكْرِ الأحكام، وإنْ كان الترك صحيحاً، فتكون الزيادةُ كذباً محضاً، وهذا قد أوردناه عليكَ، وإنْ كان ليس من شرطنا في هذه القضية غير أنه يناقضُ نفسَ ما نقله لوقا من أنْ يكون ملكاً، ويجلس على كرسي أبيه داود.

وقال يوحنا - ص١ «مضى المسيحُ إلى يوحنا المعمدان، ليتعمَّدَ منه، فقال له المعمدان حين رآه: حَمَلُ الله الذي يحملُ خطايا العالم، وهو الذي قلتُ لكم: يأتي بعدي وهو أقوى مني».

وقال متى في - ص٣ لما رآه المعمدان قال: «إني لمحتاج أنْ أُعَمَّدَ منكَ،

وأنت تأتي إليَّ لتعمد على يدي» كل ذلك يدل على أن يوحنا المعمدان، كان يعرفُ حقيقةَ المسيح مع أنَّ متَّى ذاته نقل في - ص١١ عن يوحنا المعمدان أنه لم يكنْ عالماً بالمسيح حتى سأله وهو في السجن قائلاً: «أأنتَ هو الآتي أم ننتظرُ غيرك» أفما يكفي مِثْلُ هذا التناقض للجزمِ بأن هذه الأناجيل امتدت إليها أيدي المحرفين؟!.

ومن هذا التناقض تذكرتُ ما روي في متى - ص٢٨ - ف٢٩ من قول المسيح: «فاذهبوا وتَلْمِذوا جميعَ الأمم، وعَمِّدوهم باسم الأب والابن وروح القدس» وأنتَ تعلم أن التعميدَ هو من الأركانِ الخمسة لدينِ النصرانية، ولم يذكر تلك العبارةَ غيرُه، والعجبُ أنهم نسبوا هذا القولَ المفترى إلى المسيح بعد الصلبِ، مع أن التعميدَ من مَهمَّاتِ دينهم، فلم لم يبلِّغهم المسيحُ ذلك قبل الصلب، حينما كان يَعِظُهم في الهيكل، وإذا كان كما زَعمتْ رُواةُ متى، أنَّ تلك الوصيةَ كانت بحضورِ التلامذةِ الأحد عشر، ويوحنا كان من جملتهم، فلماذا لم يذكرها في إنجيله، وهي من أعظم أركانِ دينه، ولا ريبَ في أنه من دسائس مُدَّعي مذهبِ التثليث، حيث أنَّ رواة الأناجيل الثلاثة اتفقت كلمتهم على أن نصَّ هذه الوصية بأن يُعَمِّدُوا بروحِ القدس فقط، بدون ذكر الأب والابن؛ بل في إنجيل متى نفسه قبل أن يأتي بالعبارة التي يريدُ منها إثباتَ التثليث قال في ص٣ -ف١١: (سَيُعَمِّدُكم بروحِ القُدُس) فقط.

فانظر هداكَ الله إلى هذا التهافتِ الذي لا يصدر مِمَّنْ له أدنى شعور وذوق ولكن يأبى اللهُ إلا أن يُحِقَّ الحقَّ، ولو كره المشركون.

وفي متى - ص١ -ف١٦ سيأتي بحث في نَسَبِ المسيح، فينقضُ بعضُه بعضاً، ويَعقُبه بحثٌ من إنجيل لوقا بأنَّ يسوع أقام ثلاثين سنة، وهو يظن أنه ابنُ يوسف، فكيف يَخْفَى على عيسى عليه السلام ذلك ثلاثين سنة.

وفي مرقس من - ص١٦ (أن النساء أتين القبرَ إذْ طلعت الشمس).

وقال في يوحنا من ص٢٠ «إن الظلام كان باقياً والآتي امرأة واحدة» وبينهما تنافٍ، لأنَّ الأول عَيَّنَ الوقت في النهار والآتي جَمْعٌ، والثاني عَيَّنَهُ في الليل والآتية واحدة.

ثم إنَّ في قضية قيامِ المسيح تناقضاً قامتْ فيه سوقُ النصرانية على ساقٍ، وقد استوفيناه في محله، ونَطوي لك بساطَ التناقض الآن خوفاً عليك من الملل، فيصدّكَ عما وراءه ويفوت الغرض، ولنذكرْ لكَ النصوصَ التي تثبت تعدد الأناجيل ففي رسالة بولس إلى غلاطية ص١ ف٦: «إني أتعجبُ أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمةِ المسيحِ إلى إنجيلٍ آخر» فمن الضروري أنْ يكونَ هذا الإنجيلُ غير الأربعة ومخالفاً لها، وهي حُجَّتنا عليكم.

وقال جرجس زوين الفتوحي اللبناني أحد تلاميذ الرهبان اليسوعية في ترجمته العربية المطبوعة في بيروت سنة ١٨٧٣ ما نصه: (فأغسطينوس أخبر عن الأحد عشر رئيساً المبشرين الآخرين أنهم كانوا أصحابَ أناجيل، اتَّبعوا المسيحَ باعتقادهم به إنساناً ليس لاهوتياً، وأخبروا بإنجيلهم عن أعمالِ المسيح بحالِ حياته.

وذكر في «إظهار الحق» أنَّ أصحاب مرقيون وأصحاب ابن ويصان لكلٍّ منهم إنجيلٌ، يخالفُ بعضه هذه الأناجيلَ الأربعة، ولأصحاب ماني كيز إنجيل على حِدَة، يخالفُ من أولهِ إلى آخرِه ما عليه أصحابُ تلك الأناجيل، على اختلاف فرقهم، وهم يَدَّعون أنه هو الصحيح، وما عداه باطلٌ، وثَمَّ أيضاً إنجيلٌ آخر يسمى إنجيل السبعين، يُنْسَبُ إلى تلامس، يقول به مَنْ تابعه، وعمومُ النصرانية تُنْكِرُه، وتَعدُّه من الأناجيل الكاذبة، وهناك أيضاً إنجيلٌ بيدِ الفرقة الأبيونيةِ التي كانت مُعَاصرةً لبولس ومُنْكِرةً عليه أشدَّ الإنكار، تنسبُ ذلك الإنجيلَ إلى مَتَّى

غير أنه مخالِفٌ لهذا الإنجيل الموجود الآن عند معتقدي بولس في كثيرٍ من مواضعه، وعند فرقة المارسيونية إنجيلٌ، يسمونه لوقا موافقٌ للنسخة الموجودة الآن سوى الإصحاحين الأوَّلين، فإنَّ تلك الفرقةَ تُنكرهما.

وبالجملة فإنَّ مسألة تَعدُّدِ الأناجيل لا ينكرها إلا المكابرُ المعاند، وهذا آدم كلارك من متأخِّري علماء المسيحيين، يقول في المجلد السادس من تفسيره، في شرح هذا المقام وتحريره ما نصه: هذا الأمرُ محقَّقٌ أنَّ الأناجيلَ الكثيرة الكاذبة كانت رائجةً في أول القرون المسيحية، وكثرةُ هذه الأحوال هَيَّجَتْ لوقا على تحريرِ الإنجيل، ويوجد ذِكْرُ أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة، والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية، وكان فابري سيوس جمع هذه الأناجيلَ الكاذبة وطبعها في ثلاثة مجلدات، وبيَّنَ في بعضها وجوبَ إطاعةِ الشريعةِ الموسوية، ووجوبَ الخِتان مع إطاعة الإنجيلِ ويعلم إشارة الحواري إلى واحدٍ من هذه الأناجيل. انتهى.

فانظر أيها المنصفُ إلى كلامِ هذا الفاضل المسيحي، فإنه نطقَ بالحقِّ بقوله: إنَّ هذا الأمر مُحَقَّقٌ.

ثم أقول: إن الاضطهادات التي جرت على الأمة النصرانية هي التي أنتجت ضياع الإنجيل الصحيح، وتركتهم في مُشكلٍ من تَعَدُّدِ الأناجيل وتجدد الأباطيل، وقد ذكرها العلماء منكم الواقفون على علم التاريخ وقوفاً، لا تُنكرونَهُ عليهم، كالمعلم فروان، والمعلم بولون، والحكيم كرسون، والمعلم قبريس لادوك، والمعلم ستروس، والمعلم جالوليون، والمعلم بيار، فإنهم صَرَّحُوا في كُتبهم المتعددة التي ألَّفوها بذلك، وأوضحوا فيها أحوال النصرانية وما جرى عليها من الفساد، وأعلنوا فسادَ عقائدها، وأنَّ تلك الاضطهادات التي أوجبت ذلك الفسادَ، بدأ ظهورها في سنة ٦٤، وتكرَّرَ وقوعها في سنة ٦٥ و٩٥ و١٠٧ و١١٨ و٢١٢ و٢٢٥ و٢٥٧ و٢٧٤ و٣٠٣ إلى سنة ٤٠٠ حتى استقرَّ الحالُ على هذه الأناجيل.

والأعظم من ذلك أن أرنست دي يونس الألماني قال في كتابه (الإسلام) إنَّ روايات الصلبِ والفداء من مُخترعاتِ بولس ومَنْ شابهه من المنافقين.

ولا بأس أنْ أختمَ لكَ هذا البحثَ بذكر ما نقله العلامةُ صاحبُ «الجوابِ الفسيح»، رحمه الله تعالى عن كتاب «سوسنة سليمان» لمؤلفه نوفل النصراني المتقدم ذكره، ومنه يتضح لكَ حالُ تلك الاضطهادات، لعلك تُسَلِّمُ للحقِّ فَتَسْلَمَ.

قال المؤلف: (فصل في البدع) التي ظهرت بين المسيحين، وسبب انعقاد المجامع وانقسام الكنائس - أي المذاهب - وذلك أنهم لما اختلفوا في التفاسير التي عَوَّلُوا عليها - المراد من التفاسير شروح الأناجيل - أوجبَ صيرورةَ هذا الدين عُرْضةً لآراء الناس ومجادلاتهم وسبباً لظهور البدعِ التي يُنَوِّعُها البعضُ إلى خمسة أقسام متباينة (١) بدع الفلسفة (٢) بدع الأخلاق (٣) البدع المتعلقة بطبيعتي المسيح (٤) بدع المجادلة (٥) البدع الصورية أو العادية.

ثم إن هذه البدع كانت سبباً في انعقاد المجامع، وتعاليم تلك المجامع سبباً لانقسام الكنائس إلى تقليدية وإنجيلية، فأما بدع الفلسفة فظهرت في عهد الرسل أي الحواريين وبولس، وأول تلك البدع بدع الغنوصيين، وقد مزجت هذه الطائفةُ بأصولِ الدين حتى جعلوهما شيئاً واحداً، ورفضت شريعة موسى عليه السلام، وكثيرٌ منهم رفض جزءً من الأسفار المقدسة، ويقولون: المسيح الذي اعتبروه منبثقاً من اللاهوت على إنسان يسوع عند معموديته دام معه إلى وقت صلبه، وحينئذٍ تركه ورجع إلى السماء.

قلت: يُفهم منه أن القائلين بهذا المذهب اعتبروا المسيحَ غير اليسوع، وأن المسيح حَلَّ باليسوع، وهذا مذهبُ الزنادقة القائلين بالحلول، وقد نَبَّهتُكَ عليه هنا لئلا تنكره إذا مَرَّ عليك.

وأما بدع الأخلاق: فمن أصحابها النقلاويون الذين ظهروا في القرن الأول بعد الميلاد، وكانوا يُقَرِّبُونَ الذبائحَ للأوثان، ويَتمرَّغون في أقبحِ الفواحش، لأنهم زعموا أن كُلَّ مَنْ عرف الله والمسيح نجا وفاز.

قلتُ: لعلَّ أصحابَ المذهب تبعوا بولس، فإنه قال في رسائله: الإنسان يتبرَّرُ بالإيمان بدونِ أعمالِ الناموس.

ومنها فرقة المونتانوسية، أصحاب مونتانوس، الزاعم أنه بُعِثَ ليكمل للناس الآب التي جاء بها المسيح.

قلتُ: هذا يؤيد ما أشرنا إليه من عدم تمكُّنِ أصحاب المسيح من تحريرِ أقواله وتسطيرِ أحواله، فاحفظ ذلك.

وأما البدع المتعلقة بطبيعتي المسيح: فقد كان منشؤها بين القدماء من المسيحيين، وأهم مباحثهم كانت في تأييد التثليث.

وأما بدع المجادلة: فمن أصحابها البيلاجيون أصحاب بيلاجيوس البريطاني ورفيقه سلستيوس الإرلندي، وكانا راهبين في رومة، وكانا يقولان: إنَّ ما يمنع السعادة الأبدية القولُ بسريانِ الخطيئة الجَدِّية إلى نسلِ آدم، وأنَّ الإنسان يحتاج إلى تجديد القلب بنعمة من الله تعالى، تمنعهُ من الإقدام على الخطيئةِ، وتُقْبِلُ به إلى التوبة، ومن ثَمَّ شَرَعَا في إبطال ما ينافي هاتين العقيدتين وتعليمِ الناس أنَّ خطيئةَ آدم وحواء لا يُؤَاخَذُ بها أحدٌ من ذريتهما، وأن الإنسانَ موكولٌ في الأعمال إلى اختياره، فَمَنْ عمل صالحاً فلنفسه ومَنْ أساء فعليها.

وأما البدع الصورية: فملخَّصُ ما تكلَّم فيها نوفل، أن النصارى وقع بينهم النزاعُ في اعتقادات أُخَر مبسوطة في محلها، وقسم النصارى إلى ثلاثة مجامع عامة ويقال لها: مسكونية، وخاصة، ويقال لها: ملية وإقليمية، أي خاصة بإقليمٍ مخصوص، وعدَّدَ من العامة عشرين مجمعاً، آخرها المجمع المنعقد في رومية

سنة ١٨٦٩ ولم يزل مفتوحاً إلى الآن.

ومن الدليل الواضح في أنَّ بابَ هذا الاختلاف مفتوحٌ، ولم يُغْلَقْ شَرُّه، مسألة الطلاق كما ترى، فإنهم بعد أنْ حَرَّموهُ ظلماً لأنفسهم وافتراء على الله تعالى، كما هو مذكورٌ في الإنجيل، قامت الآن أوربا تطلبُ إباحةَ هذا التحريم، وافترقت فيه أمراؤهم، فمنهم مَنِ اعتمد الإباحةَ، ومنهم مَنْ توقَّفَ ونَفْسُه تُطالبه باتباعه، ومنهم مَنْ تَمَسَّكَ، والجرائدُ تُسمعنا من أخبارهم جُمَلاً، وتُرينا أموراً، تشهد بأن الاختلاف قد تمكن فيها بينهم، وبَلَغنا أنهم أباحوا للنساء أن يُطَلِّقْنَ أزواجهن عند ما يشتهين غيرهم[1].

فأقول: لو أنهم ظَلُّوا عاكفينَ على منع الطلاق، لكان أهون شراً من إباحة الطلاق للنساء، ثم إنه قد صُرِّحَ بتبديل الأناجيل في القرون الماضية من كافة الملل التي كانت معاصرةً لكم، ولم تقدروا على رَدِّ هذا التصريح.

وقد أعلن سلوس قائلاً في إعلانه في القرن الثاني، وكان من علماء الوثنيين المشركين: إنَّ المسيحيين بَدَّلُوا أناجيلهم ثلاث مراتَ أو أربع مرات، بل أزيدَ من هذا تبديلاً محا الشريعةَ العيسوية، وقضى عليها بالاضمحلال.

وأعلن فاستس الذي هو من أعظم علماء فرقة ماني كيز في القرن الرابع قائلاً: إنَّ هذا الأمر محقق، وإنَّ هذا العهدَ الجديد، ما صَنَّفَهُ المسيحُ ولا الحواريون، بل صنفه رجلٌ مجهول الاسم، ونسبه إلى الحواريين ليعتبره الناسُ، وآذى المريدين لعيسى إيذاءً بليغاً، بأنْ أَلَّفَ الكتب التي فيها الأغلاطُ والتناقضات، وقال في «مرشد الطالبين» في الفصل السادس من الجزء الأول ما خلاصته: «في القرن الثاني من الميلاد كانت الأناجيلُ والرسائل تحت يد كنائس بعيدة، وقد أُلحِقَ بها زوراً ودسيسة كتبٌ أخرى، اشتهرتْ واستعملت جداً، فلذلك وسوست

---

(١) انتهى الأمر الآن إلى إباحة الطلاق في كثيرٍ من الأقطار النصرانية.

بعضُ الكنائس في شأنِ قبول الرسالة إلى العبرانيين، ورسالة بطرس الثانية، ورسالتي يوحنا الثانية والثالثة، ورسالة يهوذا وأعمال الرسل» إلى أنْ قال فيه من الفصل المذكور: «إنه لا يوجد في الأناجيل تحريفٌ في تعاليمِ التاريخ ولا في قضاياه المهمة قصداً، بل قد يكون ذلك سهواً».

وقال فيه أيضاً من هذا الفصل: (ولا تعجبن من وجودِ اختلافاتٍ في نُسَخ الكتب المقدسة لأن قبل ظهور صناعة الطبع في القرن الخامس عشر من الميلاد، كانت تُنْسَخُ بالخط، فكان بعضُ النُّسَّاخِ جاهلاً وبعضهم غافلاً وساهياً) إلى أنْ قال فيه أيضاً: «وربما أنَّ كلاً من النُّسَخِ يوجدُ فيها غلطةٌ خاصة لا توجد في الأخرى» وهذا الاختلافُ هو السببُ الوحيد للتحريف في مقتضى تباين الآراء والأهواء، إلى أنْ قال فيه: «لربما أن النسَّاخَ بجهالتهم يُنِيبونَ حرفاً مكانَ آخر أو كلمةً مقامَ كلمة، أو ربما بغفلتهم أسقطوا أو نقصوا خطاً أو محطاً) إلى أنْ قال في نهاية الفصل: «ولا ريب فيما قاله بعض العلماء أنه وإنْ كان العهد الجديد قد فُقِدَ، فمضامِينُه كانت تُسْعِفُ بالاقتباسات منه التي وجدت في تآليفِ آباءِ الدهور الأولى الأربعة من دهور الكنيسة النصرانية».

انظر هَداكَ اللهُ إلى شهادة هذا المنصف، وهو من أكابر علمائهم، بقوله: إنَّ أصلَ الإنجيل فُقِدَ، والأناجيل الموجودة الآن هي التآليف الأربعة، مع هذا فيا حبَّذا لو أبقوها على عِلاَّتها، بل حَرَّفوها أيضاً، وبَدَّلوا وغَيَّروا وزوّروا فيها كما أشار هذا الفاضلُ آنفاً، ولكن من الأسف مع إنصافه وبيانه الحقَّ، خلّلَ كلامَهُ ببعض الأعذار الباردة، ماذا يفعل المسكين كما قيل: (ولا بُدَّ للخسرانِ من باردِ العذر) ويَصْدُقُ عليه قوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة] وذلك كقولِه: من عدمِ وجودِ صناعة الطبع، ومن جهلِ النساخ حصل هذا الاختلافُ في الكتب سهواً لا عمداً، على أنه قال في أثناء كلامه: «وربما توجد غلطةٌ خاصة لا توجد في الأخرى» وظَنَّ هذا الفاضلُ أن هذا النسيج يسترُ سوأةَ

أسلافِه حال كونه أوهنَ من بيتِ العنكبوت، لأنَّ السهو يُدْرَكُ فوراً من الرسل الذين عرفوا أسرار ملكوتِ الله، وبيدهم مفاتيحُ السموات كما صرحت به الأناجيل، ولا سيما المُلْهَمين منهم والمؤلِّفين لها والتابعين لهم كمرقس ولوقا وبولس وغيرهم من الرؤساء، والحقُّ أن الاختلافَ في كتبهم قصَدٌ وعمدٌ لا سهو من النساخ المساكين، والدليلُ على ذلك أن علماء النصارى، بعد إتقانِ صناعة الطبع وذَوْقِهم طَعْمَ العلم والعِرفان، فضحوا الكتبَ من التحريف والزيادة والنقصان، ولا سيما في زماننا، وها هي مملوءة من التناقضِ، فعندَ المُطابقةِ والمقابلة بين نصوص النُّسَخ المطبوعة قديماً وحديثاً، يظهر التحريفُ علناً وبداهةً، فراجِعْهَا، ولا تَكُنْ من قومٍ عَمِين، على أننا سنوردُ عليك إن شاء الله تعالى في «الفارق» بعض نصوصٍ منقولةٍ من النسخة المطبوعة سنة ١٨٤٨ في لندن، ومن النسخة المطبوعة حديثاً في بيروت حتى يَتَبَيَّنَ التباينُ والتخالفُ والزيادةُ والنقصان بين الطبعتين، ونُكَرِّرُهَا لتطمئنَّ، فإنْ كنتَ متذكراً لا تنسى أيها المسيحيُّ الرشيدُ بالله عليكَ، لِمَ لم يتغيَّرْ حرفٌ واحدٌ من القرآن الكريم قبلَ ظهورِ صناعة الطبع وبعده، وأغلبُ النساخ في صدر الإسلام كانوا من سَكَنةِ البادية، وعلى كلٍّ فإنَّ هذا الاختلافَ والتناقض سواء كان من سهوٍ أو من تعمدٍ فهو يثبتُ بالبداهة أنَّ هذه الكتبَ لم تكن أصليةً ولا إلهامية، بإقرار علمائكم، وهو غَرَضنا.

وقال هارون في الباب الثاني من القسم الثاني من المجلد الرابع من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢ ما نصه: «الحالات التي وصلت إلينا في بادي زمان تأليف الأناجيل، من قدماء مؤرخي الكنيسة بَتْراءُ وغير معينة، لا توصلنا إلى أمر معيَّن، والمشايخ القدماء الأولون صَدَّقوا الروايات الواهية، وكتبوها، وقَبِلَ الذين جاؤوا من بعدهم مكتوبهم تعظيماً لهم، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتبٍ إلى كاتب آخر، وتَعَذَّرَ نقدها بعد انقضاء المدة.

وقال لاردنر في تفسيره في المجلد الخامس: «هكذا حكم على الأناجيل المقدسة، لأجلِ جهالةِ مُصَنِّفيها، بأنها ليست حسنةً، بأمرِ السلطان أناسطيوس في الأيام التي كان حاكماً في القسطنطينية، فَصُحِّحَتْ مرة أخرى».

فقد ثبتَ لك أيها المسيحي من هذا، أنَّ تلك الأناجيل لم يَثْبُتْ إلى عهدِ هذا السلطان أنها إلهيةٌ، ولو كانت إلهيةً ثابتةً بالسندِ الصحيح، لم يبق معنى لنسبةِ مُصَنِّفيها إلى الجهالةِ وتصحيحها مرة أخرى، وبطل ما يَدَّعيه علماءُ البروتستنت من أن سلطاناً من السلاطين أو حاكماً من الحكام ما تعرض لهذه الكتب، ولا تصرَّف فيها، وهكذا حالُ هذه الفرقة تُغالطُ عوام النصرانية بمثلِ هذه العبارات مع بُطلانِ حجتها على ما تذكره إيهاماً ومغالطة، وهذا القولُ من لاردنر يَعْضُدُ ما نقلناهُ لك عن سلوس أحد علماء الوثنيين من أنَّ المسيحيين بَدَّلُوا أناجيلهم، ونقل اكهارون أحدُ علماء بلاد الجرمان قول سلوس، ولا بأس أيضاً أن أذكر لك نقلاً واحداً من هذا الباب عن الفرقة التي تسميها علماء البروتستنت بالملحدين، لأن هذه الفرقة كاد الآن عددُ نفوسها يكون نصفَ بلادِ أوربا، بل أكثر من ذلك، وكتبها منتشرةٌ في أقطار المسكونة.

فأقول: قال الفاضل ياركز الذي هو أشهر علماء تلك الفرقة ما نصه: قالت مِلَّةُ بروتستنت: إنَّ المعجزات الأزلية والأبدية حفظت العهدَ العتيقَ والجديدَ على أنْ تصل إليها صدمةٌ خفيفة، لكن هذه المسألة لا تقدر أن تقوم في مقابلة عسكرِ اختلافِ العبارات التي هي ثلاثون ألفاً.

فانظر كيف أوردَ الدليلَ القاطع على علماء بروتستنت، فقطعَ ألسنتهم عن معارضتهِ في تعيينِ عدد الثلاثين ألفاً، لكنه تبع تحقيق القسيس ميل، ولو أمعنَ النظرَ لوجد من الاختلافات نيفاً ومائة وخمسين ألفاً، بل فوق ذلك بمرَّات، كما ذكره بعضُ الفضلاء من الفرقة المذكورة التي تُسَمِّيها مِلَّةُ البروتستنت بالملحدين، ومَنْ طالع التوراةَ والإنجيل الموجودين الآن، من أذكياء المسيحيين، بشرطِ طرحِ

التعصب، ظهرَ له ما فيها من التحريف.

ويكفيك أيها المسيحي الفَطِنُ في هذا الباب ما نقلتُه لكَ من أقوال إخوانك من أهل التثليث، ومخالفيكم من الوثنيين والملحدين، في تحريفِ الأناجيل على وجه العموم، وأنتَ تعلم أنَّ اليهودَ أيضاً يقولون بذلك، وأما ما جاء في هذا الباب عن المؤرخين من أهلِ الدين الإسلامي، فلنصرف النظرَ عن ذِكْرِه لاشتهارهِ وتواتره، وكفى بنصوصِ القرآن العظيمِ الشأنِ برهاناً ساطعاً على وقوعِ التغيير والتبديل في التوراةِ والإنجيل، وسيتضح لك الدليلُ عند شرحِ الأناجيل، والله تعالى الهادي إلى سواء السبيل.

المقصد الأول في إنجيل متى

اتفقت كلمة النصارى على أنَّ متَّى من الحواريين الاثني عشر، وقالوا: إنَّ إنجيله أول ما بشر به، بعد رفع المسيح بثمانية أعوام، وكان باللغة العبرانية، وهذا مذهبُ القدماء كافة والكثير من المتأخرين، وها أنا أوردُ شواهد ذلك منها، كما في المجلد ١٩ من انسائي كلوبيد يابرتينكاه: (كُتِبَ كُلُّ كتابٍ من العهد الجديد في اللسان اليوناني إلا إنجيل متى والرسالة العبرانية، فإن تأليفهما باللسان العبراني أمرٌ يقيني بالدلائل).

وقال لاردنر في صفحة ١١٩ من المجلد الثاني من «الكليات»: كتب بي بيس أن متى كتب إنجيله بالعبرانية، وفي صحيفة ١٧٠ من المجلد المسطور كتب أرينوس أنَّ متَّى كتب إنجيله لليهود بلسانهم، في الأيام التي كان بولس وبطرس يَعِظَانِ في الروم، وفي صحيفة ٥٧٤ من المجلد المذكور قال لارجن في ذلك ثلاث فقرات.

الأولى: نقلها بوسي بيس أن متى أعطى الإنجيل للمؤمنين من اليهود باللسان العبراني.

والثانية: روي أن متى كتب أولاً، وأعطى الإنجيل للعبرانيين.

والثالثة: أن متى كتب الإنجيل للعبرانيين الذين كانوا ينتظرون شخصاً موعوداً من نسل إبراهيم وداود، ثم قال لاردنر في الصفحة ٩٥ من المجلد الرابع: كتب بوسي بيس أن متى لما أراد أن يذهب إلى أقوام أُخَر، بعد ما وعظ العبرانيين، كتب الإنجيل في لسانهم وأعطاهم، ثم قال في الصفحة ١٧٤ منه: قال سرل: كتب متى الإنجيل بالعبراني. ثم قال في الصفحة ١٨٧ منه: كتب أبي فانيس أن متى كتب الإنجيل باللسان العبراني، وهو الذي انفرد باستعمالِ هذا اللسان في تحريرِ العهد الجديد، ثم قال في الصفحة ٤٣٩ من المجلد المذكور: كتب

جيروم أن متى كتب الإنجيل باللسان العبراني في أرض يهودية للمؤمنين من اليهود، ثم قال في الصفحة ٤٤١ منه أيضاً: كتب جيروم في فهرسة المؤرخين أن متى كتب إنجيله في الأرض اليهودية باللسان العبراني والحروف العبرانية، للمؤمنين من اليهود، ولم يتحقق هذا الآمر بترجمته باليونانية ولا هذا المترجم مَنْ هو، ثم قال في الصحيفة ٥٠١ من المجلد الرابع المذكور أيضاً: كتب اكستائن، قيل: إن متى وحده من الأربع، كتبَ إنجيله باللسانِ العبراني للمؤمنين من اليهود باستدعائهم، ثم قال لاردنر المذكور في الصفحة ١٣٧١ من المجلد الخامس كتب اسى دور أن مَتَّى وحده من بين الأربع كتب باللسان العبراني، والباقون كتبوا باليوناني.

وقال هورن في المجلد الرابع من تفسيره على أخبار بلومن ١ وكروتيس ٢ واكساين ٣ ووالتن ٤ وتاملائن ٥ وكيوا ٦ وهمند ٧ ومل ٨ وهارود ٩ واود ن ١٠ وكين بل ١١ وأي كلارك ١٢ وسائمن ١٣ وتلي منت ١٤ وبرى تس ١٥ ودوبن ١٦ وكامت ١٧ وميكايلس ١٨ وارى نيس ١٩ وارجن ٢٠ وسرل ٢١ وأبي فانيس ٢٢ وكريزاستم ٢٣ وجيروم ٢٤ وغيرهم من العلماء المتقدمين والمتأخرين قول بي بيس أن هذا الإنجيل كتب باللسان العبراني.

قلت: وأراد بغيرهم أي مثل كرى كرى ناز بن زن، وايد جسوا، وتهيوا فلكت، ولوتهى ميس، وبوسي بيس، واتهاني سيش، واكستائن، واسي دور، وغيرهم أيضاً ممن صرح بأسمائهم لاردنر واتسن وغيرهما في كتبهم، وفي تفسير دوالي ورجر دمنيت: وقع اختلافٌ عظيم في الزمان المتأخر، أنَّ هذا الإنجيل كُتِبَ بأيِّ لسان، لكن صرح كثير من القدماء أن متى كتب إنجيله باللسان العبراني الذي كان لسانَ أهلِ فلسطين، فلْيُعَدَّ القولُ الذي اتفق عليه القدماء قولاً فصلاً في مثل هذا القسم.

قلت: وقد نقل أيضاً العالم جرجس زوين الفتوحي اللبناني في كتابه المطبوع

في سنة ١٣٧٨ بالمطبعة اليسوعية في بيروت، المترجم من اللغة الإفرنسية إلى العربية، أن متَّى كتب بشارته، أي إنجيله في أورشليم في سنة ٣٩ للمسيح، على ما ذهبَ إليه القديس ايرونيموس، والسبب في ذلك، على ما ذهبَ إليه القديس أبيفانيوس أنه إمَّا إجابةً لليهودِ الذين آمنوا بالمسيح، أو إجابة لأمر الرسل، ولم يكتب إنجيله باليونانية، بل بالعبرانية، على زعم أوسيبيوس في «تاريخه» وقد وافق أوسيبيوس القديس ايرونيموس أن بانتيوس إذْ كان قد ذهبَ ليكرِّزَ بالإيمانِ المسيحي في الهند، وجد إنجيلاً لمتى الرسول مكتوباً بالعبرانية، فجاء به إلى الإسكندرية، وبقي محفوظاً في مكتبة قيصرية إلى أيامه، لكن هذه النسخة العبرانية قد فقدت، وبعد فَقْدِها ظهرت ترجمتها في اليونانية، فلم يعرف الذي كان ترجمها. انتهى.

وقال جيروم، وهو من علماء النصارى المتقدمين، في حق ترجمة إنجيل متى: لا يوجد إسناد هذه الترجمة، وحتى إلى الآن لم يُعْلَمْ باليقين اسمُ المترجم. وفي انسائي كلويديابويي كُتِبَ هذا الإنجيلُ في السنة الحادية والأربعين باللسان العبراني، لكن الموجود منه الترجمة اليونانية، والتي توجد الآن فهي ترجمةُ الترجمةِ اليونانية. انتهى.

ومن هذه النقولِ الكثيرة عن الجَمِّ الغفير، من أهلِ الثقة والقبول عند المسيحيين، تعلم أنَّ غايةَ ما وصلت إليه أفكارهم، ووصل إليه بحثهم وتنقيبهم تسعة عشر جيلاً، أنَّ إنجيل متى كان بالعبرانية لا اليونانية، وأن نسخته الأصلية فُقِدَتْ، ثم ظهرت ترجمتها، ولم يعلم إلى الآن كيف تُرجمَ هذا الإنجيل، ومَنْ هو المترجم، وما هو حالهُ في القوة والضعف في الدين، وهل هو من المسيحيين أو اليهود أو غيرهم.

وإذا كان كذلك، فكيف تجزمون بهذا الإنجيل، وتتَّخِذُونه دستوراً مقدساً، تَرجعونَ إليه في عقائدِ الدين وأصوله، وكيف جزمتم بأنه لمتَّى، وأنتم لا تعلمون

الذي تَرْجَمَهُ، ولا تدرون هل أدخلَ فيه من الضلالات ما لا يرضى به متَّى ولا المسيح، ولِمَ لا يجوز أن تكون النسخة العبرانية قد وقعت في يدِ أحدِ اليهود أو الدُّخلاءِ في المسيحية، فترجمها بما وافق غَرَضَهُ ولاءمَ هواه، ودَسَّ فيها من العقائد ما يُغضِبُ الجبار ويوجبُ الخلودَ في النار.

ويَدُلُّكَ على حقيقةِ هذه الملاحظات ما قاله نورتن المحامي للإنجيل بتفسيره -ف٥٢ من -ص٢٧ من ترجمة هذا الإنجيل عند قوله: الأرضُ تَزلزلت، وتشققت الصخور، وتَفَتَّحت القبور، وكثير من أجسادِ القديسين الراقدين قاموا وخرجوا من قبورهم بعد قيامته، ودخلوا إلى المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين. وعبارته أن هذه الفقرة مناقضةٌ لقولِ بولس، بأنَّ عيسى أول القائمين وباكورة الراقدين، وبعد أنْ أورد هذا الفاضلُ الدلائلَ على تكذيبِ هذه الرواية، قال ما نصه: هذه الحكايةُ كاذبة، والغالبُ أن أمثال هذه الحكايات كانت رائجةً في اليهود، بعد ما صارت أورشليم خراباً، فلعلَّ أحداً كتب في حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متى هذه الجملة، وأدخلها الكتاب في المتن، وهذا المتن وقع في يد المترجم، فترجمها على حسبه.

فانظر أيها العاقل كيف أقرَّ نورتن بوجودِ التحريفِ في هذه الترجمة، وكيف عزى التلاعبَ بها إلى اليهود، بعدما صارتْ أورشليم خراباً، وتمكن اليهود من التلاعب على حسب عداوتهم الشديدة للمسيحيين، فإذا ضَمَمْنَا هذا إلى ما سلف من التحريفِ والتبديل، حصلَ لكَ التصديقُ الجازم بأن جميع ما فيه، مما خالفَ العقلَ والشرائع، هو من تضليلاتِ المترجم المجهول، قَصدَ بها إدخالَ الفساد في مذهب المسيح عليه السلام.

وقد صرح أيضاً بالس شانتر في تفسيره لهذه الترجمة بما يدلُّ على أن ذلك المترجم كان لا يميزُ بين الخبيثِ والطيب، فقال عند تفسيره ف - ٣٩ و٤٠ من - ص١٢ من هذه الترجمة: اليهودُ طلبوا آيةً من المسيح، فأجابهم قائلاً: جيلٌ

شِرِّيرٌ فاسق يطلبُ آيةً، فلا يعطى آية إلاَّ آيةَ يونان النبيّ، كما كان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، كذلك يكون ابنُ الإنسانِ في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال، بأنها ليست من أقوال المسيح، عليه السلام، بل من الغير، وصَدَّقه الفاضلُ نورتن على ذلك وقال: إنَّ مترجمَ إنجيل مَتَّى كان حاطبَ ليلٍ، ما كان يميز بين الرطب واليابس، فما في المتن من الصحيح والغلطِ ترجَمَةُ. انتهى.

وقال جامعو تفسير هنري واسكات: إن الفرقة الأبيونية التي كانت تُنْكِرُ ألوهيةَ المسيح حَرَّفت هذه النسخة، وضاعت بعد فتنة يورشالم. وقال البعض: إن الناصريين أو اليهود الذين دخلوا في الملة المسيحية حَرَّفوا الإنجيل العبراني، وأخرجت الفرقة الأبيونية فقرات كثيرة منه، انتهى.

أقولُ: على ما يظهر للمتأمل من قرائن الحال، أنَّ صَاحبَ هذه الترجمة، بعد أن أخفى النسخةَ الأصلية من عالم الوجود، أظهر ترجمته هذه المملوءة من الدسائس والفضائح، ولا عجبَ من ذلك، فإنه لا شك عَدُوٌّ، يريدُ الفتك بعدوه، إنما العجبُ من أمةٍ مثل النصرانية، على كثرةِ عددها، قبلت تلك الترجمةَ من مجهولِ الاسمِ والحالِ والدين، مع مخالفتها للأناجيل الثلاثة، واشتمالها على هذه الخزعبلات المخالفة للمعقولِ والمنقول.

وأنا أضربُ للقوم مثلاً، عَلَّهم يهتدون، وهو أنه لو فرضَ أنَّ رجلاً مجهولَ الاسم والنسب والدين، حَضَرَ عند أهلِ قريةٍ منكم، وبيده كتابٌ يزعم أنه صورة كتاب، كان أرسله لهم ملكهم، وفُقِدَ منه قبل وصوله إليهم، وليس على ذلك الكتاب علامةُ الملك ولا طابعه، فقرؤوه فوجدوا فيه أمراً يخالفُ ما يعهدونه من أوامرِ ملكهم، وفي خلال ذلك الكتاب ما يدلُّ على أنَّ الرجلَ محتالٌ، يريد بذلك أنْ ينال مطلوباً منهم باسم الملك، ثم حضر إلى هذه القرية ثلاثةُ رجالٍ من خواص الملك، يعرفونهم حَقَّ المعرفة بأسمائهم وأشخاصهم وسيرتهم، وأنهم

مِمَّنْ نشأ في قصره، وتربوا في مِهادِ نعمته، وصَدَقوا في خدمته حتى اصطفاهم لنفسه، وأظهرهم على سِرِّه، وبيد كلٍّ واحدٍ من الثلاثة كتاب، عليه علامةُ الملك، والكتبُ الثلاثة متفقةُ المضمونِ، وليس فيها من الأوامر ما يخالفُ عادةَ الملك في أمره ونهيه، بل كُلُّ ما فيها موافقٌ لما عهدوه منه في أمره ونهيه، لكنها تخالفُ مضمونَ ما أتى به الرجلُ الأول المجهول الاسم والحال والدين، وقد سبق من وزيرِ الملك إشعارُ أهلِ القرية وإعلامهم بما يدلُّ على صِدْقِ الكتب الثلاثة وتكذيب بعض مضمون تلك الصورة، فهل يتصور أنَّ أهلَ القريةِ يُصَدِّقُونَ الواحدَ المجهول الذي تَعدَّدت الشواهدُ والآيات على كذبه وتزويره، فيعملون بمضمونِ كتابهِ المخالفِ لمضمون الثلاثة، ويُعْرِضُونَ عن الثلاثة التي توفرت الدلائلُ على صدقهم؟! وإذا لم يكن هذا من أهل قرية، قد لا يكون فيها نَبيهٌ، فكيف كان مِثْلُه من أمّةٍ، يبلغ عددها الملايين، وجعلوا تلك الترجمةَ دستورَ العملِ في أمر الدين هذا.

ولنشرعْ بما هو المقصود فنقول:

الإصحاح الأول

قال فيه: (كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم ٢ إبراهيم ولد إسحاق، وإسحاق ولد يعقوب، ويعقوب ولد يهوذا وإخوته ٣ ويهوذا ولد فارص وزارح من تامار وفارص ولد حصرون، وحصرون ولد آرام ٤ وآرام ولد عميناداب، وعميناداب ولد نحشون، ونحشون ولد سلمون، ٥ وسلمون ولد بوعز من راحاب، وبوعز ولد عوبيد من راعوث، وعوبيد ولد يسي ٦ ويسي ولد داود الملك، وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا ٧ وسليمان ولد رحبعام، ورحبعام ولد ابيا، وابيا ولد اسا ٨ واسا ولد يهوشا فاط، ويهوشا فاط ولد يورام، ويورام ولد عزيا ٩ وعزيا ولد يوثام، ويوثام ولد احاز، واحاز ولد حزقيا ١٠. وحزقيا ولد منسي، ومنسي ولد أمون، وأمون ولد يوشيا ١١ ويوشيا ولد يَكُنْيَا. وإخوته عند سبي بابل ١٢ وبعد سبي بابل يكنيا ولد شالتئيل، وشالتئيل ولد زربابل ١٣ وزربابل ولد أبيهود، وأبيهود ولد الياقيم، والياقيم ولد عازور ١٤ وعازور ولد صادوق، وصادوق ولد أخيم، وأخيم ولد اليود ١٥ واليود ولد اليعازر، واليعازر ولد متان، ومتان ولد يعقوب ١٦ ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي وُلِدَ منها يسوع الذي يدعى المسيح ١٧.

فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً ١٨.

أما ولادةُ يسوع المسيح فكانت هكذا، لما كانت مريم أمُّه مخطوبةً ليوسف قبل أن يجتمعا، وُجِدَتْ حُبْلى من الروح القدس ١٩ فيوسفُ رجلها إذ كان باراً، ولم يشأ أن يشهرها، أراد تخليتها سراً ٢٠ ولكن فيما هو متفكِّرٌ في هذه الأمور، إذا مَلاَكُ الرب قد ظهر له في حلم قائلاً: يا يوسف بن داود لا تَخَفْ أنْ تأخذَ مريم امرأتك، لأنَّ الذي حبل به فيها هو من الروح القدس ٢١ فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع، لأنه يُخَلِّصُ شعبه من خطاياهم ٢٢ وهذا كله كان لكي يتمَّ ما قِيلَ

من الربِّ بالنبيِّ القائل ٢٣ هوذا العذراءُ تحبلُ وتَلِدُ ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره اللهُ معنا ٢٤ فلما استيقظَ يوسفُ من النوم فعل كما أمره مَلاَكُ الرب وأخذ امرأته ٢٥ ولم يعرفها حتى ولدتْ ابنها البكر، ودعا اسمه يسوع.

أقول: إنَّ هذا الإصحاح عبارة عن نسب يوسف النجار وكيفيةِ ولادة المسيح عليه السلام، وهذا النسبُ الذي تزعمونه إلهامياً وفاتحة الكتاب السماوي عبارة عن مناقضاتٍ ومباينات وأغلاط، وقد ذكره لوقا في - ص٣ - ف٢٣ من إنجيله وبينهما خُلْفٌ فاضح وتباين واضح، بحيث لو تأمل الجاهلُ الغبيُّ، فَضْلاً عن العاقل الذكيِّ، لظهر له خَبْطُهما في نسبٍ واحد، وهذا نص لوقا: «ولما ابتدأ يسوع، كان له نحو ثلاثين سنة، وهو على ما كان يظنُّ[1] ابن يوسف ابن هالي ٢٤ ابن متثات بن لاوي بن ملكي بن ينا بن يوسف ٢٥ بن متاثيا بن عاموص بن ناحوم بن حسلي بن نجاي ٢٦ بن ماث بن متاثيا بن شمعي بن يوسف بن يهوذا ٢٧ بن يوحنا بن ريسا ابن زربابل بن شالتئيل بن نيري ٢٨ بن ملكي بن أدي بن قصم بن ألمودام ابن عير ٢٩ بن يوسي بن اليعازر ابن يوريم بن متثات بن لاوي بن شمعون ابن يهوذا بن يوسف بن يونان بن الياقيم ٣١ بن مليا بن مينان بن متاثا بن ناثان بن داود ٣٢ بن يَسَّى بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون ٣٣ ابن عميناداب بن آرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا ٣٤ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن تارح بن ناحور ٣٥ بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح ٣٦ بن قينان بن أرفكشاد بن سام بن نوح بن لامك ٣٧ بن متوشالح بن أخنوخ بن يارد بن مَهْلَلْيئل بن قينان ٣٨ بن أنوش بن شيث بن آدم ابنِ الله»[2].

---

(١) حتى لوقا لم يجزم بصحة نسبه، فقال: «على ما كان يُظَنُّ»؟! فإذا تَوغَّلْنا في النسب حتى نصل إلى آدم عليه السلام فكيف سيكون الظن، هل سينقلب إلى يقين أم يزداد الشكُّ والظَنُّ!؟

(٢) ينتهي نسبُ المسيح عليه السلام إلى آدم عليه السلام ابنِ الله، فمن هو ابن الله حقيقة، هل هو المسيح أم آدم، أم كلاهما؟ أم أن سلسلة الرجال من عيسى إلى آدم هم أبناء الله =

تأمَّلْ أيها النبيهُ في هذا الخبص، في قضية النسب، وهي من أعظم القضايا، فإن فيها أنواع الاختلافات من حيث اللفظ والمعنى والتقديم والتأخير وتغيير الأسماء، ولم يكفهما هذا، بل تخالفا بسلسلةِ الأنساب المحفوظةِ عند اليهود أيضاً، وضمَّ على هذا الخبط تخالفَ الإنجيل المطبوع قديماً في لندن سنة ١٨٤٨ مع الإنجيل المطبوع حديثاً في بيروت، ويحقُّ لي أن أقول: اتَّسَعَ الخَرْقُ على الراقع، ولنذكر هنا من الاختلافات ستةَ وجوهٍ ونترك الباقي للمُتَبَصِّرِ، لا سيما المسيحي، فليراجع كتبه التي يعتقد أنها إلهامية.

الوجه الأول: أنه قال المترجم - ف١٦ أن يوسف بن يعقوب، وخالفه لوقا فقال - ف٢٣ أنه يوسف بن هالي.

الثاني: أنه قال المترجم - ف٦ أن عيسى من أولاد سليمان بن داود، ولوقا قال - ف٣١ بأنه من أولاد ناثان بن داود.

الثالث: أنه يعلم من المترجم أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورون، وخالفه لوقا بأنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان.

الرابع: أنه ذكر المترجم - ف١٢ أن شلتائيل ابن يوحانيا، ولوقا يقول - ف٢٧ إنه ابن نيري.

الخامس: أنه قال المترجم أنه اسم ابن زوربابل أبيهود، ولوقا قال - ف٢٧ إن اسمه ديسا، مع أن أسماء بني زوربابل مكتوبة في الباب الثالث عشر من السفر الأول، من أخبار الأيام، وليس فيها أبيهود ولا ديسا.

السادس: أنه قال المترجم: إن بين داود والمسيح ستة عشر جيلاً، ولوقا

= وأحباؤه، لا بمعنى البنوة التناسلية..

قال: إن بينهما واحداً وأربعين جيلاً.

ولما كان هذا التباين يظهر بأدنى تأمل، تحير فيه فضلاؤكم من زمنِ ظهور هذين الإنجيلين إلى اليوم، وقد ارتكب بعضُ ضعفاء العقول، عندما ارتبك عليه الأمرُ، التوجيهات السخيفة، وأما المحققون مثل اكهارن وكيسر وهيسروديوت ووي نروفش وغيرهم فأنصفوا وقالوا بأنهما مختلفان اختلافاً معنوياً، وأنه كما صدر عن الإنجيليين أغلاطٌ واختلافات في مواضع أخر، كذلك صدر الاختلاف ههنا.

ونقل آدم كلارك في ذيل شرح - ص١٣ من إنجيل لوقا عن مستر هارمرسي في الصفحة ٤٠٨ من المجلد الخامس هكذا: «كان أوراق النسب تحفظ في اليهود حفظاً جيداً، ويعلمُ كل ذي علم أن متى ولوقا اختلفا في بيان نسب الرب اختلافاً، تحير فيه المحققون من القدماء والمتأخرين.

فإذا كان الحال كذلك، فهل يؤمَنُ عل تلك الترجمة أنْ يكون أكثر ما فيها من هذا القبيل، ثم إنَّ المتأمل في عنوان هذا الإصحاح وخاتمة النسب، يجد أن هذا المترجم أحد رجلين، إما أن يكون رجلاً منافقاً وغاشاً للملة النصرانية، لأنه ابتدأ عنوان إنجيله بميلاد يسوع المسيح ابن داود بن ابراهيم، ثم لم يلبث حتى ختم النسب بقوله (ماثان ولد يعقوب ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع) إذْ بأدنى تأمُّلٍ ترى أنه لا ارتباطَ بين المسيح ويوسف النجار حتى يأتي بنسبِ هذا الرجل، مع أنه عنون إنجيله بميلاد المسيح، وهو ليس بابنٍ ليوسف النجار، كما أن هذه عقيدتنا فيه، فلعلَّ المترجم أراد بهذا التمويه والتلفيق تأكيدَ ما أتى به من الخَلْطِ والتدليس، بما افتراهُ على المسيح عليه السلام من أنه حين ولد إلى أن جاوز ثلاثين سنة من عمره، يعتقد أنه ابنُ يوسف النجار.

نعوذُ بالله من الجهلِ المؤدي إلى جَعْلِ نبيٍّ إلهاً، لا يعرفُ نسبه.

ثم إنَّ المتأخرين من علمائهم أتوا بتحريفٍ، لم تَسْتطِعْه الأوائل حيث قال في - ص٣ من إنجيل لوقا نقلاً عن النسخة القديمة المطبوعة في لندن سنة ١٨٤٨ ونصه - ف٢٣ (وكان يبدأ يسوع نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يُظَن أنه ابن يوسف) وهذه النسخة ليست معرَّبةً، وربما يتبادر إلى الذهن أنَّ قوله: يظن، مبني للمعلوم، فراجعتُ النسخة المعربة المطبوعة حديثاً في بيروت، فوجدت المصحح حرَّف وغَيَّر، وهذا نصها (ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف) فانظر هداك الله إلى الاختلافِ بين الطبعتين، وقد أعرب لفظ (يُظَن) وضبطها بالبناء للمجهول. ثم راجعت تفسير «تحفة الجبل»، فوجدته زاد لفظ (به) وهذا نصه (وإذا صار يسوع ابن نحو ثلاثين سنة، كان يُظن به أنه ابن يوسف) انتهى.

فانظر في مثل هذه الزيادة والتغيير، فإن مصحح نسخة بيروت زاد على النسخة القديمة (وهو على ما) وأعرب (يظن) لتحويل الضميرِ من المسيح إلى الغير، ولم يَكْفِهم هذا التحريفُ، فإن المفسر الخوري يوسف الدبس أيضاً زاد من عنده لفظ (به) ليثبتَ الضميرَ لغير المسيح، حتى لا تختلَّ صفةُ العلم من هذا الإله، وهَلُمَّ جرًّا من التدليس والدسِّ، على أنَّ أهالي تلك النواحي يعرفون عيسى حَقَّ المعرفة، وقضيةَ حَمْلِه ومولده مشهورةٌ بينهم، ويعلمون أنه ليس ابن يوسف النجار، وإن مترجم متى نفسه أيضاً ذكر في الإصحاح الثاني من هذا الإنجيل أنَّ المجوسَ أتت من المشرق، لتسجدَ للمسيح، لِمَا عرفوه ورأوا من علامة نبوته، وأنه يُولَدُ من غيرِ أبٍ حتى أنه قال: إن هيردوس قتلَ كافةَ الأطفال من ابن سنتين فما دون لزعمه أنه يظفر بالمسيح من جملة الأطفال، وإنه استشهد بأسفار أرميا بقوله: «صوتٌ سُمِعَ في الرامة، نَوْحٌ وبكاء وعويل كثير، راحيل تبكي على أولادها» الخ.

انظر أيها اللبيبُ إلى هذا الخَلْطِ والخبط بغير ضبطٍ ولا ربط، وعلماؤكم أيضاً

لما نظروا لمثل هذا الغلط الواضح والعيب الفاضح، في فاتحة هذا الإنجيل، أخذوا في التوجيهات التي لا تخرج عن كونها من التمويهات، فقالوا: أنه يجوز أن يكون مَتَّى كتبَ نَسَبَ يوسف، ولوقا كتب نسب مريم، ويكون يوسف خَتَنَ[1] هالي، ولا يكون لهالي ابن، فنسبَ الختن إليه، وأدخلَ في سلسلة النسب، فهذا التوجيهُ مردودٌ، لأن المسيح عليه السلام على هذا التقدير، يكون من أولادِ ناثان، لا من أولاد سليمان، لأن نسبه الحقيقي من جانبِ أمه، ولا اعتبارَ لنسبِ يوسف النجار في حقه، فيلزم أنْ لا يبقى المسيح مسيحاً، كما قال مقتدي فرقة بروتستنت كالون، في رَدِّه مَنْ أخرج سليمانَ عن نَسَبِ المسيح عليهما السلام، فقد أخرج المسيحَ عن كونه مسيحاً، وأيضاً؛ إن هذا التوجيه لا يصحُّ إلا إذا ثبتَ من التواريخ المعتبرة أنَّ مريم عليها السلام بنت هالي من أولاد ناثان، ومجردُ الاحتمالِ لا يكفي لهذا، لا سيما وقد رَدَّهُ المحققون منكم مثل آدم كلارك وكالون، وهذا يعقوب الحواري قد صرح في إنجيله أن اسم أبوَي مريم بهوياقيم وهانا، فإن هذا الإنجيل، وإنْ لم يكنْ إلهامياً عند أهلِ التثليث المعاصرين لنا، لكن لا شكَّ أنه من جَعْلِ بعض أسلافهم، وقديم جداً، ومؤلفه من القدماء الذين كانوا في القرون الأولى، فلا تَنحطُّ رتبته عن رتبة التواريخ المعتبرة عندهم، ولا يقاومه، مجرد احتمالٍ لا يكون له سندٌ، كهذه الترجمة التي عرفت حالها.

وعلى كلٍّ فإن هذا الإصحاح، بغض النظر عن خبطهم في النسب، لا يصدقُ عليه أنه إنجيل، لأنه مجرد حكايةٍ لِمَا وقعَ، على زعمهم، قبل ظهور المسيح عليه السلام، والبعض بعد ظهوره، والكلُّ قبل نزولِ الروح عليه بصفةِ حمامةٍ، ينتهي سندها إلى يوسف النجار، فيكون بعد ثبوتِ صحته من بابِ البشارة برسالةِ عيسى عليه السلام وإرهاصاً لنبوّته، فلا يلزم منه أنْ يكون من الإنجيل.

وأنتَ تعلم أنَّ الكتبَ المقدسة، يُشترطُ أنْ يكون نزولها من الله تعالى على

---

(١) الخَتَن: الصِّهْرُ.

رسوله المبعوث، لا على غيره، والمتأخرون يزعمون أنهم أصلحوا ما أفسدته أسلافهم حال كونهم زادوا على الفساد فساداً، وهم بمعزلٍ عن الحق، وكيف يمكنهم إصلاحه، وغلطه أكثر من صوابه، وهل يتصحح قولُ الإله وهو الغنيُّ عمَّن سواه؟!

ولنذكرْ لك أيها المسيحيُّ المنصف نبذة من مساوىء المتأخرين، حتى لا تكونَ دعوانا عارية عن الدليل. قال في آخر الإصحاح الثالث نقلاً عن النسخة المطبوعة قديماً في لندن سنة ١٨٤٨ ما نصه: (آدم الذي من الله) وهو الحق لأنه لم يكن له أبٌ ولا أم، فلذا قال عنه: مِنَ الله، فبدَّلُوه حديثاً في طبع بيروت فقالوا: (آدم ابنُ الله) وقد أفسدوا عقيدتهم الباطلة بأيديهم، لأن النصارى جعلوا ابنَ الله عنواناً لعيسى عليه السلام عَلَماً لثبوتِ ألوهيته، وهنا أبطلوا قولَهم بقولِهم، لأنهم أثبتوا أن آدم أيضاً ابن الله كعيسى، فإنْ قالوا بألوهية عيسى، وأنه ابنُ الله حقيقة، بسبب كونه من دونِ أبٍ، قلنا: فآدمُ أوْلى بذلك، لأنه بِكْرُ الخليقةِ، وهو بغيرِ أبٍ ولا أم كما هو مُسَلَّمٌ عند الجميع.

فيا أيها المسيحيون: إذا جَوَّزَ المتأخرون من علمائكم تبديلَ «مِنَ الله» بابنِ الله، في مثل هذا القرن الذي بلغ فيه التمدنُ غايتَهُ، فوقوعُ مثل هذا من أسلافكم في زَمنِ الجهل أوْلى، وهل يبعد مثل هذا منهم، وهم الذي التمسوا من يوحنا أنْ ينادي بألوهية عيسى، ثم إنه يلزم من قولِ علماء بيروت أنْ يكونَ آدمُ أوْلى بالألوهية من بشرٍ مولودٍ من امرأة مصلوب على خشبةٍ، فهو أقربُ للعقل من هذيانهم في عيسى بقولهم: إنه الله، وابنُ الله، وإن الله التحمَ في رحم العذراء، والكلمة تَجسَّدت، أو أقنوم أو صفة، أو حَلَّ فيه الإله. ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء].

ولنرجع إلى البحث في ولادة المسيح، فإنه قال آنفاً في الجملة الأخيرة وخلاصتها: إن الملك أخبر يوسف بحلم قائلاً: إنَّ حَبَلَ العذراء من الروح

القدس، وستلدُ ابناً وتدعو اسمه يسوع. ثم لم يلبث حتى أردفَ كلامه بعد سطر بقوله: (ويدعون اسمه عمانوئيل)، ثم ندم فقال بعد قوليه بسطر (ولدت ابنها البر ودعا اسمه يسوع) فتأمل في تَلَوُّنِه ثلاثَ مرات على عددِ التثليث، وهي عبارة عن ستة أسطر، فأما قوله: حبل به فيها، هو من الروح القدس، أي هذا الحَبَلُ هو بمجرد أمرٍ من الله تعالى، وكان الواسطة لتبشير العذراء جبريل عليهما السلام المُوَكَّل بالتبليغات الإلهية بأن نفخَ في جَيْبِ درعها، وهي منفردة عن أهلها، فحملتْ بالمسيح عليه السلام، ومن هذا سُمِّي كلمةَ الله، فإن الله خلقه بكلمته، أي بقوله: كُنْ فكانَ.

والله تعالى جَلَّتْ حكمته، وعَلَتْ قُدْرتهُ، لما أراد أن يبين لعباده عمومَ قدرته في خلق النوع البشري على سائر الوجوه، خلق بعضَ البشر من غير ذكرٍ ولا أنثى، وهو آدم عليه السلام، وخلق البعض بلا أنثى وهو حوّاء، وخلق بعضه من أنثى بلا ذكر، وهو المسيح عليه السلام، وخلق بقية الخلق من الزوجين الذكر والأنثى، فتمت حينئذ أنواعُ الخلق والإيجاد، ولا دلالةَ في كونهِ خُلِق من روح، أو من روح القدس، على أنه إلهٌ أو ابن الله حقيقة، ولا على أنه أفضلُ من غيره من المرسلين، واستدلالكم بمثل هذا لا تقبلُه الصبيان، لأنه خلق آدم من التراب، ثم قال له: كُنْ، فكان بلا واسطةِ أبٍ ولا أم، وهو أبلغُ في القدرة من خلق عيسى من أم، بلا واسطةِ أبٍ، وليس هناك إلا أن اقتضت حكمةُ الله تعالى، فخلق المسيح عليه السلام على هذا الوجه، ليجعله آيةً من آياتهِ، وسيأتي لهذا المبحث زيادةُ تحقيق إنْ شاء الله تعالى في الإصحاح الأول من يوحنا، فراجعه.

وأما قوله في - ف٢٢ ونصه: (وهذا كله كان لكي يتمَّ ما قيل من الربِّ بالنبيِّ القائل هو ذا العذراءُ تحبلُ وتَلِدُ ابناً، ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره اللهُ معنا).

فأقول: إنَّ هذه الجملة أيضاً من افتراآت المترجم، لأن المراد بهذا النبي، عند علمائكم، هو أشعياء عليه السلام حيث ذكر في سفره من - ص٧ - ف١٤ ونصه: «لأجل هذا يُعْطِيكم الرب عينُه علامَتَها، العذراءُ تحبلُ وتلد ابناً، وتدعو اسمه عمانوئيل» والمسيحُ عليه السلام ما سَمَّاه أحدٌ بعمانوئيل أصلاً لا أبوهُ ولا أمه؛ بل كان مُسَمىً يسوع، والمَلَكُ قال ليوسفَ في الرؤيا (وتدعو اسمه يسوع) كما مَرَّ البحث آنفاً حتى إن جبريل قال لأمه: (ستحبلينَ وتلدين ابناً وتسمينه يسوع) كما هو مصرح في ص١ من إنجيل لوقا، ولم يُدْعَ عيسى عليه السلام باسم عمانوئيل في حينٍ من الأحيان.

وقال رحمة الله الهندي عليه الرحمة: والقصةُ التي وقع فيها هذا القول، في السِّفْرِ المذكور، تأبى أن تكون مصداقاً على عيسى عليه السلام، لأنها هكذا: إن راصين ملك آرام وفاقاح ملك اسرائيل جاءا إلى أورشليم، لمحاربة آحاز بن يـوثان ملك يهوذا، فخاف خـوفاً شديداً من اتفاقهما، فأوحى الله إلى أشعياء أن يقول، لتسلية آحاز: لا تَخَفْ فإنهما لا يقدران عليك، وستزول سلطنتهما.

وبيَّنَ علامة خـراب مُلْكِهما، أنَّ امرأة شابة تحبل وتلدُ ابناً، وتصير أرضُ هذين الملكين خربة قبل أن يميز هذا الابن الخيرَ عن الشر، وقد ثبت أن أرض فاقاح قد خربت في مدة إحدى وعشرين سنة من هذا الخبر، فلا بُدَّ أنْ يتولَّدَ هذا الابنُ قبلَ هذه المدة، وتخرب قبل تمييزِه، وعيسى عليه السلام تولَّد بعد سبع مئة وإحدى وعشرين سنة من خرابها.

وقد اختلف أهل الكتاب في مصداق هذا الخبر، فاختار البعضُ أن أشعياء عليه السلام يريد بالامرأة زوجته ويقول: إنها ستحبل وتلد ابناً، وتصير أرض الملكين اللذين تخاف منهما خربة، قبل أن يميز هذا الابنُ الخيرَ عن الشر، كما صرح داكتر بنسن وهو القولُ الحريُّ بالقبول والقريب من القياس.انتهى.

وحكى بعضُ العلماء أن اللفظ الذي ترجمه مترجم إنجيل متَّى ومترجم كتاب أشعياء «بالعذراء» هو علمة مؤنثُ علم والهاء فيه للتأنيث، ومعناه عند علماء اليهود المرأةُ الشابة، سواء كانت عذراءَ أو غير عذراء، ويقولون: إنَّ هذا اللفظ وقع في الباب الثلاثين من سفر الأمثال، ومعناه ههنا المرأةُ الشابة التي زُوِّجَتْ، وفُسِّر هذا اللفظ في كلام أشعياء بالمرأة الشابة، في التراجم اليونانية الثلاثة، أعني ترجمة ايكوئلا المترجمة سنة ١٢٩ وترجمة تهيودوشن المترجمة سنة ١٧٥ وترجمة سميكس المترجمة سنة ٢٠٠، وهذه التراجم عندهم قديمة على ما يزعمون، وكانت معتبرة عند القدماء المسيحيين، لا سيما ترجمة تهيودوشن، فعلى تفسير علماء اليهود والتراجم الثلاثة فساد ما في ترجمةِ متَّى ظاهرٌ، والله تعالى أعلم.

الإصحاح الثاني

افتتح المترجم هذا الإصحاح بقصةٍ، انفردَ بذكرها وحده دون باقي الأناجيل الثلاثة، فهي أحقُّ أن تلحق بسياقةِ النسب الذي قضى على علماء النصرانية بالعجب، وليعلم القارىء أنَّ الطائفةَ التي تسميها فرقة بروتستنت بالملحدين، أنكروا رحلةَ يوسف النجار بالمسيحِ وأمه لأرض مصرَ، وسيأتي في هذا الإنجيلِ ما يكونُ حجةً لإنكارهم، وقد وافقَهم على ذلك جُلُّ المؤرخين من المتأخرين، ولهذا أوردتُ الإصحاح برُمَّتِه، ليشهد المطالعُ دسائسَ هذا المترجم في هذه القصة، مع دعوى أنها من الإلهام، قال ما نصه:

«ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية، في أيام هيرودس الملك، إذا مجوسٌ من المشرق قد جاؤوا إلى أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهود؟، فإننا رأينا نَجْمَهُ في المشرق، وأتينا لنسجدَ له، فلما سمع هيرودس الملكُ اضطربَ وجميع أورشليم معه، فجمعَ كلَّ رؤساء الكهنة وكَتَبَةَ الشعب وسألهم: أين يُولَدُ المسيحُ فقالوا له: في بيت لحم اليهودية، لأنه هكذا مكتوب النبي (وأنتِ يا بيتَ لحم أرض يهوذا لستِ الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأنَّ منك يخرجُ مُدبّرٌ يرعى شعبي إسرائيل) حينئذ دعا هيرودس المجوسَ سراً، وتحقَّقَ منهم زمانَ النجم الذي ظهر، ثم أرسلهم إلى بيت لحم وقال: اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبيِّ، ومتى وجدتموه فأخبروني لكي آتي أنا أيضاً وأسجد له، فلما سمعوا من الملك ذهبوا، وإذا النجمُ الذي رأوه في المشرق يَتَقَدَّمُهم حتى جاء ووقف فوق حيثُ كان الصبيُّ، فلما رأوا النجم، فرحوا فرحاً عظيماً جداً، وأتوا إلى البيت، ورأوا الصبي مع مريم أمه، فخرُّوا وسجدوا له، ثم فتحوا كنوزهم، وقَدَّمُوا له هدايا ذهباً ولباناً ومراً، ثم إذ أُوحيَ إليهم في حلم أنْ لا يرجعوا إلى هيرودس، انصرفوا في طريقٍ أخرى إلى كورتهم، وبعد ما انصرفوا إذا مَلَاكُ الرب قد ظهر ليوسفَ في حلم قائلاً: قُمْ وخذ الصبيَّ وأمه، واْهربْ إلى مصر، وكُنْ هناك

حتى أقولَ لك، لأن هيردوس مزمعٌ أن يطلب الصبيَّ ليهلكه. فقام وأخذ الصبي وأمه ليلاً، وانصرفَ إلى مصر، وكان هناك إلى وفاة هيرودس لكي يتم ما قيل من الرب بالنبيِّ القائل: «من مصر دعوتُ ابني حينئذٍ».

لما رأى هيرودس أنَّ المجوسَ سخروا به، غضب جداً، فأرسلَ وقتلَ جميعَ الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها، من ابن سنتين فما دون، بحسبِ الزمان الذي تحققه من المجوس، حينئذٍ تَمَّ ما قيل بأرمياء النبيِّ القائل: «صوتٌ سُمِعَ في الرامة، نَوحٌ وبكاء وعويل كثير، راحيل تبكي على أولادها، ولا تُريد أن تتعزَّى، لأنهم ليسوا بموجودين»، فلما مات هيرودس إذا ملاكُ الرب قد ظهر في حُلمٍ ليوسف، في مصر قائلاً: قُمْ وخُذ الصبيَّ وأمه، واذهبْ إلى أرض إسرائيل، لأنه قد مات الذين يطلبون نفس الصبي، فقام وأخذ الصبيَّ وأمه، وجاء إلى أرض إسرائيل. ولكن لما سمع أن ارخيلاوس يملك على اليهودية عوضاً عن هيرودس أبيه، خاف أنْ يذهبَ، إلى هناك، وإذ أوحي إليه في حلم، انصرف إلى نواحي الجليل، وأتى وسكنَ في مدينة يقال لها ناصرة، لكي يتم ماقيل بالأنبياء: إنه سيدعى ناصرياً.

أقول: هذا الإصحاحُ يفيد أنَّ أبوي المسيح، بعد ولادته، كانا يقيمان في بيت لحم، وأنَّ هذه الإقامة فيه كانت إلى قريب سنتين من عمر المسيح، وجاءت المجوس، وهو إذْ ذاك في بيت لحم، ثم بعد ذلك ذهبا به إلى مصر، وأقاما مدة حياة هيرودس في مصر، وبعد موته رجعا وأقاما في ناصرة.

ويُفْهَمُ أيضاً من هذا الإصحاح أن هيرودس هذا وأهل أورشليم لم يكونوا عالمينَ بولادة المسيح قبل إخبار المجوس لهم بذلك، وكانوا أضداداً للمسيح كما يعلم من قوله، أن هيرودس ذبح الأطفال، وإذا علمتَ هذا، فاعلمْ أن لوقا خالفه في جميع هذه الأحوال، حيث أنَّ مضمون إصحاحه الثاني هكذا؛ أنه بعد أن تَمَّ مدةُ نفاسِ مريم ذهبا - أي مريم ويوسف النجار - إلى أورشليم، وبعد

تقديم الذبيحة، فسمعان الذي كان رجلاً صالحاً ممتلئاً بروح القدس، وكان قد أُوحيَ إليه أنه لا يرى الموتَ قبل رؤيةِ المسيح، أخذَ عيسى عليه السلام على ذراعيه في الهيكل، وبين أوصافه، وكذلك حنّة النبية وقفت تُسَبِّحُ الربَّ في تلك الساعة، وأخبرت عنه جميع المنتظرين في أورشليم.

ولما أكملوا عوائد الناموس، رجعوا إلى الجليل، وأقاموا في مدينتهم الناصرة، وكانا يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح، ولما تَمَّ له اثنتا عشرة سنة من العمر، صعدا به إلى أورشليم كعادة العيد، ولما رجع أبواه مسيرة يوم، لم يجدا الصبيَّ بالرفقة، فرجعا إلى أورشليم فوجداه في الهيكل بين المعلمين، يسمعهم ويسألهم، وقالت له أمه: يا بني! لماذا عَذَّبتنا بطلبك؟ فأجابهما: ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون قيماً لأبي، ثم رجع معهما إلى الناصرة). انتهى.

أقول: فإذا فهمتَ مضمونَ هذين الإصحاحين، تعلم أنَّ مجيءَ المجوس من المشرق، وانصرافَ المسيح وأمه إلى مصر، من الكذبِ الصريح الذي انفرد به المترجمُ، ولم يوافقه أحدٌ من رواةِ الأناجيل الثلاثة ولا أصحاب الرسائل، ولا أحد من المؤرخين الذين يُعتبر ضَبْطُهم للوقائع، فإذا علمت هذا، وضممتَ إليه قولَ لوقا، أنه بعد تمامِ النفاس، ذهب يوسفُ النجار ومريم بالصبي إلى أورشليم، ولم يقيما في بيت لحم، لم يكن مجالٌ لتصديقِ هذا المترجم البتة، ثم إنَّ المجوسَ لم يكونوا تابعينَ لملك اليهود، ولا يَدِينونَ بشريعةِ نبيٍّ حتى ينتظروا مجيء المسيح، ثم إن ما حكاه من أمر هيرودس بذبح الأطفال يقتضي أنَّ هيرودس وأهل أورشليم كانوا أضداداً للمسيح، ولوقا لم يذكر ذلك، وسياق عبارته عن سمعان الذي كان رجلاً صالحاً، وإخبار النبيَّةِ حنة بهذا الخبر في أورشليم التي كانت دارَ السطنةِ لهيرودس، تُشْعِرُ بكذبِ ما حكاه المترجمُ، ومثلُ هذه الحادثة ظلم عظيم على أهالي تلك التخوم، وعيبٌ جسيم على هيرودس،

فلو وقعتْ وهو ملك أورشليم، لكتبَهَا المؤرخون من اليهود وغيرهم الذين كانوا يكتبون ذمائم هيرودس، ويتصفحون عيوبه وجرائمه؛ نعم ربما يقال: إنَّ أحدَ مؤرِّخي المسيح كتب ذلك.

فأقول: لا اعتمادَ على تحريره، لأنه مقتبسٌ من ترجمة هذا الإنجيل، وكيف لا يتجاسرُ المؤرخُ من النصرانية على ذلك، وقد تجاسرَ عظماءُ مِلَّتِه على تحريفِ الكتب السماوية كالتوراة وغيرها توفيقاً لما تَعَمَّدُوا تحريفَهُ من الإنجيل، ثم هناك شاهدٌ عقليٌّ، وهو أن بيت لحم بلدةٌ صغيرة قريبة من أورشليم، وهي في تسلط هيرودس وتحت سيطرته، وبأسهلِ وجهٍ كان يمكنه أن يتحقق أنَّ المجوسَ جاؤوا إلى المسيح، وفعلوا ما أتوا لأجله، ويقف على جميع ذلك بلا تَكَلُّفٍ إلى قتلِ هؤلاء الأطفال المعصومين.

ومن خرافات المترجم حكايته عن هيرودس أنه دعا المجوس سراً، وتَحقَّقَ منهم أمرَ الصبيِّ، وقال لهم: متى وجدتموه أخبروني، لكي آتي أنا أيضاً وأسجد له، فهل يناسبُ هذا مع قوله: إنه عناداً بالمجوس أمرَ بقتلِ جميع الصبيان الذين في بيت لحم؟! ولم تَكْفِه هذه المقالةُ حتى ضمَّ إليها قوله: وفي كُلِّ تُخومها، مع أنه تَحقَّقَ منهم أن المولودَ في بيت لحم، ثم إن مقتضى الحكاية أن أبويه ذهبا به إلى مصر، وأقاما فيها إلى أن هَلَكَ هيرودس، ولوقا يُكَذِّبُه، وهو الحَقُّ الصريح الذي عليه عمومُ المؤرخين، لأنَّ يوسف لم يسافرْ قطُّ من أرض اليهودية، لا إلى مصر ولا إلى غيرها كما تقدم.

والظاهر أنَّ المترجم تعمَّدَ هذا الكذب الصريح تمهيداً لما أراد أنْ يدسَّهُ في تلك الترجمة، وهو قوله - ف١٥ من هذا الإصحاح: «لكي يتم ما قيل من الرب بالنبيِّ القائل: من مصرَ دعوتُ ابني» ولم يعلمْ أنَّ كَذِبَهُ لا يَرُوجُ إلا على سخيفي العقول من أمثاله، لأنَّ المراد بالنبيِّ القائل هو يوشع عليه السلام، وأشار بذلك إلى الفقرة الأولى من الإصحاح الحادي عشر من كتاب يوشع، والنص هكذا:

«إن إسرائيل منذ كان طفلاً أنا أحبه، ومن مصرَ دعوتُ أولاده» كما هو في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١، فلا علاقةَ لهذه الفقرة بعيسى عليه السلام، بل هي في بيان الإحسانِ الذي فعله اللهُ في عهد موسى عليه السلام على بني اسرائيل، وحَرَّفَ هذا المترجمُ صيغةَ الجمع بالمفرد وضميرَ الغائب بالمتكلم، فقال ما قال، وتبعه مترجمُ العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ فليراجع.

ثم إنَّ هناك اختلافاً، أنكرته عليه اليهودُ أشدَّ الإنكار، وهو عندهم من الزُّورِ والبهتان، وذلك قول المترجم - ف٢٣ منه «وأتى وسكنَ في مدينةٍ يقال لها ناصرة، لكي يتمَّ ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصرياً» فإن هذا مع غَضِّ النظر عن كونِ لوقا خالفه فيه، لم يوجد له أثرٌ ولا إشارة في كتابٍ من كتب الأنبياء البتة، واليهود يعتقدون أنه لم يقم نبيٌّ من الجليل، فضلاً عن ناصرة، كما هو مصرح في - ص٧ - ف٥٢ من إنجيل يوحنا. وللعلماء منكم اعتذاراتٌ واهية غير قابلة للالتفاتِ، على أنَّ نورتن المحامي للإنجيل سَلَّم في جميع هذا الإصحاح الاختلاف الحقيقي، وحكم بأن متَّى غَلِط، وأنَّ ما حكاه لوقا في هذا البحث صحيح.

فيا أيها العقلاء من النصارى: لماذا لم تسألوا رؤساء دينكم عن السبب الذي أجبر المجوسَ لشدِّ الرِّحالِ في اليبس والأوحال، مع صرف دراهمهم وتقديم كنوزهم، لأنْ يسجدوا لمن يقدحُ في دينهم، ويُسَفِّهُ اعتقادهم، فهل يقبل هذا عاقلٌ أو يرضاه جاهل، ليتَ شعري، وحساب هؤلاء المنجمين من المجوس هل استنبطوه من عقولهم، أو ورثوا عِلْمَهُ من أسلافهم، فإنْ قلتَ: استنبطوه من عقولهم، وَجَبَ عليك أن تتفكر بعقلك فيما وسعه عقولهم، وإنْ قلتَ: ورثوه عن آبائهم، فالعجبُ أنه لم يصل إلينا خبرُ أحدٍ من قدمائهم، أنهم سجدوا لملوكِ اليهود الذين أتوا قبل المسيح، ولا أشار بذلك أحدٌ من مؤرِّخيكم أو من المخالفين لكم.

وخلاصة القول: إنْ كان من هذا الإصحاح كلماتٌ ليست مفتريات، فليست إلاَّ قوله - ف٦: «وأنتِ يا بيت لحم أرض يهوذا، لستِ الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأنَّ منك يخرجُ مدبرٌ يرعى شعبي إسرائيل» لأن هذه الفقرة من التوراة تبشِّرُ برسالةِ المسيح عليه السلام، وهي برهانٌ وحجة على أن المسيح نبيٌّ مُرْسَلٌ لبني إسرائيل مؤيد للتوراة، وإذا كان نبياً مرسلاً، كان بشراً مخلوقاً كسائر المخلوقات، ومَنْ قال غير ذلك فهو أعمى البصيرة جاحِدٌ لإنجيله.

الإصحاح الثالث

ليس في هذا الإصحاح مما يقتضي الإيضاحَ غير قوله فيه - ف٣ عن يوحنا المعمدان: «فإنَّ هذا هو الذي قيل عنه بأشعياء النبي القائل: صوتٌ صارخٌ في البرية أعِدُّوا طريقَ الرب، اصنعوا سُبُلَهُ مستقيمة».

أقولُ: إن الصوت الصارخ في البرية إشارة إلى تنبيه العباد بأنْ يستعدوا لطريق الرب، بأعمالهم الصالحة، وأن يصنعوا سبله، أي: أوامره المستقيمة في الأحوال والأقوال والاستعداد ليومِ المعاد، وليس هناك ما يدل على أنَّ المرادَ الاستعدادُ لمجيء عيسى، وأنه هو الربُّ، ومَنْ فَهم ذلك فقد وَهِمَ، وإنْ سلم فلا مانعَ، لأنه لا شك في كونه عليه السلام هادياً مَنِ اتَّبعه إلى طريقِ مولاه الذي أرسله، ويكون لفظ استعمال الرب على معناه اللغوي.

وقد فُسِّرَ في - ص١ - ف٣٨ من إنجيل يوحنا لفظُ الربِّ بالمعلم، فيكون هنا بمعنى مُعلّمهم ومرشدهم، وأنت خبيرٌ بأنَّ رئيسَ البيت رَبُّه، وصاحب الإبل رَبُّها، والمسيحُ هو رئيسُ بيتِ يعقوب ومربيهم بإرشاده، فالذي يسمي المسيح رباً بهذا المعنى، فهو غيرُ مشركٍ، ومَنْ يعتقده رباً بمعنى الخالق، فهو مكذبٌ لإنجيله، مشركٌ ومعاند بلا شبهة، عند كافةِ الملل الإلهية.

على أن الأناجيل الموجودة الآن حالَ كونها محرفة تشهدُ بكونِ المسيح عليه السلام عبداً لله تعالى، منها في هذه الترجمة - ص١٩ - ف١٦ قوله: قال واحد للمسيح: «أيها المعلم الصالح: أيّ صلاحٍ أعمل؟ فأجابه: لماذا تدعونني صالحاً، ليس أحدٌ صالحاً إلا واحدٌ وهو الله».

فعلى هذا كيف لا يشرك مَنْ يُطْلِق عليه اسمَ الربِّ بمعنى الخالق، وهو يمنع من أن يسميه صالحاً، مع أنه لا شك في أنه من عبادِ الله الصالحين، بل من خواصِّهم عليه السلام.

وأما قوله - ف٩ عن يوحنا المعمدان: «لا تفتكروا أن تقولوا في نفسكم: لنا إبراهيم أباً، لأني أقولُ لكم: إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم».

فمعلومٌ أن هذا الكلام من يوحنا إنذارٌ لبني اسرائيل، يخاطبهم وينبئهم بأن لا تغترُّوا بكونِ النبوّة فيكم، بل إذا لم ترجعوا عن طغيانكم واستكباركم وتعززكم بقولكم: إن لنا إبراهيم أباً، إذاً أقولُ لكم: إن الله قادر على أن يخلقَ من الحجارة أولاداً لإبراهيم، ويجعلهم الوارثين للنبوّة والملك بعد نَزْعهما منكم، وقد جرى كما ذكَرَ يوحنا بأنْ نَزَعَ الله الملك والنبوَّة من بني إسرائيل، وأرسل خاتمَ الرُّسُلِ والنبيين محمداً صلى الله عليه وسلم، وآتاهُ النبوَّةَ والمُلْكَ، وهو من ولد إسماعيل بن إبراهيم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما هو مذكور في التكوين من خطابِ الله تعالى لإبراهيم في إسحاق: «يدعى لك زرع وابن الأمة أيضاً فإني سأجعله لشعبٍ عظيم لأنه زرعك» وقوله - ف١٣ من حكاية مجيء المسيح إلى يوحنا المعمدان: «حينئذٍ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمدَ منه، ولكن يوحنا منعه قائلاً: أنا محتاجٌ أنْ أعتمدَ منك، وأنت تأتي إليّ؟! فأجاب يسوع، وقال له: اسمح الآن لأنه هكذا يليقُ بنا أن نكمل كل بر، حينئذٍ سمحَ له، فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السمواتُ قد انفتحت له، فرأى روحَ الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه، وصوت من السموات قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرتُ».

أقول: هذا صريح في أن المسيح سلام الله عليه بشرٌ مخلوقٌ لله تعالى، وأنه قبل أنْ يأتيَ إلى يوحنا المعمدان لم يكن الوحي ينزلُ عليه، وأن أولَ ما نزل عليه الوحي بواسطة روح الله، أي جبريل، لأن الله تعالى سماه بذلك كما تشهدُ به كتبهم، وأول ما بلّغه عن الله تعالى أنه هو الابن الحبيب الذي به كان سرورُ الله تعالى، ولكنْ أبى هذا المترجمُ إلا أنْ يُدَلِّسَ في كل ما يكتبه حيث أسندَ

الكلامَ إلى غير جبريل. أراد أن يسند الكلام إلى الله تعالى بقوله: وصوت من السموات، بعد قوله: «فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه» وليس هنا احتمالٌ في العبارة أراده غير ما ذكرناه، لأن هذا الصوتَ عبارةٌ عن الكلماتِ التي هي: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرْتُ» فلا يفهم القارئُ إلا أنَّ الكلامَ صدرَ من الله تعالى.

فأنتَ خبيرٌ أيها المتأمل المنصفُ بأنَّ هذا المترجمَ خالف النصارى، فإنهم يقولون: إن الأبَ هو الابن والابن هو الأب، فإذا كان كذلك، فمن الضروري أن يكون هذا الصوت من الابن، وهذا خبطٌ بلا شك، وباقي الأناجيل لم تذكر هذه الحكاية، ويوحنا ذكر في الإصحاح الأول خلافَ ما ذكر هذا المترجم، فقد جعل الشاهد على نزول الوحي يوحنا المعمدان.

وعلى أيِّ احتمالٍ كان، لا يتمُّ جميعُ ما قيل في إنجيل يوحنا من أنَّ المسيح هو الكلمة، والكلمة تَجسَّدَتْ مسيحاً في بطن أمه، وأنه من جهةِ الجسدِ هو ابنُ داود، ومن جهة الروح هو ابنُ الله، إذْ بكلٍّ هذا يثبتُ التناقضُ والتضارب.

ولو كان الأمر خلاف ما ذكرته، لوجبَ عليكم أيها المسيحيون إما أنْ تجعلوه إلهاً، وتُمَجِّدوهُ تمجيدَ المخلوق لخالقه، وتنفوا عنه ما أوجبتم عليه من شوائبِ النقص كالصلبِ واللعن، أو أن تعتبروا صحة ما في هذا الإصحاح، بعد إسقاطِ الحشو الزائد، وتقفوا على أنه نبيٌّ ورسول كما اعترف هو بنفسهِ هنا، وتَكَلَّفَ الذهابَ من الجليل إلى الأردن، ليتعمد من يوحنا، وهو نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل، فيكون من الضروري أنَّ تعميدَهُ للمسيح هو تلقينه الإقرار بالوحدانية لله تعالى، ولرسل الله بالرسالة، وسائر ما يجب الإيمان به من أحوال القيامة كالحشر والنشر.

ولا يظن المعترضُ علينا في هذا تجهيل المسيح عليه السلام في تلك العقيدة

قبل أنْ يتعمَّدَ، فإنَّا معاشرَ المسلمين نقولُ بوجوبِ العِصْمةِ للأنبياء من الجهلِ والكفر وكل ما يقدحُ في النبوة، إلا أن سُنَّةَ الله في خَلْقِه اقتضت أنْ يرشدَ عباده بتعليم بعضهم بعضاً، وهذا دليلٌ قويٌّ على إقرار المسيح بالعبودية لمولاه، فلو كان إلهاً، كما تزعمون، لما تَعَمَّدَ من يوحنا، وهو الخالقُ ليوحنا وفعله، فهل يعقل أنْ يستكملَ البِرَّ الذي هو التعميدُ من رسولِه ومخلوقِه يوحنا؟! فالقولُ بهذا من سَفَه الرأي، ولو سألنا الأطفالَ الذين لا تمييزَ لهم لأنكروه، فمن البديهي إذاً بطلانُ دعواكم بأنَّ المسيح إلّه، وإلا لزمكم القولُ بإنكار الأناجيل الأربعة وغيرها من أعمالِ الرسل والرسائل، لكونها صَرَّحَتْ بتعميدِ المسيح من يوحنا، وهذه رؤساء الكنائس جعلته من أهم وظائفها المِلِّيَة تقليداً لتعميدِ المسيح عليه السلام.

الإصحاح الرابع

قال - ف١: «ثم أصعد يسوع إلى البريّة من الروح، ليُجَرَّب من إبليس، فبعدما صام أربعينَ نهاراً وأربعين ليلة، جاع أخيراً، فتقدم إليه المجرِّبُ وقال له: إنْ كنتَ ابنَ الله فقُلْ أن تصيرَ هذه الحجارةُ خبزاً، فأجاب وقال: مكتوبٌ ليس بالخبزِ وحده يحيا الإنسان، بل بكلِّ كلمةٍ تخرجُ من فم الله، ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة، وأوقفه على جناح الهيكل وقال له: إنْ كنتَ ابنَ الله فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب أنه يُوصِي ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونكَ لكي لا تصدم بحجر رجلك. قال له يسوع: مكتوبٌ أيضاً: لا تجرب الربَّ إلهكَ. ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبلٍ عالٍ جداً، وأراه جميعَ ممالكِ العالم ومجدها، وقال له: أُعطيكَ هذه جميعها إنْ خَررتَ وسجدتَ لي. حينئذٍ قال له يسوع: اذهبْ يا شيطان، لأنه مكتوبٌ: للربِّ إلهكَ تَسْجُد، وإياه وحَده تَعْبُد، ثم تركه إبليس، وإذا ملائكةٌ قد جاءت فصارت تخدمه» انتهى.

فلقد أثبتَ عبوديةَ المسيح بكونه يصوم أحياناً، ويعتريه الجوعُ، وهذه صفاتُ البشر، ثم إنَّ في عَرْضِه على إبليسَ، لِيُجَرَّبَ، أقوى شاهد على عبوديته.

وهل يصدق الصغيرُ الذي لم يَبْلُغ الحُلُمَ أن مَنْ يكونُ إلهاً يعرض نفسه على المطرودِ من رحمتهِ ليجرِّبَهُ، ولو كان كما تزعمون، فما معنى جواب المسيح عليه السلام بقوله لإبليس: مكتوبٌ أيضاً لاتُجَرِّبْ الرب إلهكَ، وأينَ أنت من دعواك أنه إلّه، ومن قولِ إبليس له بعد أنْ أراهُ ممالكَ العالم ومجدها: أُعطيكَ هذه جميعها، إن خررتَ وسجدتَ لي، فهل يتصورفي فكر مَنْ عنده ذَرَّةٌ من العقلِ أنَّ إبليس الذي هو أحقرُ مخلوقٍ لله تعالى يتجاسر على الإلّه، بأنْ يطلب منه السجود لنفسه.

لقد ضاعَ رُشْدُكَ أيها المسيحيُّ المسكين، في خضوعك لهذه الترَّهات الذي

دَلَّسها عليكَ مترجمُ هذا الإنجيل، فتنبه وتأمَّلْ قولَ المسيح وخطابه لمجربه بقوله: اذهب يا شيطان، مكتوبٌ: للرب إلهك تسجد، فلو كان المسيحُ، سلامُ الله عليه، يَشمُّ من نفسه رائحةَ ما تَصِفُه أنتَ به من البهتان، لأجابَ إبليسَ بنحو: اذهبْ يا مطرودُ من رحمتي أو بنحوِ: مكتوبٌ أنْ تسجدَ لي وتعبدني. فتبصَّرْ أيها المسيحيُّ وأنصِفْ.

الإصحاح الخامس

قال - ف١٧ حكاية عن المسيح: «لا تظنوا أني جئتُ لأنقضَ الناموسَ أو الأنبياء، ما جئتُ لأنقض بل لأكمل. فإني الحقَّ أقول لكم إلى أنْ تزولَ السماء والأرض، لا يزول حرفٌ واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى، وعلّم الناس هكذا، يُدْعي أصغر في ملكوت السموات، وأما مَنْ عمل وعلّم، فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات. فإني أقولُ لكم: إنكم إنْ لم يزد برّكم على الكَتَبة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوتَ السموات.» انتهى.

أقول: المراد من الناموس التوراة، على ما هو معلومٌ لدى علمائكم، وقوله: أو الأنبياء، أي ما جئتُ لأُكَذِّبهم فيما جاؤوا به من العقائد والأحكام المنزلة عليهم من الله تعالى، كما قال للكنعانية في - ص١٥ - ف٢٤ من هذا الإنجيل: «لم أرسَل إلا إلى خرافِ بيت إسرائيل الضالة» ومفهومه: «لم أُرْسَلْ للأبرارِ الخاضعينَ لأحكامِ التوراة، ويؤيده أيضاً قوله من هذا الإنجيل في - ص٩ - ف١٣ ونصه: «لم آتِ لأدعو أبراراً بل خَطَأَةً للتوبة» وقال متى أيضاً في - ص١٠ - ف٥ ما نصه: «وهؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع، وأوصاهم قائلاً: إلى طريقِ أممٍ لا تَمْضُوا، وإلى مدينةٍ للسامريين لا تدخلوا؛ بل اذهبوا بالحريِّ إلى خرافِ بيت إسرائيل الضالة» انتهى.

يا أيها المسيحيون! انظروا هَدَاكم الله إلى صراحةِ أحاديثِ المسيح عليه السلام المُسَجَّلة في أناجيلكم، فإنها متضافرةٌ تؤيد بعضها بعضاً بأنَّ النصارى كانوا مجبورين لاتباع التوراة، والتكرارُ في قوله: «ما جئتُ لأنقضَ» توكيدٌ وتوطئة لقولهِ «بل جئت لأكمل» فإن الله تعالى جَلَّتْ قدرته يشرعُ الشرائعَ ويُعطي الأنبياءَ الأحكامَ على حسب ما تقتضيه حكمته البالغة، من مراعاة حال العالم في كل زمان، فكان عيسى عليه السلام أتى مؤيداً للتوراة كبقية الكتب الإلهية وناصراً

لها، ومكملاً لشرائع مَنْ قبله على حسبِ ما يناسبهم في زمانه، من الفروع التي أوحى الله بها إليه، وقوله: فمن نقض هذه الوصايا الصغرى، أي الهيِّنة اللينة التي لا شِدَّةَ ولا غلوَّ في العمل بمقتضاها؛ بل هي وسط بالنسبة لما وصلَ إليه العالم من ناموس الارتقاء. وقوله: يُدْعى أصغر، أي: أحقر خلق الله، ولا صراحة أوضح من ذلك في أنه عليه السلام وجميع مَنْ تبعه من المكلفين مأمورون بتأييد التوراة وتكميلها.

ولكنْ ما الحيلة حيث إن المسيحيين ابتدعوا عقيدة جديدة، واخترعوا معاملات غير مسموعة ولا مسبوقة «كصوم الحمية» ويوم الأحد، وإباحة كافة المحرمات، ورفع التكليفات، ورفض ذبح الحيوانات، وإباحة أكلها منخنقة ومقتولة بغير جارحة، وموؤودة كما رأيتها بعيني، فإنهم يأتون بالحيوان حَيّاً، ويضربونه بالمطارق على رأسه حتى يموت، وهذا مُنَافٍ للشفقة الإنسانية، فضلاً عن تحريمه، لأنه مُثْلَة في الحيوان وتعذيب له، مع أنَّ الله تعالى نهى عن المُثْلةِ والتعذيب في ذلك في كل الشرائع، وأمرَ بالإحسانِ في كل شيء. والتوراة أمرت بحدِّ السكين حتى لا يتعذب الحيوان، وما هذا إلا من نبذِ أقوالِ المسيح وراء الظهور، واتباعِ ما أدخله المُدَلِّسون، خلال السطور، من التأويلات الوهمية والوساوس الشيطانية، واعتقده المسيحيون من الله، وهو بريءٌ منه، وذلك كتأويلهم قول المترجم - ف١٩ من - ص١٦: «وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكلّ ما تربطهُ على الأرضِ يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تَحلُّه على الأرض يكون محلولاً في السموات» بأن كون الشيء حلالاً أو حراماً تابعٌ لحُكْم رؤسائهم فيه، فإن حَلَّلُوه، كان حلالاً عند الله، وإن حَرَّموه، كان حراماً عنده، وإن خالف الناموس الإلهي. وكاستدلالهم أيضاً في إبطال السبت بأكْل التلاميذ سنابل الزرع، وإخراج الشياطين في يوم السبت.

وكاستنادهم أيضاً في تحليل الحيوانات المحرمة إلى ما في أعمالِ الرسل من

رؤيا بطرس عندما جاع، ونزل له آنية من السماء، فيها من كُلّ الوحوش، وصوت من السماء يقول: يا بطرس اذبح وكُلْ، فأجاب بطرس: إنني لم آكل نجساً في عمري ولا دنساً، فأجابه الصوت من السماء مكرراً: ما طهَّرَه الله لا تُدَنِّسُه أنتَ. كما في خاتمة - ص١٥ من أعمال الرسل أن بطرس ويعقوب وبولس ومعهم جملةٌ من رؤساء الملة حرَّموا الميتة وما ذُبح للأصنام والدمَ والزنا، وأحَلُّوا ما وراء ذلك من المحرمات، واكتفوا بمجرد الإيمان بدون الأعمال، إلى غير ذلك من الأمور المُنْكَرِة المخالفة للناموس، مع أن لو سَلَّمنا لصحة تلك الروايات، فمعنى قوله: كل ما تربطه أو تحله في الأرض ينعقد وينحل بالسماء، ليس ما أردتم من تحليل لحم الخنزير ورفع التكليفات ونسخ التوراة، بل المراد من قوله هذا أنه كلما يقع إشكالٌ لهم في الدين، ولم يكن له نَصٌّ صريح في التوراة، تجتمع التلاميذ تحت رياسة بطرس الوصيّ، وبعد الشورى، فكل ما يتقرر يكونُ حُكْماً جارياً، بشرط عدم مخالفته صريح الكتاب. وهذا الحل والربط لا ينتقل إلى غير الحواريين، بل هو مَنُوطٌ بخليفة المسيح بطرس الموصَى بذلك مع بقية التلاميذ الذين عَيّنهم المسيح، وهم الذين ثبتوا على الإيمان وماتوا عليه.

ثم إن قطع سنابل الزرع يوم السبت كان عن ضرورة التلاميذ، لأنهم جياعٌ، والضرورات تبيح المحظورات، كما أجابهم المسيح وصَرَّح بذلك.

وشفاء الأمراض وإخراج الشياطين من المجانين في يوم السبت ليس مُحَرَّماً في التوراة، كيف لا وهو يوم مخصوصٌ لفعلِ الخير، على ما جاءت به التوراة.

وما تراه من التشديدات عند اليهود، فهو من تكليفِ الإنسان فوق طاقته، لأنهم فسروا التوراة بصورة شديدة، والله لا يكلف العباد التكليف الخارجَ عن طاقتهم، فلا يكون ذلك حُكْماً لِنَسْخ التوراة.

وأما رؤيا بطرس فلا يصحُّ الاستدلالُ بها على تحليل الخنزير وغيره من الحيوانات الخبيثة المحرمة بالتوراة، لعدم التصريح بشيء منها، مع أن بطرس جعل ذلك إشارة إلى طهارة الإنسان، كما قال في مجلس كرنيلوس «وأما أنا فقد أراني الله أنْ لا أقولَ عن إنسان ما إنه دَنَس أو نجس» على أنَّ الرؤيا من غير الأنبياء لا تكون شريعةً ناسخةً لناموسٍ منزل من عند الله تعالى، على أنَّ الفاضل لوثر إمام فرقة برتستنت صرح بقوله: «إن الحواري ليس له أن يُعَيّن حُكماً شرعياً من جانب نفسه، لأن هذا المنصب كان لعيسى فقط» انتهى.

وأما رواياتهم عن بطرس ويعقوب وبولس بأنهم أباحوا المحرمات، ونسخوا حكم التوراة، فذلك محض افتراء.

ونحن نُجِلُّ التلاميذَ عن أن ننقل عنهم مثل هـذا الخبط في دينهم، وهم بُرَآء من ذلك، وإنْ قلتم بوجوب تسليم ذلك عنهم، التزمتم القولَ بتدليس التلاميذ وغشهم للإسرائيليين، ونفاقهم، لأنَّا نجدُ فيما رويتم عنهم أنهم أيدوا التوراة قولاً وفعلاً، بأنْ تَعبَّدوا بموجبها، وأُمِروا بذلك، وقد قال بولس نفسه في رسالته إلى أهالي رومية من – ص٢ – ف١٣: «ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله، بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون».

أَفَمَا يكفيكم هذا برهاناً جلياً ودليلاً قوياً على بطلان عقيدتكم.

وَلْنَعُدْ إلى إتمام الإصحاح الخامس قال – ف٢١: «قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تقتل وَمَنْ قَتَلَ يكون مستوجب الحكم، وأما أنا فأقولُ لكم: إنَّ كُلَّ مَنْ يغضب على أخيه باطلاً، يكون مستوجب الحكم، إلى أنْ قال – ف٢٧: وقد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزنِ وأما أنا فأقول: إن كل من ينظر امرأة ليشتهيها فقد زنى».

أقول: إن المسيح سلام الله عليه قد بَيَّنَ أنَّ مَنْ يغضب على أخيه بالباطل،

يكون مستوجباً للحكم، أي القتل، كما أنَّ قاتل أخيه ظلماً يستوجب القتل قصاصاً، وهذا من باب المبالغة في العِظة والتشديدِ في الزجر، وليس المراد أن مَنْ يغضب يُقتل حقيقةً. كما أنه عليه السلام جعل النظر إلى النساء المقرونَ بالشهوة من حكم الزنا، إذ هو من مقدماته، بل من أعظم المقدمات، وليس المراد منه أن يكون حكم الزنا الحقيقي، بل هو على سبيل التهديد فقط.

فنناقشكم أيها المسيحيون بهذا الحكم، ونطالبكم بالعملِ به، لأنا نرى في هذه العصور المتمدنة قد فشا بينكم التَّهتُّكُ حتى أصبحت نساءُ كباركم وبنات خواصكم يتراقصن بأحضان الشبَّانِ، وهن متعانقات بهم بين ألوفٍ من عظماء الرجال وأسافلهم، وكُلُّ ذلك نشأ من إعطائكم الحريةَ المُطْلقةَ للنساء، ومَنْعِكم الحجاب، وإعدادكم إياه منهن عيباً وتوحشاً، وربما أسقطتم المحتجبة منهن عن مراتب المدنيَّة، فتتعطل بهذا السبب عن الزواج الذي جبرتها الفطرةُ الإنسانية إليه.

وبالجملة فقد أصبحن مجبورات على كشف أستارهن متزينات بالملابس الفاخرة حتى تغالين في أنواع الزينة، فصرن لا تُرْضيهن إلا الملابسُ التي تتشكل من لبسها أعضاؤهن، فإنْ قلتم: لا يكون زانياً بمجرد النظر، إذ مشروط باقتران الشهوة، على مقتضى هذا النص، قلنا: أنصفوا، إنَّ النساء من الغانيات والعذارى إذا خرجن يتمايلنَ بأفخرِ الثياب وأحسن الزينة، وهن مُتَطيِّباتٍ بأطيبِ الطيب، يمشين في الأسواق بدون ستر، ويجتمعن في حانات السكر ومنتزهات اللهو وخلوات المعابد، بالشبان والكهول، وهن مخصورات الخصرين ظاهرات النهدين، كيف لا يَشْتهيهنَّ الأطفالُ فضلاً عن الرجال إلا مَنْ صانه الله تعالى بعنايته، وقليلٌ ما هُمْ.

ولعَمْري إنكم خرقتم سياج الدين، وهتكتم ستر الآداب، وما جَرَّكم إلى هذه البلاء، وأرماكم في هذا العماء إلا تلاعب الرؤساء في أحكام الدين، لأن مَنْ

أمعنَ النظرَ في تلك الفقرات، يعلم يقيناً أنها ليست حكماً ناسخاً للتوراة، كما تأوّلتها هذه الأمةُ الواقفة في دينها على ما تحكمُ فيه النفسُ والشيطان، بل هي نصوص تقضي بوجوب تأييد التوراة، وما أراد المسيح عليه السلام على صحة إسنادها إليه إلا التهديدَ والزجر، ليتمسكوا بأحكام التوراة، وقد خالفوا ذلك بأنْ أبطلوا العادات القديمة التي كانت في بني إسرائيل إلى زمن المسيح، وبعده إلى آخر زمن الحواريين، معاكسةً للحق وضداً للتوراة ونبذاً لأوامر المسيح، ولم يكتفوا بذلك حتى تهتكوا وصاروا سبباً لاتساع دائرة الزنا، ولم يبالوا بهذا التهتك حتى وَجَّهُوا العيب على مخالفيهم، وذكروهم بسمة التوحش.

ويقولون: إنهم القائمون بأحكام الإنجيل، ولقد قابلوا المسيح عليه السلام بالجور في الهتك، حين شدَّدَ عليهم الزجر عن الزنا، وجعل حُكْمَ الناظر للنساء بشهوة حُكْمَ الزاني حقيقة، سداً لباب الفساد، فكما أنه عليه السلام بالغ في النهي، بالغوا بمخالفته.

وانظر أيها العاقل المسيحي إلى قول المسيح عليه السلام في هذا الإصحاح - ف٢٩: «فإنْ كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها» فهل تفهم من هذا النص إلا التحذيرَ من النظر إلى المرأة الأجنبية المنهي عنه في كافة الملل والأديان.

ولا شك أنَّ النظرَ هو مفتاحُ الشهوة البهيمية المتسلطة على نوع الإنسان، فالواجب على كل فرد من هذا النوع الإنساني غَضُّ النظر عما يحرم عليه، ولو كان بغير شهوة، ففي كلام الحكمة «مع كلِّ امرأةٍ شيطان» أَظَنُّوا من أنفسهم العِصْمةَ، وهم يُنْكِرُونَها على الأنبياء؟!

وإني لأعجبُ من أرباب المروءة منهم، وأين هم، كيف تسمحُ نفوسهم لنسائهم وبناتهم يذهبن إلى القسيس، ويدخلن تحت القاعدة التي يسمونها الغفران، فيخْلُو بهنَّ وهُنَّ مكشوفات الستر، وعليهن الزينةُ الكاملة، وقد تَطَيَّبْنَ

بالطيب، وتحلين بأنواع الحلي، تختلي الواحدةُ منهن بهذا القسيس وهي بهذه الحالة، وتُبْدِي له ذَنْبَها، وتشرحُ عنده خطيئتها وما وقع بينها وبين صاحبها من اللَّثْمِ والعناق والتفافِ الساقِ بالساق، إلى أمورٍ تستخرج شهوة الفحل من أعماق العروق، وهو يسمع صوتها الرقيق، ويتخيل ما جرى بينها وبين العشيق، مع أنه رجلٌ بَشَر، استحكمت فيه الطبيعةُ الإنسانية بزيادة عن بني جنسه من البشر، لما أنهم حَرَّمُوا عليه الزواج ظلماً، فأصبحت الشهوةُ محكمة فيه، يتخيل له الزنا في كل لحظة، فلا تصل إليه شابة بل ولا عجوز منهن إلا وقد أَعملَ ضُروبَ الحيل للتوصُّلِ إليها.

وسنتلو عليك فصولاً من فضائح القوم، في هذا الباب بَعْدُ، إن شاء الله، ونعود الآن إل بحث الحجاب، فإنَّ المسيح عليه السلام كان ولا شك للأمةِ من الناصحين، فصدرت منه تلك الوصيةُ على صحة إسنادها إليه، من باب التشديد، وهذا اللائقُ بمقامه والملائمُ للعقلِ والموافق للنقل، ويا ليتَ المسيحيين تَمسَّكُوا بظاهر هذا المعنى، وحكموا على كل ناظر منهم لامرأة أجنبية بقلع عينه أو عينيه، وإنْ كنا حينئذٍ لا نجد منهم إلا أعمى أو أعور، لكان خيراً لهم مما هُمْ عليه الآن، فقد استعرت نار تلك الداهية العظمى واستحَرّ جَمْرُها في الشرقيين عَدْوَةً[1] من أخلاق الغربيين الفاسدة.

واعلمْ أيها القائل بأن حجاب المرأة ظلم لها، فأعِرْني إنصافك وغيرتك، واسمع لما أتلوه عليك: إنَّ المرأة غير واجب عليها الخروجُ إلا عند الاضطرار إليه، والحجابُ هو خيرٌ لها، لأن الباري جَلَّتْ حِكْمَتُه فرض في سائر الشرائع النفقةَ على الزوج، لأنه أقدر على الكسب من المرأة، بحسب قبوله لتجشُّمِ أعباء المكاسب، واستحسن للمرأة القيام بمصالح البيت الداخلية وتربية الأولاد، وحيث أصبحتْ بذلك غير مضطرةٍ إلى الخروج من بيتها، وهي محلُّ الشهوة ومطمح

---

(١) من العدوى.

نظر الرجال، فلأجل سدِّ باب الفتنة، وكفِّ دواعي الزنا الممقوت شرعاً وعقلاً، أمرَتْها سائرُ الشرائع بالحجاب والستر، وكان ذلك من أشرفِ نُعوتِها وأكرم مفاخرها، تتباهى به كلما استكمل فيها، فالحجابُ صيانة لها ومحافظة عليها، كالشيء النفيس الذي يُضَنّ به بالتحفظ والتستر، وهكذا يُضَنّ بالمرأة المتسترة بالحشمةِ والعفة والوقار، وليس كما يَظُنُّ الجهلاء أنه لظنِّ السوء بها، فإن ذلك يقال، لو أُمِرتْ بكفِّ بصرها عن رؤيةِ الرجال، ولم يؤمر الرجل الأجنبي عنها بمثل ذلك، وليس أيضاً كما يزعم الأغبياء، أن حجابها هو حبسٌ وظلم لها وملاشاة لحريتها، فإنَّ المرأةَ عندنا معاشرَ المسلمين تشب على الحجاب من بادي فطرتها، فتجده كاللازم لطبيعتها، وتعتاده اعتياداً محبوباً مألوفاً، وتُعَيِّرُ مَنْ تتساهلُ فيه، وتنسبها للطيش والوقاحة، على أنها تقبَلُه بأنه حُكْم الشريعة الإلهية، فترجو به الثواب، فكيف بعد ذلك يقال: إن المرأة في الإسلام مظلومة أو محبوسة، حاشا لله.

وهذه شرائع مَنْ قبلنا، فانظر فيها، هل تجدها إلا أَحكمتْ ما أَحكمناهُ في هذا الباب، ولا يعزبْ عن فِكْركَ أيها المتأملُ البصير أن المرأة في حجابها مَصُونةٌ عن أنظار الفَسَقةِ وأميال الفجار وألسنةِ السُّفهاء، وعلى أنه لا يخلو الأمر من وجودِ امرأةٍ غير كاملةٍ في الآداب والتدين، فبالحجاب لا ترتابُ النفوس في أمانتها، ولا يدخل الشك على زوجها، فيعلم أن ما تلده هو ولده مطمئن القلب، لذلك ليس للشيطان عليه سبيلٌ في الوسوسة التي تطرأ عليها، فيما لو كانت تخرج غير مستترة، فيحفظ بذلك نسبه. وأنتَ تعلمُ أنَّ حفظ النسب تتوقفُ عليه سعادة الإنسان بين أبناء جنسه، وقد شاهدنا أحوال الغربيين، والسكوتُ الآن أَلْيَقُ في هذا المقام، لأننا لو أطلقنا عنانَ القلم في إحصاء الفضائح التي تسببت من خَرْقِ ناموس الحجاب عندهم، لسَوّدْنا الصحائفَ بما يسوء المطالع.

وعلى العموم فإن الحجاب أنفع الوسائل لمصالح الزوجية، بل لعموم الأمة،

بقطع مادة الفساد، وإلا فأنتَ تنظرُ بعينك ما يقع عند الغربيين من القبائح حتى استحكم ذلك بالمسيحيين الشرقيين، وعلى كلٍّ فهو مخالفٌ لنصوص التوراة والإنجيل.

وأين أنت مما كتبه معتمدكم بولس برسالته الأولى إلى تيموثاوس من - ص٢ -ف٩: «وكذلك إن النساء يُزَيِّن ذواتِهِنَّ بلباس الحشمة مع ورعٍ وتَعقُّلٍ، لا بضفائر أو ذهب أو لألىء أو ملابس كثيرة الثمن، كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله، بأعمالٍ صالحة، لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع، ولكن لستُ آذَنُ للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل، بل تكون في سكوت، لأن آدم جُبِلَ أولاً، ثم حواء، وآدم لم يغو، لكن المرأة أغوِيت، فحصلت في التعدي».

فإن بولس هنا نصح الحق في هذه المسألة، وكلامه هذا كالشرح لنص الإنجيل الذي نحنُ بصدده، وذلك ظاهرٌ من أن النساء لا ينبغي لهن إذا خرجن لقضاء أغراضهن، عن إلجاء الضرورة لذلك إلا بلباسِ الحشمة، مع الورع والتعقل، وهذا لا ينصرفُ إلا إلى الحجاب، خلافَ ما عليهن الآن، فإننا نرى نساء المسيحيين حين وجودهن في بيوتهن يلبسن اللباس الخَلِقَ الذي لا يُعْتَدُّ به، فإذا أردن الخروج، يظهرن بما تراهن من لباس الزينة والتزيُّنِ الصناعي، وأنتَ خبيرٌ إذا كان الناس سكارى، وبينهم الغواني والعذارى، كما هو العادة عندهم في مراسح الرقص والمجتمعات العمومية والحانات، فلا تسأل عن بِكرٍ أصبحت ثَيِّباً، وعن خالٍ[1] أصبح هائماً.

ويُفْهَمُ من تلك الوصية أن الرجل قوّام على المرأة، كما هو ناموسُ جميع الشرائع، وكما في قول بولس المذكور أيضاً في رسالته الأولى إلى كورنثوس من - ص١١ - ف٣: «الرجل رأس المرأة».

---

(١) خالي الذهن من دواعي الشهوة.

ونرى الآن بالعكس، فإن نساء المسيحيين هُنَّ القوّامات على الرجال، فكأنهم تحالفوا واتفقوا على مخالفةِ أحكام التوراة والإنجيل، ثم إنه ينبغي لك أن تلتفت لقول بولس: «وآدم لم يُغْوَ لكنَّ المرأة أغويت» مع القول بأنَّ علة صلب عيسى هي خطيئة آدم، فقد بَرَّأَهُ هذا الرجلُ العظيم في دينكم، فتأملوا.

ولنرجع إلى بحث النساء أيها المسيحي، فقد روينا في سفر أشعيا من ص٣ - ف١٦ إلى - ف٢٥ بحثاً في خدر النساء مستوفياً، فراجعه إنْ شئتَ، وقد كتب بولس برسالته الثانية إلى تيموثاوس ما خلاصته كما في - ص٣ - ف٥: «ستأتي أزمنةٌ، رؤساء المِلَّةِ يدخلون البيوت ويسبون نسيات محمَّلات خطايا منساقات بشهوات مختلفة، يتعلمن في كل حين، ولا يستطعن أنْ يُقْبِلْنَ إلى معرفةِ الحقِّ أبداً» فإنَّ من أمعنَ النظر في مثل ذلك، يعلم أن بولس أصاب المرمى فيما نقل عنه، مع أن ما أوردناه عليك من هذه الشواهد نقطةٌ من بحر، وإلا فالتوراةُ والإنجيل مملوءتان من ذلك.

وفي رسائل بطرس بحثٌ يعلن بفساد أخلاق الأمة عن عوائدها القديمة.

فإذاً من الغريب اعتراضُ المسيحيين على المسلمين في أمر الحجاب، وقولهم: إنَّ أمرَ امتناع النساء عن اختلاطهن بالرجال تَوَحُّشٌ مخالفٌ لأمرِ الله، وظلم لهم، مع أن نساء المسلمين، تقدّم فيما بحثناه عنهن أنهن يعلمن أن ذلك الحجابَ من الأوامرِ الإلهية، وهو لهن أصبح محبوباً مألوفاً، ولو أنصف المسيحيون لوجدوا نساء المسلمين قد تَمَسَّكْنَ بإجراء أوامر التوراة والإنجيل والقرآن جميعاً.

وأين وصايا المسيح على سبيل الموعظة الحسنة «فَتَجَنَّبْنَ مُخالطةَ الرجالِ الأباعد»، وفي هذا الإصحاح من قوله - ف٣١ «وقيل: مَنْ طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق، وأما أنا فأقول لكم: إنَّ من طلق امرأته إلا لعِلَّةِ الزنا، يجعلها

تزني، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني».

أقول: المفهومُ من هذا، أنَّ مقصدَ المسيح هو التحذيرُ عن مخالفة التوراة، وزَجْرُ الشعبِ عن وقوع الطلاق منهم لغير علة، وليس مقصده تحريم الطلاق مطلقاً، كما زعموا، لأن الطلاق، وإنْ كان مباحاً، لكنه فِعْلٌ مذموم إلا لعلة، عند كافة الملل، على أن الإنجيل جاء مؤيداً للتوراة، وإنما هذا القول على سبيل الزجر والتهديد من المسيح كما مَرَّ في مسألة النظر إلى النساء بالشهوة، ليتمسكوا بإجراء حكم الناموس، ويتجنبوا المواد التي تفسد الأخلاق، وتخل بالآداب.

ومَنْ أنصف لَرَأى ما نظمته بَنَانُ الشريعةِ المحمدية والطريقة الأحمدية في سلك العقود، من دُرَرِ جواهر الأحكام المتعلقة بالزوجية على أكمل نظام، وتبيينها حقوقَ الزوجين على بعضهما عند الاجتماع، وعندَ إرادةِ الافتراق، وإجازة الافتراق لدفع ما عسى أنْ يحصلَ لهما من الضرر المؤدي لنحو النفورِ الشديد، لسببٍ من الأسباب، كمشاهدة ارتكاب الزنا، والوقوع في الدياثة إذا غلبت الشهوةُ على أحدهما، وكحرمانِ النسل لأحد الزوجين، إذا كان العقمُ من الآخر، مع أن الباري تعالى جَلَّتْ حِكمته ربط العلائق بين الأزواج لبقاء النوع الإنساني إلى ما شاء أن يبقى.

ويؤيد ما قدمناه أنَّ التلاميذَ على ما يظهر لك في - ص١٩ الآتي من هذه الترجمة قد اعترضوا على المسيح في هذا الحكم، واستعظموا قوله هذا بجوابهم له: إنْ كان هكذا أمرُ الرجلِ مع المرأة، فلا يوافق أن يتزوج، فأجابهم بعد بحث طويل بقوله: «مَن استطاع أنْ يقبلَ فليقبل».

فتأمل في ذلك، يظهر لك أنْ ليس مرادُ المسيح إطلاقَ تحريم الطلاق أو منعه، بل المراد طِبْقَ ما شرحناهُ، وهو الحق الذي لا شك فيه. وفي هذا الإصحاح نقلاً عن المسيح -ف٣٨: «سمعتم أنه قيل: عينٌ بعين وسِنٌّ بسن،

وأما أنا فأقولُ لكم: لا تقاوموا الشرَّ بالشر، مَنْ لطمك على خدك الأيمن، فحوِّلْ له الآخر أيضاً».

أقول: إن رؤساء النصارى فهموا من ظاهر هذه الفقرات إبطال حكم القصاص، والحالُ أنَّ مقصد المسيح ليس كذلك، بل مراده أنْ يُوفِّقَ بين العباد، ويرفع من قلوبهم العداوة والبغضاء، وذلك بحثِّهِ لهم على مسامحة بعضهم لبعض، عن طِيبِ نفسٍ، بعد أن يتمكن المقتصُّ من المقتصِّ منه، إذ لا شك أن في القصاص روحَ الحياة المدنية، وإلا لفسد العالم بأسره، وقد أجمع العالم عليه، وعموم أوروبا الذين يدينون بالنصرانية هم ولا شك في أنَّهم يعلمون أنَّ الإنجيل هو كتابهم المقدس، قد تبعوا نظام العالم، ودانوا لأحكام القصاص. نَعَمْ إن حصل العفو من رَبِّ القصاص، فيكون ذلك العفو أقرب للتقوى، وإلا لم يظهر معنى قول المسيح المار ذكره: «من يغضب على أخيه يستوجب الحكم» إذ لو أخذنا بظاهر قوله: «لا تقاوموا الشر بالشر» لكان نافياً ومناقضاً لقوله: «من يغضب.. إلخ».

وبالجملة فالقصد من قوله: مَنْ لطمك على خدك.. إلخ حَثُّ النفسِ على الأخذِ بالعفو في محله، ومن قوله: ومن يغضب.. إلخ، حَثُّها على التباعد عن سَوْرَةِ الغضب، حتى لا يغضبَ أحدٌ على أحد بالباطل، فقد أمر بالمسامحة وعدم المقابلة بالشر حتى ينحسم الجدال، وينقطع الخصام، وتحصل الأُلْفةُ، وتجتمع الكلمة، فحينئذٍ لا يكونُ قوله في المسألتين مخالفاً لحكم التوراة، كما هو صريح قوله: «ما جئتُ لأنقض التوراةَ بل لأكمله» إلى آخره.

واعلم أن المُغَالِينَ منكم أرادوا التوجيه بين قولي المسيح، أي قوله: «من يغضب على أخيه يستوجب الحكم»، وقوله: «لا تقاوموا الشر». فجعلوا القول الأول حكم التوراة، والثاني حكم الإنجيل، فراراً من أن يلزمهم التناقض بين قولي المسيح، وقالوا: إن الحكم الإنجيلي أفضل.

وقد أشرنا لك بأن كلا قوليه، على صِحَّةِ صدورِهما منه، يُرَادُ بأحدهما الزجرُ الشديد، وبالآخر الأخذ بالأقرب للعفو. هذا هو القولُ الفصل، وإلا فالأخذُ بأحدهما فقط يأتي ضد الإنسانية، ويخالف ما أجمعت عليه القوانين العقلية والنقلية.

ومن تأمل سير الشريعة الإسلامية في هذه المسألة، وجد العدل المحض لأن مَنْ أخذ بحكم التوراة فقط، فقد ينزلُ بالناس خَطْبٌ لا يصلح فيه الاقتصاص والانتقام، فيكون أخذ الحاكم به غير صالح، وربما ينزل بهم خطب لا يصلح فيه إلا الاقتصاص والانتقام، فإنْ أخذَ الحاكمُ بالحكم الإنجيلي، ربما جَرَّأهم على ذنبٍ آخر.

وأما الشريعة الإسلامية فإنها حكمت أنْ يُعاقَبَ الإنسانُ بمثل ما عوقب به، وأنَّ العفوَ أقربُ للتقوى. فالحاكم إذاً يأخذ بما يراه صالحاً للمقام، ولا يكون خارجاً بذلك عن الشريعة، بخلاف ما إذا بَدَا له عدم اتباع أحد حكمي التوراة والإنجيل، فإنه يكون خارجاً عن الشريعة. والله الموفق.

وهذا البحث لم يتابع فيه المترجم سوى لوقا، وقد أورده - بص٦ - ف٢٧ ولكنْ خالَفَهُ بتوجيه الخطاب، كما خالفه بحكايةِ الألفاظ، حيث أن المترجم وَجَّه الخطاب فيه للتلاميذ فقط، ولوقا جعل توجيه الخطاب عمومياً، ومن أراد الوقوف على ما بينهما من الاختلاف، فليراجعهما معاً؛ وفي هذا الإصحاح المذكور - ف٤٣: «سمعتم أنه قيل: تُحِبُّ قريبكَ وتبغض عدوك. وأما أنا فأقولُ لكم: أَحِبُّوا أعداءكم، باركوا لاعِنيكُم، أحسنوا إلى مُبْغِضيكم، وصَلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناءَ أبيكم الذي في السموات، فإنه يُشْرِقُ شمسَهُ على الأشرار والصالحين، ويُمْطِرُ على الأبرار والظالمين؛ لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم، فأيّ أجرٍ لكم، أليس العَشَّارون أيضاً يفعلون ذلك؟ وإنْ سَلَّمتم على إخوتكم فقط، فأي فضل تصنعون، أليس

العشارون أيضاً يفعلون هكذا؟ فكونوا أنتم كاملين، كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل».

أقول: الذي يظهر من هذه الجُمَلِ أنَّ في الزمنِ الأول كانوا يُسَمّون المؤمنَ الطائعَ ابن الله، كما هو الواضح من نصوص التوراة.

وأبناءُ الله، بصيغة الجمع، المؤمنون الطائعون، كما أنَّ الأب يُستعمل بمعنى المُوجِد الحقيقي، وهو الله تعالى، فلا إشكالَ ولا بأس إذاً بإطلاق لفظ ابن الله على المسيح، بالمعنى المذكور، وإلا لَزِمَ أنْ يكونَ جميعُ المؤمنين أبناءَ الله حقيقةً كالمسيح، إذْ صَرَّحَ بقوله: كونوا أبناء الله، فلا بد من حمل معنى كلامه على ما قدمناه.

ومن الضروري أن أُسمِعك أيها الإنجيلي المسيحي الاختلافات الواردة في هذا الإصحاح، عسى أنْ ينكشفَ الحجابُ عن مرآة فِكْرِكَ، وترجع عن قولك بأن هذا الإنجيلَ إلهاميٌّ، وأنه لا تعارض في نظمه، ولا تَخالُف في حكمه، وأنتَ تعلم أن من أحكام التناقض بطلانَ أحد النقيضين، وإذا ثبت بطلان أحدهما، ولا مرجِّح للآخر، سقطت الحجةُ بهما معاً، ووجب عليك، إنْ كنتَ كتابياً، أن تلتمس لك كتاباً، تقومُ به الحجةُ أمام خصمك.

فأقول: قال المترجم - ف١: «ولما رأى الجموع، صعد إلى الجبل، فلما جلس تقدم إليه تلاميذه الخ» وقد اشتهرت تلك الموعظة بأنها خطبة الجبل، وهي من أحكم خطب المسيح، وليس فيها إلا النُّصْح المَحْض، فلم يذكرها مرقس ولا يوحنا، ولكن أوردها لوقا في الإصحاح السادس. وهناك من الاختلاف في التاريخ وغيره ما لا يَخْفى على المُطَّلِع فقال لوقا - ف١٧ من - ص٦: «ونزل معهم - أي من الجبل - ووقف في موضع سهل هو وجمع من تلاميذه وجمهور كثير من الشعب، من جميع اليهودية وأورشليم وساحل صور وصيدا الذين جاؤوا

ليسمعوه، ويُشْفَوا من أمراضهم».

يكفيك أيها المسيحي أنَّ المترجم ذكر أن الخطبةَ كانت بعد أن صعد الجبل، ولوقا جعلها بعد نزولهِ من الجبل، والمترجم حصر المستمعين في التلاميذ، ولوقا جَمَعَ لها الجموع من أورشليم وبلاد الساحل، وأنهم كانوا من سائر طوائف اليهودية، وهو من الاختلاف البيّن.

وفي - ف١٨ منه: «والمعذَّبون من أرواح نجسة، وكانوا يبرؤون، وكل الجمع طلبوا أنْ يلمسوه، لأنَّ قوةً كانت تخرجُ منه، وتشفي الجميع» مع أنَّ لوقا ذكر في ابتداء القصة أن المسيح اختار التلاميذ الاثني عشر، بعد أنْ قضى الليلَ كله بالصلاة لله تعالى، ثم نزل معهم، والمترجمُ أَنِفَ أن يذكر المسيح صَلَّى الليل كله أو بعضه، فحكى ما ذكرناه، ثم قال - ف٢: «ففتحَ فَاهُ وعَلَّمهم قائلاً: طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات» وقال لوقا - ف٢٠: «ورفع عينيه إلى تلاميذه وقال: طوباكم أيها المساكين، لأن لكم ملكوت الله».

انظر إلى قول الأول: ففتح فاه، وإلى قول الثاني: فرفع عينيه. فهل تُصَدِّقُ أن معنى فتح فاه بالعبرانية تأتي بمعنى رفع عينيه بالسريانية أو اللاتينية؟! وزاد المترجم قوله: بالروح، دون لوقا، ثم قال المترجم - ف٤ إلى - ف١١: «طوبى للحزانى لأنهم يتعزون»... إلخ وقال لوقا ف٢١ و٢٢ »طوباكم أيها الجياع»... إلخ.

فانظر بين الحزانى وبين الجياع، وهكذا جميع الخطبة لا تَوَافقَ فيها بين الكلامين، والمترجمُ ذكرَ لفظ طوبى عشر مرات، ولوقا ذكرها أربع مرات، فقال: طوباكم، وزاد على المترجم قوله: وَيْلٌ لكم، وذكرها أربع مرات أيضاً. والمترجمُ لم يذكر الويلَ مطلقاً. وقال المترجم خطاباً للتلاميذ - ف١٣ «أنتم ملح الأرض، ولكنْ إنْ فسد الملح فبماذا يملح، لا يصلحُ بَعْدُ لشيءٍ إلا لأنْ

يُطْرَحَ خارجاً ويداس من الناس».

وخالفه لوقا فذكر ذلك في - ص١٤ - ف٣٤ بقوله: «الملح جيد ولكن، إذا فسد الملح فبماذا يصلح، لا يصلح لأرضٍ ولا لمزبلة، فيطرحونه خارجاً، مَنْ له أُذنانِ للسمع فليسمع». وبينهما اختلافٌ ظاهر.

والمترجمُ ذكرَ أنَّ المسيح سمى التلاميذ نور العالم، ومَثَّلهم بالسراج، ولوقا اقتصر في - ص٨ - ف١٦ على ذكر المثل، ولم يجعل له تعلقاً بالتلاميذ.

والمترجم قال في - ف٤٣ «سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك» إلخ. وقوله «قيل» إشارة إلى أنه مكتوبٌ في أحد أسفار اليهود على ما قالوا، وليس كذلك، وإنما ورد في سِفْر الأحبار - ص١٩ ف١٨ من النسخة المطبوعة سنة ١٨٤٨ في لندن وهذا نصه: «ولا تحقدن على أحد من شعبك بل حب صاحبك كنفسك» وهذا لا يطابقُ ما نقله لوقا في إنجيله، وقد تكرَّرَ تحريفُ هذا النص في النسخة المطبوعة في بيروت سنة ١٨٧٠، وقد سماه: سفر اللاويين، وهذا نصه فيها: «لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك، بل تحب قريبك كنفسك» فقد ثَلَّثُوا التحريفَ بجملة واحدة بالأصل والنقل، كما جعلوا إله العالمين ثالث ثلاثة، وهو إله واحد.

يا أيها المسيحي! أنتَ ترى التغييرَ والتحريفَ متعاقباً بهذه المدة القصيرة، في مثل هذا الزمان المُتَمدِّن المملوء من المعارفِ والعدل والحرية، فكيف حال أناجِيلُكم في الأزمانِ السالفة المشتملة على الجهل والاعتساف والاستبداد، وتلاعب أيدي الأغراض، تَتقلَّبُ في تسعة عشر جيلاً، بين تصحيفٍ وتحريفٍ ونقص وزيادة، وأنت تسمعه بأذنك، وتنظره بعينك، فهل بعد ظهور هذا التحريف والمناقضات، يقال لهذه الكتب الموجودة بأيديكم، أنها مقدسة من التحريف والزلل؟! أستغفر الله، بل هي أقاويل وتصانيف، ابتدعها المترجمون

ومَنْ تابعهم مِن الرهبان الذين تَجَمَّعُوا في بادىء الأمر في قسطنطينية وروميه وبيروت، كما هو مسطورٌ في كتب التاريخ، ثم إن لوقا ابتدأ بالخطبة من - ف١٧ إلى آخر الإصحاح السادس، وجملة فقراتها عنده ٣٢. وأما المترجم فقد بلغت عنده ١١١ فقرة، حيث تخلل في خطبته أمور، عليها شَيَّدَ المسيحيون أركانَ النصرانية، وابتدأ فيها من أول إصحاحه الخامس، وألحقه بالسادس والسابع إلى أن ختم الخطبة بالفقرة الأخيرة من - ص١٢.

فشأنك أيها المسيحي وهذه الأناجيلُ في مُمَاحَكَاتِها[1] ومضارباتها، وأنت تناضلُ عنها بأنها كلام الله المُنَزَّه عن التحريف والغلط والتناقض.

والأعجب من جميع ذلك، فإن مرقس يعجبه أن يتتبع حكايات المترجم، فلم يذكر من هذه الخطبة شيئاً غير أنه ذكر في - ص٣ بأنه تبع المسيحَ جَمْعٌ كثير من الجليل ومن اليهودية ومن أورشليم، وعدَّدَ أسماء المدن إلى أن أمر التلاميذ أن يقدموا له سفينةً من أجلِ الجموع، ثم قال: إنه صعد الجبل، ودعا الذين أحبهم. ولم يذكر من خطبة الجبل على ما ذهب إليه المترجم، ولا من خطبة السهل على رواية لوقا شيئاً، ويوحنا لم يذكر من ذلك شيئاً البتة.

---

(١) المماحكة: التمادي في اللَّجاجةِ (المنازعة).

الإصحاح السادس

- ف١: «احترزوا من أنْ تَصنعوا صدقتكم قُدَّامَ الناس لكي ينظروكم، وإلا فليسَ لكم أجرٌ عند أبيكم الذي في السموات، فمتى صنعْتَ صدقةً، فلا تصوِّت قدَّامك بالبوق، كما يفعل المراؤون في المجامع وفي الأزقة، لكي يُمَجَّدوا من الناس. الحق أقول لكم: إنهم قد استوفوا أجرهم. وأما أنتَ فمتى صنعت صدقة، فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك، لكي تكون صدَقَتُك في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء، هو يجازيك علانية، ومتى صلَّيت فلا تكن كالمرائين، فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع، لكي يظهروا للناس، الحقَّ أقول لكم: إنهم قد استوفوا أجرهم. وأما أنتَ فمتى صليت، فادخل إلى مخدعك، وأغلق بابك وصلِّ إلى أبيك الذي في السماء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يُجازيكَ علانيةً، وحينما تصلون، لا تكرروا الكلام باطلاً كالأمم، فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يُسْتَجابُ لهم، فلا تتشبهوا بهم، لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه، قبل أن تسألوه».

أقول: إن هذا الإصحاح من أوله إلى آخره محتمل أن يكون من الإنجيل الحقيقي، لما فيه من النصائحِ والحَثِّ على البرِّ وأعمالِ الخير، وبه تثبتُ ألوهيةُ الواحدِ الأزلي، ويصرح بأنَّ المسيحَ عبدُ الله ورسولُه إلى بني إسرائيل، وليس بخالق نفسه وأمه كما تزعمون، ويُحَرِّضُ فيه بني إسرائيل على صالح الأعمال، والإخلاص من شوائب الرياء لوجه الله الكريم، لينالوا بذلك الحياةَ الأبدية في الآخرة، ولم يُسندْ لنفسِه شيئاً مما نَسَبُوه إليه، لا صراحة، ولا إشارة، بوجهٍ ما، فأين هذا، هداك الله، من تصنيعات المترجم وتدليسات المخترعين الذين أبطلوا شريعته، وخالفوه وعبدوه من دون الله، وبعد قضية الصلب جعلوه فداءً ولعنة.

فيا أيها العلماء من المسيحيين: لأيِّ حكمةٍ رفضتم أعمالَ المسيح عليه السلام، وهذه أقواله؟ ولأيِّ علة أهملتم أوامره وأمامكم أفعاله؟ ومن أمركم

بنسخ التوراة والإنجيل، ليت شعري! هل أخذتم بظاهر قول بولس في رسالته إلى أهالي رومية في - ص٣ - ف٢٨: «الإنسانُ يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس» وفي - ص٧ - ف٦ من الرسالة المذكورة: «وأما الآن فقد تحررنا من الناموس، إذ مات الذي كنا مُمْسكينَ فيه حتى نعبد بجدَّةِ الرُّوح لا بعتق الحرف».

فأي إيمانٍ يكونُ إلا بالكتب السماوية وتصديق أنبياء الله، وهل عرفنا الإيمان إلا بالناموس الذي هو من أوامر الله تعالى، فعلى فرض ما ذكر، فالمراد أنه بعد أن غابت الشمس المسيحية، برفع المسيح عليه السلام، رجع الناس لما كانوا عليه من الخطايا، وغلبت عليهم الشهوةُ، فتركوا الناموسَ الإلهي في الباطن، وتَمسَّكُوا به بظاهر الحرف والجسد لا بالروح والقلب؛ ويدل على ذلك سابقُ الكلام ولاحقُه، فالأخْذُ بظاهره من اتباع الشهوات ورَفْضِ أحكام التوراة، فنسأل الذي يأخذ بالظواهر، وما سَوَّلَتْ له نفسُه من الأوهام، ولم يجمع أطرافَ الكلام، هل ترضى التوراةَ كتاباً لكَ أم لا؟ فإن قال: لا، حكمنا بكفره وأنه لا إيمانَ له بالمسيح وأقواله، وإن قال نعم، كذلك يكون قد أوجب على نفسه الكفر وأنه لا إيمانَ له، لأنه رفضَ أحكامَها.

وفي هذا الإصحاح - ف٩ قال المسيح عليه السلام: «فصلّوا أنتم، هكذا أبانا الذي في السموات ليتقدَّس اسمك، ليأتِ ملكوتك، لِتكُنْ مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض خُبْزَنَا كَفَافَنَا أعطنا اليوم، واغفرْ لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا في تجربة، لَكِنْ نَجِّنا من الشرير، لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين».

أقول: لا شَكَّ أنَّ العاقلَ المنصف لا يفهم من قوله: كما نغفر نحن للمذنبين أيضاً، إلا معنى التجاوز والسماح من العبدِ لعبدٍ مثله عَمَّا ارتكبه في حقه من العيوب، لا عما ارتكبه من الجريمة والذنوب بالنسبة لخالقه، فإن مثل هذا لا يَتصوَّرُه إلا أحمق، والجملةُ بتمامها إقرارٌ بالعبودية من المسيح، ودليلٌ على أنه

مخلوقٌ لله تعالى وفيه - ف١٦ قال المسيح: «ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين».

أقول: يفهم من قوله هذا أن الصيام كان على طِبْق ما هو مُحَرَّرٌ في التوراة، وهو الإمساكُ عن الأكل والشرب والجماع في مدة محدودة، كما قال تعالى في القرآن المجيد ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [البقرة] إلى آخر الآيات، ولَمَّا عَلِمَ أنَّ نفوسهم بشرية، تَأنَفُ من صعوبة تلك الرياضة التوراتية، وأن أخلاقهم تتحول من البشاشة إلى العبوسة، قال: لا تكونوا عابسين - أي لا تكونوا ساخطين - ولو كان يقصد البهريز الذي اخترعته رؤساء النصارى في مجامعهم، الذي هو عبارة عن تَرْكِ أكل اللحوم إلا السمكَ بسائر أنواعه، وأكل الزيت مع كافة المأكولات وشرب الماء والدخان والقهوة والخمرة، لم يكن هنا لُزومٌ لأن يقول لهم: لا تكونوا عابسين، لأنَّ تلك الحالة لا تُسمى صوماً، وليس فيها صعوبة تقضي عليهم بتغيير أخلاقهم، وأنتَ تعلم أن هذا البهريزَ مَحْضُ تلاعبٍ بالدين، وخروج عن امتثال أوامر رب العالمين الصريحة بالتوراة، ولم نر في الأناجيل الأربعة، لا صراحة ولا إشارة، أنَّ الصوم بهذا المعنى الذي تعتادونه أيها المسيحيون، فلا شَكَّ أنكم قبلتم رشوة معتمدكم بولس في رسائله، فاعتبرتموها في تغييرِ أحكامِ التوراة بهذه الرخصة، وعَرَّضتم أنفسكم لأَنْ تكونوا أضحوكة للعالم إذ جعلتم هذا البهريز في زمن غلاء اللحم، كما هو مُشَاهَدٌ في كل قطر، وإذا سألكم سائل عن وجوب هذا البهريز، وبأيِّ إصحاحٍ من أناجيلكم ثَبَتَتْ مشروعيتُه، لم تجدوا لذلك جواباً، كأنكم لم تفهموا خطاباً، ولو تأملتم حال متبوعكم المسيح عليه السلام، لوجدتموه يصومُ ويَتَعَبَّد طِبْقَ أحكام التوراة، والدليل على ذلك أنه أجرى عوائدَ عيدِ الفصح كعادة بني إسرائيل، وقد صرح بذلك إنجيل متى في - ص٢٦ - ف١٧ وإنجيل مرقس - ص١٤ - ف١٢ وإنجيل لوقا ص٢٢ ف١٧ وهو العيد المشهور عند بني إسرائيل بعيد الفطير، ولم يُجْرِ المسيح عوائدَ هذا البهريز، لأنه عَبَثٌ ولعب بالدين من بولس وأمثاله الذين ابتدعوا من اللعب

بالدين ما هو أمرٌ وأدهى، مثل قضيةِ غفرانِ القسِّ لمن يأتيه من الغانيات والعذارى والشباب مقرين له بخلوة عن الناس بما اقترفوه من الذنوب.

فنقولُ للمعتقدِ لمثلِ هذا الهذيان: إذا كان هذا الغفران، على ما تزعمونه، يُخَلِّصُكم من الخطايا، فلماذا تصومون؟ وإنَّ مُعْتَمدكم بولس الذي هو أعلى رتبة من الأنبياء بزعمكم، قد حَصَرَ الأعمال في مجرد الإيمان، فما الحاجةُ إذاً لهذا الصيام، وما الفائدة للصلاة والقيام؟ وقد زعمتم أنَّ الإله المسيح قد أهان نفسه بالصلب، وصار خروفاً ولعنةً لأجلِ غفران خطايا العالم، فلا مَزِيّة إذاً للتّعبد بشيءٍ كالبهريز وغيره، فقد حَيَّرتمُ الأفكار بمثل هذه الأحوال، فلا حولَ ولا قوّة إلا بالله.

وليتأمل المنصف فيما ذهبت إليه الملة النصرانية، في مثل التزامها في مبادىء البهريز، من العادات التي يسمونها «مَسْخرة» ويقولون: إن ذلك يسمى ترفيعاً: بمعنى ترويضاً للنفس، أفلا يَحقُّ لمخالفيهم أنْ يُسَمّوا مَنْ يفعل ذلك بالمجانين والمتوحشين. وهل يحق لعظماء تلك الملة كموسيو[1] «هانوتو» من الأمة الفرنساوية والمستر «وليم» من الأمة الإنكليزية أنْ يَعِيبوا المسلمين في عاداتهم التي منها أيام صومهم، يحبسون أنفسهم عن الشرب والجماع والطعام، ويجتنبون عن فُحْشِ الكلام، ويلازمون التوبةَ والاستغفار في المعابد إلى الغروب، وبعد العشاء يبادرون إلى الصلاة التي يسمونها «تراويح» ويتهجدون ليلاً إلى أن ينفجر النهار، وهم مشغولون بالعبادة للواحد القهار.

أمِنَ الإنصاف القَدْحُ في مثل هذه العادات ومَدْحُ رقْصِ النساء مع الرجال في ليالي المَسْخرة والبهريز، وَعَدُّ هذا الرقص والسخرية من العادات الحسنة؟!

ومن أغرب عاداتهم في ليالي البهريز أنهم إذا أرادوا الصدقة على قوم

---

(١) كلمة «مسيو» أو «موسيو» بالفرنسية، أو «مستر» بالإنكليزية، تعني: السَّيِّد بالعربية.

والإحسان إليهم، يجتمع جَمْعٌ منهم تحت رياسة من يرضون تقدمه في ذلك، ويُرَتِّبونَ ليلةَ لَهْوٍ ورقْصٍ في أحد الحانات العمومية، وتُعلَنُ تلك الليلة للعموم، ويُرْسَمُ على مَنْ أراد الدخول شيء يدفعه، بحسب ترتيب الجمعية، فيحضر كُلُّ مَنْ يرغب الاجتماع بالغانيات. ومشاربُ القوم شتى، ولا تسأل عما يكون في تلك الليلة، حيث يكون الاجتماع عمومياً، فلا مُؤَنِّبَ ولا رقيب. ويسمى ذلك (بالو)، ومن الضروري أن تعين الجمعية جماعة، يضربون بالآلات المطربة، ويجتمع في هذا المحفل العظيم المئات من العذارى والغانيات والشبان، وتأخذ الآلات حينئذ تضرب الأنغام، والقومُ يشربون المُدامَ مع تلك المِلاح، فتقوم إحدى العذارى أو الغانيات، وتَحضنُ مَنْ تشاء من الشبان، ويتعانقان معانقة العشاق، ويتراقصان تراقص الفُسَّاق؛ ولا تسأل عما يكون لتأثير نشوة الشرب وحرارة لحم الخنزير ولواعج الشوق، ولا يزالان كذلك إلى أن يقعدهما التعب، فتتقدم الأخرى، ويقوم الآخر، ويتقاسمان هذا النصب.

وهكذا بالمناوبة يتراقصون إلى الفجر، والتي تفوقُ أختها بما تُبْدِيه من أنواعِ الغنج، يكون لها الفخرُ. والمبلغُ الذي يجتمع من فضلات هذه المعصية، تُعْطى لمن تَخصَّصت له هذه الصدقة باسمه، فما أحقَّ القومَ بقولِ الشاعر.

تصَدَّقَتِ الزنّاءُ من كَدِّ فَرْجِها   لها الويل لا تزني ولا تتصدق

فإني أسأل موسيو هانوتو بالشرف والناموس، هل يُعَدُّ هذا القبيحُ من الأعمال حسناً، وهذا المبلغ الذي يجتمع من تلك المعصية صدقة؟ فأين هو إذاً من قول المسيح «فمتى صنعتَ صدقةً فلا تصوّت» إلخ، أنصفونا، أمِنَ المروءة أن يُمدح هذا التهتك المخالف للدين المنافي للغيره، ويُقدح في محاسن عوائد الإسلام، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وفي هذا الإصحاح - ف٢٤ قال المسيح: «لا تقدرون أن تخدموا الله

والمال»، وفيه - ف٢٦ قال المسيح: «وأبوكم السماوي يقوتها»، وفيه أيضاً - ف٣٢ قال المسيح: «أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها، لكن اطلبوا أولاً ملكوتَ الله وبِرَّه، وهذه كلها تزاد لكم».

أقول: يظهر من هذه الجمل أن المسيح، سلامُ الله عليه، صرح أن له إلهاً، هو إله العالمين، وبيده الخيرُ والشر كله، وأنه المُعْطي المانعُ الضار النافع، خَلَقَ الخَلْقَ، وتكفَّلَ بأقواتهم، فيجب على العاقل البصير أن يرفض الدنيا وزُخرُفها، ولا يهتم بها، فإنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، إذ هي التي تَشْغلُه عن عبادةِ ربه وخالقه، وأنكم أيها المخلوقون لا تقدرون أن تقوموا بخدمته، وأنتم منهمكون على الدنيا.

وقوله: «وأبوكم»؛ أي: خالقكم ومربيكم في أصلاب آبائكم وأرحام أمهاتكم.

وقوله: «أباكم السماوي يقوتها»، أي: إلهكم الذي علا على السموات عرشُه، خلقكم وقدَّر أقواتكم، ويعلم أنكم تحتاجون إلى الطعام والشراب وما يتعلق بهما من الضروريات، فأخبركم بقوله: إنه يعلم ذلك، فاطلبوه بالعبادة وحده، ولا تُشركوا به شيئاً، واشكروهُ على أنْ وَفَّقكم لعبادته وطاعته، لأنه خلقكم لكي تُوحِّدُوه وتنزهوه عما يُخِلُّ بعظمته، فهو من كرمه ورأفته يُدرّ عليكم بره، ولئن شكرتم ليزيدنكم.

ومَنْ تأمَّلَ تلك السطور، يعلم منها أن المسيح عليه السلام مبعوثٌ لنصيحة الخلق وإرشادهم وإرجاعهم لعبادة الواحد الأزلي، ليس لعبادة التثليث.

فيا أيها النبيه، إن كنت مسيحياً، يلزمك أن تصدقه وتتبع نصيحته، وإن كنت تعتقد خلاف ما بَلَغك، فلماذا تغالطُ بقولك إنك مسيحي من أهل الكتاب ومُوَحِّد؟ ليت شعري! أي شيء جبرك على قبول قول المترجم المجهول وبولس الرسول فيما يوافقُ هواكَ من التثليث، ولم تقبل قول بولس نفسه في رسالته

الأولى إلى تيموثاوس - ص٢ - ف٥ حيث قال: «يوجدُ إلهٌ واحدٌ ووسيطٌ واحد بين الله والناس» الإنسان يسوع المسيح، وقد صدقه إنجيل يوحنا على ذلك كما في - ص٦ - ف٣٨ قال المسيح: «ليس لأعملَ مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني» فلو سألنا الأطفالَ وربَّات الحجال عن هذا الوسيط الذي لا يعملُ بمشيئة نفسه، هل يكونُ إلهاً خالقاً أمَّهُ ونَفْسَهُ، كما تزعم النصارى، أو رسول بشر مخلوق كسائر المخلوقات؟! لا شك أنهم يُجيبون من دون تَرَدُّدٍ، بصراحةِ القول وفصيح اللسان: إن هذا الوسيط رسولٌ ومخلوق، يعبد ربَّ الأرض والسمواتِ.

ولا بأس أنْ نذكرَ لك المناقضات الواقعة في هذا الإصحاح، وقد تقدم قول المترجم - ف١: «احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم - إلى آخر قوله - ف٤ - لكي تكون صدقتك في الخفاء» وقد انفرد بذلك دون الأناجيل الثلاثة، والعجبُ لهم في تواطئهم على مثل ركوب الجحش الآتي حكايته، وسكوتهم عن مِثْلِ هذه الوصية! ثم ذكر المترجم - ف٥ وهو قوله: ومتى صليت الخ الفقرة الثامنة، فهذا أيضاً مِمَّا انفرد به، ورغماً عن أنفه قد خالفته عموم النصرانية، فإنهم لا يُصَلُّون إلا على عَزفِ الآلة التي يسمونها «أرغون» كما نَعْهَدُه في الكنائس، وحيث أن تلك الآلة من مخترعات الغربيين، فمن الضروري يكون استعمالها عندهم مقدماً على الشرقيين.

ثم قال المترجم - ف٩: «فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك» إلى آخر ما أتينا عليه من ألفاظ الصلاة، ولوقا ذكر تلك الصلاة في - ص١١ - ف١ ما نصه: «وإذ كان يصلي في موضع، لما فرغ قال واحد من تلاميذه: يا رب علِّمنا أن نصلي، كما علم يوحنا أيضاً تلاميذه فقال لهم: متى صَلَّيتم؛ فقولوا: أبانا الذي في السموات، ليتقدَّس اسمك، ليأتِ ملكوتك، لتكن مشيئَتُكَ كما في السماء كذلك على الأرض، خُبْزَنا كفافَنا، أَعْطِنَا كُلَّ يوم، واغفرْ لنا خطايانا، لأننا نحنُ أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا، ولا تُدْخِلنا في تجربة،

لكن نَجِّنا من الشرير».

ومرقس ويوحنا لم يذكرا شيئاً من هذه الصلاة، فلم يكن إلا لوقا والمترجم، ويا بُعْدَ ما بينهما في التاريخ، لأنَّ المترجم أثبت تعليمهم الصلاة أثناء الخطبة، ولوقا ذكرها بَعْدُ بزمنٍ بعيد، وأفاد أنه لم يعلمهم المسيح ذلك إلا بعد سؤال التلميذ له؛ ومنه يُفْهَمُ أنَّ التلاميذَ في هذا الزمن الطويل، لم يُعَلَّمُوا الصلاةَ، وهو من أبعد البعيد، والمترجم قال: أعطنا كفافنا اليوم. ولوقا يقول: كل يوم، والمترجم قال: لأنَّ لكَ الملك والقوة والمجد إلى الأبد أمين. ولوقا لم يذكر ذلك أبداً، فيكفي تلك المخالفات في الصلاة التي هي من أهم العبادات.

ثم من المخالفات في ذلك الإصحاح قول المترجم ف٢٦: «انظروا إلى طيور السماء، إنها لا تزرع ولا تحصد، ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يَقُوتُها، أَلَسْتُم أنتم بالحري أفضل منها» فإنه ذكر طيوراً، وزاد قوله: إلى مخازن. ولوقا حصر نوع الطيور في الغربان، والمترجم قال: أبوكم السماوي، ولوقا قال: الله يُقيتها. ثم مَنْ تأمَّلَ إلى - ف١٩ و ف٢٥ و ف٢٨ و ف٣٣ من هذا الإصحاح وقابله مع - ف٣٣ و ف٢٢ و ف٢٧ من - ص١٢ من إنجيل لوقا، يظهر له ما بطن من المخالفات، ومع هذا تُسَمُّونه إنجيلاً ملهماً، فلا حولَ ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الإصحاح السابع

تقدمت إليك الإشارات إلى أنَّ هذا الإصحاح، في هذه الترجمة، بِرُمَّتِهِ من خطبة الجبل، وهو من الكلام الذي لا بأس ببعضه، لولا ما في البعض الآخر من المخالفات، وقد أعلمناكَ أن هذه الخطبة لم يذكرها سوى المترجم ولوقا، ولكن يا بُعْدَ ما بينهما، لأنَّ المترجم قال: إنَّ المسيح خطبها في الجبل، وأطال فيها وأطنب، بمحضر من تلاميذه فقط، ولوقا روى أنه خطبها في السهل، واقتصر وأوجز، وجعلها بمحضر ألوفٍ من الأمم اليهودية الذين تَجَمَّعُوا إليه من أطراف البلاد، وأغلبهم مصابون بأنواع الأمراض، ولا بأس أن نتلو عليك أيها المطالع بعض هذا التخالف، ونشرح أثناء ذلك بعض الكلام الذي يسمونه إلهامياً.

قال المترجم - ف١: «لا تُدينوا لكي لا تُدانوا، لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون، وبالكيل الذي به تكيلون يُكالُ لكم» ولوقا اقتصر على صدر الفقرة في - ص٦ - ف٣٧ فقال: «لا تدينوا فلا تدانوا» ولكنه قال - ف٣٨: «أعطوا تُعْطَوا كَيْلاً جيداً مُلَبّداً مهزوزاً فائضاً، يعطون في أحضانكم، لأنه بنفس الكيل الذي به تكيلون يُكالُ لكم».

فقد تخالفا، كما أن المترجم زاد «لا تدينوا» ولوقا جعل الكيل ملبداً مهزوزاً في الأحضان، وهكذا في سائر هذا الإصحاح وقع التخالفُ بين المترجم ولوقا، فلم يَتَّفِقَا في ألفاظِ الفقرِ التي تواردا عليها.

وفيه - ف١٥: «احترزوا من الأنبياء الكَذَبة الذين يأتونكم بثيابِ الحملان، ولكنهم من داخلٍ ذئابٌ خاطفة» ولم يوافقه على هذا النص أحد الإنجيليين.

وفيه - ف٢١: «ليس كل مَنْ يقول لي: يا رب! يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادةَ أبي الذي في السموات كثيرون، سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب! أليس باسمك تنبئنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا

قوات كثيرة؟! فحينئذ أصرح لهم أني لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم، فكل مَنْ يسمع أقوالي هذه، ويعمل بها، أُشَبّهه برجل عاقل، بنى بيته على الصخر» انتهى.

وعبارة لوقا كما في - ص١٣ - ف٢٥: «من بعد ما يكون رب البيت قد قام، وأغلق الباب، وابتدأتم تقفون خارجاً، وتقرعون الباب قائلين: يا رب يا رب افتحْ لنا، يجيب ويقول لكم: لا أعرفكم من أين أنتم؛ حينئذٍ تبتدئون تقولون: أكَلْنا قدامك وشَرِبنا، وعلّمت في شوارعنا، فيقول: أقولُ لكم لا أعرفكم من أين أنتم، تباعدوا عني يا جميع فاعلي الظلم» انتهى.

والخطابُ بلفظ «يا رب» في عبارتيهما، مع سياق الحكاية المنبىء عن كونِ ذلك يكونُ يوم القيامة، مما يقصدون به إضلال العوام، لما فيه من الإيهام، لأن اسم الرب مختصٌّ بالله تعالى في العرف العام، وإنْ كان معناه المُعَلِّم كما في - ص١ - ف٣٨ من يوحنا، ثم لا يخفى ما في العبارتين من المخالفة في الألفاظ التي أدت إلى التغاير في المعنى، مع بُعْدِ الواقعة بين الإنجيليين، مع أن العبارتين صدرتا منه في مجلسٍ واحد، فهل تتوهمون أيها المسيحيون أنَّ الوحيَ يصح فيه هذا الاختلاف؟! حاشا! وليس هناك إلا أن تقول: إن الوحي الذي نزل على المترجم خلاف الوحي النازل على لوقا، ولا يبعد من عقولكم مثل هذا، لأنكم تلاعبتم بالدين إلى درجة، أصبح فيها عمومُ عقلاء الشعب الأوربي يهزأ بكم، ولو أنصفتم وجرَّدتم تلك الفقرات من الحشوِ الزائد، لَصَحَّ أن تكون هذه الإخبارات من معجزات عيسى عليه السلام، إذ قد أخبر أنه سيوجد مثل هؤلاء المتنبئين والمترجمين.

وقد كتب بطرس رئيس الحواريين في آخر رسالته الثانية ما معناه: أن بولس حَرَّرَ برسالته ألفاظاً عسرة الفهم، وتحرَّفت بواسطة أناس غير ثابتين، كما حرفوا باقي الكتب أي الأناجيل، وقد ذكر يهوذا الحواري أيضاً برسالته مثلَ ذلك، فلم

يبق شَكٌّ في التحريف، كما هو ظاهر من افتراء هؤلاء المُحَرِّفين على الله تعالى ورسوله، وقد أضَلُّوا مئات من الملايين في كل جيل، من بدء ظهورهم إلى الآن، بمجرد ادّعائهم أنهم أمناء الوحي، وهم أعداؤه، فهم ذئابٌ خاطفة لابسون ثياب الحملان، كما قال عليه السلام، لأنهم أدخلوا بالإنجيل ما ليس منه وصَنَّفُوا الرسائل وملؤوها من الخرافات التي تقشعرُّ منها الجلود، كقولهم، باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، الذي لا يُفهم منه إلا مَحْضُ الشرك، وكقولهم: إن المسيح أعطى مفاتيح ملكوت السموات لبطرس، وأن ما يعقده الرهبان في الأرض، ينعقدُ في السماء، وكقولهم بأنَّ صورة الله كصورة المسيح، وأنه مُعادِلٌ له، تعالى الله عن ذلك.

تنبيه

يستلزم من هذا الهذيان أن صورة الوثني كصورة الله، لأنَّ له رِجْلين ويدين وفماً وشفتين ومنخراً وعينين وشعراً وأذنين وجسداً وأحشاء كعيسى. وكقولهم: إنَّ الأنبياء سُرَّاقٌ ولصوص، وإن لوطاً زنى في بناته، وأن المسيح خلَقَ نفسه وأمه، وأن المسيحيين شركاء الله، ثم قالوا: إن المسيح والتوراة لعنة، والإنجيل أحذية، وأن المسيح هو الله. ثم نزّلوه درجة وقالوا: إنه ابنُ الله، وأمه امرأةُ الله. وتارة أم الله. ثم قالوا: إنها تزوجت يوسف النجار، ولها منه أولادٌ غيرُ الله، فيستلزم من خرافاتهم أنه كان لله إخوة وأخوات، نعوذُ بالله من غضب الله، وأنهم على ما ذكره بولس في - ص ٥ من رسالة رومية كانوا أعداء الله، ثم صالحهم بموتِ ابنِهِ يسوع. ولله دَرُّ العلامة صالح أفندي زكي حيث قال:

إنـي لأعجـبُ مـن مليـكٍ قـادر قد أصبحتْ كل الخلايق جندَه
وَيجِل عن حُمْقٍ فكيف يقال قد صَلَـبَ ابنـه حتـى يصـالـح عبـدَه

وهكذا من الخرافات والأكاذيب التي نشأت من تلك الأنبياء الكَذَبَة المارِّ

ذِكْرُهم، والمسيحيون أيضاً بنوا قواعدهم على هذا الهذيان، وأسسوه على شفا جُرُفٍ هارٍ، فانهار بهم في النار. والأقبحُ من هذه الأباطيل أنهم يسمون هذا الخبطَ بالإنجيل المقدس.

وهذه عَبَدَةُ الأوثان يُقِرُّونَ أنهم لم يعبدونها لذاتها، بل لِتُقَرِّبهم من الله، فقد جعلوها غيرَ الله. وأنتم تقولون واحدٌ في ثلاثة، وثلاثةٌ في واحد، فيقال لكم يوم الدينونة: اذهبوا يا فاعلي الإثم، كما نَصَّ المسيح آنفاً، وإن عارض المعاند منكم بقوله: إن الذين ذكرهم المسيح ليسوا مَنْ تَعْنيهم، طلبنا منكم تعيينَ أسماء الذين تنبؤوا وأخرجوا الشياطين باسم المسيح، وكانوا لابسين ثياب الحملان، وهم ذئابٌ خاطفة ومرتدون عن الدين، فليس المراد بهم سوى مَنْ ذكرناهم، لأنهم موصوفون بهذه الصفات.

وقد شهد المؤرخون على المترجم بأنه افترى بترجمته، واختلس الإنجيل العبراني، وعلى بولس بأنه ارتدَّ عن الدين. هذا ونختمُ الكلام على هذا الإصحاح في ذكر آخر فقرة منه، قال المترجم - ف٢٨: «فلما أكمل يسوع هذه الأقوال، بُهِتت الجموع من تعليمه، لأنه كان يعلمهم كَمَنْ له سلطان، وليس كالكَتَبَة» وهو يخالف ما في لوقا - ص٧ ف١ «ولما أكمل أقواله كلها في مسامع الشعب، دخل كَفْرَ ناحوم» فتبصَّر.

الإصحاح الثامن

قال ف١: «ولما نزل من الجبل، تبعته جموع كثيرة، وإذا أبرصُ قد جاء وسجد له قائلاً: يا سيد إنْ أردتَ تقدر أن تطهرني، فمدَّ يسوع يده ولمسه قائلاً: أريد، فاطَّهر، وللوقتِ طَهُر برصُه، فقال له يسوع: انظر أن لا تقولَ لأحد، بل اذهب أرِ نفسَك للكاهن، وقدِّم القربان الذي أمرَ به موسى شهادة لهم».

أقول: لم يوافقه من الإنجيليين في رواية هذه المعجزة غير لوقا، لكنه اضطرب في روايته، واختلف في الألفاظ والتاريخ، وهذا نصه في - ص٥ - ف١٢: «وكان في إحدى المدن، فإذا رجلٌ مملوء برصاً، فلما رأى يسوعَ، خَرَّ على وجهه، وطلب إليه قائلاً: يا سيد إن أردت؛ تقدر أن تطهرني، فمد يده ولمسه قائلاً: أريد فاطّهر، وللوقت ذهب عنه البرص، فأوصاه أن لا يقول إلى أحد، بل امض وأرِ نفسك للكاهن، وقدِّم عن تطهيرك كما أمر موسى شهادة لهم».

فأما الاضطرابُ الحاصل في روايته، فإنه قال: «في إحدى المدن» ولوقا هذا وعد في أول إنجيله أن يتبع الحق فيقوله، وعبارته تدل على أنَّ مَنْ روى له تلك المعجزة نسيَ مكان وقوعها، والمترجم عَيَّنَ المحل، وأنه عَقِبَ نزوله من الجبل. وأما الاختلاف في الألفاظ فظاهرٌ، والروايتان أمامك، والنبيه تكفيه الإشارة. وأما بعد التاريخ فإن المترجم ذكر ذلك بعد خطبة الجبل، ولوقا قبل ذلك، وعلى كلٍّ فإن تلك المعجزة مُسَلَّمَة عندنا من غير جحود، ولكن ننكر على هذا المترجم ولوقا الذي تزلق بأثره، كيف ساغ لهما أن يُلبسا الحقَّ بالباطل، ويُثْبتا السجودَ للعبد دون المعبود، وقد ثبت عنهم أن المسيح مَنَعَ أن يقال له: يا صالح، ثم أَوْهَمَا بقولِهما: ولمسه قائلاً أريد، فاطَّهر، فجعلا له الإرادة في ذلك، وعميت عيناهما عن قول المسيح عليه السلام بلفظ صريح بيِّن كما في إنجيل يوحنا - ص٦ - ف٣٨: «لا أعمل مشيئتي، بل بمشيئة الذي أرسلني»

وصُمَّتْ آذانُهما عَمَّا هو مسطور بإنجيل لوقا ص٢٢ - ف٤٢ من قوله: «يا أبتاه إنْ شئت أن تُجيزَ عني هذا الكأس، ولكن لا إرادتي بل إرادتك» وحكاية المترجم بص١٢ - ف٢٨ - قوله: «أنا بروح الله أُخْرِجُ الشياطين» والمنصف يستدل بذلك على إثبات نبوة المسيح عليه السلام، بإظهار المعجزات على أنه متابع لأحكام التوراة من قوله: اذهب وأرِ نفسك للكاهن، وقدِّم القربان الذي أمر به موسى شكراً لمولاك، إذ جعل شفاءك على يدي.

وقولهما شهادة لهم، أي إعلاماً لبني إسرائيل أنني رسولٌ وصاحبُ معجزات ومؤيد للتوراة.

واعلم أنَّ تخصيصَ المسيح عليه السلام بإبراء الأكمه والأبرص لحِكْمةٍ، هي أنَّ الزمن الذي أُرْسِلَ فيه المسيحُ زمنٌ ترقّى فيه الطب إلى درجة الكمال، فأيده الله تعالى بتلك المعجزات، ليُقِرّوا بعجزهم فيما يَدَّعونه، ويعلموا أن ذلك شيء خارق للعادة وخارج عن طوق قدرتهم، لا يدخلُ تحتَ قانونِ أحكموه، ولا اختراع ابتدعوه، فيعلموا أنه من عند الله، كما أن معجزات موسى عليه السلام مثل قلب العصا ثعباناً وانفلاق البحر له ولقومه وهكذا، لِحِكْمةٍ هي أنَّ السحر في زمنه أخذ دوراً عظيماً في الترقي، ولهذا آمنت السَّحَرةُ عندما شهدوا ذلك، إذ علموا أن هذا لا يدخل تحت الأعمال السحرية، وهذا معلومٌ عندكم بالضرورة ومسطور في التوراة.

والحاصل أن الباري جلت حكمته، يؤيد كل نبيٍّ بالمعجزات التي تكون حجة على الأمة المرسل إليها ذلك النبي، ومَنْ تأمَّلَ وأنصف، رأى أن باب التأويل أتم وأكمل في نصوص الإنجيل، بل في التوراة، وأغلب آي التنزيل بأن يقال: إن عيسى عليه السلام قد أحيا القلوبَ الميتة، وأخرج أصحابها من صَمَمِ الجهالة وعمى البصيرة وبَرَصِ الذلِّ إلى نور العلم والهداية وعِزِّ الدين، إلى غير ذلك مما يختص بها.

وهذا التأويلُ واجب في بعض آيات الإنجيل، إذ فيه أنهم لما طلبوا منه مائدةً من السماء قال: ها أنا ذا. ولا يخفى على بصير أن عيسى ليس طعاماً يؤكل ولا شراباً يُشرب، فأراد أنه هو المأكلة المعنوية والهداية الربانية، قال المترجم - ف٥: «ولما دخل يسوع كَفْر ناحوم جاء إليه قائد مئة يطلبُ إليه ويقول: يا سيدي غلامي مطروحٌ في البيت مفلوجاً متعذباً جداً، فقال له يسوع: أنا آتي وأشفيه، فأجاب قائد المئة وقال يا سيد: لستُ مستحقاً أن تدخل تحت سقفي لكن قُلْ كلمةً فقط فيبرأ غلامي» انتهى.

وخالفه لوقا، وهذا نصه في ص٧ - ف٢: «وكان عبداً لقائد مئة مريضاً مشرفاً على الموت، وكان عزيزاً عنده، فلما سمع عن يسوع أرسل إليه شيوخ اليهود، يسأله أن يأتي ويشفي عبده، فلما جاؤوا إلى يسوع، طلبوا إليه باجتهادٍ قائلين: إنه مستحق أن يُفْعَلَ له هذا، لأنه يحب أُمَّتَنَا، وهو بنى لنا المَجْمَعَ، فذهب يسوع معهم، وإذ كان غير بعيد عن البيت، أرسل إليه قائد المئة أصدقاء يقول له: يا سيدي: لا تتعب، لأني لست مستحقاً أنْ تدخلَ حتى تحت سقفي، لذلك لم أحسب نفسي أهلاً أن آتي إليك، لكنْ قُلْ كلمةً فيبرأ غلامي».

فانظر هداك الله، فإن مَتَّى يقول: جاء إليه قائد المئة بنفسه، ولوقا يقول: أرسل إليه شيوخ بني إسرائيل، ويمتنعُ عقلاً إتيانُهم إلى المسيح، لأنهم يَمنعونَ الشعبَ عنه، لما يَعتقدون من كَذِبِه، ويطلبون قَتْلَهُ، كما ثبت ذلك من أناجيلكم، وفي هذا من التخالف ما لا يخفى. ويوحنا ذكر هذه الحكاية ونصه كما في - ص٤ - ف٤٦: «وكان خادم للملك ابنه مريض في كفر ناحوم هذا إذْ سمع أنَّ يسوع قد جاء من اليهودية إلى الجليل، انطلق إليه وسأله أن ينزل ويشفي ابنه، لأنه كان مشرفاً على الموت، فقال له يسوع: لا تؤمنون إنْ لم تروا آياتٍ وعجائب؟! قال له خادم الملك: يا سيد انزل قبل أن يموتَ ابني، قال له يسوع: اذهب ابنك حي».

فتأمل، عافاك الله، تَضَارُبَ الروايات الثلاث بالألفاظ حتى أدت إلى الإخلال بالمعنى، فواحدٌ يجعلُ المسيح جاء إليه، وآخر يجعله امتنع، وآخر يجعل السائل نفس قائد المئة، وأنه جاء بنفسه إلى المسيح، والثاني يقول: تَوسَّطَ له بشيوخ اليهودية، وبعضهم يجعل المريض مفلوجاً، وآخر يقول: مريضاً مَرَضاً أشرف فيه على الموت. والله إنّ هذا لا يَصحُّ عن مُؤَرِّخٍ من العامة ضعيفِ الفكر فضلاً عن الملهمين.

ثم قال المترجم - ف١١: «وأقول لكم: إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويَتَّكِئُون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السموات، وأما بنو الملكوت فيُطرَحون إلى الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاءُ وصريرُ الأسنان».

أيها المسيحي: إذا أنصفت، تحكم بأن هؤلاء الذين سيأتون من مشارق الأرض ومغاربها هم الأمة المحمدية، لأنكم مخاطبون حاضرون إذ ذاك، والمسيحُ سلامُ الله عليه يخبر عن قوم، سيأتون في مستقبل الزمن، وقد أخرجكم[1] بقوله: وأما بنو الملكوت الخ. وسيأتي في الإصحاح العشرين كلامٌ يتعلق بهذا البحث إن شاء الله تعالى، وقد ذكر لوقا هذه الجملة، وفيها قليلٌ من الاختلاف في الألفاظ، ثم ذكر المترجم عقب ذلك - ف١٤ حكاية حُمّى حماة بطرس، وقد تواطأ معه في هذه الحكاية مرقس في - ص١ - ف٢٩ - ولوقا - بص٤ - ف٣٨ ولم يذكرها يوحنا، كما أنه لم يذكر شفاء المرضى في بيت سمعان، فإن الثلاثة دونه ذكروا أن المسيح عندما كان في بيت سمعان، قدموا له السُّقَماءَ بأمراض مختلفة، فشفاهم. ومثل هذا تكرر ذِكْرُه في الأناجيل، وفي ذكر معجزة إحياء العازر غنى عن مثل هذا التناقض الصريح، ثم قال المترجم - ف٢٠: «فقال له يسوع: للثعالب أوْجِرَةٌ ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه».

(١) هكذا في المطبوع، ولعلها (أخبركم).

أقول: صدق بقوله عليه السلام، لأنه زهدَ عن الدنيا وما فيها. وهذا النصُّ من البراهين الدالة على أنه مخلوقٌ مُفْتَقِرٌ لله تعالى. ثم قال ف٢٣: «ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه، وإذا اضطراب عظيم قد حدث في البحر حتى غطت الأمواجُ السفينةَ، وكان هو نائماً، فتقدم تلاميذهُ وأيقظوه قائلين: يا سيدي! نَجِّنا فإننا نهلك فقال لهم: ما بالكم خائفين يا قليلي الإيمان، ثم قام وانتهرَ الرياحَ والبحر، فصار هدوء عظيم، فتعجب الناس قائلين: أي إنسان هذا! فإن الرياح والبحر جميعاً تطيعه» انتهى.

وقوله: كان نائماً، فهل ينامُ الإله، ولا يُحِسُّ بهذا الأمر العظيم، وهو مستغرقٌ بلذة النوم إلى أنْ أيقظوه، فهل هذا شأنُ الإله؟! ثم من أين كان في السفينة ناسٌ حتى يقال: فتعجب الناس، ولم يكن فيها غير التلاميذ، ويبعد أن المراد من الناس التلاميذ العارفون بأسرار الله.

ثم قال المترجم في آخر هذا الإصحاح - ف٢٨: «ولما جاء إلى العبر إلى كورة الجرجيسيين، استقبله مجنونان خارجان من القبور هائجان جداً، حتى لم يكنْ أحدٌ يقدر أن يجتاز من تلك الطريق، وإذا هما قد صرخا قائلين: ما لنا ولك يا يسوع ابن الله، أَجئتَ إلى هنا قبلَ الوقتِ لِتُعذِّبنا، وكان بعيداً منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى، فالشياطين طلبوا إليه قائلين: إنْ كنتَ تُخرجنا، فَأْذَنْ لنا أن نذهبَ إلى قطيع الخنازير كله، فقال لهم، امضُوا، فخرجوا ومضوا إلى قطيع الخنازير، وإذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف إلى البحر، ومات في المياه. أما الرعاةُ فهربوا، ومضوا إلى المدينة، وأخبروا عن كُلِّ شيء وعن أمر المجنونين، فإذا كلُّ المدينة قد خرجت لملاقاة يسوع، ولما أبصروه، طلبوا أن ينصرف عن تخومهم».

أقول: لا شاهدَ أعدل من العقل على التحريف من هذا النقل، ولا سيما قوله: للخنازير رعاةٌ، فهي إلحاقية لا شك فيها، وما أراد هذا المترجم بذلك إلا

إباحة لحم الخنزير الذي لم يكن مألوفاً أكله في الأمم المتقدمة، بل محرم في سائر الأديان، لا سيما في الشريعة الموسوية، فإنَّ نصوص التوراة متضافرة ومشددة على تحريمه ضمناً وصراحة، والإنجيلُ أَيَّدَ هذا الناموس، والمسيحيون أقروا أنه لم يحلّ لهم أكلُ لحمهِ إلا بعد رفع المسيح عليه السلام بمدة طويلة، كما صرح بذلك في - ص١٥ - ف٢٩ - من أعمال الرسل.

ومع هذا فإنَّ بداهةَ العقل تُكَذِّبُ تلك الرواية، إذ من المعلوم الثابت عند العموم أن تلك الأصقاع كانت مسكونة ببني إسرائيل، فيستحيلُ وجودُ قطائع خنازير في بلادهم، لها رعاة.

وعلى فرض وجود أحد في تلك الأصقاع، ممن يقول بإباحة أكْلِها، فيكون أمر المسيح بإتلافها على سبيل الزجر لأهلها جزاء لاستعمالهم المُحَرَّمَ بنصِّ التوراة، فهو من النهي عن المنكر، لأن تلك من وظائفه عليه السلام، وإن أصَرّ المتلذذُ بأكلهِ عناداً مدعياً أن المسيح قد أباح لحم الخنزير، فلذلك صارت مملوكة، ولها رعاة، فحينئذٍ يكون قوله المجرد عن الدليل مجروحاً من ثلاثة أوجه.

الأول: أنَّ المسيحَ عليه السلام والتلاميذ إلى أن انقرضوا ما أحلّوا لحم الخنزير، ولا أكلوا دنساً من سائر ما حَرَّمته التوراةُ، لأن الأناجيل الأربعة ناطقةٌ بالصراحة بوجوبِ تأييدِ أحكام التوراة، وكان المسيح ومن اتبعه يعملون بأحكامها.

الثاني: لو سَلَّمنا أنَّ المسيحَ أباح لحم الخنزير، فكيف أمر الشياطين بإغراقها في البحر وإتلافها، مع كونه يعلم أنها مملوكةٌ ومباحةُ الأكل؟ أَتُخْرِجُونَهُ من العدالةِ إلى الجَوْرِ بتلفه أموال الناس، بدون حكم شرعي ولا سبب مرعي، حال كونه كان قادراً أن يخرج الشياطين من المجانين، بدون أن يضر الناس بأموالهم

وحقوقهم، فلا يصدرُ عن المسيح، سلام الله عليه، مثلُ هذا، وهو المُرْسَلُ من عند الله تعالى لإرجاع الناس عن الظلم وهدايتهم، بإرشاده إلى الحق.

الثالث: إنْ قلنا بصحة هذا الإصحاح، وَجَبَ أن نحكم على أهل تلك المدينة أنهم ليسوا من بني إسرائيل، لكونِ التوراةِ صَرَّحَتْ بتحريم الخنزير، فلم يبق إلا هذا الاحتمال الثالث. وذلك بأن يكون أهل المدينة غير بني إسرائيل وغير المسيحيين، وهذا مفهومُ عبارة المترجم، لتَجَاسُرِهم على طردِ المسيحِ وإبعاده عن تخومهم، ولو كانوا مسيحيين، لامتنع طردُهم له، وهو نبيٌّ لهم، أو على زعمكم إله، فإذا صَحَّ ذلك، فلا وجه للاستدلال بوجود الخنازير عندهم، لأنهم قوم غيركم وغير بني إسرائيل، ومع هذا كله، فإنَّ التاريخَ لم ينقل لنا أن تلك الأصقاع، في عهد المسيح عليه السلام، كانت وطناً لغير بني إسرائيل، فلم يبق إلا القولُ بأن مثل هذه الرواية تدليسٌ من المترجم وأمثاله، الذين أَحَلُّوا لحم الخنزير، بعد رفع المسيح وانقراض الحواريين، ودسُّوا في النصرانية ما ليس فيها.

ومن تأمل اختلاف الرواة وتَضَاربَ ألفاظهم في هذه الجملة، وجد من التناقض ما يوجب العجب، وإليك بيانه.

فإن المترجم قال: «ولما جاء إلى العَبر إلى كورة الجرجيسيين» ومرقس قال في ص٥ - ف١ -: «وجاؤوا إلى عَبْر البحر إلى كورة الجدريين» ولوقا يقول في ص٨ - ف٢٦ -: «وصاروا إلى كورة الجدريين التي هي مقابل الجليل» ويوحنا لم يذكر ذلك، ثم يكفيكَ اختلافُهم في تاريخ الواقعة، فإن المترجم ذكر ذلك بعد خطبة الجبل بفصلٍ واحد، ووافقه لوقا، ولكنْ خالفهما مرقس لأنه روى ذلك قبل الخطبة بفصول كثيرة، ثم إن المترجم قال: جاء، بصيغة المفرد، وأن مجيئه إلى العبر إلى كورة الجرجيسيين. والثاني يقول: جاؤوا، بصيغة الجمع، وأن مجيئهم إلى كورة الجدريين. والثالث وافق الثاني، وزاد عليه بأن الكورة هي

التي مقابل الجليل، فَيُفْهَمُ منه أن هناك كورة ثانية. ثم المترجم يقول: استقبله مجنونان خارجان من القبور، ومرقس يقول: «استقبله من القبور إنسانٌ به روح نجس، كان مسكنه في القبور، ولم يقدرْ أحدٌ أنْ يربطه ولا بسلاسل، لأنه قد رُبط كثيراً بقيود وسلاسل، فقطعَ السلاسل، وكسر القيود، فلم يقدر أحد أن يذلله، وكان دائماً ليلاً ونهاراً في الجبال وفي القبور يصيح، ويجرح نفسه بالحجارة» ولوقا يقول - ف٢٧ - من هذا الإصحاح: «لما خرج إلى الأرض، استقبله رجلٌ من المدينة، كان فيها شياطين منذ زمان طويل، وكان لا يلبس ثوباً، ولا يقيم في بيت، بل في القبور».

تبصَّرْ هَدَاكَ الله، فإن الأول يقول: مجنونان هائجان خارجان من القبور. والثاني يقول: مجنون واحد مسكنه القبور، وقد وصفه بما وصفه. والثالث يقول: بأنه مجنون واحد، ولكن فيه شياطين، أي كثيرة، وقد استقبله خارجاً من المدينة.

ثم قال المترجم: «وإذا هما، أي المجنونان قد صرخا قائلين: ما لنا ولك يا يسوع ابن الله، أجئتَ إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا».

قلت: إن الذي يعرف كون المسيح ابن الله، وأنَّ مجيئَهُ إلى ما جاءَ إليه قبلَ وقتِهِ، لم يكن مجنوناً، بل هو أعقلُ من المترجم.

وقال مرقس في - ص٥ - ف٦ -: «فلما رأى - أي المجنون - يسوع من بعيد حيث كان خارجاً من المدينة، ركضَ وسجدَ له، وصرخ بصوت عظيم، وقال: مالي ولك يا يسوع ابن الله العَلي: أستحلفك بالله أن لا تُعَذِّبني».

انظر إلى هذا المجنون، كيف عَرَفَ اللهَ ربه، فهو أعقلُ من المسيحيين حيث لم يشركْ بالله، وعلم أن الحلف بغير الله لا يجوز، وقد فات المترجم ذكر السجود والاستحلاف، ولكن نلتمس له العذر إذ بعد أن وصفه بأنه مجنون،

كيف يصفه بصفاتِ العاقلين، من السجود والاستحلاف، وباقي عبارة مرقس التي لم يذكرها المترجم قوله من هذا الإصحاح - ف٨: «لأنه قال له: اخرج من الإنسان يا أيها الروح النجس، وسأله: ما اسمك؟ فأجاب قائلاً: اسمي لجئون لأننا كثيرون».

قلت: الظاهر أن هذا الاسم باللاتينية أو السريانية أو العبرانية، لأن العربية والتركية ليس فيها من ذلك شيء، فهل سمعتَ أيها العاقلُ بهذا الاسم الغريب والنعت العجيب.

ثم قال مرقس: «وطلب إليه كثيراً أن لا يرسلهم إلى خارج الكورة» ونص لوقا - ص ٨ - ف٢٨ «فلما رأى - أي المجنون - يسوع، صرخ وخَرّ له، وقال بصوت عظيم: مالي ولك يا يسوع ابن الله العلي: أطلب منك أن لا تعذبني. لأنه أمر الروح النجس أن يخرج من الإنسان، لأنه منذ زمان كثير كان يخطفه، وقد ربط بسلاسل وقيود محروساً، وكان يقطع الربط، ويساق من الشيطان إلى البراري، فسأله يسوع قائلاً: ما اسمك؟ فقال لجئون، لأن شياطين كثيرة دخلت فيه»،فقد أخَلَّ أحدهما في ترتيب الإلهام من حيث التقديم والتأخير.

والذي يُفهم من عبارة لوقا أن المجنون تَسمَّى بلجئون، لكون الشياطين تلجأُ إليه، وأن التجاءهم كان واحداً بعد واحد، فهم يتناوبونه بالدخولِ فيه، وهذا مناقضٌ لعبارة مرقس حيث يُفْهَمُ من ظاهر كلامه أن الشياطين تَسَمَّوا بلجئون، لكونهم كثيرين، وكلهم داخلون فيه مرة واحدة، وهذه مناقضة، يلزم أن تتنبه لها لأنها مخلة في فهم هذا الإلهام. وتمام عبارة لوقا: «وطلب إليه أن لا يأمرهم بالذهاب إلى الهاوية» انتهى.

وجميع ما في مرقس ولوقا لم يأتِ به المترجم، فكأنه لم يصح عنده.

ثم قال المترجم - ف٣٠: «وكان بعيداً منهم قطيع خنازير كثيرة، ترعى،

فالشياطينُ طلبوا إليه قائلين: إنْ كنت تخرجنا، فأْذَن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير، فقال لهم: امضُوا، فخرجوا ومضوا إلى قطيع الخنازير، وإذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف إلى البحر، ومات في المياه».

وعبارة مرقس - ص٥ - ف١١: «وكان هناك عند الجبال قطيع كبير من الخنازير يرعى، فطلب إليه كُلُّ الشياطين قائلين: أرسلنا إلى الخنازير لندخلَ فيها، فأذن لهم يسوع للوقت، فخرجت الأرواحُ النجسة، ودخلت في الخنازير فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحر، وكان نحو ألفين، فاختنق في البحر».

انفرد مرقس بتعيين العدد وبطلب الشياطين من يسوع الإذنَ ليدخلوا فيها، وعبارة لوقا - ف٣٣ قريبة من عبارة مرقس، وقد وافق المترجم على لفظ الكثير، وطابق مرقس أيضاً على لفظ الجبل، ولكنه خالفهما بقوله: «فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحيرة، واختنق» فقد ناقضَ الاثنين بأنه لم يكن هناك بحر، بل بحيرة، ثم قال المترجم - ف٣٢ - أما الرعاة فهربوا ومضوا إلى المدينة، وأخبروا عن كل شيء، وعن أمر المجنونين، فإذا كُلُّ المدينة قد خرجت لملاقاة يسوع، ولما أبصروه طلبوا أن ينصرف عن تخومهم، وعبارة مرقس وإنْ كانت طويلةً، لا بأس بذكرها، لأنها تفيد العاقلَ تبصِرةً في أن هذه الروايات ليست إلا وهميات فقال في - ص٥ - ف١٤: «وأما رعاة الخنازير فهربوا وأخبروا في المدينة وفي الضياع، فخرجوا ليروا ما جرى، وجاؤوا إلى يسوع، فنظروا المجنون الذي كان فيه اللجئون جالساً لابساً وعاقلاً فخافوا».

قلت: ليت شعري! مِمَّ خافوا، وقد عقل المجنون «فحدثهم الذين رأوا كيف جرى للمجنون وعن الخنازير، فابتدؤوا يطلبون إليه أنْ يمضي من تخومهم».

وعبارة لوقا - ص٨ - ف٣٤: «فلما رأى الرعاة ما كان، هربوا وذهبوا وأخبروا في المدينة وفي الضياع، فخرجوا ليروا ما جرى وجاؤوا إلى يسوع،

فوجدوا الإنسانَ الذي كانت الشياطين قد خرجتْ منه لابساً وعاقلاً جالساً عند قدمي المسيح، فخافوا، فأخبرهم أيضاً الذين رأوا كيف خلص المجنون، فطلب إليه كُلُّ جمهورِ كورةِ الجدريين أن يذهب عنهم» وهذا مخالفٌ لمرقس، لكونه ذكر أن جميع الذين خرجوا ليروا ما فعل، طلبوا منه الذهابَ عن تخومهم، ولوقا خصصهم بالجدريين «لأنه اعتراهم خوفٌ عظيم» وهذا مما فات المترجم، ثم مرقس، وختم قوله: «فدخل السفينة ورجع، أمّا الرجل الذي خرجت منه الشياطين فطلبَ إليه أن يكونَ معه، ولكن يسوع صرفه قائلاً: ارجع إلى بيتك وإلى أهلك، وخَبِّرْهم كم صنع الله بك، ورحمك. فمضى وابتدأ ينادي في العشر المدن، كم صنع به يسوع» انتهى.

تنبيه

هذا على زعمهم ضد مذهب المسيح، فإن الأناجيل صرحت وكررت أنه كان حريصاً على كتمانِ ما يصنعه من القوات، ويوصي الذين يَشْفيهم أنْ لا يخبروا أحداً، فيكون هذا من التخالف، ولا عجب، بل الأعجب تخالفاً وتناقضاً قوله: إنه كان ينادي في العشر المدن، وهي مدينةٌ واحدة، ولعلَّ المراد بالمدينة الواحدة هنا العشرة بناءً على جوازِ تَعدُّدِ الواحدِ عندهم وتوحيدِ الكثرة، هذا وقد تَعَهَّدَ لوقا في أول إنجيله أن يكتب الوقائع في وجه الصِّدْقِ، فالظنُّ به البراءة مما في مثل هذه الحكاية الطويلة الذيل، والعُهْدَة على مترجمها وراويها، والله تعالى أعلم.

الإصحاح التاسع

قال - ف١: «فدخل السفينة، واجتاز وجاء إلى مدينته، وإذا مَفْلوجٌ يقدمونه إليه مطروحاً على فراش، فلما رأى يسوع إيمانهم، قال للمفلوج: ثِقْ يا بنيَّ، مغفورةٌ لك خطاياكَ، وإذا قومٌ من الكَتَبَة قد قالوا في أنفسهم: هذا يُجَدِّفُ، فعلم يسوع أفكارهم فقال: لماذا تفكرون بالشرِّ في قلوبكم أَيّما أيسرُ، أنْ يُقال: مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال: قُمْ وامشِ؟! ولكن لكي تعلموا أنَّ لابنِ الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا، حينئذ قال للمفلوج: قم واحمل فراشك، واذهب إلى بيتك؛ فقام ومضى إلى بيته، فلما رأى الجموع تعجَّبوا ومَجَّدُوا الله الذي أعطى الناس سلطاناً مثل هذا».

أوردَ المترجمُ ذلك، والمسيح في مدينته، ولم يُعَيِّن البيتَ. وأورد مرقس ولوقا هذه الحكاية بخلاف ذلك، ولا بأس من أن نورد لك ألفاظ حكايتهما لتقفَ على ما فيهما من المخالفات.

قال مرقس في ص٢ - ف١ -: «ثم دخل كفر ناحوم أيضاً بعد أيام، فَسُمِعَ أنه في بيتٍ، وللوقتِ اجتمع كثيرون حتى لم يعد يسع، ولا حول الباب، فكان يخاطبهم بالكلمة، وجاؤوا إليه مُقَدِّمينَ مفلوجاً، يحمله أربعة، وإذ لم يقدروا أن يقتربوا إليه، من أجل الجمع، كشفوا السقف حيث كان، وبعدما نقبوه، دَلَّوا السرير الذي كان المفلوج مضطجعاً عليه، فلما رأى يسوع إيمانهم، قال للمفلوج: يا بُنيَّ مغفورةٌ لك خطاياك، وكان قوم من الكتبة هناك جالسين يفكرون في قلوبهم، لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف، مَنْ يقدرُ أنْ يغفرَ خطايا إلا الله وحده، فللوقتِ شعر يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا بأنفسهم، فقال لهم: لماذا تفكرون بهذا في قلوبكم، أيما أيسرُ أن يقال للمفلوج: مغفور لك خطاياك، أم أن يقال: قم واحمل سريرك وامش؟ ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا، فقال للمفلوج: لكَ أقولُ: قُمْ

واحمل سريرك، واذهب الى بيتك، فقام للوقتِ، وحمل السرير، وخرج قدام الكل حتى بُهِت الجميع، ومجّدوا الله قائلين: ما رأينا مثل هذا قط». انتهى.

وأما لوقا فحكى الحكاية، والمسيحُ إذ ذاك في إحدى المدن، فلم يُعَيِّنِ المدينةَ، ونصه كما في - ص٥ - ف١٧: «وفي إحدى الأيام كان يُعَلِّمُ، وكان فَريسِيُّون ومعلِّمون للناموس جالسين، وهم قد أتوا من كل قرية من الجبل واليهودية وأورشليم، وكانت قوة الرب لشفائهم، وإذا برجال يحملون على فراشٍ إنساناً مفلوجاً، وكانوا يطلبون أن يدخلوا به، ويضعوه أمامه، ولَمَّا لم يجدوا من أين يدخلون به، لسببِ الجَمْعِ، صعِدوا على السطح، ودلَّوه على الفراش من بين الآجُرِّ إلى الوسط قدام يسوع، فلما رأى إيمانهم قال له: أيها الإنسان مغفورة لك خطاياك فابتدؤوا الكَتَبَةُ والفريسيون يفكرون قائلين: مَنْ هذا الذي يتكلم بتجاديف، مَنْ يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده؟! فشعر يسوع بأفكارهم، وأجاب وقال لهم: ماذا تفكرون في قلوبكم، أيّما أيسرُ، أن يقال: مغفورة لك خطاياك، أم يقال قم وامش؟! ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا، قال للمفلوج: لكَ أقولُ، قُمْ واحمل فراشك واذهب إلى بيتك. ففي الحال قام أمامهم، وحمل ما كان مُضْطجِعاً عليه، ومضى إلى بيته، وهو يُمَجِّدُ الله، فأخذت الجميع حيرةٌ، ومجّدوا الله وامتلؤوا خوفاً قائلين: إننا قد رأينا اليوم عجائب» انتهى.

فلا أظن أنْ تشكَّ في أنَّ الألفاظ التي أوردها المترجم خلاف التي أوردها مرقس، وأن ما أورده مرقس غير ما أورده لوقا، مع التخالف في المكان والزمان، فكلٌّ من الرُّواةِ الثلاثة ذهب في وادٍ، وأوردها في نادٍ حيث قال المترجم: «وإذا مفلوج يقدمونه إليه مطروحاً على فراش» ولم يذكر أنَّ المكانَ مملوءٌ من العالم، وجعلَ ذلك بعد انصرافِ الجموع. ومرقس خالفه باجتماع الكثيرين حتى لم يسع المكان ولا ما حول بابه، وأن المسيح كان يخاطبهم

بالكلمة، وأن الذين كانوا يحملون المفلوج أربعة خلافاً لصاحبيه.

وكلام لوقا بعيد عن هذه المعاني، وهذا نصه: «وكانت قوة الرب لشفائهم» يظهر من هذه العبارة أن تجَمُّعَ الجمْعِ كان كتجَمُّع المعلولين عند الطبيب، لطلب الشفاء من أسقامهم، فنافى قوله في أول الحكاية، «وكان يعلم، وكان فريسيون ومعلمون للناموس[1] جالسين، وهم قد أتوا من كل قرية من الجليل واليهودية وأورشليم»، إذ المفهوم من ظاهره أن اجتماعهم كان لا للشفاء من الأمراض الجسمية، بل للشفاء من الأمراض الروحية، ثم قال: «وإذا برجال يحملون على فراش إنساناً مفلوجاً» لم يعين عدد الحاملين، خلافاً للمترجم. وقال مرقس: «وإذ لم يقدروا أن يقربوا إليه، من أجل الجمع، كشفوا السقف حيث كان - أي المسيح - موجوداً وبعد ما نقبوه، دلَّوا السرير الذي كان المفلوج مضطجعاً عليه».

لا يقال: كان البيت وما حوله مملوءً من الجموع، فكيف تمكنوا من من الصعود إلى السطح، لأنا نقول: يجوز أنهم جَرُّوه بالحبال من الطريق إلى السطح، أو كان الحائط منخفضاً، فرفعوه على أيديهم، أو دخلوا به من بيت الجار، وصعدوا به من سُلَّمِهِ؛ نعم: يقال: من أين أتوا تلك الساعة بمعاول وبفَعَلَةٍ لكشفِ السقف أو نَقْبِهِ نقباً يَسَعُ السريرَ، وكيف لم يسقط على الجالسين تحته شيء من التراب والحجارة؟! ألم تسمع تلك الجموعُ صوتَ المعاول تعمل فوق سقف، كانوا ماكثين تحته، فيهربوا خوفاً من سقوطه عليهم، أو لا أقلَّ أنْ يسألوا عن السبب، ويبعد أن القوم ليس فيهم رجلٌ رشيد، يؤخرهم إلى أنْ يُتِمَّ المسيحُ وعظَهُ، فيُدْخِلُوا المفلوجَ عليه، أو يخرج بعض الناس حتى يدخلوه، أو يشق صفوف الناس ويدخل على المسيح كما حكى الإنجيليون حكاية غلام قائد المئة، وأن المسيح على قول إحدى الروايات قال وهو ماكث في مكانه: كما

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «للناس».

آمنتَ ليكنْ لك، فبرأ غلامُه وهو لم يكن حاضراً فلما كان الله تعالى أعطى المسيحَ القوة، كما هو مُسَلَّمٌ عندنا وعندكم، أفلا يمكنه شفاء هذا المفلوج بمجرد طلب الشفاء منه، ويستغني عن إحضاره، كما في حكاية غلام قائد المئة؟! فقد جَفَّ القلمُ عن إملاءِ مثلِ ذلك، ونكس رأسه استحياء مما هنالك، أفلا يعرقُ جبينُكَ أيها الرئيسُ حينما تكرز في كنيستك أمام الناس بمثل هذا البهتان الذي لم يتجاسرْ على نقله مترجمُ مَتَّى، وهَوَّنَ الأمرَ فيه لوقا بعض التهوين، فتجنَّبَ عن خَرْقِ السقف، لكنه أتى بما فيه غموض حيث قال: «وكانوا يطلبون أن يدخلوا به ويضعوه أمامه، ولما لم يجدوا من أين يدخلون به لسبب الجمع، صعدوا على السطح، ودلَّوه مع الفراش، من بين الآجر، إلى الوسط قدام يسوع».

تَدبَّرْ حفظكَ الله، إذا سَلَّمنا صعودَهم السطح، وإدلاء المريض مع فراشه من بين الآجر، فإدلاؤه من بين الآجر إلى الوسط إما أن يكون بتناوب الناس الحاضرين مرة بعد أخرى، حتى يصل إلى الوسط، ويصعب ذلك التناوب من الباب، لِبُعْدِه عن مرأى المسيح، ولا يَخْفَى ضَعْفُه جداً، وإما أن يكون لذلك البيت في الوسط كالكوة فَيُنَافي ذلك خرْقَ السقف والعجَبَ من الجَمْعِ المنعقد لتصحيح أغلاط الإنجيل، كيف قبلوا مثل هذه الحكاية السخيفة، ولم يصلحوها.

ثم إن الرواة الثلاثة اتفقوا على أن المسيح قال للمفلوج: يا بني مغفورة خطاياك، وزاد المترجم لفظة «ثِقْ» ولا وجهَ لاعتراضِ الكتبة والفريسيين على المسيح عليه السلام، إن ثبت ذلك عنه، لأنه لم يُضِفِ الغفرانَ لنفسه، ومنه يُفهم أنها مغفورةٌ من قِبَلِ الله عز وجل بسبب ذلك المرض، لأنَّ الأمراضَ كَفَّارةٌ للذنوب، كما ورد عن نبينا، صلى الله عليه وسلم، في هذا المعنى، بل يُفْهَمُ منه إقرارُ المسيح بعبوديته إلى مولاه، وهو أسلمُ من أنْ يقولَ للمفلوج: قم واحمل سريرك، إذ ربما يتصور المعترضُ أنه أراد إسنادَ الفِعْلِ إلى نفسِه حينئذ حقيقة،

ثم إن اتفاق الروايات على قول المسيح جواباً للكتبة: «لكن لكي تعلموا أنَّ لابن الإنسان سلطاناً على الأرض، أن يغفر الخطايا»، دليلٌ آخر على إقراره بالعبودية، لأنَّ تخصيصَ الأرض بالذِّكْرِ دليلٌ على أنْ ليس له سلطانٌ في السموات؛ والسلطان هنا بمعنى قوة المعجزات التي أظهرها الله على يده، وهي من دلائل النبوة. وكما اتفقوا على ذلك، اتفقوا على تَعَجُّبِ الجموع وتمجيدهم اللهَ تعالى عندما قال المسيح للمفلوج: قم واحمل فراشك، واذهب إلى بيتك.

وتَعجُّبهم دليلٌ آخر على أنه مخلوق لله تعالى، إذ لو اعتقدوا ألوهية المسيح لما تعجبوا من مثل هذا الفعل الذي لا يعجز الإلهُ عن الإتيان بمثله.

والعجب من المترجم كيف انقاد إلى الحق، مع بُعْدِه عنه، وختم عبارته بقوله: «فلما رأى الجموعُ تعجبوا ومجدوا الله الذي أعطى الناسَ سلطاناً مثل هذا»، بأن أرسل إليهم رُسُلاً مُبَشِّرين ومنذرين المسيحَ وغيره من الأنبياء، سلامُ الله عليهم، وأيَّدهم بسلطانٍ أي بقوةٍ على المعجزات.

وقد تركنا تفصيل باقي المخالفات إلى ذِهن المتأمل الفِطن.

ثم ذكر المترجم - ف٩ - وخلاصته: «أن المسيح اجتاز في مكان الجباية، فوجد متّى، فأشار إليه أن يتبعه، فتبعه، ولحق المسيحَ كثيرون من العَشَّارين والخُطاة، فأكل المسيح معهم، وانتقد عليه بذلك الفريسيون، فضرب لهم مثلاً بقوله: لا يحتاجُ الأصحَّاءُ إلى طبيب» وروى مثل هذه الحكاية مرقس في - ص٣ - ف١٣ - إلا أنه سمى العشار الذي آمن بالمسيح: لاوي بن حلفى، وكذلك لوقا بص٥ - ف٢٧ - لكنه لم يذكر اسم أبيه، وقال: إنه صنعَ للمسيحِ ضيافةً، والمترجمُ ومرقس لم يذكر تلك الضيافة.

وقد عَيَّنا لك الإصحاحات في الأناجيل الثلاثة فراجع تلك المخالفات إنْ أردتَ.

ثم ذكر المترجم في هذا الإصحاح ما لا ينبغي السكوت عنه، لأنه اشتمل عن[1] نسخ التوراة، وهو ضد الإنجيل فقال في ف١٤: «حينئذ أتى إليه تلاميذ يُوحَنَّا قائلين: لماذا نصوم نحن والفريسيون كثيراً، وأما تلاميذك فلا يصومون؟! فقال لهم يسوع: هل يستطيع بنو العرس أنْ يَنُوحُوا ما دام العريسُ معهم؟ ولكن ستأتي أيام حين يرفع العريس عنهم، فحينئذٍ يصومون» انتهى.

والنَّسْخُ وإنْ كان حجةً لنا عليكم وأمراً صحيحاً، لا يمكن الأمة المسيحية إنكاره، ولكنْ قد مَرَّتْ عليك النصوصُ القطعية من أن المسيح كان مؤيداً لأحكام التوراة، والصيامُ فرضُ عينٍ على كل فردٍ مُكَلَّف، كما هو مُصَرَّح فيها، وقد تُعُبِّدَت به كافة بني إسرائيل وأنبيائها الذين آخرهم يوحنا المعمدان وتلاميذه، فكيف يُسْقِطُ المسيحُ الصومَ عن تلاميذه، وهو الذي أيده وتَعَبَّدَ به مع تلاميذه سوية، كما صرحت به الأناجيلُ، فإنْ قلتم: إنَّ الصيام هو عبارة عن تجديدِ حزنٍ في وقت معلوم، تفعله بنو إسرائيل تذكاراً، وإنه لم يفرض عليكم الصيام ما دام العريس الذي كنى به عن نفسه مع بني عِرسه، أي تلاميذُه فهو مخالف لما قدمناه آنفاً من أنه جاء مؤيداً للتوراة، ولأنَّ مشروعيةَ الصيام لم تكن لتلك الحِكمة، لكنْ المُدَلِّسون تَدلَّسوا بسفسطة تلك العِلّة، وجعلوها عكازاً لمن يأتي بعدَهم من الرؤساء، وهكذا ينسخون ويثبتون بما يوافق أغراضهم، كما أخذوا بأفكارهم، وسَوَّلته لهم نفوسُهم من قول بولس في رسالته إلى أهالي رومية - ص٧ - ف٦.

«وأما الآن فقد تحررنا من الناموس، إذ مات الذي كنا ممسكين فيه، حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف»، فقد تحير القلم في شرح دسائس المنافقين، تارة يبطلون أحكام التوراة، وطوراً يثبتونها، كأنهم قبضوا على سيفٍ ذي حَدَّيْن، ولكن من الأسف أن ذلك السيف من الخشب، فلا يؤثر في الحق، والحق أحق

(١) «عن» في الأصل، والسياق يقتضي أن تكون «على» أو أن تكون كلمة «زيادة» قد سقطت قبل «عن».

أن يتبع؛ وقد قال المسيح عليه السلام: «تزولُ السمواتُ والأرض ولا يزول نقطة من الناموس» ثم إن هذه الرواية لم يتبعْ أثرَ المترجم فيها سوى لوقا في ص٥ - من ف٣٢ - إلى نهاية الإصحاح، لكنْ خالفه من حيث اللفظ، لأن المترجم جعل السؤال من تلاميذ يوحنا، ولوقا جعل السؤال من الكتبة، والمترجم يقول: «ولكن ستأتي أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون». ولوقا زاد فيه قوله: «في تلك الأيام» هو يشعر بأن فريضة الصيام ستكون عليهم في الأيام التي رفع فيها المسيح، وختم لوقا الحكاية بقوله - ف٢٩ من ص٥: «وليس أحد إذا شرب العتيق يريد للوقت الجديد، لأنه يقول: «العتيق أطيب» ثم ذكر المترجم في هذا الإصحاح - ف١٨ - إلى آخر ف٢٦ - ومضمونه أن أحد الرؤساء جاء للمسيح، وسجد له طالباً منه إحياء ابنته التي قد ماتت، وأنه فيما هو ذاهبٌ لمست هدب ثوبهِ امرأةٌ مزمنة بنزيف الدم، فشُفيت، ولما وصل إلى بيت الرئيس، نحّى المجتمعين على البنت قائلاً: إن الصبية لم تمت، ولكنها نائمة، فضحكوا عليه، فأخرجهم وأمسك بيدها، فقامت. وحكى مرقس الواقعة في ص٥ - ف٢٢ - ولكن خالفه، إذ حكى مجيء الرئيس للمسيح، وهو عند البحر، لم يدخل المدينة.

والمترجم ذكر مجيء الرئيس بعد قصَّتي المفلوج وإيمان مَتَّى العشار. ومرقس سمى الرئيس يايرس، والمترجم لم يسمه، ولم يذكر أنه من رؤساء المجمع، وأن الابنة قد ماتت، ومرقس يقول: إنها على آخر نَسَمَة، ولكن وصل الخبر بموتها والمسيح في المجمع.

ولا تسألْ عَمَّا في الزوايا من الخبايا، وأنتم تُسَمُّونَ ذلك إلهياً، والزيادةُ والنقصان في الإلهي نقصٌ يُنَزِّهُ الوحيُ عنه.

ثم إن لوقا ذكر القصة برُمَّتِها في ص٨ - ف٤٣ - وحذا في أكثر القصة حَذْوَ مرقس، لكن خالفه في أمور، منها قصة المرأة التي اعتراها نزيف الدم، فإن

مرقس يقول - ف٢٦ -: «وقد تألمت كثيراً من أطباء كثيرين، وأنفقت كل ما عندها، ولم تنتفع شيئاً، بل صارت إلى حال أردأ».

ولوقا يقول: «وقد أنفقت كل معيشتها للأطباء، ولم تقدر أن تشفى من أحد» وذلك بعد أنْ ذكرَ أنها مُبتلاةٌ بنزف الدم من منذ اثنتي عشرة سنة، والمترجم لم يذكر أنها صرفت شيئاً على الأطباء، بل ذكر أنها مبتلاة بنزف الدم، ووافقهما على المدة، ولوقا يذكر أنها حين لمست هدب ثوب المسيح شُفيت، وفي الحال وقف نزف دمها، فقال يسوع: مَنِ الذي لمسني، فأنكر الجميع، فقال بطرس والذين معه: يا مُعَلِّمَ الجُموع يضيقون عليك، فقال يسوع: قد لمسني واحد، لأني علمت أن قوة خرجت مني، ومرقس يقول: وللوقت جَفَّ ينبوع دمها، وعَلِمَتْ في جسمها أنها قد برئت من الداء، فللوقتِ التفت يسوع بين الجمع شاعراً في نفسه بالقوة التي خرجت منه، وقال: «من لمس ثيابي إلخ».

ويا ليت شعري! كيف يكون إلهاً، كما يزعمون، ولا يعلم بِمَنْ لمسه!؟ وقد خالفا في ذلك المترجم ونصه: «فالتفت يسوع وأبصرها، فقال: ثِقي يا ابنةُ، إيمانُك قد شَفاكِ، فشفيت المرأة من تلك الساعة» وهذا كلام مُسَلَّم لا بأس به، ولكن المترجم ذكر أن الرئيس حينما أتى إلى المسيح، سجد له. ومرقس قال: خَرَّ عند قدمية، ولوقا قال: فوقع عند قدمي يسوع. فلا تأخذ بظاهر كلام المترجم، بل يجب عليك حَمْلُه على كمالِ التواضع والخضوع، إذ السجودُ وإنْ جاز وقوعه على وجه التحية في الأمم المتقدمة، ولكنَّ النظرَ الصحيحَ يأباه مع ما رُوِيَ من أن المسيح انتهر من قال له: يا صالح بقوله: «لماذا تدعونني يا صالح، ولا يوجد صالحٌ إلا الله وحده».

فكيف يسكتُ عَمَّنْ يسجد له من دون الله المعبود المُنَزَّه عن الوالد والمولود، فهل يعقل أن كاهناً يسجد للمسيح ولا تقتله يهود، وهو من الكفر المحض، بحكم الناموس، مع أنهم أشد عداوة للمسيح وأشدهم في ذلك رؤساؤهم، وهذه

الأناجيل حكت لنا تَطَلُّبهم قتله، من بَدء ظهوره، فكيف يتصور سجودُ أحدٍ منهم له، ولا سيما وهو من رؤساء الجمع.

وقد حكت الأناجيل الثلاثة آنفاً في قصة المفلوج أن الرؤساء قالوا له: إنك جدَّفت، وما هذا التجديف.

فمجموعُ هذا يدلُّ على أنه لا سجودَ لغير الواحد القهار.

ثم إن مرقس ولوقا ختما حكايتهما هذه بقول المسيح لأبَوَي البنت التي أحياها، أن لا يقولا لأحدٍ أنه أحيا لهما ابنتهما، والمترجم لم يذكر ذلك، وهذا مع كونه تخالفاً في الروايات، فَصِحَّةُ صدور النهي من المسيح تنافي أنَّ المعجزات يُؤَيِّدُ اللهُ بها أنبياءه، ليؤمنَ مَنْ يؤمن عن بيِّنَة، ونهْيُ المسيح يخالف ذلك لفواتِ الفائدة.

والكتبُ السماوية مملوءة بحكاية معجزات الأنبياء إلا أن يكون ذلك سياسة إلهية في مبدأ الرسالة المسيحية.

ثم أورد المترجم في هذا الإصحاح قوله - ف٢٧: «وفيما يسوع مجتاز من هناك، تبعه أعميان من هناك يصرخان ويقولان: ارحمنا يا ابن داود، وبعد اللُّتَيَّا والتي[١] قال لهما: أتؤمنان أني أقدرُ أنْ أفعلَ هذا؟ قالا: نعم. فلمس أعينهما، فأبصرا، وانتهرهما أن لا يقولا لأحد، ولكنهما أشاعاه في الأرض كلها».

وقد ذكر مرقس ذلك، ولكن بعد تلك الواقعة بأمور كثيرة، فإنه أورد القصة في - ص١٠ - ف٤٦ فقال: «جاؤُوا إلى أريحا، وفيما هو خارج من أريحا مع تلاميذه وجَمْعٍ غفيرٍ، كان بارتيماوس الأعمى ابن تيماوس جالساً على الطريق، يستعطي، فلما سمع أنه يسوع الناصري، ابتدأ يصرخ ويقول: يا يسوع ابن داود

(١) أي بعد أخذٍ وردٍّ ونقاش.

ارحمني» إلخ، وأوردها أيضاً لوقا في - ص١٨ - ف٣٥، واتفق مع مرقس في أنه أعمى واحد، ولكنه خالفه بعد ذكر اسمه، كما أن ألفاظ الروايات الثلاثة لم تتفق.

وقد حكى يوحنا في إنجيله - بص٩ - ف١ قصةَ أعمى أبصرَ، ولكن أتى بألفاظ غريبة، وناقض في التاريخ، وأن المسيح تفل على الأرض، وصنع من التفلة طيناً، وطلى بالطين عين الأعمى، وقال له: اذهب اغتسل في بركة سلوان، فمضى واغتسل وأتى بصيراً.

وأنتَ تعلمُ أن رواية يوحنا، على هذه الصورة، مخالفةٌ لباقي الروايات، فإما أن تكون روايته خلاف رواية الثلاثة، ففي عدم ذكره روايات الثلاثة، وعدم ذكرهن روايته، قُصورٌ في تبليغاتِ الوحي، ومع هذا فرواةُ الأناجيلِ الثلاثة خالفوا المترجم حيث جعلهما أعميين، وهم جعلوه أعمى واحداً. فَلْيتنبَّهَ القارىءُ لمثلِ هذا التناقض فيما تَدَّعيه النصارى أنه إلهامٌ، وليحفظ أن لهذه القصة، على مقتضى رواية يوحنا، ذيلاً طويلاً.

ومُلَخَّصُ ذلك أنَّ هذا الأعمى كان أحدَ الأسباب التي أوجبت على اليهود أن ينكروا على المسيح، ويجتمع حزبهم لتكذيبه والحكم عليه بالإعدام.

والعجبُ من المترجم، كيف ختم الحكاية بقوله: فانتهرهما يسوع قائلاً: انظرا لا يعلم أحدٌ، ولكنهما خرجا، وأشاعاه في تلك الأرض كلها، ومرقس ولوقا ويوحنا لم يذكروا ذلك، فتأمل.

ثم أورد المترجم ما معناه: أن المسيح قَدَّمُوا إليه إنساناً أخرس مجنوناً، فلما أخرج الشيطان، تكلم الأخرس، فقال الفريسيون: برئيسِ الشياطين يُخْرِجُ الشياطين. وقد ذكر نحو ذلك لوقا ومرقس، وحيث أن المترجم أعاد مثل هذه الحكاية في - ص١٢ بأفصحَ من هذه، أخّرنا الكلامَ إلى هناك، وفيه ذكرنا

مناقضات لوقا ومرقس له، فَتنبَّهْ.

وختم المترجم الإصحاح بقوله - ف٣٥: «وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى، يعلِّمُ في مجامعها، ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفي كُلَّ مرضٍ وكل ضعفٍ في الشعب، ولما رأى الجموع، تحنَّن عليهم، إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعي لها، حينئذ قال لتلاميذه: الحصاد كثير، ولكن الفَعَلَةَ قليلون، فاطلبوا من رَبِّ الحصاد أنْ يرسل فَعَلَةً إلى حصاده».

فهذا المثل جعله سبباً لإرسال التلاميذ الاثني عشر، كما سيأتي في الإصحاح العاشر، والأناجيلُ الثلاثة حكت إرسالَ المسيح الرُّسُلَ، أي التلاميذ، ولكن خالفوه في السبب، واحفظْ على المترجم قولَهُ: أنه كان يطوفُ المدن كلها، مع ما سيأتي في العاشر، أنه أرسل التلاميذَ إلى أماكن معينة، وهذا تَخَالُفٌ ظاهر، حكاه عن نفسه، فليتبصَّر القارىءُ في ذلك.

الإصحاح العاشر

قد أعملتُ الفِكْرَ في هذا الإصحاح، فوجدت أن الكلام المسرود فيه جملةً بعد جملةً، قد تقاسمه مرقس ولوقا، فأورداه في مواضع من إنجيليهما بلا رابطة ولا توافُقٍ، في التاريخ والألفاظ، فكلٌّ ذهب في وادٍ، وهام في نادٍ، ولا بأس أن أذكر من هذه المخالفات قليلاً من كثير لعلّي أصادف مستمعاً منصفاً، يميلُ مع الحق، ويعدِلُ عن الباطل فأقول: «قال المترجم - ف١ - ثم دعا تلاميذه الاثني عشر، وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها، ويشفوا كل مرض وكل ضعف.

وأما أسماء الاثني عشر رسولاً فهي هذه، الأَوَّل سمعان الذي يقال له بطرس، واندراوس أخوه يعقوب ابن زبدى، ويوحنا أخوه فيلبس، وبرثولماوس توما، ومتى العشار يعقوب بن حلفى، ولباوس الملقب تداوس سمعان القانوني، ويهوذا الأسخريوطي الذي أسلمه».

وهذه عبارة مرقس في - ص٦ - ف٧ -: «ودعا الاثنا[1] عشر وابتدأ يرسلهم اثنين اثنين، وأعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة» فلم يذكر أسماءهم ولا شفاءهم كُلَّ مرضٍ وضعف كما صرح المترجم.

عبارة لوقا في - ص٩ - ف١: «ودعا تلاميذه الاثني عشر، وأعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاءَ أمراضٍ، وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله، ويشفوا المرضى».

ويوحنا لم يَتعرَّضْ لهذه الحكاية في إنجيلِهِ كلياً حال كونه هو واحد من الرسل، فتبيَّنَ أنه لا صِحَّةَ لرواياتهم، لأن المترجم ومرقس ولوقا لم يكونوا من الرسل، بل أخبروا حسب مسموعاتهم، وكل واحد منهم حكى ما تَلَقَّاهُ عن

---

(١) هكذا في المطبوع، والوجه أن تكون الاثني».

العوام، والدليل على ذلك مخالفة بعضهم بعضاً، فإن المترجم ومرقس جعلا سبب الإرسال للرسل الشفاء من الأمراض والجنون.

ثم قال المترجم - ف٥ -: «هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع، وأوصاهم قائلاً: إلى طريقِ أممٍ لا تمضوا، وإلى مدينةٍ للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحريِّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» ومرقس ولوقا لم يتعرضا لهذه الوصية، وأظنهما أحسَّا أن هذا النص مُفْسِدٌ لعقيدتهم، فأغمضا عن ذكره، لأنه يؤيد حديث المسيح عليه السلام حيث قال في - ص١٥ - من هذا الإنجيل - ف٢٤ - ونصه: «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» ويَعضدُ هذين النصين قولهُ أيضاً في - ص٥ - ف١٧ - من هذا الإنجيل ونصه: «لا تَظُنُّوا أني جئتُ لأنقضَ الناموس أو الأنبياء، ما جئتُ لأنقض، بل لأُكْمِل الخ».

انظر - هداك الله تعالى - إلى هذه الأحاديث القطعية المتضافرة والمؤيدة بعضها بعضاً، فهل بعد هذه الصراحات يجوزُ أكلُ الخنزير، أو كسرُ السبت، أو إبطالُ الخِتان والهيكل، أو تحويل القبلة؟!

وأنتَ أيها المسيحي محصورٌ بين أمرين، فإنْ كذَّبتَ هذه النصوص، كفرتَ بإنجيلك ورسولك، وعلى زعمك بإلَهك، وإنْ عملتَ بها كفَّرَتْكَ الأساقفةُ والرهبان، فإذا كان الأمرُ كذلك، فالعجب من النصارى كيف ساغَ لهم القولُ بألوهيته على العالمين، حالَ كونِ رسالتهِ محصورةً إلى قومٍ معلومين، فبالضرورة يلزمُ النصارى على هذا: إمَّا إبطالُ عقيدتهم، أو تكذيبُ إنجيلهم، فإنْ قالوا بإبطال العقيدة، لَزِمَهُمْ تنزيهُ الإنجيل عن كل جملة تُفِيدُ الشِّرْكَ، وإن قالوا بتكذيب الإنجيل، وجب إبطال عقيدتهم، لأنها مأخوذة من الإنجيل، وهذا هو السبب الوحيد الذي أوجب على عقلائهم أن يمرقوا من النصرانية، ويتمذهبوا بمذهب الطبيعيين.

ثم قال المترجم - ف٧ -: «وفيما أنتم ذاهبون، اكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوتُ السموات، اشفوا مرضى، طَهِّروا بَرْصَى، أقيموا مَوتى، أخرجوا شياطين مَجّاناً، أخذتم مجاناً أعطوا» وقد علمتَ أنَّ مرقس لم يذكر من ذلك سوى ما قاله آنفاً بأنه أعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة، وقول لوقا مَرَّ آنفاً، ولكنْ فاته أنْ يذكرَ الشرطَ بعدم أخذ الأجرة، مع أنه من المهمات، واقتصر على شفاء المرضى.

والمترجم توسَّعَ بالتأويل حتى جعل وظيفتهم كالمسيح، وكأنه أراد جعل إحياء الموتى بمجرد إرادة المسيح، ولم يتذكر ما أورده في إنجيله من قول المسيح - بص١٢ - ف٢٨ -: «أنا بروح الله أُخرجُ الشياطين» ونقلت الأناجيلُ الثلاثة الباقية مثل ذلك، حتى ذكر يوحنا عن المسيح: «لا أعملُ بمشيئتي بل بمشيئة الذي أرسلني» ثم إن لوقا قَصَرَ السلطانَ على الأرواحِ النجسة فقط.

ثم قال المترجم - ف٩ -: «لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم، ولا مِزْوداً للطريق، ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا، لأنَّ الفاعل مستحق طعامه» ونَصُّ مرقس في - ص٨ - ف١٢ هكذا: «وأوصاهم أن لا يحملوا شيئاً للطريق غير عصا فقط، لا مِزوداً ولا خبزاً ولا نحاساً في المنطقة، بل يكونوا مشدودين بنعال، ولا يلبسوا ثوبين».

فأنت ترى أنه ناقضَ المترجمَ في حمل العصا، وكلامُهُ أقربُ إلى الصواب، لأنَّ العصا من سُنَنِ المُرْسَلين، وهي في السفر من الضروريات، وناهيك بجعلها من انتظام التمدن الجديد في العالم أجمعه، وقد رأينا الرؤساء الروحانيين يخالفون المترجم أشد المخالفة، حتى كأنَّ روايته لم تصح عندهم، وكذلك تخالفا في اتخاذ النعال، وهو ظاهر.

ونص لوقا هكذا في - ص٩ - ف٣ -: «لا تحملوا شيئاً للطريق، لا عصاً

ولا مزوداً ولا خبزاً ولا فضة، ولا يكون للواحد ثوبان، وأيّ بيتٍ دخلتموه فهناك أقيموا، ومن هناك اخرجوا» إلخ.

والعَجَبُ كل العجب من لوقا هذا الذي وعدنا في فاتحة إنجيله بأنه لا يروي إلا عن خُدّام الكلمة، وذلك بعد التحقيق والتدقيق، فنراه هنا أَخلفَ الوعدَ، وصار يخبط خبط عشواء، ويكذب على الرسل والأنبياء، وذكر ما لم تذكره الأناجيل ولا خدام الكلمة، حتى ولا أخبرت به أعداء الكلمة من المارقين، وهذا نص افترائه، قال في أول ص١٠: «وبعد ذلك عيَّن الرب سبعين آخرين أيضاً، أرسلهم اثنين اثنين أمام وجههِ إلى كل مدينةٍ وموضع، حيث كان هو مزمعاً أن يأتي» إلى أن قال لهم في ف٤ منه: «لا تحملوا كيساً ولا مزوداً ولا أحذية، ولا تُسَلِّمُوا على أحد في الطريق، وأي بيت دخلتموه فقولوا: سلام لهذا البيت، فإن كان هناك ابن السلام يحل سلامكم عليه، وإلا فيرجع إليكم، وأقيموا في ذلك البيت آكلينَ وشاربين مما عندهم، لأنَّ الفاعلَ مستحق أجرته».

فكيف يغفل عن ذلك مرقس، وكيف يفوت ذِكْرُ ذلك متى ويوحنا، وهما رسولان من جملة الاثني عشر؟! ومَنْ تأمَّلَ عبارته، وجدها في بُعْدٍ من الوحي الإلهي والفيض الإلهامي. وقوله: «عَيَّنَ الربُّ سبعين آخرين»، يلزمُ منه أن يكون هناك ألوف من المؤمنين به حتى يتأتَّى له أن يُمَيِّزَ منهم سبعين آخرين، وكل مسيحي يعلم أن دعوته عليه السلام كانت محصورة باليهودية، ولم يؤمن به إلا القليل منهم، كما صرح بذلك الخوري يوسف المعلم بكتابه «تيسير الوسائل في تفسير الرسائل» بصحيفة ٨٥٥ من النسخة المطبوعة سنة ١٨٧٨ في بيروت ونصه: «فإن ابن الله علّم في اليهودية، ولم يتبعه إلا اثنا عشر رسولا».

وقال الخوري جبرائيل قرقماز بكتابه المسمى «القول الصحيح في دين المسيح» في صحيفة ٢٧ من نسخته المطبوعة في أميركا سنة ١٨٩٩ وخلاصته: «بعد صعود سيدنا يسوع المسيح عليه السلام كان عدد المؤمنين جميعاً مئة وعشرين».

ومن تأمل في أن جميع زمن رسالته عليه السلام ثلاثون شهراً، يعلم أن مبالغة لوقا بالرسل سبعين بعد السبعين مخالفٌ للنظر الصحيح، فهل يقال لهذا: إلهام؟! ومرقس اختصرها فقال في - ف١٠ - من ص٦ ونصه «حيثما دخلتم بيتاً فأقيموا فيه حتى تخرجوا من هناك، وكلُّ من لا يقبلكم، ولا يسمع لكم، فاخرجوا من هناك، وانفضوا التراب الذي تحت أرجلكم شهادة عليهم».

ونصُّ لوقا إتماماً لعبارته المتقدمة - بص١٠ - ف١٠: «وأية مدينةٍ دخلتموها ولم يقبلوكم، فاخرجوا إلى شوارعها، وقولوا: حتى الغبار الذي لصق بنا من مدينتكم ننفضُه لكم ولكن اعلموا هذا: إنه قد اقترب منكم ملكوت الله» وقد كرَّرَ ذِكْرَ اقترابِ ملكوت الله، وجعله الشاهد، وخالف فيه المترجم ومرقس، كما أن مرقس لم يذكر السلام الذي ذكره صاحباه المترجم ولوقا.

وحيث أتينا على إجمال تناقضات هذه الجملة نقول: إنَّ يوحنا ليس له في ذلك ناقةٌ ولا جمل، لأنه لم يثبت عنده كونه من الوحي، وأظن أنهم أدخلوا هذه الجملة في الأناجيل الثلاثة، بعد وفاة يوحنا، وهو الأقرب للعقل. وهل يقال: إن يوحنا أسقطه عمداً، والمترجم أصدق منه؟ أستغفر الله. وإذا بحثنا عن مُرادِ المسيح عليه السلام في إرساله هؤلاء الرسل، على فرض صحة الرواية، نرى أن المفهوم ضمناً من ذلك تبليغ رسالته للضالة من خرافِ بيتِ إسرائيل، بأنْ ينذروهم، أنْ ارجِعوا عما أنتم عليه من ارتكاب المعاصي، وتوبوا إلى الله، والزموا التوراةَ التي أتى بها موسى، بأن تُحِلُّوا حلالَها، وتحرموا حرامها، وتعبدوا الله كما أمركم، ومن ضمن ذلك ينتج أنه لم يأتِ بشريعة جديدة مبتكرة، وإلا لأوصاهم أنْ يُعلِّمُوا الشريعة التي أتى بها من صلاةٍ وصيام، إلى غير ذلك من أنواع العبادات، وأنه لو كان كما تزعم النصارى من أنه أبطلَ الختان وأحلّ حُرمة السبت ولحم الخنزير، إلى غير ذلك. مما أبطلوا حُكْمَ التَّعَبُّدِ به طبق التوراة لذِكْره لهم هنا، فتنبه أيها الفطِن.

ثم لو كان كما تحكمون من أنه هو الإله، ونزل إلى الأرض، أو أنه ابن الله، أو أنَّ الله حَلَّ به، على اختلاف تلوُّنكم في العقيدة، لكان ذلك أول أمرٍ يُوصِي به الرُّسُلَ، وينادوا به في المدن التي أرسلهم إليها، ثم ذكر المترجم عن المسيح حكمة إرساله هؤلاء الرسل، وأنه حذّرهم من بطش الناس بهم إلى أن قال - ف٢٠: «لأنْ لستم أنتم المتكلِّمين، بل روحُ أبيكم الذي يتكلم فيكم» ومرقس فاتَ المترجمَ بمراحل، وذكر فصولاً إلى أنْ قال في - ص١٣ - ف١١: «لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح القدس» ولوقا ذكر مقابل هذا المعنى في - ص٢١ - ف١٥ قوله: «لأني أنا أعطيكم فماً وحكمة، لا يقدر جميع مسانديكم أن يقدموها أو يناقضوها».

فانظرْ - هداكَ الله - تَرَ المترجم أسندَ الكلام إلى الله تعالى، ومرقس أسنده إلى روح القدس، وأنتم تسمون روح القدس بجبريل، ولوقا أسند الكلام إلى المسيح، ومع هذا كله تسمون رُواةَ الأناجيل مُلْهَمِينَ، وأن الإنجيل واحد، مع أن أقلَّ الناس حافظةً، لو سمع من المسيح هذه الجملة، لأدَّاها كما سمعها، ولا يخل في أدائها.

ثم أورد المترجم باقي وصية المرسلين فقال في - ف٢١: «وسَيُسْلم الأخُ أخاهُ إلى الموت، والأب ولده، ويقوم الأولاد على والديهم، ويقتلونهم، وتكونون مُبْغَضين من الجميع من أجل اسمي» إلى أن قال: «فإني الحقَّ أقول لكم، لا تُكمِلُونَ مُدُنَ إسرائيل حتى يأتي ابنُ الإنسان» وقد أورد مرقس في - ص١٣ نظير هذا، وكذا لوقا في - ص٢١ ولكن بينهما تفاوت في التاريخ، كما سيأتي، غير أنَّ الأمرَ الذي أشكل علينا أنهم كملوا مدن إسرائيل، ومضى تسعة عشر جيلاً، ولم يأتِ ابنُ الإنسان؛ وهذا نظير ما ذكروه في علامات الساعة من أنه لا يمضي ذلك الجيل حتى يكون جميع ما أخبرَ به، وأنَّ السموات تزولُ، وكلامه لا يزول، فلم يقعْ شيءٌ من ذلك، فقد زال افتراؤهم على عيسى، والسموات ثابتة،

وحاشا المسيحَ عليه السلام أنْ ينطقَ بخلافِ الواقع، فما هو إلا حديث خرافة.

ثم أورد المترجم مثلاً، وإنْ كان غير سديد، أوردناه لبيان المخالفات وهو قوله في - ف٢٤: «ليس التلميذُ أفضلَ من المعلم، ولا العبد أفضل من سيده، يكفي التلميذ أن يكون كمعلمه والعبد كسيده» وقال لوقا في - ص٦ - ف٤٠: «ليس التلميذ أفضل من معلمه، بل كُلُّ مَنْ صار كاملاً يكون مثل معلمه» ولم يذكر العبد، وقد خالفه في التاريخ، لأن المترجم أورد المثل المذكور بعد إرسال الرسل، ولوقا أورده في ضمن الخطبة التي ذكرها المترجم في - ص٦ - وص٧ - وص٨ وما بين التاريخين بَوْن بعيد، وقد ذكر هذا المثل يوحنا في - ص١٣ - ف١٦ ونصه: «ليس عبدٌ أعظمَ من سيده، ولا رسول أعظمَ من مُرْسِله» واللبيبُ يعلم تفاوت الكلامين، ويمكن أن المترجم أراد أن النبوة تكون مكتسبة بالاجتهاد، كما يدل عليه قوله: «يكفي التلميذ أن يكون كمعلمه». وأنَّ مقام الألوهية يصح فيه الاشتراك، وذلك بيِّن من قوله: «والعبد كسيده». ولم يعلم أنه بذلك قد نقض قوله بقوله.

ولوقا تَوسَّطَ الأمر، ولم يتعرض لمقام الألوهية، ويوحنا خالف الاثنين، وأوضح المراد، فإنْ صَحَّتْ إحدى الروايات، فليس إلا رواية يوحنا، وكما أن لوقا خالف المترجم في التاريخ، فيوحنا خالفهما في ذلك أيضاً، لأنه أورده بعد غسْلِ المسيح أقدامَ التلاميذِ، ولا يحتملُ أن عيسى قال ذلك ثلاث مرات، في أوقات مختلفة، وإنْ سلم، فأينَ الإلهامُ؟!.

ثم ذكر المترجم - ف٢٦: «فلا تخافوهم، لأنّ ليس مكتوم لن يستعلن، ولا خفي لن يعرف، الذي أقوله لكم في الظلمة، قولوه في النور، والذي تسمعونه في الأذن، نادوا به على السطوح» وقد وافقه لوقا، وأورده في - ص٨ - ف١٦ وفي - ص١٢ - ف٢ ولكنْ خالفه في التاريخ، في النصَّين لأنه أوردهما بعد مَثَل الزرّاع، والمترجم هناك لم يذكر مَثَل الزراع ونص لوقا المار ذكره في - ص٨

هكذا: «وليس أحد يوقِد سراجاً ويغطيه بإناء، أو يضعه تحت سرير، بل يضعه على منارة، لينظر الداخلون النورَ، لأنه ليس خفيٌّ لا يظهرُ، ولا مكتوم لا يُعْلَم ويُعْلن».

ونسكت هنا عن تخالف الألفاظ وتكرار لوقا، ولكن نورد على الإنجيليين أن هذا نَصٌّ جَلِيٌّ في أن عيسى سلامُ الله عليه، كان لا يكتم من أمره شيئاً، كما هو شأن الأنبياء؛ ثم لو صَحَّتْ فيه دعواكم الباطلة مثل قولكم: أنه الكلمةُ تجسَّدت في بطن مريم، وأنه خلق نفسَهُ وأُمَّهُ، وأنه هو الله، نزل بذاته للأرض، من أجل خطيئة آدم، وصلب نفسه، وصار لعنةً عن خطايا الذين صلبوه وعن أمته، لكان ذلك أول أوامره ومفتاح تعليمه، لأنها أساس العقيدة الدينية بزعمكم، وهذه الأناجيل على أنها محرّفة، لم يكن فيها شيء من دعواكم الباطلة، وهذه حجة تنقض كُلَّ ما تَدَّعونَهُ فيه من الافتراء القبيح والكذب الصريح.

ثم أورد المترجم في – ف٢٨: «لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، ولكن النفس لا يقدرون أنْ يقتلوها، بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يُهْلِكَ النفس والجسد كليهما في جهنم» ولم يذكره يوحنا ولا مرقس، وأورده لوقا في – ص١٢ – ف٤ هكذا: «ولكن أقول لكم يا أحبائي! لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، وبعد ذلك ليس لهم ما يفعلون أكثر، بل أُريكم ممن تخافون، خافوا من الذي بعد ما يقتلُ له سلطانٌ أن يُلقي في جهنم، نعم: أقول لكم، من هذا خافوا» وما أراد المسيح سلام الله عليه بهذا إلا اللهَ تعالى وحده، فالويلُ لِمَنْ يُشركُ به.

ثم أورد المترجم عن المسيح قوله في – ف٣٢: «فكل مَنْ يعترف بي قدام الناس، أعترف أنا أيضاً به قدَّام أبي الذي في السموات، ولكن من ينكرني قدام الناس، أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات». وقال مرقس في – ص٨ – ف٣٨: «لأن من استَحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطىء، فإن ابن

الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين» وقال لوقا في - ص١٢ - ف٨: «وأقول لكم: كل من اعترف بي قدام الناس، يعترفُ به ابنُ الإنسان قدام ملائكة الله، ومن أنكرني قدام الناس، يُنْكَرُ قدام ملائكة الله» انتهى.

وقد اختلفوا في التاريخ والألفاظ، وهذه النصوصُ شاهدةٌ بأن المسيح سلامُ الله عليه بريءٌ من دعوى الألوهية فيه، ويشهدُ عند رَبِّه ومُرْسِلِه على إيمان المؤمن بمحضرٍ من الملائكة، كما أخبر الله تعالى في كتابه المجيد عن تلك الشهادة، وجواب عيسى اعتذاراً عما نسبوه بقوله ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة] ثم أورد المترجم قوله في - ف٣٤: «لا تظنوا أني جئتُ لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقى سلاماً، بل سيفاً».

قلت: وما برحت الأمة النصرانية منذ ألف وتسع مئة سنة تقرأ هذا الكلام بلا تَدَبُّرٍ ولا أفهام، ثم قال: «فإني جئتُ لأُفَرِّقَ الإنسانَ ضد أبيه والابنة ضد أمها والكِنّة ضد حماتها» إلى أن قال: «ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر مني، فلا يستحقني، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني، فلا يستحقني» إلى أن قال: «ومن أضاع حياته من أجلي يجدها». وهذا الكلام جميعه من جملة وصيته للرسل الاثني عشر، وقد أورد نظير هذا لوقا في - ص١٢ - ف٤٩ ويا بُعْدَ ما بين التاريخين، وعبارته هكذا: «جئت لألقي ناراً على الأرض، فماذا أريد لو اضطرمت» إلى أن قال في - ف٥١: «أتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض، كلا أقول لكم، بل انقساماً، لأنه يكون الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين، واثنان على ثلاثة، ينقسم الأب على الابن، والابن على الأب» إلى أن قال: «والحماة على كنتها» ثم أورد لوقا في - ص١٤ - ف٢٦ باقي ما أورده المترجم فقال: «إن كان أحد يأتي إليّ، ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً، فلا يقدر أنْ يكونَ لي تلميذاً، ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي، فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً».

أقول: ذكرتُ مراراً أنَّ أحدَ مفسري إنجيل متى من فضلاء علمائكم، كان يشهد عليه بأنه حَاطِبُ ليل، فلا عتب عليه بما أتى به هنا، ولكن الأسف على لوقا الذي وعد أنْ لا ينقلَ إلا ما تصح روايته، على وجه الصدق، مما يوافق العقل والنقل حسب ما ألزم نفسه به في أول إنجيله، حيث شاكل المترجم هنا، ولم يكتف بمخالفته، بل زاد في الطنبور نغمة بقوله: يبغض أباه وأمه إلخ، فإنْ كان مثل هذا صحيحاً عن المسيح، وحاشاه من ذلك، كان غايةً في الإجحاف بحقوق الوالدين، فهل يصح ذلك، وهما علة وجوده. وانظر، نوَّرَ الله بصيرتك لآداب الإسلام وقوله تعالى في القرآن ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء].

فلينظر موسيو هانوتو الذي يَتحطَّطُ على الملة الإسلامية، ويوازن بين الأمرين، وكيف سَوَّغَ له العقل أن ينسب تلك الأمة إلى أنها لم تسلك التمدن . ودينه الذي يَدين اللهَ به، بزعمه، يأمره أن يُبغض أباه وأمه وسائر عشيرته من إخوانه وأقاربه معتقداً أن ذلك من الكلام المقدس، وأنه من الوضع الإلهي.

فلتسمح لنا مدنيته أن نقول: إن هذا وأمثاله من التوغل في التوحش، ولا نطيل المقال في هذا المقام، لأننا نتحقق أن هذا الكلام من لوقا منقوض، والعجبُ منه ومن المترجم كيف تواطآ على نقلهما قولَ المسيح: «ما جئتُ لألقي سلاماً بل لأُلقي سيفاً» إلخ. والمترجم نفسه قال في - ص٩ - ف١٣ عن المسيح: «إني أريد رحمة لا ذبيحة» وسيورد في - ص٢٦ - ف٥٢ قول المسيح أيضاً: «الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» ولوقا يقول في - ص٩ - ف٥٦: «لم آت لأُهلك الناس» ويوحنا يقول في - ص١٢ - ف٤٧: «ما جئت لأدين العالم بل لأخلّصهم».

والنصارى متفقة على أن نزول المسيح عن عرشه وتكبده تلك المشاق ليخلص

العالم، فبأيٍّ نأخذ، ولأيٍّ نص ندين، ولأي حكمة نستمع؟! تَحيّرَ القلم، واندهش الفكر، فهل تصدق، وأنت العاقل، أن مثل هذا يصح صدوره من الله الملك الوهاب، بالله قل لي: كيف يأمرُ المسيحُ المسيحيين بِبُغْضِ آبائهم وأهليهم، والأناجيلُ مشحونةٌ من وصاياه التي تَحثُّكَ على حبهم وإرضائهم، أم كيف يأمرُ بحملِ الصليب، أهذا شعائر الدين وتلك الخشبة كانت وبالاً عليه، بزعمك، حتى تتوسع بالتأويل من أنه تذكار، وهذه الأناجيلُ الأربعة لم تذكر أنَّ التلاميذَ حملتْ صليباً، أوَ لم يكن المسيح مطاعاً في أمره، وهم أشدُّ الناس اتباعاً لأوامره؟! وأنت تعلم مما تتلوه من كتابك هذا، وستقف عليه مفصلاً، أن التلاميذ لما أخذت اليهود المسيح، بزعمكم للصلب، لم يأتوا وراءه، ولم يحملوا صليباً، بل واحدٌ منهم دَلَّ عليه، وصيُّه بطرس، وكان يحلف لاعناً نفسه أنه لا يعرفه، والباقون من التلاميذ رجعوا القهقرى، وتركوه.

فإنْ صَحَّت تلك الروايات، فهم قومٌ غير مؤمنين، بل لم يكنْ مؤمنٌ بالمسيح على وجه الأرض في زمنه، لأنه لم ينقلْ عن أحدٍ أنه حمل الصليب، وتبع المسيح، وهذا يوحنا لم يذكر من هذه الخرافات شيئاً قط، واللبيب تكفيه الإشارة على أنه إنْ صَحَّ قولُ المسيح: «ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي، فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً» فيؤوَّل بأنَّ مراده، عليه السلام، حثُّهم وتحريضهم على أن يدعوا إلى دين الله، ويجاهدوا في سبيل الله، ويبيعوا نفوسهم في ذلك بحيث لا تأخذهم في الله لومة لائم، والمراد بالصليب آلة القتل، لا الصليب المعروف عند النصارى، الآن، لأنه لم يكن في عهد المسيح عليه السلام، وإنما حدث في زمان الملك قسطنطين لرؤيا رآها في المنام، والقصة مشهورة، فكان المسيح يقول: ليتبعني كل منكم، وآلة موته على كتفيه، وكفَنُه على عاتقه مُسْتَقتلاً في سبيل الله مؤثراً ما عند الله على الحياة الدنيوية، فهل من قبيل قوله تعالى في القرآن العظيم ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ﴿١١١﴾﴾ [التوبة].

ويدل على ذلك أمرُه للتلاميذ بأن يبيعوا ثيابهم، ويشتروا سيوفاً، فافهم، والله تعالى أعلم، ثم ختم الإصحاح بقوله ف٤٠ -: «مَنْ يقبلكم يقْبَلُني ومَنْ يقبلني يقبل الذي أرسلني» وقد زاده إيضاحاً بقوله في ف٤١ -: «من يقبل نبياً باسم نبي فأجْرَ نبيٍّ يأخذ» إلى آخر الإصحاح، وقد أورد مرقس نظير ذلك في ص٩ ف٣٦ ولكن بَوْن بعيد بين الواقعتين، ونص عبارته: «فأخذ ولداً وأقامه في وسطهم، ثم احتضنه وقال لهم: مَنْ قبِلَ واحداً من أولادِ مثلِ هذا باسمي، يقبَلني، ومن قبِلَني، فليس يقبلني أنا، بل الذي أرسلني» ولوقا أورد ذلك في ص٩ ف٤٨ ووافق مرقس في الواقعة، كما في أكثر الألفاظ، فيكون الاتفاق بينهما على مناقضة المترجم.

وأنت بصيرٌ بأن هذا النص دليل واضح على أن المسيح أقرَّ بأنه نبيٌّ ورسول، وهو ظاهر لا مِرْية في معناه، ومُسَلَّمٌ لموافقتِه المعقولَ والمنقول، والله الهادي.

الإصحاح الحادي عشر

علمت مما تقدم أن كلام مرقس ولوقا تقاسما ما أورده المترجم، فأورداه في مواضع مختلفة، لأغراض متباينة، مع تخالُفٍ بيِّن بحيث لا تتأتى المطابقةُ لواحدٍ منهم مع الآخر، وهكذا شأنهم فيما ستطَّلع عليه في هذا الإصحاح أيضاً، بل في كافة الأناجيل الأربعة، فإن جميع ما أوردوه عن عيسى عليه السلام، سواء كان أحكاماً أو مواعظ أو قصص معجزات وأحوال، فإنما أوردوه موهوماً غير محقق ولا مُعَيَّن، ويكفي في التلاعب بالدين وعدم الأخذ باليقين إيرادهم الأحكامَ والمواعظ بصور مختلفة، بحيث يُرى أنهم لم يتفقوا على إيرادها بلفظ واحد، بل إنَّ أحدَهم يوردها بلفظ الماضي، وغيرُه بصيغة المضارع أو الأمر، والآخر يوردها مرة، وغيره يكررها مرتين أو ثلاثاً، وبعضهم يقسم الجملة قسمين، ويذكر كل قسم منها في موضع.

والبصيرُ العاقل إذا حُكي له مثلُ ذلك عن مُؤرِّخَيْن أوردا حادثة تاريخية، واختلفا في إيرادها مثل اختلاف هذه الأناجيل، حكم ببداهة العقل أنهما لم يتحرَّيا الصدقَ، بل لم يكن لهما وقوف على ما كتباه من الحادثة؛ ويمكنه أن يتوسع في القول بأنهما تَعمَّدا وضع تلك الحادثة.

وهَاكَ هذا الإصحاح، فانظر إليه، قال مترجم متى ف١: «ولما أكمل يسوع أمره لتلاميذه الاثني عشر، انصرف من هناك، ليُعَلِّم ويكرز في مدنهم، أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح، أرسل اثنين من تلاميذه، وقال له: أنت هو الآتي، أم ننتظر آخر؟ فأجاب يسوع وقال لهما: اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران، العُمْيُ يبصرون، والعُرْجُ يمشون، والبُرْصُ يطهرون، والصُّمُّ يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يبشرون، وطوبى لمن لا يعثر فيّ» انتهى.

قلت: لقد أشفى المسيح العُمْيَ فأبصروا، وزالت عنهم ظلمات الجهالة، والصمَّ فسمعوا، وشملتهم نفحات قواته، وقد نسيتَ أيها المترجم ما قدمتْ يداك، ألم تنقل لإخوانك المسيحيين في ترجمتك، في الإصحاح الثالث، من هذا الإنجيل - ف١: «جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً: توبوا لأنه قد اقتربَ ملكوتُ السموات، فإن هذا هو الذي قيل عنه: بإشعياء النبي» وأردت بذلك بشارة من يوحنا عن المسيح، إلى أن حكيتَ قول يوحنا المعمدان أيضاً في - ص٣ - ف١١ ونصه: «أنا أُعمّدكم بماء التوبة، ولكن الذي يأتي بعدي» إلى آخر ما حكيته، وقلتَ فيه أيضاً - ف٣١: «حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا، ليعتمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلاً: أنا محتاجٌ أن أعتمدَ منك، وأنت تأتي إلي؟! فأجاب يسوع وقال له: اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بِرٍّ، حينئذ سمح له» فهل نجعل يوحنا جاهلاً بالمسيح غير عارف برسالته بعد تلك المعرفة والقرابة، أليس من الضروري أن يكون أحد الخبرين افتراء وكذباً؟!

فالواجب على كل مسيحي أن يمعن النظر في هذا التخالف، وأن لا يثق بذلك التناقض الضروري، لا سيما مع العلم بأن هذا الخبر لم يورده سوى ذلك المترجم، وقد خالفه لوقا، وهذا نصه كما في - ص٧ - ف١٨: «فأخبر يوحنا تلاميذه بهذا كله، فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه، وأرسل إلى يسوع قائلاً: أنت هو الآتي، أم ننتظر آخر؟ فلما جاء إليه الرجلان قالا: يوحنا المعمدان قد أرسلَنا إليكَ قائلاً: أنتَ هو الآتي، أم ننتظر آخر؟ وفي تلك الساعة شفى كثيرين من أمراض وأدواء وأرواح شريرة، ووهبَ البصرَ لعميان كثيرين، فأجاب يسوع وقال لهما: اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما، إن العُمْي يبصرون، والعُرْج يمشون، والبُرْصَ يطهرون، والصُّم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يبشرون، وطوبى لمن لا يعثر فيّ» انتهى.

فالتاريـخ الذي ذكـره المترجم مخالف للتاريـخ الذي وقَّته لوقا، وقد ذكر المترجم إرسـال يوحنا للتلميذين وهو في السـجن، وليس في لوقا خبر السـجن، وقد ذكر المترجم جواب المسيح للتلميذين، بدون أن يريهما شيئاً من آياته. وفي لوقا أثبت أنه أراهما أنواع آياته كلها، ولكنه لم يذكر أنه أحيا ميتاً بحضور التلميذين حتى يكون جواب المسيح طبق المشاهد، فيصح قوله: أخبراه بما رأيتما وسمعتما حقيقة ، وإنْ صَحَّ التجوُّزُ.

وإني أتفكر دائماً في كثرة العُمي والعُرج والبُرص الذين كانوا في زمن المسيح، وأعجب من كثرة تلبُّس الأرواح بتلك المخلوقات التي وجدت في زمن المسيح، حتى حكَوا أن الأرواح النجسة تَلَبَّسَتْ بألفي خنزير، وغرقت في البحر بأمره.

وأحمدُ الله تعالى على صحة أهل هذا الزمن، من تلك العلل، وأزداد عجباً من أننا لو عددنا تلك الجموع التي شفاهم المسيح من الجنون والعمى والعرج، وطهرهم من البرص، وأحياهم من الموت، لبلغت آلافاً مؤلفة من العالم، ولسانُ التاريخ ناطقٌ بإيمانِ آحادٍ معدودين، كأنهم الحواريون فقط، ومن شأن هؤلاء الألوف، ولا سيما الذين شفاهم المسيح أنهم يرون رأيه، ويقومون بدعوته، ويفادونه بأنفسهم؛ ونراهم عند ما تسلطت اليهود عليه، وحكوا بقتله، وأخذوه، كما تزعمون، غير مدافعينَ ولا ناصرينَ له، بل حكى أن التلاميذ انهزموا، والذين شَفَاهم كانوا من جملة الذين يسخرون به، وهذا مخالفٌ لحقيقةِ البشرية والطبيعة الإنسانية. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم قال مترجم متى - ف٩: «لكن ماذا خرجتم لتنظروا أنبياً نعم. أقولُ لكم: وأفضلُ من نبيٍّ، فإن هذا هو الذي كتب عنه: ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيىءُ طريقكَ قُدَّامكَ، الحقَّ أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه، ومن

أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت السموات يُغصب، والغاصبون يختطفونه، لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبؤوا، وإن أردتم أن تقبلوا، فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي، من له أذُنان للسمع فليسمع» انتهى.

فتأمل أيها الناقد البصير فيما أورده هذا المترجم، وقبل أنْ نقرعَ سمعك بما في هذا البحث، نذكر لك تخالف الروايات، فقد ذكر لوقا هذه الجملة، لكنه فرّقها في مكانين من إنجيله، فذكر بعضاً منها في - ص٧ - ف٢٤ ونصه: «فلما مضى رسولا يوحنا، ابتدأ يقول للجموع عن يوحنا» إلى أن قال - ف ٢٦: «بل ماذا خرجتم لتنظروا، أنبياء؟ نعم: أقول لكم، وأفضل من نبي هذا هو الذي كتب عنه: ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي» إلى أن قال - ف٢٨ «لأني أقول لكم: إنه بين المولودين من النساء ليس نبيٌّ أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت الله أعظم منه» ثم ذكر عقب ذلك كلاماً، لم يذكره المترجم في خبر الإلهام، ثم أورد لوقا باقي ما أورده المترجم، ولكن خالفه في البعض قال. وفي - ص١٦ - ف١٦: «كان الناموس والأنبياء إلى يوحنا، ومن ذلك الوقت يبشر بملكوت الله، وكل واحد يغتصب نفسه إليه».

فالمفهوم من كلام مترجم متى أن المسيح ذكر عن يوحنا ما ذكره، والتلميذان على وشك الذهاب، ولوقا خالفه حيث ذكر أن المسيح لم يتكلم إلا بعد مُضي الرسولين، وذكر أن المسيح أقرَّ بنبوة يوحنا المعمدان أفضل الأنبياء، ومترجم متى سكت عن إيراد لفظ النبي في هذه الجملة، إذ أحسَّ بأنَّ ذلك يُفيدُ أنه كالمسيح، ولم يلبث هذان الراويان للإنجيل حتى قالا: إنَّ الأصغرَ في ملكوت الله أعظم منه، وقد قصدا بهذا الاستثناء أن المسيح أفضل منه، ثم لا يخفى أن صدر العبارة يخالف عَجُزَها، وأن المعنى الذي أراده لوقا في مفهوم الألفاظ التي أوردها خلاف ذلك كله، ثم قول مترجم متى: فإن هذا هو الذي كتب عنه: أنا أرسل أمام وجهك، إلخ، وإن كان أورده لوقا أيضاً، ومرقس قد صدره أول

إنجيله بقوله - ف٢ كما هو مكتوب في الأنبياء: «ها أنا أرسل أمام وجهك مَلَاكي الذي يهيىءُ طريقك قدامك» فإن فيه بعد التخالف بينهم في الزمان والمكان، والمعنى: التخالف بين النص والأصل لأنه منقول، على رأي مفسريكم، من الآية الأولى من الإصحاح الثالث من كتاب ملاخيا، وعبارة النص في أصله هكذا: «ها أنا ذا مرسِل مَلاكي، ويُسَهِّلُ الطريق أمام وجهي» وبين المنقول والمنقول عنه اختلاف من وجهين.

الوجه الأول: أن لفظ أمام وجهك» ثبت في الروايات الثلاثة، ولم يوجد في كلام ملاخيا.

والوجه الثاني: أن نص ملاخيا، في الجملة الثانية، بضمير المتكلم، ونقلها الرواة الثلاثة بضمير الخطاب، وقد قال هورن في تفسيره على هذا النص في الجلد الثاني ناقلاً عن داكتر ريدلف: «لا يمكن أن يبين سبب المخالفة بسهولة، غير أن النسخ القديمة وقع فيها تحريف ما» انتهى.

ويكفي حجةً على ما ألمعنا إليه إقرار مثل هذا الفاضل بالتحريف، ثم إن مترجم متَّى انفرد بقوله: «إن أردتم أن تقبلوا، فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي، مَنْ له أذنان للسمع فليسمع» إذ لم يذكر هذا النص غيره من رواة الأناجيل، وفيه تسمية الأنبياء بغير أسمائهم حيث سمي يوحنا المعمدان بإيلياء، وفيه مخالفة لكلام يوحنا وأبيه زكريا، عليهما السلام، حيث صرح يوحنا بأنه ليس هو إيلياء، وذلك في إنجيل يوحنا - ص١ - ف١٩ قال: «وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين، ليسألوه مَنْ أنتَ، فاعترف ولم ينكر، وأقرَّ أني لستُ أنا المسيح، فسألوه: إذاً ماذا إيلياء أنت؟ فقال: لستُ أنا» انتهى.

وصرح أبوه بأن ابنه يوحنا يتقدم أمام إيلياء، وذلك في إنجيل لوقا - ص١ - ف١٣ ونصه: «فقال له الملاك: لا تخف يا زكريا، لأن طَلَبَتَك قد سمعت،

وامرأتك أليصابات ستلدُ لك ابناً، وتُسَمِّيه يوحنَّا» إلى أنْ قال - ف١٧ في حق يوحنا: «ويتقدم أمامه - أي أمام الله - بروح إيلياء وقوته، ليرد قلوب الآباء» إلى آخر ما ذكره، فقد صرح بأن يوحنا يتقدم بروح إيلياء، فلو كان يوحنا هو إيلياء، لم يصح أن يقال: إنه يتقدم بروحه، وذلك ظاهر، وإذا ثبت أنَّ يوحنا ليس بإيلياء، انتقضت رواية الأناجيل عن المسيح عليه السلام من أنَّ إيلياء يأتي قبله، وهذا مما لا يمكن الجواب عنه.

والحق أن إيلياء يأتي بعده لا قبله، ويدل عليه وَعْدُ الله في آخر سِفر ملاخيا، عليه السلام، ونصه: «ها أنا ذا أُرسلُ إليكم إيلياء النبي قبل أن يجيء يومُ الربِّ العظيم المخوف» إلخ، أي: قبل قيامة الساعة، وهذا لا يَصْدُقُ إلا على نبيِّ الساعةِ أحمد، صلى الله عليه وسلم، وسيأتي هذا البحث في آخر الكلام على إنجيل يوحنا، إن شاء الله تعالى.

ثم قال مترجم متى - ف١٦: «وبمن أشبه هذا الجيل يشبه أولاداً جالسين في الأسواق ينادون إلى أصحابهم، ويقولون: زمَّرْنا لكم، فلم ترقصوا، نُحْنَا لكم، فلم تَلْطموا، لأنه جاء يوحنا، لا يأكل ولا يشرب، فيقولون: فيه شيطان» ولوقا أيضاً ذكر ذلك، كما في - ص٧ - ف٣١ لكنه زاد على الجملة، وصدَّرها بقوله: «ثم قال الرب» وخالفه أيضاً في أنَّ المسيحَ قال: «جاء يوحنا لا يأكلُ خبزاً ولا يشربُ خمراً» وهذا يدل على أنه كان يأكل غيرَ الخبزِ، ويشرب غير الخمر. ومترجم مَتَّى نفى عنه الأكل والشرب مطلقاً، وقد نسيَ أنه وصفه في ترجمته هذه - بص٣ - ف٤ بقوله: «يوحنا هذا كان لباسه من وبر الإبل، وعلى حِقويه مِنطقة من جلد، وكان طعامه جراداً وعسلاً برِّياً».

فيكون لوقا خالف مترجم متى، ومترجم متَّى خالف نفسه.

ثم قال مترجم متى - ف١٩: «جاء ابنُ الإنسان يأكلُ ويشرب، فيقولون: هو

ذا إنسان أكولٌ وشِرِّيب خمر، مُحِبٌّ للعشَّارين والخطاة، والحكمة تبررت من بنيها» وقد وافقه لوقا حرفاً بحرف في هذه الجملة - ص٧ - ف٣٤ ولكن وفاءً بعهد المخالفة وجَّه الكلامَ واللوم للمخاطَبين الحاضرين؛ والمترجم كما ترى جعل الضمير للغائبين، وزاد لفظ «الجميع» بقوله «تبررت من جميع بنيها» وهذا سهلٌ بالنسبة لما مَرَّ عليك من المخالفات، ثم إن الوصف القبيح الذي وصفوا به المسيح من أنه أكولٌ، أي كثيرُ الأكل شِرِّيب خمر، أي: كثير شرب الخمر، لم نسمعه من غير الإنجيليين، كما نسبوا له في يوحنا أن أول معجزة صدرت منه في قانا، قَلَبَ الماء خمراً، ليزيد سُكْر السّكارى في العرس، وكان ينبغي لفرقة بروتستنت الذين اتخذوا التغيير والتبديل دَيْدَناً، أن يغيروا هذه الجملة من رواية المترجم.

ولوقا إذ وصفه بأنه أكولٌ شريب للخمر، من الصفات التي يلحق الإنسانَ بهما العيبُ، لكونهما من أفعال النفس البهيمية، ثم ذكر مترجم متَّى من هذا الإصحاح توبيخَ المسيح للمدن التي أظهر فيها معجزاته، ولم تتب، إلى أنْ قال - ف٢٥ ونصه: «في ذلك الوقت أجاب يسوع، وقال: أحمدك أيها الأب رب السماء والأرض لأنك أخفيتَ هذه عن الحكماء والفهماء، وأعلنتها للأطفال، نعم أيها الأب: لأن هكذا صارت المَسَرَّةُ أمامك، كل شيء قد دفع إليَّ من أبي، وليس أحدٌ يعرف الابنَ إلا الأب، ولا أحد يعرف الأب إلا الابن، ومن أراد الابن أن يعلن له: تعالوا إليّ يا جميعَ المُتْعَبين والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم، أحمل نِيري عليكم، وتعلَّموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحةً لنفوسكم، لأن نيري هيِّن، وحِملي خفيف» انتهى.

وتابعه لوقا، ولكن بينهما فرق عظيم، أَخَصُّه في التاريخ، لأن المترجم صدَّر الجملة بقوله: في ذلك الوقت، أي بعد توبيخ المدن والدعاء على كورزين بالويل، ولوقا ذكره في - ص١٠ - ف٢١ بعد رجوع التلاميذ السبعين، وعبارته:

«وفي تلك الساعة تَهلَّلَ يسوع بالروح» وهذا مما لم يذكره المترجم. وقال: أحمدك أيها الأب إلخ، ما حكاه المترجم، إلى أنْ قال - ف٢٢: «والتفت إلى تلاميذه» وهذه زائدة لم يذكرها المترجم، إلى أن قال ما لفظه: «وقال: كل شيء قد دُفِعَ إليَّ من أبي، وليس أحدٌ يعرف مَنْ هو الابن إلا الأب، ولا من هو الأب إلا الابن، ومن أراد الابن أن يُعلن له» ولفظ «من» هو في الجملتين زائد عن رواية المترجم.

ثم قال لوقا - ف٢٣: «والتفت إلى تلاميذه على انفراد وقال: طوبى للعيون التي تنظر ما تنظرونه، لأني أقولُ لكم: إنَّ أنبياء كثيرين وملوكاً أرادوا أن ينظروا ما أنتم تنظرون، ولم ينظروا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون، ولم يسمعوا» هذه الجملة برُمَّتها لم يذكرها المترجم سهواً ونسياناً، كما أن لوقا غَضَّ النظرَ عما ذكره المترجم من قوله: تعالوا إليّ يا جميع المتعبين، إلى نهاية الإصحاح، ولا نعلمُ الحِكمةَ في ذلك، لكن كلام لوقا، بالجملة، أكثر ارتباطاً وأنسق ترتيباً من كلام المترجم.

وعلى كلٍّ، لا بأس أن نذكر طرفاً من معنى تلك الجمل، فانه يصرح بأن المسيح يحمدُ رَبَّهُ رَبَّ السماء والأرض وما بينهما شكراً على أنْ منحَ التلاميذ الإيمان به، وذلك مقتضى توجيه عبارة لوقا بما أطلعهم عليه من الأسرار التي أخفاها عن الحكماء والفهماء. وقوله: «كل شيء دُفِعَ إليَّ من أبي» يُفْهَمُ من صريحِه تبرؤ المسيحِ من حَوْلِه وقُوَّته إلى حولِ الله وقوته، وأنَّ الأشياء كلها صادرة من الله تعالى جليلها ودقيقها، فكلّ ما أجراه من القوات كان صدورها من الله تعالى.

وقوله: «ليس أحدٌ يعرفُ مَنْ هو الابن» أي الرسول، وهو كناية عن نفس عيسى إلا الأب، أي: إلا مُرْسِلُه، وهو الله تعالى، فهو الذي اختار الأنبياء، وخَصَّهم بذلك من بين خلقه، لحكمةٍ أودعها فيهم، لا يعلمُ أحدٌ تفصيلَ حقيقة

هذه الحكمة، وإن كانت معلومة لدينا إجمالاً إلا هو، فهو جَلَّ جلالهُ يعرفُ حقيقة رسوله المسيح، وأنه أرسله بالحق لهداية الخلق.

وقوله: «ولا مَنْ هو الأب»، أي: ولا يعرف من هو الله تعالى إلا الابن، أي: الرسول، إذ كلما ازداد العبد قرباً من ربه، ازداد معرفة.

وأعْرَفُ الخَلْقِ بالله تعالى الأنبياء، إذ هم أقربُ الخلق إلى الله تعالى، وهذا، كما تعلم، من التوحيد المحض، ولا يُشَمُّ منه رائحةُ ما ذهبتْ إليه النصرانيةُ من اشتراك المسيح الذي هو الابن بمرتبة الرب الذي هو الأب، فإن هذا من فساد الوهم الباطل، وحجة القائل بذلك أوهَنُ من بيت العنكبوت.

وقوله: «ومَنْ أراد»، أي: ومن أراد الوصول إلى تلك المعرفة، الابنُ يعلن له، أي: فليتبع الرسولَ، فهو دليل الخلق إلى طريق الحق.

وقوله على رواية المترجم: تعالوا إليّ يا جميعَ المُتْعَبين وثقيلي الأحمال مِنْ تكَاثُر الذنوب والأوزار، وأنا أُريحكم، أي: أحُطّ عنكم أوزاركم، إن أخلصتم التوبة، واتبعتموني.

فالمسيح المريح المجازي، لأنه الواسطة بين الخالق والمخلوق، وهذا طِبْقَ ما أورد بولس في - ص٢ - ف٥ من رسالته الأولى إلى تيموتاوس حيث قال فيها: «لأنه يوجدُ إلهٌ واحد ووسيطٌ واحد، بين الله والناس، الإنسانُ يسوع المسيح» انتهى بحروفه.

وهو مما ينادي بالتوحيد عَلَانيةً، ومن تأوَّلَهُ بغير ذلك، فهو هاوٍ في الهاوية، والدليل عليه قوله: «تعلموا مني» إلخ، فلا حجة أقوى من ذلك على نُبُوَّةِ المسيح، سلامُ الله عليه، ونفي ما تَدَّعيه فيه النصارى من الألوهية، والله يتولى التوفيق ويهدي إلى أقوم طريق.

الإصحاح الثاني عشر

اعلمْ أنَّ هذا الإصحاحَ تضمَّنَ بعضَ أحكام السبت، وحفظ الأحكام التي تجب رعايتها، فعلى القارىء أن يتأمل فيما وقع من الخُلْفِ والتخالف بين روايات الأناجيل، في هذه الأحكام التي كان من واجبِ حقها أنْ تُحْفَظَ من ذلك.

قال المترجم لإنجيل متى ف١: «في ذلك الوقت ذهب يسوع في السبت بين الزروع، فجاع تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل، ويأكلون، فالفريسيون لما نظروا، قالوا له: هو ذا تلاميذُكَ يفعلون ما لا يحلُّ فِعْلُه في السبت» وخالفه مرقس حيث قال - ص٢ - ف٢٣: «واجتاز في السبت بين الزروع، فابتدأ تلاميذه يقصون السنابل، وهم سائرون، فقال له الفريسيون: انظر لماذا يفعلون في السبت ما لا يحل» وقد أورد ذلك قبل تاريخ مترجم متَّى بمدة طويلة، كما يعلم من مفهوم الإصحاح، وخالفه أيضاً في الألفاظ والمعاني، لأنَّ المترجم جعل عِلةَ إباحة القطف جوعَ التلاميذ، لئلا ينسب إليهم ارتكاب ما هو عليهم حرام. ومرقس لم يعلّل بشيء، ومترجم متَّى لَمَّا ذكر عِلَّةَ القطف، ذكر أنهم أكلوا ما قطفوا ومرقس لم يُبيِّنْ ذلك.

وقِسْ على ذلك اعتراض الفريسيين، فإن عبارة مترجم متى تفيد أن اعتراضهم كان بعد القطف، وعبارة مرقس تفيد أن اعتراضهم كان حين القطف. ولوقا خالف صاحبيه في التاريخ، كما أنه خالفهما في الرواية، وعبارته كما في - ص٦ -ف١: «وفي السبت الثاني بعد الأول اجتاز بين الزروع، وكان تلاميذه يقطفون السنابل، ويأكلون وهم يفركونها بأيديهم، فقال لهم قوم من الفريسيين: لماذا تفعلون ما لا يحلُّ فِعْلُه في السبوت».

فانظر، هَداكَ اللهُ، إلى وحي لوقا، فقد علم أن ضبط توقيت تاريخ الأحكام أساس، تَلزمُ المحافظةُ عليه، فضبطَ وقوعَ الحادثة في السبت الثاني بعد السبتِ

الأول، ولكنْ غابَ عنه ذِكْرُ السنة. ولا تأخذكَ الحِدَّةُ من هذا أيها المسيحيُّ، فإني عند ما شرعتُ في كتابة نص لوقا هذا، تَتبَّعْتُ الإصحاحات التي قبل الإصحاح السادس من لوقا، لعلّي أجد أن المسيح فعلَ شيئاً في يوم سبت قبل هذا السبت، لألتمسَ له العذر، فلم أجد.

وأنت ترى أنه ذكر فَرْكَ ما كانوا يقطفونه من السنابل، واستدرك بذلك على صاحبيه مترجم متَّى ومرقس، لئلا يتوهَّم القارىءُ أن التلاميذ كانوا يأكلون السنابل بدون فَرْكٍ، وقد خالفهما أيضاً بأنْ جعل الاعتراض من بعض الفريسيين الذين كانوا بصحبتهم لا كُلِّهم، ويتفرَّعُ من هذا أن البعض الآخر لا يرون بأساً فيما فعله التلاميذ. وكما أنه خالفهما بذلك، فقد خالفهما أيضاً بأنْ جعل الاعتراضَ من الفريسيين للتلاميذ رأساً، والمترجم ومرقس جعلا توجيه خطاب الاعتراض على المسيح.

وقد فصّلتُ لك هذه الجملة لتستدلَّ على غيرها، ولو التزمتُ التفصيل، لحصل لك المَلَلُ من التطويل. والنبيه تكفيه الإشارة.

ثم روى المترجم عن المسيح جوابين عن هذا الاعتراض المتقدم ذكره لليهود.

الجواب الأول قوله - ف٣: «فقال لهم: أمَا قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه، كيف دخلَ بيتَ الله، وأكلَ خبزَ التقدمة الذي لم يحِلّ أكلُه له ولا للذين معه، بَلْ للكهنة فقط».

والجواب الثاني قوله - ف٥: «أوَ ما قرأتم في التوراة أن الكهنة في السبت في الهيكل، يُدَنِّسون السبتَ وهم أبرياء» وقد اقتصر مرقس على ذكر الجواب الأول فقط، وخالف المترجم فيما أتى به من الروايات، فقال - ف٢٥ من - ص٢: «فقال لهم: أما قرأتم قط ما فعله حين احتاج وجاع هو والذين معه، كيف دخل بيت الله في أيام أبيأثار رئيس الكهنة، وأكل خبز التقدمة الذي لا يحلُّ أكلُه إلا

للكهنة، وأعطى الذين كانوا معه أيضاً» فزاد في ذلك كلمة «احتاج» وزاد أيضاً: «في أيام أبيأثار رئيس الكهنة» وجملة «وأعطى الذين كانوا معه أيضاً» وبمقابل تلك الزيادات قد تركَ جملةً مما ذكر المترجم، وهي «لم يحلَّ أكلُه له ولا للذين معه» ولوقا لم يذكر سوى الجواب الأول أيضاً، وانتحله من جوابِ صاحبيه المترجم ومرقس، وعبارته هكذا في - ص٦ - ف٣: «فأجاب يسوع، وقال لهم: أمَا قرأتم؟ ولا هذا الذي فعله داود حين جاع هو والذين كانوا معه، كيف دخل بيت الله، وأخذ خبز التقْدِمَة، وأكل وأعطى الذين معه أيضاً الذي لا يحلُّ أكلُه إلا للكهنة فقط» انتهى.

ثم إن هذا الجوابَ لو صَحَّ عن المسيح، فلا يكون جواباً عن اعتراض الفريسيين، لأنه لا يُفيدُ حُكْمَ إباحةِ السبت للمضطر، نعم! جوابُ المسيح عليه السلام، يفيدُ أكلَ ما لا يحلُّ أكلُه للمضطر، فيصح جوابه أن يكون جواباً، فيما إذا اعترض المعترضُ على التلاميذ بأنهم كيف جاز لهم أكل سنابل الزرع، وهي ملكُ الغير، فحينئذٍ يكونُ هذا الجواب دليلاً على جواز أكل ما لا يحلُّ أكلُه عند الضرورة.

وأما ما ذكره مترجم، متَّى، وانفرد به من قوله في الجواب الثاني: «إن الكهنة في السبت في الهيكل يدنسون الهيكل، وهم أبرياء» فهو كلامٌ لا معنى لظاهره، وأين محله في التوراة، والمسيحُ مُنَزَّهٌ عن القول بذلك، ولو تأمَّلَ المُطالِعُ، وفهم معنى التدنيس، فلا أظن أنه يطلق على المتدنس، بعد أن وصفه بأنه مدنس، أنْ يكون بريئاً، لأنهما ضدان لا يجتمعان، وما أراد المترجم بهذا إلا تَعمُّدَ أنْ يُطْلِقَ الحريةَ للرؤساء، فيكونوا غير مؤاخذين بأفعالهم الدنسة، بنصِّ الإنجيل المُسْتخرجِ بزعمهم من التوراة، فَلِلَّه أبوهُ ما أعرَفَهُ بالحِيَل، فلو فطن العاميُّ لمثلِ هذا وساءل قِسِّيسَهُ، فلا أظن أن يجيبه بأقل من لطمة على خَدِّه، فعامة المسيحيين محجَّلون بقيود مثل هذه، ويمكن أنه أراد بالتدنيس الذنبَ بالأكلِ عند الضرورة.

فأين هو من طلبة العلم والمتعلمين عند كافة المسلمين الذين يستديرون حول الشيخ والمعلمين للتدريس، ويَرْمُونَ على الشيخ اعتراضاتهم كالسيل، وهو يجاوبهم ويقنعهم يميناً ويساراً، ويكررون ويكرِّرُ حتى يقنعوا، ولا يقبلون منه شيئاً مما يخالفُ العقلَ والنقلَ، والذي لا يقنعُ منهم، فإنه يراجعُ الكتبَ وفحولَ العلماء حتى يقنع، فتأمل.

ثم قال مترجم متى ف٦ -: «ولكن أقول، إن ههنا أعظم من الهيكل، فلو علمتم ما هو، أني أريد رحمةً لا ذبيحة، لما حكمتم على الأبرياء» وقد انفرد جناب مترجم متَّى، ولو عرفنا اسمه لَبَجَّلْناه بالذِّكْرِ في هذه الجملة، وفسَّر بها ما حكيناه من أنَّ المراد إطلاق حرية الرؤساء، وقد استعمل لين الكلام في قوله: إني أريد رحمة لا ذبيحة. وتوصل بهذا لبلوغ ما يريده.

وفي الحقيقة أن الوقوفَ عند حدودِ الله هو الرحمة الحقيقية.

وبِصَرفِ النظر عن هذا، فإنَّ قوله: أريد رحمة لا ذبيحة، منقوضٌ بروايته نفسه في ص١٠ ف٣٤ حيث قال: «ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً» والمراد من ذلك إلزام قومه بالوقوف عند حدود الله، واتباع أحكامه، فانظر بعين البصيرة أيها الناقدُ البصير إلى هذه المنافاة فيما يزعمون إلهاماً.

ثم قال مترجم متَّى - ف٨ «فإنَّ ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً» أي: صاحب السبت، بمعنى أنه يدين اللهَ بما تَدِينُ به بنو إسرائيل، من احترام السبت، وقد ذكر مرقس ولوقا من هذا شيئاً، ولكنهما تَفَنَّنا في تنسيقِ العبارة، فقال مرقس في - ص٢ - ف٢٧: «ثم قال لهم: السبتُ إنما جُعِلَ لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت، إذ ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً» وهذه الزيادةُ لا طائل تحتها، ولا يفهم من هذا التطويل إلا ما أراده متَّى في إنجيله، من كون المسيح مُؤَيِّداً للسبت، لا ناسخاً له، فالزيادة تحصيل حاصل.

وعبارة لوقا في - ص٦ - ف٥ مطابقة لعبارة المترجم حرفاً بحرف إلا أنه زاد عليه قوله: «وقال لهم» والوحيُ مُنَزَّهٌ عن الزيادة والنقصان في التبليغ، ثم أورد المترجم - ف٩ قوله: «ثم انصرف من هناك، وجاء إلى مَجْمَعهم، أي: في ذلك اليوم نفسه، وإذا الإنسان يده يابسة، فسألوه قائلين: هل يحلُّ الإبراءُ في السبوت، لكي يشتكوا عليه، فقال لهم: أي إنسان منكم يكون له خروفٌ واحد، فإن سقط هذا في السبت في حفرة، أفما يُمْسِكُه ويقيمه، فالإنسانُ كم هو أفضل من الخروف، إذاً يحلُّ فِعْلُ الخير في السبوت، ثم قال للإنسان: مُدَّ يدكَ، فمدَّها، فعادت صحيحةً كالأخرى» انتهى.

ومرقس أورد هذا البحث في - ص٣ - ف١ فقال: «ثم دخل أيضاً إلى المجمع» أي: بعد انصرافه من بين الزروع، فيكون دخوله المجمع في ذلك اليوم أيضاً «وكان هناك رجل يده يابسة، فصاروا يراقبونه، هل يشفيه في السبت، لكي يشتكوا عليه».

انظر إلى هذه المخالفة بين قول المترجم «فسألوه قائلين» الخ وبين قول مرقس «فصاروا يراقبونه» إلخ.

ثم - ف٣ قال مرقس: «فقال للرجل الذي له اليد اليابسة: قُمْ في الوسط». الظاهرُ أنه شعرَ منهم بالمراقبةِ الخفية، وهذا مما فات المترجم ذكره و - ف٤: «ثم قال لهم: هل يحل في السبت فعل الخير، أو فعل الشر، تخليص نفس، أو قتل؟ فسكتوا، فنظر حوله إليهم بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم، وقال للرجل: مُدَّ يدك فمدّها، فعادت يدُه صحيحة كالأخرى، فخرج الفريسيون للوقت مع الهيروديسيين، وتشاوروا عليه لكي يهلكوه».

أقول: فهذا المؤتمر المنعقد في إنجيل مرقس على هلاك المسيح، عليه السلام، لم يتشكَّلْ اجتماعهُ عند المترجم. والنصُّ أمامك، فلا حاجة لنا ببيانِ ما

فيه من التخالف، وليس في مرقس أيضاً مَثَلُ الخروف المذكور في متى، ثم إن لوقا أيضاً خالف صاحبيه، وعبارته في - ص٦ - ف٦: «وفي سبتٍ آخرَ دخل المجمعَ، وصار يعلم» وأنت تعلم أنه خالفهما في التاريخ، وهذا مما لا يسامح به، لأن للتاريخ شأناً في ضبط الوقائع، وخالفهما أيضاً في أن دخوله المجمع كان للتعليم، وهما لم يذكرا ذلك «وكان هناك رجل، يده اليمنى يابسة».

ولا شك أنك علمتَ أن المترجم ومرقس لم يُعَيِّنا اليدَ اليابسة، هل هي اليمنى أو اليسرى، فلوقا استدرك ذلك، وقال: إنها اليمنى، وقوله «وكان الكتبة والفريسيون يراقبونه» وذِكْرُ الكَتَبَةِ هنا زائد ومخالف للمترجم، لأنه اقتصر على ذكر الفريسيين فقط، ومخالف لمرقس، إذ المفهوم من آخر إصحاحه أن المجمع منعقدٌ من الفريسيين والهيروديسيين، وقول لوقا «هل يشفي في السبت، لكي يجدوا عليه شكاية، أما هو فَعَلِمَ أفكارَهم، وقال للرجل الذي يده يابسة: قُمْ وقِفْ في الوسط، فقام ووقف، ثم قال لهم يسوع: أسألكم شيئاً: هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر، تخليص نفس أو إهلاكها؟ ثم نظر حوله إلى جميعهم، وقال للرجل: مد يدك، ففعل هكذا، فعادت يده صحيحة» ولم يبيّن هنا صورة الفعل، فليته سكتَ عن ذِكْرِ قوله «ففعل هكذا» ونحنُ نسكتُ أيضاً عن طلب تصوير ما فعل «فامتلؤوا حمقاً، وصاروا يتكالمون فيما بينهم، ماذا يفعلون بيسوع» انتهى.

فعند تطبيق الإصحاح يظهرُ للمتأمل الاختلافُ في المعنى واللفظ، وتكفي المنصف الإشارة. والمسيحيون يجعلون هذه الرواية دليلاً على نسخ السبت، والحالُ أن قَطْعَ سنابل الزرع كان لضرورة الجائعين، وأن فعل الخير كشفاء الأمراض، ليس فيه دلالةٌ على نفي مشروعية السبت، ولا دليلَ في ذلك على نسخ أحكامه، والمنصف يثبت من ذلك وجوب التمسك بالسبت على المسيحيين، على أنه ليس في التوراة مَنْعٌ لما تُلْجِئُ الضرورةُ إلى إتيانه في

السبت، ولا منع لفعل الخير، وإنما الكهنة من اليهود شَدَّدُوا حتى حرَّموا الضروريات والخيرات، فشدَّدَ اللهُ عليهم. والمسيحيون استدلوا على نسخ السبت بمثل إباحة الضرورات، وفعل الخير، خلافاً للمفهوم من صراحة التوراة، فأضاعوا أحكامَ الله تعالى.

فانظر أيها الفَطِنُ إلى علماء المِلّتين وتجاسرهم بالزيادة والنقصان، والتغيير والتبديل، وعدم إنصافهم في تفسير كتب الله تعالى وأقوال أنبيائه، فاليهود شَدَّدُوا، والنصارى أباحوا، كما ترى، وهذا هو الإفراط والتفريط. وعلى فرض صحةِ أخْذِ ذلك من قولهِ: «إذ يحل فعل الخير في السبوت»، فمحل ذلك، إن لم تكن الجملة معترضة، فليس فيه دلالةٌ على النسخ قطعاً، والقارىءُ النبيه يلحظ ذلك من أول وهلة، وأنها ليست من سياق الكلام الأصلي.

وقد قلنا: إن أعمال الخيرات والضروريات لا تكسرُ السبتَ، كما هو مقتضى التوراة المؤيدة بالمسيح عليه السلام، وقد وقعت التوراةُ بين قومٍ، بالغوا بالتشديد حتى شَدَّدَ اللهُ عليهم، كما قال المسيح: من قساوة قلوبهم، وقوم هتكوا حرمات أحكامها، فضاعت بين الطائفتين، ولكن المسيحيين ضَيَّعوا الكتابين وأقوالَ الرسولين معاً، لكونهم بدّلوا الإنجيلَ، وحرَّفوه، ليثبتوا فيه نسخ التوراة؛ ولما رأوا أنهم مخطئون بترك التوراة كلياً، أرادوا أن يرجعوا إليها والعمل ببعض أحكامها، فالتزموا تحريفها على مقتضى أهوائهم، لئلا يظهر منها تبديل كتابِهم الجديد، فخسروهما معاً.

ثم قال مترجم متى - ف١٤: «فلما خرج الفريسيون، تشاوروا عليه لكي يهلكوه، فعلمَ يسوع وانصرف من هناك، وتبعته جُموعٌ كثيرة فشفاهم جميعا وأوصاهم أن لا يظهروه».

أقول: لا يخفى أن انصراف المسيح عليه السلام كان هرباً من الفريسيين وهو

بزعمكم إلهٌ، والإلهُ لا يفرُّ من خَلْقِه هَرَباً وفزعاً. ثم قوله: «وأوصاهم أن لا يظهروه»، أي: يكتموا هذه المعجزات. عجيبٌ إذ لم يجفَّ القلمُ بَعْدُ عن أثر حكاية المجنون، وأنَّ المسيح أمره أنْ يحَدِّثَ بما صنعَ اللهُ به، وأن ذلك مُراد الله من رسله، وعليه قول المسيح الذي روته الأناجيل: «الذي أقوله لكم في الظُّلْمةِ، قولوه في النور، والذي تسمعونه بالأذن، نادوا به على السطوح» فهل بعد صدور هذا القول منه يصدر عنه الأمر بالكتمان؟!

ومرقس ذكر ما هو شبيه بذلك في - ص٣ - ف٧ لكنه أتى بما لا طائل تحته، والقصة فيها طول، فراجعها إنْ أردتَ. ولوقا فاته ذِكْرُ ذلك. ثم إن قول المترجم في - ف١٧: «لكي يتم ما قيل بأشعياء النبي القائل: هو ذا فتاي الذي اخترته، حبيبي الذي سُرّتْ به نفسي، أضع روحي عليه، فيخبر الأممَ بالحقِّ، لا يخاصمُ ولا يصيح، ولا يسمع أحد في الشوارع صوته، قَصَبة مرضوضة، لا يقْصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ حتى يخرج الحق إلى النصرة، وعلى اسمه يكون رجاء الأمم».

هذه الجملة انفرد المترجم بتخريجها، ولم يتابعه على ذلك غيرُه، والتوراة تكفَّلت لنا بمخالفته كما في النسخة العربية المطبوعة في لندن بمطبعة وليما واطس سنة ١٨٤٨ في أول - ص٤٢ من سِفر أشعياء، وعبارة التوراة هكذا: «ها هو ذا عبدي، فاقبله، مختاري سُرَّتْ به نفسي، أعطيتُ روحي عليه، يخرج القضاء للأمم، لا يصرخ ولا يحابي بشخص، ولا يسمع صوته خارجاً، القصبة المرضوضة لا يكسرها، والكتان المدخن لا يطفيه، بالعدل يخرج القضاء، لا يكون حزيناً ولا مُتَعَبِّساً حتى يجعل في الأرض القضاء، وشريعته تنتظرها الجزاير، هكذا يقول الرب».

فانظر، أنار الله بصيرتك، وأراكَ الحقَّ حقاً، وهداك إلى اتِّباعه، أين قول المترجم: «هو ذا فتاي الذي اخترته» وبين قول الأصل: «ها هو ذا عبدي،

فاقبله». فَغَيَّرَ وَصْفَ العبودية وهي أشرف نعوت المخلوق، لا سيما وقد أضافه الباري إلى نفسه، ومَنْ يأنفُ من أن يكون عبداً لله؟!

وانظر بين قول المترجم: «أضع روحي عليه، فيخبر الأمم بالحق» وقول الأصل: «أعطيت روحي عليه، يخرج القضاء للأمم» فالمترجم لم يكن من غرضه أنْ يَصِفَهُ بأنه بواسطته يكونُ القضاء، أي: الأحكام بين الأمم، لِصِدْقِه حينئذٍ على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كما ستطَّلعُ عليه في شرحنا على - ص١٦ من إنجيل يوحنا.

ونستلفت هنا أنظار علماء الملة النصرانية، فإن أصل النص فيه لفظة «عبد» وهي لا تنطبق على المسيح عليه السلام لزعمهم ألوهيته، فبالضرورة أنَّ الإله لا يكون عبداً لغيره، فيثبتُ أنَّ المرادَ به هو خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم.

ومن الواجب على علمائكم أيها النصارى تطبيق الجملتين وتخليصهما من أسْرِ التحريف، لأنَّ التحريفَ في كتب الوحي شيءٌ عظيم مُؤَدٍّ إلى الكفر والتلاعب في الدين، ولو تأملتَ أيها المسيحي في تمام ما أورده أشعياء من هذا السفر، لعلمتَ الحقَّ من أنَّ المُشَارَ إليه هو سيد الأنام ومصباح الظلام.

ويا ليتهم يقبلون عبوديةَ المسيحِ لله، كما صَرَّحَ النصُّ، ونكف القلم عن معارضتهم فيه.

وَلْنَعُدْ لتمامِ ما أورده مترجم متى قال - ف٢٢: «حينئذ أُحضِر إليه مجنون أعمى وأخرس، فشفاه حتى أنَّ الأعمى الأخرس تكلم وأبصر، فبُهت كُلُّ الجُموع، وقالوا: ألعلَّ هذا ابن داود» وقد خالفه لوقا إذ أورد هذه المعجزة في - ص١١ - ف١٤ ونصه: «وكان يخرج شيطاناً، وكان ذلك أخرس، فلما أخرج الشيطان، تكلم الأخرس، فتعجب الجموع» والظاهر أنها واقعة واحدة. ثم إن مرقس ويوحنا قد تساهلا في عدم ذكرهما هذه المعجزة، ولوقا أهمل ما ذكره

المترجم عن لسان الجموع، وهو قولهم «لعل هذا هو ابن داود» وهذا تفريطٌ منه ومخالفة.

وفي - ف٢٤ قال المترجم: «أما الفريسيون فلما سمعوا، قالوا: هذا لا يخرج الشياطين إلا ببعلِ زبول[١] رئيس الشياطين، فَعلِمَ يسوع أفكارَهم، وقال لهم: كُلُّ مملكةٍ منقسمةٌ على ذاتها، تَخْرب، وكلُّ مدينةٍ أو بيتٍ منقسمٌ على ذاته، لا يَثْبُتْ، فإن كان الشيطان يخرج الشيطان، فقد انقسم على ذاته، فكيف تثبت مملكته» وذكر مثل ذلك مرقس، بعد أن حكى خروج أقرباء عيسى عليه سلام الله عليه بقصد إمساكه، لأنه مُخْتَلٌّ فقال - بص٣ - ف٢٢ وأما الكتبة الذين نزلوا من أورشليم فقالوا: إن معه بعلزبول، وإنه برئيس الشياطين يُخْرِجُ الشياطينَ، فدعاهم وقال لهم بأمثال: كيف يقدر شيطانٌ أن يخرج شيطاناً؟! وإن انقسمت مملكة على ذاتها، لا تقدر تلك المملكة أن تثبت، وإن انقسم بيتٌ على ذاته لا يقدر ذلك البيت أن يثبت، وإن قام الشيطانُ على ذاته وانقسم، لا يقدر أن يثبت، بل يكون له انقضاء» انتهى.

ولوقا حكى أيضاً بعد حكاية إخراج الشيطان من الأخرس المتقدم ذكرها، فقال في - ص١١ - ف١٥: «وأما قوم منهم فقالوا: ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين، وآخرون طلبوا منه آيةً من السماء يجربونه» وهذه لم يَحْكِها المترجمُ ومرقس، فعلم أفكارهم، وقال لهم: كُلُّ مملكةٍ منقسمة على ذاتها تخرب، وبيت منقسم على بيت يسقط، فإن كان الشيطان أيضاً ينقسم على ذاته، فكيف تثبت مملكته؟!.

أقول: لا يَخْفى تخالفُ الأناجيلِ الثلاثة، في ألفاظِ هذه الجملة، وتخالُفُ المَحْكِيِّ عنهم، فالمترجمُ جعلهم الفريسيين، ومرقس حكاه عن الكتبة، ولوقا

---

(١) وتكتب أيضاً مُتَّصلة، كما تكررت أكثر من مرة «ببعلزبول» في الأصل.

جهلهم، فحكاه عن قوم، ولم يُقَيِّدهُمْ لا بالكتبة ولا بالفريسيين، وأيما كان، فعلى تقديرِ صِحَّتِه يفيدُ الإقرارَ بالوحدانية التي لا تنقسم لذاتها، ويبطل مسألة التثليث بجميع تأويلاتها، ويشير إلى أنه ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء].

ومما يُؤَيِّدُ ما قلنا قول المسيح في ترجمة مَتَّى عُقَيب نظير ما تقدم - ف٢٧ «وإنْ كنتُ أنا ببعلزبول أخرجُ الشياطين، فأبناؤكم بمن يخرجون، لذلك هم يكونون قضاتكم» ومرقس اكتفى بما أورده من المثال، ولم يذكر هذا الجوابَ الصحيحَ الظاهر في دعواهم. ولوقا وافق مترجم متَّى.

وليتنبه القارىء لما أراده المسيح، صلاةُ اللهِ عليه بقوله: «وإنْ كنتُ أنا ببعلزبول أخرج الشياطين، فأبناؤكم بمن يخرجون، لذلك هم يكونون قضاتكم» فإنه نَزَّلَ نفسه بمنزلةِ أبنائهم، ومقصوده أنبياء بني إسرائيل، وفيه إقرارهُ بمساواتهِ لهم عليهم السلام، وهو مخالفٌ لما تَدَّعيه النصارى فيه من الألوهية؛ والأوضح من ذلك إقراره في حكاية مترجم مَتَّى عنه في هذا الإصحاح بقوله - ف٢٨: «ولكنْ إن كنتُ أنا بروح الله أخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم مَلكوتُ الله».

والمعنى: إن كنتم تؤمنون أني بأمر الله أخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوتُ الله؛ ومرقس لم يَحْكِ ذلك إما تفريطاً أو سهواً. ولوقا وافق متَّى حيث قال: «بإصبع الله أخرج الشياطين»، والمعنى واحد.

ثم أورد المترجم قوله - ف٢٩: «أم كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القوي، وينهب أمتعته إنْ لم يربط القوي أولاً، وحينئذ ينهب بيته» ومرقس حاذى المترجم في هذه الفقرة، وخالفهما لوقا، وعبارته في - ف٢١ من - ص١١: «حينما يحفظُ القويُّ داره متسلحاً، تكونُ أمواله في أمان، ولكن متى جاء مَنْ هو أقوى منه، فإنه يغلبه، وينزع سلاحه الكامل الذي اتَّكَلَ عليه، ويوزع غنائمه» ثم ذكر

المترجم قوله - ف٣٠: «من ليس معي، فهو عليّ، ومن لم يجمع معي، فهو يفرق».

أقولُ بلا مِرْيةٍ ولا افتراء: إنَّ جميعَ المسيحيين خالفوا أمرَ المسيح، فهم عليه لا معه إلا التلاميذ ومَنْ تبعهم بإحسان، وقد أخبر القرآن بذلك. ثم إنَّ متَّى أورد كلاماً عن المسيح، لا بأس به، وحبذا لو أخذ به المسيحيون، فراجِعه إنْ أردتَ، ولكن من الأسف تضارب الروايات في هذا الكلام الجيد الصحيح المعنى، فكلٌّ منهم أورده بألفاظ، خالف فيها ما أورده الآخر؛ وهكذا لم تتفق الكلمةُ إلا في جملةٍ، ينتجُ منها مخالفةُ أمر الله تعالى، وتكون ضد ما أتى به المسيح، وهي في طيِّ تلك الجمل مثل الشجرةِ الطيبة، وقد كررها المترجم هنا، حيث أوردها في - ص٧ - ف١٨ ولوقا أوردها في - ص٦ - ف٤٣ ومرقس ذُهِل عنها بالكلية، فلم يوردها في محلٍّ أصلاً، فتنبه، ولا بأس بأنْ نأتي بآخر هذه الجمل. قال مترجم متى في - ف٣٦: «ولكن أقول لكم: إن كل كلمة بطّالة، يتكلم فيها الناس، سوف يعطَون عنها حساباً يوم الدين، لأنك بكلامَك تتبرر، وبكلامك تُدان».

تأمل أيها المسيحي هداك الله، هل أبقى هذا الكلامُ معنىً للقولِ بأن صَلْب عيسى كان فداءً لخطايا العالم، أو معنى لغفرانِ القسيس، أو صدقا لما في بولس من أنَّ الحياة الأبدية تحصلُ بمجرد الإيمان بدونِ الأعمال.

ليت شعري! بعد اعتقادكم بأن هذه الكلمات مروية عن المسيح، وأنها من الإنجيل، فهل يبقى لغفران القسيس، ولا سيما للعذارى والغانيات فائدة؟! كلا.

ثم أورد المترجم قوله في - ف٣٨: «حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين: يا معلم: نريدُ أنْ نرى منك آية، فأجاب وقال لهم: جيل شِرِّيرٌ وفاسق، يطلبُ آية، ولا تُعطى له آية إلا آية يونان النبي، لأنه كما كان يونان في بطن

الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكونُ ابنُ الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال» هذا البحثُ لم ينفردْ بذكره المترجم، بل قد ذكره مرقس ولوقا، وهما وإنْ يكونا سائرينَ على أثره، فإن لوقا يعقب مرقس، ومرقس يعقب المترجم، لكنهما أخفّ ضرراً منه وأحكم، لتنزيلهما الأشياءَ محلَّها في أغلبِ القصص؛ ولو تأملت ما نقلاه هنا، وخالفاه فيه، لَمِلْتَ إلى ما ذكرناه لك، فقد قال مرقس في - ص٨ - ف١١ «فخرج الفريسيون وابتدؤوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء، لكي يُجَرِّبُوه، فتنهد بروحه وقال: لماذا يطلبُ هذا الجيل آية الحق؟ أقول لكم: لن يعطى هذا الجيل آية» انتهى.

فلم يذكر ما ذكره المترجمُ، حتى لم يذكرْ يونان عليه السلام، ولوقا أورد هذه الجملة مُفَرَّقةً في مكانين، وكلاهما في - ص١١ فقال أولاً في - ف١٦ «وآخرون طلبوا منه آية من السماء، يجربونه، فعلم أفكارهم» ثم ذكر ثانياً في - ف٢٩ «وفيما كان الجموع مزدحمين، ابتدأ يقول: هذا الجيل شرير، يطلبُ آية، ولا تُعطى له آية إلا آية يونان النبي، لأنه كما كان يونان آيةً لأهل نينوى، كذلك يكون ابن الإنسان أيضاً لهذا الجيل». فلم يذكر أيضاً ما ذكره المترجم من الذيل الطويل.

وقد اعترف المفسران بالش وشاندان بأن هذا التفسير، أي تلك الزيادة من جانب متَّى، وليس من قولِ المسيح وقالا: إن مقصود المسيح أن أهل نينوى كما آمنوا بسماع الوعظ، وما طلبوا المعجزةَ، كذلك فلْيرضَ الناسُ مني بسماعِ الوعظ» انتهى كلامهما.

وحيث ثبت ذلك في هذه الجملة، بشهادة مفسري روايته منكم، وثبت مثله في جملٍ كثيرة بشهادة غيرهما، فكيف يُعَدُّ مِثْلُ هذا من الإلهام والوحي، أيكونُ حالُ الإلهام والوحي هكذا؟!

والظاهر أنَّ المقصد من هذا الافتراء تمهيد مقدمة لحديثِ القيام من الأجداث، مع أنَّ حديث القيام لم يكن شائعاً ولا معلوماً، قبل رفع المسيح، عند التلاميذ، وذلك بشهادة يوحنا الإنجيلي الذي هو أحد التلاميذ، فقد ذكر في أول الإصحاح العشرين من إنجيله، وأخبر صراحة بأنَّ حديث قيام المسيح من الأموات لم يسمعه بطرس ولا التلاميذ من المسيح، لقولهم: لم يكونوا بَعْدُ يعرفون الكتاب، إنه ينبغي أن يقوم من الأموات، ولا يصح أن وَصِيّ المسيح بطرس والتلاميذ ومنهم يوحنا الذي كان محبوباً للمسيح، لم يسمعوا حديث القيام منه، مع ملازمتهم للمسيح، في تلك المدة، مع كونِه من أهم الواجبات الاعتقادية في دينكم، وتزعمون أنَّ مَنْ لم يَقُلْ به، فهو كافر، فإذا كان الأمر كذلك، فكلّ ما تعتقدونه على غير أساس.

على أنَّا لو سلَّمنا أن المسيح قال: هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام، إلخ. فليس فيه دليلٌ على كونه إلهاً، وإلاَّ فيونان النبيّ مثله، لأنه مكثَ في بطنِ الحوت في ظلمة البحر تلك المدة، ثم إن هنا أمراً أشد إشكالاً، وذلك أن الموعودين، بالنظر لتلك الآية، هُمْ الكهنةُ من بني إسرائيل، إذ هم الذين وقع منهم طلب الآية، ووعدهم أنهم يشاهدونها بعد موته، وهذه الأناجيل الأربعة لم تذكر أنهم شاهدوا ذلك، وإنما علم من أخبار مريم المجدلية وصاحبتها، مع أنهما لم تَرَياهُ قام من القبر بحضورهما.

فنوجِّهُ عليكم أحدَ أمرين: إما أنْ يكون هذا الحديث مفترى، وهو الحق، وإما أن يكون المسيح أخلفَ الوعدَ معهم، وهو مُحَالٌ؛ وهذا البحث طرف، نأتي عليه في الإصحاح السادس عشر من هذا الإنجيل. وسَيردُ عليك تفصيلُ الكلام على حديث القيام في آخر هذا الإنجيل، إن شاء الله تعالى.

ثم أورد المترجم قوله - ف٤٦: «وفيما هو يكلم الجموع إذا أمُّه وإخوته قد وقفوا خارجاً طالبينَ أنْ يكلِّموه، فقال له واحد: هو ذا أُمُّكَ وإخوتك واقفون

خارجاً طالبين أن يكلموك، فأجاب وقال للقائل: مَنْ هي أمي، ومن هم إخوتي، ثم مَدَّ يده نحو تلاميذه، وقال: ها أمي وإخوتي، لأنَّ مَنْ يصنع مشيئةَ أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي» انتهى.

أقول: إنْ صَحَّ إسنادُ هذه الجملة إلى المسيح، عليه السلام، فالمعنى أنَّ تأديةَ ما هو مُكَلَّفٌ به من تبليغِ أوامر الله تعالى، إلى الجموع الذين كان يكلمهم، أي: يَعِظُهم ويعلمهم، مُقَدَّمةٌ على ما سواها من الأعمال، وهو حينئذ مشغول بتأدية ما افترضَهُ اللهُ تعالى عليه، إذْ لا يمكن أن يترك ذلك، ويكلم أمه أو إخوته.

ثم قوله: مَنْ يصنع مشيئة أبي، إلى آخره، صريحٌ في أنَّ له إلهاً في السماء، يعبده هو والتلاميذ وكل مَنْ آمن برسالته، ويعملون بمشيئته، أي: بإرادته تعالى، وذلك إقرارٌ منه بأنه عبدٌ لله، ورسُوله.

فتأمَّلْ أيها البصيرُ، ولا تشرك بالواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

الإصحاح الثالث عشر

قال مترجم متى ف١: «في ذلك اليوم خرج يسوع من البيت، وجلس عند البحر، فاجتمع إليه جموعٌ كثيرة حتى إنه دخل السفينة، وجلس، والجَمْعُ كله واقف على الشاطىء» فأورد هذه الجملة بعد أن حكى أن عيسى أرسل رسله الاثني عشر بثلاث صحاحات طوال، وقد وقفت عليها فيما تقدم.

وعبارة مرقس في - ص٤ - ف١: «وابتدأ أيضاً يعلِّمُ عند البحر، فاجتمع إليه جمع كثير حتى أنه دخل السفينة، وجلس على البحر، والجمع كله كان عند البحر على الأرض» ولم يُبَيِّنْ أنه خرج من البيت، وأن الجموع كانوا وقوفاً على الشاطىء كما حكاه مترجم متى ولوقا، خالفَهما في التاريخِ وتعيينِ المحل، وعبارته في - ص٥ - ف١: «وإذ كان الجمعُ يزدحمُ عليه، ليسمع كلمةَ الله، كان واقفاً عند بحيرة جنيسارت» إلى أن قال - ف٣: «فدخل إحدى السفينتين التي كانت لسمعان، وسأله أن يبعد قليلاً عن البر، ثم جلس وصار يعلّمُ الجموعَ من السفينة» وقَصَّ عجائبَ وحكايات، لم يسبقه أحد من رواة الأناجيل إليها، ومن الغريب أنه ذكر قِسْماً من ذلك في - ص٥ المارّ ذِكْرُه، وقِسْماً في - ص٨ - ف٤ قائلاً فيه: «فلما اجتمع جمع كثير أيضاً من الذين جاؤوا إليه، من كل مدينة، قال بمثل إلخ».

فقد جعل الوعظَ المذكورَ حاصلاً في مكانين، وصاحباه جَعلاهُ في مكانٍ واحد، ومثل هذا الاختلاف بعيدٌ عن الوحي، كما أن اختلاف التاريخ بعيد عنه أيضاً، لأنه أورد ذلك قبل دعوة الرسل الاثني عشر، مع ما ترى من الاختلاف في الألفاظ والمعنى، والحادثةُ واحدةٌ في زمانٍ واحد. وأما يوحنا فلم يذكر شيئاً من ذلك بالكلية.

ثم ذكر مترجم متى مَثَلَ الزارع بقوله - ف٣ -: «فكلمهم كثيراً بأمثال قائلاً:

هو ذا الزارع، قد خرج ليزرع وفيما هو يزرع، سقط بعضٌ على الطريق، فجاءت الطيورُ، وأكلته، وسقط آخر على الأماكن المحجّرة حيث لم تكن له تربةٌ كثيرة، فنبت حالاً، إذ لم يكن له عمق أرض، ولكن لما أشرقت الشمس، احترقَ، وإذ لم يكن له أصل، جَفَّ، وسقط آخر على الشوك، فطلع الشوكُ وخَنَقه، وسقط آخر على الأرض الجيدة، فأعطى ثمراً، بعض مئةٍ وآخر ستين، وآخر ثلاثين، مَنْ له أذنان للسمع فليسمع، فتقدم التلاميذ وقالوا له: لماذا تكلم بأمثال؟ فأجاب وقال لهم: لأنه قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات، وأما لأولئك فلم يُعْطِ» انتهى.

أقول: الظاهرُ من هذا الجواب المنسوب للمسيح عليه السلام، أن التلاميذ لا يحتاجون إلى ضَرْب الأمثال، لأنهم يعرفون أسرار ملكوت السموات، مع أنَّ مَنْ له تلك المعرفة، لا يقدم على مثل هذا السؤال، ولا يلتبسُ عليه المقصود من كلام المسيح، في كثيرٍ من الأحوال.

والذي يفهم من عبارة المترجم أن التلاميذ اعترضوا على المسيح في ضرب الأمثال للجموع، وعبارة مرقس تفيد أنهم سألوه عن معنى المثل، لا بطريق الاعتراض، وهذا نص عبارته في ص٤ - ف٢: «فكان يعلمهم كثيراً بأمثال، وقال لهم في تعليمه: اسمعوا هو ذا الزارع» إلى أن قال: «من له أذنان للسمع فليسمع» ولما كان وحده، سأله الذين حوله مع الاثني عشر عن المثل، فقال لهم: «قد أُعطي لكم أن تعرفوا سرَّ ملكوت الله، وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شيء» انتهى.

وعبارة لوقا صريحةٌ في أنهم سألوه عن معنى المثل، وهذا نصها في ص٨ - ف٩: «فسأله تلاميذُه قائلين: ما عسى أنْ يكون هذا المثل؟ فقال: لكم قد أُعطي أن تعرفوا أسرار ملكوت الله، وأما للباقين فبأمثال» انتهى.

فقولهم: ما عسى أن يكون هذا المثل، صريحٌ في أنهم سألوه عن حقيقته، وحينئذٍ يكونُ الجوابُ غيرَ مطابقٍ للسؤال، كما لا يخفى على أن الروايات الثلاثة تخالفت، كما ترى، وتخالفت في إثبات المحلِّ مع التضاربِ في الألفاظ، وقِسْ على ذلك باقي جملة المثل، فتبصَّر.

ثم قال المترجم ف١٢ -: «فإنَّ مَنْ له سَيُعْطى ويُزاد، وأما من ليس له، فالذي عنده سيؤخذ منه» انظر هذا التوحيدَ الصرف، وإخبار المسيح عليه السلام عن الله تعالى حيث قال: «فإن من له سَيُعطى ويزاد» أي: مَنْ هو مكتوبٌ له السعادة، فالله يُوفِّقُه للإيمان والأعمال الصالحة، ويزيده من فضله. وقال: «وأما من ليس له، فالذي عنده سيؤخذ منه» أي: من هو شقي غير سعيد، فيقضي الله عليه، فيعملُ بعمل أهل النار، فيستحقها؛ فقوله: «الذي عنده سيؤخذ منه» أي: لو كان عنده عمل خير، يُحْبَط، ويكون هباء بسبب الكفر، فلا يفيده عمله، وهذا موافقٌ للعقل والنقل، وقد ذكر مرقس تلك العبارة، ولكنْ بعد الواقعةِ بفصول، فحصل التخالفُ في التاريخ، وهو لا يصح فيما يُسَمَّى إلهاماً، ولوقا لم يذكرها، ولعل الوحي لم يبلغه بذلك.

قال مترجم متَّى - ف١٣ -: «من أجل هذا أُكَلِّمهم[1] بأمثال، لأنهم مبصرين لا يبصرون، وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون، فقد تمت فيهم نبوة أشعياء القائلة: تسمعون سمعاً ولا تفهمون، ومبصرين تبصرون ولا تنظرون، لأنَّ قلب هذا الشعب قد غلظ، وآذانهم قد ثقل سماعها، وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم، ويسمعوا بآذانهم، ويفهموا بقلوبهم، ويرجعوا، فأشفيهم» انتهى.

وخالفه مرقس في ص٤ - ف١٢ حيث قال: «لكي يبصروا مبصرين، ولا ينظروا ويسمعوا سامعين، ولا يفهموا، لئلا يرجعوا، فتغفر لهم خطاياهم» انتهى.

---

(١) في المطبوع: «كلمهم» وهو خطأ.

وهو وإنْ كان بمعنى كلام المترجم، في الجملة، إلا أنَّ بينهما فرقاً في حُسْنِ التعبير، وكلام لوقا في هذه الجملة أقربُ تناولاً، وعبارته في ص٨ - ف١٠ - «حتى أنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يفهمون».

فإن صحت الرواية عن المسيح عليه السلام، فرواية لوقا أصوب من روايتهما.

ثم قال مترجم متى - ف١٦ -: «طوبى لعيونكم لأنها تبصر، ولآذانكم لأنها تسمع، فإنَّ الحق أقول لكم، إنَّ أنبياء وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون، ولم يروا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون، ولم يسمعوا».

قلت: الظاهر أن هذا افتراء على المسيح، للإشعار بأفضليةِ الحواريين على الأنبياء الذين بدعواه «اشتهوا أنْ يروا ما رآهُ التلاميذ» فلم يحصل لهم، فإنْ صحت الرواية، فتكون باستثناء الأنبياء، فإنَّ الحواريين أي تلاميذ المسيح مهما بلغوا من الفضل، فهم دونَ مرتبةِ الأنبياء، ومرقس لم يذكر هذه الجملة، ولوقا ذكرها في غير هذا المحل، لأنه أوردها في الإصحاح العاشر، وعبارته ف٢٣ -: «والتفت إلى تلاميذه على انفراد، وقال: طوبى للعيون التي تنظرُ ما تنظرونه، لأني أقولُ لكم: إن أنبياء كثيرين وملوكاً».

انظر هذا الخلط، فإنه بَدَّلَ الأبرارَ بالملوك، وقارنهم بدرجة الأنبياء «أرادوا أن ينظروا ما أنتم تنظرون، ولم ينظروا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون، ولم يسمعوا» والقولُ في هذه الجملة كما ذكرناه في رواية المترجم، بعد فرض صحتها، بأن تكون لفظة الأنبياء إلحاقية من لوقا، وأنتَ تعلم أن الكلام في جملة إنجيل متَّى عائدٌ على أسرار الملكوت، والأنبياء هم المُقَرَّبُونَ في هذا المقام على مَنْ سِواهم، فهل يقال: إنهم محجوبون عن أسرار الملكوت.

والكلام في جملة لوقا هنا مع السبعين الذين أرسلهم لهداية الضالَّةِ من بني إسرائيل، ورجعوا بفرحٍ قائلين: حتى الشياطين تخضع لنا باسمك. فالخلف ظاهرٌ

والتناقض بين المرامين معلوم.

ثم ذكر المترجم - ف١٨ إيضاح معنى مثل الزارع للتلاميذ، ووافقه على ذلك مرقس ولوقا، ولكن تخالفوا في الألفاظ تخالفاً، أخلَّ في فهم المعنى، ومنه يظهر أنَّ التلاميذَ لم يفهموا المعنى بداهة، فيكون قول المترجم حكاية عن التلاميذ «لماذا تُكلِّمهم بأمثال» حديثاً مفترى. ثم أورد المترجم مثلاً آخر، افتتحه - بف٢٤ وختمه بف٣٠ - وملخصه «أن إنساناً زرع زرعاً جيداً، فجاء عدوٌّ له، وخلط ذلك الزرع الجيد بزوان، على حين غفلة من صاحب الزرع الجيد» ومرقس ولوقا لم يذكرا هذا المثل، ولم نعلم كيف سكتا عن إيراده، مع ما فيه من الطول، فساغ لنا أن نقول: إن المترجم اختلقه من عنده، ولا حيلةَ لنا معه، على حد قول الشاعر:

مَـنْ كـان يخلـق مـا يقـول فحيلتـــي فيـــه قليلـــة

وقد أضربنا عن ذِكْرِه لطوله.

ثم قال المترجم المذكور - ف٣١: «قدم لهم مثلاً آخر قائلاً: يشبه ملكوتُ السموات حبةَ خردلٍ، أخذها إنسان، وزرعها في حقله، وهي أصغر البزور، ولكن متى نمت فهي أكبر البقول، وتصير شجرة حتى إنَّ طيورَ السماء تأتي وتأوي في أغصانها».

أقول: لم يَقُلْ أحدٌ: إنَّ شجرة الخردل تبلغ في العِظم، لحدٍ، تأوي إلى أغصانها طيور السماء، وقد أورد مرقس ذلك المثل - بص٤ - ف٣٠ - وقال: «بماذا نشبه ملكوت الله، وبأيِّ مثلٍ نُمَثِّلُه» إلى أنْ أتى على آخر المثل، ولم يوافق اللفظ، فانظره إن أردت، وأورده لوقا - بص١٣ - ف١٨ - مخالفاً في التاريخ، مع تغاير الألفاظ، وفاءً بنذورهم في الاختلاف، ثم قال مترجم متى - ف٣٣ -: «قال لهم مثلاً آخر، يشبه ملكوتُ السموات خميرةً، أخذتها امرأة

وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع» وهذا بشرط أنْ يُصَبَّ على الدقيق الماء، وإلا فلا يكون عجيناً. وقد انفرد المترجم المذكور بهذا المثل أيضاً، وخالف في ذِكْرِه، رفيقيه مرقس ولوقا، لأنهما لم يذكراه، وليس هنا إلا أن يقال: إن واسطة وحي المترجم أحفظ من واسطة وَحْيِهما.

ثم أورد المترجم، وذلك مما انفرد به أيضاً، قوله - ف٣٤: «هذا كله كلَّم به يسوع الجموعَ بأمثالٍ وبدون مثل، لم يكن يكلمهم» فيكون كل ما ورد من الوعظ والأحكام، بهذا الإنجيل، مسند عن المسيح، ليس من كلامه، فاحفظْ ذلك أيها النبيه «لكي يتمَّ ما قيل بالنبيِّ القائل: سأفتحُ فمي، وأنطق بمكتومات منذ تأسيس العالم»العُهدةُ في هذا عليه،والعجب منه كيف لا يسمي قائله،ليشهد على صِدْقِه.

ثم أورد أيضاً - ف٣٦ - قوله: «حينئذ صرف يسوع الجموع، وجاء البيت، فتقدم إليه تلاميذُه قائلين: فسِّر لنا مَثَل زوان الحقل» وذلك الذي تقدمت إليه الإشارة بأنه انفرد بذكره من - ف٢٤ - إلى ختام - ف٣٠ - فكذلك قد انفرد بتفسيره، وأَغْرَبَ[1] فيه، وأتى بالشِّرْكِ الصريح حيث قال: «الزرع الجيد هو ابن الإنسان».

وأنتَ تعلمُ أنَّ المراد من ابن الإنسان هو المسيح، سلامُ الله عليه، فإذا كان هو الزرع، فالزارعُ لا شكَّ هو الله تعالى، وقد نقض هذا المُدَلِّسُ هذا الإقرار بقوله - ف٤٠: «فكما يجمع الزوان، و[2]يحرق بالنار، هكذا يكون في انقضاء هذا العالم، يرسل ابن الإنسان ملائكته، فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم»، ورأسهم المُتَرجِمُ «ويطرحونهم في أتونِ النار، هناك يكونُ البكاءُ وصريرُ الأسنان».

---

(١) أي: أتى فيه بالغرائب.

(٢) سقطت من المطبوع.

أقول: إنَّ هذا الكلام من الإفك، بل من الشرك، أليس أن مثل هذا الكلام الصريح قولٌ بألوهية المسيح؟! وقد تَقدَّمَ إقرارُه في صدر الجملة أنه الزرع، فكيف يجعله هنا الزارع، وسبق الكلام على بعض دسائس هذا المترجم إجمالاً وتفصيلاً في مثل هذا ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [النساء] ومن أين لابنِ الإنسان الملكوت، وهو القائلُ، كما رواه عنه هذا المترجم في ترجمته هذه - بص٨ - ف٢٠: «للثعالب أوْجِرةٌ، ولطيور السماء أوكار، وأما ابنُ الإنسان فليس له أينَ يسند رأسه» ومن هم ملائكة هذا الإله الذي يزعمه، وهو القائل، كما ذكر عنه يوحنا في إنجيله - بص١ - ف٥١ -: «الحق الحق أقول لكم: من الآن ترون السماء مفتوحة، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابنِ الإنسان» فمن أين لابنِ الإنسانِ أن يصل لمقام الألوهية.

ولولا أنْ يشهدَ له يوحنا المعمدان، بأنه رأى روح القدس نازلاً عليه مثل حمامة، حتى صَدَّقوا أنه نبيٌّ، فارجع أيها المترجم عن هذه الأقاويل التي هي عين الأباطيل، فإنَّ دسيستك هذه لا تروج على رَبَّات الحجول فضلاً عن ذوي العقول. وأين أنت أيها المسيحي من رجل توَلّد بين فَرْثٍ ودم، ونشأ بين أظهُرِ قومٍ يعرفونه وأمه، لا يزيد عن إخوانه من بني جنسه بشيء، ولا يفضل عليهم إلا بما آتاه الله من العلم والحكمة والنبوة والرسالة، ولم يَدْعُ إلا إلى ما دعا إليه إخوانه من الأنبياء والمرسلين قبله.

فإنْ قلتَ: إنَّ شُبهةَ الإلهية فيه بسبب كونه وُلِدَ من غير أب، بخلاف سائر البشر، قلنا: هذا أبو البشر آدم عليه السلام، فهو إذن أَحَقُّ بهذه الدعوى، وإنْ قلتَ: بما ظهر على يديه من المعجزات الباهرات، قلنا: هذا كتابك الذي تسميه العهد العتيق، فقد تضمن سِيرَ مَنْ قبله من الأنبياء، وكُلٌّ منهم أتى بما هو خارق للعادة، ولقد أتى موسى بأبلغ منه، من انفلاقِ البحر، وقَلْبِ العصا ثعباناً، فهو لعمري أبلغ من إحياء الميت. فإنَّ قلبَ الجماد حيواناً ذا روحٍ أبلغ، وكم وكم

أتى موسى وغيره من الأنبياء بمعجزات، يقف لها الفكر حائراً.

وهذا أخنوخ النبي، فإنه أحيا الأمواتَ أيضاً، فَلِمَ لا تلحقهم بهذا النبيِّ الذي تَدَّعي فيه ما تدعيه، وقد أقرَّ على نفسه بالعجز، وأنه يصنع هذه القوات بإصبع الله. ألا تستحي من أن تنسب إليه ما ليس يَدَّعيه، ألا تعلم أنَّ دعواك هذه بمثابة الاستهزاء والسخرية، ألا ترى أنك لو قلتَ لرجل: يا كريمَ الأصل، ويا حسن الوجه، وكان هو يعرفُ من نفسه خِلافَ ما تقولُه فيه، أيرضيه ذلك؟! كلا: لعِلْمِه بأنك تهزأُ به وتسخر منه، ألا تستحي من دعواك هذه فيه، وأنت تتلو من إنجيله أنه محتاجٌ إلى ركوبِ الجحش؟!

أتنسبُ تلك الدعوى لرجلٍ، أنت تقولُ فيه: إنه حين قبض عليه أعداؤه لقتله، كان يجأر إلى مولاه، ويستغيثُ إليه بقوله: «إلهي إلهي». وَيْحكَ: ما عذركَ يومَ يقف المسيح بين يدي الجبار، ويسأله بقوله ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة] فيجيب ربه ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة].

تأمل أيها المسيحي في إنجيلك ومناقضاته، وليست قضية منه يسلمها العقلُ السليم، فكيف تسلم لمثل تلك الدسيسة، أين أولو الرشد منكم، لا يألونكم إلا خبالاً بما سَوَّلَ لهم الشيطانُ حباً لهذا المتاع الفاني، حباً للرياسة عليكم، حباً للدرهم والدينار. تَعقَّلْ أيها المسيحي، وقد مضى على أسلافك تسعة عشر جيلاً، ولم يقفْ أحدٌ منهم على اسم هذا المترجم حتى يكون لك العذر أمام مَنْ يسألك عن هذا الدين الذي استبدعه لكم هذا المترجم، فعكفتم عليه، وأنتم لا تفقهون منه حديثاً، ولم يسبقكم به قائل، تُحِلُّونَ به ما حَرَّمَ الله، وتحرّمون ما أحلَّ، حتى أكمله لكم بالشِّرْكِ الظاهر، بأنْ جعل مع الله إلهاً آخر.

ولنعد لإتمام البحث عن هذا الإصحاح، وما أتينا به كفايةٌ للفَطِن اللبيب، وغُنيةٌ للعامل الأريب. [فالعبدُ يُقْرَعُ بالعصا والحُرُّ تكفيه الإشارة].

ثم أورد المترجم المذكور أمثالاً، انفرد بذكرها، وليس تحتها كبيرُ طائلٍ، زاعماً أن المسيح، سلام الله عليه، كان يذكرها أمام التلاميذ والجموع، ويفسر لهم ذلك. وناقضه مرقس حيث حكى بص٤ - ف٣٣ - ما ملخصه «أنه كان يكلِّمهم بأمثالٍ كثيرة، وأنه بدون مثل لم يكلمهم، وكان يُفَسِّرُ على انفراد لتلاميذه كُلَّ شيء» وأنتَ تعلم أن ما ذكره مرقس خلاف المشروع، لأنَّ العامة أوْلى بالتعليم من الخواص، والله تعالى ضرب لنا الأمثال، فكان حظ العوام والخواص في استماعها وتَعلُّمها سواء، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم فَسَّرها لعامة مَنْ حضر مجلسه، فلم يخصَّ بتعليمها قوماً دون آخرين، وكذلك نبيه عيسى صلوات الله عليه وسلامه، ولكن رُواةَ هذه الأناجيل تأبَّطُوا شراً في ذلك، فقالوا: كان يفسرها لتلاميذه خاصة، ليدسُّوا في التأويل ما لم يشرع من الدين، لينالوا به حظاً من آمالهم، ويغشوا هذه الأمة المسكينة المضروبِ على أفكارها بحجابٍ من الجهل.

وقد سألت بعض أفاضل المسيحيين المفارق للنصرانية، لمثل هذه الأقاويل، عن بعض تلك الترهات، فقال: أي والله! وإنها لترهات وأي ترهات! إلى أنْ قال لي: وقد مكثتُ أعواماً أتفكَّرُ في هذه الأمة وقبولهم لمثل ذلك، وطالعتُ التاريخ المسيحي من بدء انتشاره إلى عصرنا هذا، فوجدتُ أن هذا الدين لم يقبله إلا العاميُّ الجامد الفكر، وأن الحكمة من رؤسائه في إدخال تلك الأراجيف التي لم تكن منه في الأصل كالإكثار من ذِكْرِ المعجزات، وأنَّ المسيح ابن الله، وأنه فدى العالم بصلب نفسه، وأن البِرَّ بالإيمان دون الأعمال كافٍ لنيل الحياة الأبدية. كل هذا لميل نفوس العامة إلى المحسوسِ بالبصر دون المحسوس بالعقل.

ثم قال لي: وأين أنتَ من عقيدة المسلمين بأنَّ الله تعالى لا تُشْبِهُ ذاته الذوات، ولا يكيّف بالعقول، بل لا كيف ولا أين، فإن مثل تلك العقيدة المقدسة عن الزيغ والباطل، وإن كان المتأمل في مباديها يحتاج إلى إعمالِ الفكر

العميق والنظر الدقيق، لكنه ينقلبُ إلى توحيدٍ محض، وتنزيه خالقه عن الشرك.

وطال الحديث بيننا عن القوم، فقال لي: هداكَ الله، انظر إلى الأمم الشرقية، تراهم أبعد من الأمم الغربية عن قبول مثل الدين النصراني، وما ذلك إلا لعراقةِ أهلِ الشرق بالحكمة والمعرفة، وتوَغّل أهل الغرب في الجهل. هذا وقد خرجنا عن الموضوع، والشيءُ بالشيء يُذْكر، فلنرجع إلى ما نحن بصدده.

قال المترجم في ف٥٤ من هذا الإصحاح: «ولما جاء إلى وطنه كان يعلّمهم في مجمعهم حتى بهتوا وقالوا: من أين لهذا هذه الحكمة والقوات، أليس هذا ابن النجار، أليست أمه تدعى مريم، وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا، أوليست أخواته جميعهن عندنا، فمن أين لهذا هذه كلها؟! فكانوا يعثرون به، وأما يسوع فقال لهم: ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته، ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم» انتهى الإصحاح.

وقوله «كثيرة» يدلُّ على أنه صنعَ قواتٍ قليلة، والعجبُ منه كيف لم يذكر هذه القليلة، والأعجب منه جَعْلُه العلةَ في ذلك عدم إيمانهم، فإنَّ هذا غريب، لأنَّ إجراء القوات، أي المعجزات، لا يتوقف على وجود الإيمان، بل إنما تُصنَعُ المعجزاتُ لحملِ الناسِ على الإيمان؛ والجاحدُ أحْوَج للمعجزة من المؤمن.

واعلم أنه لم يتابع المترجمَ على ذِكْرِ هذه الجملة إلا مرقس، مع مخالفته في بعضها، وهذا نص عبارته في - ص٦ - ف١ «وخرج من هناك، وجاء إلى وطنه، وتبعته تلاميذه، ولما كان السبت، ابتدأ يعلّم في المجمع، وكثيرون إذ سمعوا بُهتوا قائلين: من أين لهذا هذه، وما هذه الحكمة التي أُعطيتْ له حتى تجري على يديه قوات مثل هذه، أليس هذا هو النجار ابن مريم؟» إلى أن قال في - ف٤: «فقال لهم يسوع، ليس نبيٌّ بلا كرامة إلا في وطنِهِ وبين أقربائه وفي بيته، ولم يقدر أنْ يصنعَ هناك ولا قوةً واحدة، غير أنه وضع يديه على مرضى

قليلين فشفاهم، وتَعجَّبَ من عدم إيمانهم، وصار يطوفُ القرى المحيطة يعلّم» انتهى.

أقول: ها هنا أشياء، خالف فيها المترجم، منها: أنه ذكر ذلك عقب قصة إحياء بنت الرئيس التي ذكرها المترجم في - ص٩، ومنه يُعْلَم التخالف في التاريخ، ومنها زيادة ذِكْرِ السبت، وقد أهمله المترجم، ومنها زيادة قوله: إنَّ التلاميذَ تبعته، ومنها: جَعْلُهُ المسيحَ هو النجار بعينه. والمترجم جعله ابن النجار، ولا ندري أيهما الصادق. وهذا نظير قولهم: إنه هو الله، مع كونه ابن الله، بزعمهم، وجعلهم المسيح منازعاً فيه بين الله والنجار، ومنها: زيادة إخوانه وأخواته وأقربائه، ومنها: قوله: ولم يقدر أن يصنع هناك قوة واحدة، وفيه نِسْبَةُ العجزِ إلى مَنْ يزعمون أنه إله. ثم ناقض نفسه بقوله: غير أنه إلخ. ومنها قوله: صار يطوف القرى المحيطة.

فإن المترجم لم يذكر هذه السياحة، ولا نعلم كيف نُوفِّقْ بين الوحيين، ونجعلهما وحياً واحداً، وأنت تدري ما بينهما من البَوْن البعيد، وذلك بغض النظر عن الاختلاف في الألفاظ.

فيا أيها المسيحي: إنْ قلت بأن ذلك كله مقبول عندك، يلزمك تكذيب المسيح الذي تروي عنه أن هذا إنجيله، وأنه واحدٌ لا تخالف فيه، ولا تناقض في رواياته. وتكذيب المسيح كفر، على مذهب مَنْ يقولُ بألوهيته، وكذا على مذهب مَنْ يعتقد نُبُوَّتَهُ، لأنَّ تكذيب الأنبياء يلزم منه تكذيب ما أتوا به، وهم معصومون عن الكذب. وليس لك حجة تقيمها، ولا بيّنة تستدل بها، وربما تقول: إن بعض الإنجيل لم يطرأ عليه التحريف، كما هو القول الصحيح عندكم، فتكون بعض تلك الروايات صحيحة واجبة التسليم، فنقول: من المعلوم أن المجامع المِلّية عندكم قد قررت بوجود الأغلاط والتحريف المتداخل في الروايات الأربعة، وأقرّت لدى مخالفيكم بذلك، والمخالف لكم يعتقد ذلك،

وأن طرفي الإسناد في المحرَّف وغير المحرَّف سواء، لأن الذي روى لكم ذاك هو الذي روى هذا، وادَّعى أن الجميع وحي، وما لبث إلا وقد انتقض أحد طرفي دعواه بثبوت كذبه، فتداخلَ الباطلُ بالحق، والتبس التمييز، بل استحال، فوجب تركهما معاً.

وقد ضَيَّعتَ الحقَّ بيدك، وتركت التوراة التي هي أساس دينك، وجحدت الفرقان الذي هو شاهد على ذلك كله، والعقلاءُ منكم لا ينكرون ذلك، وقد أصبحوا مُتَحَيِّرينَ لأنهم وقعوا بين أمرين: إما أن ينقادوا لدينٍ، التبس عليهم فيه الحقُّ بالباطل، ولم يعد من الممكن تمييز صحيحه من فاسده، ويروا الانقياد له من سَفَهِ الرأي، بل من المَسَبَّةِ والعار، أو ينقادوا لدين، قد جحدوه أَنَفَةً واستكباراً، وهو ضد أفكارهم التي أصبحت أسرى الأهواء النفسانية والوساوس الشيطانية، فأخذوا بمذهب الطبيعيين ليكونوا قد فارقوا الأول، وبقوا على أفكارهم الثاني، وزعموا أنهم بهذه الردة اكتسبوا المَحْمدةَ، وأخذوا بالأحوط، ولعَمْري إنهم لفي ضلالهم القديم، بل لم يخرجوا عن طاعة الشيطان الرجيم، وما دَعَاهم إلى ذلك إلا ما في الإنجيل الموجود بأيديهم، وأنت خبيرٌ أيها المسيحيُّ بأن مَنْ ينظر إلى دين يجعلُ المسيحَ إلهاً، ثم يجعله لعنةً، ويقول في بطرس الخليفة: إنه موعود بمفاتيح السموات، وأنه سيدينُ يومَ الدين أسباط بني إسرائيل، ثم لم يلبثْ حتى يروي قولَ المسيحِ في حَقِّه: اذهبْ عني يا شيطان، وأن يهوذا الاسخريوطي يكون أيضاً يوم الدين جالساً على كرسي، يدين بني إسرائيل.

وفي غيرِ موضعٍ من الإنجيل نقلت عنه حَمَلة الدين أنه دل على عيسى عليه السلام، وتَسبَّبَ في صلب هذا الإله المهان، بعد أن سرق صندوق المِلَّة، إلى غير ذلك من الهَذَيان الذي لا تقول بمثلِهِ الصبيان، فمن الضروري أن يكون ذلك ديناً يرفضه العاقل، ويلفظه الناقل.

وقد أصبح المسيحيون الآن، بسبب هذا البهتان على ثلاث فرق.

الأولى: أخذت بمذهب الطبيعيين، وقد مَرَّ لك ذِكْرُ السبب في ذلك.

والفرقة الثانية: أقرت بالوحدانية لله فقط، ورفضت قبول أنبيائه جملة، قياساً لهم على ما روته الأناجيل من خبر المسيح، ولزم من ذلك أن رفضتْ الكتب السماوية والقوانين الإلهية أيضاً.

والفرقة الثالثة: وهي السواد الأعظم، قد خَيَّمَ على أفكارها الجهل، واسترسل بها أمر الرؤساء بأن أباحوا لها المحرمات، فهي عاكفةٌ على أصنام اللهو واللذات، لا يدري الواحد منهم ما يقول، ولا يعقل ما يقال له.

ولا يخفى عليك أيها النبيه أنَّ قسماً من رؤساء هذا الدين هم من الفرقة الأولى، ولكنهم تَسَتَّروا بثياب الرهبانية، وسوّل لهم الشيطان إضلال الفرقة الثالثة حباً للجاه والمال. وفي المثل: [حب الرياسة قَتَّال].

وقد طال بنا البحث، وقد تفاوضت في هذا البحث مع أحد كبار التجار من المسيحيين، وكان له مطالعةٌ في العلوم العربية، ومشاركةٌ في الأبحاث الدينية، فأجابني بقوله: [آه آه لو لم يكن من دينكم تحريم شرب الخمر، واللعب بالقمار، وأكل لحم الخنزير، ومنع اختلاط النساء بالرجال، لأصبح وليس على وجه البسيطة متنفس إلا وهو يَدينُ بالإسلام، لأنه قويُّ الحجة، مُحْكَمُ الأحكام، يمنع التخلُّقَ بالصفات الذميمة، ويأمر بالأخلاقِ الحميدة، وأهلُه على جانب عظيم من الوفاء بالعهود والغيرة والعزة إلى غير ذلك».

فقلتُ له: أيها الصديق المكرم؛ لو لم يكن من الدين الإسلامي تحريم ما ذكرتَ من شربِ الخمر، وأكلِ لحم الخنزير، واللعب بالقمار، وتَحَجُّبِ النساء، لما صَحَّ لكَ أنْ تصف أهله بوفاء العهود والغيرة والعزة وغير ذلك من مكارمِ الأخلاق ومحاسن الشِّيَم، ولو تأمَّلْتَ لوجدتَ أنَّ المُتَّصِفَ بما ذكرتَهُ من أمهات

مكارم الأخلاق، إنما حصل له ذلك بترك ما ذكرته من أمهات المحرمات، لأنَّ التحلّي بالفضائل لا يتأتى إلا بعد التخلي من الرذائل، فهُمَا ضدان لا يجتمعان في إنسان. فأذعَنَ للحق، بعد أنْ تفكَّرَ مليّاً، وأجابني بقوله: ولكن مَنْ يسمع؟! فإنَّ القوم سكارى، وفي ضلالهم حيارى، واسمهم نصارى وما هم بنصارى، هيهاتَ هيهاتَ لِمَا تُريد، إلى أنْ ختم كلامه بقوله: من يبيع نقداً بدين، ثم أنشد:

ولا تتركوا يومَ السرورِ إلى غدٍ   فرُبَّ غدٍ يأتي بما ليس يعلم

وأراد بذلك أنَّ القومَ أصبح عاقِلُهم وجاهلهم يعلمُ أنَّ تلك الأناجيل مشحونة من تُرَّهات الأباطيل، ولكن النفس البهيمية استلذت معاقرة العقار، ومجالسةَ ذواتِ الخِمار، واللعب بالقمار، لأنه شيء أَلِفَتْه الأمةُ النصرانية، واعتادته، وليس بمحظورٍ عليهم، فالرجوعُ عنه صعب، والانقياد إلى الحق يردهم عن جميع ذلك، ويحرّم عليهم ما هنالك، فتستروا بهذا الدين المُلَفَّقِ لئلا تُصَوِّبَ نحوهم الأنامُ سِهامَ الملام، والله الهادي، وبه الاعتصام، انتهى.

الإصحاح الرابع عشر

تقدم في آخرِ الإصحاح السابق أن المسيح عاد إلى وطنه، ولم يصنع من المعجزات شيئاً لعدم إيمان أهلِ وطنهِ على رواية المترجم، أو لعجزه، على رواية مرقس. فأراد المترجمُ أن يوفي الكيلَ حَقَّهُ في هذا الإصحاح بالإكثار من ذِكْرِ المعجزات، فابتدأ أولاً بإيراد قضية قتل هيرودس ليوحنا المعمدان، ثم أردفها بذكر المعجزات، فقال في - ف١ : «في ذلك الوقت سمع هيرودس رئيس الربع خبر يسوع، فقال لغلمانه: هذا هو يوحنا المعمدان، قد قام من الأموات، ولذلك تعمل به القوات».

أقول: لا بد أن تعيرني سمعكَ أيها النبيه، لسماع معنى هذه الحكاية، لأن مرقس ولوقا صاحبي المترجم قد ذكرا هذه الحكاية، لكنهما ناقضاه، بل تناقضا مع بعضهما أيضاً، كما ستقفُ عليه.

فقولُه: «ذلك الوقت»، أي: الوقت الذي جاء المسيح فيه إلى وطنه.

وقوله: «هيرودس رئيس الربع»، يقتضي أن هيرودس هذا خلاف الذي تَقَدَّمَ ذِكْرهُ في الإصحاح الثاني من هذا الإنجيل، وهناك ذَكَرَهُ باسم الملك، وأنه قد مات، ولم ترو بقيةُ الأناجيل موتَهُ. والمترجم ارتكب ذلك حين ألزم نفسه بأنَّ جبريل ظهر ليوسف النجار في الحلم، وأمره بأخذِ المسيحِ وأمه، وأن يتوطنوا بمصر إلى أنْ يموتَ الملك هيرودس.

وعلى كلٍّ ففي القصة تناقضٌ، لكون المترجم سيذكره بهذا الإصحاح أيضاً باسم الملك، وشَتَّان بين رئيس الربع والملك! ونحن نورد الحكاية على عِلاّتها، والمسيحيُّ أدرى بكتابه هذا الذي سماه باسم الإنجيل.

وقول هيرودس عن المسيح: هذا هو يوحنا، ولم يُصَدِّقْ بأنه هو المسيح، مَبْنِيٌّ على اعتقادهم أنَّ المسيح لم يَجِيءْ بَعْدُ إليهم لأن مجيئه يكون بعد مجيء

إيلياء، على ما ثَبَتَ عندهم في كتب الأنبياء، وإيلياء لم يسبق مجيئه إذ ذاك، وقد تَقدَّمَ طرفٌ من هذا البحث، فلهذا قال هيرودس: هو يوحنا المقتول، قد قام من الأموات. والحكاية هذه ساقها مرقس في - ص٦ - ف١٤ فقال: «فسمع هيرودس الملك لأن اسمه، أي المسيح، صار مشهوراً وقال: إن يوحنا المعمدان قام من الأموات، ولذلك تُعْمَلُ به القوات».

وقال آخرون: إنه إيلياء. وقال آخرون: إنه نبيٌّ كأحد الأنبياء، ولكن لما سمع هيرودس قال: هذا هو يوحنا الذي قطعتُ أنا رأسه، إنه قام من الأموات» انتهى.

فقوله: قال آخرون إنه إيلياء، دليلٌ على أن إيلياء غير يوحنا، لأنهم يعلمون أن يوحنا قد جاء وقتل، لا سيما وقد رَدَّ هيرودس عليهم قولَهُم، ونفى أن يكون هو إيلياء أو أحد الأنبياء، وجزم بأنه يوحنا، وهذا ظاهرٌ لا غبارَ عليه. وعبارة لوقا - بص٩ - ف٧: «فسمع هيرودس رئيس الربع بجميع ما كان منه، وارتاب لأن قوماً كانوا يقولون: إن يوحنا قد قام من الأموات».

أقول: هذا مخالفٌ لقولِ المترجم ومرقس بأنَّ القائلَ هو هيرودس رئيس الربع، على رواية المترجم، أو الملك على رواية مرقس، فليت شعري أيهما الصحيح؟!.

ثم قال لوقا: «وقوماً أنَّ إيلياء ظهر، وآخرينَ أن نبياً من القدماء قام، فقال هيرودس: يوحنا أنا قطعتُ رأسه، فَمَنْ هو هذا الذي أسمعُ عنه مثلَ هذا؟ وكان يطلب أن يراه».

أقول: والذي يُفْهَمُ من كلام هيرودس هنا أنه نفى أن يكون هو يوحنا، حيث قال: يوحنا أنا الذي قطعتُ رأسه، ثم قال: فَمَنْ هذا الذي أسمع عنه؟!.

فانظر عافاكَ الله لهذا التناقض فيما تَدَّعيه أنتَ وقومك أنه من الوحي، ولم تَتَّفِقْ كلمةٌ واحدة مع الأخرى، وقد علمتَ أنَّ المترجم ساق الحكايةَ بعد أن

حكى مجيء المسيح إلى وطنه، ومرقس ناقضه، فأثبتَ القصةَ بعد عودِ التلاميذِ الاثني عشر من سفرهم إلى المدن والقرى، حينما أرسلهم المسيح، فعادوا بعد أن أخرجوا شياطين كثيرة. ولوقا أدرج ذلك بتاريخ، توسَّط فيه بين المترجم ومرقس، فحصل التناقضُ من الثلاثة بعضهم لبعض وفاء بنذرهم. ثم إنَّ مرقس صَرَّحَ بأن هيرودس لم يَمُتْ، وكذَّبَ المترجم لأنه صَرَّحَ بموتهِ والمسيح طفلٌ في - ص٢ - ف١٥، فراجِعْهُ أيها المُنْصِفُ، ليثبتَ عندك فُحْشُ تناقضهم. ومرقس سمى هيرودس بالملك، والمترجم ولوقا سمياه رئيس الربع، وهو اختلافٌ صريح.

وخلاصة الأمر: أنك بأيِّهما صدَّقتَ، لَزِمَكَ تكذيب غيره البتة، أو تلزم الوحي بتصحيح غلطه، إذ قالت النصارى بعصمة الرسول... المترجم وقد جعلنا مكان اسمه أصفاراً، حيث لم يتحقق إلى الآن عندهم اسمه. والرسول مرقس والرسول لوقا، ولا مندوحة عن أحد القولين، ولله دَرُّ هذا التاريخ وهؤلاء المؤرِّخين في نَقْلِهم.

ثم إن المترجم أورد في ف٣ - قوله: «فإن هيرودس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه وطرحه في سجن، من أجل هيروديا امرأةِ فِيلِبُّس أخيه، لأنَّ يوحنا كان يقول له: لا يحلُّ أنْ تكونَ لكَ» هذا زَعْمٌ تزعمه النصارى وافتراء على يوحنا، لأنه مخالفٌ لحكم التوراة، ويوحنا المعمدان كان ممن يدينُ بأحكامِ التوراة، والمفهومُ من القصة أن هيرودس من اليهود، لأنه إذا لم يكن من اليهود، فليس ليوحنا أنْ يعترضَ عليه حالَ كونِ الأناجيل خصوصاً في بحث الصلب، وكتبُ التاريخ تُصَرِّحُ بأنَّ الحكومة كانت رومانية، فيكون في المسألةِ تناقضٌ من سائر أطرافها.

فالحكاية أشبه بأنها من مفتريات القوم، والسر في ذلك الافتراء أن يأتوا بحكم من يوحنا ضد التوراة المأمور هو وهُمْ بإقامةِ أحكامها، ليحصل لهم العذرُ في

مخالفةِ أحكامِ التوراة.

ومما يدلك على افترائهم هذه الجملة، أن الفاضل يوسفيس المؤرخ صَرَّحَ في الباب الخامس من الكتاب الثامن عشر من تاريخه: أن اسم زوج هيروديا كان هيرودس أيضاً، لا فيلبس، وهذا اختلافٌ آخر، قد أقَرّ بِهِ معتقدو هذا الإلهام، فاحفظه أيضاً.

ثم قال المترجم في ف٥ -: «ولما أراد أن يقتله، خاف من الشعب، لأنه كان عندهم مثلَ نبيٍّ»، وقد ذكر لوقا هذه الجملة في ص٢٠ ف٦ فقال: «لأنهم واثقون بأن يوحنا نبي».

لا يخفى عليكَ الفرقُ والتباين بين جَعْلهِ مثلَ نبيٍّ، وبين جعله نبياً حقيقة.

ومن تلاعب المترجم قوله ف٦ -: «ثم لما صار مولد هيرودس، رقصت ابنة هيروديا في الوسط، فَسَرّت هيرودس، مِنْ ثَمَّ وعَدَ بقَسَمٍ أنه مهما طلبتْ يُعطيها، فهي إذ كانت قد تَلَقَّنَتْ من أمها، قالت: أعطني ها هنا على طبقٍ رأسَ يوحنا المعمدان، فاغتمَّ الملكُ، ولكن من أجل الأقسام والمتكئين معه أمَرَ أن يعطى، فأرسل وقطع رأس يوحنا في السجن، فأحضر رأسه على طبق، ودُفع إلى الصبية، فجاءت به إلى أمها، فتقدم تلاميذه ورفعوا الجسد ودفنوه، ثم أتوا وأخبروا يسوع».

أقول: لا يخفى على المتأمل أن هذا المترجم في أول هذا الإصحاح جعل هيرودس رئيس الربع، وهنا نقض قوله بقوله: هو الملك، ومن الأسف أنَّ مرقس سار على أثر المترجم في ذكر هذا الحديث المفترى، ولا بأس في إيراد ما أوردوه مفرقاً في خلال البحث، ليقف القارىء على هذا التناقضِ الغريبِ والافتراء العجيب. قال مرقس في - ص٦ - ف١٧: «لأن هيرودس نفسه كان قد أرسل وأمسك يوحنا، وأوثقه في السجن من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيهِ، إذ

كان قد تزوج بها لأن يوحنا كان يقول لهيرودس: لا يحلُّ أن تكونَ لكَ امرأةُ أخيك».

أقول: إن هذه الجملة لا تصح إلا إذا قيل: إن يوحنا كان كاهناً في مذهب الرومانية، وإنه بمقتضى المذهب المذكور لا يحل للرجل أن يتزوج امرأةَ أخيه، قلتُ: وهذا الذهابُ أيضاً باطلٌ بالبداهة، لأن يوحنا من أعظم أنبياء بني إسرائيل، بشهادةِ عيسى عليهما الصلاة والسلام. وإن قلت بأن الملك كان يتبع أحكام التوراة، وأن قضاة اليهود جَوَّزُوا له أخذَ امرأة أخيه، ويوحنا لم يجوِّز، قلتُ: وهذا أيضاً من أفحشِ البهتان، لأن الملك لم يكن تابعاً للتوراة، وهذا ثابت بالبداهة، وعلى فرض صحته، فإن يوحنا أوْلى بإنفاذ حكم التوراة، فكيف يقول له: لا يجوز لك أن تأخذ امرأة أخيك، وعندهم من الواجب أن يأخذَ أرملةَ أخيه، ولا خلاف في أن يوحنا كان إسرائيلياً، وأنه كان يأمر قومه بإقامة أحكام التوراة؟!.

ثم قال مرقس - بص٦ - ف١٩: «فحنقت هيروديا عليه، وأرادت أن تقتله، ولم تقدر» وهذه مناقضة بينه وبين المترجم، لا يُجْبَرُ كسرها، لأن المترجم قد حكى الحكاية عن هيرودس، ومرقس حكى ذلك عن هيروديا، وهو أعقلُ من المترجم، لأنه لا يُتَصَوَّرُ تجاسرُ الحاكم على قتل يوحنا لمثل هذه المسألة، وتصور مرقس ذلك في المرأة أحكم، ثم إن المترجم جعل سبب التربص في قتله الخوف من الشعب، ومرقس خالفه، فلم يحْكِ عن هيرودس ذلك، وإنما جعل التربص عن قتله لجلالةِ قَدْرِه؛ ودليله قوله، أي مرقس في - ص٦ - ف٢٠: «لأن هيرودس كان يهابُ يوحنا عالماً بأنه رجل بار وقديس، وكان يحفظه، وإذ سمعه فعل كثيراً، وسمعه بسرور» وهذه العبارة لم يذكرها المترجم ولعل الوحي أخفاها عنه.

ثم قال مرقس - ص٦ - ف٢٢: «دخلت ابنة هيروديا، ورقصت فسَرّت

هيرودس والمتكئين معه» والظاهر أن مرقس كان حاضراً مع المتكئين، لأن المترجم لم يذكر سرورَ المتكئين إذ لم يكن حاضراً معهم. ثم قال مرقس: «فقال الملك للصبية: مهما أردت اطلبي مني فأعطيك، وأقسم لها أن مهما طلبت مني لأُعطينَّكِ حتى نصف مملكتي».

لقد ظهر حقيقة كذب المترجم حيث جعله رئيس ربع، ورئيسُ الربع لا يملك، والعجبُ من هذا الملك وتجاسره، فإنه يظهر من قسمه أنه كان مستقلاً في إدارته حتى أنه لو وهب نصف المملكة إلى راقصة، لا يعارضه أحدٌ حال كونه هو نائباً عن القيصر في تلك المملكة، وهذا التأكيدُ، في الحلفِ واليمين، فات وحي المترجم أن يذكره. ومَنْ كان ذا لُبٍّ فليتعجب.

ثم قال مرقس - بص٦ - ف٢٤: «فخرجت وقالت لأمها: ماذا أطلب؟ فقالت: رأس يوحنا المعمدان، فدخلت للوقت بسرعة إلى الملك، وطلبت قائلة: أريد أن تعطيني حالاً رأس يوحنا المعمدان على طبق، فحزن الملك جداً، ولأجل الأقسام والمتكئين لم يُرِدْ أن يردَّها، فللوقتِ أرسل الملكُ سَيَّافاً، وأمر أن يؤتى برأسه، فمضى وقطع رأسه في السجن، وأتى برأسه على طبق، وأعطاه للصبية، والصبية أعطته لأمها؛ ولما سمع تلاميذه جاؤوا ورفعوا جثته، ووضعوها في قبر».

هذه الحكاية الطويلة مخالفة لحكاية المترجم القصيرة، وملخص المعنى الذي أورده المترجم أن البنت الراقصة كانت قبل دخولها في مرسح الرقص ملقّنة من أمها أنْ تطلبَ من رئيس الربع أو الملك، على اختلاف رواياتهم، رأسَ يوحنا، لأنها عالمةٌ أن الملك سيكون مسروراً من رقصها، وعبارة مرقس هنا مخالفة لذلك، لأنه يفهم منه أن مراجعة الراقصة لأمها كانت بعد الرقص.

تنبيه: لقد اتخذ الرُّسُلُ اليسوعيون المتوطِّنون في بلاد سوريا الكتب الأدبية

الإسلامية دستوراً لتعليم الشبان المسيحيين من أبناء المدارس وطلبة العلوم العربية، ولكنْ حيثُ أن التغييرَ والتبديل عندهم بمنزلة الشيء الطبيعي، فإنا نراهم يحذفون منها مثل هذه الحكاية زاعمين أن دراسة مثل ذلك مُخِلٌّ بالآداب العمومية، ومفسدٌ للأخلاقِ الإنسانية، ولعمري! إن من الواجب عليهم حذف مثل هذه الحكاية التي لا يصدق العقل أن تكون من أصل الإنجيل الذي هو أحد الكتب المقدسة، كما أثبتناه آنفاً، لا سيما والأناجيلُ الأربعة لم تَتَّفِقْ على روايتها، مع الاختلافِ بينهم في سياق ألفاظها، والتضارب في المعنى، ولكن أقول: إن القوم ربما دسّوها تعمداً في الإنجيل، على سبيل الحكاية، جاعلين ذلك سلّماً يرتقون به لإباحة اختلاط النساء بالرجال والرقص في (البالو) على الحالة التي حكاها الإنجيل، والمسيحي يعلم أنَّ إباحةَ ذلك ضد النواميس الإلهية، ومفسدة للأخلاق الحميدة والآداب العمومية.

ولنرجع إلى المقصود، قال مترجم متى - ف١٣: «فلما سمع يسوع، انصرف من هناك في سفينة إلى موضع خلاء منفرداً، فسمع الجموع، وتبعوه مُشَاةً من المدن، فلما خرج يسوع أبصر جَمْعاً كثيراً، فتحنن عليهم، وشفى مرضاهم» انتهى.

وخالفه مرقس حيث قال في - ص٦ - ف٣٠: «واجتمع الرسل إلى يسوع، وأخبروه بكل شيء كلٍّ ما فعلوا وكل ما علّموا، فقال لهم: تعالوا أنتم منفردين إلى موضع خلاء، واستريحوا قليلاً، لأن القادمين والذاهبين كانوا كثيرين، ولم تتيسر لهم فرصةٌ للأكل، فمضوا في السفينة إلى موضعِ خلاءٍ منفردين، فرآهم الجموع منطلقين، وعَرَفَه كثيرون، فتراكضوا إلى هناك، من جميع المدن، مشاة وسبقوهم، واجتمعوا إليه، فلما خرج يسوع، رأى جمعاً كثيراً، فتحنَّنَ عليهم، إذ كانوا كخرافٍ لا راعيَ لها فابتدأ يُعلِّمهم كثيراً» انتهى.

ولوقا خالف صاحبيه أيضاً حيث قال في - ص٩ - ف١٠: «ولما رجع

الرسل، أخبروه بجميع ما فعلوا، فأخذهم وانصرف منفرداً إلى موضع خلاء، لمدينة تسمى بيت صيدا، فالجموع إذ علموا، تبعوه، فقبِلَهم، وكلَّمهم عن ملكوت الله، والمحتاجون إلى الشفاء شفاهم» انتهى.

ويوحنا أهملَ هذه القضية بالكلية، فأراحَ واستراح، فهذه عبارات الأناجيل الثلاثة أمامك، فانظرها تجد المترجم جعل مجيءَ إلهِهِ لهذا المكان هَرَباً، على أثر إخبار تلاميذ يوحنا بمقتله، ومرقس أنِفَ من نسبة الإله إلى الهرب، فجعل السبب لرواحه إلى موضع خلاء، لأجل استراحة الرسل الذين أرسلهم لدعوة الضالين من بني إسرائيل، ولوقا أطلق ذلك، وجعل ذهابه على حسب عادته، وقد زاد مرقس فأوفى الكيلَ حقه من الزيادة، على المترجم ولوقا، حيث أن المترجم لم يُبيِّن المراد، فأخلّ في كلام رب العباد، ولوقا عَيّن المكان وهو بيت صيدا الذي جهله صاحباه المترجم ومرقس.

ويفهم أيضاً من كلام المترجم أنَّ المسيح وحده في السفينة. ومن قول مرقس يثبت أن التلاميذ أيضاً ركبوا معه، ولوقا لم يذكر السفينة، واعتاض بذكر الموضع في صيدا الذي لم يذكره غيره، على ما يفهم من نصوص الأناجيل أن التلاميذ الاثني عشر ذهبوا رسلاً لدعوة الأمم حال كون الأناجيل، وظاهر نصوصهم تُصَرِّحُ بأنهم لم يفارقوا المسيحَ أبداً لا سَفَراً ولا حَضَراً، والمترجم لم يذكر ذلك، ثم أورد المترجم معجزة تكثيرِ الطعامِ القليل، وقد اتفق مصنفو الأناجيل الأربعة على إيرادها، وتواطؤوا على روايتها، ونحنُ معاشرَ المسلمين لا ننكر مثل ذلك، فإن خارق العادة على سبيل المعجزة للأنبياء الكرام، عليهم الصلاة والسلام، مُسَلّمة عندنا، ونقرُّ بأنَّ عيسى رسول الله ومسيحه ونبيه أَيَّدهُ بالمعجزات والآيات الباهرات، ولكن نعجب من غُلُوّ هؤلاء الرواة وجهلهم المركب الذي دعاهم أن يتسابقوا إلى المبالغة، ويتهافتوا على الهذيان، فإن القوم لم يكن عندهم علم بواقع الحال، وهم يظنون أن مثل تلك المبالغات المناقضة لبعضها تَزيدُ في شرف

المسيح، مع أن قَدْرَهُ عليه السلام أجلُّ من ذلك، وهو أشد الناس بغضاً لمن يرتكب الكذب، ويغلو في دينه.

وها أنا أذكرُ لك الروايات الأربعة، وأدلُّك على المناقضات الإجمالية، قال مترجم متى ف١٥: «ولما صار المساء، تقدم إليه تلاميذه قائلين: الموضع خلاء، والوقت قد مضى، اصرف الجموع لكي يمضوا إلى القرى، ويبتاعوا لهم طعاماً، فقال لهم يسوع: لا حاجة لهم أن يمضوا، أعطوهم أنتم ليأكلوا، فقالوا له: ليس عندنا ها هنا إلا خمسة أرغفة وسمكتان، فقال: ائتوني بها إلى هنا، فأمر الجموع أن يتكئوا على العشب، ثم أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين، ورفع نظره نحو السماء، وبارك وكسر، وأعطى الأرغفة للتلاميذ، والتلاميذُ للجموع، فأكل الجميع وشبعوا، ثم رفعوا ما فَضَل من الكِسَر اثنتي عشرة قفة مملوءة والآكلون كانوا نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد».

وقال مرقس في - ص٦ - ف٣٥: «وبعد ساعات كثيرة تقدم إليه تلاميذه قائلين: الموضع خلاء، والوقت مضى، اصرفهم لكي يمضوا إلى الضياع والقرى حوالينا، ويبتاعوا لهم خبزاً، لأن ليس عندهم ما يأكلون، فأجاب وقال لهم: أعطوهم أنتم ليأكلوا، فقالوا له: أنمضي ونبتاع خبزاً بمئتي دينار، ونعطيهم ليأكلوا، فقال لهم: كم رغيفاً عندكم؟ اذهبوا وانظروا، ولما علموا، قالوا: خمسة وسمكتان، فأمرهم أن يجعلوا الجمع يَتّكئون رفاقاً رفاقاً على العشب الأخضر، فاتكؤوا صفوفاً صفوفاً مئةً مئةً، وخمسين خمسين، فأخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين، ورفع نظره نحو السماء، وبارك، ثم كسر الأرغفة، وأعطى تلاميذه ليقدموا إليهم، وقسم السمكتين للجميع، فأكلَ الجميعُ وشبعوا، ثم رفعوا من الكسر اثنتي عشرة قُفَّةً مملوءة، ومن السمك، وكان الذين أكلوا من الأرغفة نحو خمسة آلاف رجل».

ورواية لوقا في - ص٩ - ف١٢ هكذا «فابتدأ النهار يميل، فتقدم الاثني

عشر، وقالوا له: اصرف الجمع ليذهبوا إلى القرى والضياع حوالينا، فيبيتوا ويجدوا طعاماً، لأننا ههنا في موضع خلاء، فقال لهم: أعطوهم أنتم ليأكلوا، فقالوا: ليس عندنا أكثر من خمسة أرغفة وسمكتين إلا أن نذهب ونبتاع طعاماً لهذا الشعب كله، لأنهم كانوا نحو خمسة آلاف رجل، فقال لتلاميذه: أتكئوهم فرقاً خمسين خمسين، ففعلوا هكذا، واتكأ الجميع، فأخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين، ورفع نظره نحو السماء، وباركهن، ثم كسر وأعطى التلاميذ ليقدموا للجَمْع، فأكلوا وشبعوا جميعاً، ثم رفع ما فضل عنهم من الكِسَر اثنتا عشرة قفة».

ولا بأس بذكر سبب المعجزة أيضاً من إنجيل يوحنا، فإنه حكى كما حكت الثلاثة، لكنه ناقضهم فقال في - ص٦ - ف١ ما نصه: «بعد هذا مضى يسوع إلى عبر بحر الجليل، وهو بحر طبرية، وتبعه جمع كثير لأنهم أبصروا آياته التي كان يصنعها في المرضى، فصعد يسوع إلى جبل، وجلس هناك مع تلاميذه، وكان الفصحُ عيدَ اليهود قريباً، فرفع يسوع عينه، ونظر أن جمعاً كثيراً مقبلٌ إليه، فقال لفيلبس: من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء؟ وإنما قال هذا ليمتحنه، لأنه هو عَلِمَ ما هو مُزْمِعٌ أن يفعل، أجابه فيلبس: لا يكفيهم خبز بمئتي دينار، ليأخذ كل واحد منهم شيئاً يسيراً؛ قال له واحد من تلاميذه، وهو أندراوس أخو سمعان بطرس: هنا غلامٌ معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان، ولكنْ ما هذا لمثل هؤلاء؟! فقال يسوع: اجعلوا الناس يتكئون، وكان في المكان عشب كثير، فاتكأ الرجال، وعددهم نحو خمسة آلاف، وأخذ يسوع الأرغفة، وشكر، ووزع على التلاميذ، والتلاميذ أعطوا المتكئين، وكذلك من السمكتين، بقدر ما شاؤوا، فلما شبعوا، قال لتلاميذه: اجمعوا الكِسَر الفاضلة لكي لا يضيع شيء، فجمعوا وملؤوا اثنتي عشرة قفة من الكسر، من خمسة أرغفة الشعير التي فضلت عن الآكلين، فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع، قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم، وأما يسوع فإذ علم أنهم مُزْمِعُونَ أن يأتوا ويختطفوه، ليجعلوه ملكاً،

انصرف أيضاً إلى الجبل وحده» انتهى.

فهذه عبارات الأناجيل الأربعة أمامك أيها المسيحي الذي تَدَّعي أنها كتاب الله المنزل المصون عن التحريف، وهو كما ترى قد اختلط حَقُّه بباطله، وصحيحهُ بفاسدِه، حتى جزم العقل بأن هذا من مفترياتهم.

ولنذكر بعضاً من مناقضاتهم واختلافهم، فإن الأناجيل الثلاثة قالت: إن المسيح ذهب إلى مكان قريب، وانفرد يوحنا بقوله: عبر بحر الجليل، وهو بحر طبرية، وأنه صعد إلى جبل. قول المترجم: أنه شفى مرضى تلك الجموع، ومرقس ولوقا ويوحنا لم يذكروا ذلك، فإما أنْ تحكمَ بكذب المترجم، أو تحكمَ بتساهلِ الثلاثة، وقد حصل التناقض على كلا الحالين، والثلاثة يقولون: إن التلاميذ لما رأوا النهار كاد أن يذهب، والجموعُ كثيرة، طلبوا منه أن يصرفهم حيث لا طعامَ عندهم. ويوحنا وحده انفرد بقوله: إن ذلك كان على طريق قصدِ إظهارِ المعجزة من المسيح، وانظر إلى عبارته الباردة من قوله: وإنما قال هذا، أي المسيحُ، لفيلبس، ليمتحنه، لأنه هو علم ما هو مزمع أن يفعل.

وما أظن أن يوحنا مع جلالة قدره ومكانته يتفوَّه بذلك، وهذا كلام لا يصدر إلا مِن جاهل غريق في الجهل، عريق في الشرك، لأنه يقصد بذلك ألوهية المسيح، وقد جهل أن قوله: عَلِم يدل على انتفاء العِلْمِ عنه، قبل أن يعلم، ونسي أيضاً قوله عن الناس، حق هو النبي الآتي، ثم إن تخصيص فيلبس واندراوس بالذِّكْرِ، انفرد به يوحنا فقط، والثلاثة حكوا عن التلاميذ عموماً، بدون تخصيص أحدهم بالذكر، إلا لوقا فإنه خصص الاثني عشر، وقد تلطف يوحنا بأنْ ذكر عن أندراوس أنه هو الذي قال: غلام، معه خمسة أرغفة إلخ.

ويحقُّ ليوحنا ذلك، لأن في إسناد الكلام لأندراوس إشارة إلى أنه، أي أندراوس، شارك المسيحَ بما علِمَه مما هو مزمع أن يفعله، فلله دره! وهنا

استدراك، وهو أن باقي الرواة مقتضى عبارتهم أن الأرغفة لواحدٍ من التلاميذ، فيكون حملهم للزاد خلاف أمر المسيح لهم: حينما أرسلهم للدعوة، وقد أوصاهم أنْ لا يحملوا شيئاً في السفر مطلقاً حتى العِصِيّ، ثم إن المترجم لم يذكر المئتي دينار التي ذكرها يوحنا، والرواة الثلاثة ذكروا أنه حين أخذ الأرغفة، رفع نظره إلى السماء، وبارك؛ ويوحنا لم يذكر ذلك، وكيف يذكره وهو يدلُّ على افتقار المسيح بطلبه المعونة في ذلك من مولاه؟! وقد أشار ضمناً إلى كونه إلهاً، فتحاشى عن أنْ ينقضَ قوله بقوله، ولكنَّ خبرَ الثلاثة، بما يوافق العقل والنقل، يُكَذِّبُ خبرَ الواحد المنقوض بالأدلة العقلية والنقلية، حتى إن نفس يوحنا قد ذكر في هذه الحكاية صريحاً ما ينقضُ إشارته.

ثم إن المترجم ومرقس ولوقا ذكروا أنه كسر الأرغفة، وأعطاهم للتلاميذ، ويوحنا خالف الثلاثة، فلم يذكر أنه كسر الأرغفة، ويوحنا قال: إن الأرغفة من خبز الشعير؛ وقولُه أقربُ للتصديق، وأدلُّ على الزهد، ولا سيما وهو حاضر معهم دون الثلاثة، فلذلك ترجّح قوله.

والمترجم ذكر أن الآكلين نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد، ويوحنا مع مرقس ولوقا لم يذكروا الأولاد والنساء، فيقال: إن متى ويوحنا كانا حاضرين، فكيف غلطا في ذلك، مع أن التقدير بوجود الأولاد والنساء يبلغ أضعاف الرجال؟! وهذا مما لا يجوز التساهل في شأنه.

ثم انفرد يوحنا عن أصحابه بمسألتين:

الأولى: قوله عن الحاضرين حينما شاهدوا هذه الآية قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم.

الثانية قوله: وأما يسوع إذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه، ليجعلوه ملكاً، انصرف إلخ.

فنتيجة الأولى أن الحاضرين قبل هذا اليوم لم يكونوا مؤمنين بالمسيح إلا بعد مشاهدتهم لتلك الآية، وعلم منه أنَّ دعوى النصارى بألوهيته شيءٌ مفترى، قد ابتدعوه، بعد موتِ الحواريين، ولو كان كما قالوا: لقالت تلك الجموع: إن هذا بالحقيقة هو الإله، ثم لو كان الحواريون يقولون بما تقوله النصارى، والعياذُ بالله تعالى، لكان الواجب عليهم أن ينازعوهم في قولهم: إن هذا هو النبي الآتي، ويردُّوهم إلى القول بألوهيته، بل كان ينبغي على المسيح نفسه أن يقول لهم: أنا ربكم الأعلى، لأن المقصود هدايتهم لا إضلالهم، ويكفى ذلك تكذيباً لدعوى الألوهية.

وأما نتيجة الثانية فهي خَبْطٌ من رجلٍ لا يدري ما يقول، ومتى كان المسيح طفلاً أو عروضاً ليخطفوه، أو طيراً ليصطادوه، وهل مَنْ عنده ذرة من الإدراك يقبل مثل هذا الكلام، هل أكثر من هذا إفكاً مفترى؟! فما معنى قوله: مزمعون أن يخطفوه، ليجعلوه ملكاً، بعد قولكم: إنه هو الإله وملك الملوك، لكن الجنون فنون، والمسيحيون أخذوا بأغرب فنونه.

أين العقلاء منكم، وأين جمعية إصلاح الأناجيل، أين موسيو هانوتو لينظر هذا التوحش الديني في النصرانية؟! ثم ليت شعري! إن متَّى الحواري كان حاضراً الواقعة، وهو أحدُ المُلْهَمين الملازمين لعيسى، فلماذا سكت عن هذا؟! ولوقا الذي رسم على نفسه أن يكتب الأمور على وجه الصحة، لماذا لم يذكر ذلك؟! ومرقس تلميذ بطرس الخليفة عن عيسى، لِمَ فاته هذا الغرض؟! ثم يا للعجب ما الذي أوجب على المسيح أن يهرب عن هذا الملك؟! وقد اقترفت رواة الأناجيل أنه هو الموعود أن يكون ملك اليهود، فهل أراد أن يكذب خبر الأناجيل في حكاية المجوس وما ينضم إلى ذلك من تكذيب التوراة، لأن رواة الأناجيل قد نقلوا أن ذلك مكتوب فيها، ثم إنْ كان المراد من هذا الملكِ مُلْكاً روحياً، فيكون هو المقصود من إرسال الله تعالى المسيح، وإنْ كان ملكاً دنيوياً، فيمكن

للمسيح التسلط على فكر الشعب بواسطة تَمَلُّكه عليهم، فعلى الوجهين ليس من الحكمة أنْ يمتنعَ المسيحُ من إجابة طلبهم إلا أنْ يكونَ قد لاحظ ضعفَ الشعبِ عن مقاومة الرومانيين، فيكون هربه وعدم إجابة طلب اليهود حقناً لدم نفسه.

وهل يعقل أن هذه الشرذمة الضعيفة تتجاسر على نصب عيسى ملكاً عليهم، وملك الرومان جالساً على كرسيه مطاعاً من كافة اليهود والروم؟! وعلى تسليم جميع ذلك فإنّا نرى الأناجيل الأربعة صرحت لنا بمعاكسة الشعب له، من بدء ظهوره إلى أن ظفروا به، فالعجب منهم أن يزمعوا في هذه المرة على اختطافه، لأجل أن يجعلوه ملكاً عليهم.

فالحاصل أن هذه الفقرة من الإنجيل لا تخلو من الغلط والتحريف، والقوم لم يزالوا على دعواهم مُصرّين، وفي عَماءٍ من جهلهم تائهين، ولا ينفع معهم نصح الناصحين، وقد تركنا إليك مناقضات مرقس ولوقا للمترجم ويوحنا في المعجزة المذكورة، لكن من غريب ما ذكره مرقس بقوله: فأمرهم أن يجعلوا الجميع يتكئون رفاقاً رفاقاً على العشب الأخضر، فاتكؤوا صفوفاً صفوفاً مئة مئة، خمسين خمسين، وقد انفرد عن باقي الرواة ولا بدع، فقد أثبت لنفسه أنه أوسع علماً من رفقائه في أمر تقسيم الجموع وترتيبها.

ثم قال المترجم - ف٢٢: «وللوقت ألزمَ يسوعُ تلاميذه أن يدخلوا السفينة، ويسبقوه إلى العبر حتى يصرف الجموع، وبعدما صرف الجموع، صعد إلى الجبل منفرداً ليصلي، ولما صار المساء كان هناك وحده، وأما السفينة فكانت قد صارت في وسط البحر معذّبة من الأمواج، لأن الريح كانت مضادة في الهزيع الرابع من الليل، مضى إليهم يسوع ماشياً على البحر، فلما أبصره التلاميذ ماشياً على البحر، اضطربوا قائلين: إنه خيال، ومن الخوف صرخوا، فللوقتِ كَلَّمهم يسوع قائلاً: تشجعوا أنا هو، لا تخافوا، فأجابه بطرس وقال: يا سيد! إنْ كنتَ أنت هو، فَمُرْني أنْ آتي إليكَ على الماء، فقال: تعال، فنزل بطرس من السفينة،

ومشى على الماء ليأتي إلى يسوع، ولكن لما رأى الريح شديدة خاف، وإذ ابتدأ يغرق صرخ قائلاً: يا رب نَجِّني، ففي الحال مَدَّ يسوع يده، وأمسك به، وقال له: يا قليلَ الإيمان لماذا شككت؟ ولما دخلا السفينة سكنت الريح، والذين في السفينة جاؤوا وسجدوا له قائلين: بالحقيقة أنت ابن الله» انتهى.

وعبارة مرقس في - ص٦ - ف٤٥: «وللوقت ألزم تلاميذه أن يدخلوا السفينة، ويسبقوا إلى العبْر إلى بيت صيدا حتى يكون قد صرف الجمع، وبعدما ودعهم مضى إلى الجبل ليصلي، ولما صار المساء كانت السفينة في وسط البحر، وهو على البر وحده، ورآهم معذبين في الجذف لأن الريح كانت ضدهم، ونحو الهزيع الرابع من الليل أتاهم ماشياً على البحر، وأراد أن يتجاوزهم، فلما رأوه ماشياً على البحر، ظنوه خيالاً، فصرخوا، لأنَّ الجمعَ رأوه واضطربوا، فللوقتِ كَلَّمهم وقال لهم: ثقوا أنا هو، لا تخافوا، فصعد إليهم إلى السفينة، فسكنت الريح، فبهتوا وتعجبوا في أنفسهم جداً إلى الغاية، لأنهم لم يفهموا بالأرغفة إذ كانت قلوبهم غليظة» انتهى.

ولوقا لم يذكر هذه المعجزة، فالظاهر أنه حينما نزل الوحي بذلك، كان غافلاً، أو أنه لم يفهم هذا الكلام، لكونه كان مشوَّش الفكر. فتنبه أيها الفطن.

ويوحنا ذكر القصة برمتها ونصه في - ص٦ - ف١٦: «ولما كان المساء نزل تلاميذه إلى البحر فدخلوا السفينة، وكانوا يذهبون، إلى عبر البحر إلى كفرناحوم وكان الظلام قد أقبل، ولم يكن يسوع قد أتى إليهم، وهاج البحر من ريح عظيمة تهب، فلما كانوا قد جذفوا نحو خمسة وعشرين أو ثلاثين غلوة، نظروا يسوع ماشياً على البحر مقترباً من السفينة، فخافوا، فقال لهم: أنا هو، لا تخافوا، فرضوا أن يقبلوه في السفينة، وللوقت سارت السفينة إلى الأرض التي كانوا ذاهبين إليها» انتهى.

فلقد مرت حكاية معجزة الأرغفة والسمكتين، وفيها من التناقض ما طفحَ به الكيلُ، لكن هذه أغرب وأعجب، والنصوص أمامك، ولا بأس أن نبسطَ لك بعضَ التناقض فيها، فقد علمتَ أن يوحنا ذكر أنه هرب من الذين أرادوا أن يخطفوه، ولم يذكر ما ذكره المترجم ومرقس، لأنهما ذكرا أنَّ المسيحَ ألزم تلاميذه بركوب السفينة، ليصرف الجمع، فيكون ذلك مخالفة من يوحنا لهما. والمترجم ذكر أنه أمرهم بركوب السفينة، وأن يسبقوه إلى العبْر، بدون تعيين اسم المحل، ومرقس عَيَّنه بأنه بيت صيدا، مع أن لوقا حكى معجزة الأرغفة، وأنها كانت في بيت صيدا، فكيف يخرج منها إليها، وأظنه نسيَ البحرَ والسفينة، ويوحنا لم يذكر أنه ألزم التلاميذ، لكونه قضى عليه بالهرب، ولكن قال: إن التلاميذ ركبوا السفينة، وقصدوا كفر ناحوم.

ولعلَّهم يجعلون هذا التحريف من غلط الوحي، فإن المسيحيين ينزهون الأناجيل عن التحريف، ويكفِّرون مَنْ يقول بذلك، فلذلك أحالوه على غلط الوحي كما هو مذهب بنيامين بنكرتن أحد المفسِّرين، وهو من أفحش الكفر، ثم إن المترجم ومرقس اتفقا على أن المسيح ذهب يصلي منفرداً، ويوحنا لم يذكر من صلاته شيئاً، والمترجم يقول: لما صارت السفينة في وسط البحر معذبةً من الأمواج، لمضادةِ الريح لها، مضى إليهم يسوع، في الهزيع الرابع من الليل، ماشياً على البحر. والمراد من الهزيع الرابع أي قبل الفجر، ومرقس قارب المعنى، وناقضه كما ترى في حكاية الألفاظ، ويوحنا جعل الوقتَ أوَّلَ الليل عند إقبال الظلام، وأنهم قد جدفوا خمسة وعشرين أو ثلاثين غلوة، على سبيل التشكيك، والعهدةُ على المسيحيين في قبولِ مثل ذلك.

ثم إنَّ المترجم يقول: فلما أبصره التلاميذُ ماشياً على البحر، اضطربوا من الخوف، وصرخوا، لأنهم قالوا: إنه خيال. وعبارةُ مرقس قريبةٌ من ذلك، لكنه أتى بغريبةٍ ناقضَ فيها المترجمَ ويوحنا بقوله: وأراد أن يتجاوزهم، بعد أن قال:

وأتاهم ماشياً. ويوحنا لم يذكر أنهم صرخوا، وقد انفرد المترجمُ بما ذكره عن بطرس، وغَرَضُه من هذهِ الزيادة قوله: (يا رَبّ نَجِّني) وذلك لا يُجْدِيه نفعاً في مقصده، لأنه يحتمل أنْ يكون خطاباً لله تعالى، على وجه الدعاء، لا للمسيح. ثم العجبُ منه كيف عقب ذلك بقول المسيح له: يا قليلَ الإيمان، وهو الخليفةُ الأكبرُ والموعودُ باستلامِ مفاتيحِ السموات، ثم اتفق المترجم ومرقس على أنه عندما دخل السفينة سكنتِ الريحُ.

وناقضَهم يوحنا بأنه عندما دخل السفينةَ حالاً وصلت إلى المحل الذي هُمْ ذاهبون إليه، ثم انفرد المترجمُ بذكرِ مجيءِ مَنْ في السفينة وسجودهم له قائلين: بالحقيقةِ أنتَ ابنُ الله. ومرقس خالفه، وذهب مذهباً بعيداً جداً، حيث ذكر أنهم بُهِتُوا وتعجبوا، وأنهم لم يفهموا بالأرغفة إذ كانت قلوبهم غليظة. فانظر أيها المسيحيُّ في حكمه على أجلِّ مَنْ على وجه الأرض في زمن المسيح، وإذا كان الحواريون لم يفهموا أنَّ ذلك معجزة للمسيح، وأنهم غِلاظ القلوب، فمن يفهم ذلك من المسيحيين؟! فهل يتفوّه بمثلِ هذا إلا أحمقٌ معتوه؟!.

فيا أيها العاقل! بعد أنْ شَهِدَ المسيحُ أنَّ الحواريين أنصارُه إلى الله، كيف تصفهم بالجهل وغلظ القلب، وتشهدُ على بطرس أنه شاكٌّ قليلُ الإيمان، ألم يفهم الحواريون أنَّ الخمسةَ أرغفة والسمكتين من المعجزاتِ الباهرات؟! إذ طعامُ خمسةِ أنفارٍ قام بإطعامِ خمسةِ آلافِ نَفَرٍ، وإذا ضَممتَ إليهم النساءَ والأولادَ يتضاعفون إلى العشرة آلاف إنسان، وبعد هذا وهذا مَلَؤُوا من فَضْلةِ ذلك اثنتي عشرة قُفَّة، وهم الذين تَولَّوا تفريقَ تلك الأرغفة على مَنْ حضرَ فأسألك أيها النصراني المعاند بشرفِ المسيحِ والإنجيل، هل تقبل مثل هذا التناقض، وتسلم بأنَّ الإنجيل الشريف الخالي من التحريفِ هو هذا، فإنْ قلتَ بذلك حقاً فإني أقولُ لك: نُحْ على عقلك قبل دينك.

ومما يُعَدُّ من تلاعبِ الرهبان ومَضْحكةِ الصبيان قوله: قلوبهم غليظة، إذ كيف

خَصَّهم المسيحُ بإرساله إياهم يَدْعُونَ الأمم لدعوتِه وهم من البلادةِ في درجةٍ لا يهتدون إلى إدراكِ المعجزاتِ الظاهرة والآياتِ الباهرة، سُبحانكَ هذا بهتانٌ مبين.

الإصحاح الخامس عشر

قال مترجم متى - ف١: «حينئذ جاء إلى يسوع كَتَبَةٌ وفريسيون الذين من أورشليم قائلين: لماذا يتعدى تلاميذُكَ تقليدَ الشيوخ، فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزاً، فأجاب وقال لهم: وأنتم أيضاً لماذا تتعدون وصيةَ اللهِ بسبب تقليدكم، فإنَّ الله أوصى قائلاً: أَكْرِمْ أباكَ وأمك، ومن يشتمُ أباً أو أماً، فليمتْ موتاً، وأما أنتم فتقولون: مَنْ قال لأبيه أو أمه: قربان هو الذي تنتفع به مِنّي، فلا يكرم أباه أو أمه، فقد أبطلتم وصيةَ الله بسببِ تقليدكم يا مراؤون حسناً، تَنَبَّأَ عنكم أشعياء قائلاً: يقترب إليَّ هذا الشعبُ بفمِهِ، ويكرمني بشفتيه، وأما قلبهُ فمبتعدٌ عني بعيداً، وباطلاً يعبدونني، وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس. ثم دعا الجَمْعَ وقال لهم: اسمعوا وافهموا، ليس ما يدخلُ الفمَ ينجسُ الإنسان، بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان، حينئذٍ تقدم تلاميذه وقالوا له: أَتَعْلَم أن الفريسيين لما سمعوا القولَ، نفروا، فأجاب وقال: كُلُّ غَرْسٍ لم يغرسه أبي السماوي يُقْلَع، اتركوهم، هم عميان، قادة عميان، وإنْ كان أعمى يقودُ أعمى، يسقطان كِلاهما في حفرة، فأجاب بطرس وقال له: فسِّر لنا هذا المثل، فقال يسوع: هل أنتم أيضاً حتى الآن غير فاهمين، ألا تفهمون بعدُ أنَّ كُلَّ ما يدخل الفم يمضي إلى الجوف، ويندفع، إلى المخرج، وأما ما يخرج من الفم فمن القلبِ يصدر، وذلك ينجس الإنسان، لأن من القلبِ تخرجُ أفكارٌ شِرِّيرة، قتل، زنا، فِسْقٌ، سرِقَةٌ، شهادة زور، تجديف، هذه هي التي تُنَجِّسُ الإنسانَ، وأما الأكلُ بأيدٍ غير مغسولة فلا تنجس الإنسان» انتهى.

فخالَفَهُ مرقس فقال في - ص٧ - ف١: ما نصه «واجتمع إليه الفريسيون وقوم من الكَتَبة قادمين من أورشليم، ولما رأوا بعضاً من تلاميذه يأكلون خبزاً بأيدٍ دنِسَةٍ، أي غير مغسولة، لاموا، لأن الفريسيين وكل اليهود إن لم يغسلوا أيديهم باعتناء، لا يأكلونَ متمسِّكين بتقليدِ الشيوخ، ومن السوق إنْ لم يغتسلوا لا

يأكلون، وأشياء أخرى كثيرة تَسلَّموها للتمسك بها، من غسلِ كؤوسٍ وأباريق وآنية نحاس وأسِرّة، ثم سأله الفريسيون والكتبة: لماذا يسألك تلاميذك حسب تقليد الشيوخ، بل يأكلون خبزاً بأيدٍ غير مغسولة؟ فأجاب وقال لهم: حسناً، تنبأ أشعياء عنكم أنتم المرائين كما هو مكتوب، هذا الشعب يكرمني بشفتيه، وأما قلبهُ فمبتعدٌ عني بعيداً، وباطلاً يعبدونني، وهم يُعلِّمون تعاليم، هي وصايا الناس، لأنكم تركتم وصية الله، وتتمسكون بتقليد الناس غَسْلَ الأباريق والكؤوس، وأموراً أخر كثيرة مثل هذه تفعلون، ثم قال لهم: حسناً رفضتُم وصيةَ الله لتحفظوا تقليدكم، لأن موسى قال: أكرِمْ أباك وأمك، ومَنْ يشتم أباً أو أماً فليمتْ موتاً، وأما أنتم فتقولون: إنْ قال إنسان لأبيه أو أمه: قربان، أي هدية، هو الذي تنتفع به مني، فلا تدَعونه فيما بعد يفعل شيئاً لأبيه أو أمه مُبْطِلينَ كلامَ الله بتقليدكم الذي سلمتموه، وأموراً كثيرة مثل هذه تفعلون. ثم دعا كلَّ الجَمْعِ وقال لهم: اسمعوا مني كلكم، وافهموا، ليس شيء من خارج الإنسان إذا دخل فيه، يقدرُ أنْ يُنَجِّسه، لكن الأشياء التي تخرجُ منه هي التي تنجس الإنسان. إنْ كان لأحدٍ أذنان للسمع فليسمع. ولما دخل من عند الجمع إلى البيت، سأله تلاميذه عن المثل فقال لهم: أفأنتم أيضاً هكذا غير فاهمين، أمَا تفهمون أن كلَّ ما يدخل الإنسان من خارج، لا يقدر أن ينجسه، لأنه لا يدخل إلى قلبه بل إلى الجوف، ثم يخرج إلى الخلاء، وذلك يطهر كل الأطعمة. ثم قال: إن الذي يخرج من الإنسان، ذلك يُنَجِّسُ الإنسانَ، لأنه من الداخل، من قلوبِ الناس تخرجُ الأفكار الشريرة، زِنا، فِسْق، قتْل، سرقة، طمع، خُبْث، مَكْر، عَهارة، عين شريرة، تجديف، كبرياء، جَهْل، جميعُ هذه الشرور تخرجُ من الداخل، وتنجس الإنسان».

أقول: لا يَخْفَى على المتأمل ما في العبارتين المذكورتين من التخالف، وهما وإن كان موردهما واحداً، لكنهما يُشْكِل التطبيق بينهما، ومعلومٌ أنَّ هذا الكلام، في زعم النصارى، وحي من الله، يشتملُ على أحكام دينية، ومثل هذا التناقض

لا يُسَامَحُ فيه، في أقوال العامة، فضلاً عن كلام العقلاء، فضلاً عن وحي السماء؛ ولا يَجْمُلُ بالمسيحي العاقل إلا أن يقول: إن ما كتبه مرقس، بطوله، تفسيرٌ لما أجمله المترجم، لأن الجملة التي أوردها المترجم تتضمن مسألةً واحدة، وما أتى به مرقس يشتملُ على مسائل ومكررات، وهل من مندوحة للنصراني عن هذا؟! والحق أن مرقس ما أراد بذلك إلا التبجُّحَ على اليهود، ويُفْهَمُ من كلامهِ أيضاً أن لهم اعتراضات على أمورٍ أُخَر، ولو أنصف لسكتَ، لأنهم لم يعترضوا إلا على عدم غسلِ أيدي التلاميذ فقط، والمسيحُ عليه السلام لم ينكر عليهم الحكم، بل اعترض عليهم بمسألةٍ أخرى، أوردها ليسكتهم عن التلاميذ، وهذا على فَرضِ صِحَّةِ الرواية، والحق أنها من تصنيفاتِ الأساقفة لإبطالِ حكم التوراة، ويدلك عليه تناقضهما فيها، فإن مرقس زاد بقوله «طَمَعٌ خُبث مكر عهارة عين شريرة كبرياء جهل» ولا ندري لأيِّ حِكمةٍ ذكر هذه الزيادات، وأغمضَ عن شهادةِ الزور المذكورة في نص المترجم، وهي أعظمُ الشرور، والأعظمُ من ذلك أنه زاد على المترجم أيضاً هذه الفقرة البديعة، وهي قوله: «إن كل ما يدخل في جوف الإنسان لا ينجسه، لأنه يخرج إلى الخلاء، وذلك يطهِّر كل الأطعمة».

والمسيحيون قاطبةً قد اتخذوا هذا الهَذيانَ دستوراً للعمل، وجَزَمُوا بطهارةِ البول والغائط وكل ما يخرج من الإنسان من القاذورات، وهذا هو عينُ النسخِ لأحكامِ التوراة، مع أنهم يُنكرون النسخَ ويقولون: إن عيسى عليه السلام لم يأتِ ناسخاً للتوراةِ بل مكملاً لها، كما هو نص الأناجيل الأربعة، لكنه قولٌ بلا عمل، فقد أبطلوا السبتَ والهيكلَ والخِتان، وأحَلُّوا الخنزيرَ والقاذورات، وسجدوا للشمسِ والخمر والمنحوتاتِ، وهتكوا الأنبياء، وتَعرَّضُوا لمقام الألوهية، وخالفوا الإنجيل والزبور والتوراة.

ومن تناقضهما أيضاً قولُ المترجم: إن بطرس قال لعيسى: فسِّر لنا هذا

المثل، قبل دخوله إلى البيت، مع قولِ مرقس: إن التلاميذ سألوه بعد دخوله إلى البيت، وهو تناقضٌ في الزمان والمكان، ويُفْهَمُ من مرقس أيضاً أن الفريسيين والكتبة، بعد ما سمعوا المثل من عيسى، لم ينفروا، والمترجم صَرَّحَ بأنهم نَفَرُوا حتى قال المسيح عنهم: عميان قادة عميان. . إلخ. ومرقس ابتلعَ هذه الجملة، وهي عبارة عن ثلاثة أسطر حال كونه مفسراً لقول المترجم، فانقلب المترجمُ في هذه الجملة مفسراً لمرقس، فالأمرُ إليك أيها المسيحي، إذ ليس غيرك يَدِينُ بهذا الكتابِ.

ثم قال المترجم - ف٢٢: «وإذا امرأةٌ كنعانية خارجة من تلك التخوم، صرخت إليه قائلة: ارحمني يا سيدي يا ابن داود: ابنتي مجنونة جداً، فلم يجبها بكلمة، فتقدم تلاميذه، وطلبوا إليه قائلين: اصرفها لأنها تصيحُ وراءنا. فأجاب وقال: لم أُرْسَلْ إلا إلى خرافِ بيتِ إسرائيل الضالة، فأتَتْ وسجدتْ له قائلة: يا سيدي أعِنّي فأجابَ وقال: ليس حسناً أنْ يُؤْخَذَ خبزُ البنين ويطرح للكلاب، فقالت: نعم يا سيد، والكلابُ أيضاً تأكلُ من الفتات الذي يسقط من مائدةِ أربابها، حينئذ أجاب يسوع، وقال لها: يا امرأة! عظيمٌ إيمانك، لِيَكُنْ لكِ كما تريدين، فشفيت ابنتها من تلك الساعة» انتهى.

وقال مرقس في - ص٧ - ف٢٤: «ثم قام من هناك، ومضى إلى تخوم صور وصيدا، ودخل بيتاً، وهو يريدُ أن لا يعلمَ أحدٌ، فلم يقدر أن يختفي لأنَّ امرأةً كانت بابنتها روحٌ نَجسٌ، سمعتْ وأَتتْ وخرَّتْ عند قدميه، وكانت المرأة أُممية، وفي جنسها فنيقية سورية، فسألته أن يخرج الشيطان من ابنتها، وأما يسوع فقال لها: دعي البنين أولاً يشبعون، لأنه ليس حَسَناً أنْ يُؤخذَ خبزُ البنين ويطرح للكلاب، فأجابت وقالت له: نعم يا سيدي: والكلابُ أيضاً تحت المائدة تأكلُ من فُتاتِ البنين، فقال لها: لأجلِ هذه الكلمة اذهبي، قد خرج الشيطانُ من ابنتك، فذهبت إلى بيتها، فوجدت الشيطان قد خرج، والابنة مطروحة على

الفراش».

فأجهِدْ فكركَ أيها المسيحي، لتطبيقِ هذه الحكاية بين المترجم ومرقس، فإن المترجم جعل المرأةَ كنعانيةً، ومرقس جعلها أُممِيةً فنيقيةً سورية، والمترجم ذكر أنها خارجة من تلك التخوم صارخة وراء يسوع، ومرقس قال: إنه دخل في بيتٍ ليختفي به، فأتت إليه. وهو من أشنعِ التباينِ.

وهنا بحثٌ في قول المرأة: يا ابنَ داود، فليت شعري كيف سكت هذا الإلهُ عن تلك النسبة، فهل سكوتُه كان تصديقاً، أو عدم مبالاةٍ بكفرها، والإلهُ لا يرضى لعباده الكفر، ثم قول مرقس: «ليختفي» مناقضٌ لروايات الأناجيل من أن المسيح كان يُمسكُ أعينَ الناس عن معرفتهِ حتى كان يلزم أعين تلاميذه، فلا حاجةَ له في الاختفاء في البيوت.

ثم قال المترجم - ف٢٩: «ثم انتقل يسوع من هناك، وجاء إلى جانب بحر الجليل، وصعد إلى الجبل، وجلس هناك، فجاء إليه جُموعٌ كثيرة، معهم عُرْج وعُمْي وخُرْس وشُلٌّ وآخرون كثيرون، وطرحوهم عند قدمي يسوع، فشفاهم حتى تَعجَّبَ الجموع، إذْ رأوا الخُرْسَ يتكلمون والشل يَصحُّون، والعُرْجَ يمشون، والعمي يبصرون، ومجّدوا إله إسرائيل» وهذه المبالغة أشبه بآخر فقرة من إنجيل يوحنا حيث قال «وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع، إن كتبتْ واحدة واحدة، فلستُ أظن أن العالم نفسه يَسَعُ الكتبَ المكتوبةَ».

فانظر هداكَ الله، هذه المبالغات التي لا يليقُ ذِكْرُها بكتبِ الأساطير فضلاً عن الكتب الإلهامية، ولكن كما يقال: (حُبُّكَ للشيء يُعْمِي ويُصم) ويقتضي مراجعة الأروباويين المشغولين بعمل الإحصاآت (إيستاتستيق) للوقوفِ على مقدار الكتب التي يسعها هذا العالم، ثم نسألهم عما يمكن أن يحرر في تلك الكتب من المعجزات والخوارق، ونضم إلى ذلك عددَ النفوس التي كانت موجودة إذ ذاك،

ونمعن النظر في القياس، لينحَلَّ هذا المُعَمّى الذي لا يعلمهُ إلا الرؤساء الروحانيون.

ومرقس أورد هذه المعجزة في - ص٧ - ف٣١ فقال: «ثم خرج أيضاً من تخوم صور وصيدا، وجاء إلى بحر الجليل في وسطِ حدود المدن العشر، وجاؤوا إليه بأصَمّ أعْقَدَ، وطلبوا إليه أن يضعَ يده عليه، فأخذه من بين الجَمْعِ على ناحية، ووضع أصابعه في أذنيه، وتَفَلَ ولمسَ لسانه، ورفع نظره نحو السماء «إشارةً إلى طلبِ المعونةِ من اللهِ، لأنَّ كُلَّ غَرْسٍ لم يغرسه الله تعالى يقلع» وأنَّ «أي لجأ إلى الله» وقال له: افتأ، أي انفتح، وللوقتِ انفتحتْ أُذناهُ، وانحلَّ رِباطُ لسانه، وتكلَّمَ مستقيماً، فأوصاهم أن لا يقولوا لأحد، ولكن على قدر ما أوصاهم كانوا ينادون أكثر كثيراً».

أقول: إن وصية المسيح بإخفاءِ المعجزةِ كَذِبٌ قبيح وافتراءٌ صريح، وإنْ فَرَضْنَا صِحَّةَ ذلك، فبئسَ القومُ هم، إذ المخالفون لأمر نبيهم «وبُهِتُوا إلى الغاية قائلين: إنه عمل كُلَّ شيءٍ حسناً، جعلَ الصُّمَّ يسمعون والخرس يتكلمون».

ولا نريد أن نقرع أفكار المسيحيين بالمناقضة بينه وبين المترجم في هذه، فالأمرُ ظاهر، ولكن ليعلم القارىء أن المترجم كان من أفحش المُجَدِّفين في كتاب الله المقدس، ومرقس في أكثر ما يرويه كان أقْصَدَ منه، وقد تكرر منا التنبيهُ على أننا لا نُنكرُ صدورَ المعجزات من الأنبياء، ونقِرّ معترفين بأن المسيح من أولي العزم، أي من خِيارِهم، غير أننا نقول: إن ما أتى به المترجم في هذه العبارة، ومغالاته مِنْ جعلهِ الواحدَ جُموعاً كثيرة، هو من أشنعِ الكذب.

ومَنْ تتَبَّعَ الإنجيلَ بالحرف، يجد ما كان أقرب إلى الصدق من المعجزات، يروونه باقتصاد من غير مغالاة، وذلك كإحياء العاذر وأعمى أريحاء وغير ذلك. والمترجمُ يظن أن المغالاة والكذب ترفعُ من شأن المسيح، ولا يعلم أن الزائد

في الشيء كالناقص منه، والعقلُ لا يتصور صِدق وجود جموع كثيرة من العمي والعرج والشل في بلدة صغيرة كالجليل، والجموع الكثيرة الذين شفاهم المسيح أين كانوا عندما هجمت اليهودُ عليه، وأذاقته، بزعمهم، ذاكَ العذابَ المهين، ولكن ما الحيلةُ فيمن يخلقُ ما يقول، ويتجاسرُ بالافتراءِ على الله والرسول.

والحاصل: إن نتيجة كلامهما على اختلافه دليلٌ على أنَّ ما يُجريه المسيح كان بإذنِ الله تعالى، فهو مُبْطِلٌ لما تَدَّعيه النصارى من القول بألوهيته. ومَنْ تأمل للفظة «أنَّ» في عبارة مرقس يظهر له ما قلناه، لأن الإله لا يَئِنُّ، ومقصوده من الأنين التوجُّع بالرجوعِ والافتقارِ إلى الله ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء].

ثم أورد المترجم - ف٣٢ قوله: «وأما يسوع فدعا تلاميذَهُ وقال: إني أُشفقُ على الجَمْعِ، لأن الآن لهم ثلاثة أيام، يمكثون معي، وليس لهم ما يأكلونَ، ولستُ أريدُ أنْ أصرفهم صائمينَ، لئلا يخوروا في الطريق، فقال له تلاميذه: من أين لنا في البرية خبزٌ بهذا المقدار حتى يُشْبِعَ جَمْعاً هذا عَدَدُه» وقد نسوا معجزته في الخمسة أرغفة، ولم يمضِ على ذلك زمنٌ طويل «فقال لهم المسيح: كم عندكم من الخبز؟ فقالوا: سبعة وقليل من صغار السمك، فأمر الجموع أن يتكئوا على الأرض، وأخذ السبع خبزات والسمك، وشكر وكسر، وأعطى تلاميذه» فَاتَهُ أنْ يذكرَ أنه رفعَ نظرَهُ إلى السماء، ولكن إتيانه بالشكر فيه دليلٌ على أنَّ له إلهاً يشكره، ويطلب المعونة منه، ثم قال: «والتلاميذ أعطوا الجمع، فأكل الجمعُ وشبعوا، ثم رفعوا ما فضل من الكِسَر سبعة سلالٍ مملوءة» لا أعلم والقوم في الجبل من أين أتوا بالسلال سبعة، على عدد الخبزات، والمسيح لا يصحب في سفره ولا حضره شيئاً، والآكلون كانوا أربعة آلاف رجل، ما عدا النساء والأولاد، ثم صرف الجموع، وصعد إلى السفينة، وجاء إلى تخوم مجدل.

أقول: إن معجزة الخمسة أرغفة أبلغ من هذه، لأنَّ القومَ هناك أكثر عدداً،

والأرغفة أقل، والسلال الملتقط فيها كِسَرُ الكسرات أكثر، وقد ذكر مرقس هذه المعجزة في أول الإصحاح الثامن، ووافقَ المترجمَ في أكثر حكاية الألفاظ، ولكنْ ناقضه في آخر الحكاية حيث قال في الإصحاح المذكور - ف١: «وللوقت دخل السفينة مع تلاميذه، وجاء إلى نواحي دلمانوثة. والمترجم يقول: جاء إلى تخوم مجدل، ومرقس يقول «نحو أربعة آلاف» والوحي مُنَزَّهٌ عن التخمينِ، ولم يَخُصَّ في الذكر ذكراً أو أنثى، والمترجمُ يقول «الآكلون أربعة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد» وهذه مخالفاتٌ يُجَلُّ الوحيُ عنها. ولوقا ويوحنا لم يذكرا هذه المعجزة، فعليه إمَّا أنْ تكونَ من مُفتريات المترجم وعثرات مرقس، أو أن لوقا ويوحنا فرَّطا في عدم ذِكْرِهَا، حال كون ذكرها أوْلى من ذكرهما جولان النساء مع الرسل وتواطئهم على ذكر مثل قضية الجحشِ والزانية، وكسرها قارورةَ الطيبِ على رأس المسيح، واتكاء يوحنا في حضنه، وهو ذاك الشاب الجميل، ولكن غشيت أبصارهم وبصيرتهم، فلا يهتدون سبيلاً ولا يفقهون، فإنا لله وإنا إليه راجعون. انتهى.

الإصحاح السادس عشر

تذكر أيها القارىء بعض الذي ذكرناه من شهادة أفاضل النصارى، في سوء حالِ هذا المترجم المجهول، وقولهم فيه: إنه حاطبُ ليلٍ، وشهادتهم في ترجمته هذه التي برزت إلى عالم الوجود بدون أن تقف الأمة النصرانية على أصلٍ صحيح لها وما كان قبولهم لها على علاّتها إلا لحاجةٍ في نفسِ أصحاب الغايات من الطبقة الأولى، وقد تناولتها الأيدي من بعدهم طبقة طبقة قائلين ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف].

وما ستقفُ عليه من الكذب البيّن والافتراء الواضح، ذلك الذي دعاني أن أُذَكِّرَ المُطالِعَ بسوءِ حالِ هذا المترجم المدلِّس في دينه الغاش لهذه الأمة المسكينة، حيث لم يَجُفَّ القلمُ بَعْدُ من بيان افتراء ما أتى به في الإصحاح الثاني عشر، وذلك قوله - ف٣٨: «حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين: يا معلم! نريدُ أنْ نرى منكَ آية، فأجاب وقال لهم: جيلٌ شِرِّيرٌ وفاسق، يطلبُ آية، ولا تُعْطَى له آية إلا آية يونان النبي، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابنُ الإنسان في قلبِ الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال» ولم يَكتفِ بذكر هذا الافتراء مرة واحدة، بل أكّدهُ وأعاده ثانية وصدَّر به هذا الإصحاح أيضاً فقال - ف١: «وجاء إليه الفريسيون والصدوقيون ليجربوه، فسألوه أنْ يُريهم آيةً من السماء، فأجاب وقال لهم: إذا كان المساء قلتم صَحْوٌ، لأن السماء محمرة، وفي الصباح اليومَ شتاء، لأن السماء محمرة بعبوسة، يا مُراؤون! تعرفون أنْ تُمَيِّزوا وجهَ السماء، وأما علامات الأزمنة فلا تستطيعون، جيلٌ شرير فاسق يلتمسُ آية، ولا تُعطى له آية إلا آية يونان النبي. ثم تركهم ومضى».

أقول: هذا الكلامُ تكرر من المترجم، فقد ذكره كما علمتَ في الإصحاح الثاني عشر، وأسنده إلى المسيح بالزيادةِ التي مَرّ بيانُها، وأنتَ خبير بأن تلك الزيادة قد شهد العلماء منكم بأنها من عندياتِ هذا المفتري، والتمسوا له عُذْراً

بأن ذلك تفسير منه، ولكن هذا التفسير من الغلط الذي لم يُطابقِ الواقعَ، وهذا بإقرار المفسرين بالس وشانرزان، وإن الصحيح في تفسيرها على ما ذكراه أنَّ قومَ يونان النبي آمنتْ به، بدونِ أنْ يُريهم آيةً، وكذلك ليرضى هذا الجيلُ مني بالوعظ فقط بلا آية.

فإذا ثبتَ غلطُ هذا المُلْهَم في إلحاقهِ بالإنجيل ما ليس منه، علمتَ أن هذا التكرارَ منه محض كذب وافتراء ودسيسة، ولو صَحَّ عن المسيح تكرار هذا الكلام، لذَكَرَه مرقس ولوقا، ويوحنا الذي هو أولى بذكره منهم، لأنه عاش زمناً طويلاً بعد ظهور الأناجيل الثلاثة، وهو المحبوبُ لعيسى والملازم له في الحضر والسفر، وهذا أكبرُ دليلٍ على أن الحكاية من افتراء هذا المُدَلِّس.

ولنذكرْ لك من دسائسهِ في هذه الجملة، فإن مرقس قال في - ص٨ - ف١٢: «لن يعطى هذا الجيل آية» ولم يذكر بقية ما ذكره المترجم هنا، وفي الإصحاح الثاني عشر ولوقا قال في - ص١١ - ف٣٠ - ما نصه «كما كان يونان النبي آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الإنسان» ولم يذكر ما زاده المترجم بقوله «في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال» والتأويل الذي ذكره (بالس وشانرزان) موافقٌ لقولِ لوقا بالحرف، والمترجم (تَلَوَّنَ) بهذه الجملة على ثلاثة وجوه.

الأول: أنه زاد على قولهما في - ص١٢ - قوله: «كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال» ولم يذكرها في هذا الإصحاح.

الوجه الثاني: ذكر في هذا الإصحاح جملة، لم يذكرها في الإصحاح الثاني عشر، وهي قوله في - ف٢ - «إنْ كان المساء قلتم صَحْوٌ، لأن السماء محمرة، وفي الصباح: اليومَ شتاء، لأن السماء محمرة بعبوسة، يا مراؤون! تعرفون أن تميزوا وجه السماء، وأما علامات الأزمنة فلا تستطيعون» وهذه العلاوة أيضاً لم

يذكرها لوقا ولا مرقس.

الوجه الثالث: أنه اقتصر في هذا الإصحاح على ما يقارب كلام مرقس ولوقا حيث قال: «جيلٌ شرير فاسق يلتمس آية، ولا تعطى له آية إلا آية يونان» وهذه الجملة أيضاً لم يذكرها في - ص١٢ - وخلاصته أنه كذّب نفسه بنفسه في التناقض بين روايته الأولى في -ص١٢ - وروايته هنا، وما اكتفى، بَلْ خالفَ مرقس ولوقا، وهما خالفاه، كما أنهما أيضاً مختلفان مع بعضهما، وبعد هذا كله رجع ووافقهما في - ف٤ كما مَرَّ نقلُه، فمثلُ هذه الخبيصةِ يُسَمُّونَها وحياً وإلهاماً؛ ولكن المترجمَ أراد بهذا الخبط إثباتَ ورودِ الكلام عن المسيح عليه السلام في المرتبة، ولم يعلم أنه لو صَحَّ ذلك، لكرره مرقس ولوقا، فعدمُ تكريرهما له دليلٌ على افتراءِ المترجم، وهذا ظاهر.

وهناك دليل آخر على هذا الافتراء، وهو أن يوحنا الحواري لم يذكر الروايةَ من أصلها ولا ذكرَ الإضافتين اللتين افتراهما المترجمُ في الإصحاحين حتى أنه لا يوجد في إنجيله بحث مِمَّا يقاربُ هذه الرواية، وهو لا بد أنه كان قد اطلع على الأناجيل الثلاثة، لأنه عاش إلى نهاية القرن الأول، أي بعد ما صُنِّفت الأناجيلُ الثلاثة بمدة طويلة، والمسألةُ من أهم الأمور في دين النصرانية، فقد ثبت بالبداهة بطلانها، والمترجمُ لم يتحمل إثمَ هذا الكذب على أنبياء الله المرة بعد الأخرى إلا تمهيداً لما سَيُظهرهُ من الشر، في هذه الترجمة، من أنَّ آيةَ المسيح مكثُه في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال قياساً على لبث يونان عليه السلام في بطنِ الحوت، وما كان لبثه في بطن الحوت آيةً، بل كان ذلك عتاباً من الله تعالى له، ولكن أين مَنْ يدري، فليس في القوم رجلٌ رشيد، وما حَمَلهم على التأويل حيثما كان إلا شِدَّةُ مغالاتهم في المسيح عليه السلام، ومَنْ تَبَصَّرَ، عَلِمَ أن كل ما تأَوَّلُوه في هذه الأناجيل، لم يَصْدُقْ على عيسى عليه السلام حتى إن شدة مغالاتهم في التأويل أوقعهم في الورطات العظيمة، وسَهَّلَتْ لمنكري المسيح

إنكار كونهِ هو الموعود به في التوراة، ثم إن سلم له الجملة وما أراده من معناها، فقد كَذَّبَ نفسه بنفسه حيث أنه سيذكر في ترجمته هذه أن عيسى عليه السلام وضعوه في القبرِ ليلةَ السبت، وفي ليلة الأحد قبل الفجر لم يروه في القبر، فمن هذا يُعْلَمُ بداهةً أنَّ بقاءه في قلبِ الأرضِ لا يزيد على يومٍ واحد وليلتين، وبه يظهر افتراؤه للعيان.

وخلاصة الكلام أنه تأبَّطَ شراً في هذه الدسيسةِ التي جعلها تمهيداً لما سيأتي من حديث القيام، فصوَّرَ مقدمةً لتصديقِ ما هو مُزْمِعٌ على افترائه في قضية الصلب والقيام من الأموات، وليته علم أن حديثَ القيام غير ثابتٍ عند التلاميذ، ولا عند النصرانية الذين كانوا في ذلك الزمن، وليس هو إلا خبراً عن مريم وأمثالها من النساء، على أنهن لم يَحكينَ رؤيةَ قيامهِ من القبر رأيَ العين، بل حكين أنهن وجدنه في الطريقِ، كما ترى ذلك مفصلاً في آخر هذا الإنجيل.

وأفحشُ ما جاء به هذا المترجمُ من الكذبِ في هذه الجملة إسناده عن المسيح أنه قال للهيود «جيل شرير فاسق يلتمسُ آية، ولا يعطى له» الخ مع أن المترجم شَحَنَ إنجيلَ متى من الآيات والمعجزات التي رواها عن عيسى عليه السلام، ولو أنه قال: «قوم شرير فاسق» إلخ لكان يمكن تصريفُ كلامه بأنه أرادَ بالقومِ السائلينَ فقط وعدم إعطائهم آيةً لحكمةٍ هو يَعلَمُهَا فقوله (جيل) إلخ يُفْهَمُ منه أنه أرادَ عمومَ مَنْ كان في عصره عليه السلام، فيا أيها المترجم ألا عَرِقَ جبينُكَ عند ما كتبت هذه الجملة، وأنت الذي شحنت ترجمتك هذه من الآيات والمعجزات بحضورِ ألوفٍ من المخلوقات قبل السؤال وبعده، وكيف تجعلُ عِلَّةَ عدم إعطاء الآيات فِسْقهم، ألَسْتَ أنت منهم؟! ويا أيها المسيحيُّ تأمَّلْ في هذه العلة الفاسدة، بل هذا الجواب خلاف الحكمة بحسب الظاهر، لأنَّ الفُسَّاقَ والأشرار أحوج للآيات من الأبرار، كما صرح بذلك المسيح عليه السلام، من أنه أتى إلى الضالَّةِ من بني إسرائيل، وهو القائل أيضاً: «ما جئتُ لأدعو أبراراً، بل أشراراً

وفجارا وخطاة»، وأثبت قولَهُ عليه السلام بفعله حيث أظهرَ آيات ومعجزات كثيرة بين الفُسَّاقِ والفجار والأبرار والأشرار، حتى إن أول معجزةٍ فعلَها في العرس حيث جعل الماءَ خمراً للسكارى، وهذا ثابتٌ بصراحة الإنجيل، على أن السائلين منه أكثرُهم فريسيون وصدوقيون وكهنة وتلاميذ قيافا رئيس الكهنة الذي تَزْعُمونَهُ نبياً مُلْهَماً من الله تعالى، كما صرح به يوحنا في - ص١١ - ف٥١ و٥٢.

فلا عَتَبَ عليك أيها المترجمُ، بل العتبُ على مَنْ صَنَّفَ إنجيل يوحنا حيث جعل فيه الأنبياء والرسل فُسَّاقاً ولصوصاً، وقيافا نبياً ملهماً، تاللهِ إنَّ هذه العقيدة لا يقبلها الرجالُ، بل تستنكفُ من القولِ بها ربَّاتُ الحِجال، والتصديقُ بذلك من أفحش أقسام الجهل، ومن تأمل في هذه الأناجيل وما شحنت به من الآيات، بزعم رواتها، يرى أنْ لا معنى للقوم أنْ يطلبوا آيةً من المسيح، ولا معنى لعيسى أن يمتنع من ذلك، لأنه على زعمهم لم تمضِ ساعةٌ من حياة المسيح عليه السلام إلا ويظهر فيها كثيراً من المعجزات.

وقد مَرَّ لك قول يوحنا في - ص٢١ - ف٢٥ من أن المعجزات التي صنعها يسوع إنْ كتبت واحدة واحدة، فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة فيها، فهل بعد هذا معنى لطلَبِهم الآيةَ منه، أو معنىً لامتناعهِ. والحقُّ كما قدمناه أن هذه الرواية افتراء على المسيح، ونحن معاشرَ المسلمين نُجِلُّ نبيَّ الله من هذه المفتريات.

ثم قال المترجم في - ف٦: «وقال لهم يسوع: انظروا وتحرزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين، ففكروا في أنفسهم قائلين: إننا لم نأخذْ خبزاً، فعلم يسوع، وقال لهم: لماذا تُفكِّرون في أنفسكم، يا قليلي الإيمان، إنكم لم تأخذوا خبزاً؟! أحتى الآن لا تَفهمون ولا تذكرون خمس خبزات الخمسة آلاف، وكم قفَّة أخذتم، ولا سبع خبزات الأربعة آلاف، وكم سَلاًّ أخذتم، كيف لا تفهمون أني ليس عن الخبز قلتُ لكم أن تتحرزوا من خمير الخبز، بل من تعليم

الفريسيين والصدوقيين» انتهى.

أقول: وهذه شهادةٌ رابعة من المسيح عليه السلام، بأنَّ التلاميذ قليلو الإيمان، وتعجب من عدم فهمهم، فالإنجيل هكذا يَصِفُهم، على مقتضى روايةِ هذا المفتري وأمثاله، وهم برآء مما يقولُ هذا المفتري، لأن الإنجيل صَرَّحَ بأنهم يعرفون أسرارَ ملكوتِ السموات، وهم من أهلِ الجنة الكاملي الإيمان، والقرآنُ الكريم أيضاً وصفهم، على لسان النبي الرحيم بقوله سبحانه ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران].

والمترجم بهذا الافتراء قلعَ أساسَ النصرانية، لأن عبارته تَضمَّنتْ جهلَ الحواريين، لعدم فهمِهم كلام المسيح عليه السلام ونقصان إيمانهم، وهم الذين أُخذ الدينُ عنهم، فهل يَصحُّ أخذُ الدينِ عن جاهلٍ قليل الإيمان، لا يفهم ما يُخاطَبُ به؟! ثم إن هذا يستلزم تكذيب المسيح عليه السلام، لأنه قد تقدم في - ص١٣ قوله لهم، أي للتلاميذ: «قد أُعطيَ لكم أنْ تعرفوا أسرار ملكوت السموات» ولا سيما هذا المترجم مَدَحهم وقدَحَهم، ويَصْدُقُ عليه المَثَلُ المشهور: مَنْ مَدَحَ وذمَّ كذَبَ مرتين. فبالضرورة نحكمُ بكذبِ المترجم البتة، إذ هُم أوصياء المسيح وخلفاؤه، بل هم أنبياء، بزعم النصارى، فكيف يكون الوصيُّ أو الخليفةُ عنه قليلَ الفهمِ والإيمان إلا أن يقال: قد كمل، بعد رفعِ المسيحِ، إيمانُهم، وأنه أوصاهم وحذرهم من تعليم الفريسيين والصدوقيين.

وسيأتي قول المترجم عن عيسى في - ص٢٣ «على كرسي موسى جلس الكتَبَةُ والفريسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه، فاحفظوه وافعلوه» وهذا كان منه خطاباً عاماً للجُموع والتلاميذ، فإذا علمتَ أيها العاقل جميع ذلك، فهمتَ ما أراد هذا المدلِّسُ من الغش في ترجمته هذه، وقد ارتكب هذا الطريقَ الوعر، ليبطلَ أحكامَ التوراةِ بهذا التناقض، لأنَّ أساسَ تعليمِ الكتبة والفريسيين مأخوذٌ من

التوراة، وقد أثبتنا عليكم أيها النصارى وجوبَ أَخذِكم بذلك، من إنجيلكم هذا، في مواضع كثيرة، فليرفض العاقلُ منكم هذه الترجمةَ التي اقتلعت أساسَ النصرانية، وألبست الحق بالباطل، وجعلتكم شِيَعاً وفرقاً، لا تعرفون أين وجهتكم.

واعلم أن باقي الرواة لم يوافقوا المترجِمَ على هذه الرواية سوى لوقا وعبارته في - ص١٢- ف١ هكذا: «وفي أثناء ذلك إذ اجتمع ربوات الشعب حتى كان بعضهم يدوسُ بعضاً، ابتدأ يقولُ لتلاميذه: أولاً تَحَرَّزُوا لأنفسكم من خمير الفريسيين الذي هو الرياء» فقوله: اجتمع ربوات الشعب، مما يقضى منه بالعجب، لأن اجتماع هذه الربوات كان في بيت أحد الفريسيين الذي كان المسيح عليه السلام ضيفاً عنده، على ما صَرَّحَ به لوقا في - ص١١ - ف٣٧ واجتماعُ الربوات أي الجموع العظيمة، في بيتٍ واحد، أمرٌ مُستغرب، اللهم إلا أنْ يُحْمَلَ على المعجزةِ الخارقة للعادة، ثم إنه يفهم من قول المترجم: أنَّ مقصود المسيح هو الأمرُ بالتحرز من تعاليم الفريسيين والصديقيين، ويقصد بذلك منع المسيحيين عن أحكام التوراة، ولوقا فَسَّرَ الخمير بالرياء، وبينهما بونٌ بعيد.

ثم قال المترجم في ف١٣ ما نصه: «ولما جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فيلبس، سأل تلاميذه قائلاً: من يقول للناس: إني أنا ابن الإنسان؟! فقال قوم: يوحنا المعمدان، وآخرون: إليّا، وآخرون: إرمياء أو واحد من الأنبياء، قال لهم: وأنتم مَنْ تقولون إني أنا؟ فأجاب سمعان بطرس وقال: أنتَ هو المسيح ابن الله الحيّ، فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونا، إن لحماً ودماً لم يعلن لك، لكن أبي الذي في السموات، وأنا أقولُ لك أيضاً: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرةِ أبني كنيستي، وأبوابُ الجحيم لن تَقْوى عليها، وأعطيكَ مفاتيحَ ملكوتِ السموات، فكلُّ ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تحلُّه على الأرض يكون محلولاً في السموات؛ حينئذٍ أوصى

تلاميذه أنْ لا يقولوا لأحدٍ إنه يسوع المسيح».

لا يخفى على المصنف أن هذه الجملة بِرُمَّتها من الافتراء المحض والكُفْرِ البحت، إذ هي إحدى القواعد التي بسببها اختلَّت روابطُ الإنجيل، لما فيها من الأباطيل والتضليل، ولقد تاهت عقولُ الفحول منهم، لاختلافِ الرواة بنقل تفسيرها عنهم، وهي على ما اشتملت عليه من زيادة الألفاظِ ونقصانها، تضمنت الضلالَ صراحةً، فكانت سبباً لعماء النصرانية وطغيانها، وغاية ما أجمع عليه جَمْعُهم المشتت الآراء المبني على محض التدليس والافتراء، أن هذه الجملة ينتجُ منها إعلام المسيح للتلاميذ بأنه هو نفسه ابن الله، بمعنى المولود منه حقيقة، أو الحالّ فيه، لا بمعنى أنه رسولهُ ومُصْطفاهُ وحبيبه ومرتضاه، وأنَّ بطرس هذا وَصِيُّه الكريم والمُفَوَّضُ بالتحليلِ والتحريم، وبيده الحَلُّ والربط، لأنه إليه ألقى مفاتيح السموات، فأرجو من عموم المسيحيين أنْ ينصتوا لكلامي، ويُصْغُوا لفهم مرامي، والأمرُ إليهم، عَذَلُوا أو عَذَرُوا، فإني أَتحرَّى الحق، ولا أذكرُ إنْ شاء الله إلا الصدق، ولا بد أن أبين لك أيها المستمعُ تحريفَ هذه الجملة وما فيها من الزيادات التي انفرد فيها المترجم عن باقي رواة الأناجيل، ثم أذكر لك شهادةَ العلماء في حق هذا الوصي، وأشرحُ لك معنى هذه الكلمات، لتكونَ على بصيرةٍ من أمرك، فأقول:

المفهوم من ترجمة متى أن هذه الجملة صدرت من المسيح، بعد وصولهم لنواحي قيصرية فيلبس، فسأل تلاميذَهُ، مَنْ يقولُ إني أنا ابن الإنسان، وعبارة مرقس في - ص٨ - ف٢٧ «ثم خرج يسوع، إلى أنْ قال: وفي الطريقِ سألَ تلاميذه، مَنْ يقول للناس: إني أنا، وعبارة لوقا - بص٩ - ف١٨ «وفيما هو يصلي على انفراد، كان التلاميذ معه، فسألهم قائلاً: من يقول للجموع إني أنا» ويوحنا لم يذكر شيئاً من ذلك.

فتأمَّلْ أولاً تاريخ الواقعة، تجد بينهم تفاوتاً في إثباتِ هذا السؤال، ثم انظرْ

لمدلولِ الألفاظ، تجد مترجمَ متى أثبت السؤالَ بعد وصولهم إلى قرى قيصرية أو عندها، ومرقس أثبت ذلك، وهم في الطريق، ولوقا خالفهما، ويوحنا بمعزلٍ عنهم، ثم إن المترجمَ زاد لفظ «ابن الإنسان» ولا تخلو هذه الزيادةُ عن دسيسة، كما هو شأنه، فإنه أعمى عينَ النصرانيةِ بدسائسهِ، ثم ذكر مَتَّى الجوابَ بقوله - ف١٤: «فقال قوم: يوحنا المعمدان، وآخرون: إيليا، وآخرون: إرميا أو واحد من الأنبياء» انتهى.

ومرقس لم يذكر أرميا، ووافقه لوقا - بص٩ - ف١٩ إلا أنه زاد قوله: نبياً من القدماء قام.

فانظر نوَّر الله بصيرتك، لهذا الاختلاف في خبر الوحي، وأشدُّهم ضلالاً مترجمُ مَتَّى فإنه زاد أرميا، وأردفه (بأو) التي هي للشكِّ حتى يقال: إنه لا شَكَّ في كَذبهِ، وإذا ضَمَمْتَ كلمة (أو) إلى قول لوقا، وأنَّ نبياً من القدماء قام، كان فيه اجتماع الضِّدَّين، فإنّ المشددة هذه للتأكيد، وأو للتشكيك، فقابل بين الشكِ والتأكيد، ثم المفهوم أن الجواب هذا كان من التلاميذ، والتلاميذُ بزعمِكم مُلْهَمُون، والمُلْهَمُ لا ينطقُ عن الهوى، فاختلافهم في هذا ينافي الإلهام، ثم إنك إذا قابلت جواب بطرس المذكور في ترجمة متى، أعني قوله: «أنتَ المسيحُ ابن الله الحي» وما هو مذكور في مرقس بقوله - ف٢٩ فأجاب بطرس وقال له: أنتَ «المسيح» وما في لوقا من قوله - ف٢٠ وقال «مسيح الله» يظهر لكَ أنَّ الشر الذي تأبَّطهُ المترجمُ ظاهرٌ، لا مِريةَ فيه، ولا خَفاءَ في أنه مدلس مختلس غاشٌّ، لكونهِ ذَكَرَ ألفاظاً مضلّة، لم تذكرها الأناجيلُ الثلاثة، فإذا حملتَ مُرادَهُ بلفظ (ابن الله) على أنه المولودُ منه حقيقةً، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، كان ذلك من أعظمِ الشركِ، ثم عَقَّبَ هذا الجوابَ بما افتراه من قوله: فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان، إلى آخرِ مقالته، فإنه في تلك الزيادة أتى بأعجبِ العجاب، وفتح للنصرانية شرَّ باب، وإني قبل أن أتكلم في هذا أسألُ كُلَّ مسيحي

صالح أو طالح عاقلٍ أو غافل عَمَّا انفرد به هذا المترجم خلافاً للأناجيل الثلاثة، من هذه الجملة الطويلة الذيل، هل هي من مهمات الدين، أو من الأمورِ الفرعية الجزئية، فلا شكَّ أن كل مَنْ يدينُ بالنصرانية على ما هيَ عليه إلا أن يقول إنها من مُهمَّاتِ الدين، فإذا كان الأمر كذلك، فهل يَصِحُّ أن أصحابَ الأناجيل الثلاثة كتموا الحقَّ، وأغفلوا مثل هذا المهم في الدين، أو أنهم رأوا الحق خلافه، فهجروه؟!.

فإذا قلت: إنهم كتموا الحق، وَجَبَ عليك أيها العاقلُ أن لا تقولَ برأيِ مَنْ يكتم الحق أو يغمض عنه، ولا سيما ما يكونُ بدعواكَ من أصولِ الدين وأساسه، وأنْ ترفضَ قبول هذه الأناجيل الثلاثة رفضاً باتاً، لأنه لا يقول أحد في العالم، على اختلافِ طبقاتهم في التعبدات، بجواز أخذِ الدين عَمَّنْ يكونُ كاتماً للحق، ولا سيما في الأمر المهم، وإذا كان الحق خلاف ما يقول هذا المترجم لِبُعْدِ تواطؤ أصحابِ الأناجيل الثلاثة على شيء خلاف الحق، فوجب عليك إذاً عدم اعتبار هذه الترجمة، وأن تعتقد أنها من مفترياتِ هذا الغاشِّ للنصرانية المدلِّس عليها بما تَقَوَّلَهُ على الله، تعالى اللهُ ورسوله عن الأباطيل التي هي خلاف المعقول والمنقول وضد عموم الأناجيل، فإذا علمتَ هذا، فافهم معنى ما أقولُه لك واسمع، فإني لك من الناصحين:

إن هذا المترجم دَسَّ في هذه الزيادة الكفرَ الصريح، بأنْ جعل المسيحَ ابنَ الله، أي: إله، وهذا باطل، كما سنبينه لك، وجعل الأمر مُفَوَّضاً إلى بطرس الوصي، لتكون تلك الوصيةُ من بعدِه إلى خلفائه، وهكذا يتسلسلُ هذا التفويضُ إلى خلفاء الخلفاء، وهَلُمَّ جراً إلى البابا، وأنْ يحكموا في هذا الدين بمجرد الأهواء، فيحلِّلُون ويُحَرِّمون ما شاؤوا لمن شاؤوا، وفي ضمن هذا التفويض عقبةٌ لا يُرْتَقى إليها إلا بمثل هذا الاختلاس، وهي جعلُ أحكام التوراة مُلغاةً، كما جعلوها لعنة، فنعوذُ بالله من قوم تلاعبوا بدينهم حتى جَرَّهم تلاعبهم هذا إلى

سقوطهم في هاوية، لا يُدْرَكُ غورها، فضلُّوا أنفسهم وأضلوا، فكان هذا المترجم مَثَلُه كمثلِ الشيطانِ إذْ قال للإنسانِ اكْفُر، فلما كفرَ قال إني بريءٌ منك.

فأما جعْلُه المسيح ابن الله أي مولوداً منه، كما أطلقتم ذلك، فإنه مردودٌ عقلاً ونقلاً، أما من جهة العقل فإن الإله يجب أن يكون واجبَ الوجودِ لذاته، فولده إما أن يكون أيضاً واجبَ الوجود، أو لا يكون، فإن كان واجب الوجود لذاته، كان مستقلاً بنفسه قائماً بذاته، لا تَعلُّق له في وجوده بالآخر، ومَنْ كان كذلك، لم يكن مولوداً البتة، لأن المولودية تُشْعِرُ بالفرعية والحاجة، وإنْ كان ذلك المولود مُمكنَ الوجودِ لذاته، فحينئذٍ يكون وجوده بإيجاد واجب الوجود لذاته، ومن كان كذلك، فيكون مخلوقاً لا ولداً، فثبت أنَّ مَنْ عرف أن الإله ما هو، امتنعَ أنْ يُثبتَ له الولدَ، ثم إن الولد يحتاجُ أنْ يقوم مقام والده بعدَ فنائهِ، وهذا إنما يُعْقَلُ في حقلِ مَنْ يفنى، أما من تقدس عن ذلك، فلا يعقل الولد في حقه، ثم إن الولد لا بد وأن يكون متولِّداً من جزءٍ من أجزاء الوالد، وهذا لا يعقلُ إلا في حق مَنْ يكون مُركَّباً، ويمكن انفصال بعض أجزائه عنه، وهذا في حق الواحد الأحد الفرد الواجب لذاتهِ مُحالٌ، ثم إن هذا في حق امتناع الولد على الله مطلقاً، مع عموم من يقول بذلك.

وأما النصرانيةُ التي تقول: إن عيسى حدث من غير أب ولا نطفة، فنقول: مُسَلّمٌ لكم ذلك إلا أنَّ الله تعالى أخرجه إلى الوجود من غير سَبْق الأب، فقد حدث ودخل في الوجود.

ويقال لهم: إما أن تريدوا، بكونه ولداً لله تعالى، أنه أحدثه إلى سبيل الإبداع، من غيرِ نطفةِ والدٍ، وإما أنْ تُريدوا بكونه ولداً لله تعالى، كما يكون الإنسانُ ولداً لأبيه، وإما أن تريدوا بكونه ولداً لله تعالى أمراً ثالثاً مغايراً لهذين المفهومين.

أما الأول فباطلٌ، لأنه تعالى يُحْدِثُ الحوادثَ في مثل هذا العالم الأسفل بناء على أسباب معلومة، والنصارى يسلمون أن العالَمَ جميعه مُحْدَثٌ، فيلزمهم الاعترافُ بأنه تعالى خلق السموات والأرض من غيرِ سابقةِ مادة، فإذا كان كذلك؛ وجب أن يكون إحداثه للسموات والأرض إبداعاً، فإبداعهُ لعيسى عليه السلام مثله، ولو وَجبَ أن يكون والداً له بهذا الإبداع، لَزِمَ أنْ يكون والداً للسموات والأرض، لكونهِ أبدَعهما كإبداعِ عيسى.

وأما الثاني، وهو أن يكون مرادُهم من الولادة الأمرَ المعتادَ في الحيوانات، فهذا أيضاً باطل، لأنَّ تلك الولادة لا تَصِحُّ إلا ممن كانت له صاحبةٌ وشهوة، وينفصل عنه جزءٌ، ويحتبس في الرحم، وهذا لا يثبتُ إلا في حَقِّ الجسم الذي يصح عليه الاجتماع والافتراق وغيرهما من الأعراض، وذلك على خالقِ العالَمِ مُحالٌ.

وأما إثباتُ الولد لله تعالى، بناء على أمرٍ ثالث مغاير لهذين المفهومين، فذلك باطلٌ لأنه غير متصور ولا مفهوم عند العقل، فثبت بالبداهةِ بطلانُ ما ذهبت إليه النصارى إلا أن يعتبروا هذا العنوان كما اعتبره أسلافهم من الأمم عنواناً لبعض أنبيائهم، كما مَرَّ البحث عنهم.

ومما يقضى منه بالعجب أن الخوري نقلَ في «تحفة الجيل» في صحيفة ٩٣٤ عن بعض علمائهم جَعْلَ روح القدس ابنَ ابنِ الأب، فلم يكتفوا بجعلهم لله ولداً، بل جعلوا له حفيداً أيضاً، تعالى الله عما يشركون. ثم إن الأناجيل أيضاً صرحت بأن يوحنا لاهوتي، بمعنى أنه صالحٌ بارٌّ تابع لأوامر الله، على أن عامة الناس، إلى يومنا هذا، يَصِفُونَ مَنْ هو صالح بأنه من أهل الله، مع أنه لم يكنْ نسبة مع الله البَتَّة سوى الطاعة، كما يقال للشقي أيضاً ابن الشيطان أو شيطان، وهو لم يكن من صُلْبِ الشيطان، ولا هو بالحقيقة شيطان، بل تابعٌ لهوى نفسه، أي لأوامرِ الشيطان، كما أن الصالح البار تابع لأوامر الله، وهذا ظاهر، تفهمه

الأطفالُ فضلاً عن عقلاء الرجال.

فإذا علمتَ أنَّ الولدَ مستحيلٌ على الله تعالى عقلاً، فاعلمْ أن ذلك ممتنعٌ نقلاً أيضاً، لأن الكُتبَ السماوية كلها تُنَزِّهُ الباري، سبحانه عن ذلك حتى التوراة والإنجيل، مع كونهما مُحَرَّفَيْنِ، وما ورد فيها مما يوهم ذلك فهو مؤَّول، فمن ذلك ما في التوراة في سفر الخروج قال بص٤ - ف٢٢ - «يقولُ الرب: إسرائيل ابني البكر» قال في أخبار الأيام الأول بص١٧ - ف١٣ - قال عن داود «أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً» وفيه أيضاً بص٢٢ - ف١٠ «عن سليمان ابن الله» وفي إنجيل لوقا في آخر الإصحاح الثالث «آدم ابن الله».

وقد ذكرتم في أناجيلكم «كونوا أبناء الله وأبيكم السماوي يَقُوتُهَا» فأدخلتم المؤمنَ البار أيضاً تحت هذا العنوان، فلا خصوصيةَ فيه للمسيحِ عليه السلام، فيظهر أنَّ استعمالَ لفظ الابن، في الزمن القديم، يقع على المؤمنِ البار، ولفظ الأب يقع على الإله، حتى الآن إنكم تستعملون ذلك، وأمثال هذا كثير، لا يُحصى عَددَهُ في الكتب التي بأيديكم، وتقولون: إنها إلهاميّة، ونحنُ لا ننكرُ عليكم وجودَ مثل ذلك في كتبكم، بل ننكر عليكم تأوُّلكم المعنى الذي لا يُطابِقُ الناموسَ ولا العقل.

والعجبُ منكم تقولون في المسيح ما لا تقولونه في غيره، وقد اشترك هو وغيره من الأنبياء، صلواتُ الله عليهم وسلامه، في هذا اللفظِ حرفاً بحرف، بل زِدْتُمْ أن إسرائيلَ ابنهُ البِكْر، فهو أَحَقُّ من غيره بالتقديم، وآدمُ أَحَقُّ منهما، لأنكم تُقِرون أنه ابن الله، ومن روح الله، وصنعه بيده، إلى غير ذلك، تعالى الله عن أنْ يكونَ له ولد ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١)﴾ [المؤمنون].

ويكفي لإبطال هذا الكفر الشنيع ما تتلوه في إنجيلك من أنَّ المسيحَ، سلامُ

الله عليه، مولود من مريم، رضي الله عنها، خرجَ من مخرجٍ، اشتركَ فيه سائرُ بني آدم، ورضعَ لبنَ أمه إلى أنْ ترعرعَ وكبر، وثبتَ عندكم أنه سُلِّمَ إلى المعلم، وتعلَّمَ إلى أن جاوز الثلاثين من عمره، وكان خلال ذلك يأكلُ ويشربُ ويستريح ويتعب ويصح ويمرض، وتعتريه سائرُ الأعراض البشرية، إلى أنْ نزلَ عليه روحُ القدس الذي هو جبريل، وبلّغه الرسالة، وآتاه الله تعالى الكتابَ، وهو الإنجيلُ الحقيقي المُطَهَّرُ من سائر ما يقدحُ في ذات الله تعالى وصفاته، ومن سائر ما يقدح في مقام المسيح والأنبياء إخوانه، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وفي حالة النبوة كانت تعتريه سائرُ الأعراض البشرية، ويدعو اللهَ في حالتي السرَّاء والضراء، ويسجدُ لمولاه، ويوحِّدُه بالعبادةِ، ويستعينُ به عند الشدائد، حتى حكيتم أنه كان يحتاج لأنْ يركبَ الجحشَ والأتان، وأنه كان يَظُنُّ نفسه ابنَ يوسف النجار، ولا يعلم بالساعة.

وسنورد لك إن شاء الله تعالى، في شرحنا على - ص١ من إنجيل يوحنا أكثر من مئةِ شاهد من النصوص النقلية، كُلُّها صريحةٌ في نفي النبوة والألوهية والحلول والاتحاد، عنه، عليه السلام، وإثبات رسالته وعبوديته، وإن كان فيما مَرَّ مقنعٌ للمصنف.

ومن تناقضاتِ هذا المترجم، لم يجفَّ القلمُ بَعْدُ من قوله في هذا الإصحاح: إن المسيح عليه السلام سَلَّمَ بيد وصيِّه سمعان بطرس مفاتيح السموات، وقال له: طوبى لك يا سمعان. ثم ناقضَ نفسَهُ بنفسهِ هنا، فقال: إن عيسى قال لبطرس في - ف٢٣ من هذا الإصحاح ونصه: «اذهب عني يا شيطان» وهو كما تَراهُ تناقضٌ فاحش، والكلامُ الإلهاميُّ مُنَزَّهٌ بالضرورة عن ذلك، كما أن المسيح منزَّه عن مثلِ هذا القول في حق وصيه، وبطرس أيضاً منزه عن هذه النسبة، ثم على فرض صِحَّةِ هذه الوصية، تكون مناقضة، لحكمِ التوراة أيضاً، لأن المترجم ذكر - بص٤ - ف١٧ «لا تظنوا أني جئتُ لأنقض الناموس والأنبياء، ما جئتُ

لأنقضَ، بل لأكمل، فإني الحقَّ أقول لكم، إلى أنْ تزولَ السماء والأرض، لا يزول حرفٌ واحد أو نقطة واحدة من الناموس، حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى، وعلم الناس هكذا. يدعى أصغر في ملكوت السموات» انتهى.

فبأيِّهما نأخذ، وكِلاهُمَا مَرويٌّ عن هذا المترجم، فليس لك مَخْرجٌ أيها المسيحي من إحدى اثنتين: إما أنْ تُكَذِّبَ المسيحَ والأناجيل الثلاثة والناموس معاً، أو تحكم بأن هذه الوصية من الدسائسِ التي افتراها هذا المختلس، ورمى بها النصرانية، فأصاب مقتلهم.

ثم مَنْ تأمَّلَ عبارةَ هذه الترجمة من قوله «وأنا أقول لك: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أَبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» يَحكمُ العاقلُ بفكرهِ السليم، أن هذه الجملة لا معنى لها، وأين الارتباط بين قوله «أبني كنيستي» وبين قوله «وأبواب الجحيم إلخ» فإنْ كان هذا يُعتبرُ من الإلهام، إذاً على الإنصاف السلامُ، وهذه الكنيسةُ التي عَيَّنَ محلَّها بقوله «وعلى هذه الصخرة» يلزم أن تكون مقتضى الواقعة بنواحي قيصرية فيلبس، من بلادِ فلسطين، وليس هناك كنيسةٌ لبطرس، ولعلها هي كنيسة روميا المشهورة باسم بطرس، ويا بُعْدَ ما بين المَشْرقِ والمغرب. ثم على تقديرِ صحة هذه الوصية، لم يُفْهَمْ منها أيضاً المعنى الذي ذهبت إليه رؤساء النصرانية طِبْقَ أهوائهم، من أن المسيح أَذِنَ لبطرس بنسخِ التوراة، ورفعِ التكليفات وإباحة المحرمات، وأن يغفر لمن شاء، إذ من المعلوم أنّ من لوازمِ المغفرةِ أن يصرفَ الغافرُ عن الخاطىء نارَ جهنم، وبطرس هو نفسه، مع كونه وصيَّ المسيح، لا يقوى على أبواب الجحيم، فكيف يكونُ ذلك لغيره من الأساقفة، فقد ثبت بالبداهة بطلان بدعة الغفران، لأنه خلاف الظاهر المحسوس وضد الإنجيل والناموس، ثم كيف يصح هذا عن المسيح، وهو القائل: ما جئت لأنقض التوراة إلخ. وبطرس كيف يفعل ذلك، وهو إلى أنْ

ماتَ كان يتعبَّدُ طِبْقَ التوراة، في نفس الهيكل، كما يدل على ذلك قولُ بولس له قبلَ موته بأيام قليلة، فهل أنتَ يهودي.

وإذا قلنا بصحة الوصية، فيكون سؤال المسيح عن نفسه من تلاميذه، لينظرَ ثباتهم على إيمانِهم به، ولذا أجابه بطرس بقوله: أنتَ المسيح. وأما لفظ (ابن الله) فقد تقدم معنى استعماله من أنه يُطلقُ على المؤمنِ البار، والحي من صفات الله تعالى، وقول المسيح: (طوبى لك يا سمعان، فإن لحماً ودماً لم يعلن لك) هو كنايةٌ عن ذاتِ المسيح المُركَّبة من لحمٍ ودم، وقوله (أبي) أي: إلهي ألهمك هذا الإيمان، وجزاء إيمانك أن أُبشِّرك أنكَ تبني على هذه الصخرة كنيستي، أي محلاً يُعْبَدُ اللهُ فيه طبقَ ما أتيتُ به، غير أنك لا تقدرُ على هداية مَنْ قضى الله عليه بالشقاء، فاستوجب دخول الجحيم، فلن تقوى على ذلك، بل ادْعُ إلى سبيلِ ربك بالحكمةِ والموعظة الحسنة، والهادي هو الله تعالى، وأعطيكَ مفاتيح ملكوت السموات، أي أُبشِّركَ بالجنة ونعيمها، وأن تتبوّأ منها حيث تشاء، وتكون سبباً لدلالةِ كثيرٍ من الناس على باب الجنة، وحيث أنك وَصِيِّي وخليفتي وداعٍ إلى الله طبق ما أتيت به، فكل ما تربطهُ على الأرض من الأحكام التي تأتي وفق التوراة والإنجيل، يكون مربوطاً في السموات ومؤيداً من الله تعالى، وكذا لو حدث أمرٌ، ولم يظهر لك فيه نص، فَلْتحكم فيه بما تراه موافقاً لمقتضى الحال، بشرط عدم المخالفة لهما، وكذلك كل ما تحله على الأرض، أي من النهيِ عن المنكرِ والأمرِ بالمعروف، يكون مقبولاً عند الله تعالى، وهذا صريح، ولا يفهمُ العاقل من هذه الجملة خِلافَ ما أشرنا إليه، وليس لبطرس من الأمرِ شيءٌ، ولا يقدر أنْ يُدْخِلَ أحداً الجحيم، ولا يخرجه منها.

المسيحيون لم يَكْفِهم أن يحصروا تلك الوصيةَ وهذا التفويضَ في بطرس خاصة، بل جعلوا الأمر متسلسلاً، لينال كل من القسيسين والرهبان والبابا والمطران حظاً من فائدةِ هذا الحلِّ والربطِ والغفران، وزادوا في الطنبورِ نغمةً بأن

اشترطوا الخلوةَ بين القسِّ والمُترشِّح لتلك المرتبة، وبين الخاطئةِ من الغواني والخاطىء من الصبيان، وليس هناك فرقٌ بين أنْ يكونَ هذا القسُّ شاباً أو شيخاً، لأنه معصومٌ بزعمهم، وأين أنتَ من عِصْمتهِ وهو يعتقد بأن الإنسان يَتبرَّرُ بالإيمانِ دون الأعمال، وليس هناك شيء محظورٌ عليه، ونَرُدُّ عليه أنه تربى على شربِ الخمر وأكلِ لحم الخنزير، وقد ذَكرتْ علماءُ الخواص أنَّ من خواصِّهما أنهما يُسْقطانِ المروءةَ، فظُنَّ خيراً، ولا تسألْ عن الخبرِ.

وباللهِ عليك أيها المسيحي! كيف تسمح المروءة أن تأذن لامرأتك الحسناء أو ابنتك العذراء أو ابنك وهو ذاك الجميل أن يختلي واحدٌ منهم مع رجلٍ، استحكمتْ فيه الطبيعةُ البشرية، وهو غيرُ متزوجٍ، فإذا كنتَ تعتقدُ عصمةَ هذا القسيس، فكيف جَوَّزْتَ وقوعَ الزنا على الأنبياء المعصومين، وهذه كُتبكم المقدسة مَلأى من تلك الأباطيل؟! تاللهِ لا يقالُ لمثلِ هذا: إنه غفرانٌ، بَلْ فُجورٌ وطغيان.

يا أيها المسيحي بالله أسألك أنْ تفحص عن تلك الأناجيل وما طرأ عليها من الفساد، من هذا المترجم وأمثاله، فهل يليقُ بك أنْ تصدق بمثل تلك الرواية، والباري تعالى وَهَبَ لك العقلَ، لتجعله دليلك في دنياك وآخرتك.

ثم إنه قال في خاتمة الجملة: «حينئذٍ أوصى تلاميذه أنْ لا يقولوا لأحد: إنه يسوع المسيح».

فتأمَّلْ أيها المُنْصِفُ، فإنَّ آخرَ هذه الجملة أشنعُ من أولها، ومرقس ولوقا تَبِعَا المترجمَ أيضاً في هذا الافتراء، ولكن من الأسف أنه لم يثبت بطرس ولا التلاميذ على كتمانِ هذا السر الذي لا يعلمُ حِكْمَتَهُ إلا المترجم ومَنْ حَذَا حذوه، مع أن التلاميذ خالفوا أمرَ المسيح بإفشائه، وباؤوا بهذا الإثم العظيم، وارتكبوا الجرم الجسيم.

وهنا دقيقةٌ تاهت فيها أفكارُ الأولين، وتَحيَّرتْ عندها آراء الآخرين، وهي معرفةُ السبب الذي ألجأ المسيحَ لكتمانِ حالهِ عن الناس عموماً، مع أنَّ خلاصَ الناس متوقفٌ على الإيمان بمعرفة أنه رسول الله، ليتبعوا قوله وفعله، وأي شيء أراد بهذا، وإنجيل يوحنا يُصَرِّحُ أن الله تعالى أرسل يوحنا المعمدان، ليصرخَ في البرية بظهورِه، فهل نَسيَ الإلهُ ذلك، أَمْ بَدَا له غير ما هنالك.

وقد نسيَ المترجم أيضاً أنه ذكر عن عيسى عليه السلام - بص١٠ - ف٢٦ قوله: «لا تخافوهم لأن ليس مكتومٌ لن يستعلن، ولا خفيٌّ لن يعرف، الذي أقولُه لكم في الظلمة، قولوه في النور، والذي تسمعونه في الأذن، نادوا به على السطوح».

فباللهِ عليكَ: أفصِحْ لي أيها المسيحيُّ أنَّ مثل هذا هل تَعُدُّه من قسم الكذب والافتراء على رُسُلِ الله وأنبيائه، أم من قسم الغلط من كُتّاب الوحي والإلهام، أم من قسم المناقضات في كلام الله، تعالى الله عن ذلك عُلُوّاً كبيراً، أم أنَّ هناك احتمالاً لتأويل هذا الكلام الذي لا يُعقلُ حتى يُنْقلَ، ألا تعلم أنكم تدَّعون أن حالَ المسيح وظهوره مسطورٌ في كتب الأنبياء، وأن اليهود لا ينكرون ذلك، وإنما يُنكرون أن هذا الذي ظهر ليس هو المسيح الموعود به، سلامُ الله عليه، مع اعتقادِهم بأن سيظهر بعد حين؟! فالقولُ بصحة هذا الافتراء يؤيد دعوى اليهود، لأنه لا يعقل أنْ يكون هو النبيّ المُرْسل من الله تعالى، ويأمر بكتمانِ نفسه، فليس لك، إذاً أيها المسيحي إلا أنْ تقول: إن مِثْلَ هذا الكلام ليس من الإنجيل، وإنْ أَصررتَ، فعلى عقلكَ السلامُ.

نعم إن هذا المترجم أرشاكم بمثل هذه الهدية الثمينة، والنفسُ ميالة للهوى واتباع الشهوات، فوجدتم أن نتيجةَ قبولِ هذه التدليسات هي إباحةُ المُحَرَّمات ورفع التكليفات، وإذا جعلتم ذلك سُلّماً للتحليلِ والتحريم، فأيّ شيء أبقيتم لربِّ الأرضِ والسماء (وبيده مقاليدُ السموات والأرض) أليس اغتصاب مثل تلك

الوظيفة وتسليمها لبطرس، ثم للباباوات، ثم لِمَنْ شاؤوا أن يوكلوه من القسيسين والرهبان، من التجرؤِ العظيمِ على حقوقِ الله تعالى، تاللهِ إنَّ المسيح نفسه، صلواتُ الله عليه، مع عُلُوِّ مرتبتِهِ وسُمُوِّ مقامه، لا يملكُ حلقةً من حلقات تلك المفاتيح، بل ولا مفتاحاً واحداً، وحاشاه أن يقول ذلك، وأنتم قد رويتم عنه في إنجيلكم قوله «للثعلبِ أَوْجِرةٌ، ولطيورِ السماء أوكار، وليس لابنِ الإنسان يسند رأسه» فما ذلك إلا من الافتراء الصريحِ على سيدنا المسيح.

تنبيه: لعل هذا المترجم قصد بهذه المفاتيح مفتاحاً لتحليلِ لحمِ الخنزير وكافة المحرمات، ومفتاحاً لرفع التكليفات، وآخر لنسخِ التوراةِ ورفضِ الإنجيل، لكونهما أصبحا - بزعمه - لعنةً ومفتاحاً لهتكِ النساء في حانات السكر والمراقص (ومجتمع) الرجال، وهكذا كل مفتاح لباب من أبواب الشر والفضائح، غيرَ أنَّ هناك مفتاحين كبيرين، أحدهما: فتح به باب التثليث، بعد أنْ جعل المسيح قرباناً ولعنة عن مخلوقاته الذين ارتكبوا الفواحش، والثاني: أبطل به الأعمال، واكتفى بمجرد الإقرارِ بالإيمان، وحلقةُ هذه المفاتيح خلوةُ القسيس والرهبان بالعذارى والصبيان الحسان، على نِيَّةِ الغفران.

هذا ولنرجع لباقي الإصحاح، قال المترجم ف٢١: «ابتدأ من ذلك الوقت يسوع يظهرُ لتلاميذه، أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم، ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويقتل، وفي اليوم الثالث يقوم، فأخذه بطرس إليه، وابتدأ ينتهره قائلاً: حاشاكَ يا رب، لا يكونُ لكَ هذا، فالتفتَ وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان، أنتَ مَعثرةٌ لي، لأنك لا تهتم بما لله، لكنْ بما للناس».

أقول: إن هذا المترجم لم يَكْفِه ذِكْرُ هذا الافتراء هنا، حتى كرره في ص١٧ - ف٢٢-و٢٣ حيث قال: «وفيما هم يترددون في الجليل، قال لهم يسوع: ابنُ الإنسان سوف يُسَلَّمُ إلى أيدي الناس، فيقتلونَهُ، وفي اليوم الثالث يقوم، فحزنوا جداً».

فانظرْ أيها البصيرُ إلى تلاعبِ هذا المترجم، إذ كَذَّبَ نفسه بنفسه، في نهاية هذا الإنجيل في ف١٧ - وقال: «ولما رأوه، سجدوا له، ولكن بعضهم شَكُّوا» ولو صَحَّ أنه كان مُخْبرهم بصلبهِ وقيامهِ، لما شَكُّوا بقيامه البتة، فعليه ثبتَ افتراءُ حديثِ الصلب والقيام، ومرقس ذكر هذا البحث في ص٩ - ف٩ و١٠ وكرره أيضاً ف٣١ و٣٢ من هذا الإصحاح وخلاصته «أن المسيحَ أخبر التلاميذ بأنه سَيُقتَلُ ويقوم في اليوم الثالث، وهم لم يفهموا ماذا أراد بقوله» ولوقا أيضاً ذكره في ص٩ - ف٢١و٢٢ وخلاصته «أن المسيح أخبر التلاميذ أنْ سوف تقتله اليهود، وفي اليوم الثالث يقوم من الأموات، وهم ما فهموا كلامه»، وكرره أيضاً في ف٤٤ - من هذا الإصحاح بما نصه «ضعوا أنتم هذا في آذانكم، أنَّ ابنَ الإنسان سوف يُسلم إلى أيدي الناس، وأما هم فلم يفهموا هذا القول، وكان مخفياً عنهم، لكي لا يفهموه، وخافوا أن يسألوه عن هذا القول» انتهى.

أقول: إن المترجم كذب مرة واحد، وأَكَّدها برواية أخرى، كما ترى، ولكن مرقس ولوقا افتريا مرتين، وأكّدا ذلك بروايتين أخريين، لأنهما بعدما اقتفيا أثر المترجم، وذكرا حديثَ الصلب والقيام، أضافا كلاماً لم يذكره المترجم، وهو أن التلاميذَ ما فهموا كلام المسيح عليه السلام، مع أنَّ كلامَ المسيح صريحٌ فصيح، يفهمه حتى الأطفال، فضلاً عن حَمَلَةِ الدين الذين هم من عقلاء الرجال، وأما يوحنا فقد استنكف من ذكر هذا الخبص والخلط، وانفرد في ف٢٣ - من ص١٢ - بقوله: «وأما يسوع فأجابهما قائلاً: قد أتت الساعة، ليتمجَّد ابنُ الإنسان» إنْ صَحَّ هذا الحديث، فهو معقولٌ وموافق للمنقول، لأنه عليه السلام ارتفعَ إلى مقامٍ عليٍّ، فيحق له أن يخبرهم بتمجيده، حينما يرتفع إلى السماء.

فيا أيها المسيحي المنصف! هذه أناجيلُكَ التي تَدَّعي أنها مقدسة عن التحريف، قد بسطناها أمامك، فانظرها واحكمْ بالحقِّ، ولا تكن من المُمْتَرِينَ، فإنَّ المترجمَ صرَّحَ بأن التلاميذ، بعد ما فهموا حديث الصلب والقيام، من

المسيح عليه السلام، حزنوا.

وفي رواية ثانية، قال بطرس لعيسى: حاشاك يا رب، بصراحة القول، فكيف يَصِحُّ لمرقس ولوقا أن يُصَرِّحا بأن التلاميذ ما فهموا، ويكتما قولَ بطرس وحزنَ التلاميذ، وأظنهما أرادا بذلك تثبيتَ ما افتراهُ المترجم من أحاديثِ الصلب والقيام، ليكون تمهيداً للعذرِ عما حَكَتْهُ الأناجيلُ من تكذيبِ التلاميذ لمريم المجدلية، عندما أخبرتهم بقيامِ المسيح عليه السلام، حتى إنهم استهزؤوا بعقلها، ولا سيما تكذيب توما الحواري، حينما أخبره التلاميذ بقيام عيسى، فقال لهم: لا أُصَدِّقُ حتى أرى موضع المسامير في يديه ورجليه، وأضع إصبعي فيها، فلذلك كتما قول بطرس، وأضافا إلى قولهما، أن التلاميذ ما فهموا حديث الصلب، وزعما أنهما بذلك أثبتا حديثَ الصلب والقيام، وأصلحا تكذيبَ القيام من التلاميذ، مع أنهما بهذا الافتراء كالذي عَمرَ قصراً، وهَدَم مِصْراً، لأنه كيف يَصِحُّ أخذُ الدينِ من هؤلاء التلاميذ، وهم أغبياء باديَ الرأي، لا يفهمونَ ما يُقال: على أنَّ كافةَ الأناجيل أيضاً شهدت بأنهم يعرفون أسرارَ ملكوتِ السموات، وبيد رئيسهم مفاتحهم، ويجلسون على اثني عشر كرسياً، مع عيسى في الجنة، وهم رُسُلُه وحَمَلةُ دينه الموظفون بتبليغِ وصاياه، ثم إن الإنجيليين اضطربت أقوالهم هنا، فقال بعضهم: إن التلاميذ لما سمعوا حديث الصلب والقيام، حزنوا. وفي رواية أن بطرس قال: حاشاك يا رب. والبعض قالوا: إن التلاميذ لم يفهموا حديث الصلب والقيام، وكان مخفياً عنهم، لكي لا يفهموه، وخافوا أن يسألوه عن هذا القول.

فانظر أيها اللبيب إلى ارتباك أقوالهم الفاسدة، فهل يصح أنهم حزنوا على أمرٍ، لم يفهموه، وهل يمكن صدورُ أحاديثِ الصلب والقيام من عيسى عليه السلام، ورسلُه وحَمَلَةُ دينهِ يُكَذِّبُونَها، ويستهزئون بعقل مَنْ يخبرهم بوقوعها؟! ومما يُثْبِتُ كونها مفتراةً على المسيح نصوصُ أناجيلهم التي تشهدُ بأن عيسى

وتلاميذه هربوا، واختفوا بين البساتين، وكان يتنقلُ من محل إلى محل خوفاً من اليهود، وكان يكتئبُ ويحزن، ويقطر عَرَقُه من الخوفِ، فكيف يقال: إنَّ الإله أخبر تلاميذه بصلبه وقيامه؟! وأيم الله لا يَقبلُ هذا إلا مَنْ سخف عقله، وضعف رأيه، ورضيَ أن يخدع نفسه، وقد أحسن البوصيري رحمه الله تعالى حيث قال:

وإذا أراد الله فتنـــــةَ معشـــــرٍ   وأضلهـم رأوا القبيـحَ جميـلا

وأما قوله لبطرس: اذهب عني يا شيطان، بعد ما قال له: طوبى لك يا سمعان، فهو عجيبٌ وغريب، والأعجبُ من هذا قوله: إن المسيحَ سَلَّمَ مفاتيحَ السموات لهذا الشيطان، والأشنع قوله له: كل ما تربطه على الأرض، يرتبط في السماء إلخ. كيف يُفَوِّضُ له ذلك، وهو القائلُ له: أنتَ معثرةٌ لي، لأنك لا تهتم بما لله، ولكنْ بما للناس؟! فيا أيها المنصف! أَفبمثلِ هذه المناقضات والأباطيل تثبت ألوهية المسيح عليه السلام؟!

وليت شعري هل يعثرُ الإله، وهل يكونُ الشيطانُ رسولَ الله، لهدايةِ الخلق، وهو إبليسها؟! سبحانك هذا بهتان عظيم. ثم قال - ف٢١ «حينئذ قال يسوع لتلاميذه: إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه، ويحمل صليبه، ويتبعني» انتهى.

أقول: ظاهرُ هذه الجملة يفيد أن المسيح، بعد أن حكى أنه ينبغي أن يذهب إلى أرض أورشليم، حذَّرَ التلاميذ من اليهود، على تقدير هجومهم عليه قائلاً: مَنْ أراد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه تخلصاً من بطشهم، ولٰكن هنا عارضة، وهي خشبةُ الصليب التي أمره المسيح بحملها، فكيف ينكر نفسه، وهي تنادي على عاتقه، فحالُ هذا المسكين كرجلٍ قيل فيه:

ألقاهُ في اليَمِّ مكتوفاً وقال له   إيَّـاكَ إيـاك أنْ تَبتـلَّ بـالمـاء

فكان الواجبُ على المدلس، بهذا الافتراء، أن يخترع نسيجاً، يستر به هذا الصليب، ليصون هذا المسكين المأمور بحمله، من بطش اليهود، ويكون قد التمس تأويلاً لكذبه هذا الذي فضحَ به الكتبَ السماوية التي يزعمها مُنزَّهةً عن الزلل والخلل، واعلمْ أن هذه الجملة لم يذكرها يوحنا، بل قال - ص١٢ - وف٢٦: «إن كان أحد يخدمني، فليتبعني، وحيث أكون أنا هناك أيضاً، يكون خادمي» فإذا قلنا بصحة هذه الوصية من المسيح، فليس إلا رواية يوحنا، والحق إن جملة «فليحمل صليبه» افتراءٌ وعلاوة زائدة، لأنها خارجةٌ عن موضوعِ البحث، ولا يشكُّ عاقلٌ في ذلك، ولكن الرواة أرادت بهذه العلاوة أن يقال: إن المسيحَ أخبر بقضيةِ الصلب وقيامه من الأموات، قبلَ الوقوع، كما إنهم دسوا جملة روايات من هذا القبيل، والأناجيلُ ملأى من ذلك، وسيأتي البحثُ عنها في محلها. إن شاء الله، وفي هذا الإصحاح - ف٢٦ - ما نصه: «لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله، وخسر نفسه، أو ماذا يعطى الإنسان فداء عن نفسه، فان ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه، مع ملائكته، وحينئذ يُجازى كلَّ واحد حسب عمله» انتهى.

ولا أعلمُ أمة تتلوَّنُ في دينها كما تتلون النصرانية، فإنَّ العاقل منهم، لو تأمل معنى هذا الكلام، من أنَّ كل إنسان مَجْزِيٌّ بعمله، كما هو العدل والحق، لحَكَمَ ببطلان عقيدتهم، من أن المسيح رضيَ بما أتى عليه من الذل والهوان والصلب، ليكون فداءً لمن عصى، وهل بعد التصريح بقوله: كل إنسان مجزي بعمله، يقال: إن المسيح صار فداءً عن العالم بأسره، فما معنى هذا الفداء، إذا كان الإنسان سيجزى بعمله، وما فائدة الغفران أيضاً من الرهبان؟ ثم إنَّا نراهم أكثروا من تسميةِ المسيح: بابنِ الإنسان، ولعمري لهو الحق، ولكن أَبَتْ أفكارهم السقيمة وأطوارهم التي ليست مستقيمة إلا أن يخلطوا الحقَّ بالباطل، ثم إني لأعجبُ منهم، كيف تركوا قول المسيح: كل إنسان يجزى بعمله، والتزموا قول بولس - ص٣ - ف٢٨ - من رسالته لأهالي رومية «إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر

بالإيمان بدون أعمال الناموس» ولم يلتفتوا له، أنه كَذَّبَ قولَهُ في آخر الاصحاح - ف٣١ - بقوله «أفتبطل الناموس بالإيمان، حاشا، بل تثبت الناموس» ما أعجبَ تَلَوُّنَهم هذا، كيف يقولون بقول بولس، هذا الناسخ للتوراة وقول المسيح، وينسبون قوله الثاني الموافق لهما كما في - ص٢ - ف٦ - من رسالته المذكورة حيث قال «سيجازى كل واحد حسب أعماله».

فيا أيها المسيحي! يجب عليك أنْ تلتزمَ سلوكَ أحدِ الطريقين، لو تمسَّكتَ بقوله المطابق لقول المسيح المارّ ذِكْرُه، والموافق لقوله عليه السلام، من هذا الإنجيل في - ص٧ - ف١٩: «كل شجرة لا تضع ثمراً جيداً، تُقطع وتُلقى في النار» لكنتَ سلكتَ الطريقَ الأقومَ الذي عليه جميع الأمم، أو كان التقليد بذلك أقرب نفعاً، وأنت تعلم أن كُلَّ قولٍ لا يُصَدِّقُه فِعْلٌ، فهو نفاق، وكل نُصْحٍ أو وعظ لا يتقدمه عمل، فهو رياء، وقد صرح يعقوب الحواري في رسالته من - ص٢ - ف٢٦ - ونصه: «لأنه كما أن الجسد بدون روحٍ ميتٌ، هكذا الإيمان أيضاً، بدون أعمال ميت» ولا أظنك تقبل أن التبرر بالإيمان رفع عنك ثِقلَ التكليفِ بالأعمال، والنفسُ المظلمة لهذا أمْيَلُ والسلام.

وإذا نظرت إلى قوله في هذا الإصحاح - ف٢٨ - «الحق أقول لكم: إن من القيَّام ههنا قوماً، لا يذوقون الموتَ حتى يروا ابنَ الإنسان آتياً في ملكوته» علمتَ أنه من أعظمِ المدلِّسين، وأنه أفحشَ في الكذبِ والافتراء وأوجبَ على الناسِ عموماً، أن يُسْقِطُوا الإنجيلَ من الكتب الإلهامية، بل لا يعتبروه من التواريخ العادية، وهذا مرقس في - ص٩ - ف١ - ذكر ذلك، وتابعه لوقا - بص٩ - ف٢٧ - بعبارة قريبة من عبارته، ولم يذكر ابن الإنسان، بل قال «لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله».

فإنْ صَحَّ قولهما، فيكون المعنى: حتى يروا منازلهم بالجنة مكافئة لإيمانهم الصادق وتحمُّلهم للأذى، فبشَّرهم بالجنة إكراماً لهم، وأنهم يرونها قبلَ موتهم،

وهو كلام معقول؛ والمترجم في كذبته هذه لم يعلم أن مرقس ولوقا صانا كتابيهما عن ذلك، وأن يوحنا لم يضبطْ هذه الواقعةَ أصلاً، فكتب المترجمُ ما كتبه من غير ترويةٍ، ولم يبالِ بمخالفته للظاهر. ثم إن لفظ «القوم» يقع على الثلاثة فأكثر، ومقتضى سياق العبارة أنهم من التلاميذ، وأنهم لا يموتون حتى يروا رأيَ العينِ ابنَ الإنسان، أي المسيح آتياً بملكوته.

فانظر أيها العاقل، فإن القوم الذين كانوا معاصرين له، عليه السلام، من المؤمنين به والجاحدين له، قد ماتوا بأجمعهم، ومضى على ذلك تسعة عشر قرناً، ولم يأت ابنُ الإنسان في ملكوته، فإما أن يكون المسيح قد كذب، وهو صلواتُ الله عليه معصومٌ من الكذب، أو يكون هذا المترجم كذب في افترائه، بزيادة ابن الإنسان، وعلى كلٍّ فإن الحقَّ ما قاله مرقس ولوقا، ولَعلَّك تُجيبُ بما لَفَّقه بنيامين بنكرتن، في تفسيره المطبوع سنة ١٨٨٨ في بيروت، فإنه قال عند كلامه على هذا الإصحاح «إن المرادَ من إتيانِ المسيح بملكوته هو معجزةُ التجلِّي الآتي ذِكْرُها في - ص١٧ - من هذا الإنجيل، وإنَّ القومَ هم بطرس ويوحنا ويعقوب» انتهى كلامه.

فأقولُ: إن هذا كلامٌ لا طائلَ تحته، ولو كان صدوره من المسيح حقاً، وأراد به ما ذهب إليه هذا المفسر، لقلنا: إنه من العبث، لأنك ستعلمُ عندما نُورِدُ عليك قصة التجلي، أن بين قول المسيح هذا، وبين وقوع التجلي أياماً قلائل، لا تزيد على الأسبوع، فإذا كان هذا المعنى هو المراد حقيقة، لم يكن هناك موجبٌ لعدها من قِسْم المعجزات، والعاقل لا ينكر على القائل بين ألوف من العالم، أن من هذه الألوف قوماً لا يذوقون الموتَ إلى سبعة أيام، وهذا مما يُسَلَّمُ له، ولا يُستغربُ منه، إذ ليس بخارقٍ للعادة، ثم إن ذهاب هذا المفسر إلى أن الإتيان هو معجزة التجلي، أمرٌ غريب جداً، فإن الإتيان له معنى، والتجلِّي له معنى آخر، وما حصل إلا والمسيح لم يكنْ غائباً، بل وقع، وهو صاعدٌ مع التلاميذِ

الثلاثة للجبل، وهذا لا يَصْدُق عليه إتيانٌ.

ولو سَمَّينا معجزةَ التجلي إتياناً، لَلَزمنا أن نسمي كُلَّ معجزةٍ إتياناً، فهل يصح أن مثلَ إحيائهِ الموتى يقال له إتيان؟! لا يقول بذلك المجنون، فضلاً عن العاقل، فلم يبق إلا أن يقال: أراد بهذا التأويلِ نفيَ الكذبِ عن الإنجيل، ولو قال المفسر: إن المسيح أتى بعد الصلبِ بيومٍ واحد، وظهر للتلاميذ، وتأول الإتيان بهذا المعنى، لكان أنسب من قوله: إن الإتيان هو عين معجزة التجلي.

وإذا صرفنا النظر عن هذا الخبط الذي أتى به المفسر، ورجعنا لكلام المترجم، فليس فيه دلالةٌ على صدق قوله، لأنه قَيَّدَ قوله «آتياً في ملكوته» وهو قد أتى مُتَسَتِّراً، وكانت تلاميذُه تُنْكِرُه، حين يظهر لهم، وهم أيضاً في تسَتُّرٍ من اليهود، فلم يأتِ في ملكوته، أي في مجده، على ما ذكره المترجم هذا، حيث قال في - ص٢٥ - ف٣١ - «ومتى جاء ابن الإنسان في مجده، وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذٍ يجلسُ على كرسي مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيميِّزُ بعضَهم من بعض، كما يميز الراعي الخراف» فقد ثَبَتَ بالبداهة كذبه وبطلان قوله، وستقف أيها المستمعُ على أعاجيب من هذه الأكاذيب، تُزيلُ الشكَّ عن قلبك، والله الموفق.

الإصحاح السابع عشر

اعلم أيها المطالع أنني كلما أردت أن أَكُفَّ القلمَ عن ذكر مساوىء هذا المترجم ومعايبه، يمنعني ما أرى من غشه للأمة المسكينة النصرانية، فأجدُ النُّصْحَ لها فرضاً عليَّ وطاعة تلزمني، ولو تأمل المنصف في هذا الإصحاح، لوجد المترجمَ قد فتح فيه فوهةً بركانية، ارتجَّ لها الدين النصراني، وتزعزع ركنه، لأن أكثر ما أتى فيه مناقضٌ لباقي الأناجيل الثلاثة، ومُباينٌ لها مباينةً كلية، بحيث يقطع المتأملُ بأنه جميعه كذب وافتراء، وها أنا أذكرُ لك الاختلافَ جملةً جملةً، ليكون لك الوقوف التام على تدليس هذا المفتري واختلاسه.

اعلمْ أن يوحنا لم يذكر في إنجيله حرفاً واحداً مما أدرجه المترجم في هذا الإصحاح، ومرقس ولوقا وإن وافقا المترجم في بعض الجمل، لا في مجموعها، كما يظهر لك، لكنهما خالفاه في التاريخ والألفاظ التي يظهر من مدلولِ معناها غِشُّ المترجم وسوء نيته لهذه الأمة، قال المترجم - ف١ - «وبعد ستة أيام أخذ يسوعُ بطرسَ ويعقوبَ ويوحنا أخاه، وصعِدَ بهم إلى جبل عالٍ منفردين، وتغيرت هيئتُه قدامهم، وأضاء وجههُ كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالنور» انتهى.

وقال مرقس - بص٩ - ف٥ «وبعد ستة أيام أخذ يسوعُ بطرسَ ويعقوبَ ويوحنا، وصعِد بهم إلى جبل عالٍ منفردين وحدهم، وتغيرت هيئته قدامهم، وصارت ثيابه تلمع بيضاء جداً كالثلج، لا يقدرُ قَصَّارٌ على الأرض أنْ يُبَيِّضَ مثل ذلك» انتهى.

وقال لوقا - بص٩ - ف٢٨ «وبعد هذا الكلام بنحو ثمانيةِ أيام، أخذ بطرسَ ويوحنا ويعقوبَ، وصعِد إلى جبل ليصلي، وفيما هو يصلي، صارت هيئةُ وجههِ متغيرةً ولباسه مبيضاً لامعاً» انتهى.

فإنَّا نسامحُ لوقا في اليومين اللذين زادهما، حيث إنه قد التزمَ أن يكتب القصة

كما وقعت إليه، ويَتتبَّعها بتدقيقٍ، كما وعدَ في أولِ إنجيله، فالأصح ما نقله، على أنه يمكنُ أنْ يقالَ هنا: إنَّ الستةَ ثمانية والثمانية ستة، كما في قولهم: الثلاثةُ واحد والواحد ثلاثة، فلا مشاحةَ حينئذٍ.

ثم إن المترجم ومرقس تواطآ على أن صعود المسيح إلى الجبل كان على ميعاد، كما يُفهم من عبارتهما، والذي يُفهم من عبارة لوقا أن صعوده كان على غير ميعاد، فاحفظْ هذه عليهما، واحفظْ على المترجم قوله: إنه حين تغيرت هيئته، أضاء وجهه كالشمس. ومرقس ولوقا لم يذكرا سوى تغير هيئته، من غير إطراءٍ بالوصف، وانفردَ مرقس أيضاً بإطراء الثياب، فقال: وصارت ثيابه تلمع بيضاً جداً كالثلج إلخ، وظنَّ أن مثل هذا الإطراء، في الوصف، من لوازم الوحي، ليدهشَ الواقف، فيقطع بأنها من الإلهام حال كونها أفصحتْ عن نفسها أنها من الأوهام.

ثم قال المترجم - بف٣ «وإذا موسى وإيلياء قد ظهرا لهم، يتكلمان معه، فجعل بطرس يقول: يسوع، يا رب: جيد أنْ نكون ههنا، فإن شئتَ نضع هنا ثلاثة مظالّ، لكَ واحدة، ولموسى واحدة، ولإيلياء واحدة، وفيما هو يتكلم إذا سحابةٌ نيرة ظلَّلتهم، وصوت من السحابة قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررتُ، له اسمعوا. ولما سمع التلاميذ، سقطوا على وجوههم، وخافوا جداً، فجاء يسوع، ولمسهم، وقال: قوموا، ولا تخافوا، فرفعوا أعينهم، ولم يروا أحداً إلا يسوع وحده» انتهى.

وقال مرقس في - ص٩ - ف٤: «وظهر لهم إيلياء مع موسى، وكانا يتكلمان مع يسوع، فجعل بطرس يقول ليسوع: يا سيدي: جيد أن نكون ههنا، فلنضع ثلاث مظالّ، لك واحدة، ولموسى واحدة، ولإيلياء واحدة، لأنه لم يكن يعلم ما يتكلم به، إذ كانوا مرتعبين، وكانت سحابة تُظلِّلهم، فجاء صوت من السحابة قائلاً: هذا هو ابني الحبيب، له اسمعوا؛ فنظروا حولهم بغتة، ولم يروا أحداً

غير يسوع وحده معهم» انتهى.

وعبارة لوقا في ص٩ ف٣ هكذا: «وإذا رجلان يتكلمان معه، وهما موسى وإيلياء اللذان ظهرا بمجدٍ، وتكلما عن خروجه الذي كان عتيداً أن يكمله في أورشليم، وأما بطرس واللذان معه فكانوا قد تَثقَّلُوا بالنوم، فلما استيقظوا، رأوا مجده والرجلين الواقفين معه، وفيما هما يفارقانه قال بطرس ليسوع: يا معلم! جيدٌ أن نكون ههنا، فلنضع ثلاث مظالّ، لكَ واحدة، ولموسى واحدة، ولإيلياء واحدة، وهو لا يعلمُ ما يقول، وفيما هو يقولُ ذلك، كانت سحابة، فظلَّلتهم، فخافوا عندما دخلوا في السحابة، وصار صوت من السحابة قائلاً: هذا هو ابني الحبيب، له اسمعوا، ولما كان الصوت، وُجِد يسوع وحده» انتهى.

وقد نبَّهناكَ على أن يوحنا لم يذكرْ شيئاً من ذلك، فأُحيلُ إليكَ النظرَ أيها المتأمل البصير في تناقض الأناجيل الثلاثة، في هذه الجملة التي يُسَمُّونَها معجزةَ التجلي، وعلى تسليمِ وقوعها، تكونُ من أعظمِ المعجزات، فكان الواجبُ أنْ لا يختلفَ فيها اثنان، ونحنُ لا نقول باستحالةِ مثلِ هذه المعجزة وظهورها على يد المسيح، سلامُ الله عليه، ولكن ننقد على رواية أخبارِ دينِ النصرانية القائلينَ بأن تلك الروايات من الإلهام، والإلهامُ منزَّهٌ عن التناقض.

والعجبُ كلُّ العجبِ من يوحنا الذي شهد هذه المعجزةَ بنفسه، وكان يكرز بالأناجيلِ الثلاثة مدة طويلة إلى نهاية القرن الأول، وقد اطلع على هذا التناقض، في تلك المعجزة، كيف يسكت عن ذلك، وأَهَمُّ وظائفهِ حفظ الدين، بضبطِ أحوالِ المسيح؛ والمسيحيون كلهم يعلمون أنه هو التلميذ الذي كان يحبه المسيح، ويَتَّكِيءُ على صدره، وكيف يغفلُ عن ذكر هذه المعجزة في إنجيله، وهي من أعظمِ ما يستدلُّ بها على صِدْقِ دعوى المسيح، ولو صَحَّ الخبر بها، فيكون الإغماضُ من يوحنا خيانةً في الدين، ووقوعُ ذلك منه مُمْتَنِعٌ، وإذا لم يكن لهذه الرواية من أثر، فالإنجيليون الثلاثة إذاً من الكاذبين، ولو تأمل

المسيحيون حق التأمل، لارتضوا أن تكذيب الثلاثة ورَفْض روايتهم هذه أوْلى من أن يجعلوا يوحنا من الخائنين، حيث أنَّ مترجمَ متَّى غير معلوم، وحالُه مجهول، فلا ثقةَ بما يرويه البتة.

وعلى فرضِ صحةِ الترجمة، فمتَّى نفسُه أيضاً لم يكنْ حاضراً ومشاهداً للمعجزة، كما هو واضح من عبارة الأناجيل الثلاثة، وكذلك لوقا ومرقس، مع أنهما ليسا من الحواريين، فلا ثِقةَ بما يكتبانه، ثم إن ظهور موسى وإيلياء لعيسى، واجتماعهما معه، يُفْهَمُ منه أنه كان اجتماعاً بالأجسامِ لا بالأرواح، وهذا لا يتأتى، لأنَّ عودَ الأجسام بعد موتها لدار الدنيا مستحيلٌ، ولم يَقُلْ قائلٌ به، ولو صَحَّ ذلك، وجاز القولُ به، لوجَبَ على النصرانية أنْ تقول في موسى وإيلياء كما تقولُ في عيسى حرفاً بحرف، ولو جَوَّزْنَا التأويلَ فيهما، وأنهما ظهرا بروحانيتهما، لقلنا كذلك في المسيح، على فرض أنه قُتِلَ وصُلب حقيقةً، أنه عندما قام وظهر، ظهر بروحانيته، فما جازَ على الواحدِ جازَ على الاثنين.

ثم قال المترجم - ف٩: «وفيما هم نازلون من الجبل، أوصاهم يسوع قائلاً: لا تُعْلِموا أحداً بما رأيتم حتى يقومَ ابنُ الإنسان من الأموات» انتهى.

وعبارة مرقس في - ص٩ - ف٩: «وفيما هم نازلون من الجبل، أوصاهم أن لا يحدثوا أحداً بما أبصروا إلا مَتَى قام ابن الإنسان من الأموات، فحفظوا الكلمة لأنفسهم، يتساءلون: ما هو القيام من الأموات» انتهى.

فاحفظْ عن مرقس هذه الزيادةَ التي لم يذكرها من الإنجيليين أحدٌ.

وعبارة لوقا - بص٩ - ف٣٦ «ولما كان الصوت، وجد يسوع وحده وأما هم، فسكتوا ولم يخبروا أحداً في تلك الأيام بشيء مما أبصروه» انتهى.

أقول: قد علمتَ أن المسيح، في اعتقاد النصرانية، إنما أتى لخلاص العالم، وأن هذا الخلاصَ متوقفٌ على صلبِ نفسه، فكيف يتساءلون: ما هو القيامُ من

الأمواتِ، وهو من أعظمِ المعتقداتِ، وقد أخبر المسيحُ غير مرة، عن هذا الأمر، لهؤلاء التلاميذ ولكافة الحواريين، فكيف لم يفهموا؟! فيقتضي ذلك إما الجزم بتكذيبِ الرواية الأولى أو هذه الرواية، أو أنَّ التلاميذَ كانوا كالبهائم، لأنهم لم يفهموا لا بالكنايةِ ولا بالتصريح.

ثم إنك علمتَ من البحث المار ذِكْرُه أن هذه المعجزة من المعجزات التي هي من أعظم ما يُسْتَدَلُّ بها على نبوةِ المسيح، فكان ينبغي للمسيح أن يعلم بطرس ويوحنا ويعقوب بأن يبشِّروا أو ينادوا، بين المؤمنين والجاحدين، بوقوع هذه المعجزة، ليزداد المؤمنون إيماناً، وليعلم الجاحدون مقامه عند الله تعالى، لعلَّهم بذلك يهتدون. على أنَّا نرى في الإنجيل عكس ذلك، لأنا نراه عندما تظهر منه أقل معجزة، يأمر بإفشائها، كما إذا أبرأ الأكمهَ والأبرص أو غير ذلك، يقول له: اذهب وأرِ نفسك إلى الكاهن، يقصد به إعلانَ أمرِه طلباً لهدايةِ مَنْ يؤمن به وتثبيتاً للمؤمنين.

ومَنْ تأمل سِيَرَ الأنبياء، صلوات الله عليهم، يرى أن كُلاًّ منهم يجمع قومه لمشاهدةِ ما يظهرُ على يدهِ من المعجزات، ليعلم أن الله تعالى أيَّدهُ بالمعجزة، لهذه الغاية، ومُحالٌ أن يعمل المسيحُ بضد الحكمة في هذا الأمر، فلم يبقَ إلا تكذيب الرواية أو التسليم لعبارة لوقا من أنهم سكتوا، أو كان سكوتهم من عند أنفسهم، ليس بأمرِ المسيحِ كما هو صريحُ لفظهِ، ولا ينبغي أيضاً سكوتُ يعقوب الحواري وبطرس الوصي ويوحنا التلميذ الحبيب للمسيح عن إعلانِ هذه المعجزة، إذْ هُمْ أمناءُ الوحي ورجال الدعوة إلى الإيمان.

ولو تأملت قول المسيح لهم: «الذي تسمعونه في الأذن، نادُوا به على السطوح» لجزمتَ بلا ترددٍ أنه لو كانت هذه المعجزة واقعةً، لأَمَرَ المسيح بإظهارها والإعلان بها على المنائر، لا على السطح فقط، قال المترجم ف١٠ - «وسأله تلاميذه قائلين: فلماذا يقول الكتبة: إنَّ إيلياء ينبغي أن يأتي أولاً، فأجاب

يسوع وقال لهم: إن إيلياء يأتي أولاً ويردُّ كُلَّ شيء، ولكني أقولُ لكم: إن إيلياء قد جاء، ولم يعرفوه، بل عملوا به كل ما أرادوا، كذلك ابنُ الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم، حينئذٍ فهم التلاميذُ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان» انتهى.

وليت شعري! كيف فهموا هذه من كلامه هذا، ولم يفهموا صريحَ قولِه: إن ابنَ الإنسان يصلب، ويقومُ بعد ثلاثة أيام؟! وعبارة مرقس بص٩ - ف١١ - «فسألوه قائلين: لماذا يقول الكتبة: أما إيلياء ينبغي أن يأتي أولاً، فأجاب وقال لهم: إن إيلياء يأتي أولاً، ويرد كل شيء، وكيف هو مكتوب عن ابن الإنسان أن يتألم كثيراً ويرذل، لكن أقول لكم: إن إيلياء أيضاً قد أتى وكل ما أرادوا عملوا به، كما هو مكتوب عنه» انتهى.

وهو من الكذبِ الصريحِ، فإن بطرس الوصي هذا هو تلميذ يوحنا المعمدان، كما حكاه يوحنا الإنجيلي في الإصحاح الأول بف٤١و٤٢ من إنجيله، فكيف يختلفُ عليه أمرهُ من أنه هل هو إيلياء أم غيره؟! ثم إنه قد مَرَّ عن المترجم في ص١١ - ف١٤ - قول المسيح: «وإن أردتم أن تقبلوا، فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي، مَنْ له أذنان للسمع فلْيَسمع» وقد صدرَ هذا القولُ من المسيح، بحضرةِ الجُموعِ والتلاميذ، ومنهم بطرس ويعقوب ويوحنا، فسؤالُ التلاميذ من عيسى، عليه السلام، لا محلَّ له، وإذا كان مثل هؤلاء الحواريين الذين هم أَجَلُّ التلاميذ ومَنْ أَيَّدَ اللهُ بهم دينَ المسيح، يتجاهلون أو يجهلون، فكيف حالُ غيرهم؟! ومَن التزم تصديقَ هذا الرواية، وَجَبَ عليه تكذيبُ يوحنا المعمدان وزكريا النبي، وتكذيب الأنبياء، من الكفر المحض، على أن يوحنا الإنجيلي قد ذكر في الإصحاح الأول من إنجيله ف٢١ - «أن اليهود سألت مَنْ يوحنا المعمدان إذاً ماذا، إيلياء أنت؟ فقال: لست أنا الخ» وهذا إقرارٌ من يوحنا المعمدان بأنه ليس هو إيلياء.

وذكر لوقا في الإصحاح الأول بف١٧ - قول زكريا مخبراً عن ابنه يوحنا

«ويتقدمُ أمامه بروحِ إيلياء وقوته الخ» انتهى.

وهذا صريحٌ في أن إيلياء غير يوحنا، وقد مر لك البحث في ذلك، فتذكَّرْ، ثم قال المترجم ف١٤ - «ولما جاؤوا إلى الجمع، تقدم إليه رجل جاثياً له وقائلاً: يا سيد ارحمْ ابني، فإنه يُصْرَعُ ويتألم شديداً، ويقع كثيراً في النار وكثيراً في الماء، وأحضرتُه إلى تلاميذكَ، فلم يقدروا أن يشفوه» انتهى.

حكى مرقس في - ف١٧و١٨ ولوقا في ص٩ - ف٣٨ - مثل ذلك، ولكنهم تخالفوا وتناقضوا في الألفاظ، والواقعةُ واحدة، قال المترجم ف١٧ -: «فأجاب يسوع وقال: أيها الجيل غير المؤمن المُلْتَوي، إلى متى أكونُ معكم، إلى متى أَحتمِلُكم؟ قدِّموه إلى ها هنا، فانتهره يسوع، فخرج منه الشيطانُ، فشفيَ الغلامُ من تلك الساعة» انتهى.

ومثله في مرقس، لكنه لم يذكر لفظ الملتوي، ولوقا خالف المترجم، بإسقاط «إلى متى» الثانية، واتفاق الثلاثة على هذه الرواية شهادةٌ على أن التلاميذ ليس لهم إيمانٌ، فلا يجوزُ أخذُ الدينِ عنهم، وقد بَيَّنَ المسيحُ السببَ الذي أوجبَ أن يشهدَ على الحواريين بأنه ليس لهم إيمان، بقوله في هذا الإصحاح - ف٩ -: «ثم تقدم التلاميذ إلى يسوع على انفراد، وقالوا: لماذا لم نقدرْ نحنُ أن نخرجه؟ فقال لهم يسوع: لعدمِ إيمانِكم فالحق أقول لكم: لو كان لكم إيمانٌ مثل حبة خردل، لكنتم تقولون لهذا الجبل: انتقلْ من هنا إلى هناك، فينتقل، ولا يكون شيء غير ممكن لديكم، وأما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم» انتهى.

لا يعزب عن فكرك أنَّ عدمَ إيمانهم كان سبباً لعدمِ وقوعِ الشفاء على يدهم، ونقصان إيمانهم لعدم اعتنائهم بالصلاة والصوم، وهذا دليلٌ على أن العملَ شرط الإيمان، كأنه أراد: أنَّ الإيمانَ اعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالأركان، وإقرار باللسان، وليس كما قال قديسهم بولس بأنَّ الإيمانَ وحده يكفي عن العمل، ولذا حكمَ

على بطرس وصيه وخليفته ويوحنا محبوبه وتلميذه ويعقوب أحد كبار الحواريين بأنهم ليس عندهم من الإيمان بمقدار حبة خردل، وهذا النصُّ الآن أصبح شاملاً لكل نصرانيٍّ ونصرانية على وجه الأرض بأنهم غير مؤمنين، لأنهم لا يصومون ولا يصلون، ولا يتعبدون بالناموس.

ثم إذا حفظت هذا، فاعلم أن هذه الرواية انفرد بها المترجم، لأن مرقس ولوقا لم يذكرا شيئاً من ذلك غير أن مرقس في ص١١ - ف٢٢ ذكر قول المسيح، بعد معجزة شجرة التينة: «ليكنْ لكم إيمانٌ بالله، لأني الحق أقول لكم» إلخ ولوقا ذكر في ص١٧ - ف٦ - ما نصه: «فقال الرب: لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم إلخ» فقد تخالفوا في هذه الرواية كما ترى، وقد ذهب كل منهم في واد، ويوحنا لم يذكر من ذلك شيئاً، والنصرانيةُ في عَمَاء، لأنَّ تكرارَ مثل هذا، من المسيح في ثلاثة مواضع، تشنيعٌ عظيم في حَقِّ التلاميذ الذين هم رُسُلهُ وخلفاؤه على عهدهِ ونشرِ دينه، لأنه إذا لم يكن مثل هذا تناقضاً، بل كان صدورُه من المسيح على حسب الوقائع، لَوجَبَ أن يحكموا حكماً باتاً على التلاميذ بأنهم لا إيمانَ لهم، حيث إنهم شاهدوا وقوعَ المعجزات من عيسى، وكانوا غير مؤمنين به، ولو كان عندهم من الإيمان قدر حبة خردل، لما صح صدور هذا القول منه.

فيا أيها المسيحيون! ما هذا الدين الذي تَلَقَّيْتُموه عن جماعة، حكمت عليهم الأناجيلُ قبل صحيفةٍ بأنهم لا يفهمون صراحةَ قولِ المسيح، وهنا شهدت عليهم بأنهم لا إيمانَ لهم فإذاً قولُ المسيح لبطرس فيما تقدم من رواية هذا المترجم «إن لحماً ودماً لم يعلن لك. لكن أبي الذي في السموات إلخ» وقوله: «وأعطيك مفاتيح السموات إلخ» بمثابةِ الهُزْءِ ببطرس، أو الكذبِ من المسيح، وحاشاهُ، لأن ظاهر العبارة أنه كان مؤمناً وأميناً على مفاتيح السموات، وقد كشف الله عن بصيرته، وهذا مع هذا ممتنع.

فلنترك النصراني يخبط في هذا التناقض، ونعود للكلام على باقي الإصحاح الذي هو أدهى وأَمَرّ مما مَرَّ، قال المترجم - ف٢٢و٢٣: «وفيما هم يترددون في الجليل، قال لهم يسوع: ابنُ الإنسان سوف يُسَلَّمُ إلى أيدي الناس، فيقتلونه، وفي اليوم الثالث يقوم، فحزنوا جداً».

أقول: قد تقدم عن لوقا أن التلاميذ لم يفهموا معنى هذا الكلام، فمن أينَ يَصِحُّ عليهم الحزنُ مع عدم الفهم، ولا معنى لهذا الحزن أيضاً، لأن نعمةَ الله تمت على المسيحيين بصلبِ المسيح وتحقيره بزعمهم، إذ صَلْبه وقتْله كفارة لخطيئة العالم بأجمعه، وهذه عقيدةُ النصرانية قاطبة، ومما انفرد به المترجم عن كافة الإنجيليين بقية هذا الإصحاح من - ف٢٤ إلى آخره، وخلاصته: أخْذُ الحاكمِ الجزيةَ من المسيح، عليه السلام، فقد ضرب هذا المترجمُ الجزيةَ على الإلهِ الذي يعبده، فوالله لو أن عدواً أراد العبث والهزء بعدوه، لم يقدر على أنْ يأتيَ بأكثر وأعظم مما جاء به المترجم، ولعله زعم أن هذا يكون دليلاً على ألوهية المسيح، ولم يعلم أنه قد حَطَّ من قَدْرِه، وأبطل عقيدته بنفسه، إذِ الإلهُ لا يؤدي الجزيةَ لمخلوقه عن يدٍ وهو صاغر، فلا حولَ ولا قوة إلا بالله.

الإصحاح الثامن عشر

قال مترجم متى - ف١ في تلك الساعة «تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين: فَمَنْ هو أعظم في ملكوت السموات؟ فدعا يسوع إليه ولداً، وأقامه في وسطهم، وقال: الحق أقولُ لكم إنْ لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد، فلن تدخلوا ملكوتَ السموات، فَمَنْ وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظمُ في ملكوت السموات، ومن قبل ولداً واحداً مثل هذا باسمي، فقد قبلني، ومَنْ أعثرَ أحدَ هؤلاء الصغار المؤمنين بي، فخيرٌ له أن يُعَلَّقَ في عنقه حجر الرَّحى، ويغرق في لجة البحر، ويلٌ للعالم من العثرات، فلا بد أن تأتي العثرات، ولكن ويلٌ لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة، فإن أَعثرتْكَ يدك أو رجلك فاقطعها، وألقها عنك، خيرٌ لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تُلْقَى في النار الأبدية ولك يدان ورجلان، وإن أَعثرتْكَ عينك فاقلعها، وألقها، خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى في النار ولك عينان، انظروا، لا تحتقروا أحدَ هؤلاء الصغار، لأني أقول لكم: إن ملائكتهم في السموات كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات» انتهى.

ومرقس اقتصر القول، وعبارته في - ص٩ - ف٣٣ هكذا: «وإذا كان في البيت، سألهم بماذا تتكالمون فيما بينكم في الطريق، فسكتوا لأنهم تحاجوا في الطريق بعضهم مع بعض، فيمن هو أعظم، فجلس ونادى الاثني عشر، وقال لهم: إذا أراد أحد أن يكون أولاً، فيكون آخر الكلِّ وخادماً للكل، فأخذَ ولداً وأقامه في وسطهم، ثم احتضنه وقال لهم: مَنْ قبل واحداً من الأولاد مثل هذا باسمي يقبلني، ومن قبلني فليس يقبلني أنا، بل الذي أرسلني» انتهى.

فتأمَّلْ أيها البصير الناقد، فإن المترجم جعل السؤال من التلاميذ، وذكر ملكوت السموات. ومرقس جعله من عيسى، ولم يذكُرْ ملكوتَ السموات، فابتلعه وابتلعَ أكثرَ من نصف الجملة، وهي من أعظم النصائح المفيدة للمِلَّة، ولعلَّ الوحيَ بَلَّغَهُ بعضها، وكتم عنه الباقي، لحكمةٍ لا يعلمها إلا الراسخون من

القسيسين والرهبان، ولوقا لم يذكر منها إلا قوله في - ص١٧ - ف١: «وقال لتلاميذه: لا يمكن إلا أن تأتي العثرات، ولكن ويل للذي تأتي بواسطته، خيرٌ له لو طوّق عنقه بحجر رحى، وطُرح في البحر من أن يعثر أحد هؤلاء الصغار» انتهى.

فمتَّى أطالَ الكلام، ولا بأس فيه، فإنه مواعظُ ونصائح موافقةٌ للمعقولِ والمنقول، ومرقس اقتصرَ على أقلَّ من النصفِ، ولوقا لم يذكر إلا كلمات، فتنازل الأمرُ حتى أتى يوحنا، فلم يذكرْ حرفاً واحداً من ذلك، وهي جملةٌ واحدة منزلة من الله تعالى بزعمهم «فمن كان ذا لب، فليتعجب» وعلى كلٍّ فالمسيحُ عليه السلام بالَغَ في نُصْحِ التلاميذ، بما يرشدهم فيه إلى التواضع وعدم احتقار الصغير، ورُبّ صغيرٍ أعظم عند الله من الكبير، لأن الصغار الذين هم دون الحلم معصومون عن الذنوبِ غير مؤاخَذِين، ولذا قال المسيح: إن ملائكتهم في كل حين ينظرون وجه أبي لأنهم متفرغون عما يَشْغَلُهم عن النظرِ إلى وجه الله، وفي ضمن هذا تعليمٌ من المسيح بأن الواجب على مَنْ بلغ سن التكليف أن يلازم الطاعة، ولا يشقَّ عصاها، فيشغل الملائكة الموكَّلينَ بإحصاء ذنوبه عن عبادةِ الله التي هي النظر إلى وجهه، وهذا مُسلَّمٌ عند كافةِ المِللِ الكتابية إلا بولس ومَنْ تابعه، حيث إن عقيدته الاكتفاء بمجرد الإيمانِ بألوهيةِ المسيح وصلبهِ على تلك الهيئة الشنيعة والصورة الفظيعة، وأنه لهذه العقيدةِ يرثُ الحياةَ الأبدية بدون عَمَلٍ، فلذلك لا يحتاجُ لملائكةٍ تكتبُ أعماله، لأن الخطايا السابقة انغسلتْ بدمِ الإله، في زعمه، واللاحقة يغفرها القسُّ، فالمؤمنُ بزعمه كالبهيمة، لا يُؤَاخَذُ بما يفعل، نسألُ الله تعالى العفو والعافية.

ثم قال المترجم في - ف١١: «لأن ابنَ الإنسان قد جاء لكي يخلِّص ما قد هلك».

انظر أيها المسيحي فإنَّ هذه الجملة برمَّتها لم تَذْكُرْها الأناجيلُ الثلاثة، فلا

تشك أنها من حشو المترجم، ويرشدك إلى ذلك عَدَمُ ارتباطها بما قبلَها، وعلى تقديرِ ثُبوتها، فإنها مناقضةٌ لعقيدتكم من أنَّ المسيحَ جاء فداءً للعالم كله، لأن لفظ (يخلص ما قد هلك) بصيغةِ الماضي، والذي هلك قبلَ مجيءِ المسيح هم غير النصرانية وغير مَنْ سيجيء، فإذاً لم تدخلوا في زمرة مَنْ فَدَاهم بنفسه، بل هو جاء فِداءً عن قومٍ هلكوا ومضوا إلى سبيل ربهم، فليس لكم في هذه ناقةٌ ولا جمل، والحري أن يقال لكم: إنه لا يبعد عن عقولكم أن تنتظروا مسيحاً ثانياً كما تقول بذلك اليهود، لأن عقيدتكم هذه وما اشتملتْ عليه من الضلالِ والتناقض خطيئةٌ عظمى، تحتاج إلى مجيء مسيح آخر، تحتقرونه وتصلبونه، ويكون كفارةً لتلك الخطيئة وفداءً لكم، واليهود على زعمكم هذا قد فازوا فوزاً عظيماً إذْ إنهم خَلَّصوا آباءهم وأجدادهم من الخطيئة، بقتلِهم لذلك المصلوب، وَيْحَكُمْ! تَيَقَّظُوا من سِنةِ الغفلة، وتَصَوَّرُوا معنى ما تعتقدونه، فإن هذه الترهات توجبُ عليكم تصديقَ قولِ قديسكم بولس، في رسالته إلى العبرانيين، حيث قال في - ص٦ - ف٤: «لأن الذين استُنِيرُوا مرة، وذاقوا الموهبة السماوية، وصاروا شركاء الروح القدس، وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي، وسقطوا لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه» انتهى.

فإذا كنتم تعتقدون أن الإله صَلبَ نفسه فداءً لِمَنْ حقره، وصار لعنةً لمن لعنه، فإنكم ولا شك محتاجون إلى أكثر من ألفِ مسيح، تقتلونهم واحداً بعد آخر، وإلا فتكونوا من الخاطئين المُخَلَّدينَ في جهنم أبداً.

قال المترجم ف١٥: «وإنْ أخطأ إليك أخوك، فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما، إنْ سمع منك، فقد ربحتَ أخاك» لعلَّ من هذا النص أخذت النصرانيةُ وجوبَ خلوةِ القسيسِ بالشابةِ الجميلة والأمرد الحسن، عند اعترافهما بذنبهما، وطلَبِ الغفران منه، ولكن ينافيه قوله - ف١٦: «وإنْ لم يسمع، فخذ معك أيضاً

واحداً أو اثنين، لكي تقومَ كُلُّ كلمةٍ على فم شاهدين أو ثلاثة، وإن لم يسمع منهم، فقل للكنيسة، وإن لم يسمع من الكنيسة، فليكن عندك كالوثني والعشَّار».

أقول: معلوم أن الكنيسةَ المراد منها: الجماعة المؤمنون بعيسى، فيكون المعنى: فقل للرؤساء، فإذا لم يسمع، فليكن عندك كالوثني، وقد تقدم لكَ قولُ المسيح: إذا ضربك على خدك، فحوِّل له الآخر، وأن المقصود منه المسامحة، فبينَ الأمرِ بالمسامحةِ والحكم عليه بأنه كافرٌ تناقضٌ ظاهر، فتأمَّلْ وأنصف. ثم قال - ف١٩: «وأقول لكم أيضاً: إن اتفق اثنان منكم على الأرض، في أي شيء يطلبانه، فإنه يكونُ لهما من قِبَلِ أبي الذي في السموات، لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فهناك أكونُ في وسطهم» انتهى.

وقد تَفرَّدَ المترجمُ بهذه الجملة، واستقلَّ بها، فلم يَحْظَ بها الباقون. ثم قال - ف٢١ «حينئذ تقدم إليه بطرس، وقال: يا رب! كم مرة يخطىء إلي أخي وأنا أغفر له، هل إلى سبع مرات؟ قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع مرات» انتهى.

فتأمل أيها الفَطِنُ في هذا الكلام، ونسألك بما تعتقده، أليس هو منافياً لما قاله آنفاً، من أنه إذا لم يسمعْ من الكنيسةِ، فليكُنْ عندكَ كالوثني، وبنى الحكمَ عليه بذلك عندما يخطىءُ مرتين، وهل بعد جَعْلِهِ في نظره كالوثني، يعاملهُ بالمسامحةِ والغفران، ويعتبره من جملةِ الإخوان، وليس هناك بُعْدٌ في التاريخ ولا اختلافٌ في الواقعةِ حتى يمكن توجيه العبارة، فهي من المفتريات على المسيح عليه السلام، وأُجِلُّ قدْرَه الشريف عن ذلك، وأعتقد فيه أنه من خواصِّ أنبياء الله تعالى ورسله، لا ينطقُ عن الهوى، بل كُلُّ كلمةٍ تصدرُ منه فهي عن الوحي والإلهام، فأين عقلاؤكم، وأين مؤتمركم الديني الذي تَشَكَّلَ لتصحيح المناقضات، عن إصلاحِ ما أتى به هذا المترجمُ وأصحابه، يا للعجب! ما الذي أعددتموه من التأويل لهذا التناقض والاختلاف الذي لم يُجَوِّز العقلُ صدورَه عن

أي إنسان كان، فضلاً عن رسول مُؤَيَّدٍ بالوحي من الله تعالى.

ولنضربْ صفحاً عن تتَبُّعِ باقي هذا الإصحاح، غير أنه قال في خاتمته - ف٣٥: «فهكذا أبي السماوي يفعل بكم، إنْ لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زَلَّاته» فهل بعد هذا مجال للذي يزعم أن المسيح يدين العالم يوم القيامة، وهو القائل «هكذا أبي السماوي يفعل الخ» فيا أيها المتمردُ على مَنْ خلقكَ وسَوَّاكَ، لو صحتْ خرافتك، فمن يمنع المسيح وهو الإله - بزعمك - من أن يقول: أفعل بكم إلخ.

ولو تأملتَ في إنجيل يوحنا، لعلمتَ أنه قد نزه كتابه عن هذا الافتراء، ولو راجعت - ف٢٥ من - ص١١ من إنجيل مرقس، ولاحظت - ف٣ من ص١٧ من إنجيل لوقا، لثبتَ لك الاضطرابُ في مخالفتهما لهذه الترجمة، وإن كانا قد سارا على أثره، والله الهادي.

الإصحاح التاسع عشر

اعلمْ أن هذا الإصحاح تَضمَّنَ من مسائل أصول الدين المسيحي مسألة الطلاق، وقد طنطنت النصرانيةُ في هذه المسألة وشَدَّدوا النكيرَ على مُخَالفيهم، وقد وعدناكَ أيها المسيحي، فيما تقدم، أنْ نُعيدَ البحثَ في هذا الموضع، ونبين اختلافَ المترجم وباقي رواة الأناجيل، أما يوحنا فإنه لم يذكر قضيةَ الطلاق في إنجيله، لا صراحةً ولا إشارة، وعلى ما يظهر من إنجيل لوقا أنه تحاشا عن أنْ يذكرَ من هذا شيئاً سوى ما ذكره في - ص١٦ - ف١٨ بقوله: «كُلُّ مَنْ يطلق امرأته، ويتزوج بأخرى يزني، وكل من يتزوج بمطلقةٍ من رجلٍ يزني» والظنَّ أنَّ هذه الجملةَ مدسوسةٌ على إنجيله، إذْ لا ارتباطَ لها بالكلام السابقَ ولا اللاحقِ، خلافاً لهذا المترجم، فإنه بنى لهذه المسألة سؤالاً وجواباً، وشعبها شعوباً وهضاباً، فلم يبق إلا مرقس الذي لحق بأثر هذا المترجم، وها نحنُ ذاكرونَ لك نص المترجم برمته، ونُرْدِفُه بعبارةِ مرقس، فنقول: قال المترجم - ف٣ «وجاء إليه الفريسيون ليجرِّبُوه قائلين له: هل يحلُّ للرجلِ أنْ يطلق امرأته لكلِّ سبب».

أقول: قولُه «ليجربوه» افتراء، لأنه قد سبق إخباره لهم بأنه جاء مؤيداً للتوراة، ونص على ذلك في مواضع متعددة حتى قال: إن السماء والأرض تزولان ولا يزولُ حرفٌ واحد من التوراة، أي: من أحكامها، وكان منها إباحة الطلاق، فإن قيل: إن المقصود من الاستفهام هنا توضيح مسألة الطلاق فقط دون غيرها، لأن كلامه عليه السلام التبس عليهم، فحصلت لهم الشبهة، وسألوه على الوجه المذكور.

قلت: قد سبق تصريحهُ أيضاً في الإصحاح الخامس، من هذا الإنجيل بمسألة الطلاق، ونادى بها في الهيكلِ بين مجمع من اليهود ورؤسائها، فإذاً هذه التجربةُ لا أصلَ لها، حيث أن الاستفهام لا يقع إلا على أمرٍ مجهول عند المُسْتفهم، ولكن هذا المترجم حرصاً على تحريم الطلاق أكَّد قولَهُ الأول، فهل بعد أن أعلن

وصَرَّح لهم يقال: جاؤوا ليجربوه. وقوله «لكلِّ سبب» أي: جزئي أو كلّي، فالمقصود استيضاح أنه هل يجوزُ الطلاقُ لأدنى سبب وأقل ذنب يصدر من المرأة، فتعاقب بالطلاق الذي هو أشدُّ أنواعِ العقاب، وأعظمُ أصناف الجزاء بالنسبة إليها، فكان الجوابُ منه عليه السلام بالنهي والزجرِ عن الطلاقِ لأقلِّ سبب، كما قال ف٤ - فأجاب وقال لهم: «أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى، وقال: من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه، ويلتصقُ بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً، إذا ليس بَعْدُ اثنين، بل جسد واحد، فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان» انتهى.

وقوله: يترك الرجل أباه وأمه، أي: يتركُ مساكَنَتهما، لمساكنةِ زوجته، وليس المقصود أنه يهملُ أبويه ويعقّهما لأجلها، وقوله: فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان، أي: لا ينبغي للرجلِ أنْ يفارقَ زوجته لأمرٍ جزئي، بل يحسن النية في معاشرتها، ولا يضمرُ لها السوءَ والشرَّ، ولا يعاملها بأوحش الجزاء، ويراعي حقوقها، كما أن من الواجب عليها مراعاة حقوقه وبذل الجهد فيما يُحَبِّبُهَا إليه، ويكون سبباً لرضاه عنها.

والشريعةُ المحمدية أيضاً تنهى عن الطلاق على الوجه المذكور، وقد صَحَّ عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال: «أبغضُ الحلالِ إلى الله الطلاقُ» وقد مر لك هذا البحث في الإصحاح الخامس من هذا الإنجيل، فراجعه.

قال المترجم ف٧: «قالوا له: فلماذا أوصى موسى أنْ يعطى كتاب الطلاق، فتطلق، قال لهم: إن موسى من أجلِ قساوةِ قلوبكم أَذِنَ لكم أنْ تُطَلِّقُوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هكذا، وأقول لكم: إنَّ مَنْ طلق امرأته إلا بسببِ الزنا، وتزوج بأخرى، يزني، والذي يتزوج بمطلقةٍ يزني.

إنني أقول: على فرض ثبوت هذا عن المسيح عليه السلام أن النصارى

جاوزوا الحكم عن حده، فانعكس إلى ضده، فإن عيسى أباح الطلاق بسبب الزنا، وهم تساهلوا في مسألة الزنا خوفَ الطلاق، وأرْخوا العنانَ للزوجاتِ في اتخاذِ الأصحابِ والإخوان، والخلوةِ بالقسِّيسين والرهبان، بوسيلةِ الاعترافِ والغفران، فالمرأةُ تزني وتفعل، ثم تأتي إلى الراهب، فلا يبعد أن يجعلَ جزاءها من جنس العمل، ويزيل الخبثَ بالخبثِ، فتخرج بزعمهم عن كونها زانية بالاعترافِ، فلا يبقى للزوجِ حَقٌّ في الطلاق، وهَلُمَّ جرا.

وحيث انتهى الكلامُ مع الفريسيين، وكان هذا الحكم مما يُوجِبُ الحيرةَ لشدة وطْأته عليهم قال - ف١٠: «قال له تلاميذه: إنْ كان هكذا أمرُ الرجلِ مع المرأة، فلا يوافق أن يتزوج، فقال لهم: ليس الجميع يقبلون هذا الكلام، بل الذين أعطي لهم، لأنه يوجد خصيان وُلِدُوا هكذا من بطونِ أمهاتهم، ويوجد خصيانٌ خَصَاهُمُ الناس، ويوجد خصيان خصوا أنفسَهُم لأجلِ ملكوتِ السموات، مَن استطاع أن يقبل فليقبل. انتهى».

كلام المترجم وعبارة مرقس في - ص١٠ - ف٢ «فتقدم الفريسيون وسألوه: هل يحل للرجل أن يطلق امرأته، ليجربوه» ولم يقل «لكلِّ سبب» ولعلَّهُ رأى طولاً في عبارة الوحي، فاختصرها، وهو أحدُ الاختلافات، ولو ضَممتَ إليه التقديمَ والتأخير في ترتيبِ الألفاظ، لكان اختلافاً ثانياً، ثم قال - ف٣: «فأجاب وقال: بماذا أوصاكم موسى» هذا ثالثُ الاختلافات، لأن المترجم حكى أمرَ الوصيةِ من موسى، على لسانِ الفريسيين، خلاف ما حكاه مرقس هنا، ومع التقديم والتأخير يكون اختلافاً رابعاً، ثم قال - ف٣: «فقالوا: موسى أذِن أن يكتب كتاب طلاق فتطلق» معلومٌ أن المترجم أثبت هذه العبارة، بصيغة السؤال من الفريسيين، وهنا بصيغة الجواب منهم، فيكون خامس الاختلافات، ومع التحريف اللفظي يكون سادسها، ثم قال - ف٥: «فأجاب يسوع وقال لهم: من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية، ولكن من بدء الخليقة ذكراً وأنثى

خَلَقَهما الله». لا يَخْفى أنه أضاف الخَلْقَ إلى غيره، وهو اللهُ الواحد الخالق الحقيقي، والمترجم جرَّد الجملةَ عن ذكرهِ اسمَ الله، وأظنه تَجَنَّبَ وقوعَ الخلل في التثليث، وهذا اختلافٌ سابع، ثم قال مرقس - ف٧ من الإصحاح المذكور: «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه، ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً، إذاً ليسا بَعْدُ اثنين، بل جسد واحد، فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان، ثم في البيتِ سأله تلاميذُه أيضاً عن ذلك» والمفهومُ من المترجم أنَّ وقوعَ السؤال من التلاميذ كان في ذات المجلس الذي سأله فيه الفريسيون، وهذا خلافٌ لمرقس، وهو ثامن الاختلافات.

ثم قال مرقس بهذا الإصحاح - ف١١: «فقال لهم مَنْ طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها» فأسقطَ حكمَ الطلاق، ولم يُعَلِّقْهُ بسببٍ، والمترجمُ جَوَّزَ الطلاق لِعلَّةِ الزنا، وهذا اختلافٌ عاشر، وضم لفظة (عليها) من مرقس حادي عشر الاختلافات، ومرقس زاد في الطنبور رنةً بقوله: - ف١٢: «وإن طلقت امرأة زوجها، وتزوجت بآخر تزني» فإنَّ هذا الحكمَ فات الإنجيليين وسائرَ الأمم وجميعَ الملل، وتَفَرَّدَ به مرقس، ومنحه للأمة النصرانية، فصار عندهم مداراً للعمل، كما ستطّلعُ عليه قريباً، إن شاء الله، وهذا أيضاً من الاختلافات، فيكون مجموعها في هذه المسألة اثني عشر، ولو دَقَّقتَ البحث وتتبعت ما ينشأ من هذه المناقضات، بمقتضى قانون المخاطبات، لاتّسعَ الخرْقُ على الراقع، وتضاعف العدد، والعجب كيف ساغ للوقا أن يهمل مثل هذه الأحكام، وقد ذكر في بدء إنجيله أنه قد تَتَبَّعَ كل شيء بتدقيق، فالظاهرُ أنه قصر فَهْمهُ عن إدراكه، فطواه أو أثبته، ثم محاه، وهذا يوحنا لم يَفُهْ فيه بِبِنْتِ شفة، مع أنه كان من الملازمين للمسيح، وأنه قد تلقَّى إنجيله عنه، بدون واسطة، فكيف يفوته مثل هذا الحكم المهم، فلقد أصبحتم أضحوكةً للعالم، في هذا التناقضِ البَيِّنِ البطلان، لأنَّا لا نكادُ نطّلع على جملة من إنجيل متى إلا ونجد مرقس قد خالفه، ولوقا قد كذّبهما، ويوحنا حكى ضد الجميع، كل هذا ورؤساؤكم تُدافعُ عن هذا

بتمويهاتٍ، يقصدون ترويجَها على العامة منكم، ويقولون: إن هذه الأناجيل هي كما أُنزلتْ من عند الله تعالى، وإنها منزهةٌ عن التحريفِ؛ ومع هذا كله فلا يُفْهَمُ من تلك الرواية أن المسيحَ منعَ الطلاقَ، كما تزعم النصارى، بل مرادُه من ذلك التهديد الشديد لمستبيحه بلا غرض صحيح شرعي، لأن الطلاق في حَدِّ ذاته، بدون غرضٍ صحيح، مذمومٌ عند كافة الملل والأديان، ومن تأمل في قوله «إلا لعلة الزنا» وأنصف، يجد أن قياسَ علةٍ أخرى على علةِ الزنا من الضروري، لأن كراهة أحد الزوجين للآخر مثلاً، إذا لم نقسها على علة الزنا، ونحكم بأنها علةٌ موجبة للطلاق، نُدخلُ الزوجين في خطرٍ عظيم، ونجلبُ عليهما المفاسد الجمة، ودرءُ المفاسدِ مُقَدَّمٌ على جَلْبِ المصالح، إن تُصُوِّرَ هناك منفعةٌ في المنع، ولو تأمل العاقل، لوجد الحق مع لوقا ويوحنا، في عدم ذِكْرِهما شيئاً من ذلك.

ولو تركنا المترجم، وبحثنا مع مَنْ لَحِقَ أَثَرَهُ وهو مرقس في قوله «إن طلقت امرأة زوجها، وتزوجت بآخر، تزني» نجدْ أمراً مضحكاً، وهل للنساء أنْ يُطَلِّقْنَ أزواجَهُنَّ؟! ومن يوم خلق الله الخليقة إلى يومنا هذا ليس للمرأةِ حَقُّ الطلاق في كافة الأديان، فلا شكَّ أن هذا من محضِ الافتراء، وقد صار هذا النصُّ الغريبُ سبباً مستقلاً لتساوي النساء والرجال في مسألة الطلاق، إذ بينما كان المسيحيون محجوزين عن الطلاق تسعة عشر جيلاً، أخذوا في الترقِّي المدني وهو إباحة الطلاق للرجل، إذا رأوه من الضروري، فلا بد وأن يكونوا تأملوا النصَّ الإنجيلي، فرأوا أن الحق بخلافه، فكذَّبوه ضمناً، وبعد أنْ جرى التعامل على خلاف ما كانوا عليه، أخذت نساؤهم في الدعوى عليهم، بمقتضى نَصِّ مرقس هذا، وطلبن التساوي في المسألة، فقرر المؤتمرُ الدينيُّ جوازَ طلاقِ النساء لرجالهن، فاستنوقَ الجملُ، واستفحلتِ الأُنثى، وليتهم أقاموا على ضلالهم القديم، فكان أوْلى لهم! والبليَّةُ كلُّ البلية من هذا النص المفترى، حيث أن النساء تمسَّكْنَ به، وجَعَلْنَهُ قاعدةً لما ادَّعينه من الحكم بالمساواة، وقد خالف هذا المؤتمرُ الديني، بتسليطِه النساءَ على الرجال، قولَ قِدِّيسكم بولس، فأصبحتم

تكفرون ببعض أقواله، وتؤمنون ببعض، لأنه قال في - ف١٢ من الإصحاح الثاني من رسالته الأولى إلى تيموثاوس «لستُ آذنُ للمرأة أن تعلّم، ولا تتسلّط على الرجل، بل تكون في سكوت» وتكرر هذا المعنى في سائر رسائله، فراجِعْهُ إن أردتَ المزيد، وهذا فضلاً عما ورد في التوراة والإنجيل، من هذا القبيل.

وحيثُ أننا وعدناك غير مرة، أن نذكر لك بعضاً من أسرار محاسن الطلاق، لتكونَ على بصيرةٍ من أمرك، فنقول: إن الأسبابَ والعلل لإباحةِ الطلاق لا يكاد يُحصيها الإنسانُ، وأدناها في المرتبة سوءُ أخلاقِ المرأة، أو أنْ تكونَ معلولةً بمرض خفي، يتسبب منه للزوج ضررٌ، أو تكون سارقةً، أو مسرفة، أو فاسدة الدين، أو ممن توادد الرجال، أو تكون عاقراً، أو بعكسِ جميعِ ذلك في الزوجِ، وفي الأمرين يَتَسَبَّبُ من ذلك بغضُ بعضِهما لبعضٍ، وتقع النُّفْرةُ بينهما، فإنْ أمسك عليها، فيلزم أن يقيما على كُرْهٍ، ويكون قد أضرَّ بها، أو أضرت به إلى أن يموت أحدهما، فالطلاقُ إذاً أرفقُ بحالهما وأعدل بينهما، بل هو رحمة لكليهما.

والملة الإسلامية صراط عَدْلٌ سَوِيٌّ، قضت بإباحةِ الطلاق لدرءِ تلك المفاسد، وحسمِ هذا الضرر، وقمعِ شوكة تلك الشرور، ومن تأمل وأنصف في التأمل، يرى هذا الأمر جلياً عن الإيضاح غنياً عن بيان الشُّراح، وفيما ذكرناه كفايةٌ لك، وإنْ كان قليلاً من كثير، فإنَّ جميعَ ذلك وأمثاله في صفحاتِ تواريخِ العالم مَسْطورٌ، وفي صحفِ الأخبارِ منشور.

ثم إن أعظم من تلك المفاسدِ كلها الوقوع في الزنا من كلا الزوجين، لأنهما إن أقاما على ما سطرناه من الأحوال أقاما على كُرْهٍ، وأمسكا على ضرر، والنوع البشري لا يتحمله، فلم يكن لهما إلا أنْ يقعا في الزنا. وانظر إلى رجال أوروبا من القسم الذين لا يقولون بإباحته، وهم بزعمهم يريدون أن لا يتلوثوا به، كيف يأخذون امرأةً ثانية خلاف الزوجة الشرعية، ويجعلون لتلك المرأة الثانية مقاولةً

مخصوصة، في مدةٍ معينة، وأنه يختص بما يأتيه منها من الأولاد، بالذكورِ خاصة، وتختص هي بالإناث، وإن هذا الولد المسكين الذي هو من نسل هذا الرجل الشريف الذي يتحاشى بزعمه عن الزنا لشرفه، وفِعْلُه هذا عينُ الزنا، ليس له حكم أولادهِ من الزوجةِ الشرعية، والغالب يمنعون حبل المرأة بأسباب موحشة، ولو تتَبَّعنا سوآت القوم، بسبب منعهم الطلاقَ الذي هو من تمام نظام العالم وقوام أمر الدنيا، لسَوَّدنا الصحفَ، ويكفي في ذلك أن مَنْعَه يكونُ سبباً مستقلاً للزنا ولتلك الشرور التي هي ثمرة تمدّن القوم، مع أنهم بمعزلٍ بعيد عن التمدن، ويكفيكَ ما يترتب على تكليف هذين الزوجين من سوء القضاء عليهما بالمحال، وذلك بأنْ يجتمعا، ولا يفترقا حتى الموت، ويتفقا ولا يختلفا، وأن يشاءَ أحدهما ما يشاؤهُ الآخر، ومهما تَبايَنا في الأخلاقِ، واختلفا في الوفاقِ، واستحكمتْ بينهما البغضاءُ والشقاق، فلا تَنَصُّلَ للرجل والمرأة من هذه الربقة، ولا فكاكَ لهما من هذا الاسترقاق، فيكون ذلك من الظلم عليهما.

ولربما تَدَّعي أيها المخالفُ أن اختبار أخلاق الزوجين بعضهما بعضاً، قبل أنْ يتمَّ عقدُ النكاح بينهما بمدة طويلة، مانعٌ عن وقوع ما ذكرناه، فنقول: إن هذا منقوضٌ بما يعتري أخلاقَ الطرفين من التغير، وزِدْ عليه الحوادث الطارئة والأعراض البشرية الطارئة على البُنية الإنسانية، مع أن الاختبار الحاصل بالاختلاط هو عينُ الفساد، فيتسبَّبُ من ذلك نوعٌ من العشق، ولا يلبث أنْ يذهب ذلك الحبُّ إثرَ تواصلهما، وهذا مشاهدٌ معلوم في أوروبا، لا يُنْكِرُه إلا الجاحدُ للحق، ثم إن عندنا معاشرَ المسلمين أن الطلاق، وإنْ كان مباحاً إلا أنه مذموم، وهو أبغضُ المباحات إلى الله تعالى، وإنما أنْ يكون مباحاً إذا كان ثَمَّ داعٍ ضروري وعذرٍ شرعي من أحد الجانبين، فيكون الطلاقُ بصورةٍ سالمةٍ من الغدر والمنكر، كما قال تعالى ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة] ولعلك تقول: قد قضيت بجميع ذلك للرجلِ، وتركتَ جانب المرأة مهملاً، وهي أَحَقُّ بالنصرة من الرجلِ، فنقول: إنَّ الشريعةَ الغراء أمسكتْ بجانبها كما أمسكت

بجانب الرجل، فللمرأةِ أن ترفعَ أمرها للحاكم، وله أنْ يفسخَ نكاحها منه، عندما تثبت لديه الأسبابُ الموجبة لفسخ النكاح.

والحاصل أن من تتبَّعَ أحكامَ الطلاق عندنا، يجد العدلَ البحت والصراط السوي، كما أسلفنا، ولو أردنا بسط ذلك، لخرجنا عن المقام، ومن أنصف وتأمل في الكتبِ الموضوعة لهذا الشأن، يجد أن للزوج محض الإطلاق، ولا حَجْرَ على الزوجةِ ولا استرقاقَ، كما يتوهمه بعضُ جَهلَةِ النصارى، في الطلاق، وقد اعتبره مَنْ كان مخالفه، وحَذَا حذوه مَنْ كان جاحده، وهم أممُ أوروبا كالبرتستانت والأرثوذكس، في جميع المعمورة وطائفة الكاثوليك المقيمة في فرانسا وإيتاليا، ولقد وضح لها الحق في هذا الأمر، وظهر لها وجهُ الصواب فيه، فاتَّخذتهُ شريعةً، وقررت حكمَ العملِ به في أكثر البلاد المتمدنة، حتى صار لإحصاء المطلَّقاتِ دفترٌ رسمي عند حكام تلك الفرق، وأخذت صحف الأخبار الشهيرة تروي ذكر ذلك العدد علناً، عن التبليغات الرسمية، لتستنيرَ باقي الفرق النصرانية بنور ذلك المصباح، حتى إنه بلغ عدد المطلقات في فرانسا كما في «جرنالها» الرسمي في مدة خمس سنين (١٧١٧٧) وذلك من سنة ١٨٨٣ إلى سنة ١٨٨٨ وعليه إنَّ ما تناسلَ من الزنا، في الفرق النصرانية، من يوم حكم المتدلسون بمنع الطلاق إلى الآن، فإثمه على الذين ابتدعوه، وإني لأستحي أنْ أُحَرِّرَ في كتابي هذا إحصاآت أولادِ اللقطة في الأمم التي تَدَّعي التمدن من بلاد أوروبا، ويكفيكَ أنَّ الأمة الفرنساوية جمعت في وقت ما مِنْ هؤلاء الأولاد ثمانين ألفاً من العسكر، وهذا أكثره متسببٌ عن منع الطلاق، وبعضُه من عدم جواز تعدد الزوجات، والمسيحي كما ظلمَ نفسَهُ بمنعِ الطلاق، كذلك ظلم نفسه بعدم جواز تعدد الزوجات، ويكفي هذا المسيحي المسكين أنْ يقرأ في عهده العتيق من أسفار الأنبياء تَعدُّدَ زوجاتهم، أفلا يرضى أنْ يكون له أسوةٌ حسنة بالأنبياء والمرسلين، وما تعرضنا لذكر هذه المسألة إلا لما يوجهه بعض عقلائهم علينا من الطعن في ذلك، ويعدُّونَ مسألةَ تعدد الزوجات من الظلمِ للمرأة،

وفاتهم العلمُ بأنه موافقٌ لحكمةِ الله تعالى في بقاء النوع الإنساني، لأجلٍ معلوم في هذه الدار.

ومن البيِّنِ المعلوم أنَّ الحرارة الغريزية المقتضية للجماع والقوة البدنية في الرجال أكثر منها في النساء، وهكذا كل ذكر من سائر الحيوانات، فهو أقوى من الأنثى، حتى إنَّ الفحلَ الواحد منها يكفي لعدد كثير من الإناث، كما هو مشاهد، وليس للمرأةِ طاقة للرجل، ولذا يسرع فيها الهرم والشيخوخة، بحيث ينقطعُ حيضها، وتضمحل قوتها، إذا جاوزت الخمسين، ولم يبق فيها ما يجلبُ الميلَ إليها، بخلاف الرجال، فإن فيهم مَنْ لا تزول قوته، ولو جاوز التسعين، ثم إن في الرجال مَنْ لا يصبر عن الجماع يوماً واحداً، بل فيهم مَنْ لا يقنعُ بمرة أو مرتين في كل يوم، والمرأة لا تخلو عن عوارض تحول، وموانع كثيرة الحصول، كالحيض والنفاس والمرض ونحوها، فإذا هاجت شهوةُ الرجل الكثيرِ الشَّبقِ القليلِ الصبرِ، لا يُؤْمَنُ عليه أن يقضي حاجته بالزنا الذي يترتب عليه من المفاسد والمضارّ ما هو معلومٌ لدى كل مُنْصف، ثم إنَّا لو نظرنا إلى مقادير هذين الصنفين في جميع الأقطار، ترى أن عدد النساء، ولا سيما في بلاد الإفرنج، أضعاف عدد الرجال، فنجد في كثير من البيوت نساء كثيرة، في عُهدةِ رجلٍ واحد، ثم أيّ خطر في التعدد، وماء الرجل محفوظٌ فيه، إذ لا يشاركه فيهن أحد، مع ما في ذلك من كثرةِ الأولاد ووفور الذرية وبركة النسل، وجوازُ التعدد إنما يُباحُ للحاجة، وإمكان العدل بين الزوجات، وإلا فلا يجوزُ كما قال تعالى في القرآن المجيد ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴿٣﴾﴾ [النساء] فَنصَّ سبحانه على أنَّ الرجل إذا خافَ أنْ لا يعدلَ بينهن، عند التعدد، لا يجوزُ له ذلك.

والأعجبُ أن الرؤساء[١] منهم لا يباح لهم الزواج، بل هو حرامٌ عليهم، ويدَّعون فيهم العصمةَ، وهم على ما هُمْ عليه من هذا الجهل، لم يبالوا بما

---

(١) أي رجال الدين من القُسس والخَوَرة والآباء.

يطّلعون عليه من فضيحتهم، وقد نشرت الصحف الأورباوية أخبارهم، ودَوَّنَتْ ما صدرَ عنهم من ارتكابِ الفواحش، بسبب ذلك، حتى أن البعض، ممن اعتنى بكشفِ أخبارهم، خَصَّهُمْ بالتأليف، ولا بأس أن نذكر لك من تأليفاتهم أسماء البعض، من الذين ارتكبوا الفواحش خصوصاً الرؤساء، ومن أعظمهم البابا لأنه رئيسُ الرؤساء الدينية، فيكون مَنْ هو أدنى منه مرتبة من باب الأولى في الارتكاب.

ومَنْ نظر في الكتب التاريخية المليّة التي ضبط مؤلّفوها وقائعَ الرؤساء النصرانية، وما نقلوه عنهم من الفجور، عَلِمَ أن السبب الوحيد في ذلك حَجْر أنفسهم عن الزواج، حرصاً على نيل المراتب التي تجعل الرهبانية سُلّماً لارتقاءِ ذروتها، وقد نقل محرر «الجوائب» في كتابه «الفارياق» من ذلك ما يمنعنا الحياءُ من ذِكْرِه، ولا حَرَجَ أن نأتي بالنزر اليسير منه، ليعلم المطالعُ صِدْقَ دعوانا.

قال في الكتاب المذكور: إن البابا سرجيوس كان قد استوزر ثاودورة أم ماروزيا التي تزوجت بمركيز طوسكاني، وإنه أي البابا أولد ماروزيا هذه ولداً، رباه عنده داخل قصره، وإن يوحنا الثاني عشر المسمى أكطافيانوس كان خليعاً ماجناً، وقد انعقد للدعوى عليه مَجْمعٌ، حضر فيه البابا هذا بنفسه وكثير من أمراء جرمانية وورومية وأربعون أسقفاً وسبعة عشر كردينالاً، وذلك في كنيسة ماربطرس، وقُصّت الدعوى على البابا بحضرتهم أجمعين من أنه فَسَقَ بعدةِ نساء، وخصوصاً إيتنت التي ماتت وهي نفساء، وأنه قَلَّدَ مطرانيةَ طودى لغلام، كان سنه عشر سنين، وغير ذلك مما أوجبَ على الإمبراطور خلعه ونصب ليو الثامن في مكانه، وأخيراً هذا البابا يوحنا الثاني عشر قُتل وهو معانقٌ لامرأةٍ، وكان القاتلَ له زوجُها.

ومنها: أن البابا غريغوريوس السابع عقد مجمعاً في رومية على آنري الرابع سلطان جرمانية، وقال فيه: قد خلعت آنري عن ولايته النمسا وإيتاليا، وأعفيتُ

جميع النصارى من الطاعةِ له، ونقضت عهدهم له، فاضطر آنري هذا إلى الذهاب إلى رومية، فلما قدم على البابا، وجده خالياً بالكنتس ماتليدة في كانوزا، وأن البابا إينوضت الرابع عقد المجمع الثالث عشر على الإمبراطور فريدريك الثاني، وحكم عليه بكفرِه، فناضل عن الإمبراطور خطباؤُه وحزبه، ورَدُّوا على البابا بأنه افتضَّ بنتاً، وارتشى غير مرة، وأن البابا اكليمنضوس الخامس عشر كان يجول في فينّا وليون لجمع المال، ومعه عشيقته، وأن البابا يوحنا الثالث والعشرين شُكِيَ بأنه سَمَّ سَلَفَهُ، وباع الوظائفَ الكنائسية، وأنه كان كافراً ولوطياً معاً، إلى غير ذلك مما يضيقُ عنه الكتاب، فإني لم أضعه للتنقيب على رؤساء دين النصرانية، لأنني أعذرهم ما داموا غير محصنين، وإنما أوردتُ ذلك على سبيل الاستطراد، لأجل إثبات الضرر من منعِ الرؤساءِ عن الزواجِ ومن منع الطلاق.

وقد أضحكني صاحب «الفارياق» في حكايته التي سماها: قسيس وكيس وتحليس وتلحيس، فراجعها إنْ شئت، وقد ذكر في مواضع من كتابه المذكور أحوالَ الفاجراتِ في أوروبا حتى إنه حكى غير مرة عن أهالي مدينة باريز أن في المئة ثمانين منهم يأتون العاهرات، وأن المتزوجين بالزواج الشرعي منهم أقل قليل، بحيث لا يزيدون على نصف الربع، وجميع ذلك منشؤهُ ما ذكرنا، وقد أخذت الآن البلادُ المتدنة تحذو حَذْوَ المسلمين في أمر النساء، فنرجو أن تَخفَّ وطأةُ الزنا فيهم.

وقد بلغني أن بعض الجرائد الإفرنسية كتبت في هذه الأيام أن مجلسها البلدي أخذ يتفكر في تدبير ما يحسمُ هذا البلاءَ الذي تسبب منه نقص في ميزانية المواليد، لأنَّ الفاجرةَ تتعاطى ما يمنع عنها الحبل، وما حكاه صاحب «الفارياق» من ازدياد الفحش في فرانسا، لا شك أنه يتسبب منه نقصٌ في المواليد، هذا ونحنُ لا نَدَّعي العصمة فينا وفي سائر الأمم، ولكن الشرَّ أهونُ في غير النصارى، ولو تتبعتم ذلك في الملل وخصوصاً الملة الإسلامية لوجدتم الغالب

صدوره عَمَّنْ يقتدي بالعاداتِ النصرانية، فهم مفتاحُ الشر، وقد أعلن القديس بولس بوقوع الفحشاء وصدوره من الأمة النصرانية، وما ذلك إلا لمنعِهم الطلاقَ وتحريمهم تعددَ الزوجات ومنع الزواج على الرؤساء، فقال في الإصحاح الأول - ف٢٦ من رسالته لأهالي رومية «لذلك أَسْلَمهُمُ اللهُ إلى أهواءِ الهوان، لأن إناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة، وكذلك الذكور أيضاً تاركين استعمال الأنثى الطبيعي، اشتغلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلينَ الفحشاءَ ذكوراً بذكورٍ، ونائلين في أنفسهم جزاء ضلالهم المحق» انتهى.

ولم نَرَ مُجيباً ولا سامعاً لخطابه، مع أنَّا لم نر في الإنجيل على تحريفِهِ بمقتضى أهوائهم، نصاً يمنعُ الرؤساءَ عن الزواج، وهذا زعيمهم وقديسهم بولس يقول في - ص٣ - ف٢ من رسالته الأولى إلى تيموثاوس «فيجب أن يكون الأسقف بلا لَوْمٍ بعلَ امرأة واحدة» إلى أن قال في الرسالة المذكورة - ف١٢ «ليكن الشمامسةُ كُلٌّ بعلَ امرأةٍ واحدة» انتهى.

فإذا علمتَ ذلك، فهمتَ من تحريمهم الزواجَ على أنفسهم، أنهم أرادوا به غرضاً آخر، وما أسرعهم لمخالفةِ المسيح عليه السلام واتباع أقوال بولس، وما أبعدهم عن اتّباعِ الحق في أقوال بولس الموافقة للتوراة والإنجيل، وهيهاتَ أنْ يسمعوا، وقد صُمَّتْ آذانهم، وقست قلوبهم.

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حياً ... ولكنْ لا حياةَ لمن تنادي

ولنعد للبحث عن باقي الإصحاح، قال المترجم - ف١٦: «وإذا واحد تقدم وقال له: يا أيها المعلم الصالح: أيّ صلاحٍ أعملُ لتكونَ لي الحياةُ الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالحاً إلا واحد، وهو الله» انتهى.

أقول: لقد نصح المسيحُ سائِلَه، وهذا النصُّ أيضاً من البراهين الدالة على إقرارِهِ بعبوديته لمولاه، ولن يستنكفَ المسيحُ عليه السلام أنْ يكونَ عبداً لله،

وفرارهُ عليه السلام من نِسبةِ الصلاحِ لنفسه حال كونه من نخبة الصالحين، لا يُرَادُ منه نفي الصلاحِ عنه، ولكن أراد أنَّ الكمالَ لا يكون إلا للباري تعالى وحده، وهذا من البديهي إذ ليس في الوجود مَنْ يُوصَفُ بالكمال إلا الله؛ ثم إنَّ مقامَ النبوة مقامُ تعليمٍ وإرشاد إلى مكارم الأخلاق، ومن أَجلِّها التواضعُ، وهنا بطلت دعوى النصارى القائلين بالمعادلة والتساوي بين المسيح وخالقه، كما صرحوا بذلك برسالتهم المسماة (المسيح أم محمد) ولو كان كما قالوا، لما كان معنى لإقراره عليه السلام بأنه عبدُ اللهِ خالقِهِ ومولاه، ونفي الصلاح عن نفسه بالنسبة إلى كمال الله تعالى، وقد ذكر هذه الجملة والتي بعدها لوقا ومرقس، وأظنُّ أنها لم تَمسّها أيدي المُحَرِّفين، لكن العجب من يوحنا، فإنه نقضَ ذلك بقولِهِ في ص١٠ - ف٧: «فقال لهم يسوع أيضاً: الحق أقولُ لكم إني أنا باب الخراف، جميع الذين أتوا قبلي سُرَّاقٌ ولصوص»[١] إلى أن قال ف١١: «أنا هو الراعي الصالح» انتهى.

ولا يشك العاقل في أن هذه الجملة من أعظم التزوير على عيسى عليه السلام، على أنَّ هذا الافتراء يهدمُ أركانَ العقيدة النصرانية، ويقلعها، لأنه يستلزم أن يكونَ الذي يعتقدونه إلهاً قد أرسلَ لِخَلْقِهِ أنبياء لصوصاً وفساقاً. ومَنْ كان ذا لُبٍّ فليتعجب.

ثم قال المترجم ف٢٨: «فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد، متى جلس ابنُ الإنسان على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً، تدينون أسباطَ إسرائيل الاثني عشر».

---

(١) كيف كان الإتيان؟ ومَنْ هم الذين أتوا قبله؟ هل هم مُرْسَلُون؟
وبالتأكيد سيكونون بشراً، ووصفهم بأنهم سُرَّاق ولصوص، ينفي عنهم أنهم كانوامُرْسَلين؟!
وإذا كان الذين أتوا قبله آلهة، فالآلهة لا تتعدد، والآلهة لا تكون من السُّرَّاق واللصوص!؟
إذنْ لا بُدَّ أن يكون المُرْسَلُ بشراً رسولاً صادقاً أميناً...

هذا من غريب الأمور وعجيبها، ونحن نُجِلُّ المسيحَ سلامُ الله عليه من أن يتكلم بمثل هذه الكلمات الباطلة، لأنَّ الحكمَ في يوم الدين لله تعالى وحده، وإذا جاز أنْ تكون التلاميذُ شركاء في الحكم يوم الآخرة، جاز لغيرهم ما جاز لهم، على أنَّ بعض فرق النصارى يقولون بتفضيل بولس على بعض الأنبياء، وبعضهم يُفَضِّلُه على بطرس، لأنهم حكموا على بطرس بالردة، وأن بولس قديس، فينتج من الأول تعدد الشركاء في الحكم يوم الدين، والحكم يومئذٍ لله، وينتج من الثاني جهلُ المسيح ما يتم في إيمان تلاميذه.

والحاصل: أن مثل هذا الكلام من الجهل المركب، وهذا المترجم يفتري، ولا يدري ما يقول، فكما خبطَ في أمرِ مفاتيح السموات وتسليمها لبطرس، وأنَّ له التصرف في ملك الله تعالى، يحلُّ ويربط، وكذلك أراد هنا أن يجعل التلاميذ شركاء لمالك يوم الدين، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، مع أن مرقس ولوقا اللَّذَيْنِ تبعاه في أكثر مضمون هذا الإصحاح، لم يذكرا حرفاً واحداً من هذه الجملة، ثم إن الإرسالية المسيحية يقولون في رسالتهم المسماة (المسيح أم محمد) إننا متفقون مع المسلمين على الاعتقاد بوجودِ إلهٍ واحد واجب الوجود.

فلا نعلمُ ما معنى هذا الاتفاق مع ما نراهُ من الاختلاف الكلي الذي لا ينطبقُ على قانون أبداً، فهل بعدَ جعلِ المسيح إلهاً، وجعل التلاميذ شركاءه في الحكم يوم الدين، يقال: إن النصارى متفقون مع المسلمين على توحيد الله، وهم لم يتفقوا بَعْدُ على توحيد عيسى؟!

ثم قال المترجم ف٢٩: (وكل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي، يأخذ مئة ضعف، ويرث الحياة الأبدية) انتهى.

اعلمْ أنَّ لمرقس ولوقا في هذه الجملة اختلافاً كبيراً، حتى ناقضا المترجمَ في

المعنى واللفظ، لأن عبارة مرقس كما في ص١٠ - ف٢٩ - هكذا: «ليس أحد ترك بيتاً وإخوة أو أخوات أو أبا أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً لأجلي ولأجل الإنجيل إلا ويأخذ مئة ضعف الآن في هذا الزمان (إلى أن قال) وفي الدهر الآتي حياة أبدية» ولوقا في ص١٨ - ف٢٩ - قال: «أن ليس أحد ترك بيتاً أو والدين أو إخوة أو امرأة أو أولاداً من أجل ملكوت الله إلا ويأخذ في هذا الزمان أضعافاً كثيرة، وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية».

فيا أيها المنصفُ: انظر لهذا الاختلاف البيِّنِ وأنت تزعمُ أنْ لا اختلافَ ولا تناقضَ، وأمامك نصوصُ الأناجيل الثلاثة إلا إنجيل يوحنا، فإنه لم يذكر من هذا البحث حرفاً واحداً، وقد التزمت لك تفصيل تلك الاختلافات، ليتضح لك الأمر، قال المترجم «بيوتاً» وأقله ثلاثة، ومرقس ولوقا «بيتاً» وقال المترجم ومرقس «إخوة وأخوات» ولوقا قال «إخوة» فقط، ولم يذكر الأخوات، وقال المترجم ومرقس «مئة ضعف» ولوقا قال «أضعاف» فقط، ولم يبين العدد، وقال مرقس ولوقا «يأخذ في هذا الزمان» أي في الدنيا، والمترجم لم يذكر ذلك، وقال: وفي الدهر الآتي، والمترجم لم يذكر ذلك أيضاً، بل قال: الحياة الأبدية فقط، وقال المترجم «من أجل اسمي» ومرقس ولوقا لم يوافقاه على ذلك، وهما أيضاً قد اختلفا بينهما، فقال مرقس «لأجلي ولأجل الإنجيل» وقال لوقا «لأجل ملكوت الله» واختلفوا أيضاً بينهم في الألفاظ وترتيب الكلام وتركيبه، وعند المطالعة يتبين للمتأمل، وذلك لقوله في الإنجيلين «أباً وأماً»، وفي الإنجيل الثالث قال: «والدين»، وهلم جراً، فإذا علمتَ ذلك، فيجب أن تنصفني أيها المعاندُ في الأمور البديهية، فهل يقالُ بعدما ذكرته لكَ أن هذه الأناجيل إنجيلٌ واحدٌ مُلْهَمٌ من الله؟!

ثم تأمل لقول مرقس والمترجم: «مَنْ ترك امرأة يأخذ مئة ضعف في الدنيا» ولوقا يقول: «من ترك امرأة يأخذ أضعافاً في الدنيا» فليت شعري: لو ترك امرأته

هذا المسكين، كيف يأخذ مئة ضعف أو أضعاف ما تركه، وبولس والمترجم لا يُجَوِّزونَ له أخذَ امرأتين فضلاً عن المئة، ألهذا الكلام يقال إنه وحيٌ من الله؟! أيقالُ لهذا التناقض أنه مقدس عن التحريف؟!.

فسامحونا إذا حكمنا على هذه برمتها أنها من الكذب الفضيح والمفتريات على المسيح، وهي بنفسها تشهدُ على نفسها بأنها مصطنعة.

ثم قال المترجم في - ف٣٠ - وهي ختام هذا الإصحاح: «ولكن كثيرون أولون يكونون آخرينَ وآخرون أوَّلين».

والله لقد وضحَ الصبحُ برغم أنفِ المترجم، ونطقَ بالحقِّ من حيثُ لا يدري، لأنه يستدل من هذه الجملة على فساد عقيدة النصرانية بقوله «أولون يكونون آخرين» أي اليهود والنصارى، بينما كانوا أولين صاروا آخرين، وذلك بفساد عقائدهم، وقوله «آخرون أولين» فهذه الجملةُ القاطعة على فلاحِ المسلمين وكونِهم على الحق ثابتين، إذْ هُمْ آخرُ ملة من المللِ الكتابية.

(تنبيه) هذه الجملة متعلقة بالبحث الآتي في الإصحاح العشرين، وليس من المناسب ذِكْرُها هنا، وذلك لارتباطها بمثل الكَرَّام ارتباطاً كلياً، ولكن ما الحيلةُ مع هذا المترجم حيث ترجمها، وهو لا يشعرُ ما هيَ، وسوف نتكلمُ إنْ شاء الله تعالى على تمام هذا البحث في الإصحاح الآتي مفصلاً، بما يروي منه غليلك، ويشفي عليلك.

الإصحاح العشرون

قال المترجم ف١: «فإن ملكوتَ السموات يشبه رجلاً رَبَّ بيتٍ، خرج مع الصبح ليستأجر فَعَلَةً لكرمه، فاتفق مع الفَعَلةِ على دينار في اليوم، وأرسلهم إلى كرمه، ثم خرج نحو الساعة الثالثة، ورأى آخرين قياماً في السوق بَطَّالين، فقال لهم: اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم، فأعطيكم ما يحق لكم، فمضَوا، وخرج أيضاً نحو الساعة السادسة والتاسعة، وفعل كذلك، ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج، ووجد آخرين قياماً بطالين، فقال لهم: لماذا وقفتم ههنا كُلَّ النهار بطالين؟ قالوا له: لأنه لم يستأجرنا أحدٌ، قال لهم: اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم، فتأخذوا ما يحقُّ لكم، فلما كان المساء، قال صاحبُ الكرم لوكيله: ٱدْعُ الفَعَلَةَ، وأعطهم الأجرة مبتدئاً من الآخرينَ إلى الأوَّلين، فجاء أصحابُ الساعة الحادية عشرة، وأخذوا ديناراً ديناراً، فلما جاء الأولون، ظنوا أنهم يأخذون أكثر، فأخذوا هم أيضاً ديناراً ديناراً، وفيما هم يأخذون يَتَذَمَّرُوا على رَبِّ البيت قائلين: هؤلاء الآخرون عملوا ساعةً واحدة، وقد سَاوَيْتَهُمْ بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر، فأجاب وقال لواحدٍ منهم: يا صاحبُ! ما ظلمتك، أما اتفقت معي على دينار، فخذ الذي لك، واذهب، فإني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك، أوَ مَا يحلُّ لي أنْ أفعلَ ما أريدُ بمالي، أم عينك شريرة؟! لأني أنا صالح، هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين، لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون» انتهى.

أقول: قد تقدم القولُ على ف٣٠ - من خاتمةِ الإصحاح التاسع عشر، وأنَّ مرادَ المسيح بالآخرين الذين يكونون أولين: الأمة المحمدية، لأنها أتتَ آخرَ الأمم، كما أنَّ نبيها خاتم الأنبياء، ولا نبيَّ بعده، فهم الآخرون زمناً والسابقون الأولون دخولاً إلى الجنة، وما ذلك إلا لثباتهم على الإيمان، وقولهم بتنزيه الباري تعالى؛ وقد جاء هذا المثلُ من المسيح عليه السلام تأييداً لما تقدم،

وإخباراً على طريق المعجزة، لأنه عَلِمَ بالوحي ما سيكونُ بعده، وأشار إلى الأمة الإسلامية بأنهم كَفَعَلَة الساعة الحادية عشرة، ويُصَدِّقُ دعوانا هذه مَنْ كان عنده بعضُ الإدراكِ والفهم لما يقرأ من كتاب الله تعالى، أخبرنا فيه بأن المسيحَ بشَّر، بين قومه، بمحمد صلى الله عليه وسلم، كما سبقه موسى عليه السلام فبشَّر به في التوراة، وسيأتي لهذه البشاراتِ التي وردت في التوراة والإنجيل فصلٌ، نستوفي فيه الكلام في الإصحاح الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر من إنجيل يوحنا، فراجعه.

والمسيحُ عَبَّرَ عن الدنيا بيوم، وعن الأُمم بالفَعَلةِ، وذكَرَهم على حسب ظهور أنبيائهم في عالم الدنيا، فكنا نحن معاشر المسلمين فَعَلةَ آخرِ ساعة، لأننا أمة آخرِ رسولٍ، وهو خاتمُ الأنبياء ونبي الساعة، فإن قيل: من أين لكم أن تكونوا من الآخرين الأولين؟ فنقول: إن المسيح سلام الله عليه كفانا مُؤنةَ الجواب، لما بيَّنه من المثلِ بربِّ الكَرْمِ، وأن الفضل بيد الله، يؤتيه من يشاء، كما أن صاحب الكرم ليس للعاقل أنْ يُعارِضَهُ، لأنه يتصرفُ في مُلْكِه كيف يشاء ويختار، بدون معارضٍ ولا مزاحم.

ثم من المعلوم لمن تأمل في سِيَرِ الأمم السالفة في أديانهم وإيمانهم حال وجود الأنبياء بينهم، وبعده من لدُنْ آدمَ إلى ظهورِ الإسلام، يجدهم لم يثبتوا على الإيمان بعد فقْدِ نبيهم، فهذا موسى سلامُ الله عليه أُرسِلَ إلى بني إسرائيل بالتوراة، فقالوا له: اجعلْ لنا إلهاً كما لهم آلهة، وعبدوا العجل، مع أنه بين أظهُرهم، وكذبوا الأنبياء بعده، وقتلوا البعض منهم، واستمروا على ضلالهم إلا القليل منهم، وهذه الأمة المسيحية لم يمض عليها جيلٌ واحد، من رفع المسيح، حتى جعلوه إلهاً، وقالوا بصَلْبه، ثم لعنوه، وجعلوا الإلهَ الواحدَ ثلاثة، والإنجيلَ الواحد أربعة، بل مئة إنجيل، وأدخلوا فيه ألفاظاً تقشعرُّ منها الجلود، كقولهم عن الأنبياء: إنهم لصوص، والإنجيل أحذية، وقولهم: إن الإله صُلِب مُحَقّراً بيد

اليهود، تعالى الله عما يقولون عُلُوّاً كبيراً.

وأما الأمةُ المحمدية فكانت أسرع الناس إجابةً لداعي الحق، فآمنوا بخاتم الأنبياء، وثبتوا بعده على الدين كما شرع لهم، ولم يشركوا مع الله أحداً، ونَزَّهوه تعالى كما يليق بجلال كبريائه، واحترموا أنبياء الله كما أمرهم الله تعالى، فلم يرموا أحداً منهم بنقصٍ كما فعلت الأممُ من قبلهم، بل آمنوا بهم، وقالوا بعصمتهم؛ وقد أخبر الله تعالى، على لسان الصادق الأمين، بأنَّ هذه الأمةَ شهداءُ على الأممِ كافةً يوم القيامة، فكانوا خيرَ أمةٍ أُخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فهم الآخرون ظهوراً والسابقون حبوراً وسروراً، في الدار الآخرة.

ومَنْ تَأَمَّلَ - ما أورده متى عن عيسى في ص٨ - ف١١ بقوله: «إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب، ويَتَّكِئُون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السموات، وأما بنو الملكوت فيُطْرَحون إلى الظُلْمة الخارجية، هناك يكونُ البكاء وصرير الأسنان» انتهى.

وأورده لوقا في ص١٣ - ف٢٨ - بقوله: «هناك يكون البكاءُ وصرير الأسنان متى رأيتم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وجميع الأنبياء في ملكوت الله، وأنتم مطروحون خارجاً، ويأتون من المشارقِ والمغاربِ ومن الشمال والجنوب، ويتكئون في ملكوت الله وهو ذا آخرون يكونون أوَّلينَ، وأولون يكونون آخرين».

- عَلِمَ يقيناً أن ما أشرنا إليه هو الصحيح والحق الصريح، وما عليه النصارى من الضلال افتراءٌ فضيح، لأنَّ عيسى سلامُ الله عليه ذكر الأمة التي أرسله اللهُ إليها بقوله: «وأما بنو الملكوت فيطرحون في الظلمة» فلم يبق سوى الذين يأتون من المشارقِ والمغارب، أي الذين ليسوا من بني إسرائيل ولا من المسيحيين، بل غُرباء، ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ولم تأت أمةٌ مؤمنةٌ بكافةِ الأنبياء

من المشارق والمغارب سوى الأمة الإسلامية، ومَنْ رجع إلى تاريخ الأمم، ونظر في انتشار الإسلام شرقاً وغرباً، يعلم صِدْقَ دعوانا، وأننا المُبَشَّرُ بهم في التوراة والإنجيل، على لسان موسى وعيسى، وذلك من فضل الله علينا، والله يختص برحمته من يشاء.

قال المترجم في ف١٧: «وفيما كان يسوع صاعداً إلى أورشليم، أخذ الاثني عشر تلميذاً على انفراد في الطريق، وقال لهم: ها نحنُ صاعدون إلى أورشليم، وابنُ الإنسان يُسَلَّمُ إلى رؤساء الكهنة والكتبة، فيحكمون عليه بالموت، ويُسَلِّمونَهُ إلى الأمم لكي يهزؤوا به ويجلدوه ويصلبوه، وفي اليوم الثالث يقوم» انتهى.

اعلم أن نظير هذا الإخبار من المسيح، قد تكرر في الأناجيل، ويعلمُ اللهُ تعالى أنه لم يكنْ شيءٌ من ذلك، ونحنُ لا ننكر أنْ يَخُصَّ اللهُ تعالى أنبياءه بإطلاعهم على بعض المُغَيَّبات، ولكنَّ العقلَ يجزمُ بكذبِ هذه الترهات، لأن الأحوال التي صدرت من المسيح والحواريين والرسل، الثابتةِ في الأناجيل، مع كونها مُحَرَّفة، تُكَذِّبُ صدورَ هذه الروايات عن المسيح، لأنها مناقضة لها، ثم ما من نبيٍّ إلا وأُوذيَ من قومه، كزكريا ويحيى، وهكذا سُنَّةُ الله في أنبيائه، صلواتُ الله عليهم أجمعين. وأسفارُ الأنبياء التي في التوراة أوضحُ شاهد على ذلك، فلم يخبرْ أحدٌ منهم بما أخبر به المسيح، ثم ما الفائدةُ من تكرار تلك الأخبار، ولا حكمة تقتضي التكرار؟! وأصدَقُ شاهد على تكذيب هذا الخبر تضارُب الأناجيل بما وقع بينهم من الاختلاف، ولا بأس بإثبات بعض تلك المناقضات، ليقف المطالع على ذلك.

ففي مرقس ص١٠ - ف٣٢ -- «كانوا في الطريق صاعدين إلى أورشليم، ويتقدمهم يسوع، وكانوا يتحيَّرون، وفيما هُمْ يتبعون، كانوا يخافون، فأخذ الاثني عشر أيضاً، وابتدأ يقولُ لهم عما سيحدث له: ها نحن صاعدون إلى أورشليم،

وابنُ الإنسان يُسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة، فيحكمون عليه بالموت، ويسلمونه إلى الأمم، فيهزؤون به، ويجلدونه، ويَتْفلُون عليه، ويقتلونه، وفي اليوم الثالث يقوم».

وفي لوقا من ص١٨ - ف٣١ -: «وأخذ الاثني عشر، وقال لهم: ها نحنُ صاعدون إلى أورشليم، وسيتمُّ كل ما هو مكتوبٌ بالأنبياء عن ابن الإنسان، لأنه يسلم إلى الأمم، ويُسْتَهزَأُ به، ويشتم، ويتفل عليه، ويجلدونه، ويقتلونه، وفي اليوم الثالث يقوم، وأما هُمْ فلم يفهموا من ذلك شيئاً، وكان هذا الأمر مَخْفياً عنهم، ولم يعلموا ما قيل» انتهى.

فتأمَّلْ أيها المسيحي لهذا الاختلاف الذي يكذب العقلُ صدورَه عن الوحي، وانظر إلى قول مرقس: وكانوا يتحيرون، وفيما هم يتبعون، كانوا يخافون. فهل يجوز على أحبار الله تعالى التَّحَيُّر، وعقيدُتكم تقول: إن المسيحَ قضى على نفسه أن يُقتل فداءً للعالم، وأنه لا يَتُمُّ لكم إيمانٌ إلا باعتقادِ ذلك، فإذا تحيرت التلاميذ، فغيرهم أوْلى بالتحير، ثم إن خوفهم، هل هو على الإله أو على أنفسهم، وهم يعلمون أنهم لا يصلبون؟

ولعلك تقول: إنهم خافوا من أمر المسيح لهم بأنه يصلب، فنقول: يأبى ذلك قولكم بأن التلاميذ لم يفهموا قول المسيح، فإذاً يَثْبُتُ بالبداهة كَذِبُ إحدى الروايتين، ويلزم إسقاطها من الإنجيل، وأنت مُخَيَّرٌ أيها المسيحي في إسقاط أيتهما شئت، فاختر لنفسك ما يحلو.

وأفضح من هذا قول لوقا: وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان، مع أن لفظ ابن الإنسان لم يأتِ في التوراة من أوله إلى آخره، وهذه نُسَخُه التي بأيديكم، وإنا نطلبُ من علماء النصرانية بيان ما هو مكتوبٌ بالأنبياء من التوراة عن ابن الإنسان، فهل هو إلا ما افتراه المترجمُ من أمر عمانوئيل،

وقد أوضحنا لكم بطلان ذلك فيما تقدم، وهذه الجملةُ انفردَ بذكرها لوقا، كما انفرد بقوله: وأما هُمْ فلم يفهموا من ذلك شيئاً إلخ. فرضيَ بجهلِ التلاميذ، كما رضيَ مرقس بحيرتهم.

فإذا ثبتَ لهم الحيرةُ والجهلُ، كيف ترضى أنْ تأخذَ عنهم دينك أيها المسيحيُّ، وهل غير التلاميذ روى لكم دين المسيح؟! نعم إن تلك العبارة جعلتموها توطئةً لإنكارِ التلاميذ قيامَ المسيح فيما سيأتي، فيقال ما يقال.

ثم إذا تأملتَ تناقضهم بالألفاظ الذي لا أظن أنك تحصيه عَدًّا، فهل يصح لك أن تقول: هذا الكلامُ من الإلهام؟ فالمترجم قال: «يصلبوه»، ومرقس قال: «يجلدونه»، ومن بعد الجلد يتفلون عليه ويقتلونه، ولوقا ذكر ذلك مع زيادة الشتم. ثم ليت شعري مَنْ هم الذين يسلمونه إلى الأمم؟! والظاهر أنهم التلاميذ، إذ المُسْلَم إليهم هم أعداؤه من اليهود، فلم يكن المُسْلِمُ إلا مَنْ آمنَ به، وهم التلاميذُ. تَبَصَّرْ ويحك أيها المسيحي، تجعله إلهاً، وتُسلمه إلى أعدائك وأعدائه، وتقول: إن الإيمان بذلك واجبٌ، فهل وراء ذلك حمقٌ وجهل؟! وقد أحسن القائل:

عجباً للمسيح بين النصارى — وإلى أيِّ والدٍ نَسَبُوهُ
أسلموهُ إلى اليهود وقالوا — إنهم بعد قَتْلِهِ صلبوه
وإذا كان ما يقولون حقاً — وصحيحاً فأينَ كان أبوهُ
حين خلَّى ابنَهُ رهينَ الأعادي — أتراهم أرْضَوهُ أم أغضبوه
فلئن كان راضياً بأذاهم — فاحمدوهم لأنهم عذَّبوه
ولئن كان ساخطاً فاتركوه — واعبدوهم لأنهم غلبوه

ثم أَتعجَّبُ منك أيها المسيحي بتصديقِ ما افتراه هذا المترجم ومرقس ولوقا، في هذا البحث، مع أن يوحنا لم يذكر من ذلك حرفاً واحداً، مع أنه كان أحدَ

هؤلاء التلاميذ، بل كان أَشدّهم ملازمةً للمسيح وأكثرهم اطلاعاً على أحواله، إلا أنَّ حُبَّكم للتثليثِ وبُغْضَكُم للتوحيد، يقضي عليكم باتباع الثلاثة، وترْك الواحد جموداً على التثليث في كلِّ حال، وما أرى أكثر علمائكم إلا على جانبٍ من الحمق أكثر من عامتكم، في تصديقِ مثل هذه الترَّهات، لأن العاميَّ منكم محجورٌ عليه من رئيسه، بأن لا يطالعَ في الكتب الدينية إلا بقدر ما يقولونه إليه، في أيام الآحاد والأعياد. ومن تأمل في سبب انتشار مذهب الطبيعيين في بلاد أوروبا، يجد سببه الوحيد دين النصرانية وما اشتمل عليه من الخرافات التي تسوقُ سامعيها إلى الشك في النبوات، من أصلها، والعياذ بالله تعالى.

ولنرجع إلى أصل البحث، قال المترجم - ف٢٠: «حينئذ تقدمت إليه أم ابني زبدي مع ابنيها، وسجدت، وطلبت منه شيئاً، فقال لها: ماذا تريدين؟ قالت له: قُل أن يجلس ابناي هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار، في ملكوتك، فأجاب يسوع، وقال: لستما تعلمان ما تطلبان، أتستطيعان أن تشربا الكأس التي سوف أشربها أنا، وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبِغُ بها أنا؟ قالا له: نستطيع، فقال لهما: أما كأسي فتشربانها، وبالصبغة التي أصطبغ بها أنا تصطبغان، وأما الجلوس عن يميني وعن يساري، فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبي» انتهى.

أقول: مَنْ تأمَّلَ في دسائس هذا المترجم وافترائه وكذبه، يرى عجباً، فإنه لم تفت لحظة واحدة على قوله: أخذ الاثني عشر تلميذاً على انفراد، في الطريق، حتى ناقض كلامه بوجود شخص زائد عن العدد المذكور، وهي أم ابني زبدي، ولعلَّهم يقولون: إنها كانت من التلاميذ الاثني عشر، ولا قائل بذلك، ثم إن طلبها هذا جلوس ابنيها تحصيل حاصل لما تقدم في ص١٩ من وعدِ المسيحِ للتلاميذ، وأنه حين يجلس على كرسي مجده، يُجْلِسهم على اثني عشر كرسياً، يدينون أسباط بني إسرائيل، وابناها من جملةِ التلاميذ إلا أن يقال: إنها وابنيها

شاكُّون في وعدِ المسيح.

ثم إن الكأس التي شربها والصبغة التي اصطبغ بها، بزعم النصارى، هي الجَلْد واللطمُ والبزقُ بوجههِ والقتلُ والصلب والتشهير التي تتبجَّحُ النصارى بها، ويعدُّونَ ذلك من خصائص عُلُوِّ مرتبة المسيح، وبذلك كان ابناً للإله، أو هو الإله، على اختلافِ تَلَوُّنهم في العقيدة، مع أن ابني زبدي لم يشربا الكأس التي شربها، ولم يصطبغا بتلك الصبغة التي وعد بها، فينتج من ذلك تكذيب المسيح، وتكذيبه كفر، أو تكذيب المترجم، وتكذيبه ينافي القولَ بأنَّ هذا الإنجيل ملهَم سالمٌ من التحريف. فاخترْ لنفسك أيها المسيحي ما يحلو لديك، ويروق لعينيك.

ومن حكمة الله وقدرته، وهو الغالب على أمره، أنْ أَعْمى بصيرةَ هذا المترجم المفتري على الله ورسوله، وطمسَ على قلبه، فجعله يتكلم من حيث لا يشعر، فهدم بإقراره أساس دين النصرانية من قعره، وذلك بقوله في آخر هذه الجملة: ليس لي أن أعطيه إلا للذين أُعِدَّ لهم من أبي.

فتأمل أيها البصير! فإن هذه الجملة أثبتت، بالبداهة، عجز عيسى عليه السلام، بإقراره، وأن الأمر يومئذ لله، فعليه لم يَبْقَ مجالٌ لمن يَدَّعي ألوهيته إلا أن يُكَذِّبَ المترجمَ في روايته هذه، ثم إنه لا معنى للمنازعة التي حصلت بين التلاميذ على ما يفيده قول المترجم ف٢٤ «فلما سمع العَشْرة، اغتاظوا من أجل الأخوين» وهما ابنا زبدي، لأنه لم يكن وعدهما في الجلوس عن يمينه ويساره، بل قال لهما: وأما الجلوس إلخ. فهذا الغيظُ من التلاميذ محض الحمق، فهل ترضى أيها المسيحي أن تنزل التلاميذ الذين هم أحبار الله وخلفاء المسيح بهذه المنزلة؟!.

ثم ذكر المترجم في باقي هذا الإصحاح إلى نهاية ف٢٨ ما مُحصَّلُه: أنَّ سيد القوم خادمهم، مع أن الكلام بطوله ليس له ارتباطٌ بما تقدم، ولكن جهل

المترجم ألجأه إلى هذا الخبص والخلط، مع أن باقي الأناجيل لم يوافقوه سوى مرقس، فإنه تابعه في البعض، وخالفه في الباقي، وهذا نصه في ص١٠ - ف٣٥ «وتقدم إليه يعقوب ويوحنا أبناء زبدي قائلين: يا معلم! نريد أن تفعل لنا كل ما طلبنا، فقال لهما: ماذا تريدان أفعل لكما؟ فقالا له: أعطنا أنْ نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك في مجدك، فقال لهما يسوع: لستما. . . إلى آخره».

فانظر أيها المسيحي الناقد في تلاطم المباينات بينهم، فإن المترجمَ جعل المُتَقدِّمَ بالسؤالِ أُمَّهما، ولم يصرح باسمهما، ومرقس جعل السؤال منهما، وصرح باسمهما، ولم يأنف من تسمية المسيح معلماً، أي ناصحاً للناس بما شرعه الله تعالى لهم من الدين، وهذا كلام كبار تلاميذه، فهل بعد شهادتهم فيه: أنه معلم، أي نبيّ يصحُّ لك أنْ تسميه إلهاً؟!

والمترجم حيث كان حريصاً على غشه للأمة المسيحية، جعل الطلب من أمهما، وأنها سجدت له، وهذا من أكبرِ الغش، وإن كان السجودُ يأتي بمعنى التحية، في عرف الأمم المتقدمة، ثم إن مرقس خالف المترجم، في آخر هذه الجملة، بالألفاظ أيضاً، فإنْ جعلنا ذلك غير ضار بالمعنى مماشاةً للقوم، فلا نعفوهم من لفظ الملكوت الذي دَسَّهُ المترجم، فإنه مباينٌ للمعنى الذي أراده مرقس، لأن المجد من الصفات المعقولة للإنسان، بخلاف الملكوت، والمسيح عليه السلام، لم يُضِفِ الملكوتَ إلى نفسه أبداً، وإن وُجد في الإنجيل لفظة ملكوت مضافة إلى نفس المسيح، فهي مدسوسةٌ البتة، ولنَكُفَّ القلمَ عن باقي المناقضات في هذه الجملة، واللبيبُ تكفيه الإشارة.

واعلم أن لوقا لم يذكر شيئاً من هذه القصة سوى أنه ذكر المشاجرة بين التلاميذ بقوله في ص٢٢ - ف٢٤: «وكانت بينهم مشاجرة، مَنْ منهم يَظُنُّ أنه يكون أكبر» على أن هذه المشاجرة باردة، لا أصلَ لها، لأن التلاميذ يعلمون حق التقدم لبطرس الذي هو الخليفة والوصي، بصراحة قول عيسى عليه السلام لهم

في - ص١٦ - ف١٧ من ترجمة إنجيل متى، وخلاصته: «طوبى لك يا سمعان، إلى أن قال: «وأنا أقولُ لك ابنِ كنيستي على هذه الصخرة، وأعطيكَ مفاتيح ملكوت السموات، ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماء» وهذه الوصية كانت لهم قبل مشاجرتهم، فكيف يتشاجرون وهم يدرسون وصايا المسيح في الإنجيل؟!.

ثم قال المترجم ف٢٨: «كما أن ابن الإنسان لم يأت ليُخْدِم، وليبذل نفسه فِديةً عن كثيرين» ووافقه مرقس في ص١٠ ف٤٥ حرفاً بحرف غير أنه أسقط لفظ (كما) وأثبت بدلها (لأن) وزاد لفظ (أيضاً) ليثبت التحريفَ في كل فقرة، ويوفي بذلك نذره؛ وعلى كُلِّ حال، فقوله: فدية عن كثيرين، خلاف العقيدة النصرانية، لأنهم يعتقدون أنَّ المسيح قُتِلَ وصلب فداءً عن العالم كله، لا عن كثيرين، ولا ينكر ذلك أحدٌ منهم، كما صرح به يوحنا في - ص٢ - ف١ من رسالته الأولى، وهذا نصه: «يا أولادي! أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا، وإن أخطأ أحد، فلنا شفيع عند الأب، يسوع المسيح البار، وهو كَفَّارةٌ لخطايانا، ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً» وهذا مخالف لما ذكره المترجم ومرقس.

وليت شعري! ما الحكمةُ حينئذ في خلق الله تعالى النار وَوَعْده بأن تكون مقراً للخاطئين، وهو يعلم بأنه قدر أن يرسل لهم الابن الوحيد الذي في حضنه، أو ينزل هو بنفسه مخصوصاً لليهود، ويظهر في هذا المظهر المنافي لعظمة الربوبية؟! فانظر أيها العاقل إلى هذا الجهل المركب الذي تُسوِّدُ له بِيضُ الطروس، وتَشْمئزُّ منه النفوس.

ثم قال المترجم في ف٢٩: «وفيما هم خارجون من أريحا، إلى آخر الإصحاح، وملخص الحكاية أن أعميين استغاثا به، فتحَنَّنَ عليهما، ولمس أعينهما، فأبصرا للوقت، وتبعاه» والمسلمون لا يُنْكِرونَ معجزاتِ المسيح عليه السلام، وكتابهم يُصَرِّحُ بأن الله تعالى أظهر على يده أمثال تلك المعجزات بإذنه،

لكن المترجمَ ذكر هذه الحكاية في الإصحاح التاسع، وأن الذي شفاه أعمى واحد، ووافقته الأناجيل على ذكرها، وقد تفنن في إعادة ذكرها هنا جاعلاً الواحدَ اثنين، وتَلطَّفَ بعدم جعلهِ ثلاثة كما هو المأمولُ من حضرتهِ بمقتضى التثليثِ في عقيدته، والله الهادي.

الإصحاح الحادي والعشرون

جميع ما ذكرناه من المناقضات والمغالطات الواردة في هذه الترجمة يكون جزئياً بالنسبة إلى ما في هذا الإصحاح، كما ستطلع عليه إن شاء الله تعالى، قال بف١: «ولما قربوا من أورشليم، وجاؤوا إلى بيت فاجي، عند جبل الزيتون، حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلاً لهما: اذهبا إلى القرية التي أمامكما، فللوقتِ تجدان أتاناً مربوطة وجحشاً معها، فحُلّاهما، وأتياني بهما، وإن قال لكما أحد شيئاً، فقولا: الربُّ محتاجٌ إليهما، فللوقت يرسلهما، فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل: قولوا لابنة صهيون: هُوَذا مَلكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان، فذهب التلميذان، وفعلا كما أمرهما يسوع، وأتيا بالأتانِ والجحش، ووضعا عليهما ثيابهما، فجلس عليهما، والجمع الأكثر فرشوا ثيابهم في الطريق، وآخرون قطعوا أغصاناً من الشجر، وفرشوها في الطريق، والجموع الذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين: أوصنا، لابن داود، مبارك الآتي باسم الرب، أوصنا في الأعالي، ولما دخل أورشليم، ارتجت المدينة كلها قائلة: من هذا؟! فقالت الجموع: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل» انتهى.

أقول: أولاً لا يظنُّ المطالعُ أننا نُنكرُ على المسيح، سلامُ الله عليه، ركوبَ الجحش، في بحثنا هذا، فليس المراد بذلك عليهم ركبوا ما تيسر لهم، والمسيح واحد منهم، ولكن ننكر تلك الهيئةَ التي نسبوها للمسيح من ركوبه الجحش والأتان معاً، وجعلوه، في ركوبه هذا، مُثْلَةً بين الناس، وإننا نعجب من تواطؤ الأناجيل الأربعة على نقل هذا الخبر، على اختلافهم فيه.

فإذا علمتَ هذا، فاسمع رنّات تلك المناقضات الفاحشة.

قال مرقس في ص١١ - ف١: «ولما قربوا من أورشليم إلى بيت فاجي وبيت

عَنْيا، عند جبل الزيتون، أرسل اثنين من تلاميذه» وقال لوقا في ص١٩ - ف٢٨ «ولما قال هذا، تقدم صاعداً إلى أورشليم، وإذْ قرب من بيت فاجي وبيت عنيا، عند الجبل الذي يُدْعى جبل الزيتون: أرسل اثنين من تلاميذه» ويوحنا لم يذكر هذه العبارة، بل ذكر مسألة ركوبه الجحش اتفاقاً، بعد قدومه من بيت عنيا، قبل الفحص بستة أيام، والمترجم ومرقس توافقا على ذكر قصة الجحش بعد خروجهم من أريحا، وما وقع بينهما من الاختلاف في مسألة الأعميين، على رواية المترجم، وأعمى واحد على رواية مرقس، قبل قضية الجحش، وأما لوقا فقد ذكر حكاية الجحش بعد حكايته قصة رئيس العشَّارين، فصار في أمر ركوب الجحش اختلافٌ فاحش في التاريخ، فاحفظه، ثم قال مرقس في - ص١١ - ف٢ «وقال لهما: اذهبا إلى القرية التي أمامكما، فللوقت وأنتما داخلان إليها تجدان جحشاً مربوطاً، لم يجلس عليه أحدٌ من الناس، فحلّاه وأتيا به» وعبارة لوقا في - ص١٩ - ف٣٠ «اذهبا إلى القرية التي أمامكما وحين تدخلانها، تجدان جحشاً مربوطاً، لم يجلس عليه أحدٌ من الناس قط، فحلّاه وأتيا به» انتهى.

ويوحنا لم يكتب تلك الجملة، إذ لم يخبره الوحيُ بما أخبر به باقي الإنجيليين، والأعجب من ذلك أن مرقس ولوقا لم يذكرا مع الجحش الأتان، بل قالا: إنه لم يركبه إنسان، خلافاً للمترجم، إذ جعلهما أتاناً وجحشاً، ثم قال مرقس في ص١١ - ف٣: «وإن قال لكما أحد: لماذا تفعلان هذا؟ فقولا: الرب محتاج إليه، فللوقت يرسله إلى هنا، فمضيا ووجدا الجحش مربوطاً عند الباب خارجاً على الطريق، فحلاه، فقال لهما قوم من القيام هناك: ماذا تفعلان، تحلان الجحش؟! فقالا لهم كما أوصى يسوع، فتركوهما» ورواية لوقا في - ص١٩ - ف٣١: «وإن سألكما أحد، لماذا تحلانه؟ فقولا له: هكذا إنَّ الربَّ محتاجٌ إليه، فمضى المرسلان، ووجدا كما قال لهما، وفيما هما يحلان الجحش، قال لهما أصحابه: لماذا تحلان الجحش؟ فقالا: الرب محتاج إليه»

ويوحنا لم يذكر إرسال التلاميذ لطلب الجحش، بل قال: وجده في الطريق، فركبه.

واعلمْ أنَّ في طيِّ تلك الجمل، من الأسرار، ما يُشْكِلُ فهمه، ومن الاختلاف ما لا يحتاجُ إلى توضيح، أما الأسرار فإن الأناجيل الثلاثة صرحت بأن الرب محتاجٌ إلى ركوب الجحش، والاحتياجُ إلى الركوب لا يكون إلا عن ضرورة ومساس تعب وعجزٍ عن المشي، ويوحنا وإن لم يذكر في إنجيله لفظ الاحتياج، فقد ذكر وقوع الركوب، فيكون الاتفاق من الأربعة، وهذا مناقضٌ للقولِ بألوهية المسيح، لأن الضرورة ومساس التعب والعجز عن المشي والاحتياج من صفات الحوادث، والإله مُنَزَّهٌ عن ذلك البتة، وهذا شيء واضح، ولكن ليعلم العامي منهم المضروب على فمه بلطمةٍ من القسيس، حينما يسأله هذا المسكينُ عن ألوهية المصلوب وعن تصوير معنى الأب والابن وروح القدس، ولا أَتصوَّرُ أنَّ عاقلاً يقرأ مثل تلك الحكايات التي هي من الهذيان المحض، ويقول: إن المُتَّصِفَ بهذه الصفات هو إلهُ الأرض والسموات.

ولفظ الرب هنا بمعنى المعلم، كما نص عليه في الإنجيل.

ومن الأسرار الخفية أيضاً قول المترجم - ف٤ و٥: «فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل إلخ». فإنه من محض الكذب، ولو كان مكتوباً كما قال المترجم، فلأي علة لم يذكرا ذلك، والأعجب متابعة يوحنا لهذا المترجم في ذلك حيث قال في ص١٢ ف١٤ «ووجد يسوع جحشاً، فجلس عليه، كما هو مكتوب، لا تخافي يا ابنة صهيون، هوَ ذا مَلِكُكِ يأتي جالساً على جحشٍ أتانٍ».

انظر أيها العاقل إلى هذا الخلط، فإن رواة هذه الأناجيل حرصوا على تأويل ما ورد في التوراة من هذا القبيل، بأنه وارد في المسيح، ورضوا أن يغلطوا ويتقوّلوا على الله تعالى وعلى أنبيائه الكذب، كما أنهم حرصوا على نقض سائر

أحكام التوراة، فأصبحوا يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض، وهذا العلاّمة أحمد فارس ذكر في كتابه المرآة من عكس التوراة» ما فيه الكفاية للمنصف في هذا البحث خصوصاً، فراجِعْه إن أردت.

وهنا مناقضةٌ أيضاً ينبغي التفطنُ لها، وهي أن مرقس ولوقا خالفا المترجم بذكرهما اعتراضَ أصحابِ الجحش، أو أصحاب القرية على التلميذين، فإن المترجم لم يذكرْ ذلك، ومرقس جعل المعترضين قوماً من أهل القرية، ولوقا عَيَّنهم بأنهم أصحاب الجحش، وكلامه أوجه. ويوحنا خالفَ الثلاثةَ، فلم يذكر من ذلك حرفاً. ثم قال مرقس - ف٧ «فأتيا بالجحش إلى يسوع، وألقيا عليه ثيابهما، فجلس عليه، وكثيرون فرشوا ثيابهم في الطريق، وآخرون قطعوا أغصاناً من الشجر، وفرشوها في الطريق» وقال لوقا في ص١٩ - ف٣٥ «وأتيا به إلى يسوع، وطرحا ثيابهما على الجحش، وأركبا يسوع، وفيما هو سائر فرشوا ثيابهم في الطريق» انتهى.

وتعبيرهُ هنا بالإركابِ أحسنُ من التعبير بالجلوس، كما في عبارة المترجم، ومرقس وقد اقتصر أيضاً على فرش الثياب، ولم يذكر الجمع الأكثر الذي ذكره المترجم، ولا لفظ «الكثيرون»، كما قاله مرقس، لأن هذه الجموع، في تلك السياحة، كانت عبارةً عن المسيح وتلاميذه، ولم يذكر أيضاً قطع الأغصان وطرْحها في الطريق، لعلمهِ بأنَّ ذلك يوعرُ الطريق، فيعسرُ فيه سيرُ الدواب، وعادةُ الإفرنج اليوم تعليق الأغصان في جدران الطريق، لاحترامِ القادمِ الكبير الشأن، ثم إن الثلاثة اقتصروا على ذكر الجحش فقط، وحضرة المترجم زادَ الأتانَ من عنده، وجعل الأتان والجحش مركوبين معاً، فنسأله هل وجد ذلك في نصِّ النبي القائل لابنة صهيون: يأتيك ملكك راكباً على جحش، كما في رواية يوحنا الذي انفرد بنقلِ النص المذكور من التوراة، فلا بد أن يتحير في الجواب، ويصح المثل المشهور (وقفَ حمارُ الشيخ في العقبة) ويثبت كذبه بداهة، هل

نَصَّ النبي القائل لابنة صهيون: يأتيك ملكك راكباً على جحش؟ ويقال: إن الثلاثة كتموا ذكر الأتان، فإذا جاز وقوعُ الزيادةِ والنقصان، انخرمت الثقة، ولزم القولُ بالتحريفِ، وما جاز على البعضِ جازَ على الكلِّ، ولا أظن أن مَنْ يعقل من النصارى يدافعُ عن مثل ذلك.

ثم إننا نسأله كيف يمكن لإنسان أن يركب حمارين معاً، فهذا لا يتصوره جاهلٌ، فضلاً عن العاقل، نعم، إذا قلنا إنه وضع إحدى رجليه على الأتان والأخرى على الجحش فيمكن ذلك، بشرط أن يتساويا في السير، وأن لا يفترقا، أو أن يكون واقفاً عليهما غير جالسٍ، كما ذكروا، وأنتَ تعلمُ أنَّ تَكَبُّدَ مَشَاقِّ المشي أسهلُ وأجملُ له من هذه الصورة. وإن قلنا: قرنوا الجحش بالأتان، كما يقرن الفلاح بهائمَ الحرث، بعد أن أوثقوهما بحبال، ووضعوا عليهما الثياب، فهذه الصورة كذلك صعبة الركوب والسلوك، ليست مسموعةً ولا مسبوقة من أحد، فالأولى تفويض أمر تصوير هيئة هذا الركوب إلى القائلين بأن هذه الترجمة من الإلهام، فإنْ أعياهمُ الأمر، فليحوِّلُوه إلى المؤتمر المعقود لإصلاحِ أغلاطِ الوحي، لنصونَ أقلامنا عن هكذا أبحاث، تهتكُ حُرْمةَ الأنبياء، وإلا فنلزمهم بتكذيب هذه الرواية، بل بتكذيب الترجمة برمَّتها، لأنها ملأى من هذا الأغلاط، ولنرجع لإتمام المناقضات مع المترجم.

قال مرقس في ص١١ - ف٩: «والذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين: أوصنا، مباركٌ الآتي باسمِ الرب، مباركةٌ مملكةُ أبينا داود الآتية باسم الرب، أوصنا في الأعالي» انتهى.

ولم يذكر لفظ الجموع التي ذكرها المترجم، ولكنه تَفَنَّنَ في المباركة، فباركَ مرةً للآتي، ومرة للمملكة التي ستكون، ولكن من الأسف أنها لم تتم، ولم يمتد زمنها، لأن هذا الموكب كان أوله من قرب بيت عنيا إلى دخول ذلك الملك أورشليم، وغايةُ ما نَفَّذَهُ من الأحكامِ تقليبُ موائد الصيارف، وتبديد دراهمهم،

وجعْلها مغنماً للصعاليك، وبعض الرسل، على ما قيل، كما يأتي ذلك، ومَنْ تأمل عبارة لوقا، يجده قد خالفهما مخالفة كلية حيث قال في ص١٩ - ف٣٧: «ولما قرب عند منحدر جبل الزيتون، ابتدأ كل جمهور التلاميذ يفرحون، ويسبِّحون اللهَ بصوتٍ عظيم، لأجل جميع القوات التي نظروا قائلين: مبارك الملك الآتي باسم الرب، سلام في السماء، ومجد في الأعالي» انتهى.

فلم يقل الذين تقدموا والذين تبعوا كما قال المترجم ومرقس، واقتصر على التلاميذ، ولفظ الجمهور في عبارته تحريف جديد، لأنَّ مَنْ راجع النسخة التي طبعها وليم واطلس في لندن سنة ١٦٧١ يجدها بلفظ الملأ، وحرّفها المتأخرون من الأساقفة بلفظ (الجمهور) مع أن الظاهر، من سياق العبارة، أن لفظة الملأ زائدة عن النسخة القديمة، ولو أسقطناها، لكانت العبارة في أحسن تركيب، ولا تستبعد أيها المطالع كونها زائدة، فإنك لو قابلتَ النسخة التي بأيدينا على النسخة المذكورة، لرأيتَ من التبديلِ والتقديم والتأخير والزيادة والنقصان ما لا يمكنك استقصاؤه، وكذا مَنْ تَتَبَّعَ كُلَّ نسخة بمقابلتها مع نسخةٍ طُبعت قبلها، ولا أظن أن في العالم نسختين توافقُ إحداهما الأخرى حرفاً بحرف، وقد مر لك، بمقدمة الكتاب، أن الاصطلاح في الأناجيل والتوراة بالزيادة والنقصان والتبديل، ولا سيما عند البروتستنت، بمنزلةِ الشيءِ الطبيعي، ومن المعلوم أن الألفاظَ قوالبُ المعاني، فمعنى الملأ مغايرٌ لمعنى الجمهور.

أيها المتأمل: لربما تقول لي: لقد هَوَّلْتَ الأمرَ في التحريف، فأقول: إن بيدي من نسخ الإنجيل ثلاثة، الأولى النسخة التي التزمنا نقلَ النصوصِ منها، وهي المطبوعة في بيروت سنة ١٨٩٦، وقد مر لك لفظ النص الذي نتكلم عليه منقولاً منها.

والثانية النسخة التي ذكرنا لك أنها مطبوعة في لندن، وهذا لفظها: «ولما قرب من منحدر جيل الزيتون، بدأ جميع الملأ التلاميذ يفرحون، ويسبحون الله تعالى

بصوت عظيم، من أجل جميع القوات التي نظروا قائلين: مبارك الملك الآتي باسم الرب، والسلامة في السماء، والمجد في العلا».

وإليك نص النسخة الثالثة التي كتب عليها الفاضل أحمد فارس الشدياق صاحب «الجوائب» كتابه المسمى «مماحكات التأويل من مناقضات الإنجيل» وهذا لفظها: «فبدأ جميع الناس والتلاميذ يفرحون، ويسبحون الله بصوت عظيم قائلين: مبارك الآتي باسم الرب، السلام في السماء، والمجد في العلا» والفاضلُ المذكور هو من كبار الرجال الذي فهموا حقيقة الدين المسيحي، لأنه كان من أفاضل علمائهم، فهداه الله تعالى إلى دين الإسلام، فإذا عرفتَ ذلك، علمتَ أن كتابي هذا لا أريدُ فيه الغرض، بل مجرد كشف الحقيقة، ولم يحملني على ذلك إلا ما حكيته في المقدمة.

ثم إذا نظرتَ إلى مفردات ألفاظ النسخ الثلاث بنظر الحكم العادل، يثبت عندك أن نُسَخَ الإنجيل بأجمعها متناقضة، فلا ثقةَ فيها؛ ثم إن يوحنا قال - بص١٢ ف١٣: «فأخذوا سعوف النخل، وخرجوا للقائه، فكانوا يصرخون: أوصنا مباركٌ الآتي باسم الرب ملكُ إسرائيل. ووجد يسوع جحشاً فجلس عليه، كما هو مكتوب، لا تخافي يا ابنةَ صهيون، هو ذا ملكك، يأتي جالساً على جحش أتان» فالذي يظهر من قول يوحنا، أن أخْذَهم سعفَ النخل كان قبلَ أنْ ركب الحمار، وأن ركوبه كان اتفاقياً، لا بطلبٍ وإرسال، والمترجمُ لتهافتهِ على الغلو والكذب، لم يَكْفِهِ الجحشُ حتى أخذ أمه أيضاً، وجمع الجموع، والذي حمله على ذلك شدة حرصه ليطابق تأويل أسفار الأنبياء كما أسلفنا، فهو أكثر الإنجيليين تعصباً - كما مر عليك من عبارته - وتهافتاً على معاضدة كلام اليهود، في هذا الباب، ومخالفتهم في الأحكام، وليته أصاب بعض الإصابة في التأويل، فإن جميع ما نقله أو أتى به مخالف لما ورد في تلك الأسفار، ومرقس يقتفي أثره في بعض الأمور، ولوقا يتحاشى عن كثير من افترائهما، لكنه في هذا

البحث أتى بزيادات لا معنى لها ولا ارتباط، بل ساقها لاستدراك ما فاته من متابعة المترجم ومرقس ليقال: إنه يمكن تطبيق المعنى، وذلك مثل قوله ص١٩ ف٣٩: «وأما بعض الفريسيين من الجمع فقالوا له: يا معلم انتهر تلاميذك - أي عن الصراخ - فأجاب وقال لهم: أقولُ لكم: إنه إن سكتَ هؤلاء، فالحجارةُ تصرخ».

فإن صَحَّتْ رواية هذه الجملة عنه، فإنها شاهدة على أن المترجم ومرقس كذبا في أن الصراخَ كان من جمعٍ غفير، كما أن المترجم وحده كذب أيضاً بقوله: ارتجت المدينة كلها، واختلق ذلك اختلاقاً، خالف فيه الأناجيل الثلاثة، لأنك تعلم أن المسيح ليس دخوله هذا البيت المقدس أول مرة، وقد مر عليك أنه كان في كلِّ وقتٍ يدخله، ويَعِظُ في الهيكل، فالعجبُ من حصول هذه الجلبة العظيمة، في هذه المرة، وهذا الصراخ الموحش والارتجاج المدهش.

ثم إن لوقا ضَمَّ على تلك الزيادة بكاء المسيح على بيت المقدس، وما سيأتي عليه من الخراب، إلى آخر ما انفرد به من الزيادة عن الأناجيل الثلاثة، والعهدة عليه.

ثم قال المترجم في هذا الإصحاح ف١٢ «ودخل يسوع إلى هيكل الله، وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسيَّ باعةِ الحَمَام، وقال لهم: مكتوبٌ: بيتي بيت الصلاة يُدْعى، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص. وتقدم إليه عُمْيٌ وعُرْج في الهيكل فشفاهم، فلما رأى رؤساء الكهنة والكَتَبَة العجائب التي صنعَ والأولاد يصرخون في الهيكل، ويقولون: أوصنا، لابن داود غضبوا وقالوا له: أتسمع ما يقول هؤلاء؟ فقال لهم يسوع: نعم! أما قرأتم قط: من أفواه الأطفال والرضع هيأتُ تسبيحاً؟! ثم تركهم وخرج خارج المدينة إلى بيت عنيا، وبات هناك» انتهى.

اعلم أن هذا المترجم كان حريصاً على أن يدسَّ في كلِّ فصل من فصول إنجيله شيئاً من المعجزات، ويفتري على أسفار الأنبياء أو التوراة، ولا يبالي لعلمه بجهل ذلك الجيل، فقد ذكر هنا، بعد قلب موائد الصيارف وكراسي باعة الحمام، أنه شفى عُمياً وعُرجاً، والظاهر أن العَمى والعَرجَ كان منتشراً انتشاراً كثيراً في زمنه، عليه السلام، حتى ذكرهم المصنف بصيغة الجمع، ولله دره ما أحكمه وأعلمه بكتب الأنبياء واستخراج نصوصهم، والافتراء على المسيح بالتَّقَوُّلِ فيها؛ وقد ذكرتُ لك هذه وأمثالها، لتعلم أنه من الكذب، وأنه مخالف لباقي الأناجيل.

فهذا نص مرقس بص١١ ف١٥ «وجاؤوا إلى أورشليم، ولما دخل يسوع الهيكل، ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام، ولم يَدَع أحداً يجتاز الهيكلَ بمتاع، وكان يعلّم قائلاً لهم: أليس مكتوباً: بيتي بيتُ صلاة يدعى لجميع الأمم، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص؟! وسمع الكتبة ورؤساء الكهنة، فطلبوا كيف يهلكونه، لأنهم خافوه، إذ بهتَ الجمعُ كله من تعليمه، ولما صار المساء خرج إلى خارج المدينة».

ولنذكر لك أيضاً رواية لوقا، فإنه بعد ذكره بكاء المسيح على بيت المقدس الذي لم يذكره غيره، قال في ص١٩ - ف٤٥: «ولما دخل الهيكل، ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه قائلاً لهم: مكتوب أن بيتي بيت الصلاة، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص، وكان يعلّم كل يوم في الهيكل، وكان رؤساء الكهنة والكتبة مع وجوه الشعب يطلبون أن يهلكوه، ولم يجدوا ما يفعلون، لأنَّ الشعب كله كان متعلقاً به، يسمع منه».

فلوقا هذا الذي كتب في إنجيله: إنه تَتَبَّعَ كلَّ شيءٍ من الأول بتدقيق، وكتبه على وجه التحقيق، من الضروري أن تكون روايته أصحّ الروايات، فهو لم يذكر

شيئاً من قلب موائد الصيارف وكراسي باعة الحمام، وأنت تعلم أن فِعل المسيح هذا، وإنْ كان من قَبيلِ الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن لا يجوز الإضرارُ بالناس من أول وهلة، فالحق ما قاله لوقا. نعم: لو أخرجهم وعادوا، حينئذٍ يجب طردهم، ولا يجوز أيضاً قلب موائدهم، فالظاهر أن المترجم ومرقس كانا يجهلان الحكم الشرعي في هذه المسألة كما أن يوحنا أتى بأغرب من جميع ذلك حيث قال في - ص٢ - ف١٢ «وبعد هذا انحدر إلى كفر ناحوم هو وأمه وإخوته وتلاميذه، وأقاموا هناك أياماً، ليست كثيرة، وكان فِصْح اليهود قريباً، فصعد يسوع إلى أورشليم، ووجد في الهيكل الذين كانوا يبيعون بقراً وغنماً وحماماً، والصيارفَ جلوساً، فصنع سوطاً من حبال، وطرد الجميعَ من الهيكل الغنم والبقر، وكَبَّ دراهمَ الصيارف، وقلب موائدهم، وقال لباعة الحمام: ارفعوا هذه من ههنا، لا تجعلوا بيتَ أبي بيتَ تجارة، فتذكر تلاميذه أنه مكتوب، غَيْرَة بيتك أكلتني» انتهى.

وقد أكبر الأمر، وأتى بزيادات تستحق الذكر في المناقضات، ثم إن قوة حافظةِ التلاميذ حيث تذكروا أنه مكتوب، أي في أسفار الأنبياء: غيرة بيتك أكلتني، من العجب، لأنَّ المسيح ذكر لهم أن ابنَ الإنسان يصلب ويقبر، ويقوم من بين الأموات مرات عديدة، فلم يبق ذلك في حافظتهم حين قام ابنُ الإنسان من الأموات، وهنا تذكروا ما لم يَخْطُرْ على بال، وقد ذكرنا لك نص يوحنا بمفرده هنا، لتعلمَ أنَّ رواة الأناجيل الأربعة، كلُّ واحدٍ منهم أضلُّ سبيلاً من الآخر، ثم إن هذا النص يفهم منه أن إقامة التلاميذ كانت أياماً لا يومين، ورواية الثلاثة تفيد أنها يومان لا أزْيَدَ، وقد ذكر يوحنا أيضاً أن أمه وإخوته كانوا معه، لما انحدروا إلى كفر ناحوم، والأناجيل الثلاثة تنكر ذلك، وأياً صدّقتَ، لَزِمَكَ تكذيبُ غيرِه، ثم إن مرقس ولوقا لم يذكرا قصة شفاء العُمي والعُرج، وهذا إما إنكارٌ وجحود لتلك المعجزات، وهو من الكفر، وإما لعدم ثبوت وقوع ذلك يقيناً، وتكون الزيادة من المترجم كذباً، والكذبُ على الأنبياء كفرٌ.

وعلى كلٍّ فهي مناقضة كلية، وكما أنهما ناقضاه بذلك، خالفاه فيما افتراه وحده من قوله: والأولاد يصرخون في الهيكل، إلى آخر الفقرة، وهذا أيضاً تساهل منهما، أو أنه لم يثبت عن المسيح، فيكون من مفتريات المترجم، وحرصه على متابعة نصوص كتب اليهود وعكسها هو الذي أوقعه في تلك الورطة (ويضحكني) قولُ مُفَسِّرهم بنيامين بنكرتن في تفسيره لإنجيل متى: إنَّ المسيح حين قلب موائد الصيارفة، ابتدأ التلاميذ يلتقطون تلك الدراهم، لأنهم كانوا محتاجينَ لنفقةِ العيد. ويْلَهُ ما أجهله! فلو حكى ذلك عن الأولادِ الصغار مع وقوفِ المسيح عند تلك الموائد، لقلنا: إنه من الكذبِ حيث لا يتصور أن المسيح يُقِرُّهم على ذلك، ولا ينهاهم عنه، فكيف يقال ذلك عن التلاميذ، وهم أحبارُ الله وخلفاء رسولهِ وأعلمُ الناس بالحلال والحرام؟! فانظر إلى هذا الجهل من المترجم، والجهل المركب من المفسر، وقد أتى في تفسيره أيضاً بما هو أعظم من هذا الجهل، عندما ذكر قول المترجم: لكي يتم ما قيل بالنبيِّ:قولا لابنةِ صهيون إلخ، وهذا نص ما ذكره المفسر المذكور: «ابتهجي يا بنت صهيون، يا بنت أورشليم هو ذا ملكك يأتي إليك، هو عادلٌ ومنصور ووديع، راكب على حمار وعلى جحش ابن أتان» انتهى.

يُستفاد منه أن الوحي في الإنجيل ترك لفظةَ عادل ومنصور، من سفر النبي، ولا يدرى كان ذلك سهواً أو عمداً، وهذا من الكفر، على أن مفسري هذه الأناجيل حكت عن المسيح والوحي أموراً غير معقولة، ولا يمكن التصديقُ بإجرائها، وخلطوا السقيمَ بالصحيح، والحسن بالقبيح، وناقض بعضُهم بعضاً في ترتيب ما حكوه، واختلفوا في الألفاظ والمعنى، وليس من المعقولِ قلبُ موائد الصيارفة وتبديد دراهمهم للالتقاط والنهب، حتى إن الكثير من علماء النصرانية انتقدوا على المسيح ذلك، وأنتَ تعلمُ أن الأناجيل متفقة على أن المسيح لما أظهر دعوته، كانت اليهود تترقب منه أدنى زلة، وتهدده، فكان يدخلُ أورشليم خائفاً يترقب، فإجراؤه مثل هذا بعيد عقلاً، وبغَضِّ النظر عن ذلك، فإنه مُنَافِ

للشرع، وصدورُه منه ممتنع، وأورشليم إذ ذاك تحت سيطرة ملك ظالم، وحُكْم القضاة كان بيد الكهنة من اليهود، وهم المتسلِّطون على قتل الأنبياء، وقد قتلوا في ذلك التاريخ زكريا، وألحقوا به ابنه يحيى، سلامُ الله عليهما، وكانوا واقفين للمسيح بالمرصاد، فلو كان صدور ذلك من المسيح حقيقة، لهجمت عليه الصيارف، وهم أعداؤه، ومَنْ يمنعهم عنه، والكهنة يعضدونهم؟!.

ورُواةُ الأناجيل بلغ الغلوُّ بهم إلى حالة لا يفرقون فيها بين الممكن والمحال، حتى نسبوا إلى المسيح عليه السلام أموراً، لا يتردد عاقل في أنها من الكذب الصراح والافتراء البحت، كهذه الحكاية وحكاية الشجرة، وها هي منقوله إليك.

قال المترجم - بف١٨: «وفي الصبح إذْ كان راجعاً إلى المدينة، جاع، فنظر شجرةَ تينٍ على الطريق، وجاء إليها، فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط، فقال لها: لا يكن منك ثمر بَعْدُ إلى الأبد، فيبست التينةُ في الحال، فلما رأى التلاميذُ ذلك تعجَّبوا قائلين: كيف يبست التينة في الحال، فأجاب يسوع، وقال لهم: الحقّ أقولُ لكم إنْ كان لكم إيمانٌ ولا تشكون، فلا تفعلون أمرَ التينة فقط، بل إن قلتم أيضاً لهذا الجبل: انتقل وانطرح في البحر، فيكون، وكُلّ ما تطلبونَهُ في الصلاةِ مؤمنينَ تنالونه» انتهى.

فانظُرْ هداك الله: هل ترى من العقول أنْ يغضبَ المسيحُ على شجرة، هي ملكٌ لغيره، فتيبس من ساعتها بأمره، وتتلف بإرادته، ولا ذنبَ لها ولا لصاحبها؟! ولا يَصحُّ أن يقال: إن إظهار المعجزة أوجب ذلك، لأنا نقول: إنه عليه السلام لو أمرها بأن تثمر تلك الساعة، فتثمر، ويأكل منها هو ومَنْ حضر، لحصلَ المقصودُ من غيرِ إضرارٍ، على أنه كيف يَصحُّ عن المسيح أنه حاول الأكلَ من مالِ الغير بغير إذنه، وهو خلافُ الشريعة الإلهية، ولو جاء لشجرةٍ يابسة، فأحياها بدعائه، فأثمرت، وسَدَّ جوعته من ثمرها، لآمن مالِكُها، ويكون أتى بالمعجزة للجاحد والمؤمن، كما أحيا بمعجزاته الأموات بإذن الله.

وما الفائدة بإظهار المعجزة هنا، والذين معه مؤمنون، ولم يكن أحد معه من الجاحدين؟!.

وحكايةُ تَعَجُّبِ التلاميذ من أمر التينة عجيبٌ وبهتان عليهم، لأنهم قد شاهدوا من المسيح أعظم من ذلك، كإحيائه العاذر بإذن الله تعالى، فهل بعد أن يروا إحياء الميت يتعجبون من موت التينة، والراوي لتلك الجملة رمى التلاميذ بالنفاق، إذ قول المسيح: إن كان لكم إيمان، ولا تشكون إلخ يقتضي أن التلاميذ لم يكونوا على يقينٍ من الإيمان، وكل هذا من الكذب والافتراء على عيسى والحواريين، ثم إن لوقا ويوحنا لم يذكراها، فلوقا نعلمُ أنه وَعَدَ أن يتحرَّى الحق، ويوحنا كان من أكابر التلاميذ، ومحبوبَ المسيح عليه السلام، وأعلمَ الناس به وبأحواله، فلم ير من الحق أن يكذب على المسيح، وينسب إليه ما هو ضد المعقول. وأما مرقس فاقتفى أثر المترجم، كما هي عادته، وقال في ص١١ - ف١٢ «وفي الغد لما خرجوا من بيت عنيا، جاع، فنظر شجرةَ تينٍ من بعيد، عليها ورق، وجاء لعله يجد فيها شيئاً، فلما جاء إليها، لم يجد شيئاً إلا ورقاً، لأنه لم يكن وقت التين، فأجاب يسوع وقال لها: لا يأكلْ أحدٌ منك ثمراً بعدُ إلى الأبد، وكان تلاميذه يسمعون» انتهى.

ومع اتفاقهما على ذكر القصة، تخالفا حيث قال المترجم «فنظر شجرة تين على الطريق، وجاء إليها، فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط» ومرقس قال «نظرها من بعيد، وعليها ورق، وجاء لعلَّهُ يجد فيها شيئاً». لا أظن أن النصرانية تقبله، لأن المسيح إذا كان هو الإله، وعِلْمُه محيطٌ بالسموات والأرض، كيف يَترَدَّدُ عِلْمُه ولا يعلمُ حالَ الشجرة قبلَ الوصولِ إليها؟! فتأمل.

ثم إن المترجم قال: «فقال لها لا يكن منكِ ثمر بعد إلى الأبد» وكتم ما ذكره مرقس بقوله: إنه لم يكن وقت التين، كما أن مرقس زاد قوله وقال لها «لا يأكل أحد منك ثمراً إلى الأبد» والمترجم ذكر أن التينة يبست في الحال وحكى تعجُّبَ

التلاميذ، وخالفه مرقس بقوله - بف٢٠ - من ص١١ «وفي الصباح إذ كانوا مجتازين، رأوا التينة قد يبست من الأصول، فتذكَّرَ بطرس، وقال له: يا سيدي انظر التينة التي لَعَنْتَها، قد يبست!».

فهذا تناقض فاحش، قد اشتمل على اختلاف التاريخ، وعدم انتظام المعنى. ثم قال مرقس بف٢٢: «فأجاب يسوع، قال لهم: ليكن لكم إيمان بالله». انظر أيها المنصف إلى هذه الكلمة من المسيح عليه السلام، في دعوته إلى الإيمان بالله، ولمثل ذلك أَرسَل اللهُ الرُّسُلَ مبشرين ومنذرين، ولكن قلوب المعاندين عُميٌ عن الهدى، وآذانهم صُمٌّ عن الحق، والمترجم لشدة غلوّه لم يذكر ذلك، وقد تقدم هذا البحث في ص١٧.

ولنعد لباقي الإصحاح، قال المترجم - بف٢٣: «ولما جاء في الهيكل، تقدم إليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب، وهو يُعَلِّمُ قائلين: بأيِّ سلطان تفعل هذا، ومَنْ أعطاك هذا السلطان؟ فأجاب يسوع وقال لهم: وأنا وأيضاً أسألكم كلمة أوحدة، فإن قلتم لي عنها، أقول لكم أنا أيضاً بأي سلطان أفعل هذا، معموديةُ يوحنا من أين كانت، من السماء أم من الناس؟ ففكروا في أنفسهم قائلين: إن قلنا من السماء، يقول لنا: فلماذا لم تؤمنوا به، وإن قلنا من الناس، نخافُ من الشعب، لأن يوحنا عند الجميع مثل نبيٍّ، فأجابوا يسوع، وقالوا: لا نعلم، فقال لهم هو أيضاً: ولا أنا أقولُ لكم بأيِّ سلطان أفعل هذا».

اعلم أن الأناجيل الأربعة لا تكاد تخلو جملة من جملها عن معارضة جملة أخرى، وقد التزمنا لك أيها المسيحي توضيح بعض ذلك، لتكونَ على بصيرةٍ من أمرك، ويحصل عندكَ اليقينُ بأن دعوى آبائك اليسوعيين الذين تسموا بالمرسلين، في قولهم بأن هذه الأناجيل مُنَزَّهةٌ عن التناقض والتباين والتحريف وعن وقوع الأغلاط باطلة، لأنها دعوى بلا دليل، والدليل قائم على خلاف ما يدَّعونه، وقد كررنا عليك هذا التنبيه، لتعلم أن الوقوف على ذلك من مهمات دينك؛ لأنَّ مَنْ

جَهِلَ حقيقةَ دينه ومرتبته في التصديق، كان كالذي ضَلَّ سَعْيُه في الحياة الدنيا، وهو يحسب أنه يحسن صنعاً.

وما علينا إلا بذل النصيحة بإظهار الحقيقة، فاعلم أن مرقس مع شدة حرصه على اقتفاء أثر المترجم، لا يكاد يتفق معه حتى في جملة واحدة، وهذا نصه في تلك الحكاية في - ص١١ - ف٢٧ «وجاؤوا أيضاً إلى أورشليم، وفيما هو يمشي في الهيكل، أقبل إليه رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ، وقالوا له: بأيِّ سلطان تفعل هذا، ومن أعطاك هذا السلطان حتى تفعل هذا؟» فقد جعلَ سؤال الرؤساء من المسيحِ حالة كونهِ ماشياً في الهيكل، والمترجمُ جعله حالة كونهِ يعلم، وزاد لفظ الكَتبة والشيوخ، وأسقط لفظة الشعب، وزاد قوله «حتى تفعل هذا» ثانية ثم قال - بف٢٩ «فأجاب يسوع، وقال لهم: وأنا أيضاً أسألكم كلمة واحدة، أجيبوني فأقول لكم: بأيِّ سلطان أفعل هذا. معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس، أجيبوني؟» وخالف المترجم بتركيب الألفاظ وترتيبها ثم قال - ف٣١ «ففكروا في أنفسهم قائلين: إن قلنا من السماء، يقول: فلماذا لم تؤمنوا به؟ وإن قلنا: من الناس، فخافوا الشعب، لأن يوحنا كان عند الجميع، أنه بالحقيقة نبي».

انظر أيها المسيحي المنصف، أين قول المترجم، أن يوحنا عند الجميع مثل نبيٍّ، وقول مرقس أنه بالحقيقةِ نبيٌّ، فقوله: مثل نبيٍّ صريحٌ في أنه ليس بنبي، وأنتَ تعلمُ أن إنكار نبوة النبيِّ كفر، والقول بنبوة مَنْ لم يكن نبياً كفر، فقد باء بكلمة الكفر أحدهما، ثم إذا قابلت لوقا مع المترجم ومرقس، تراه قد أتى بزيادات لم يأتيا بها، وعلى الخصوص في سؤال اليهود من المسيح، فإن المترجم ومرقس قالا: بأيِّ سلطان تفعل هذا، ومن أعطاك هذا السلطان؟ ولوقا أورده بصيغة الشك، فقال في ص٢٠ - ف٢ «وكلموه قائلين: قل لنا بأي سلطان تفعل هذا، أو من هو الذي أعطاك هذا السلطان؟» فإنَّ (أو) تفيد الشك في كيفية

السؤال، ولا نعلم من هو الشاك في ذلك، أأمينُ الوحي أو المُوحَى إليه أو كاتبه؟ ثم إنا نعجب من تواطؤ الأناجيل الثلاثة على مثل هذا الكلام الذي تلوح عليه لوائح الافتراء، حيث أن المسيح مأمورٌ بتبليغ رسالته وتفهيم ذلك لبني إسرائيل، فما معنى تلك المحاولة: مع أنَّ سؤالَ اليهود له واقعٌ في محله، إذ هم موعودون في كتب أنبيائهم بمجيء المسيح رسولاً من الله لهم، ولذا سألوه، بأيِّ سلطانٍ تفعلُ هذا إلخ، فهل يجوز التقوُّل على المسيح بأنه أجابهم بمثل تلك الألفاظ المبهمة التي لا طائل تحتها.

ومن المفتريات التي انفرد بها المترجم المثل الذي أتى به في هذا الإصحاح من ف٢٨ - الى - ف٣٣ - وخلاصته قول المسيح أن المؤمنين بيوحنا ما بين زانٍ وعشَّار، والمسيح عليه السلام أجلُّ من أن يسمي المؤمنين بتلك الأسماء، بعد أن آمنوا، لا سيما وقد كان في الجمعِ المستمع له في الهيكل ألوفٌ ممن آمن بنبوة يوحنا المعمدان، فهل يقال: إنهم كلهم زناةٌ عَشَّارون؟!

ثم قال - بف٣٣: «اسمعوا مثلاً آخر، كان إنسانٌ رَبَّ بيتٍ، غرس كرْماً، وأحاطه بسياج، وحفر فيه معصرة، وبنى برجاً، وسلَّمه إلى كرّامين، وسافر، ولما قرب وقتُ الإثمار أرسل عبيده إلى الكرَّامين، ليأخذوا أثماره، فأخذ الكرامون عبيده، وجلدوا بعضاً، وقتلوا بعضاً، ورجموا بعضاً، ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين، ففعلوا بهم كذلك، فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً: يهابون ابني، وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارثُ، هَلّموا نقتله، ونأخذ ميراثه، فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم، وقتلوه، فمتى جاء صاحب الكرم، ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟ قالوا له: أولئك الأردياء يُهلكهم هلاكاً رديئاً، ويُسَلِّم الكرم إلى كرامين آخرين، يعطونه الأثمار في أوقاتها، قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب، الحجر الذي رفضه البناؤون هُوَ قد صار رأسَ الزاوية من قبل الرب، كان هذا وهو عجيب في أعيننا، لذلك أقول لكم:

إن ملكوت الله يُنزَعُ منكم، ويُعْطَى لأمةٍ تعمل أثماره، ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه».

أقول قبل الكلام على هذا الفصل، نبين للمطالع اختلاف الأناجيل في روايتهم التي إذا سمعها القارىء النبيه يحكم بأنَّ كُلَّ واحد من الإنجيليين كان يُوحَى إليه خِلافَ ما يوحى للآخر، ولعلَّ كُلَّ أقنوم من الأقانيم كان يوحي إلى واحد من الإنجيليين، بخلاف ما يوحي الأقنوم الثاني إلى الآخر، فلذلك اختلفت الأناجيل الثلاثة كما يأتي، فنقول: قال مرقس بص١٢ -ف١: «وابتدأ يقول لهم بأمثال» ولوقا قال في ص٢٠ - ف٩: «وابتدأ يقول للشعب هذا المثل» والمترجم قال: «اسمعوا مثلاً آخر» فهذه الجملة القصيرة لو عَددتَ التباينَ فيها، لنتج منها اختلافات كثيرة، ونحن نعده عليك أيها المسيحي، لتتنوَّرَ بصيرتك.

فالمفهوم من عبارة المترجم أنه أورد لهم المثلَ الآتي بعد المثل الذي سبقت حكايته، والمفهوم من عبارة مرقس أنه «ابتدأ يحكي لهم الأمثال» وعبارة لوقا «ابتدأ يحكي للشعب هذا المثل»، فاجعل هذا أمامك، لتفهم ما ينتج أيضاً من الاختلافات الإجمالية مما يزعمونه وَحْياً، قال مرقس «إنسان غرس كرماً» ووافقه لوقا، وخالفهم المترجم بقوله: «وكان إنسان رب بيت، غرس كرماً» فأتى بزيادة عنهما ثلاث كلمات، قال مرقس «وأحاطه بسياج، وحفر حوض معصرة، و بنى برجاً» ولوقا لم يذكر ذلك، وأظن أن أقنومه الذي أوحى إليه ليس له عِلْمٌ بذلك حتى يخبره بها، والمترجم زاد لفظ «فيه» فيكون هذا الاختلاف الثالث، والاختلاف الرابع: أن مرقس والمترجم قالا: «وسَلَّمه إلى كَرَّامينَ وسافرَ» ولوقا قال: «وسلمه إلى كرامين، وسافر زماناً طويلاً» فقد خالفهما بذكر الزمن الطويل. والاختلاف الخامس في قول مرقس: «ثم أرسل إلى كرامين في الوقت عبداً» وقريب منه قول لوقا، وأما المترجم فإنه انفرد بقوله «وحَوَّطها بسياج» ثم قال: «ولما قربَ وقتُ الإثمار، أرسل عبيده إلى الكرامين» وقد اتفق مرقس ولوقا على

أن المُرْسَلَ عبدٌ واحد، لكنهما اختلفا في ترتيب الوحي، والمترجم خالفهما في ترتيب العبارة، وجعل المرسلين عبيداً. . .

الاختلاف السادس[1]: قال مرقس: «ليأخذ من الكرامين من ثمر الكرم» وقال لوقا: «لكي يعطون من ثمر الكرم» وقال المترجم «ليأخذ أثماره». الاختلاف السابع قال مرقس: «فأخذوه وجلدوه، وأرسلوه فارغاً» وقال لوقا: «فجلده الكرّامون، وأرسلوه فارغاً» وقال المترجم «فأخذ الكرامون عبيدَهُ، وجلدوا بعضاً، وقتلوا بعضاً، ورجموا بعضاً» فَعدَّدَ العبيدَ، وثَلَّثَ الواحد جرياً على عقيدته، وقد تَفَنَّنَ بذكر أنواع العذاب لهؤلاء العبيد. الاختلاف الثامن: قال مرقس «ثم أرسل إليهم أيضاً عبداً آخر» وقال لوقا: فعاد وأرسل عبداً آخر. والمترجم هَوَّلَ وعَظّم فقال: «ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين» الاختلاف التاسع: قال مرقس: «فرجموه وشجُّوه، وأرسلوه مهاناً» وقال لوقا:«فجلدوا ذلك أيضاً وأهانوه وأرسلوه فارغاً» فاستغنى عن ذكر الشج، وأبدله بقوله مهاناً.

والمترجم لما فرغ جرابه، في أول الأمر، من أنواع العذاب، التزم أن يسكت هنا مقتصراً على قوله: «ففعلوا بهم كذلك».

الاختلاف العاشر: قال مرقس «ثم أرسل أيضاً آخر فقتلوه» وقال لوقا: «ثم عاد فأرسل ثالثاً، فجرحوا هذا أيضاً وأخرجوه» بين الجرح والقتل بَوْنٌ بعيد، كما بينَ الموتِ والحياة، ولوقا جعل هذا ثالثَ الرسل، وقَيَّدَهُ لضبطِ العدد، والمترجم لما جمع العبيد في المرة الأولى وفي الثانية، وجعلهم أكثر في الثانية، استغنى عن الثالثة فسكت.

الاختلاف الحادي عشر: قال مرقس: «ثم آخرين كثيرين، فجلدوا منهم بعضاً، وقتلوا بعضاً» وهذه الجملة الأخيرة انفرد بذكرها مرقس حينما رأى المترجم

---

(١) في المطبوع «الخامس» وهو خطأ.

استقصى جميع العبيد، فاقتفى أثره... الاختلاف الثاني عشر: قال مرقس «فإذ كان له أيضاً ابنٌ واحد حبيبٌ إليه، أرسله إليهم أيضاً أخيراً قائلاً: إنهم يهابون ابني» وقال لوقا: «فقال صاحب الكرم: ماذا أفعل أرسل ابني الحبيب، لعلَّهم إذا رأوه يهابون» والمترجم قال: «فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً: يهابون ابني» فانظر إلى اختلاف اللفظ والمعنى وتعبير لوقا بقوله: «لعلهم» غير مناسب، فإنهم سيقتلونه وبقتله يكذب رجاء أبيه، وعبارة الأخيرين بطريق الجزم، وكان الواقع خلافه، فلا ندري كيف ينطبق هذا المَثَلُ على الإله وابنه، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

والظاهر أن هذه الجملة من مَحْضِ الكذب، وإلا لزم على صاحب الكرم الخطأ، لأنه كيف يسمح بإرسال ابنه الوحيد بعد أنْ جَرَّبَ الكرامين ثلاث مرات، بإرسال الجمع الكثير من عبيده، وهم يقتلونهم إلا أن يقال: إنه أراد أنْ يُوقِعَ ابنه في التهلكة عمداً، فأرسله إليهم...

الاختلاف الثالث عشر: قال مرقس: «ولكن أولئك الكرامين قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث، هَلمُّوا نقتله، فيكون لنا الميراث» وقال لوقا: «فلما رآه الكرامون، تآمروا فيما بينهم قائلين: هذا هو الوارث، هلموا نقتله لكي يصيرَ لنا الميراثُ» وعبارة المترجم هكذا: «وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث، هلموا نقتله ونأخذ ميراثه».

فتأمَّلْ لكَتَبةِ الوحي والإلهام واختلافهم بالتقديم والتأخير والزيادة والنقصان، ثم لا شُبْهةَ في أن المقصودَ من الوارث عيسى، والوارثُ لا يكون وارثاً إلا بعد موتِ أبيه، فكيف ينطبق المَثَلُ هنا؟! لكن مَنْ يجعل الإله والداً، لا يستبعد منه نِسبةُ الموت إليه، فإنَّ من يلد ويولد لا بد وأن يطرأ عليه الموت والهلاك.

الاختلاف الرابع عشر: قال مرقس: «فأخذوه وقتلوه، وأخرجوه خارج الكرم»

وعبارة لوقا «فأخرجوه خارج الكرم، وقتلوه» والمترجم قال: «فأخذوه، وأخرجوه خارج الكرم، وقتلوه» فمرقس جعل وقوعَ القتل داخلَ الكرم، ولوقا والمترجم جعلاه خارجه.

انظر أيها العاقل، هداك الله، لو تشكَّلتْ محكمةٌ لإثبات قتل هذا الابن على الكرامين، ولم يكن شهود غير هؤلاء الإنجيليين، فحضروا، وأدّوا شهادتهم بتلك الألفاظ، فهل يتصور العقل السليم قبول تلك الشهادة المتخالفة؟! فكيف يَصحُّ أو يعقل أن نقول: هذا كلامُ الله المُوحَى به إلى رسوله...

الاختلاف الخامس عشر: قال مرقس: «فماذا يفعل صاحب الكرم» وقال لوقا: «فماذا يفعل بهم صاحب الكرم» فزيادته لفظ (بهم) أثر بالمعنى تأثيراً أخرجه عن المعنى المفهوم من مدلول ألفاظ مرقس، والمترجم فات هذا وهذا، ونَمَّقَ عبارته، لأن لسان وحيه أبلغ من لسانهما، فقال «فمتى جاء صاحب الكرم، ماذا يفعل بأولئك الكرامين»...

الاختلاف السادس عشر: قال مرقس: «يأتي ويهلك الكرامين، ويعطي الكرم إلى آخرين» ولوقا وافقه إلا أنه زاد لفظ «هؤلاء» والنَّبيهُ إذا تأمَّلَ عبارتهما، يجد أن الجواب هذا صدر من المسيح، وأن المستمعين سكوت، والمترجم أراد أن يثبت القضية على اليهود بإقرارهم، فزاد من عنده ألفاظاً كعادته فقال: «قالوا له أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً رديئاً، ويُسَلِّم الكرم إلى كرامين آخرين، يعطونه الأثمار في أوقاتها» وبهذا القدر كفاية، والله ولي الهداية.

وقد وعَدْناكَ بشرح هذا المثل، على فرض صحته، فنقول على سبيل الإجمال: إن المسيح وَجَّه الخطاب لبني إسرائيل، لكونهم تعدَّوا سبيل الحق، وأفسدوا في الأرض، من قتْلِهم الأنبياء، ونِسْبتهم للفحشاء، وتقوُّلهم على الله ورسله بالباطل، فجعَل الكرم مثالاً للدنيا، وجعلهم الكرامين أي الزراعين،

ووعدهم بحسنِ الجزاء، إن قاموا بالخدمة التي افترضها عليهم، وأرادها منهم، لأن المراد بالثمر العمل، فرفضوا قوله، ولم يؤدوا إليه الثمر، أي لم يقوموا بما أمرهم الله به، فطالبهم بذلك، بأن أرسل إليهم عبيده، أي: أنبياءه، فكذَّبوهم، وقتلوهم، فوجَّهَ إليهم آخرين، فأصرُّوا، واستكبروا استكباراً، وفعلوا بالآخرين كما فعلوا بالأولين.

ثم بمقتضى ظاهر المَثَلِ أنه أرسل إليهم ابنه الوحيد، أي عبده الخاص الوحيد في فضله وكماله وعصمته، العزيز في منزلته، فإنَّ الوصفَ بالابنِ الوحيد ورد في حق داود وسليمان أيضاً، فأراد الكرامون أن يكونوا مخلّدين في تَمَلُّكهم الكرم استبداداً وعناداً وجحوداً للحق، فقتلوا هذا الابن الوحيد، وصلبوه بزعمهم، ولم يكن ذلك حقيقة، بل شُبِّه لهم، إذ رفعه اللهُ إليه، ثم إن الله انتقم منهم وأبادهم وأهلكهم، أي: نَزعَ الملك والنبوة منهم، وسلّم الكرم إلى كرامين آخرين، فهل ثَمَّ آخرون غير المسلمين، أفيدونا؟.

فإنْ قلتَ أيها المسيحي: إنَّ المُرادَ من الآخرين هم المسيحيون، فذلك بديهيُّ البطلان، لأن الكرم كان بيدكم، وأنتم داخلون فيمن هلك دخولاً أوّلياً، لأنكم من بني إسرائيل، والمسيح أُرسِلَ إلى الضالة من بني إسرائيل، بنصِّ أناجيلكم، فلم يبق إلا آخر الأمم، وهم الأمة المحمدية التي أعقبت الأمةَ المسيحية، ونصَرَهم الله تعالى، وأظهر دينهم في مشارق الأرض ومغاربها. ومما يؤيد ما قلنا تتمة الإصحاح المذكور، حيث قال المترجم: «أما قرأتم في الكتب: الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأسَ الزاوية، من قِبَلِ الرب كان هذا، وهو عجيبٌ في أعيننا» ومثله في مرقس، وتبعهما لوقا بقوله: «الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية» وسكت عن باقي النص.

ولا بد لك أيها المسيحي أن تطالبني بالحجة على تطبيق هذا النص على المسلمين وتخصيصه فيهم.

فأقول: لا بد وأنْ تكون قرأتَ القصة التي وقعت بين إبراهيم، صلوات الله عليه، وبين زوجته سارة، حين طلبت منه أن يُبْعِدَ عن قريتها هاجر أم إسماعيل، سلامُ الله عليهم مع ولدها، والباري تعالى أمره أن يفعل طبق ما أرادت سارة، فأخذ هاجر وابنها إسماعيل، وأسكنهما أرضَ الحجاز. والقصةُ معلومة، فكانت العرب من نسل قيدار بن إسماعيل الذي هو الحجرُ المرفوض، لأن النبوة كانت في أولادِ إسحاق بن سارة، بمقتضى الحكمة الإلهية، فمن بعد إسحاق يعقوب الذي تسمونه إسرائيل الله، ومن أولاده كانت أنبياءُ بني إسرائيل، إلى أن خُتِمتْ نبوات بني إسرائيل بالمسيح، سلام الله عليهم أجمعين، وكانت بنو إسرائيل قد تمادوا في طغيانهم وعُتُوِّهم في قتلِ الأنبياء وهتكهم أعراضهم، فسلَبَ اللهُ منهم النبوة كما أخبر على لسان أنبيائه، وآتاها ولدَ إسماعيل الذي هو رسول الله محمد بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين، فكان هو رأس الزاوية.

ومَنْ تأمَّلَ في موقع مكة من بيت المقدس ومَثَّلَ ذلك نصب عينيه، فلا أظن أن يشك في ذلك، كما أنه لا يشك في أن الحجر المرفوض هو إسماعيل، والتوراةُ والإنجيل قد صَرَّحا بذلك، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ويأتي بقومٍ آخرين يُوحِّدُونه، لا يشركون به شيئاً، وسيأتيك في الإصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا ما يوقظك من سِنَةِ الغفلة، وإن قلت: إنَّا نُسَلِّمُ بالحجر المرفوض إسماعيل، وأنه هو رأس الزاوية، وقومه الذين كانوا في زمنه هم الآخِرون، فأقول: إن كتب المؤرخين، بقَطْعِ النظر عن التوراة والإنجيل، تخالفُ رأيكَ هذا، لأن إسماعيل لم يكن بمثابة أن يكون رأس الزاوية، لعدم شهرةِ أمرِه في زمانه، لأن الحالة التي كانت لأبيه، من الشهرة والرياسة، انتقلت لإسحاق، إلى أن خُتمت نبواتُ بني إسرائيل بالمسيح كما قدمناه، ثم آلَ الدور إلى إسماعيل، فأخرج الله من نسله رسولاً لإنقاذ هذا العالم، من ظلمات الكفر والشرك، إلى نور الإيمان والتوحيد، وهو محمد خاتم النبيين والمرسلين، فكان هو كمال بناء رأس الزاوية، وقد بعثه الله إلى الخلق كافة، كما نقل المؤرخون منكم ذلك،

وقد أخبرنا الله تعالى عن ذلك في كتابه المبين، وهو أصدق القائلين، كما أخبر الأمم من قبلنا في التوراة والإنجيل.

ويوضح ما قلناه ما ذكره المترجم في هذا الإصحاح ف٤٣ بقوله: «إن ملكوت الله ينزع منكم، ويُعطى لأمة تعمل أثماره، ومَن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه».

فهل أمةٌ غير الأمة المحمدية التي سماها الله تعالى أمةَ الإجابة ثبتت على التوحيد، وآمنت بسائر ما أنزل من عند الله تعالى من الكتب، وصدَّقت كافة أنبيائه، وقالت بوجوب عصمتهم عن الكذب والخطأ، وأنزلتهم منازلهم، ووفَّتهم حقَّهم، لا كما زعمتم وزعم اليهود، فإنكم تقوَّلْتم على الله بالباطل، وأثبتُّم له الشريك والضد والمثيل، وكذبتم على الأنبياء بأن جعلتم بعضهم لصوصاً، ورميتم بعضهم بالزنا، وهتكتم حرمات الله تعالى بأن حلّلْتم ما حرّمه، وحرّمتم ما أحله. ثم هل تَصدقُ كلمةُ الإنجيل: «كل مَنْ يسقط عليه هذا الحجر يترضض» على غير محمد خاتم الأنبياء؟! فالتاريخ أمامنا وأمامكم، وكُتُب الله شاهدة علينا وعليكم، فإنه والله ما أراد أحدٌ إهانةَ هذا الدين المبين الذي أتى به هذا الرسول الأمين إلا وأرجعه الله خائباً مرضوضاً، كما قال عيسى عليه السلام، وسيرتُه صلى الله عليه وسلم محفوظة من تدليس المدلِّسين وتحريف المبطلين، وقد نقل إلينا التاريخ أنه دعا على كسرى، لما مَزَّق كتابه، فَمزَّقَ اللهُ ملكه. ووجَّه أصحابه للأمم والملوك بتبليغ رسالته، وقاوم العالمَ بأجمعه بالدعوة إلى توحيد الله تعالى، فدانَ له ولأمته القاصي والداني، آمن مَن آمن منهم، واطمأن قلبه بالإيمان، ومنهم من أراد البقاء على دينه، فأدَّى الجزْية، وأمِن على ماله وعرضه، وما ذلك لفضلِ مالٍ، رغبت فيه الأمة الإسلامية، بل جعلوا ذلك عِزَّةً لهذا الدين وذلة لمن خالف هذا الكتاب المبين؛ وجميع ذلك لانزاع فيه ولا مشاحة، بل هو من الأمور المعلومة، فلا نطيلُ البحثَ هنا، لأنه يتكرر في شرح ص١٦ من يوحنا.

ولنرجع إلى ما أتى به المترجم في نهاية هذا الإصحاح بف٤٥ و٤٦: «ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله، عرفوا أنه تكلم عليهم، وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه، خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبي».

اعلم أيها المطالعُ أن مرقس ولوقا وافقاه في المعنى، وإن خالفاه باللفظ، ولكن لم يذكرا أنه كان عندهم مثل نبي، وأتى بلفظ المِثْلِ لئلا يقال: إنه أقرَّ بأنه نبيٌّ، ولم يعلم الجاهلُ بأنه سقط على أُمِّ رأسه، لأن المِثْلَ لا يُفْهَمُ منه إلا النظير، فإذا لم يكن معادلاً في المرتبة لنظيره، فهو قريبٌ منه. والمترجم قد ذكر في هذا الإصحاح نفسه - ف٤٦ في حق يوحنا المعمدان أنه مثل نبي، فراجع ذلك إن أردت.

وعلى كُلٍّ فمن أين لهذا النبيِّ أو الذي هو مثل النبي أن يكون إلهاً! وإن فرضنا صحة رواية المترجم، فيكون مرقس ولوقا قد ابتلعا هذه الجملة ستراً لافترائهم بأن المسيح إله، ولكن المترجم المسكين كان كثير النسيان لأنه في أكثر الأحيان ينقضُ كلامَهُ بكلامِهِ، أو كان يتعمّد ذلك، ليسقط شرف الإنجيل، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

الإصحاح الثاني والعشرون

قال المترجم ف١: «وجعل يسوع يكلمهم أيضاً بأمثال قائلاً. يشبه ملكوتُ السموات إنساناً ملكاً، صنع عرساً لابنه، وأرسل عبيده ليدعوا المدعوين إلى العرس، فلم يريدوا أن يأتوا، فأرسل أيضاً عبيداً آخرين قائلاً: قولوا للمدعوين: هو ذا غدائي أعددته، ثيراني ومُسَمّناتي قد ذُبحت، وكل شيء مُعَدٌّ، تعالو إلى العرس! ولكنهم تهاونوا ومضوا واحدٌ إلى حقله وآخر[1] إلى تجارته، والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم، فلما سمع الملك، غضبَ وأرسل جنوده، وأهلَكَ أولئك القاتلين، وأحرق مدينتهم، ثم قال لعبيده: أما العرس فَمُسْتَعَدٌّ، وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين، فاذهبوا إلى مفارق الطرق، وكل من وجدتموه فادعوه إلى العرس. فخرج أولئك العبيد إلى الطرق، وجمعوا كل الذين وجدوهم أشراراً وصالحين، فامتلأ العرس من المتكئين، فلما دخل الملكُ لينظر المتكئين، رأى هناك إنساناً، لم يكن لابساً لباس العرس، فقال له: يا صاحب! كيف دخلت إلى هنا، وليس عليك لباس العرس؟! فسكت، حينئذ قال الملك للخدام: اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان، لأن كثيرين يدعون وقليلين يُنْتخَبُونَ».

أقول: لا يخفى على المتأمل أن هذا الكلام يشم منه رائحة افتراء المترجم على الله ورسوله، فإن هذا المثل غير سديدٍ لأن آخره ينقض أوله، وفيه نِسبةُ الظلم إلى ربِّ العرس أي إله السماء، بعد أن حكم عليه بالجهل، وأي شيء اقترفه هذا المسكين حتى أمر بربط يديه ورجليه وإلقائه في الظلمة الخارجية، وهو لا يدري بأنه يُدْعى في ذلك اليوم إلى العرس، ولو علم لعله كان يلبس لباس العرس، من قبل أن يخرج من بيته، على أنه قد يكونُ فقيراً.

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «وآخرون».

ثم لِتَعْلَمْ أن وراء هذا الظلم والجهل تناقضاً مع لوقا حيث قال في - ص١٤ - ف١٦: «فقال له إنسان، صنعَ عشاءً عظيماً، ودعا كثيرين، وأرسل عبيده في ساعة العشاء: ليقول للمدعوين: تعالوا، لأن كل شيء قد أُعِدّ، فابتدأ الجميع برأي واحد يَستعفُون، قال له الأول: إني اشتريتُ حقلاً، وأنا مضطر أن أخرجَ وأنظرَه، أسألك أن تُعفيني. وقال آخر: إني اشتريت خمسة أزواج بقر، وأنا ماضٍ لأمتحنها، أسألك أن تعافيني. وقال آخر: إني تزوجت بامرأة، فلذلك لا أقدر أن أجيء، فأتى ذلك العبد، وأخبر سيده بذلك، حينئذ غضب رَبُّ البيت، وقال لعبده: اخرج عاجلاً إلى شوارع المدينة وأزقتها، وأدخل إلى هنا المساكين والجدعَ والعُرْجَ والعميَ، فقال العبد: يا سيدي! قد صار كما أمرت، ويوجد أيضاً مكان، فقال السيد للعبد: اخرج إلى الطرق والسياجات، وألزمهم بالدخول حتى يمتلىء بيتي، لأني أقول لكم: إنه ليس واحد من أولئك الرجال المدعوين يذوق عشائي».

فلا يجهل المنصف أن هذا الذي أورده لوقا لا ينطبقُ على ما أورده المترجم، والعبارتان أمامك، فإن المترجم ذكر إنساناً ملكاً، صنع عرساً لابنه. ولوقا لم يذكر لفظ الملك ولا الابن، بل قال: إنساناً صنع عشاء عظيماً، ولوقا يقول: ودعا كثيرين، والمترجم يقول: وأرسل عبيده ليدعوا المدعوين إلى العرس، فلم يريدوا أن يأتوا. والعبارة تدل على أنه اختارهم للدعوة، فوقع اختيارهُ في غير مَحلِّه. ولوقا يقول: وأرسل عبده ساعة العشاء، ليقول للمدعوين: تعالوا، لأن كلَّ شيء قد أُعِدَّ، ولم يسبق هذه الدعوة دعوة من صاحب العشاء للمدعوين. والمترجم يقول: فأرسل أيضاً عبيداً آخرين قائلاً: قولوا للمدعوين: هو ذا غدائي.

ولا يبعد عن فكر القارىء أن لوقا سماه غداء، وبين الغداء والعشاء ثماني ساعات. وقال المترجم: «أعددته، ثيراني ومسمناتي قد ذُبحت، وكل شيء مُعَدّ،

تعالوا إلى العرس»، ولوقا اقتصر على ذكر البيت، ولم يعدد أصناف الطعام. ولا يفوت القارىء أن المترجم ذكر العبيد بصيغة الجمع، وأقلُّه ثلاثة. ولوقا قال: عبداً، وهذا خلف. ثم المترجم يقول ولكنهم - أي المدعوين- تهاونوا ومضوا؛ واحد إلى حقله والآخر إلى تجارته، والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم.

وأنتَ تعلمُ أنه لا يتأتى من مدعو أن يشتمَ رُسُلَ الداعي، وفي كل هذا يخالفه لوقا حيث يقول: فابتدأ الجميع برأي واحد يستعفون، ثم في عبارة لوقا أنه قال له الأول: إني اشتريت حقلاً، وأنا مضطر أن أخرج وأنظره، أسألك أن تعفيني. وقال الآخر: إني اشتريت خمسة أزواج بقر، وأنا ماض لأمتحنها، أسألك أن تعفيني. وقال آخر: إني تزوجت بامرأة، فلذلك لا أقدرُ أن أجيء. وعلى ذكر هذه الأعذار من الثلاثة، فإنه لم يكنْ هناك مدعو آخر ليقتل العبد المرسل من طرف رب العشاء، والمترجم لم يتفق مع لوقا إلا بالذي اعتذر بالذهاب إلى حقله، وانفرد في الآخر صاحب التجارة، وأتى بعدُ بكلمته الشنيعة من أن باقي المدعوين شتموا العبيد وقتلوهم.

لله أبوك أيها المسيحيُّ! مثل هذا المثل وما فيه من الاختلافِ والتناقض كيف تسميه إنجيلاً منزلاً من عند الله تعالى؟! فإذا صَحَّ التحريف في رواية، ولا مُرَجِّحَ عندكم للرواية الثانية، سقط اعتبارُ الروايات كلها، وصح أن نطالبكم بأن تأتوا بإنجيلٍ صحيح، لا تبديلَ فيه ولا تحريفَ ولا تباينَ ولا تناقض، وإلا فلستم على شيءٍ من دينكم.

ولنعد إلى ما كنا عليه من ذكر المناقضات. قال المترجم: «فلما سمع الملك، غضب وأرسل جنوده، وأهلَكَ أولئك القاتلين، وأحرق مدينتهم» وأظنُّ أن لوقا كان أعقل من المترجم، لأنه لم يتهوَّرْ في إحراقِ المدينة، لأنه لو سكتنا عن قتل القاتلين قصاصاً، كيف نُغمض عن إحراق المدينة؟! قال المترجم: ثم قال لعبيده «أما العرس فمستعد، وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين، فاذهبوا» إلخ. ولو

قال عقبَ غضبِ رب البيت بقوله «قال لعبده: اخرج عاجلاً إلى شوارع المدينة وأزقتها، وأدخل إلى هنا المساكين والجدع والعرج والعمي، فقال العبد: يا سيدي قد صار كما أمرتَ، ويوجد أيضاً مكان. فالمترجمُ جعل الأمر عاماً إذ قال: «كل مَنْ وجدتموه فادعوه إلى العرس». ولا أعلم ما أراد لوقا بتخصيصه العمي والجدع والعرج؟.

وباقي عبارة المترجم: «فخرج أولئك العبيد إلى الطرق، وجمعوا كل الذين وجدوهم أشراراً وصالحين، إلى أن قال: «فلما دخل الملك، ورأى هناك إنساناً غير لابس لباس العرس، فأمر بعدَ أنْ يربطوه أن يلقوه في الظلمة الخارجية» وهذا كما مَرَّ آنفاً من الظلم أيها المسيحي العاقل، وما ذنب هذا المسكين، وقد دُعِيَ لعشاءٍ على حينِ غفلة. ولوقا لم يذكر شيئاً من ذلك، لكنه ذكر في آخر فقرة ما هو أعجب، وذلك قوله: «لأني أقول لكم: إنه ليس واحد من أولئك الرجال المدعوين يذوق عشائي».

فلا تنكر أيها المنصف ما في طَيِّ هذه الجملة من التباين والأغلاط الذي لا يجوز لك أن تنسبها إلى الله تعالى، ولا إلى مسيحه، سلامُ الله عليه، وأنتَ تعلم أن مرقس ويوحنا لم يذكرا شيئاً من هذا المثل، فما ذلك إلا أنه ليس من الوحي ولا من كلام المسيح، بل هو من الافتراء المَحْضِ من قومٍ لا يعقلون ما يقولون، ولو صَحَّ صدورُه عن الباري تعالى، لوجب على يوحنا أنْ يذكره، لأنه الملازم له في كل أوقاته، فلا ينبغي أن يفوته ذكر ما هو من الإنجيل، ولا سيما إذا كان أمراً يتعلق بالدين، لو صَحَّ عنه كتمانُ شيء من الإنجيل، لكان من الضالين، ولو جاز عليه النسيان، وأنتم تقولون: إنه مُلْهَمٌ، لبطلت أقوالكم؛ وكيف ينسى وقد صنف إنجيله في آخر القرن الأول، أي بعد كافة الأناجيل، أفما كان يدرس في أناجيل غيره، ويتذكر. ومرقس وإنْ كان منحطاً عن درجةِ يوحنا غير أنكم تقولون: إنه تلميذ لبطرس، وقد تلقى الإنجيلَ عنه، ومن المعلوم أن بطرس هو

الخليفة بعد المسيح والملازم له من بدء أمره إلى آخره، وبيده مفاتيح السموات، فلما لم يَذْكُرْهُ هو ولا يوحنا، عَلِمْنَا أنه لا أصلَ له.

ثم قال المترجم - ف١٥: «حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة، فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيرودسيين قائلين: يا معلم! نعلم أنك صادق، وتُعَلِّمُ طريقَ الله بالحق، ولا تبالي بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس، فقل لنا: ماذا تظن، أيجوز أن تُعطى جزيةٌ لقيصر أم لا؟ فعلم يسوع خُبثهم وقال: لما إذاً تجربونني يا مراؤون، أروني معاملة الجزية، فقدموا له ديناراً، فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة؟ قالوا له: لقيصر، فقال لهم: أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله، فلما سمعوا، تعجبوا وتركوه ومضوا» انتهى.

ومثله عبارة مرقس إلا أنه خالفه في بعض الألفاظ والترتيب. وعبارة لوقا في - ص٢٠ - ف١٩: «فطلب رؤساءُ الكهنة والكتبة أن يلقوا الأيادي عليه في تلك الساعة، ولكنهم خافوا الشعب، لأنهم عرفوا أنه قال هذا المثل عليهم، فراقبوه وأرسلوا جواسيس يتراؤون أنهم أبرار، لكي يمسكوه بكلمة، حتى يسلموه إلى حكم الوالي وسلطانه، فسألوه قائلين: يا معلم! نعلم أنك بالاستقامة تتكلمُ وتُعلِّم، ولا تقبل الوجوه، بل بالحقِّ تُعلِّمُ طريق الله، أيجوز لنا أن نعطي جزية لقيصر أم لا؟ فشعر بمكرهم وقال لهم: لماذا تجربونني؟ أروني ديناراً، لمن الصورة والكتابة؟ فأجابوا وقالوا: لقيصر، فقال لهم: أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله، فلم يقدروا أن يمسكوه بكلمة قدام الشعب، وتعجبوا من جوابه وسكتوا» انتهى.

فطابق بينها وبين عبارة المترجم، ليظهر لك الاختلاف، فإن لوقا زاد قوله: فطلب رؤساء الكهنة والكتبة أن يلقوا الأيادي عليه في تلك الساعة، ولكنهم خافوا الشعب، لأنهم عرفوا أنه قال هذا المثل عليهم، وزاد أيضاً قوله: يتراؤون أنهم أبرار. وقوله: حتى يُسلموه إلى حكم الوالي وسلطانه، ثم إن المترجم قال

في آخر الحكاية: «فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا» ولوقا يقول: «فلم يقدروا أن يمسكوه بكلمةٍ قدام الشعب، وتعجبوا من جوابه وسكتوا» وهذا عدا عن الاختلافات اللفظية، فإنَّا نضربُ عنها صفحاً، وأما يوحنا فلم يذكر من ذلك شيئاً، فلا ندري، الحقّ معه أم مع الثلاثة، والحكم في ذلك لأتباعه المسيحيين.

ثم قال المترجم ف٢٣: «في ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون الذين يقولون: ليس قيامة، فسألوه قائلين: يا معلم! قال موسى: إنْ مات أحد، وليس له أولادٌ، يتزوج أخوه بامرأته، ويُقِمْ نسلاً لأخيه فكان عندنا سبعةُ إخوة وتزوج الأولُ ومات. وإذ لم يكن له نسلٌ ترك امرأته لأخيه[١]، وكذلك الثاني والثالث إلى السبعة، وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً، ففي القيامة لِمَنْ مِنَ السبعةِ تكونُ زوجة، فإنها كانت - في الدنيا- للجميع، فأجاب يسوع، وقال لهم: تَضِلُّونَ إذْ لا تعرفون الكتبَ ولا قوةَ الله، لأنهم في القيامة لا يزوّجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكةِ اللهِ في السماء؛ وأما من جهة قيامة الأموات، أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل: أنا إلهُ إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب، ليس اللهُ إلهَ أموات، بل إله أحياء، فلما سمع الجموع بهتوا من تعليمه».

أقول: التعبير بالصدوقيين فيه تغيير، لأن المُحَرَّرَ في النسخة المطبوعة قديماً عبر بلفظ الزنادقة، والأمر في ذلك سهل، فإن التبديل والتغيير والتحريف عادة عندهم، وغاية ما تصورناه من هذه الجملة أن إحدى طوائف اليهود، وهم الصدوقيون يقولون أنْ لا قيامة، أي أنهم ينكرون حشرَ الأبدان، وهذه دعوى بلا دليل، ولا تصح على اليهود، لأنهم يُقِرُّونَ بالحشر والنشر.

ثم في سؤالهم من المسيح عن المرأة التي تزوجت الإخوة السبعة دليلٌ على الإقرار بالحشر، وهو واضح، ثم قوله: إن ذلك منقول من موسى صلوات الله

---

(١) قوله: «فكان عندنا - إلى - أخيه» سقط من المطبوع.

عليه وسلامه، وأن العلَّةَ ليقيمَ الثاني نسلاً من المرأة لأخيهِ الميت، فهذا افتراءٌ على موسى الكليم، سلامُ الله عليه، ولا تصح هذه الدعوى، لأنَّ الولدَ المتولِّدَ من زيدٍ كيف يُنْسَبُ إلى عمرو؟! وقد راجعنا نسخة التوراة العربية المطبوعة حديثاً في بيروت، فوجدنا في - ص٢٥ - ف٥ من التثنية ما نصه: «إذا سكن إخوة معاً، ومات واحد منهم، وليس له ابن، فلا تصيرُ امرأةُ الميت إلى خارج لرجلٍ أجنبي، أخو زوجها يدخل عليها، ويتخذها لنفسه زوجة، ويقوم لها بواجب أخي الزوج، والبكر الذي تلده يقوم باسم أخيه الميت، لئلا يُمْحَى اسمُه من إسرائيل» انتهى بحروفه.

وغاية ما فيه أنَّ المولود يسمى باسم عمه الميت الذي كان زوج أمه تذكاراً، وليس المراد أن يكون ابناً للميت ونسلاً له، فالمباينةُ ظاهرة. ثم قوله: لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكةِ الله في السماء، يبعدُ إسنادُه إلى عيسى عليه السلام، لأنه مُبْطِلٌ لكثيرٍ من أقواله المروية عنه في هذه الأناجيل.

تأمل أيها المسيحي فيما ذكره الإنجيليون الثلاثة، فقد ذكر المترجم في ص١٩ ف٢٩ قوله: «وكل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو آباء أو امرأة، يأخذ مئة ضعف» وأورد مثل ذلك مرقس في - ص١٠ - ف٢٩ ولوقا في - ص١٨ - ف٢٩ فعلى أيِّ المذهبين المُعَوَّلُ، وبأيهما نأخذ؟

فإن قلتم: إن التعويض مئة ضعف عما يتركه من امرأة وغيرها هو كائنٌ في الدنيا، فإنا نُوردُ عليكم أنكم لا تبيحون للرجل أن يتزوج بأكثر من امرأةٍ واحدة فضلاً عن المئات، وإن قلتم بأن هذا التعويض في الآخرة، فيلزمكم بطلانُ قولِه: يوم القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكةِ الله في السماء»، وهو المقصود. ثم يفهم من قوله: «بل يكونون كملائكة الله في السماء» أنه لا حشرَ للأجساد، وهذا باطلٌ لا يصحُّ عن عيسى، ومُبْطِلٌ لكثير من أخباركم التي روتها

لكم رواة الأناجيل، مع أنه مخالف لما بعده، أعني قوله: «ليس اللهُ إله أموات، بل إله أحياء».

ثم إن المترجم ومرقس ولوقا تخالفوا في النص المبحوث عنه، حتى إنهم لم يتفقوا في التاريخ أيضاً، فراجعه في مرقس في - ص١٢ - ف١٨ وفي لوقا في - ص٢٠ - ف٢٧ يتضح لك حقيقة الحال. وأما يوحنا فلم يذكر ذلك، إذ لم يوح إليه شيء فيما هناك - البحث الرابع -.

قال المترجم - ف٣٤: «أما الفريسيون فلما سمعوا أنه أَبكَمَ الصدوقيين، اجتمعوا معاً وسأله واحد منهم، وهو ناموسي، ليجربه قائلاً: يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس؟ فقال له يسوع: تُحبُّ الربَّ إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك، هذه هي الوصية الأولى والعظمى، والثانية مثلها، تحب قريبك كنفسك، بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء» وقد خالفه مرقس في هذه الجملة فقال - بص١٢ - ف٢٨: «فجاء واحد من الكتبة، وسمعهم يتحاورون، فلما رأى أنه أجابهم حسناً، سأله: أية وصية هي أولُ الكُلِّ؟ فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل! الربُّ إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى، وثانيةٌ مثلُها هي تحب قريبك كنفسك، ليس وصية أخرى أعظم من هاتين، فقال له الكاتب: جيداً يا معلم، بالحقِّ قلتَ: لأنه الله واحد، وليس آخر سواه، ومحبتهُ من كُلِّ القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة، ومحبة القريب كالنفس، هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح، فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له: لستَ بعيداً عن ملكوت الله. ولم يجسر أحد بعد ذلك أن يسأله» انتهى.

فانظر أيها الناقد البصير إلى خيانة المترجم، في هذه الجملة، ومخالفته لمرقس، فإنه اقتضب نص التوراة اقتضاباً، ليوهم القارىء، ويكون كلامه احتمالاً

وتأويلاً لما تدعي النصارى، فقال في جواب المسيح للسائل: «تحب الرب إلهك من كل قلبك الخ» فإن هذه العبارة تحتملُ التأويلَ بخلاف قول مرقس: «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك الخ» فإن هذه الجملة لا تحتملُ التأويل مطلقاً، وأين المفر للمترجم هل يمكن الفرار بعد هذا الإقرار؟!

أيها القادة العميان ما الذي أعددتموه من الجواب للملك الديَّان عن قولكم: إن المسيح إلهٌ خَلَقَ نفسَهُ وأمه، وأنه نزل للأرض، وصلب نفسه، ومات فِديةً ولعنةً عن خطايا مَنْ جَحَدَهُ وخالفه، فهذا قولُ المسيح، وهذا إقراره، فتدبروه ولا تكونوا كالفار الأعور، يرى الخبز ولا يرى القِطَّ، لا تغمضوا عن سيئات هذا المترجم.

أفَمَا تُبصرون كيف كَتمَ إقرارَ المسيح بقوله: «الربُّ إلهنا رب واحد» ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء]، لا والله! أيظن هذا المترجم الخائن المجهول الاسم أن تَخْفَى معايبه ولا تظهر مثالبه، أم يظن أن ذوي العقول تسكت عن ذلك كما سكت أتباعه الصُّمُّ البكم تسعة عشر جيلاً عنه، وهم في جهلٍ وعماء، حتى قاموا، في هذا العصر الأخير، يؤلفون الجمعيات، لتصحيح هذه الترهات وتطبيق هذه الخرافات، وهل يجحد المسيحي هذا الاختلاف بين المترجم ومرقس، وهو يعتقد أنَّ كلا الجملتين صدرتا من الله إلى رسوله بالوحي الصادق، ولا محيصَ له من أن يقول بأن أحدهما تَعمَّدَ الزيادةَ أو النقصان.

وهكذا لو تَتبَّعَ المنصفُ هذا الفصل، وطابق بين المترجم ومرقس يتضح له الحال، ثم إن لوقا ويوحنا قد سكتا عن إيراد هذا البرهان [الفارق بين المخلوق والخالق] (وهو عجيب). وإنْ قلنا إن هذا البرهان الساطع في هذا الفصل افتراء من المترجم ومرقس فذلك (أعجبُ وأغرب) ثم أورد المترجم بحثاً خامساً وجعله خاتمة إصحاحه، وأتى فيه بما لا يسلمه العقل والنقل فقال - ف٤١ «وفيما كان

الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون في المسيح، ابنُ مَنْ هو؟ قالوا له: ابن داود، قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً، قال الربُّ لربي اجلسْ عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك، فإن كان داود يدعوه رباً، فكيف يكون ابنه؟! فلم يستطع أحدٌ أن يجيبه بكلمة، ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة» انتهى.

وقد أكثروا من قولهم في كل جملة أنه لم يَجْسُرْ أحدٌ أن يسأله عنها، ونرى الأسئلة تتوارد عليه كالسيل، وإنما الغرض من قولهم ذلك أن يسدوا باب السؤال عن دسائسهم التي ملؤوا بها الأناجيل، وأضلُّوا بها عوامهم عن سواء السبيل، ومرقس ولوقا اقتفيا أثر المترجم في إيراد ذلك، فقال مرقس - بص١٢ - ف٣٥: «ثم أجاب يسوع وهو يعلّم في الهيكل: كيف يقول الكتبة أن المسيح ابن داود، لأن داود نفسه قال بالروح القدس قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك فداود نفسه يدعوه رباً، فمن أين هو ابنه؟ وكان الجمع الكثير يسمعه بسرور» انتهى.

وقد ناقض المترجم في سبب إيراد الجملة، وخالفه في حكاية بعض الألفاظ، فإن المترجم زعم أن صدور الكلام كان ابتداءً من المسيح واستفهاماً عن عقيدة الفريسيين فيه ورداً عليهم من أنه ليس هو ابن داود. ومرقس جعله رداً لقولِ الكتبة، مع إهماله للزيادة التي أوردها المترجم، وخالفهما لوقا، فلم يجعل ذلك جواباً للفريسيين كما زعمه المترجم، ولا رداً على الكتبة، كما قاله مرقس، واختلافُهم في مثل هذا مما يوجب الدهشةَ للواقف عليه، لأن هذا الموقفَ موقف حرج، عليه مدارُ تأييدِ دين النصرانية أو بطلانه، ولوقا هذا أضاف كلامَ داود إلى المزامير، ففضح الله النصرانيةَ من حيث لا تشعر، وخالف فيه سَلَفَهُ مرقس والمترجم، وعبارة لوقا بص٢٠ - ف٤١ هكذا: «وقال لهم كيف يقولون: إن المسيح ابن داود، وداود نفسه يقول في كتاب المزامير: قال الرب لربي:

اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك، فإذا داود يدعوه رباً، فكيف يكون ابنه» انتهى.

فقد عرفت التناقض والاختلاف في البحث، وأن يوحنا خالفهم بعدم ذكره لذلك، فهو دليل واضح أن هذه الجملةَ مفتراةٌ على المسيح عليه السلام، ومما يدلك على حقيقة ما نقوله إنكار المسيح كونه ابن داود، وهو يستلزم جَحْدَ أمورٍ كثيرة، فمنها: أن يكون المسيح هذا ليس بمسيح، لأنك تعلم أيها المسيحي أن المترجم ابتدأ إنجيله بقوله - ف١ «كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود إلخ» ولوقا أيضاً وافقه، فأورد النسب بص٣ فراجعه، وتقدم الكلام على هذا، وقد ذكر لوقا ما هو أوضح من هذا - بص١ رواية عن مريم عن جبريل، وذلك قوله - ف٣٢: «هذا يكون عظيماً، وابن العليِّ يُدعى، ويعطيه الربُّ الإلهُ كرسيَّ داود أبيه» وفي ص٢١ من متى في قضية ركوب الجحش ما فيه غُنيةٌ للمتأمل، وقد تواطأت الأناجيل الأربعة هناك على مضمون ذلك، فصرحوا بأنه ابن داود، فراجعه.

وكونه ابن داود من جملة علامات نبوته، ومن أعظم الأدلة التي يستدلُّ بها على كون عيسى هو المسيح، ولو لم يكن ابنَ داود لما كان مسيحاً، ولا أظن في النصارى مَنْ ينكر ذلك.

وفي نداء أعمى أريحا له بقوله: يا ابنَ داود ارحمني، هدايةٌ للمُتَبصِّر، ولكن أين مَنْ يعقل، فقد كَذَّبتم بهذا النص المسيحَ وأمه والملك جبريل، عليهم من الله أكملُ السلام ومن في الأرض جميعاً، وربما يقول المسيحي: إنك أيها المخالف توافقنا على أن المسيح وُلِدَ بغير أبٍ، فكيف تجعله ابنَ داود؟!.

فأقول: إن قولنا: ابن داود، لا نعني به إلا أن أُمَّهُ من نسلِ داود، ويؤيده إجماعكم على ذلك، وأما المترجم ورفيقاه فقد غشُّوا هذه الأمة في إخراج هذا

النص من المزامير، وتطبيقه على المسيح، فهو كذب محض وافتراء بحت، لأنه يُخْرِجُ المسيحَ عن النبوة، بل يبطل كونه هو المسيح الموعود به، والنص موجود في النسخ العبرانية مخالفاً لنقلهم، ولفظه: قال الرب لسيدي، لا لربي، واليهود يؤولون ذلك في إبراهيم، وقيل: لسليمان، على أن هذه المقالةَ لم تَثْبُتْ أن داود قائلها. وفي آخر هذا النص في المزمور التاسع بعد المئة ما يؤيد قول اليهود، ويوضح المقصد ضد ما جاءت به النصارى، فطالِعْه تجد الحق، وإن أبيتَ إلا إصراراً واستكباراً فلا محيصَ لك من الحكم بتكذيب الأناجيل الأربعة والمسيحَ وأمه وجبريلَ، ثم إنك تستدل بذلك على ألوهيته، وهذا خلاف المعقول، لما تقدم لك من بطلان هذا.

وظاهرُ الأناجيل يفهم منه أن المسيح كان يَدَّعي النبوة، وأنه نبيٌّ مرسل إلى بني إسرائيل، وهذه عبارات الأناجيل صريحة في ذلك. ثم من الأمور البديهية في تكذيب هذا الخبر، أنه ليس من باعثٍ لسؤال اليهود عن أبيه، فهل يُتَصَوَّرُ أنَّ رجلاً من قوم وُلِدَ فيهم وتربى ونشأ بينهم، يسأل قومه، إنكم تنكروني هل أنا أنا؟! فإذاً يحكم عليه العقل بأنه مختلُّ الشعور، فقد سَوَّدتم صحيفةَ الإنجيل البيضاء المنزهة بهذا الافتراء، وأوجبتم على مخالفيكم أن يسددوا سهام الطعن عليكم.

وأما قوله في النص: «ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة» فهذه علاوة أيضاً من المُدَسِّسينَ وأظنهم قصدوا مكراً بإعظام مضامين قول المسيح وتهويلاً على أذهان الجهلة، حتى يستنبطوا من كلامه أنه هو ادعى الربوبية، وبهذه التصورات الفاسدة أضلوا ملايين من النفوس.

والحال أن المسيح مُكَلَّفٌ بالبيان للأمة، فكيف يسكتون عن سؤاله في دينهم حتى يقال: من ذلك اليوم لم يجسرْ أحدٌ أن يسأله بتة، فهي من العلاوات التي يحكم العقل ببطلانها بداهة، والله تعالى أعلم.

الإصحاح الثالث والعشرون

جميع ما في هذا الإصحاح تقريع من المسيح لبني إسرائيل، فلا فائدة في المناقشة فيه، لكنا نتكلم بطريق الاختصار على بعض فقرات منه، ضَلَّ فيها المترجم طريقَ هُداه، واتَّبعَ بذلك هواه، ولم يعلم أن هناك من يناقشه الحساب، ويغلق دونه الأبواب.

قال المترجم ف١: «خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون، وكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوا، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون، فإنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل، ويضعونها على أكتاف الناس، وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم، وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظره الناس، فيعرِّضون عصائبهم، ويعظمون أهداب ثيابهم، ويحبون المتَّكأ الأول في الولائم، والمجالسَ الأولى في المجامع، والتحيات في الأسواق، وأن يدعوهم الناس: سيدي سيدي. وأما أنتم فلا تدعوا سيدي، لأن معلمكم واحد المسيح، وأنتم جميعاً إخوة، ولا تدْعوا لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السموات، ولا تَدْعوا مُعلِّمين، لأن معلمكم واحدٌ المسيحُ، وأكبركم يكون خادماً لكم، فمن يرفع نفسه يتَّضِع، ومن يضع نفسه يرتفع».

أقول: لا يختلف اثنان في أن هذه الوصية من المسيح لتلاميذه تفيد أن الله تعالى كما فرض أحكام التوراة على قوم موسى، كذلك هي مفروضة على قوم عيسى، وأن يتعبدوا بموجبها، بنص قول المسيح، وكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه. وأراد بذلك ما في التوراة إذ ليس لهم كتاب أحكام غيره، وهذا مُسَلَّمٌ لا جِدالَ ولا خلاف فيه، فيكون قول بولس: «نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف» حديثاً مُفْترى وكلاماً لا يتبع. ثم إن المسيح نهى قومه أن يعملوا بأعمال علماء بني إسرائيل التي تخالف أحكام التوراة، لأنهم فسروها، كما قال

المسيح، بصورة عسرة ثقيلة التحمل فوق طاقة البشر، بل أمرهم أن يعملوا بموجبها، وذلك بأن يفسروا مشكلها بصورة حسنة ممكنة التحمل، ويعملوا بها.

وفي الحقيقة إن اليهود، كما قال عنهم المسيح، شَدَّدُوا، فشدد الله عليهم، وكلفوا الأمة بحَمْل ما هو فوق طاقتهم، لأن أحدهم ربما يحترق يوم السبت، فلا يطفىء ما يحترق منه، ولا يستعين بيهودي في ذلك، وقد أخذوا هذا الحكم من عدم جواز إيقاد النار يوم السبت، ويضطر أحدهم إلى القوت فلا يشتريه، لتحريمهم البيع والشراء في السبت.

والبلاءُ كُلُّ البلاء أنهم يمنعون الفقراء من العمل في السبت مع اضطرارهم إلى العمل فيه لحاجة القوت، وقد ترقَّوا في التشديد حتى حكموا بعدم مداواة المرضى ومراجعة الأطباء في يوم السبت، وقد تقدم طرف من سيرتهم في ذلك حين اعترضوا على المسيح في شفائه المريض يوم السبت وعلى تلاميذه بقطع سنابل الزرع فيه، وكان ذلك لدفع الجوع، ومن هذا القبيل تحريمهم أكلَ اللحم مع اللبن أو الدهن، وتحريم مَنْ يجلس مع الخطاة والعشّارين وحرمة مخالطة من ينادى عليه بالتحريم في كنيستهم، وتحريم الأكل بلا غسل اليد، وتحريم مخالطة الأقلف؛ فجميعُ هذا جعلوه محرماً، وليس في التوراة ما يدلُّ على ذلك، بل ذهبوا فيه إلى التأويل البعيد كاستنادهم في تحريم أكل اللحم مع اللبن أو الدهن إلى التوراة وهو «لا تأكل الجدي بلبن أمه» وهو كما ترى مخصوصٌ في الجمع بين الجدي ولبن أمه لا غير، ولا يَعمُّ كافة الألبان، ومع ذلك إن الضأن غير الماعز، فهم يقولون بهذا وهذا، بل وبسائر اللحوم حتى إنهم حرموا لحم البقر والغزال مع الدهن مختلطاً.

هذا واعلم أن بطرس كان يعملُ بكلام المسيح، ويتعبَّدُ طبق التوراة إلى أن مات، وذلك بشهادة بولس حيث قال له: وهل أنت يهودي إلخ، فالمسيحيون لم يَكْفِهم رفضُ التوراة وعدم الاقتداء بما كان عليه سلفهم مثل بطرس والحواريين،

بل نبذوا أقوال المسيح وراء ظهورهم، فهو سلامُ الله عليه، يأمرهم بالتوحيد الخالص بقوله: «ولا تدعوا لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السموات»، فكأنهم فهموا منه أن اتَّخِذوني رباً من دون الله، وخَالِفُوا ما أمرتُكم به، وَأْتُوا ما نهيتُكم عنه، فلا حولَ ولا قوة إلا بالله.

تنبيه: إن عموم النصارى الآن يطلقون على القسيس فما فوقه لفظ الأب، ولا يخاطبونه إلا بقولهم: «أبونا» فكانوا كلهم عوامهم وخواصهم مخالفين لأمر المسيح في القول والعمل والاعتقاد، حيث سموا رؤساءهم آباء، واتخذوا ذاته إلهاً، وقد أمرهم بتوحيد الله تعالى؛ وأهملوا أحكام التوراة، والأغرب أنه هو الناهي لهم، فهذا أبلغُ في المخالفة، ويا ليتهم، إذ جعلوه إلهاً، يمتثلون أمره، ويُوقِّرونه وينزِّهونه عن الصلب واللعن، ثم إن المسيح سلام الله عليه لم يترك عذراً لمعتذر، إذ بيّن لهم التوحيدَ الخالص، وأرشدهم إليه، وبيّن لهم مرتبة نفسه، فقال: «ولا تدعوا معلمين، لأن معلمكم واحد المسيح»، فلا يشاركه في زمنه، في التعليم، مُشَارِكٌ لأن النبوة حينئذ مقصورة عليه، والرسالة موكلة إليه، فقد ضرب لهم الأمثال، فتأولوها خِلافَ الحق، ونصح لهم جهده، فحرَّفوا نصحه، ومن أعظم نصحِه لهم أنْ قال لهم: إن الله واحد، فلا تدعوا مع الله إلهاً آخر في السموات، وأما أنا فمعلِّمٌ لكم، أي: أرسلني الله لهدايتكم وإرشادكم، فأين المدلس الذي يتأول هذا الكلام في غير ما أراد المسيح عليه السلام، ثم قال المترجم - ف١٣: «لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون» إلى أن قال - ف٣٣ «أيها الحيات أولاد الأفاعي! كيف تهربون من دينونة جهنم، لذلك ها أنا أرسل لكم أنبياء وحكماء وكتبة، فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون» إلخ.

أقول: قد مر أكثر الإصحاح، وليس لنا فيه من المقال سوى ما قدمناه، لكن وجدنا المترجم هنا قد تَأَبَّطَ الشرَّ، وعاد إلى الخديعة والمكر بقوله عن المسيح:

ها أنا أرسل، وكنا قد أغضينا عن إيراد المناقضات في هذا الإصحاح، فألجأنا إلى أن نرجع إلى بيان دسائسه، وقد وجدنا لوقا يقتفي أثره، وعبارته في هذا البحث، وإن كانت قريبة منه، في بعض المواضع، ومغايرة في البعض إلا أنه خالفه في التاريخ، فأورد ذلك قبل قصة الجحش بمدة طويلة خلافاً للمترجم، وضبط التاريخ في توقيت الحوادث من الأمور الضرورية لما يترتبُ على ذلك من الأحكام وعبارة لوقا - بص١١ - ف٤٩ هكذا: «لذلك أيضاً قالت حكمةُ الله إني أرسلُ إليهم أنبياء ورسلاً، فيقتلون منهم، ويطردون» فأين ما دسّه المترجم في طي قوله: ها أنا، إلى آخره، من قول لوقا «قالت حكمة الله» ولكنْ أبت نفسُ المترجم إلا الدسيسةَ والمكر، ولا يَحيقُ المكر السيء إلا بأهله، فليس لك مخرج أيها المسيحي إلا أن تحكم بأن إحدى الجملتين مناقضةٌ للثانية، ولا يصح عن المسيح أن ينسب لنفسه ما هو مُختصٌّ بالله تعالى، وقد مَرَّ عليك قريباً قول المسيح «لا تدعوا لكم أباً، لأن أباكم واحد في السموات» فهل يجوز بعد أن قال ذلك، وهو ذاك الرجل الذي اختاره الله تعالى من بين خلقه لهدايتهم، أن يقول: ها أنا أرسل لكم، نعوذ بالله من ذلك، بل هو محض افتراء - من المترجم - وليست هذه باكورةُ تزويره، ويكفي الحكم عليه، من تفسير إنجيله، بأنه حاطبُ ليل. تالله إنه في ذلك الحكم لمن الصادقين، وإن المترجم لمن الكاذبين.

ثم هنا دقيقة ينبغي أن يتأملها المسيحي، وهو قول المسيح «كيف تهربون من دينونةِ جهنم» فإنها مبطلةٌ لاعتقادهم بأنَّ المسيح أوجبَ على نفسه الصلبَ كفارةً لخطايا العالم، وإلا فيكون قول المسيح هنا عبثاً وباطلاً، ولم يبق فائدة لغفرانِ القسِّ ذنوبَ الغانيات والغلمان في خلوات المعابد، فهو عبث، وأيّاً صدَّقت، لزمك تكذيب غيره البتة.

ثم قال المترجم - ف٣٧: «يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردتُ أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت

جناحها، ولم تريدوا، هُوَذا بيتكم لكم خراباً، لأني أقول لكم: إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا: مُبارَكٌ الآتي باسم الرب»[1] انتهى.

ولم يتابعه على هذه الجملة إلا لوقا، وعبارته قريبة منه إلا أنه أوردها في - ص١٣ - ف٣٤ - وكان حقه أن يوردها في - ص١١ فإنها من تتمة تقريع عيسى، ثم لم يكتفِ بمخالفة المترجم في الألفاظ حتى ناقضه في التاريخ، وخالفه أيضاً بأن أورد الجملة في إصحاحين، ولا يهمنا ذلك، بل علينا تنبيه المسيحي وتركه وشأنه في إنجيله المفترى، ثم نذكر له ما فهمناه من كلام المسيح، وذلك أن في عبارته هذه يشير إلى وداعهم، حتى قال: إنكم لا ترونني من الآن، أي من تلك الساعة، فإنْ صَحَّ هذا فهو دليل قطعي على أن اليهود لما أرادوا أخذه، لم يروا ذاته، بل رأوا مَنْ يشبهه فأخذوه، وعملوا به ما عملوا، وأما هو فقد ارتفع من بينهم، من تلك الساعة، ليقضيَ اللهُ أمراً كان مفعولاً، فعلى هذا يكون المصلوبُ غيرَهُ كما أخبر القرآنُ العظيم بذلك، وهو الحق، فإنه لا يجوز أن يكذب في قوله هذا، فحيث قال: «من الآن لا ترونني»، فهو لا ينصرفُ إلا لما قلناه، والنصارى يؤمنون ببعض كلام المسيح، ويكفرون ببعض، فقوله «هوذا بيتكم يترك لكم خراباً» يؤمنون به، وأنه من معجزاته لتضمنه الإخبار عن المغيبات، ويكفرون بقوله: «إنكم لا ترونني من الآن الخ» وهذا من جنس القول الأول، بل أعظم معجزة، لأنها غير قابلة للتشكيك، بخلاف الأولى، فإن الجاحد ربما يقول: إن البلاد والبيوت عُرضة للخراب، فلا يكون الإخبار بها معجزة، وأما عدم رؤيته، وهو في الأرض، فغير ممكن إلا برفعه من ساعته، ولا يعزبُ عن فكر المنصف أن تصديقه بالبعض، وتكذيبه في البعض الآخر، من

(١) وردت في لوقا هذه الفقرة كاملة كما هي تقريباً، إلا أنه في لوقا ذكر قبلها على لسان عيسى عليه السلام عبارة: «بل ينبغي أن أسير اليوم وغداً وما يليه، لأنه لا يمكنُ أن يهلكَ نبيٌّ خارجاً عن أورشليم...» وفيها دلالةٌ واضحة على نبوته لا على إلهيته.

الكفر الصريح.

ومَنْ تأمل في باقي هذا الإنجيل، يعلم أن المسيح لم يعد إليهم بعد قوله: لا ترونني. وسيأتي لهذا البحث، في الإصحاح الذي يليه، مَزيدُ إيضاحٍ، إن شاء الله تعالى.

الإصحاح الرابع والعشرون

هذا الإصحاح كله، كما ستطلع عليه، عبارة عن حوادث، أخبر بها المسيح، أنها تقع في مستقبل الزمن؛ وجميعُ ذلك منقوضٌ بشهادة الإنجيل والتاريخ، ولم يقم دليلٌ على صحته، وقد وافقه بالرواية مرقس ولوقا، ولكنهم تناقضوا في إيراد السبب والتاريخ، وذهبوا في اختلاف الألفاظ، كما هي عادتهم، بحيث تعذر تطبيق المعنى، وانفرد عنهم يوحنا، فلم ينقل شيئاً من ذلك، وستقف على جميع ما نقوله مفصلاً.

قال المترجم ف١: «ثم خرج يسوع، ومضى من الهيكل، فتقدم تلاميذه لكي يُرُوه أبنيةَ الهيكل، فقال لهم يسوع: أما تنظرون جميع هذه؟ الحقّ أقول: إنه لا يترك ههنا حجرٌ على حجر لا ينقض» وحكاية مرقس بص١٣ - ف١: «وفيما هو خارج من الهيكل قال له واحد من تلاميذه: يا معلم! انظر ما هذه الحجارة وهذه الأبنية، فأجاب يسوع وقال له: أتنظرُ هذه الأبنية العظيمة، لا يترك حجر على حجر لا ينقض» عبارة لوقا - بص٢١ - ف٥: «وإذ كان قوم يقولون عن الهيكل: إنه مزين بحجارة حسنة وتحف، قال: هذه التي ترونها، ستأتي أيام لا يُترَكُ فيها حجرٌ على حجر لا ينقض».

أقول: إن العاقل الذي سَلِمَ من داء المترجم يحكمُ، بسبب هذا الاختلاف، أنَّ الحديث مفترى، وأكذَبهم فيه المترجم، حيث اختلق شيئاً بعيداً عن القبول، وذلك بقوله: إن التلاميذ تقدموا إلى عيسى، بعد ما مضى من الهيكل، لكي يُرُوه أبنية الهيكل. وهل يُعْقَلُ أنَّ عيسى، إلى ذلك التاريخ، لم يكنْ له وقوفٌ على الهيكل وهيئته داخلاً وخارجاً، وهو البيتُ الذي يرى السجودَ لله فيه فرضاً، والأناجيل وكتب التواريخ صرحت بأن عيسى أمضى أكثرَ أيامه وهو يتعبَّدُ فيه إلى آخرِ عمره، فالذي أورده المترجم ومرقس خلاف العقل، فهو من المفتريات، ولم يتفقوا إلا على قوله: «لا يترك حجر على حجر لا ينقض» وهذا أيضاً

مكذوب عليه، بدليل أنَّ علماء بروتستنت صرحوا أن المراد منه: أنه لا يمكن بعد خرابه وضع بناءٍ فيه، بل كلُّ ما يبنى فيه ينهدم كما أخبر المسيح، وقد ادعى صاحب كتاب «تحقيق دين الحق» أن هذا الخبر من أعظم أخبار المسيح عن الحوادث الآتية ونقل في الصفحة ٢٩٤ من كتابه هذا المطبوع سنة ١٨٤٦ هذه الحكايةَ تأييداً لدعواه، فقال ما ملخص ترجمته هكذا - إن السلطان جولين الذي كان بعد المسيح بثلاث مئة سنة، كان قد ارتدَّ عن الملة المسيحية، وأراد أن يبني الهيكلَ مرة أخرى لإبطالِ خبر المسيح، فلما شرع خرج من أساسه نار، ففرَّ البناؤون خائفين، وبعد ذلك لم يجترىء أحد أن يردَّ قولَ الصادق الذي قال: إن السماء والأرض تزولان، وكلامي لا يزول» انتهى.

والقسيس داكتر كيت كتب كتاباً باللغة الإنكليزية، في رد المنكرين، وترجمه القسيس مريك، باللسان الفارسي، وسماه بـ«كشف الآثار في قصص أنبياء بني إسرائيل»، وطبع هذا الكتاب في إدن برغ سنة ١٨٤٦ وحكى فيه تأييداً لهذا الخبر بما هو شبيه بحكاية صاحب «تحقيق دين الحق» وترجمته كما في الصفحة السبعين منه، أن يوليان ملك الملوك أجاز اليهود، وكلفهم أن يبنوا أورشليم والهيكل، ووعد أيضاً أنه يقرهم في بلدة أجدادهم. وشوقُ اليهودِ وغيرتهم ما كانا بأنقصَ من شوقِ ملك الملوك، فاشتغلوا ببناء الهيكل، لكن لما كان هذا الأمر مخالفاً لخبر عيسى عليه السلام فاستحال، وإن كان اليهود في غاية الجد والاجتهاد في هذا الأمر، وكان ملك الملوك متوجهاً وملتفتاً إليه، ونقل المؤرخ الوثني أنَّ شعلات النار المهيبة خرجت من هذا المكان، وأحرقت البنائين، فكفوا أيديهم عن العمل.

أقول: لا يسع المسيحي العاقل إلا أن يكذب هذه النقول بأجمعها، ويلحقها بالخرافات، فهُما وإنْ قصدا بذلك تأييدَ خبرِ المسيح، لكنهما أخطآ، ولم ينظرا لترجيح جانب الحق، بل أقدما على تلك الحكايات، من غير تَرَوٍّ ولا تأمل،

وهذا المسجدُ قد قَيَّضَ اللهُ له مَنْ بناه، فهو الآن موجود، ومضى على بنائه قريب من ألف وثلاث مئة سنة.

وقد كتب طاس يوتن تفسيراً على الأخبار عن الحوادث الآتية المندرجة في الكتب المقدسة، وطبع هذا التفسير سنة ١٨٠٣ في بلدة لندن، فقال في الصفحة ٦٣و٦٤ من المجلد الثاني من التفسير المذكور هكذا: «عمر كان ثاني الخلفاء، وكان من أعظم المظفرين الذي نشر الفساد على وجه الأرض كلها، وكانت خلافته إلى عشرة سنين ونصف فقط، وتسلط في هذه المدة على جميع مملكة العرب والشام وإيران ومصر، وحاصر عسكره أورشليم، وجاء بنفسه ههنا، وصالح المسيحيين بعد ما كانوا ضَيِّقي الصدر من طول المحاصرة سنة ٦٣٧ وسلموا البلدة، فأعطاهم شروطاً ذات عز، وما نزع كنيسةً من كنائسهم، بل طلب من الأسقف موضعاً لبناء المسجد، فأخبره الأسقف عن حجر يعقوب وموضع الهيكل السليماني، وكان المسيحيون ملؤوا هذا الموضع بالسرقين والرَّوث، لأجلِ عنادِ اليهود، فشرع عمر في تصفية هذا الموضع بنفسه، واقتدى به العظام من عسكره في هذا الأمر الذي هو من عبادة الله، وبنى مسجداً، وهذا هو المسجد الذي بنى في أورشليم أولاً. وصرح به بعض المؤرخين، وإن عبداً من العبيد قتل عمر في هذا المسجد، ووسع هذا المسجد عبد الملك بن مروان الذي هو ثاني عشر من الخلفاء» انتهى.

أقول: إن كلام هذا المفسر، وإن كان قد وقع فيه تَعسُّفٌ، حيث سمى نشر العدل والتوحيد فساداً، لكنه حكى الحق[1] من أن عمر رضي الله عنه بنى المسجد أولاً في موضع الهيكل السليماني، ولم يُقْتَلْ فيه، بل قُتِلَ في المدينة المنورة، ثم وسع هذا المسجد عبد الملك بن مروان، وهو موجود إلى الآن، لا

---

(١) أراد المؤلف الفاضل بقوله: «حكى الحق» أنه نقل ما وجده محرراً في الكتاب، فلا يعني هذا أن عمر - رضي الله عنه - قد بنى مسجده على هيكل سليمان. وكل الحفريات التي أجراها ويجريها الصهاينة المحتلون لم تثبت أن المسجد قد بُني على أنقاض الهيكل...

ينكر ذلك إلا مَنْ ينكر نفسه.

فكيف تحكم أيها المسيحي بصدق حديث خراب بيت المقدس، وهو كما تراه عامر إلى اليوم، فإذاً قد بَطلَ قولُ المسيح، على ما زعموا، ولم تزل السماء والأرض، فقد ثبت، بالبداهة، افتراءُ حديثِ خراب الهيكل، وهذا لم ننقله من كتب علمائنا حتى تشكك فيه، بل هو ثابت عن أناجيلكم وكتب علمائكم ومفسريكم كما هو ظاهر.

ولنرجع إلى أصل البحث، ثم قال المترجم ف٣: «وفيما هو جالس على جبل الزيتون، تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين: قُلْ لنا، متى يكون هذا، وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟ فأجاب يسوع وقال لهم «انظروا، لا يضلكم أحد، فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: أنا هو المسيح، ويضلون كثيرين. وسوف تسمعون بحروبٍ وأخبار حروب، انظروا، لا ترتاعوا، لأنه لا بد أن تكون هذه كلها، ولكن ليس المنتهى بعدُ، لأنه تقومُ أمةٌ على أمة ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن، ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع، حينئذ يسلمونكم إلى ضيق، ويقتلونكم، وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي» انتهى.

ومرقس ولوقا خالفاه في هذه الجملة، وها أنا أورد قولهما، قال مرقس في - ص١٣ - ف٣: «وفيما هو جالس على جبل الزيتون تجاه الهيكل، سأله بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس على انفراد، قُلْ لنا: متى يكون هذا، وما هي العلامة عندما يتم جميع هذا؟ فأجابهم يسوع، وابتدأ يقول: انظروا، لا يُضلّكم أحد، فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: إني أنا هو، ويضلون كثيرين، فإذا سمعتم بحروب وأخبار حروب فلا ترتاعوا، لأنها لا بد أن تكون، ولكن ليس المنتهى بعد، لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة، وتكون زلازل في أماكن، وتكون مجاعات واضطرابات، هذه مبدأ الأوجاع، فانظروا إلى أنفسكم، لأنهم

سيسلمونكم إلى مجالس، وتجلدون في مجامع، وتوقفون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم، وينبغي أن يكرز أولاً بالإنجيل في جميع الأمم» انتهى.

وعبارة لوقا في - ص١١ - ف٧ ما نصه: «فسألوه قائلين: يا معلم متى يكون هذا، وما هي العلامة عندما يصير هذا؟ فقال: انظروا لا تضلوا، فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: إني أنا هو، والزمان قد قرب، فلا تذهبوا وراءهم، فإذا سمعتم بحروب وقلاقل، فلا تجزعوا، لأنه لا بد أن يكون هذا أولاً، ولكن لا يكون المنتهى سريعاً. ثم قال لهم: تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة، وتكون زلازل عظيمة في أماكن ومجاعات وأوبئة، وتكون مخاوف وعلامات عظيمة من السماء، وقبل هذا كله يلقون أيديهم عليكم، ويطردونكم، ويسلمونكم إلى مجامع، وتُسْحَبونَ وتُسَاقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمي، فيؤول ذلك لكم شهادة» انتهى.

أقول: ليس في ذِكْرِ مُناقضات هذه الجملة كبيرُ فائدةٍ، وعبارات الأناجيل الثلاثة أمامك، فطالعها، ولكن نشير إجمالاً إلى بعض التباين، ونردفُ ذلك بتكذيبِ هذه الجملة، بشهادة علمائكم، ولتعلم أولاً أن النصارى إن كانت تعتقد أن مثل هذا كلام المسيح، فهي ليست على شيء، حيث إنَّ عبارات الروايات الثلاثة فاسدة التركيب، فإن المترجم قال: أنا هو المسيح، ومرقس ولوقا زادا لفظ «إني» أنا هو المسيح، وعلى كُلٍّ فالكلامُ يحتمل معنيين:

الأول: أن الذين سيأتون باسمه يخبرون بأن عيسى هو المسيح وحينئذ لا يكون هذا من الضلال، لأنه إخبارٌ بحقيقة الحال.

والمعنى الثاني: أن الذين سيأتون يَدَّعي كل منهم عن نفسه أنه هو المسيح، وهذا المعنى لا يفيده تركيب العبارة، وإن كان هو المراد، ودلالتها على المعنى الأول أقرب، وإن كان غير مراد، على أنه لم يأت بعد المسيح إلى زماننا هذا

من ادعى أنه هو المسيح، وهذه تواريخ العالم بأجمعها، لم تذكر شيئاً من ذلك. نعم نقل التاريخ لنا مَن ادَّعى النبوة فقط، لأنه هو المسيح الموعود به في العهد القديم.

ثم إن قول المترجم: «وما هي علامة مجيئك» لا محلَّ له ولا مناسبة تقتضيه، لأن السؤال وقع عن نقض الهيكل فقط، ونقضه لم يكن موقوفاً على مجيء المسيح حتى يقال: ما علامة مجيئك. والمسيح لم يخبرهم قبل سؤالهم بأنه سيجيءُ حتى يتوجَّه السؤال، ولكن أَبَتْ طويَّتُه إلا أن يدسّ، فقدم السؤال حتى يثبت بالجواب مجيئه في آخر الإصحاح، ونحنُ معاشرَ المسلمين لا نَجحدُ نزوله ومجيئه، ولكن هذه الجملة ابتدعها وحده، ولم يذكرها غيره، ثم مَنْ نظر إلى قوله: «وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب» يعلم أنه ليس من كلام المسيح، فهل الأخبار عن الحروب غير سماع الحروب، وهل يكون إخباره بالحروب علامة على انقضاء الدهر، أو إخباراً عن المغيبات، مع أنه لا يخلو زمانٌ من حروبٍ تقع بين الدول والقبائل، وهذا التاريخ ينبئك بذلِك، فهو كَمَنْ يُخبرُ عن طلوعِ الشمس في غد.

ولا معنى أيضاً لقوله: «لا ترتاعوا» إذ لم يحدثهم بشيء يوجب الارتياع سوى أنه قال: سينقض أحجار الهيكل، وهذا لا يروعهم، لأن بولس يزعم أنه منسوخٌ الحُكْمِ، وأن هيكلَهم في السموات، كما يُفْهَمُ من رسائله، وأما الحروب فليس حظهم منها إلا استماع أخبارها، وهل سماع الأخبار مما ترتاع منه الأحبار.

ثم إن المترجم قال: يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم، ومرقس أبدل القتل بالجلد، وشَتَّانَ ما بينهما، ولوقا اختار السجن لكنه هَوَّلَ الأمر فقال «ستكون حروب وقلاقل وزلازل عظيمة ومجاعات وأوبئة ومخاوف وعلامات عظيمة من السماء» وهذه كلها مشهودة في العالم قبل المسيح وبعده، ولم يبق إلا العلامات العظيمة في السماء، وقد مضى تسعة عشر جيلاً، ولم نَرَ أثراً لها، وأعظم حادثة

وقعت في الأرض جعلوها النصارى من إخبارات المسيح هي خرابُ الهيكل على يد إسفيانوس الروحي ملك الشام، عندما تَنَصَّرَ وأرسل ولده المسمى طيطوز على بيت المقدس بعسكره من الشام، فقتل جمعاً كثيراً من اليهود، وخَرَّبَ الهيكل قهراً لليهود، وقد وفق اللهُ تعالى لبنائه وتعميره المسلمين تكذيباً للمترجم ورفيقيه كما مر بحثه، وأنت تعلم أن واقعة طيطوز هذه كانت في القرن الأول للمسيح، أي قبل تصنيف هذه الأناجيل الأربعة، فبعد خرابه ذكروا هذا الخبر بقولهم: «لا يترك حجر على حجر لا ينقض» وهو حينئذ منقوض، ولعلَّ الإلهامَ في ذلك الزمن كان لا يمكنُ نزولُه إلا بعد وقوع الأمر.

ولنرجع إلى دَسِّ مرقس بقوله: «إنه ينبغي أن يكرز بالإنجيل في جميع الأمم» وأظنه أراد بهذا الافتراء أن تكون دعوة عيسى عامة، ولعمري إنه كالفار الأعور يرى الخبز ولا يرى القط، فهل عميت عيناه عن قول المسيح في إنجيل متى - بص١٠ - ف٥ ونصه: «هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع، وأوصاهم قائلاً: إلى طريقِ أممٍ لا تمضوا، وإلى مدينةٍ للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خرافِ بيتِ إسرائيل الضالة» وكذلك في ص١٥ - ف٢٤: «لم أُرسَلْ إلا إلى خرافِ بيتِ إسرائيل الضالة» فمن أين أتى بهذه الكذبة، وإخوانه الثلاثة لم يذكروها، وعلى فرض صحتها، فلأيِّ حكمةٍ سكت، عليه السلام، مُدَّةَ حياتهِ عن نشر دعوتهِ العامة خصوصاً حينما كان يكرز في الهيكل بمحضر من رؤساء بني إسرائيل.

ولنرجع إلى إتمام البحث عما أورده مترجمُ مَتَّى من العلامات قال في ف١٠: «وحينئذ يعثر كثيرون، ويسلمون بعضهم بعضاً، ويبغضون بعضهم بعضاً، ويقوم أنبياء كذبة كثيرون، ويضلون كثيرين، ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين، ولكن الذي يصبر إلى المنتهى، فهذا يخلص ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم، ثم يأتي المنتهى».

وهذه الزيادات لم يذكرها غيره إلا قوله: «يكرز ببشارة الملكوت» إلخ فقد تقدم ما هو قريب منه في مرقس، وذلك قوله: «ينبغي أن يكرز أولاً في جميع الأمم» وقد علمتَ أن التناقضَ بينهما ظاهرٌ، لأن عبارة مرقس سيكون الكرز بالإنجيل قبل وقوع تلك الحوادث المار ذكرها. وعبارة متى هنا تفيد أن الكرز ليس بالإنجيل، بل ببشارة الملكوت، ويكون قبل انتهاء الدهر، وبينهما كما بينَ السماء والأرض.

فيفهم من رواية مرقس أنه قد وقع الكرز بالإنجيل في زمن الحواريين، كما قال عيسى، والمترجم بعد أن ذكر علامات الساعة قال: «يكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادةً لجميعِ الأمم، ثم يأتي المنتهى» وذلك إشارة إلى بشارة القرآن في كل المسكونة، وتكون هذه الأمة أي المسلمين شهوداً على كافة الأمم، وبعد هذا وهذا يأتي المنتهى، أي: تقومُ الساعة، كما قال تعالى في كتابه العزيز، في آخر سوة الحج ﴿وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج].

وسيأتي لهذا البحث زيادةُ تفصيلٍ في بشارة سيد الأنام، في الفصل الثاني من يوحنا، فطالعه.

ومن تأمل لهذا البحث، يرى فيه إشارة إلى تلاعب بولس في النصرانية، وتدليسه في التنصر بعد اليهودية، لأنه يصدق عليه قول المسيح: «ويقوم أنبياءُ كَذَبة، ويضلون كثيرين».

ولو أنصفتَ أيها النبيه، لحكمتَ من غير تردد بأن بولس أحد هذه الأنبياء الكذبة، لأنَّ تَلَوُّنَهُ في الأقوالِ وتردده في الأعمال، كما يثبت من رسائله، دليلٌ واضح على أنه لم يُرِدْ إلا غشّ هذه الأمة التي هي أسيرة الأساقفة، لأن رسائله، وأقواله تدل على أنه هو الذي أخرجها من سلك الكتابيين إلى عقيدة باطلة مركبة

من ثلاثة أجزاء كمعبودهم، فجزءٌ منها مأخوذ من عقيدة المجوس، لأنهم يسجدون لمطلع الشمس، وجزء مأخوذ من عقيدة المشركين وعبدة الأصنام، لأنهم يسجدون للخمر والخميرة والصليب، والثالث مأخوذ من عقيدة البراهمة المتوطِّنينَ في الهند، لأنهم يثلثون الإله لأقانيم ثلاثة، ولا تسأل عن عقيدتهم في الليل، فهي أشبه بالإباحيين، لأن الغانيات والعذارى يتراقصن بين الجموع من الرجال، وهُنَّ متعانقات مع الشبان، بحضور أزواجهن، ومع إخوانهن وآبائهن، وهكذا ضاع هذا الدين والإنجيل بين بولس والمترجمين وأمثاله من الأساقفة والقسيسين، على أنّ كثيراً من فضلاء مؤرخيهم يدعون أن تلك الأباطيل صُنِّفَتْ بعد انقراض بولس والحواريين، ونسبت لهم حتى يعتبرها الناس، وهو الأقرب للعقل.

قال (بوس بيس) في الباب الخامس والعشرين من الكتاب السادس من تاريخه: قال أرجن في المجلد الخامس من شرح إنجيل يوحنا: «إن بولس ما كتب شيئاً إلى جميع الكنائس، والذي كتبه إلى بعضها فسطران أو أربعة سطور» فعلى قول أرجن أن الرسائل المنسوبة إلى بولس ليست من تصنيفه، بل هي جعلية، نسبت إليه، ولعل سطرين أو ثلاثة توجد في بعضها من كلام بولس. انتهى.

فإنْ صَحَّ ذلك، فاللومُ على المفترين لا عليه، ولنرجع إلى البحث، فإن مرقس ولوقا ذكرا في خلال هذه الوصية فصلاً طويلاً، لم يذكره المترجم، وقد ذكر البعض منه مختصراً في الإصحاح العاشر، ولو ذكره في هذا الإصحاح لكان أولى من ذكره هناك، ولكن لا نعلم بأسراره، وهو المُلْهَمُ، ولعل مرقس ولوقا وجدا الأنسب وضعه هنا، مع ما أكملاه من الزيادات تفسيراً أو إلهاماً، وهذا شيء يعلمه المسيحي الذي يعتقد أن هذا الخبص وحي، وهو بكلام المحموم أشبه، والمسيح صلوات الله عليه مُنَزَّهٌ عن مثله. والأعجب أن المسيحي يجعل

مثل هذا الخلط دليلاً على أن التلاميذ ملهمون، ولا يجوز وقوع الغلط منهم، على أن هذه الرواية تواطأ على نقلها الثلاثة، وكررها المترجم ضمناً، ولوقا صراحة، وهي كما ترى من الكذب المحض على المسيح، سلام الله عليه.

ومما يزيدك يقيناً ما في ص٢٣ - ف١ من أعمال الرسل حيث قال: «فتفرَّسَ بولس في المجمع وقال أيها الرجال الإخوة: إني بكل ضمير صالح قد عشت لله إلى هذا اليوم، فأمر حنانيا رئيسُ الكهنة الواقفين عنده أن يضربوه على فمه، حينئذٍ قال له بولس: سيضربك الله أيها الحائط المبيض، أفأنتَ جالسٌ تحكم على حسب الناموس، وأنت تأمرُ بضربي مخالفاً للناموس، فقال الواقفون: أتشتمُ رئيسَ كهنة الله؟! فقال بولس: لم أكن أعرف أيها الإخوة أنه رئيس كهنة، لأنه مكتوب: رئيسَ شعبكَ لا تقلْ فيه سوء» انتهى.

فلو كان زعمهم صحيحاً في عدم جواز وقوع الغلط عنهم، لأنهم يتكلمون بروح القدس أو روح أبيهم الذي يتكلم فيهم، أو المسيح يعطيهم فماً وحكمة، على حسب اختلافهم، لما غلط مُقَدَّسُهم بولس الذي يزعمون أنه فاز بالصحبة الروحانية التي تشرفت بها ذاته، وما يدعيه بنفسه من المساواة بأعظم الحواريين بطرس، ولا فرق بينهما عند البروتستنت، فإن كان نبياً كالتلاميذ بالنسبة للمساواة معهم فغلطهُ دليلٌ على عدم صدق الرواية المذكورة، وقد اعترف العلماء من المسيحيين عامة والبروتستنت خاصة بالاختلاف والغلط ههنا، فمن أحب أن يقف على أقوالهم، فليراجع الفصل الرابع من كتاب «إظهار الحق» للشيخ رحمة الله الهندي.

ثم أورد المترجم من هذا الإصحاح ف١٥ قوله: «فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس، ليفهم القارىء، فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال، والذي على السطح، فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئاً، والذي في الحقل فلا يرجع إلى ورائه، ليأخذ ثيابه، وويل للحبالى

والمرضعات في تلك الأيام، وصلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء ولا في سبت، لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم، لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن، ولن يكونِ، ولو لم تُقْصَر تلك الأيام لم يخلص جسد، ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام حينئذ، إنْ قال لكم أحد هُوَ ذا المسيح هنا أو هناك، فلا تصدقوا، لأنه سيقوم مُسَحَاء كَذَبة، وأنبياء كذبة، ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً، ها أنا قد سبقتُ وأخبرتكم، فإن قالوا لكم: ها هو في البرية، فلا تخرجوا، ها هو في المخادع، فلا تصدقوا، لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق، ويظهر إلى المغارب، هكذا يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان، لأنه حيثما تكون الجثة، فهناك تجتمع النسور» انتهى.

لا يخفى على المتأمل الفطن أنه لا مناسبة هنا لما نقله هذا المترجم افتراء من سِفر دانيال، ولا تعلُّق له في هذا البحث، وسوف يأتي الكلام عليه بعد شرح هذه الجملة، فأما قوله: «لا يكون هربكم في شتاء ولا في سبت»، فتفسيره ظاهر، لأن السفر في الشتاء صعب ومهلك، وأما قوله في السبت ففيه تقريرٌ لحكمِ السبتِ على المسيحيين، فكيف ساغَ للمسيحيين أن يُبْطِلُوا كلامَ موسى وعيسى، عليهما السلام، ويبدلوا السبت بالأحد، وقوله: «حيثما تكون الجثة فهناك تجتمع النسور»، فهو تشبيه شنيع، لأن النسور لا تجتمع إلا على الميتة، ومِثْل هذا لا يصدر عن عيسى، وهو الذي آتاه الله الكتابَ والحِكمة.

ثم إن مرقس تابع المترجم في هذه الجملة، فأوردها في ص١٣ - ف١٤ حرفاً بحرف إلا أنه زاد كلمتين على المترجم وهي قوله: «حيث لا ينبغي» وذلك بدل قوله «المكان المقدس» زيادة على مرقس، فقد تكافآ في الزيادة والنقصان والمسابقة في الكذب والبهتان، كما هو عادتهما، وقال مرقس في هذه الجملة: «وصلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء» ولم يذكر السبت، وابتلعه هرباً من ثبوته عليه، ووافق المترجم في بقية كلامه، لكنه خالفه في التقديم والتأخير وقليل من

الألفاظ، إلى قوله ف٢٣: «ها أنا قد سبقت وأخبرتكم بكل شيء» وهو ختام البحث عنده.

وما أتى به المترجم من الزيادة من قوله: «لأنه كما البرق إلى نهاية الجملة» لم يوردها مرقس كلياً، وتمام عبارة لوقا في هذا البحث مناقضة للمترجم ومرقس، وهذا نصه ف٢١ - من - ص٢١: «حينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال، والذين في وسطها، فليفروا خارجاً، والذين في الكور فلا يدخلوها، لأن هذه أيام انتقام، ليتم كل ما هو مكتوب» أي في أسفارِ الأنبياء كما أن اليهود يقولون: إن النصارى قد أخذت هذه الأخبار المار ذكرها، والذي يأتي بعدها، من أسفارهم، وأدخلوها في أناجيلهم، وهذا ليس ببعيد منهم، فإن الكذبَ عادتُهم، والبهتان شيمتهم، وستعلم قريباً أن ما عزوه للمسيح، في رواياتهم، كذبٌ لا أصلَ له.

وباقي عبارة لوقا: «وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام، لأنه يكون ضِيقٌ عظيم على الأرض وسخط على هذا الشعب، ويقعون بفم السيف، ويُسْبَوْنَ إلى جميع الأمم، وتكون أورشليم مَدُوسةً من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم» فهذا الكلامُ الطويل العريض لم يذكره المترجم ولا مرقس، فإذا لم يتفقوا على رواية المتن لا بالمعنى ولا باللفظ، وليس عندهم سندٌ صحيح لإحدى الروايات حتى يكون داعياً للتمسك بها في ترجيحها على باقي الروايات، فكيف يَصحُّ التصديقُ بأنه وحيٌ؟!.

ولوقا زاد في الطنبور نغمةً حيث أورد باقي ما أورده المترجم في إصحاحات أخر، ليثبت التناقض من سائر الأطراف، فأورد النص في ص١٧ - ف٢٣ ولفظه: «ويقولون لكم: هوَذا ها هنا، أو هو ذا هناك، لا تذهبوا، ولا تتبعوا، لأنه كما أن البرق الذي يبرق من ناحية تحت السماء، يضيء إلى ناحية تحت السماء، كذلك يكون أيضاً ابن الإنسان في يومه». ولا يذهب عن ذوقك السليم

أنَّ الواجب على لوقا أن يورد ذلك في ص٢١ ليكون الكلامُ ملتئماً في شأنِ يوم مجيء عيسى، ولكن الأناجيل تحالفت على أن تختلف وتضطرب لفظاً ومعنى، حتى في التاريخ، وذلك لِيُحِقَّ اللهُ الحقَّ، ويُزهقَ الباطل، إنَّ الباطل كان زهوقاً.

ثم أورد أيضاً مثل النسور واجتماعهم على الفطيسة في آخر ص١٧ عقب كلامٍ أورده المترجم في الإصحاح العاشر، فكانت جهة اختلاف التاريخ أشدّ وطأةً على القوم من اختلاف الألفاظ، وهم يريدون أن يغطوا على الحق بالباطل، ويقولون، هذه كتب مقدسة منزهة عن التحريف.

واعلم أن ما أوردناه من كلام المترجم ورفيقيه إلى هنا ناطق بأن نزول المسيح ومجيء القيامة يكونُ عقبَ خرابِ البيت المقدس بالأفاضل، وذلك كالمتفق عليه عند المسيحيين، وهو المختار عند «بالس» و«استار» وغيرهما من علمائهم، كما هو ظن الحواريين أيضاً، وهو الظاهر المتبادر من سياق الكلام في الإصحاح المذكور بف٢٩ ونصه: «وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تُظلمُ الشمس، والقمرُ لا يعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السموات تتزعزع؛ وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء، وحينئذ تنوحُ جميعُ قبائل الأرض، ويبصرون ابنَ الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوةٍ ومجد كثير، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت، فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح، من أقصاء السموات إلى أقصائها» انتهى.

ويستفاد من جميع تلك الجمل، أن الجيل الذي كان في عصر المسيح يرى الأشياء المذكورة، أعني خراب بيت المقدس، ونزول عيسى، وقيام الساعة، وهو خلاف الواقع.

وعبارة مرقس في - ص١٣ - ف٢٤ من قبيل عبارة المترجم هذه إلا أنه خالفه، فإن المترجم صدَّر عبارته بقوله: «وللوقت بعد ضيق تلك الأيام» وعبارة

مرقس هكذا: «وأما في تلك الأيام بعد ذلك الضيق» بينهما بَون بعيد.

وقول المترجم «وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض» فهذه العلامة لم يَنْظُرْهَا مرقس، وذلك النَّوْحُ لم يسمعه، حتى البوق العظيم استقلَّ به المترجم وحده، لم يسمعه مرقس ولا غيره؛ والمترجم هنا تأبط شراً لإثبات ألوهية المسيح، بمجرد إلحاقِ الهاء في لفظ الملائكةِ، وإني لأعجبُ من سخافة عقله إذ ذكر في هذا الإصحاح عن المسيح قوله: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحدٌ ولا ملائكة السموات» فلم يُضِف الملائكةَ إليه، وبين الجملتين نحو السطرين كما ترى، والبحث واحد، وليت هذا المسكين يعلم أن علماء الإسلام دونوا الألوف من المجلدات الضخمة في إثبات واجب الوجود، أمام الطبيعيين، وهم في جِدالٍ قائم على ساق، منذ خلقهم الله إلى الآن، فكيف يريد هذا المسكين أن يثبت ألوهية المسيح الذي هو عبدٌ مخلوق لله تعالى، بمجرد إضافة هاء الضمير إلى الملائكة. تالله إن هذا لمن أفحش الجنون، والجنونُ فنون أيها الجاحدُ للحق والمعاند بالباطل، ألم تقرأ ما رواه يوحنا في ص١ ف١٥ من إنجيله: «من الآن ترون السماء مفتوحة، وملائكةُ الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان» وهذا النص كاف يلقم المترجم حجراً.

وليت شعري ماذا أراد بقوله: وتظهر علامة ابن الإنسان في السماء، أيقصد أنهم يرون صورته أو اسمه مكتوباً في السماء، ولأيِّ سببٍ ينوحون؟

وقوله: «من أقصاء السموات إلى أقصائها» الظاهرُ أنه أراد به من مبدأ السموات إلى منتهاها؛ وخالفه مرقس حيث قال: «من أقصاء الأرضِ إلى أقصاء السماء» وخالفهما لوقا وعبارته في ص٢١ - ف٢٥: «وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم وعلى الأرض كَرْبُ أممٍ بِحَيْرةٍ، البحرُ والأمواج تضج، والناس يُغْشَى عليهم من خوفٍ وانتظارِ ما يأتي على المسكونة، لأن قوات السموات تتزعزع، وحينئذ يبصرون ابنَ الإنسان آتياً في سحابةٍ بقوة ومجد كثير، ومتى

ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لأن نجاتكم تقترب» انتهى.

ولا يسع المسيحي أنْ يجزمَ بأن هذه الأقوال الثلاثة مطابقة لبعضها، ولو طابقت هذه النصوص على النسخة التي طبعت في بيروت سنة ١٨٧٠ والنسخة المطبوعة سنة ١٨٤٨ في لندن لأخذكَ الدهشُ والعجبُ من الاختلاف بينهما، والتحريف فيهما، والمدة بين الطبعين خمسون سنة.

تنبيه: نقل الأستاذ الشيخ رحمة الله الهندي، رحمه الله تعالى، في كتابه «إظهار الحق» عن باسوبر ولياقان، وهما من مشاهير العلماء المسيحية، أنهما قالا في كتابيهما: إنَّ روح القدس الذي كتب الإنجيليون والحواريون بتعليمهِ وإعانته، لم يُعَيِّنْ لهم لساناً معيناً، بل ألقى المضمونَ فقط في قلوبهم، وحَفِظَهم من الغلط، وخيّر كلاً منهم أن يؤدي المُلْقَى عليه على حسب محاورته وعبارته» انتهى.

فهذا قرار صريح، من هذين الفاضلين، بأن الأناجيل الموجودة لم تكن عينَ الإنجيلِ الذي كان بيد المسيح، عليه السلام، وهو غرضُنا وحجتنا، ولكن قولهما: إن روح القدس ألقى مضمون الإنجيل... الخ دعوى مُجَرَّدة عن الدليل، والظاهرُ يُكَذّبهما، والمحسوس عكس ما لَفَّقاهُ، فإن الأناجيل الموجودة الآن بيد النصارى، فضلاً عن كونها متناقضة مع بعضها، فإنَّ كل إنجيلٍ منها آخره يكذب أوله، بل كل جملة تكذب الثانية، كما أثبتنا ذلك، وسيأتي نظيره، فكيف يقال بأن الروح القدس حفظهم من الغلط، وهو لم يحفظهم من الكذب؛ ولو سكتنا عن ذلك، ماذا يقولان في تبديلِ وتحريفِ النصوص المنقولةِ من أسفار الأنبياء، وكيف يعتذران عن التبديل والتغيير والزيادة والنقصان، بين النسخة المطبوعة قديماً في لندن سنة ١٨٤٨ وبين المطبوعة حديثاً في بيروت سنة ١٨٩٦ التي تكرر منا التنبيه على ارتكابها التحريف.

والنص الوارد في آخر الإصحاح التاسع من سفر دانيال هو هذا: «تبطل الذبيحة والقربان، ويكون في الهيكل رجسة الخراب، وإلى الفناء والانقضاء يدوم».

فنقول قبل أن نأتي بالكلام على قضية تحريفه وتطبيقه: إنَّ هذا النص إنْ صَحَّ عن دانيال، فهو عائدٌ عليكم أيها النصارى باللائمة، لأن المسيح لم يبطل أحكام الذبيحة والقربان، بل كان يأمر بهما، وكذا الحواريون على ما صح من سيرتهم، فهم على قدم المسيح، لم يغيروا شيئاً من أحكام الله تعالى التي أنزلها على موسى، وأتى عيسى مُؤَيِّداً لها، التي منها الذبيحة، ودليلنا على أن الحواريين كانوا آخذينَ بذلك قولُ بولس لبطرس: هل أنتَ يهودي؟ لأنه كان يَتعَبَّد طبق التوراة التي أمر الله نبيه عيسى أن يتعبد بها هو وقومه، وهذه الرسائلُ وأعمال الرسل مشحونة من الدلائل على ذلك، ولا حاجة إلى بسط الدليل.

وهكذا استمر الأمر إلى انقراض الحواريين، فخلف من بعدهم قوم، أضاعوا دِينهم، فكانوا بئس الخلف، لأنهم بَدَّلُوا أحكامَ كتاب الله، واتبعوا ما أوحى إليهم الشيطانُ من زُخْرفِ القول، وزين لهم أعمالهم، فأبطلوا الذبيحة، وأباحوا أكل الرجس، أي: لحم الخنزير، وهتكوا السبت، وصاروا يدخلون الهيكل وهم مُتلبِّسين بالجنابة غير مختونين، حتى إنكم خربتم الهيكل بأيديكم عناداً لليهود، وملأتموه رجساً، كما حكينا ذلك نقلاً عن مؤرخيكم وعلمائكم، وحَوَّلتم قبلته إلى مشرقِ الشمس تبعاً للمجوس، وأبطلتم السجودَ لله تعالى، في الهيكل، فسجدتم للصليب والخمرة والخميرة والصور تبعاً للوثنيين، فهذا هو الرجس في البيت المقدس الذي قال عنه دانيال، فأرسل اللهُ لتطهيرِ هذا البيت الذي هو معبد أنبيائه الكرام، الخليفةَ الثاني عمر الفاروق، رضي الله تعالى عنه، فأزال بيده هو وأصحابه النجاسةَ الظاهرية منه، وطهَّرهُ من الشرك، وهي الطهارة المعنوية بأنْ أعاده مسجداً للطائعين والرُّكَّعِ السجود، من الموحدين، فليبكِ المسيحي على

دينه، إنْ صَحَّ أنه خاضع لسفر دانيال عليه السلام.

وقوله: إلى الفناء والانقضاء يدوم الخراب، أي المعنوي، لأن الله تعالى لما أذن بظهور الإسلام، ارتضى لعباده قبلة غير هذا البيت، أي بيت الله الحرام، وحول الذبيحة والقربان من هيكل بيت المقدس إلى مجتمع المسلمين في الحج، فبقيَ بيتُ المقدس مهجوراً من القربان وعوائد بني إسرائيل إلى يوم النشور كما قال دانيال، وإلى الفناء والانقضاء يدوم الخراب، أي يترك إلى يوم الدين أيها المسيحي الفطن.

لا تعجبْ من شرحي هذا لنص دانيال، عليه السلام، فإن عيسى عليه السلام أوضحَ الأمرَ في محاورته مع السامرية كما ذكره يوحنا في ص٤ ف١٩ بقوله: «قال لها يسوع: يا امرأة صدّقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل، ولا في أورشليم تسجدون للأب» فكان كما قال عيسى ودانيال عليهما السلام لأن بولس أبطل القربان والمذبح والهيكل، وحول القبلة، كما شرحنا، فاقتفت النصارى أثره، وساروا بسيرِه، وهو أمر بديهي، يفهمه حتى الجاهل.

ومَنْ أمعن النظر، وجد صحة الخبر، وعلم أن الإسلامَ هو دين الأنبياء، من آدم إلى عيسى إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وأن النبوات لا تتم إلا بالإسلام، فالله يتولى هُدانا أجمعين، على أنَّ المسيحيين لو أنصفوا، لرفضوا قبول تلك الخرافات، وذهبوا لتأييد النصوص التي يزعمون روايتها عن الله تعالى، في الأسفار، وقد ورد أيضاً في سِفر الملوك الثاني في ص٧ - ف١٠ من سفر صموئيل ما نصه: وعد الله لبني إسرائيل على لسان ناثان النبي هكذا «وأنا أجعل مكاناً، وأنصبه لبني إسرائيل، ويحل في مكانه بالهدو ولا تعود بنو الإثم أن يستعبدوه كما كانوا من قبل» وفيه «وعد الله لداود على لسان ناثان النبي عليهما السلام هكذا فإذا تمت أيامك، ونمت مع آبائك، فإني أقيمُ زرعك من بعدك الذي يخرج من بطنك، وأثبت ملكه وهو يبني بيتاً لاسمي، وأصلح كرسي

ملكه إلى الأبد، وأنا أكون له أباً، وهو يكون ابناً. . . إلى أن قال: وبيتك يكون أميناً، وملكك إلى الدهر أمامك، وكرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد» إلى غير ذلك من النصوص التي تشير إلى أنَّ أهلَ هذا المكان يكونون بالهدو والاطمئنان، ولا يحصل لهم أي ضرر.

فيا أيها المسيحي: إن هذه أناجيلكم تنقضُ أسفاركم، فلا يعلم أي الكتابين أصح رواية، فإن أذعنت لرواة الأناجيل، فقد كذبت أخبار السماء المروية عن ناثان النبي الذي هو أحد آباء المسيح، وعليك إثم الأريسيين، وإنْ قلتَ بكذب ما روته الأسفار، فعليك إثم الصدوقيين، لأنك تقول ضمناً: إن الله مُخْلِف وعده رسله، والله تعالى لا يخلف الميعاد؛ وتكون كذبتَ الأناجيل. وعلى كلٍّ فقد أفسدتَ دِينكَ عليك.

ويضحكني هنا ما نقله العلامة رحمة الله الهندي، عليه الرحمة والرضوان، عن تفسير دوالى درجرمنيت، حين كتب على تفسير بعض هذه الإخبارات هكذا «إن تعيين مبدأ هذا الخبر ومنتهاه، قبل أن يكمل، مشكل، فإذا أكمل، يظهر الواقع» فقد قال العلامة المبرور، ضاعف الله له الأجور، رحمة الله الهندي في «إظهار الحق»: وهذا التوجيه ضعيف، أحقُّ أنْ تضحكَ عليه الثكلى، وإلا فيقدر كُلُّ فاسقٍ أيضاً أن يُخْبِرَ بمثل هذا الخبر إخبارات كثيرة بلا تعيين المبدأ والمنتهى، ويقول: إذا كملت يظهرها الواقع، والإنصاف أن هؤلاء معذورون لكونِ أن الكلامَ فاسدٌ من أصله. انتهى بحروفه.

تنبيه: من المقرر أن حكم الذبيحة والقربان كان معتبراً في بني إسرائيل إلى أن جاء عيسى، صلواتُ الله عليه، فكان ذلك أيضاً من شريعته، لأنه قرر أحكام التوراة في الأناجيل الأربعة، وفيها أوامر المسيح بلفظ صريح، وذلك لمّا أمر المرضى والمصابين بتقديم القرابين، إلى الهيكل، فدية عنهم حسب أوامر الناموس، فكان ذلك تقريراً منه لأحكامه علماً وعملاً، ولكنْ خَلَفَ من بعده

خلفٌ أضاعوا دينهم، واتخذوه لعباً ولهواً، فنسخوا ذلك الحكم بذبح المسيح نفسَهُ فداءً لذلك، فحصل من ذبح نفسه بنفسه فائدتان للمسيحيين، الأَولى: أنه وَفَّرَ عليهم أموالاً عظيمة، وهي ثمنُ القرابين للمذبح، والثانية: أنه خَلَّصهم من ربقة الذنوب، بجعل نفسه فداء لهم، لكن هنا أمرٌ مُشْكِلٌ جداً، وهو قول بولس: إن دم المسيح كان بدلاً عن دم الثيران والتيوس قرباناً أبدياً، كما ورد ذلك عنه في ص٩ - ف١٣ من رسالته إلى العبرانية، ونصه: «لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المُنْجّسين، يُقَدِّسُ إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروحٍ أزلي قَدَّمَ نفسه لله بلا عيب، يُطَهِّرُ ضمائركم من أعمال مَيِّتة، لتخدموا الله الحي» انتهى.

ويعلم الله تعالى أن المسيحي بذلك قد استهان بقدر الله ورسوله المسيح، صلى الله عليه وسلم، فويل له بجعله إلهاً يعبده، ثم يجعل دمه بدلاً من دم التيوس. بُؤْساً وبُعداً لك أيها المعتقِدُ بهذا، ألم تكفك تلك الاستهانة بالمسيح، وأنت تقرأ في أسفارك: أن الذبيح إسحاق، وهو رئيس بيت إسرائيل، وأب لكل إسرائيلي، قد فداه الله تعالى من الذبح بكبش، وأنت تجعلُ المسيحَ بدلاً عن التيوس؟! ألا تستحي أيها المسيحي من هذه الأقاويل الباطلة والأراجيف الكاذبة.

وقد وعدتك أيها المسيحي أن أختم البحث في بيان تحريف النص المنقول من سفر دانيال، لتكونَ على بصيرةٍ من دينك، وتقف على حال أناجيلك، وأظهر لك حقيقة الأمر، بالتطبيق بين نسختَي العهد الجديد والعتيق المطبوعة في لندن سنة ١٨٤٨ والمطبوعة في بيروت سنة ١٨٧٠، وهناك ترى تلاعب رؤساء دينك المتأخِّرينَ، علاوة على تحريف المتقدمين، ويظهر حينئذ الحق، ويَتَّضِحُ ما جرى في هذه الأناجيل من التغيير والتبديل في التسعة عشر جيلاً، فهذه عبارة المترجم في - ص٢٤ - ف١٥ من نسخة بيروت: «فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس، ليفهم القارىء» ولفظه في نسخة

لندن «فإذا رأيتم رجس الخراب قائماً، حيث ليس بواجب، فليفهم القارىء» وعبارة مرقس في - ص١٣ - ف١٤ من نسخة بيروت هكذا «فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة، حيث لا ينبغي القارىء» وعبارته في نسخة لندن هكذا: «فإذا رأيتم رجس الخراب قائماً، حيث ليس بواجب، فليفهم القارىء».

وهنا ننبه القارىء أن يدقق النظر في هذا التحريف الواقع بين المترجم ومرقس، ثم ينظر التغاير في كلامهما بين النسختين، ليرى اختلافاً في اللفظ والمعنى، بحيث يحكم أن هذه غير تلك. وهما أمامك، فاجهد في التطبيق، لأن قومك لا يبصرون، بل هم يناضلون عن هذه الكتب ولا ينصفون، والأفحشُ من هذا كله أنهم نقلوا النص من أسفار دانيال إلى الإنجيل، بخلاف ما هو مسطور في الأسفار، وإليك بيانه.

قال في النسخة المطبوعة في بيروت في آخر الإصحاح التاسع من أسفار دانيال هكذا: «تبطل الذبيحة والتقدمة وعلى جناح الأرجاس مُخَرَّبٌ حتى يتم، ويُصَبَّ المقفى[1] على المُخَرِّبِ» وفي نسخة لندن هكذا «تبطل الذبيحة والقربان، ويكون الهيكل رجسة الخراب، وإلى الفناء والانقضاء يدوم الخراب» وعلى اختلافهما لم يكتف المترجم ومرقس أن ينقلا ذلك بالحرف، بل نقلاه بتحريف عنيف فوق التحريف الأول، فكانت ظلمات بعضها فوق بعض، حتى اتَّسعَ الخرق على الراقع.

والأعجب من ذلك أن الخوري، قرقماز، قال في الفصل الخامس عشر من كتابه المسمى «القول الصحيح في دين المسيح» المطبوع سنة ١٨٩٩ في فيلادلفيا، من ولايات أمريكا المتحدة ما نصه «إن البابا يعدّل ولا يبدّل» فالظاهر

---

(١) كذا في المطبوع، وفي النسخة الصادرة عن دار الكتاب المقدس بالقاهرة بمطبعة عنتر سنة ١٩٦٩ «المَقْضِيُّ» وكذلك «يبطل» عوضاً عن «تبطل».

أنهم يعتقدون أن البابا أفصح وأدرى من الوحي، وإلا لما قُبِلَ منه التعديل، وعلى كلٍّ فإن الأمر إليهم، لأنهم كلهم ملهمون، حتى مطابع الإنجيل ومَنْ يصحح لأجل الطبع، فإنهم يعدّلون ويبدلون ويزيدون وينقصون كما يشتهون، فصار ذلك عادة لهم، ونراهم يتفنَّنون في التحريف، فإن مصحح مطبعة بيروت اتخذ طريقة حسنة لذلك، فأدخل بين الفقرات في الأناجيل بعض الكلمات، بحروف دقيقة أصغر من حروف المتن، وقال: إن هذه العلاوات المتخللة بين الكلمات وضعت لأجل الإيضاح وحَلِّ الإبهام، فللَّهِ أبوهُ من تقيٍّ ورع، حيث برأ نفسه بهذا الإعلان، وأنكر أن يكون فعل ذلك لانتهاز الفرصة في تجديد طبع النسخة ثانياً، بـإدخال ما جعله للإيضاح في الأصل.

وهكذا كلما تجدد الطبع، يزيد فيها ما يريد إلى ما شاء الله، ويكتبه كما هو بحروف متساوية، ويفعل كما فعل في الأولى. ولعل هذه الحروف الصغار يعتبرونها مبادىء للإلهام، ثم تكبر كلما قوي واشتد، فهذا المُصَحِّحُ أحقُّ أن يُسَمَّى مجدد الدين المسيحي في القرن التاسع عشر، إذ هو الزاهد الورع، كيف لا وهو الذي أعلن في أول النسخة، ونبه القارىء؛ وما أشبه هذا التجاسر على تكرار التحريف، في جملة واحدة، بالرجل المشهور الذي كان شديدَ الشَّرَهِ في الطعام، إذ حضر وليمة، فملأ فمه من الطعام حتى كاد أن يختنق، وقبل أن يبتلع اللقمة ملأ كفه ثانياً، وأشار بسبابته إلى الثالثة، وبكفه الأخرى إلى الرابعة؛ فحضرةُ المصححَ أشد شرهاً بالتحريف من هذا الرجل، وليته عمل بآخر نص من الإنجيل حيث يقول «لأنه أشهد لكل من يسمع أقوال نبوة هذا الكتاب، إن كان أحد يزيدُ على هذا، يزيدُ الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب، وإن كان أحد يحذفُ من أقوال كتاب هذه النبوة، يحذف الله نصيبه من سفر الحياة، ومن المدينة المقدسة، ومن المكتوب في هذا الكتاب؛ يقول الشاهد بهذا: نعم أنا آتي سريعاً آمين، تعال أيها الرب يسوع، نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم آمين» انتهى.

وهـم كلمـا يكـررون قـراءة هـذه الجملـة، ويـدرسـون ضـربـاتهـا، يـزدادون بالتحريف، وهو دليل على أنهم يجحدونها، إذ لو كانوا يعتقدونها من الله، كيف يحرفون الإنجيل والضربات تُمْلَى عليهم؟! ثم إنه يستفاد من هذا النص ثلاثة أمور. الأول: أن عيسى عليه السلام نبي، لأنه قال فيه «نبوة هذا الكتاب».

الثاني: فرضية بيت المقدس، أي اتباع عوائده على المسيحيين، كما أن ذلك مفروض على اليهود، وذلك مأخوذ من قوله «ومن المدينة المقدسة».

الأمر الثالث: أن علماء المسيحيين لم يكتفوا بتحريف الإنجيل المطبوع حديثاً في بيروت، عن الإنجيل القديم، بل حرفوا هذه الجملة أيضاً، فجعلوا العبد رباً والرب عبداً، بقولهم في آخر الجملة المذكورة «تعال أيها الرب يسوع» وعبارة النسخة المطبوعة قديماً في لندن هكذا «تعال يا رَبَّ يسوع» بإضافة الربِّ إلى يسوع، فتأمل بين النسختين، ليظهر لك الفرق، فإن مطبعة لندن جعلت المنادى رب يسوع كما هو المتبادر، وأما مطبعة بيروت فإنها تأبطت شراً في التحريف، فجعلت يسوع هو الربّ المنادى، بعد ما كتبت بقلمها في حق من يزيد أو ينقص في الكتاب المذكور، من الوعيد بالضربات، ما فيه مُزْدَجَر، والله ولي التوفيق.

ولنرجع لإتمام الإصحاح قال المترجم - ف٣٢ «فمن شجرة التين تعلموا المثل: متى صار غصنها رَخْصاً[(١)]، وأخرجت أوراقها، تعلمون أن الصيف قريب؛ هكذا أنتم أيضاً، متى رأيتم هذا كله، فاعلموا أنه قريب على الأبواب. الحق أقول لكم: لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله، السماءُ والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول، وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا ملائكةُ السموات إلا أبي وحده» وعبارة مرقس في ص١٣ - ف٢٨ ما نصه: «فمن شجرة التين تعلموا المثل، متى صار غصنها رخصاً، وأخرجت

---

(١) أي: ناعماً.

أوراقاً، تعلمون أن الصيف قريب، هكذا أنتم أيضاً، متى رأيتم هذه الأشياء صائرة، فاعلموا أنه قريب على الأبواب؛ الحق أقول لكم: لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله، السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول، وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابنُ إلا الأب».

انظر أيها الفطن إلى التخالف بين المترجم ومرقس في الألفاظ، وفي بعض المعنى، ولوقا خالفهما، وزاد ونقص، وابتلع قولهما «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد... إلخ» وإذا كان عيسى إلهاً، فكيف يجهلُ علمَ الساعة؟! ومن الغريب أنهم يتأوَّلون ذلك، لسبب الصفة الناسوتية، كما خلط، بهذا التوجيه المفسر بنيامين بنكرتن حيث قال «أي من حيثُ كونِه بشراً يجهلُ ذلك» وهذا التوجيهُ يُضْحِكُ الثكلى، لأن قول المفسر هو عينُ قولنا بكونهِ بشراً، يجهلُ الساعة، ونحن لا نقول خلاف ما قاله المفسر، ونَرُدُّ دعوى الألوهية. وكيف يتصور اجتماع العلم والجهل بشيء واحد في شخص واحد، وهذا من المشكلات التي ارتبك فيها النصارى، ولا يمكنهم الجواب عنها، ومنها: اتفاقهم على أفحش الكذب، في آخر الجملة حكاية عن عيسى، أنه بعد أن ذكر علامات الساعة، ختم كلامه بقوله: «لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله» فقد وجب على كافة النصارى، على اختلافِ مذاهبهم، أن ينوحوا على عقولهم قبل دينهم، لأنه مضى ذلك الجيل، وأعقبه ثمانية عشر جيلاً، ولم يكن شيء مما وعد به عيسى من علامات الساعة.

والأعظمُ من هذه الفضيحة قولُهم: إن عيسى قال: الأرض والسماء تزولان، ولا يزول كلامي، حال كون كلامه قد زال، ولم تزل السماء والأرض، وحاشاه من أنْ يتكلم بمثل هذا، وهو ذلك الرسولُ المكرم المعصوم عن الكذب، فقد ثبت افتراؤه ببداهة العقل، ثم قال المترجم - ف٣٧: «وكما كانت أيام نوح،

كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان إلى أن قال - حينئذ يكون اثنان في الحقل، يؤخذ الواحد، ويترك الآخر، اثنتان تطحنان على الرحى، تؤخذ الواحدة، وتترك الأخرى» ومرقس لم يذكر ذلك. ولوقا خالف المترجم، فخلط خبر لوط بخبر نوح، وذكرهما معاً في ص١٧ - ف٢٦ فراجعه، وكان حقه إتماماً للبحث أن يذكر ذلك في ص٢١ لكن أبت نفسه إلا أن يخالفه بالمعنى والتاريخ، وزاد أيضاً قوله «ويكون اثنان على فراش واحد، فيؤخذ الواحد، ويترك الآخر» وليس لنا على القوم عتاب، لأنهم ملهمون.

ولعلماء المسيحية، في هذه الأخبار، أراجيف من القول، لا يصح منها شيء، وقد تقدم طرفٌ منها، وإن هذا معتقد الطبقة الأولى من المسيحيين، على ما تزعمه الرواة عنهم، وورودُ مثل هذا في الأناجيل الأربعة والرسائل وأعمال الرسل قد تكرر، ولا بأس أن نستأنف الكلام في هذا البحث، ونذكر فيه ما لم نذكره سابقاً، فنقول: قد تقدم - ص١٦ - ف٢٨ قول المترجم «فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجدِ أبيه، مع ملائكته، وحينئذٍ يجازي كل واحد حسب عمله، الحق أقول لكم: إن من القيام ههنا قوماً، لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته» انتهى.

وقد علمت أن هذه الرواية من محض الكذب والافتراء، لأن كلاً من القائمين هناك ذاقوا الموت، وصاروا عظاماً بالية، ومضى عليهم وعلى أبنائهم نحو من تسعة عشر قرناً، وما رأى أحد منهم ابنَ الله آتياً في ملكوته، في مجد أبيه مع الملائكة، وقال المترجم أيضاً في - ص١٠ - ف٢٣ «ومتى طردوكم في هذه المدينة، فاهربوا إلى الأخرى، فإني الحق أقول لكم: لا تُكْمِلُونَ مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان» انتهى.

وهذه الرواية الكاذبة والتي قبلها تشبه افتراءهم السابق بأنه قال: لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله، وقد مضى أجيال كثيرة، ولم يكن شيء مما وعدهم

به، كما أن الحواريين رضي الله تعالى عنهم، كملوا مدن إسرائيل، ولم يأت عيسى ولا الملائكة، بل هذا بولس وأعوانه شحنوا العباد والبلاد بالضلال، فضلاً عن مدن إسرائيل، بل كانوا يتراكضون في مدن أوربا وآسيا والهند، وحتى الآن أساقفتهم تتراكضُ في إفريقيا والصين، وما أتى ابن الإنسان في ملكوته.

واعلم أن هاتين الروايتين ذكرهما المترجم عن المسيح قبل العروج، وأما أقواله المروية عنه بعد العروج فهي هذه في ص٩ - ف١١ من كتاب المشاهدات «ها أنا آتٍ سريعاً» وكررها في ص٢٢ - ف٧ من الكتاب المذكور، فقال أيضاً: «ها أنا آت سريعاً» وفيه - ف١٠ «لا تحتم على أقوال نبوة هذا الكتاب، لأن الوقت قريب» وفيه أيضاً - ف٣٠ «أنا آت سريعاً» وقال يعقوب الحواري في - ص٥ - ف٨ من رسالته «فتأنّوا أنتم، وثبتوا قلوبكم، لأنَّ مجيء الرب قد اقترب» وفي - ص٤ - ف٧ من الرسالة الأولى لبطرس «وإنما نهاية كل شيء قد اقترب، فتعقَّلُوا، واصحُوا للصلوات» وفي - ص٢ - ف١٨ من الرسالة الأولى ليوحنا «أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة» وقال بولس في - ص٤ - ف٥ من الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيقي «فإننا نقول لكم هذا بكلام الرب، إننا نحن الأحياءُ الباقون إلى مجيء الرب، لا نسبق الراقدين» و -بص٤ - ف٥ من رسالة بولس أيضاً إلى أهل فيلبس: «الرب قريب».

ولما كانت عقيدتهم هكذا، وجب أن تكون هذه الأقوالُ كلها محمولةً على الظاهر غير مؤولة، وحيث مضى تسعة عشر جيلاً، ولم يكن شيء، مما افتروه على عيسى عليه السلام، ثبت أن ذلك من الكذب، وقد أقرَّ بذلك المحقق بيلي أحد معتبري فرقة بروتستنت في كتابه (الإسناد) المطبوع سنة ١٨٥٠ فقال في الصحيفة (٣٢٣) ما نصه: «الغلط الثاني الذي نُسِبَ إلى القدماء المسيحيين أنهم كانوا يرجون قرب القيامة، وأنا أقدم نظيراً آخر قبل الاعتراض، وهو أن ربنا قال في حق يوحنا لبطرس: إنْ كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء، فما ذلك ففهم هذا

القول، على خلافِ المراد، بأنَّ يوحنا لا يموت، فذاع بين الإخوة.

فانظروا لو كان هذا القولُ وصل إلينا، بعدما صار رأياً عاماً، وفُقِدَ السببُ الذي نشأ منه هذا الغلط، واستعد أحد اليوم لرد الملة اليسوعية، متمسكاً بهذا الغلط، لكان هذا الأمر بلحاظ الشيء الذي وصل إلينا في غاية الاعتساف، والذين يقولون: إنه يحصل الجزم من الإنجيل بأن الحواريين وقدماء المسيحية كانوا يرجون قيامَ القيامةِ في زمانهم، فلهم أن يتصوروا ما قلنا في هذا الغلط القديم القليل البقاء، وهذا الغلطُ منعهم عن كونهم خادعين، لكنْ يَرِدُ الآن سؤالٌ، وهو أنّا إذا سلّمنا أن رأي الحواريين كان قابلاً للسهو، فكيف يعتمد على أمر منهم؟ ويكفي في جوابه من جانب حامي الملة المسيحية في مقابلة المنكرين هذا القدر أن شهادة المسيحيين مطلوبة لي، ولا غرض لي عن رأيهم، وأن المطلب الأصلي مطلوب، ومن جانب النتيجة مأمون، لكنه لا بد أن يلاحظ في هذا الجواب أمران أيضاً، ليزولَ الخوفُ كله.

الأول: أن يميز المقصود الذي كان من إرسال الحواريين، وثبت من إظهارهم عن الشيء الذي هو أجنبي، أو اختلط به اتفاقاً، ولا حاجة لنا أن نقول في الأشياء التي هي أجنبية من الدين صراحة، لكن يقال في الأشياء التي اختلطت بالمقصود اتفاقاً قولاً ما، ومن هذه الأشياء تسلط الجن، والذين يفهمون أن هذا الرأي الغلط كان عاماً في ذلك الزمان، فوقع فيه مؤلفو الأناجيل واليهود الذين كانوا في ذلك الزمان، فلا بد أن يقبل هذا الأمر، ولا خوف منه في صدق الملة المسيحية، لأن هذه المسألة ليست من المسائل التي جاء بها عيسى، عليه السلام، بل اختلطت بالأقوال المسيحية اتفاقاً، بسبب كونها رأياً عاماً، في تلك المملكة وذلك الزمان، وإصلاح رأي الناس في تأثير الأرواح ليس جزءً من الرسالة، ولا علاقة له بالشهادة بوجه ما.

والثاني: أن يميز بين مسائلهم ودلائلهم، فمسائلهم إلهامية، لكنهم يوردون

في أقوالهم، لتوضيحها وتقويتها، أدلة ومناسبات مثلاً هذه المسألة: مَنْ تَنصَّرَ من غير اليهود، فلا يجب عليه إطاعةُ الشريعة الموسوية الإلهامية، وثبت تصديقها بالمعجزات، وبولس إذا ذكر هذا المطلب، يذكر أشياء كثيرة في تأييده، فالمسألة واجبة التسليم، لكن لا ضرورة أن نصير حامين لصحةِ كُلٍّ من أدلة الحواري وتشبيهاته، لأجل حماية الملة المسيحية، وهذا القول يعتبر في موضع آخر أيضاً، وقد تحقق عندي هذا الأمر تحققاً قوياً، أن الربانيين إذا اتفقوا على أمر، فالنتيجةُ التي تحصل من مقدماتهم واجبةُ التسليم، لكنه لا يجب علينا أن نشرح المقدمات كلها، أو نقبلها إلا إذا اعترفوا بالمقدمات مثل اعتراف النتيجة» انتهى كلامه.

وقد حكى ذلك عنه العلامة رحمة الله الهندي، وأردفه بقوله: أستفيد من كلامه أربع فوائد، ونحن نذكر الأولى لا غيرها، لتعلقها بالبحث، وهي أن الحواريين وقدماء المسيحية كانوا يعتقدون أن القيامة تقوم في عهدهم، وأن يوحنا لا يموتُ قبل قيامها، وهذا عرف مما تقدم من النصوص، وأن أقوالهم صريحة في أن القيامة تقوم في عهدهم، حتى قال المفسر بارنس في شرح - ص٢١ - من إنجيل يوحنا هكذا «نشأ هذا الغلط أن يوحنا لا يموت، من ألفاظ عيسى التي كانت تفهم غلطاً بالسهولة، فهو يستحي أن يقول: إن المسيح قد غلط» وتأكد هذا الأمر من يوحنا حيث بقي في قيد الحياة بعد الحواريين أيضاً» انتهى كلامه.

وقال جامعو التفسير هنري واسكات ما نصه: «والغالب أن مراد المسيح بهذا القول الانتقام من اليهود، لكن الحواريين فهموا غلطاً أن يوحنا يبقى حياً إلى القيامة، أو يرفع حياً في الجنة. ثم قال: تعلموا من ههنا أنه روايةُ الإنسان تكونُ بلا تحقيقٍ، وأن بناء الإيمان عليها حُمْقٌ، لأن هذه الرواية كانت رواية الحواريين، وكانت عامة بين الإخوة، وكانت أولية ومنتشرة ورائجة، ومع ذلك كانت كاذبة، فلأن الاعتماد على الروايات غير المكتوبة على أية درجة من القلة،

وهذا التفسير كان روايتنا، وما كان قولاً جديداً من أقوال عيسى ومع ذلك كان غلطاً» انتهى.

ثم قالوا في الحاشية هكذا «لأن الحواريين فهموا الألفاظ غلطاً، كما صرح الإنجيلي، أي يوحنا ذاته في إنجيله، لأنهم كانوا يتخيلون أن مجيء الرب يكون للعدل فقط» انتهى.

فعلى قولهم تقرير هؤلاء المفسرين لا شبهةَ في أنهم فهموا غلطاً، وإذا كان اعتقادهم في مجيء القيامة كاعتقادهم أن يوحنا لا يموت إلى القيامة، فتكون أقوالهم التي تُشْعِرُ بمجيء القيامة في عهدهم محمولةٌ على ظاهرها، كما تقدم وغلطاً، والتأويل فيها يكون مذموماً يقيناً، وتوجيهاً للقول بما لا يرضي قائله، وإذا كانت غلطاً، كما ثبت، فلا تكون إلهامية. وعلى رأي المحقق بيلي، كما يفهم من بحثه المار الذكر، يجب أن يُطْرَح أكثر من نصف الإنجيل، لأنه لم يكن إلهامياً، سواء كان من كلام الحواريين أو كلام عيسى، لأنه أمر وهمي غلط في الواقع، وذلك لسبب أنه كان رأياً عاماً في تلك المملكة وذلك الزمان، وفي هذا كفاية.

وخلاصته: أنه يمتنعُ على القوم وعلمائهم ومفسريهم تأويلُ وإصلاحُ هذه الأقاويل المكذوبة على المسيح وتلاميذه، وهل يصلح العطار ما أفسده الدهر، والله الهادي إلى الصواب، وإليه المرجع والمآب.

ثم أورد المترجم قوله ف٤٢: «اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون في أي ساعة يأتي ربكم، واعلموا هذا أنه لو عرف رب البيت في أي هزيع يأتي السارق لسهر، ولم يَدَعْ بيته ينقب، لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين، لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان، فمن هو العبد الأمين الحكيم الذي أقامه سيده على خدمة، ليعطيهم الطعام في حينه، طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده يجده يفعل

هكذا، الحق أقول لكم: إنه لا يقيمه على جميع أمواله، ولكن إنْ قال ذلك العبد الرديء في قلب سيده، يبطىء قدومه، فيبتدىء بضرب العبيد رفقائه، ويأكل ويشرب مع السكارى، يأتي سيد ذلك العبد في يوم لا ينتظره، وفي ساعة لا يعرفها، فيقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين؛ هناك يكون البكاءُ وصريرُ الأسنان» ومرقس خالفه مخالفة ينكرها المسيحي، ويقف عندها متحيراً وعبارته - بص١٣ - ف٣٣ «انظروا واسهروا وصلوا، لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت، كأنما إنسان مسافر، ترك بيته، وأعطى عبيده السلطان، ولكلٍّ واحدٍ عمله، وأوصى البواب أن يسهر، اسهروا إذاً، لأنكم لا تعلمون متى يأتي رَبُّ البيت، أمساء، أم نصف الليل، أم صياح الديك أم صباحاً، لئلا يأتي بغتة، فيجدكم نياماً؛ وما أقوله لكم أقوله للجميع، اسهروا» انتهى.

وعبارة لوقا أدهى كما في - ص٢١ - ف٣٤: «فاحذروا لأنفسكم لئلا تشغل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة، فيصادفكم ذلك اليوم بغتة، لأنه كالفخ يأتي على جميع الجالسين على وجه كل الأرض، اسهروا إذاً، وتضرعوا في كل حين لكي تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون، وتقفوا قدّام ابن الإنسان» انتهى.

والذي حكاه لوقا هنا لم يورده المترجم ولا مرقس، وأنت ترى كلاً من الرواة الثلاثة ذهب منفرداً عن صاحبه، غير أن مثل السارق الذي مر ذكره عن المترجم، أورده لوقا في - ص١٢ - ف٣٩ حرفاً بحرف، فقد تخالفا في التاريخ، وكان يلزمه أن يورد ذلك في - ص٢١ ليوافق المترجم في ترتيب الوقائع، ويكون الكلام متناسب الأجزاء. على أن ما سرده المترجم في هذا الإصحاح متوالياً في وقت واحد، أورده غيره في أوقات مختلفة، وهذا يتضمن تكذيب كُلٍّ للآخر. واللبيبُ تكفيه الإشارة، وهنا تم الكلام وبالله التوفيق.

الإصحاح الخامس والعشرون

هذا الإصحاحُ تكملةٌ للإصحاح الذي قبله، بل هو فرعٌ منه، وتقدم الكلام على الأصل بما يغني الأريب من أهل الصليب إجمالاً وتفصيلاً، نقضنا تلك الأكاذيب بالبراهين العقلية والنقلية، فلا حاجة لإطالة الكلام على فرعٍ ليس لأصلهِ صِحَّةٌ، غير أننا نقول: إن صاحب كتاب (مرشد الطالبين) جعل هذا الإصحاح أحد أقسام الفصل الرابع، لاحتوائه على وصف الدينونة العامة، وبهذا يكون لهذا الإصحاح وَقْعٌ عند المسيحيين، ولا أدري ما أراد بهذه الدينونة، بعد أن ذكرنا شهادة علمائهم بأن عقيدة الطبقة الأولى من الرسل والقديسين، بهذه الأخبار، واهية، لأنها لم تصح، وهي من الأمور المشكلة، وحكموا على تلك الطبقة بالغلط والوهم، فنذكر إجمالاً هذه الدينونة، ليطّلعَ القارىءُ على ضعف آرائهم، فإن هذا الإصحاح المحتوي على هذه الدينونة يفهم منه أربعة أمور، الأول وهو من - ف١ إلى نهاية - ف١٣ خلاصته أن المسيح ضرب مثلاً بعشر عذارى، نصفهن حكيمات، ونصفهن جاهلات، حملن السُّرُجَ لاستقبال العريس، ففاز الحكيمات لحسن تدبيرهن، وحرم الجاهلات لسوء تدبيرهن. ثم قال المترجم: «فاسهروا إذاً لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الإنسان» انتهى.

وقد انفرد المترجم بذكر هذا المثل، وأما قوله: فاسهروا الخ، فقد ذكره مرقس في آخر - ص١٣ ولوقا في - ص٢١ - ف٣٦ وقد حكيناهما في الإصحاح الذي قبله، والمفهوم منه مجيء عيسى عليه السلام في عصر التلاميذ، وهو خلاف الواقع كما مر، ويفهم منه أيضاً أن الإنسانَ مَجزيٌّ بأعماله الخيرَ بالخيرِ والشر بالشر، وهو المطابقُ لنصوص التوراة، وموافق للعقل، بل المطابق لكل قانون إلهي أتى به الأنبياء من آدم إلى محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا يَردُّ قولَ بولس وأمثاله: أن الإنسان يكفيه مجرد

الإيمان، دون الأعمال، ويبطل أيضاً اعتقاد سائر الفرق النصرانية بأن المسيح صَلبَ ذاته ولعن نفسه فداءً لخطايا العالم، وينفي غفرانَ القسيسين والرهبان للعذارى والغلمان في الخلوات والجلوات.

الأمر الثاني من - ف١٤ إلى نهاية - ف٣٠ وهو أيضاً مثلٌ ضربه المسيح، وحاصله أن إنساناً أراد السفر، فسلَّم أمواله لثلاثة من عبيده، وأمرهم أن يَتَّجروا بها، وسافر ثم عاد، فقرَّبَ الذي ربح، والذي لم يربح أخذ منه ما أعطاه، وسلمه للذي ربح، وختم كلامه بقوله - ف٢٩ «لأن كل مَنْ له يُعطى فيزداد، ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه، والعبد البطال اطرحوه إلى الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» ومعنى هذا كالذي قبله، أن الإنسان مَجزيٌّ بأعماله، وعلى قَدْرِ عمله يستحق القرب من ملكوت الله.

والظاهر أن الذي لم يُضَيِّعْ رأس المال ليس من العدل أن يُطرح إلى الظلمة الخارجية، ولوقا تابع المترجم في هذا، فأورده في الإصحاح التاسع عشر، ويا بُعْد ما بينهما حيث ذكره قبيل مسألة الجحش، والمترجم أورده بعدها بمدة طويلة، لأن قضية الجحش ذكرها في الإصحاح الحادي والعشرين فقال لوقا في - ص١٩ - ف٢٠: إن العبيد عشرة، وإن سفر سيدهم لشراء الملك، وإن جملة المال المسلم للعبيد عشرة أمناء؛ والمترجم جعل العبيد ثلاثة والمال ثمان وزنات ولم يذكر علة سفر السيد، إلى غير ذلك من التناقض الكلي الذي تُجَلُّ كتبُ الإلهام عن مثله. ثم ختم المثل بقوله ف٢٦: «لأني أقول لكم: إن كل من له يعطى، ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه، أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم، فأتوا بهم إلى هنا، واذبحوهم قدّامي» انتهى.

وأما قول المترجم ولوقا: من له يعطى، ومَن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه، فقد تقدم عليه الكلام، فالمترجم أورد ذلك في - ص١٣ - ف١٢ ولوقا أورد نظيره في - ص٨ - ف١٨ فيكون حاصل الأمر أن عيسى صلواتُ الله عليه

وسلامه كرر هذا المعنى أربع مرات، ومَنْ قابل بين عبارتيهما في هذا وذاك، يظهر له التناقض اللفظي المؤدي إلى اختلال المعنى مع عدم وجود الحكمة التي تقتضي التكرار. والعجب من مرقس، فإنه وافقهما أولاً، فذكر الذي ذكراه في - ص٤ - ف٢٥ وخالفهما هنا، فلم يذكر من ذلك شيئاً.

ثم الذي يظهر من مضمون كلام المترجم ولوقا أن الربا غير مُحَرَّمٍ في النصرانية، حيث اتفقا في ضمن المثل، على أن السيد لامَ العبدَ المُقصِّرَ، إذ لم يضع الدراهم عند الصيارف، حتى إذا جاء من سفره استوفى ذلك المال مع الربا، وأنتَ تعلمُ أن الربا محرمٌ في التوراة والإنجيل، وهذا يدل على أن هذا الكلام مكذوبٌ على المسيح.

الأمر الثالث من - ف٣١ إلى نهاية - ف٤٠ وهو عبارة عن مجيء المسيح وحكمه، وهذا لفظه: «ومتى جاء ابن الإنسان في مجده، وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيميِّزُ بعضَهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخِرافَ عن يمينه والجداء عن اليسار، ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي، رِثُوا الملكوت المُعدَّ لكم منذ تأسيس العالم» انتهى.

وقوله: «يا مباركي أبي»، إشارة إلى أن الأمرَ يومئذٍ لله، فإن صح شيء من هذا الإصحاح، عن المسيح، فهو هذه الكلمة فقط، ثم بعد أن ذكر كلاماً طويلاً قال: «فيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم، بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم» انتهى.

وفي نسخة لندن «الصغار» بدل «الأصاغر» وفي قوله: «فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر»، برهانٌ قاطع على أنه من البشر، حيث قال: «إخوتي»، ولم يقصد به الاتحاد في الجنسية المنافي للألوهية، وإلا فهل يجوز على الإله أن يعبر

عن البشر بأنهم إخوته؟!

والعجب من المترجم، فإنه تارة يجعل المسيح إلهاً، ثم يجعله ملكاً، ثم يجعله من إخوانه الأصاغر، ثم يجعله قرباناً من جملة القرابين، ثم لعنة أو لعبة يشكلونها بأشكال مختلفة، ويصورونها بصور متباينة، فهؤلاء اتخذوا إلههم هواهم، وأضلَّهم الشيطانُ فأعماهم عن هُداهم.

الأمر الرابع من - ف٤١ إلى نهاية الإصحاح يتضمن تقبيح أهل اليسار، وهذا لفظه: «ثم يقول للذين عن اليسار: اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة إلى إبليس وملائكته».

أقول: إن النصارى في أناجيلهم حكوا أن لله ملائكة، وللمسيح ملائكة. ومطبعة بيروت وحدها حكت هنا أن لإبليس أيضاً ملائكة!، وقد جاء هذا على وفق اعتقادهم بالتثليث، وهذا من خواص النصارى، إذ لم يذكر أحد من الأمم، على اختلاف مذاهبهم في الدين واللغة والعلم، أن لإبليس ملائكة، ونخشى أن يكون هذا مقدمة منهم لدعوى الألوهية في إبليس، فإن الملائكة من خواص الإله لا غير، وعبارة النسخة المطبوعة في لندن سنة ١٨٤٨ هكذا - ف٤١: «حينئذ يقول أيضاً للذين عن يساره: اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار المؤبدة المعدة لإبليس وجنوده».

وقد أخذني العجبُ من مطبعة بيروت، كيف أبدلت الجنودَ بالملائكة، فعلى زعم المُحَرِّف، يجوز إذاً أن يقال: كل سلطان له ملائكة، لأن له جنوداً، وأظن أن هذا الوحي لم ينزل على أحدٍ إلا على رئيس البرتستنت المصحح في مطبعة بيروت.

وهذه الفرقة من مذهبهم التحريف بالتغيير والتبديل، وإنا نراهم يبدلون لفظاً يستقبحون معناه، وهو أحكمُ مما يأتون به ويخترعونه، كتبديل الجنود بالملائكة،

والصغار بالأصاغر، وهلم جرا، ويسمون ذلك بالإلهام، وبالحري أن يسمى بالأوهام أو أضغاث أحلام، لكن الحق أن يقال: إن مثل هذا الدين ينبغي أن يكون إلهامه هكذا (هكذا هكذا وإلا فلا لا). والحمد لله على دين الإسلام المشتمل على توحيد الملك العلاَّم وتمجيد الأنبياء العظام، عليهم وعلى آلهم وأتباعهم أفضلُ الصلاة وأكمل السلام، والله ولي الإنعام.

الإصحاح السادس والعشرون

اعلم أن هذا الإصحاح أهم ما تضمنه مسألة الصلب. وإبطال صَلْبِ ذات المسيح هو أحدُ فوائدِ كتابنا «الفارق»، وإحدى المسائل التي وَلَّدت الشقاق والنفرة بين فرق النصارى خصوصاً، وبين النصارى واليهود عموماً، حتى أنعم الله تعالى بالإسلام، فسفَّهَ تلك الأحلام بتكذيبهِ للطائفتين، وحفظ للمسيح صلى الله عليه وسلم حقه، فالواجبُ على المنصف، من أهل الكتاب، أن يلقي السمع، ويَعِي ما أقوله، والله تعالى يُحِقُّ الحقَّ ويبطل الباطل، ومن حيث أن رواة الأناجيل الأربعة اختلفوا في نقل هذا الافتراء الذي تضمن إجمالاً إيلامَ المسيح وموته وقيامته، فوجب أن نبين أولاً، للمطالع، ما تضمنته حكايةُ تلك الرواة من التخالفِ والمناقضات، ثم نأتي بذكر ما ظهر لنا من الأدلة التي تثبت أن المصلوبَ غير المسيح، وأن القول بصلب المسيح ذاته انتقاصٌ له، عليه السلام، فنقول:

قال مترجم متى ف١: «ولما أكمل يسوع هذه الأقوال كلها، قال لتلاميذه: تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح، وابن الإنسان يُسلَّم ليُصْلَب» انتهى.

قد علمت، مما تكرر التنبيه عليه، أن مترجم مَتَّى هو الذي أسس، في الإنجيل، إخبار المسيح لتلاميذه عن صلب نفسه تصريحاً، وقد أثبتنا أن هذه الإخبارات من مخترعاته ومفترياته، وما ذلك إلا أن شيطانه أوحى إليه بها، وجميع ما ذكره في ترجمته مما انفرد به من هذا القبيل، كتصريحه بلفظ الصلب والتثليث الذي انفرد بذكره، وعلماء النصارى أقرُّوا، في كتبهم، بأن هذا المترجم مجهول الحال عندهم، حتى إنهم اختلفوا في اسمه، ويكفي لرده وتكذيبه أن يوحنا لم يذكر في إنجيله تلك الأكاذيب التي انفرد بها المترجم، وكذلك مرقس ولوقا، مع كثرةِ تتبعهما لروايته، فيستحيل أن يكونَ شيءٌ من أركان الدين والإيمان، ولم تذكره الثلاثة الأُخَر، ولاسيما إنجيل يوحنا، فإنه آخرُ الأناجيل

تأليفاً، فلو كان لفظُ الصلبِ موجوداً في الأصل الصحيح، لذكرته الثلاثة أيضاً، فتبين بالبداهة أنه من محض افتراء المترجم، وقد تناقضت الأناجيل ههنا ففي لوقا - ص١٨ - ف٣٢ أن المسيح أخبر التلاميذ بأنه يسلم إلى الأمم، ويُستهزَأُ به، ويشتم ويتفل عليه، ويجلدونه ويقتلونه، وفي اليوم الثالث يقوم، فلم يفهموا من ذلك شيئاً. انتهى ملخصاً.

ومثله ما في مرقس - ص٩ - ف٣٢ ووافقهما يوحنا بذلك، وهنا صرح المترجم بأنهم يعلمون ذلك، كما مر نص عبارته «تعلمون أنه بعد يومين الخ» وهذا لا يشك القارىءُ فيه، أنه من التناقضِ الصريح، فإن قلتَ: يمكن حملُ كلامه هنا على الاستفهام، والمعنى: هل تعلمون، إلى آخره، ويرتفع التناقض المار ذكره.

قلتُ: إن الاستفهام هنا غير مراد، بل هو إخبارٌ عن علمهم، ويدل عليه ما ذكره صاحب كتاب «تحفة الجبل»، ولفظه: «لقد عرفتم أنه بعد يومين، الخ» فلا شك أن ذلك نفي وإثبات، يمتنع صدوره من الوحي. والحق أن إنكارَ التلاميذ على مريم، حين أخبرتهم بقيامه، هو الصحيح، لأن المسيحَ لم يخبرهم أنه سَيُصلَبُ ويقوم، لأنه يعلم أنه لا يُصْلَبُ، فهل يجوز أن يكذب عليهم؟!.

فلفظ الصلب لم يأت به مترجم مَتَّى إلا ليضلَّ به عبادَ الله.

ثم قال مترجم متى - ف٣: «حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذي يدعى قيافا، وتشاوروا لكي يمسكوا يسوع بمكرٍ، ويقتلوه، ولكنهم قالوا: ليس في العيد، لئلا يكون شغب في الشعب» انتهى.

واعلم أن هذه اللجنة الدينية قد ذكرها مرقس في ص١٤ ف١: «وكان الفصح وأيام الفطير بعد يومين، وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر

ويقتلونه، ولكنهم قالوا: ليس في العيد، لئلا يكون شغب في الشعب» انتهى.

فاعلم أن مرقس والمترجم كانا على وعد بينهما، في ترتيب هذا الوحي، إلا ما غفلَ عنه مرقس، من ذكر شيوخ الشعب وتعيين هذا المجتمع، ولوقا اقتفى أثرَ مرقس إلا أنه خالفه في سَبْكِ ألفاظ الوحي، وعبارته هكذا في ص٢٢ ف١: «وقرب عيد الفطير الذي يقال له الفصح، وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يقتلونه، لأنهم خافوا الشعب» انتهى.

فلم يذكر المكرَ الذي ذكره مرقس والمترجم، وجعل الفصح تفسيراً للفطير، ومرقس جعل الفصح غير الفطير، ويوحنا خالفهم في - ص١١ - ف٤٧ ونصه: «فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعاً» إلى أن قال - ف٤٩: «فقال لهم واحد منهم، وهو قيافا، كان رئيساً للكهنة في تلك السنة: أنتم لستم تعرفون شيئاً، ولا تفكرون أنه خيرٌ لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب، ولا تهلك الأمة كلها» انتهى.

ولو عيَّنا محل هذا المجتمع، لوجب أن يكون في بيت رئيس الكهنة قيافا، وأما الاختلاف بينهم ظاهراً لقيافا، بحث سوف يأتي في هذا الإصحاح، وهو للعاقل عبرة وإيضاح، ثم قال مترجم متى ف٦: «وفيما كان يسوع في بيت عنيا في بيت سمعان الأبرص، تقدمت إليه امرأة، معها قارورةُ طِيبٍ كثير الثمن، فسكبته على رأسه وهو متكيء، فلما رأى تلاميذه ذلك، اغتاظوا قائلين: لماذا هذا الإتلاف، لأنه كان يمكن أن يباع هذا الطيب بكثير، ويُعطى للفقراء، فعلم يسوع وقال لهم: لماذا تزعجون المرأة، فإنها قد عملت بي عملاً حسناً، لأن الفقراء معكم في كل حين، وأما أنا فلستُ معكم في كل حين، فإنها إذْ سكبت هذا الطيب على جسدي، إنما فعلت ذلك لأجل تكفيني. الحق أقول لكم، حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم، يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها» انتهى.

وعبارة مرقس لهذه الحكاية هكذا في ص١٤ - ف٣: «وفيما هو في بيت عنيا في بيت سمعان الأبرص وهو متكىء، جاءت امرأة معها قارورة طيب ناردين خالص، كثير الثمن، فكسرت القارورة، وسكبته على رأسه، وكان قوم مغتاظين في أنفسهم، فقالوا: لماذا كان تلف الطيب هذا، لأنه كان يمكن أن يباع هذا بأكثر من ثلاث مئة دينار، ويعطى للفقراء، وكانوا يُؤَنِّبونها، أما يسوع فقال: اتركوها، لماذا تزعجونها؟! قد عملت بي عملاً حسناً، لأن الفقراء معكم في كل حين، ومتى أردتم تقدرون أن تعملوا بهم خيراً، وأما أنا فلستُ معكم في كل حين[1]؛ عملت ما عندها، قد سبقت ودهنت بالطيب جسدي للتكفِين، الحق أقول لكم: حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم، يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها» انتهى.

وخالفهما لوقا، فكان كما قيل:

سارت مشرقة وسرت مغرباً   شتّان بين مُشرِّق ومغرِّب

وإليك بيانه، قال في ص٧ - ف٣٦: «وسأله واحد من الفريسيين أن يأكل معه، فدخل بيت الفريسي واتكأ، وإذا امرأة في المدينة كانت خاطئةً إذ علمت أنه متكىء في بيت الفريسي، جاءت بقارورة طيب، ووقفت عند قدميه من ورائه باكية، وابتدأت تبلُّ قدميه بالدموع، وكانت تمسحهما بشعر رأسها، وتقبل قدميه، وتدهنهما بالطيب، فلما رأى الفريسي الذي دعاه ذلك، تكلم في نفسه قائلاً: لو كان هذا نبياً، لعلم مَنْ هذه المرأة التي تلمسه وما هي، أنها خاطئة، فأجاب يسوع وقال له: يا سمعان! عندي شيء أقولُه لك! فقال: قُلْ يا معلم! كان لِمُداينٍ مديونانِ على الواحد خمس مئة دينار، وعلى الآخر خمسون، وإذ لم يكن لهما ما يوفيان، سامحهما جميعاً، فقل: أيهما يكون أكثر حُبّاً له؟ فأجاب

---

(١) وهل من صفات الإله أن يغيب؟!

سمعان وقال: أظن الذي سامحه بالأكثر، فقال له: بالصوابِ حكمتَ، ثم التفت إلى المرأة، وقال لسمعان: أتنظر هذه المرأة؟ إني دخلتُ بيتكَ، وماءً لأجل رِجلي لم تُعْطِ، وأما هي فقد غسلت رجلي بالدموع، ومسحتهما بشعر رأسها، قبلة لم تُقَبِّلْني، وأما هي فمنذ دخلت، لم تكفَّ عن تقبيلِ رِجْليَّ، بزيتٍ لم تدهنْ رأسي، وأما هي فقد دهنت بالطيب رجلي، من أجل ذلك أقولُ لك، قد غفرتُ خطاياها الكثيرة، لأنها أحبت كثيراً، والذي يغفر له قليل يحب قليلاً. ثم قال لها: مغفورةٌ لكِ خطاياك، فابتدأ المتكئون معه يقولون في أنفسهم: من هذا الذي يغفر خطايا أيضاً، فقال للمرأة: إيمانك قد خلَّصك، اذهبي بسلام» انتهى.

وقد صرح صاحب «تحفة الجيل» هنا بأن المسيح كان يُفَضِّلُ محبةَ مريم المَجْدلية على محبة سمعان، وعبارته هكذا في صفحة ٥٤٧ من النسخة المطبوعة سنة ١٨٧٧ «يذمُّ المخلّص قِلَّةَ محبةِ سمعان له، ليفضل عليه محبة المجدلية» انتهى.

فلا تعجب من النصارى في مثل هذا، لأن في إنجيلهم ما هو أدهى منه، ومن البحث عنه، ويفهم من عبارة يوحنا في ص١٢ - ف١ أن وقوع هذه الحكاية قبل الفصح بستة أيام، ومن عبارة متى ف٢ - ومرقس ف١ - ص١٤ - أنها قبله بيومين، وعبارة لوقا خالية من ذلك. ثم قال يوحنا في ص١٢ - ف١ ونصه «ثم قبل الفصح بستة أيام، أتى يسوع إلى بيت عنيا، حيث كان العازر الميت الذي أقامه من الأموات، فصنعوا له هناك عشاء، وكانت مرثي تخدم وأما العازر، فكان أحدَ المتكئين معه، فأخذت مريم مناً من طيب ناردين خالص كثير الثمن، ودهنت قدمي يسوع، ومسحت قدميه بشعرها، فامتلأ البيت من رائحة الطيب، فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا سمعان الأسخريوطي المزمع أن يُسلمه، لماذا لم يبع هذا الطيب بثلاث مئة دينار، ويُعطى للفقراء؟ قال: هذا ليس لأنه كان يبالي بالفقراء، بل لأنه كان سارقاً» انتهى بحروفه.

فانظر أيها المسيحي كيف يحكم عليه أنه سارق، وهو أمينُ صندوق الملة، أفلا يعلمُ إلهكم أنه خائن، ولماذا وعده بأنه يُجلسه معه في الملكوت على كرسي، يدينُ أسباطَ إسرائيل، بل كيف يحكم عليه المسيحي بأنه شقي، وهو الذي أدخله المسيح في عموم قوله: «تعطون فماً وحكمة، وتتكلمون على روح القدس، ولستم أنتم المتكلمون، بل روح أبي» فإن مثل هذا الكلام نص على أنه من القديسيين الأبرار، وتحكمون عليه بأنه سارق، وَيْحَكُم ما هذه الأناجيل التي ملأتموها من الأضاليل، أيصح أنِ يكون يهوذا من المنافقين السارقين، والمسيحُ يحكِّمه يومَ الدين في أسباطِ بني إسرائيل؟! وكم يَعِدُهُ بالبشارات العديدة، وينص على رسالته، فما هذا التناقض والتضاد؟! ويحكم: تَيَقَّظُوا من سِنة الغفلة، أين الموسيو هانوتو لينظرَ إلى تلك الخرافات في دينه، أين العقلاءُ منكم، لينظروا إلى هذه الملاعب؟!. لقد أسمعتَ لو ناديت حياً.

ثم باقي عبارة يوحنا: «وكان الصندوق عنده، وكان يحمل ما يُلْقى فيه» قلتُ: هل للمسيح صندوقُ مالٍ، وهو القائل عن نفسه: «وأما ابنُ الإنسان فليس له أين يسند رأسه» وإذا قلنا: كان هذا الصندوق صندوق الملة، فهل يجهلُ المسيحُ خيانةَ يهوذا، وهو الإله، بزعمِ النصارى، حتى يتخذه أميناً له، ومتى كان المسيح جَمَّاعاً للمال، وقد حكيتم أنه لم يكن يملك للجزيةِ درهمين، حتى أمر بطرس باصطياد السمك، إلى آخر الحكاية. ومتى كان يقتني المال، وهو القائلُ لتلاميذه: لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً. ويحكم! ما هذه الخزعبلات التي تحكم عليكم بأنكم لستم على بيِّنة من دينكم، ثم قال يوحنا حكاية عن مريم المجدلية في - ص١٢ - ف٧: «فقال يسوع: اتركوها، إنها ليوم تكفيني قد حفظته، لأن الفقراء معكم في كل حين، وأما أنا فلست معكم في كل حين».

أقول: إذا جمعنا بين قول المسيح هنا «فلست معكم في كل حين» وبين قوله في آخر - ص٢٨ من إنجيل مَتَّى: «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر»

عَلِمَت النصارى أيّ القولين أكذب، فليت شعري! أكان المسيح، وحاشاه، لا يعلمُ ما يقول، أم قوله الأخير نسخ قوله الأول؟!

فانظر أيها المسيحي حكاية الأناجيل الأربعة لهذه القصة السخيفة التي يكذّبها مَنْ عنده أدنى إدراك، بل يحكمُ بكذبها الرجلُ البليد فضلاً عن العاقل السديد، وما ذلك إلا لِمَا اشتملتْ عليه من التناقض والتخالف المؤدي إلى الافتراء؛ فإن لوقا ويوحنا أوردوها قبل حل الجحش، والمترجم ومرقس بعده، وبينهما من البون البعيد ما يضطر المتأملَ إلى أن يحكم أن أحد التاريخين كذب، أو أن القصة وقعت للمسيح مرتين.

وإنْ صَحَّ الثاني، فيلزم منه صلبُ المسيح مرتين، ولا قائلَ بذلك. ثم مَنْ تأمل في تعيينهم محل الواقعة، يجد أن يوحنا جعل ذلك في بيت مريم، فإنها التي كانت تخدم، أي تُهيِّىءُ العشاء، والعازر كان من المتكئين، وقد اختلفت النسخ هنا في العازر، ففي الطبع القديم العازر بالألف واللام، وفي المطبوعة في بيروت باللام فقط، ولا أدري حكمة ذلك؛ ولوقا جعل الواقعة المذكورة في بيت أحد الفريسيين، والمترجم ومرقس قالا: في بيت سمعان الأبرص، وأغربا كل الإغراب، وراجعت كتاب «تحفة الجيل في تفسير الأناجيل»، فوجدته قد حاول في الكلام، ولم يبين المرام، وخلاصة ما فهمته أن الوليمةَ كانت في بيت سمعان الأبرص، فحينئذٍ يلزم غلط يوحنا في عدم ذكره، ويثبت مخالفة الرواة له.

وقد يقال في الجواب: إن الوليمة كانت في بيت سمعان، وحيث أن سمعان هذا يعلم أن عيسى يَوَدُّ مريم، دعاها وأخاها معه، ولكن يرد بأنها إذا كانت مدعوةً، فكيف كانت تخدمه، وذلك مخالف للعادة، لأن المدعو يُخدَمُ ولا يَخدم.

ثم إن المترجم ومرقس جعلا إفاضة الطيب على رأس المسيح، ولوقا ويوحنا

خالفاهما، فقالا: على قدميه، فهل من شأن الوحي أن لا يفرق بين الرأسِ والرِّجْلِ، ويحق لي أن أنشد.

إنْ رامَ يمشي في الفلاة ضحى تَعثَّرتْ في أُذنيه أقدامه

ثم إن عبارة المترجم تفيد أن التلاميذ هم الذين جعلوا إفاضة ذلك الطِيبِ خسارةً وإسرافاً، وعبارة مرقس تفيد أن أناساً من الحاضرين رأوا ذلك، وتحاشى أن يضيفه إلى التلاميذ، ولوقا سكت عن البحث في هذه المسألة، ويوحنا نسب ذلك إلى يهوذا الأسخريوطي فأين الصحيح؟ ثم لو تأمَّلْتَ حكاياتهم في خسارة الطيب، ترى أن متَّى لم يُعيِّنْ قيمته، ومرقس بالغ فجعله يساوي أكثر من ثلاث مئة دينار، ويوحنا خالفهما، ولوقا سكت أيضاً. وهنا نكتة عجيبة مبنية على الاختلاف في تاريخ الواقعة، هل هي قبل الجحش أو بعده، كما لا يخفى، وذلك أن يقال: ليس للنصارى إلا أن تُكذِّبَ أحد التاريخين، أو تقول: إن مريم فعلت ذلك بيسوع مرتين، وعليه فيكون تصويبُ يسوع لإسرافها في إضاعة ست مئة دينار على رأسه وقدميه عينَ السرف، وصدورُ ذلك منه مُحالٌ، ثم لو صح ذلك لما اعترضوا عليه مرتين، بل كان يلزمهم السكوت عنه في المرة الثانية، لأنه أجاب عن اعتراضهم بالمرة الأولى، وتكرار الاعتراض منهم خلاف الأدب.

وهنا التفات نحو مرقس، فإنه انفرد بذكر كسر القارورة، فكيف يمكن كسرها، وبعد الكسر ينسكب ما فيها وتتلف، فعليه لا يقال ذلك إلا إذا كسرتها في رأسه، فانسكبَ ما فيها من الطيب على رأسه، وهو محال. تَصوَّرْ - هداك الله - هذا الخبطَ في تركيب العبارة التي لا يفهم منها إلا ضرب ذات القارورة في رأس المسيح، ولماذا لم يوافق باقي الرواة، وهل في ذِكْرِ الكسرِ فائدةٌ دينية، كلا بل بالعكس، فليتنبه النصارى لمثل هذا؛ ومن دقق النظر فيما أطنب فيه لوقا، في هذه القصة، يجده قد أخطأ، واستوجب الحَدَّ في تسمية مريم بالخاطئة خلافاً للأناجيل الثلاثة، فكيف يقبل المسيحُ أن تمسح قدميه بشعرها، وهي أجنبية عنه

وخاطئة، ولم يكفه ذلك حتى نسب للمسيح ضرب الأمثال استحساناً لما فعلته، وأنها قد أحبته، كما أنه أحبها كثيراً حتى صَرَّحَ بغفران خطاياها وملاطفتها، وأنه ودعها بسلام.

ولله دَرُّ هذا المفتري، حيث أراد بدسيسته هذه أنْ يجعل للرؤساء الروحانية حظاً من جواز خدمة النساء الأجنبيات لهم، فيتخذوها من بعده سُنَّةً مُتَّبعة، ويجعلوها دستوراً للعمل، ليصطادوا بذلك الغانيات، ويتمتعوا بهن في الخلوات. وليت شعري! لماذا كتم الوحيُ هذا الخبرَ عن متَّى ويوحنا، وهما من أكابر التلاميذ، وعن مرقس أيضاً، وهو تلميذ الخليفة الأكبر بطرس، ولا يبعد عن عقولهم أن يقولوا: إن الوحيَ خَصَّ الخبر بلوقا، لكونه تلميذاً للقديس بولس، نعم! وأظن أنها من وحي بولس، وليست هذه الخديعة أول خرقٍ خَرَقَهُ في النصرانية، فإنه أغرى تلميذه لوقا، وصنف كتاب «أعمال الرسل» ودَسَّ فيه مادس، فمنها نسخ التوراة كما في ص١٥ وجعلها ببدَعِهِ التي دَسَّها فيها كالمصفاة، لا يعيبها خرق. فالواجب على كل مسيحي مؤمن بالمسيح أن يرفض صِحَّةَ هذا الخبر، لِمَا فيه من تلويثِ شرفِ عيسى عليه السلام، بدهن هذه الخاطئة، ويجب رفض رواية لوقا أيضاً، لأنها لا تطابق العقل.

وقال أحد علماء النصرانية المسمى (كلى مي شيس) في كتابه ما نصه «إنَّ متى ومرقس يتخالفان في التحرير، وإذا اتفقا يترجح قولهما على لوقا» انتهى كلامه بحروفه.

فَيُفْهم من كلام هذا المنصف أنه يوجد في إنجيل متى ومرقس اختلاف معنوي، فيما أورداه من القصص والأحكام، وأن هذه الأناجيل الثلاثة ليست إلهامية، ولو كانت إلهامية لم يكن معنى لقوله: «يترجح قولهما على لوقا»، وعلى فرض صحتها، فليس للقوم دليل يؤيد مذهبهم في جواز خلوة القسيس بالمرأة الأجنبيه، بقصد غفران الخطايا. وإن قلتَ: إن الرؤساء تغفر الخطايا

اقتفاءً بما فعله عيسى عليه السلام مع هذه المرأة، قلت: على فرض صحة الرواية المذكورة أن المسيح غفر لهذه المرأة التي كانت من قبلُ خاطئة علناً، لأنها تابت واعترفت بخطاياها علناً أمام المتكئين في الوليمة، ولم يَخْتَلِ بها، مع كونِ الأساقفة والرهبان والقس والمطران لا تُقاسُ عِصمتهم بعصمة عيسى عليه السلام، نعم! يقال: إن جواز اختلاء الرؤساء الروحانية بالغواني والعذارى كان بإجماع الأساقفة بعد القرن الأول، وهو مردود من علمائهم؛ قال إمام فرقة بروتستنت لوطر «إن الحواري ليس له أن يعين حكماً شرعياً من جانب نفسه، لأن هذا المنصب كان لعيسى عليه السلام فقط» انتهى بحروفه.

فإذا كان الحواري وهو رسولٌ مُلْهَمٌ، بإجماعِ الفرق النصرانية، ليس له أن يعين حكماً شرعياً من قبله، فمن الأولى أن لا يعتدَّ بما تجعله الرؤساء الذين هم أحطُّ منزلةً من الحواريين، إذا حللوا أو حرموا في الدين، كتبديل السبت بالأحد وتحويل القبلة لمشرق الشمس، وكتحليل المحرمات عموماً، وكالسجودِ للخمر والحجر وهلم جرا من الضلال الأسود، ولو اجتمعت فرقُ النصرانية عموماً لا يقدرون على تحريم عصفورٍ ولا على تحليل زنبور، بل يكون اجتماعهم كاجتماع بني إسرائيل على العجل، ولا سيما إذا كان الحكمُ مما يُخالفُ العقلَ والنقل كغفرانِ القس للمرأة في الخلوات، والافتراء على الرسل بأنهم اجتمعوا على تحليل لحم الخنزير كما ذكر في ص١٥ من أعمال الرسل؛ فإن الحكم الأول ضد المروءة والغيرة. والحكم الثاني فيه تسهيلٌ لطريقِ الضررِ في أكل الخبيث، فقد ثبت بالتجربة أن في لحمه خاصية تورث فيمن يستعمله قلة الغيرة والمروءة، وهو مكروهٌ ومسخوط في نظر الناس عموماً حتى النصارى، وتضرب في خِسَّتهِ ونجاسته الأمثالُ، فإذا غضب واحد على أحد يعبر عنه بالخنزير، وذلك من أقبحِ السبِّ والشتم كما قال بطرس في رسالته: كخنزيرة مغتسلة إلخ.

وخلاصة الكلام: أنه حرامٌ في سائر الشرائع إلا شريعة بولس، وهنا مع

التأسف أقول: لا يُجدي ولا ينفع النُّصْحُ مع قوم يقولون بصراحة اللفظ: إن لوطاً زنى في بناته، وهارون صنع العجل وكفر بني إسرائيل، وإن عيسى قد صار لعنة بحكم قديسهم بولس، وإن قيافا نبي ملهم، وحكم على عيسى بالكفر والقتل كما مَرَّ ذكره عن إنجيل يوحنا، وقالوا في أناجيلهم: إن كافة الأنبياء والرسل لصوصٌ وسُرَّاق، مع قولهم بعصمة البابا. وليتهم انزلوا أنبياءهم بمنزلة رؤسائهم، وأقروا بعصمتهم سداً لباب الجدال بيننا وبينهم. فهل يكون كافراً من يحكم بتنزيه الرسل والأنبياء من اللعن والكفر والزنا ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [النساء] تالله لو كلفنا الصبي بأن يعتقد بالأنبياء أنهم سُرّاق وفجار، وبالقسِّ الذي يغفر خطايا العذارى والغانيات في الخلوات أنه مع الأبرار، لولّى ذلك الصبيُّ مدبراً، ولم يعقب، وأصابعه في أذنيه كي لا يسمع هذه الخرافات.

أيها المسيحي أما قرأتَ قول الخوري جبرائيل قرقماز في الصفحة (٧٦) من كتابه «القول الصحيح في دين المسيح» عند ذكره مساوىء كنيسته الروسية حيث قال: «فكم وكم من أديرةٍ يأويها الذكور والإناث، ورَبُّك أخبرُ بما وراء ذلك، فتولد منهم العَدَميون [أي أولاد الزنا] الذين كثر عديدهم، واستفحل أمرهم أو كاد، فانتشروا في جميع الأنحاء عاملين على دَكِّ أركانِ الحكومة وملاشاة الدين وكل اعتقاد بالله» انتهى بحروفه.

والعيب كل العيب أن تتواطأ هذه الأناجيل الأربعة على إيراد مثل حكاية الخاطئة، وإفاضتها الطِيبَ على رأس المسيح وقدميه، بعد إهمالهم عدة معجزات له باهرات كبعثِ الموتى من أجداثهم، والأعجبُ من هذه حكاية المترجم ومرقس عن المسيح أنه قال: الحق أقول لكم، حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم، يخبر أيضاً بما فعلته هذه المرأة تذكاراً لها.

فانظر - هداك الله تعالى - أي تذكارٍ أراد المسيحُ تخليدَهُ على صفحات الدهر، من هذه القصة السخيفة التي لوَّثُوا بها شرفه عليه السلام، وهو بريءٌ من

ذلك، أيها الفَطِن الغيور من الملة المسيحية، أترضى بأن يقال عن المسيح: إنه قبل من الزانية صدقةً أو هدية من دهن الناردين، قيمته ثلاث مئة درهم، مجموعة من كَدِّ فرْجها؟! وما هذه الروايات إلا من افتراء الأساقفة، ابتدعوها لمطامع أنفسهم، فليت شعري ماذا أراد هذان المدلسان بكتابتهما هذه القصة، في إنجيليهما، هل أرادا إثبات إسراف الثلاث مئة درهم، أو تخليد ما يوجب التهمة وسوء الظن بهذا النبي الجليل؟! نسأله تعالى أن يحفظ قلوبنا وألسنتنا من الخوض في أعراض أنبيائه الكرام، عليهم أفضل الصلاة والسلام.

ويكفينا دليلاً قول الفريسي الذي كان المسيحُ مَدْعواً عنده، على رواية لوقا، أنه قال: «لو كان هذا نبياً، لعلم مَنْ هذه المرأة التي تلمسه» فإن قوله هذا يدل على أنه داخَلَهُ الشكُّ في نبوته، من قبوله لها ورضائه بفعلها، ويقتضي أن الفريسي، إلى تلك الساعة، لم يشاهد شيئاً من معجزات المسيح عليه السلام، مع أن الواقعة كانت في آخر وقته، بعد أنْ صدرَ منه عدةُ معجزات، وهذا دليلٌ على كذب الرواية من أصلها؛ فكم أشفى أمراضاً في الهيكل بحضور الفريسيين، وهم ينظرون، وكم أحيا أمواتاً لهم، وهم حاضرون، وكم جعل العُمْيَ منهم يبصرون.

وقيل: إن هذا الفريسي هو الذي شفاه المسيح من البرص، حتى إن مرقس سماه سمعان الأبرص، فكيف يقال بأن الفريسي قال: «لو كان هذا نبياً إلخ». وعلى فرض تسليم صحة هذه الرواية، يثبتُ بالبداهة أن عيسى عليه السلام كان معروفاً بالنبوة ومشتهراً بها، ويَدَّعيها لنفسه، ويثبتها بمعجزاته، وكل مَن آمن به آمن على هذا الوجه، ولم يدع بأنه هو الله أو ابن الله، لأن الفريسي داخله الشك فيما هو المعروف له والمشهور بادعائه، وإلا لكان يقول: لو كان هذا ابن الله الخ. وهذا أمر ظاهر عند كل من يليق للخطاب كما لا يخفى.

ثم قال مترجم متى ف١٤: «حينئذ ذهب واحد من الاثني عشر الذي يدعى

يهوذا الاسخريوطي إلى رؤساء الكهنة، وقال: ماذا تريدون أن تعطوني، وأنا أُسلِّمهُ إليكم، فجعلوا له ثلاثين من الفضة، ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصةً ليسلِّمه».

أقول: قد تواطأت الأربعة الأناجيل أيضاً على ذكر هذا الافتراء الصريح، ولكن اضطربت عباراتهم، فرواية متَّى هي المذكورة آنفاً، وفي رواية مرقس ص١٤ - ف١٠ ولفظه: «ثم إن يهوذا الاسخريوطي واحد من الاثني عشر، مضى إلى رؤساء الكهنة ليسلمه إليهم، ولما سمعوا فرحوا، ووعدوه أن يعطوه فضة، وكان يطلب كيف يسلمه في فرصة».

أقول: لم يُعَيِّنْ هنا مقدارَ الفضة، وأظن أن تعيين الثلاثين من علاوات المترجم، ويقصد بذلك الإشارة والتوفيق إلى نص دانيال. ثم إن مرقس زاد على المترجم «فرح الرؤساء» كما أنه نقص عنه ذكر «ماذا تريدون أن تعطوني» وخالفهما لوقا في ص٢٢ - ف٣ ونصه «فدخل الشيطان في يهوذا الذي يدعى الاسخريوطي، وهو من جملة الاثني عشر، فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند، كيف يسلِّمه إليهم، ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة، فواعدهم، وكان يطلب فرصة ليسلمه إليهم خِلواً من جَمْعٍ».

أقول: كما أن لوقا لم يذكر الثلاثين فضة التي ذكرها المترجم، ولا الوعدَ الذي ذكره مرقس، فإنهما أيضاً لم يذكرا ما ذكره لوقا بوجود قواد الجند مع رؤساء الكهنة. ومن نظر إلى إنجيل يوحنا في هذا الباب، رأى العجب العجاب حيث يقول في - ص١٣ - ف٢١ «لما قال يسوع هذا، اضطرب بالروح وشهد وقال: الحق أقول لكم: إن واحداً منكم سيسلِّمني، فكان التلاميذ ينظرون بعضهم إلى بعض، وهم محتارون فيمن قال عنه، وكان متكئاً في حضن يسوع واحدٌ من تلاميذه، كان يسوع يحبه، فأومأ إليه سمعان بطرس أن يسأل، مَنْ عَسَى أن يكون الذي قال عنه، فاتكأ ذاك على صدر يسوع وقال له: يا سيد: مَنْ

هو؟ أجاب يسوع: هو ذاك الذي أغمسُ أنا اللقمة وأعطيه، فغمس اللقمة، وأعطاها ليهوذا سمعان الأسخريوطي، فبعد اللقمة دخله الشيطان، فقال له يسوع: ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة وأما هذا فلم يفهم أحدٌ من المتكئين لماذا كَلَّمه به، لأن قوماً إذْ كان الصندوق مع يهوذا، ظنوا أن يسوع قال له: اشترِ ما نحتاجُ إليه للعيد، أو أن يعطي شيئاً للفقراء، فذاك لما أخذ اللقمة خرج للوقت» انتهى.

أقول: لم يكن خروجُ يهوذا للوقت إلا لِيُمضي صَكَّ الاتفاق مع رؤساء الكهنة، بتسليمِهِ المسيحَ لهم، والحق معه، لأن المسيح أمره بسرعة، ومخالفةُ أمرِهِ عصيانٌ، وهذا مفهوم خبر الوحي، ويوحنا لم يصرح بأخذ الفضة، والمفهوم من إنجيله أن يهوذا لم يجتمع بعد بالمسيح إلا في اليوم الذي دَلَّ عليه، وهو مخالف لباقي الرواة؛ والمفهوم من صراحة كلام المسيح في يوحنا: أنه هو الذي تسبب لإضلال يهوذا، وصلب نفسه، وهنا يوحنا ناقض كلامه بكلامه، لأنه أورد في ف٢ من هذا الإصحاح الثالث عشر ما يدل على أن الشيطان هو المُلْقي في قلبِ يهوذا، قبل أن يناوله اللقمة.

والعقلُ السليم يحكمُ بأن أحد القولين افتراء، ولعل الشيطان الذي ألقى في قلبه، قبل أخذ اللقمة، غير الشيطانِ الذي دخله حين أخذ اللقمة، ولكن يرد هذا القول بأنكم حكيتم عند ذكر قضية بعلزبول: أن مذهبَ المسيح كون الشيطان واحداً لا يَتعدَّد.

واعلم أن مقتضى هذه النصوص أن يهوذا الأسخريوطي إما أن يكون منافقاً في إيمانه أو ارتد حين دخل فيه الشيطان، أو حين ناوله اللقمة، فلعمري إنها للقمة زقوم، وعلى كلٍّ فقد مات يهوذا جهنمياً على زعمهم، بعد ما تَعَهَّدَ له المسيحُ بالجنة، فيكونُ ما حكاه المترجم في - ص١٩ - ف٢٨ من إنجيله بقوله: «فقال لهم يسوع، أي للتلاميذ: الحق أقول لكم، إنكم أنتم الذين تبعتموني في

التجديد، متى جلس ابنُ الإنسان على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً» من الكذبِ الظاهر في النقل عن المسيح، لأن هذه الشهادة منه تقضي للحواريين الاثني عشر بالفوز والنجاة، ويهوذا واحدٌ منهم، وقد ارتدَّ، بزعمكم، ومات جهنمياً، وأيما صدَّقتَ، يلزمك تكذيب غيره، ولا سيما ما يرويه يوحنا، لأنه يتضمنُ أمرين قادحين في الديانة النصرانية.

الأول: ما وافق فيه الرواة من تَمَكُّنِ تسليطِ الشيطان على الرسل، المستلزم لنفيِ الإلهامِ عنهم، ولا سيما في الطبقة التي بعدهم كبولس ومرقس ولوقا وأمثالهم، فإن قوة الشيطان عليهم تكون أشدُّ من الطبقة الأولى، لأن التلاميذ الاثني عشر كانوا مشمولين بأنوار المسيح وأسراره، أين قولكم: إن المسيح أَذِنَ لهم أن يُخْرِجُوا الشياطينَ، ويهوذا واحدٌ منهم، وهو لا يقدرُ أنْ يُخَلِّصَ نفسه!؟

والثاني: ما انفرد فيه يوحنا وحده، من أن إضلال يهوذا كان قصداً من المسيح، وحاشاه من ذلك، لأن هذا من وظائفِ الشيطان، مع أنه مناقض للحكمة التي لأجلها أتى المسيح، وهي هدايةُ الضالة من بني إسرائيل، كما صرح به في الإنجيل، فكيف يضل المهتدي منهم، بعد أن يمنحه الحكمة والرسالة، ويبشره بالجنة والفوز؟! فما هذا إلا خَبْط وخلط، يُنَزَّهُ الوحيُ عن مثله. وعلى كلٍّ فهو كذب محض.

ولنعد إلى كلام المترجم، قال في ف١٧: «وفي أول أيام الفطير تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين له: أين تريد أن نُعِدَّ لك، لتأكل الفصح؟ فقال: اذهبوا إلى المدينة، إلى فلان ونسي الوحيُ اسمه وقولوا له: المعلمُ يقول: إن وقتي قريب عندك، اصنع الفصح مع تلاميذي، ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع، وأعدّوا الفصح» انتهى.

وخالفه مرقس، لأنه أورد هذه القصة على سبيل المعجزة لعيسى، فقال في -

ص١٤ - ف١٢ «وفي اليوم الأول من الفطير، حين كانوا يذبحون الفصح، قال له تلاميذه: أين تريد أن نمضي ونُعِدّ، لتأكلَ الفصح؟ فأرسل اثنين من تلاميذه، وقال لهما: اذهبا إلى المدينة، فيلاقيكما إنسانٌ حامل جَرَّةَ ماء، اتبعاه، وحيثما يدخل فقولا لرب البيت: إن المعلم يقول: أين المنزل حيث آكل الفصح مع تلاميذي؟ فهو يُرِيكُمَا عليّةً كبيرة مفروشة معدة، هناك أَعِدّا لنا، فخرج تلميذاه، وأتيا إلى المدينة ووجدا كما قال لهما، فأعدّا الفصحَ».

والعجب من مرقس حيث جعل جميع حركات المسيح معجزات، ونسي أنه - عليه السلام - امتنع من إظهار معجزة لليهود، ولوقا ذكر هذه المعجزة في - ص٢٢ - ف٧ من إنجيله مقتفياً أثر مرقس، ولكن خالفه في البعض، ولا حاجة إلى نقل عبارته برمتها، بل نشير ببعضها إلى ما وقع بينهم من الاختلاف، فأقول: إن مرقس جعل السؤال ابتداء من التلاميذ، وذكر أن اللذين أمرهما بالذهاب اثنان، ولم يذكر اسمهما، ولوقا خالفه في ذلك حيث سماهما وهما بطرس ويوحنا، وأن المسيح أرسلهما ابتداء، من غير اقتراحٍ وسؤال من التلاميذ، ويوحنا أغمض عن ذكر هذه المعجزة.

وهنا فائدة، نذكرها للمطالع، وهي أنه يُفْهَمُ من عدم ذِكْرِها في يوحنا، واختلافِ الثلاثة فيها أنها لم تكن إنجيلاً، وعلى فرض صحة وقوعها، فهي لم تكن إلهاماً، ولو كانت من الإنجيل وإلهاماً لما اختلفوا فيها، ولا كان يُهْمِلُها يوحنا البتة، بل هو خبرٌ وكلاً منهم ذكره على حسب ما بلغه، ويضحكني قولُ المفسر في «تحفة الجيل»، بتفسيره على أول - ص١٣ من يوحنا ولفظه «أهمل - أي يوحنا - ذكرَ إبداعِ الأفخارستيا اكتفاء بذكر باقي الإنجيليين له» انتهى.

أقول للمفسر: لماذا يوحنا لم يكتف بهم، وذكر أكثر ما ذكروه بأناجيلهم؟ على أن يوحنا كان حاضراً مع المسيح وناظراً للواقعة، وصنف إنجيله بعد تصنيفِ الأناجيل الثلاثة بمدة طويلة، أفما كان يقتضي ذلك ذكر الحقيقة في

إنجيله، ورَفْع الاختلافِ من بينهم، على أمرٍ هو من أعظم أركان دينهم بزعمهم، فتبيَّنَ ببداهة العقل أنَّ عَدَمَ ذكرها، في يوحنا، من أعظم البراهين الدالة على أن العشاء الرباني بدعةٌ، ابتدعوها بعد انقراض التلاميذ، ويصدق على هذا المفسر.

ولا بـد للخسـرانِ مـن بـاردِ العُـذْرِ وهل يُصْلِحُ العطَّارُ ما أفسدَ الدهرُ

ثم يُعْلَمُ من اتفاق الثلاثة صراحة، ومن يوحنا ضمناً، أن المسيح وتلاميذه كانوا يستعدون لعيد الفطير، وذلك دليلٌ على أنه كان مفروضاً على المسيحيين طبق أحكام التوراة، وأنتَ تعلم أن هذا العيد كان آخر أيام المسيح، وفيه رفع، فيكون نسخ التوراة من مبتكرات القديس بولس وأمثاله، والمسيح صرح بتأييدها، كما مر البحث عنه.

ثم قال المترجم - ف٢٠: «ولما كان المساء، اتكأ مع الاثني عشر، وفيما هم يأكلون قال: الحق أقول لكم: إن واحداً منكم يسلمني؛ فحزنوا جداً، وابتدأ كل واحد منهم يقول له: هل أنا هو يا رب؟! فأجاب وقال: الذي يغمسُ يده معي في الصحفة، هو يسلمني، إنَّ ابنَ الإنسان ماضٍ، كما هو مكتوبٌ عنه، ولكن ويلٌ لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان: كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد، فأجاب يهوذا مُسْلِمُه وقال: هل أنا هو يا سيدي؟ قال له: أنتَ قلتَ[1].

---

(١) طالما أن كل واحدٍ من الحواريين كان يسأله: «هل أنا هو يا رب» فمعنى ذلك أن الأسئلة كانت بصوت عالٍ، وليست وَشْوَشَةً، حتى جاء دور يهوذا فسأله السؤال نفسه فأجابه قائلاً: «أنتَ قلتَ».. وهذا يفيد عِلْمَ بقية الحواريين بأن يهوذا الأسخريوطي هو الذي سيسلمه...

وطالما أن المسيح قال: «ويلٌ لذلك الرجل الذي يسلم ابن الإنسان» فالويلُ كما تشير المعاجم اللغوية هي جهنم أو وادٍ في جهنم، فكيف يكون حوارياً؟! وكيف يتفق عقلاً في فقرة واحدة أن يسأله كل حواري: «هل أنا هو يا رب» وبعد ذلك يجيب المسيح قائلاً: «إن ابن الإنسان ماض» ثم يقول: «ويلٌ لذلك الرجل الذي يسلم ابن الإنسان»!! فكيف تتفق الربوبية مع الأنسنة - أي: كونه إنساناً وابن إنسان - في فقرة واحدة.

وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز، وبارك وكسر، وأعطى التلاميذ، وقال: خذوا كلوا، هذا هو جسدي، وأخذ الكأس وشكر، وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك من أجل كثيرين، لمغفرة الخطايا، وأقول لكم: إني من الآن لا أشربُ من نتاج الكرمة هذا، إلى ذلك اليوم، حينما أشربه معكم جديداً في ملكوتِ أبي، ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون» انتهى.

وعبارة مرقس في - ص١٤ - ف١٧ وإن كانت قريبة من عبارة المترجم، لكن بينهما اختلاف، ولذا نذكرها برمتها، وهي: «ولما كان المساء جاء مع الاثني عشر، وفيما هم مُتَّكئون يأكلون، قال يسوع: الحق أقول لكم: إن واحداً منكم يسلمني، الآكلُ معي، فابتدؤوا يحزنون ويقولون له واحداً فواحداً: هل أنا؟ وآخر: هل أنا؟ فأجاب وقال لهم: هو واحدٌ من الاثني عشر الذي يغمسُ معي في الصفحة، إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه، ولكن ويل لذلك الرجل الذي يسلم ابن الإنسان، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد. وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزاً، وبارك وكسر وأعطاهم وقال: خذوا كلوا، هذا هو جسدي؛ ثم أخذ الكأس وشكر، وأعطاهم وشربوا منها كلهم، وقال لهم: هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين، الحقَّ أقول لكم: إني لا أشرب بعدُ من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم، حينما أشربه جديداً في ملكوت الله. ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون».

وحكاية لوقا في هذه القصة في - ص٢٢ - ف١٤ فيها تقديمٌ وتأخيرٌ وزيادة، فإنه قال فيها: «ولما كانت الساعة، اتكأ والاثنا عشر رسولاً معه، وقال لهم: شهوة اشتهيت أن آكلَ هذا الفصح معكم، قبل أن أتألم، لأني أقول لكم: إني لا آكلُ منه بعدُ حتى يكمل في ملكوت الله».

أقول: لقد راجعتُ كتاب «تحفة الجيل» لفهمِ سرِّ هذا الكلام الذي لا تدركه

الأفهام، فإذا به كما قيل: وفَسَّرَ الماءَ بعد الجهد بالماء. فأقتصرُ على أني أقول: إنَّ ما أدرجه لوقا هنا، لم يذكره المترجم ومرقس، فإما أن يكون أنِفَتْ شهامتهما أن يذكرا كلاماً لا معنى له، أو قصرت أفهامهما عن سر هذا الوحي الذي ذكره لوقا. وعلى كلا التقديرين، لا مَخلصَ للمسيحي الذي يَدَّعي أن هذا الخبصَ إلهامي.

وقال لوقا أيضاً فيها - ف١٧: «ثم تناول كأساً وشكر وقال: خذوا هذه، واقتسموها بينكم، لأني أقول لكم: إني لا أشربُ من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله، وأخذ خبزاً وشكر وكسر، وأعطاهم قائلاً: هذا هو جسدي الذي يُبْذَلُ عنكم، اصنعوا هذا لذكري وكذلك - الكأس بعد العشاء قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم».

أقول: ذكر الكأس ثانياً من زياداته، ولا يضرنا ذلك، ولكنْ لنا عليه اعتراض في قوله: «الذي يُسفكُ عنكم». وذلك إما أن يكون المراد عموم النصارى، أو التلاميذ المخاطَبين خاصة، وأياً كان، فهو مناقضٌ لقول يوحنا: «إنه صلبَ نفسه عن كافةِ الناس»، ومخالفٌ لقول مرقس والمترجم أيضاً، لأنهما قالا: «الذي يُسْفَكُ من أجل كثيرين»، أي: لبعضِ النصارى. وزاد المترجم من عندياته على مرقس: «لمغفرةِ الخطايا». ومعلوم أن بين هذه العبارات الأربعة تفاوتاً بعيداً، والنصارى اتخذوا هذه القصة أساس دينهم، فقد أُسِّسَ هذا الدينُ على شفا جُرْفٍ هار.

ثم قال لوقا - ف٢١ «ولكنْ هُوَ ذا، يَدُ الذي يسلِّمني هي معي على المائدة، وابن الإنسان ماضٍ كما هو محتوم، ولكن ويلٌ لذلك الإنسان الذي يسلمه. فابتدؤوا - يتساءلون فيما بينهم[1]، مَنْ ترى منهم هو المزمع أن يفعل هذا» ولم

---

(١) مَرَّ معنا قبل صفحات وفي الفقرة ٢٠ المنقولة عن متّى أن الحواريين أخذ يسأله كل واحدٍ منهم علانية: «هل أنا يا رب؟»، وأما هنا في إنجيل لوقا فالتساؤل يتم فيما بينهم؟!

يذكر ما ذكره مَتَّى في - ف١٧ من - ص١٠ ومرقس في ف٣٢ من ص١٠ ثم ختم قول لوقا ف٣٩ «وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون، وتبعه أيضاً تلاميذه» انتهى.

فانظر أيها المنصف إلى اختلاف عبارات الثلاثة، في هذه المسألة، وتناقضها وزيادة بعضها على بعض، ولا أظنك ترتابُ في أن الوحيَ والإلهام يَجِلُّ عن مثله، على أن ذلك لو وقع في أحد كتب التواريخ، لسقط به عن الاعتبار، وهل يمكن أن يقال: إن مضمون الثلاثة واحد، مع وجود الزيادات التي ينفردُ بها أحدهم، وقد شرحنا لك جميع ذلك؟ والعجب أن يوحنا لم يذكر أكل الخبز وشرب الخمر، مما هو الآن غنيمة باردة وتجارة رائجة، لرؤساء كنائس النصارى، وقد جعلوها من أعظم أركان دينهم زاعمينَ أن الخبز والخمر هو حقيقة جسد المسح ودمه، فمن أكل وشرب منهما، فكأنما أكل وشرب من لحمه ودمه، نعوذُ بالله تعالى من هذه الخزعبلات، ولكن يوحنا ذكر عوضاً عنه غسل عيسى، عليه السلام، أقدام تلاميذه، ولم يتابعه غيره على هذه الزيادة.

وهنا يليق بنا أن نبسط الكلام على تفسير هذه الأوهام، وتعبير هذه الأحلام، وهي مسألة دخول المسيح، واستحالتهِ دمهِ ولحمهِ إلى الخمر والخبز، فنقول: إن أكثر الفرق النصرانية سوى القليل منهم يزعمون أن هذه المسألة من أمهات المسائل الدينية وأهمها، ويسمونه «الافخارستيا» واختلفوا بينهم هل يشترط أن يكون هذا الخبز فطيراً أو خميراً، وهل يجب أن يكون مصحوباً بالخمرة أولا، إلى غير ذلك من الخرافات؛ وهذه الاستحالة تتأتى عندما يلفظ الكاهن بكلمات، يسمونها: كلمات التقديس، وهي قول المسيح، بزعمهم، «هذا هو جسدي» «هذا هو دمي» فإنْ لم يلفظ بتلك الكلمات، لا ينقلب الخبزُ جسد عيسى، ولا الخمرُ دمه.

وقد مكثتُ زمناً أتأمل في هذا السر، وألتمسُ له معنى أو نظيراً في الأديان

المتقدمة والملل المنتَحَلة، فلم أجد نظيراً له، ولا أصلاً يرجع إليه، على اختلافِ مذاهبِ العالم، من آدم إلى عيسى إلى يوحنا، حتى فيما انتحله المشركون، وهذا السرُّ عندهم من قبيلِ ما وقعَ الإجماعُ عليه، فلا يكملُ إيمانُ النصراني ما لم يأكل جسدَ المسيح، ويشرب دمه، وأن يعتقد بذلك السر الذي قصرت أفهامنا عن دَرَكه، فَقُلْ ما شئت في عقولٍ تعتقد أن هذه «الافخارستيا» تستحيل في جوف الإنسان، وتتحول بعد تحولها الأول إلى غائط أو بول، ومن يقدر أن يناقشهم، وجميعهم ملهمون، ومن يناضلهم في واضع هذه الخرافات، وهو البار الصدِّيقُ المُوحَى إليه في أحلامه، الذي ما أراد لهم إلا النصح والنجاة والخلاص من أوحال الشرك والضلال الذي انتحلته بنو إسرائيل بزعمهم، وقد مكثت أتروَّى في هذا الأمر زمناً غير قليل، وأزِنه بكل ميزان، فلم أجده ينطبق على قياس. والأغرب من ذلك اختلافهم في ألفاظ التقديس التي يكون بها سِرُّ الافخارستيا.

وهذا المعلم ميخائيل مشاقة أحد علماء بروتستنت، ذكر في الفصل العاشر، من القسم الأول، من كتابه المسمى: بـ«أجوبة الإنجيليين على أباطيل التقليديين» ما نصه: «وأما تحريفهم لأقوال الآباء القدماء، فلا بد أن نقدم دلائله، لئلا نوقف أنفسنا في موقف مخالفينا، بأن تكون دعاوينا مثلهم، بلا برهان، فنقول: إن الأفشين رأى التقديسَ المنسوب إلى يوحنا فم الذهب الذي يُتْلى في الكنائس، في خدمةِ سر الافخارستيا، لا نجده مطابقاً عند الطائفة الواحدة لما عند الطائفة الأخرى، لأن عند الروم يطلب فيه من الأب السماوي أن يرسل روحه القدوس على الخبز والخمر ناقلاً إياهما إلى لحمٍ ودم؛ ولكن في مدة رياسة السيد مكسيموس قد غَيَّروا فيه، وقالوا: المنتقلان المستحيلان هرباً من دعوى الروم عليهم بأن الاستحالة تتم به، وأما عند سِرْيان الكاثوليك فيقال: أرسِلْ روحكَ القدوس على هذا الخبز الذي هو سِرُّ جسد مسيحك. ولا يوجد فيه كلامٌ يدل على الاستحالة، وربما هذا هو قولُ فَمِ الذهبِ الأصلي، لأنَّ تعليمَ الاستحالة في

عصره لم يكن قد تقرر في الكنائس.

وأما السيد يابيطا مطران صيدا الذي أنشأ الانشقاق في كنيسة الروم، وصار كاثوليكياً، ففي خطابه لجميع رومية سنة ١٧٢٢ يقول في هذه القضية: إنه موجود عندي كتب، في طقس قداسنا، يونانية وعربية وسريانية، قد قابلناها على النسخة المطبوعة في رومية، للرهبان الباسليين، وجميعها لم يكن فيها كلامٌ يدل على الاستحالة، وإنما هذه القضية وضعها في قداس الروم نيكفورس بطريق القسطنطينية موجبة للضحك لمن يتأمل فيها» انتهى كلامه.

والخوري جبرائيل قرقماز الماروني قد عقد في كتابه «القول الصحيح في دين المسيح» فصولاً، نقل في خلالها تضارب الكنائس على هذا الأمر، فإذا كان القوم في شَكٍّ من معرفة السر الذي يتأتى به تحوُّل الخبز والخمر إلى ذلك اللحم والدم.

والقضية لا تكون موجبة التسليم إلا بعد قيام البرهان على صحتها، فلندَعِ القوم في خبطهم، لتصحيح دعواهم هذه، كما خبطوا في دعوى ظهور النور الإلهي على قبر المسيح، في يوم سبت النور المذكور في كتاب «القول الصحيح لدين المسيح» فإنْ صَحَّحُوا دعواهم - وهيهات - نناقشهم حينئذٍ في الجواز وعدمه لهذه الاستحالة، أو التحول أو الانتقال على اختلاف تضاربهم فيه.

ولعمري! الحقُّ أن النصارى لو جنحوا إلى تسليم القول بوقوع الشبهة على المصلوب، لكان أنسب لدعواهم بألوهيته من هذا القول، وأولى لهم من قولهم: إن هذا الإله مات مقهوراً، لأننا نرى الأناجيل تؤيدُ وقوعَ الشبه حيث صرحت بأن المسيح كان يمسك أعين الحواريين، ومريم المجدلية التي كانت تكلمه وتظنه البستاني، وغيرها من النساء والرجال، في مواضع عديدة، حينما كان يريد أن لا يعرفوه، فكانوا يرونه بغير هيئتِهِ، فلا يعرفونه، مع أنه كان يُكَلِّمُهم ويكلمونه،

وهم تلاميذهُ وأولى الناس بأنْ لا يختلفَ عليهم أمر معرفته، وهم أحباؤه، ويعرفون أسرار الملكوت، فكيف لا يَصِحُ أنْ تشتبه هيئته على أعدائه الذين قصدوا تحقيره وقتله، وما صرحت به الأناجيل أيضاً من أنه حينما هجموا لأخذه، لم يعرفوه، وهم إذْ ذاك العددُ العديد، وفيهم المشايخ والرؤساء، وبأيديهم المصابيح والمشاعل؛ وهذا صريحٌ في نصوص أناجيلكم، ولا سيما في إنجيل يوحنا الذي كان يتكىء على صدر المسيح ومحبوبه، فلو رجعتم أيها النصارى إلى الإنصاف، وتركتم التعصب والاعتساف، لكنتم أول الناس إيماناً بقوله تعالى في القرآن العظيم الشأن ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء] نعم فررتم من ذلك حين ناداكم ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران] فَخَيَّمَ الشيطانُ على قلوبكم، فجمحتم عن الحق، وجنحتم إلى الباطل، فارتكبتم التأويل، وقلتم: إن الشَّبَهَ لا يتأتى، ولكن انقلاب دمه وجسده الشريف إلى خبز وخمر يتأتى، وقلتم: صرفُه عيونَ تلامذته وخاصته عن معرفته يتأتى، وصرفه عيون أعدائه عن معرفته لا يتأتى، وما هذا إلا اتباع للباطل وجحود للحق.

ولنعد لقضية الخبز والخمر، فإننا لو بحثنا بتلك الروايات بحثاً تاريخياً، لوجدنا التناقضَ قد أحاط بها من جميع أطرافها، ومعلوم أن الحكم بين المتخاصمين لا يصح إلا بعد تصحيح دعوى المُدَّعي، بأنْ تكون موافقةً للعقل، ودعواكم هذه يناقضُ بعضها بعضاً، ولا سندَ عندكم لترجيح شيء منها، مع عدم إمكان تطبيق أصل الدعوى على القانون العقلي، فظهر فساد أساس دعواكم، كما لا يخفى ذلك على مَنْ له أدنى إدراك؛ وهذا العرف والعادة مُحَكَّمةٌ بين الخليقة كافة، على اختلاف مذاهبهم، وهو أن مَنْ يدعي بأمرٍ خلاف العقل والظاهر والمحسوس، لا تُسمع دعواه، لأنها تكون فاسدة في كل شريعة، وهنا نذكر لك بعض التناقض إجمالاً في غير النوع الذي وصفناه آنفاً، فنقول: إن لوقا ذكر كأسين، وقد تنازعتا الوصف الذي قصره المترجم على واحدة، ليت شعري!

أيهما كان دم عيسى؟.

ثم إن رواية المترجم تفيد أن جسدَ عيسى غير مبذولٍ عن أحد، وإنما المبذول هو العهد الجديد الذي يُرَاقُ عن كثيرين، لمغفرةِ الخطايا، وهل العهدُ الجديد إلا دين النصرانية، وهو لا يراق ولا يريق. ورواية مرقس: إن الدم هو الذي يراق عن كثيرين، وعبارة لوقا تفيد أن جسد المسيح يُبذَلُ عن التلاميذ فقط، ويوحنا في بحثه الطويل العريض لم يذكر شيئاً ولا حرفاً من هذه الخرافات، وهو الحق، وبأيِّهم أخذت النصارى ينتج أن عيسى عليه السلام لم يمتْ عن أحدٍ من الناس خلافاً لدعواهم التي هي أساس عقيدتهم.

ومن التناقض في هذه الخرافة: أنه لم يرو أحدٌ عن عيسى أنه، بعد قضية الصلب، شرب من عصير الكرم مع تلاميذه أو وحده، سوى قيلٍ: أنه تناول شيئاً من السمك المشوي وقليلاً من عسل النحل، وذلك عندما أنكرته تلاميذه، وهذا أيضاً انفرد به يوحنا دون غيره؛ فما معنى قوله: إذاً أشربُهُ جديداً في ملكوت الله؟ فإن كان المراد بملكوت الله تعالى هنا: ما عند الله سبحانه في اليوم الآخر، من الجنان والنعيم الدائم، فهذا أيضاً يكون مناقضاً لقولكم بألوهيته، لأنكم تزعمون أنه سينسلخ من ناسوته، ويستقل بلاهوته على كرسيه، في عرشِ عَظَمته.

فإذا استقل بلاهوته، فلا تجوزُ عليه صِفاتُ الحوادث بأن يشرب الكأس مع تلاميذه كما ذكرنا، وإنْ صَحَّ قولُه لهم، فهو إقرارٌ منه، عليه السلام، بأنه بشر، لأنه جعل نفسه شريكاً لهم في الشرب، في برزخ الآخرة، وهذا يقتضي عدم انفكاك الناسوت عنه في الدنيا والآخرة، وقد اتفقت مضامين الأناجيل على مثل هذا.

ثم مَنْ تَفحَّصَ هذه الأناجيل الأربعة، لم يجد فيها أن التلاميذ اقتدوا بالمسيح، في إجراء مراسيم هذا الفرض الديني، فإن قلتم: إن لوقا مؤلف كتاب

أعمال الرسل لمَّح إلى ذلك، أجبناكم بأن إنجيل يوحنا كُتِب بعد كتاب «أعمال الرسل» والأناجيل الثلاثة بمدة طويلة، ولم يذكر هذا الفرض أصلاً، حتى إنه أضرب عن ذِكْرِه صفحاً، كأنه غيرُ جديرٍ بالذكر ولا حَرِيٍّ بالإثبات، كما أشرنا إليه آنفاً، مع أنه قد سرد قصة الأعمى في حكاية طويلة مكررة، وحكى إفاضةَ الطِيب على قدمي المسيح بطولها، وقَصَّ من قضية الجحش أشياءَ عجيبة، إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة التي لا فائدة في ذكرها، فكيف يغمض عن أمرٍ مهمٍ وركنٍ عظيم من الدين، وهو المحبوب الملازم لعيسى في كل حين؟! وعلى تسليم وقوع التلميح من لوقا في أعمال الرسل، فإنك تعلم أنَّ التلميح في الشيء الذي هو من القواعدِ الدينية المهمة والعقائدِ الواجبة غير كافٍ لأن يكون دليلاً على افتراض تلك القاعدة الدينية، ولا سيما من لوقا، لأنه لم يكنْ حوارياً ولا رسولاً، ولا رأى أحوالَ المسيح.

ثم لو بحثنا مع هؤلاء القوم بحثاً أدبياً في تلك المسألة، لا نجد شيئاً أَدْعى للسخرية من دعواهم هذه. تَصوَّرْ - هداكَ الله - نتيجةَ ما يستحيلُ إليه، بعد تناول جسد هذا الإله ودمه المتحوِّل من صفة الخبز والخمر، فيا عجباً، أيرضى هذا الإلهُ بذلك، أو يرضى المسيحي الحقيقي بما هنالك؟! كلا، ولو تَعقَّلت النصارى، وأنَّى لهم، لوجدوا دعواهم هذه شبيهة بما تروى عن مشركي العرب، فإنهم كانوا يَتَّخذون آلهةً من تمر، وعندما يُحسُّونَ بألمِ الجوع يلجؤون إلى تلك الآلهة، فيأكلونها، إلى أن أتى الإسلام، وهداهم الله تعالى إليه، فكانوا يتذكرون ذلك العهد، ويضحكون منه على أنفسهم، فهل يعقل أنْ يؤكلَ لحمُ الإنسان، ويشرب دمه؟!

نعم: لو تأملنا في حالة بعض الأمم المتوحشة، ومنهم (النمنم) وهم قوم من الزنوج، تَوغَّلُوا في التوحُّشِ حتى أخرجهم عن الطور الإنساني، فهم يأكلون لحم الآدمي، ويستلذونه حياً وميتاً.

تنبيه: قالت النصارى: إنَّ عيسى ناسوتٌ كامل ولاهوتٌ كامل، قلتُ: إذا تَحوَّلَ الخبزُ والخمر إلى عين جسد المسيح ودمه، كما زعموا، فهل يتحول إلى الناسوت فقط، أم إلى اللاهوت فقط، أم إليهما معاً؟ فإن قالوا بالأول، يُرَدُّ عليهم أن هذا الناسوت الذي كانت التلاميذ تشاهده، قد تحول إلى تلك الكسرات الخبز والخمرة التي تناولتها أيديهم، وتلاشت تلك الأجزاء، واستحالتْ بعد المضغِ والهضم إلى ما يَعلَمُه اللبيب، فمن أينَ لهم في كل يوم عذراء ثانية، حتى يتجسَّدَ فيها مسيحاً ثانياً بكلمة أخرى، ثم يتحول عندما يريدُ القسيسُ ذلك، وهلم جراً، إلى كَرَّاتٍ لا نهايةَ لها، وإنْ قالوا بالثاني والثالث، يُرَدُّ عليهم أن ذلك لا ينطبق على عقيدتهم، لأن اللاهوت إذا استحال، دخل في حَيِّزِ الحدوث، وبطل قولهم باللاهوت، بل يكون المسيح كله ناسوتاً صرفاً، فظهر أن الاستحالة المذكورة من المحال، واعتقاد ثبوتها من أسوأ الضلال.

وأما ما ورد من ذلك في الأناجيل، إنْ صَحَّ، فله محاملُ وتأويلات حسنة، لا تأباها العقولُ كما تأبى الاستحالة، من ذلك ما ذكره يوحنا في - ص٦ - ف٤١ حكاية عن المسيح، عندما تَذمَّرتْ عليه اليهود، بقوله: «أنا هو الخبز الذي نزل من السماء» وهذا كنايةٌ عن كونهِ سبباً لحياة الأرواح التي تحيا بالإيمان، وتتغذى بالتقوى، وتهلك وتموت بالكفر، وتمرض بالعصيان، كما أنَّ الخبز الحقيقي يغذي الأجسام، ويكون لها وقايةً من الهلاك، وهو تقرير لقوله السابق في - ف٣٥ «أنا هو خبز الحياة» وقوله في - ف٥٤ «مَنْ يأكلُ جسدي، ويشرب دمي، فله حياةٌ أبدية» وقوله في - ف٦٠ «فقال كثيرون من تلاميذه، إذ سمعوا إنَّ هذا الكلام صعب: مَنْ يقدر أن يسمعه؟! فعلمَ يسوع في نفسه أن تلاميذه يتذمَّرونَ على هذا، فقال لهم: أهذا يُعْثِرُكم؟! فإنْ رأيتم ابنَ الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً، الروح هو الذي يُحيي، أما الجسد فلا يفيد شيئاً، الكلامُ الذي أكلمكم به هو روح وحياة، ولكن منكم قوم لا يؤمنون» انتهى.

يعلمُ من هذا أنه لم يُرِدِ الجسدَ المركب من لحم ودم، بل يريد الروح التي هي الكلمة، أي الإيمان بأنه كلمةُ الله وروح منه، ومنه نتج أن ما ذهبوا إليه، في المعنى الظاهر، باطل، لا يصح القول به، إذ لا يدخلُ تحت قاعدةٍ عقلية، ولا يندرج ضمن قانون إلهي، وما أراد المسيحُ بذلك إلا الذي حكيناه من تفسيره، بأن يؤمنوا به وبالذي أُرسلَ به، ويتبعوا أوامره ووصاياه، فهو تفسيرٌ لكلامه الأول، وليس المراد جسده ودمه الحقيقي، كما تزعم الأساقفة الذين اشتروا الضلالة بالهدى، فما ربحت تجارتهم.

وعيسى عليه السلام سَدَّ بابَ الفساد، وما أبقى زاويةً للأساقفة يتدلَّسون فيها، ووضح الأمر.

والحاصل: أن مسألة الافخارستيا مما يقطعُ العقلُ ببطلانها، إذ هي ضربٌ من الهذيان، اللهم إلا أن تكون من قبيل الكيمياء والسيمياء التي اخْتُصَّتْ بمعرفتها الأساقفةُ والرهبان، فينبغي صيانةُ الشرائع الإلهية عن مثلها وتأويل ما ورد من النصوص، إن صحّت، وصرفها عن ظاهرها إلى ما يوافق االعقل، لِتُطابِقَ المنقولَ والمعقول، وهذا هو الواجبُ على حَمَلَة الشرائع الربانية وأتباع النواميس الإلهية الذين يزعمون أنفسهم أصدقاء الحق وإخوان الصدق. وفي المَثَل: «إنَّ العدوَّ العاقلَ خيرٌ من الصديق الجاهل».

فلا جَرَم أن صديق الشريعة إذا كان جاهلاً، وتكلم عن لسانها بما يخالفُ العقل، فهو أضَرّ عليها من عدوها، حيث يكونُ سبباً للنفرة عنها، وداعياً للجحود بها، ومما يؤيد ما ذكرناه، من التأويل، قول صاحب كتاب «مرشد الطالبين» في الفصل الثالث عشر، من الجزء الثاني، من كتابه المذكور الذي عقده لوجوب تأويل ما ورد، من الكلامِ، في العهدين، على سبيل المجاز والاستعارة، فقال بعد أنْ ذكرَ الأسبابَ الموجبة لاستعمال المجاز ما نصه: «إن بعض معلِّمي النصارى شرحوها شرحاً حرفياً، فاشتهر من ذلك آراء كثيرة

فاسدة» انتهى.

ثم ذكر لذلك أمثلة، من جملتها بحثنا الذي نحنُ فيه، وهذا نص عبارته - بص٦ - ف٥١ قال: «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبزُ الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم» أما اليهود ففهموا هذه العبارة بالمعنى الحرفي، وقالوا: كيف يقدرُ هذا الرجلُ أن يعطينا جسده لنأكله؟ ولم يلاحظوا أنه عنى بذلك ذبيحتَهُ التي وهبها كفارةً لخطايا العالم. انتهى.

ثم قال: فمنذ الدهر الثاني عشر جعلت الرومانيون الكاثوليكيون لهذا القول معنى آخر معكوساً ومغايراً لشواهد أخرى، في الكتب المقدسة، وللدليل الصحيح، وحتموا أن ينتجوا من ذلك تعليمهم عن الاستحالة، أي تحويل الخبز والخمر إلى جسدِ المسيح ودمه الجوهريين، عندما يلفظُ الكاهن بكلمات التقديس الموهوم، مع أنه يظهر لكلِّ الحواس الخمسة أن الخبز والخمر باقيان على جوهرهما، ولم يتغيَّرا» انتهى كلامه.

وقد أطلتُ لكَ البحثَ، لتعلم - إن شاء الله تعالى - أنه لو صَحَّ قولهم الفاسد المذكور، لَزِمَ منه إبطالُ جميع العبادات البدنية والمالية والتكليفات الدينية، ولم تبقَ حاجةٌ لغفرانِ القسيس لذوي الخطيئآت، ولا سبب لاتصالهم بالعذارى والغلمان في الخلوات، لأن تلك الأعمال والتكليفات حينئذٍ تكون بمنزلة العبث، حيث أن الحصول على الحياة الأبدية يكون لهم، بمجرد أكلِ إلّههم المنقلب عن تلك الكسرة من الخبز والمصة من الخمر.

ويضحكني ما ذكره صاحب كتاب «إتحاف الجيل» من توجيهِ اختلافِ آراء علماء النصرانية، في أن هذا الخبز، هل يجب أن يكون من الفطير أو المختمر أو غير ذلك، وقد حكينا مثله عن صاحب كتاب «القول الصحيح» وعليه أُجيب،

بأنه ينبغي للنصراني أنْ يحتاطَ ويأكل المختمر والفطير، من خبزِ الحِنطةِ والشعير وسائر أصناف ما يُتَّخذ منه الخبز، ويشرب من جميع أنواع المسكرات المتقطرة والمتخمرة، ليخرجَ من الخِلافِ والشك والوسواس، هكذا هكذا وإلا فلا.

وليتَهم كما اختلفوا في ذلك، اختلفوا في تحليلِ لحمِ الخنزير المحرم، بنص التوراة والزبور والإنجيل، وفي المسكرات التي تَوسَّعُوا فيها حتى جعلوها الإكسير الأعظم التي تستحيلُ لوقتها إلى دم المسيح المعظم، مع أن نصوص التوراة والإنجيل طافحةٌ بتحريمِ السكر وإدمان شرب الخمر؛ وسيأتي بحثُ الخمر في الإصحاح الأول من لوقا، فراجعه[1]، والله سبحانه الهادي.

ولنعد إلى باقي الإصحاح، قال مترجم متى - ف٣١: «حينئذ قال لهم يسوع: كلكم تشكون فيّ في هذه الليلة، لأنه مكتوب: أني أضرب الراعي، فتتبدَّدُ خِرافُ الرعية، ولكن بعد قيامي، أَسبقُكم إلى الجليل، فأجاب بطرس، وقال له: وإنْ شَكَّ فيك الجميع، فأنا لا أشكُّ أبداً، قال له يسوع: الحقَّ أقولُ لك: إنك في هذه الليلة، قبل أنْ يصيحَ ديك، تُنكِرُني - ثلاثَ مرات - قال له بطرس: ولو اضطررتُ أن أموتَ معك لا أُنكرك، هكذا قال أيضاً جميعُ التلاميذ» انتهى.

وتبعه مرقس وعبارته في - ص١٤ - ف٢٧ - من إنجيله هكذا: «وقال لهم يسوع: إنَّ كُلَّكُم تشكون فيّ في هذه الليلة، لأنه مكتوب: أني أضرب الراعي، فتتبدد الخراف، ولكن بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل، فقال له بطرس: وإن شك الجميع، فأنا لا أشك، فقال له يسوع: الحق أقول لك: إنك اليوم في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني - ثلاث مرات - فقال بأكثرِ تشديدٍ: ولو اضطررتُ أن أموت معك لا أُنكركَ، وهكذا قال أيضاً الجميع» انتهى.

---

(١) النص هو: «فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لأنَّ طِلْبَتَكَ قد سُمِعَتْ، وامرأتُكَ أليصابات ستلدُ لكَ ابناً وتُسميه يوحنَّا. ويكون لك فَرَحٌ وابتهاج، وكثيرون سيفرحون بولادته. لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومُسْكراً لا يشرب» (١٣-١٥).

فحذا مرقس حَذْوَ مَتَّى وقوله، لأنه مكتوبٌ، أي في التوراة، وذلك إشارةٌ إلى ما في الإصحاح الثالث عشر - ف٧ من زخريا أي زكريا، عليه السلام، على ما ذكرَ صاحبُ «مرشد الطالبين» وهذا نص التوراة من النسخة القديمة المطبوعة في لندن سنة ١٨٤٨ وهو: «يا أيها السيف انتبه على رَاعِيَّ وعلى الرجل الملتصق بي، قال رب الجنود أضرب الراعي، وتتبدد الخراف، وأردّ يديّ على الصغار» انتهى.

فانظر - هداك الله - إلى سياق هذا النص، هل تجد له مناسبة بعيسى عليه السلام، وهل يمكن أن يكون هو الراعي الذي يقول الله عنه: أضرب الراعي؟ فمن الضارب ومن المضروب، وأين يبقى حينئذ كون الواحد ثلاثة والثلاثة واحداً؟ ولا أظنك تشك في أن هذا من الحكايات المكذوبة على المسيح، وقد تقدم عن العلامة أحمد فارس في كتابه «المرآة في عكس التوراة» أن الذي حمل مؤلفي الأناجيل على تأويل ما ورد في الأسفار بحق عيسى، عليه السلام، شدة المغالاة. ومن تأمل في هذا النص المنقول من سِفر زخريا، حكم بأن المسيح غير مراد منه، إذ لا يُضرب بسيف الحق إلا الناشز عن الحق، فإذا رضيت النصارى أن يكون عيسى مضروباً بهذا السيف الذي أمره الله بالانتباه لضربه، فلا غرابة، لأن تسميتهم له: لعنةً، أشدُّ بشاعة من ذلك، واللعنة لا يطهرها إلا السيف، فعُذر قيافا واضح في الحكم على عيسى بأنه كافر، وهو أهون شراً من قولهم بأنه صار لعنة، لأن الكافر يتبرر بالإيمان، ولا يتبرر الملعون بشيء، لأنه مطرود من رحمة الله كالشيطان، نعوذ بالله من هذا الضلال الأسود.

قال صاحب «تحفة الجيل» في قول بطرس: «ولو أموت لا أنكرك، وقد أثِمَ هنا بطرس» أي: كذب. وقول مرقس: قبل أن يصيح الديك مرتين، انفرد فيه بذكر المرتين. ثم لوقا ذكر مشاجرة التلاميذ، على أن أيهم يكون الأكبر، ويظهر منه

أن هذا التنازع في محله، لكونهم علموا أن المسيح سيموت، فكأنهم تنازعوا أمر الخلافة، ومن يكون بعده خليفة، حتى ختم بحثه بقول المسيح لتلاميذه «أنتم الذين تثبتوا معي في تجاربي، وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً، لتأكلوا وتشربوا على مائدتي، في ملكوتي، وتجلسوا على كراسي، تدينون أسباط بني إسرائيل الاثني عشر» انتهى.

ما ذكره لوقا - ص٢٢ - ف٢٨ - ولا أشك أن الإلّه لا يخلف وعده، ولا يكذب في قوله الشامل ليهوذا أيضاً، وقد كفرته الأناجيل، فأعجب من هذا التناقض. ثم قال لوقا أيضاً في ص٢٢ - ف٣١: «وقال الرب: سِمعانُ سمعان هُوَ ذا الشيطانُ، طلبكم لكي يُغَرْبِلَكُمْ كالحِنطة، ولكني طلبت من أجلك، لكي لا يفنى إيمانك، وأنتَ متى رجعتَ، ثَبِّتْ إخوتك، فقال له: يا رب إني مستعدٌّ أنْ أمضي معك حتى إلى السجن وإلى الموت، فقال: أقول لك يا بطرس: لا يصيحُ الديكُ اليوم قبل أن تنكرَ ثلاثَ مرات أنك تعرفني» انتهى.

أقول: يُستفادُ من قول المسيح - عليه السلام - طلبتُ من أجلك إلى آخره، أنَّ الطلبَ كان من الله تعالى، وهو ظاهرٌ في عبودية عيسى، وإلا يلزم أن يكون عين المطلوب منه، وذلك باطلٌ بالبداهة، ثم إن الطلب من الله تعالى يكون في شيء، يعجزُ عنه الطالبُ، فيطلبه، والعجزُ يُنافي الألوهية.

وقوله: لكي لا يفنى إيمانك، ربما يفهم منه تطرق الفناء على إيمانِ غيرِهِ من التلاميذ الاثني عشر، الذين لم يَطْلُبْ لهم، فأين يبقى القول بعصمة بولس والبابا، إذا تَطرَّقَ الخللُ على إيمانِ الحواريين، وكل منهما لا يساوي درجتهم.

وقوله: لا يصيح الديك، إلى آخره، لا يخفى أن عبارات الأناجيل مختلفة هنا، فإن رواية المترجم تفيد أن بطرس أنكر ثلاث مرات، قبل أن يصيحَ الديكُ مرةً واحدة، وكذلك رواية لوقا ويوحنا، وفي رواية مرقس أن الديك صاح مرة

عند إنكاره الأول، ومرة أخرى بعد إنكاره مرتين، أي أنكر ثلاث مرات بعد أن صاح الديك مرتين، لا قبله خلافاً لما في متى ولوقا، من أنه أنكر ثلاث مرات قبل صياح الديك، ثم إن لوقا ذكر في هذا الإصحاح - ف٣٦ - عن المسيح عليه السلام أنه قال «ومَنْ ليس له فَلْيَبِعْ ثوبه ويشتري سيفاً» انتهى.

أقول: إن هذا خلاف مذهب المسيح، من نَهيهِ عن استعمالِ السلاح والمضاربة، وأمرِهِ بالحلم والصبر، وعدمِ مقابلةِ الضارب بالضرب. ثم إن هذه الفقرة تدل صراحةً على أن المسيح استعدَّ للمدافعة بالسيف، واستحضرَ لأعدائه قوةً، يدافع بها عن نفسه، وطلب النصر من الله تعالى، في صلاته وتضرعه، حتى أمده الله تعالى بملك من السماء، يُقَوِّيه على أعدائه، وينصره كما في - ف٤٣ - ص٢٢ من لوقا، وهذا كله دليلٌ قاطع على أن المسيح عليه السلام لم يسلم نفسه إلى الصلب، باختياره، لخلاصِ العالم من الخطيئة، كما تزعم النصارى، وإلا فأيُّ غَرَضٍ في إحضار السيوفِ، والتصدي للمدافعة، وطلب النصر من الله تعالى، والتضرع له، والخشوع إلى درجة يتقاطر منه العرق على الأرض، كما هو شأنُ العبدِ الذليل تجاه الخالق الجليل. وقال لوقا في هذا الإصحاح أيضاً - ف٣٧ من قول المسيح «لأني أقول لكم: إنه ينبغي أن يتم فيّ أيضاً هذا المكتوب وأُحصي مع أثَمَة».

وهذا النص أظنه مُفْترىً أو محرفاً، كما افتروا وحرفوا نصوصاً كثيرة في خبر الصلب والقيام، وعلى تقدير صحته، لا يدل على أنه يصلب، بل يحتمل وجهين: إما أنه أراد بالأثمة: هم اليهود الذين هجموا عليه ليلاً، فأمسك أَعينَهُمْ عن معرفته، وشُبِّه لهم بغيرِهِ، أو أن المراد بالأثمة: هم التلاميذ الذين فَرُّوا عنه، وشَكُّوا فيه، وأنكروه، فلا ينافي أمره لهم بالاستعداد للمدافعة عن أنفسهم. ويؤكده تمام العبارة من هذا الإصحاح - ف٣٨: «فقالوا يا رب! هو ذا هنا سيفان، فقال لهم: يكفي».

ويفهم من حثه على أخذ السلاح أولاً وقوله: «يكفي» آخراً، أنه علم بواسطة الوحي أنهم، أي التلاميذ سيهزمون حفاة عراة أفراراً من اليهود فلذلك قال لهم: «يكفي» ثم قال لوقا - ف٣٩: «وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون، وتبعه أيضاً تلاميذه» انتهى.

ولم يذكر بعده قول المسيح للتلاميذ: «إنكم تشكون فيّ»، كما ذكر المترجم ومرقس، إلا أنه انفرد عنهما بقوله أولاً: «الشيطان طلبكم، لكي يُغربلكم كالحنطة». ولعل المراد به أنهم يشكون فيه أيضاً، وعليه يقال: إن عبارة مرقس والمترجم صريحة في أن قوله: «تشكون» صدر منه بعد الخروج، وقوله: «يغربلكم» قبل الخروج، فلينظر المسيحيُّ العاقلُ لهذا الاختلافِ في أخبار الوحي، ويوحنا لم يذكر هذا الشكَّ، ولا صياحَ الديك، ولا غربلةَ الشيطان، وضَرَبَ عن هذا الخَبْطِ صَفْحاً، وأتى بكلام آخر مفيد، لم تذكره الثلاثة عمداً، وستقف عليه في شرح - ص١٤ و١٥ و-ص١٦ من إنجيله.

ونذكر هنا قول يوحنا، في هذه القضية، في أول - ص١٨ ونصه: «وخرج مع تلاميذه إلى عبر وادي قدرون، حيث كان بستاناً، فدخله هو وتلاميذه» فذكر أن خروجه كان إلى عبر وادي قدرون، لا إلى جبل الزيتون، كما قال الآخرون، بل انفرد بقوله: دخلوا إلى البستان مع التلاميذ. كما أن المترجم ومرقس ذكرا قوله، عن عيسى، أنه قال: إني أضرب الراعي الخ، ولم يذكر ذلك لوقا ولا يوحنا.

وهكذا تضاربهم في روايات الوحي، في سائر ما تقدم، وهي أمامك، فراجعها، فلا حاجة للتطويل المُمِلّ.

ثم قال مترجم متى - ف٣٦: «حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها جَثْسَيْماني، فقال للتلاميذ: اجلسوا ها هنا حتى أمضي وأصلي هناك، ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي، وابتدأ يحزن ويكتئب، فقال لهم: نفسي حزينةٌ جداً

حتى الموت، امكثوا ها هنا، واسهروا معي. ثم تقدم قليلاً، وخَرَّ على وجهه، وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه! إنْ أمكن فلتعبرْ عني هذه الكأس، ولكنْ ليس كما أُريدُ أنا، بل كما تريدُ أنتَ. ثم جاء إلى التلاميذ، فوجدهم نياماً، فقال لبطرس: أهكذا، ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة؟! اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة، أما الروح فنشيط، وأما الجسد فضعيف» انتهى.

أقول: أما قوله: «يحزن ويكتئب»، و«نفسي حزينة جداً»، فالحزنُ والكآبة تنافي الأُلوهية، لأن الحزن ليس من عوارض الناسوت حتى يقال: كان ذلك بناسوته، وإنما يعرض للنفس والروح، وكذا قوله: «ليس كما أريد، بل كما تريد أنت»، فإن الإرادة أيضاً من أفعال الروح، لأنها عبارة عن تَوجُّهِ الروح لاختيارِ أمرٍ من الأمور، فهنا إرادتان مختلفتان: واحدة مَنْفية، والأخرى مثبتة، ولا يمكن أن يكون مصدرهما واحداً، لأنه يلزم منه اجتماع النقيضين، وهو محال.

وليت شعري! هل كان تَضَرُّع عيسى لنفسه، بناء على قولهم باتحاد روحه مع الإلّه، ولماذا يتضرع، وهو بزعمهم إلهٌ على كلِّ شيءٍ قدير، ولماذا لم يُعْطِ القدرةَ للتلاميذ على السهر معه ساعة واحدة، لمواساتِهِ ودفعِ الوحشةِ عنه؟!

وقوله: «أما الروح فنشيط، وأما الجسد فضعيف»، فَهِمَ منه مفسروهم أن المراد من الروح هو روح الله، ومن الجسد هو ناسوت عيسى، ولم يلتفوا إلى ما قبله، أعني قوله: «صَلُّوا لئلا تدخلوا في تجربة، أما الروح فنشيط، وأما الجسد فضعيف» أمرهم أن يصلوا لله وحده، ويستعينوا بالقويِّ الذي هو الروح على الضعيف الذي هو الجسد، فإن الأجساد كلما قويتْ، ضعفت قوةُ الأرواح، وبالعكس، فتبين لك أيها الفطن أنَّ الروحَ هنا هي الروحُ الناطقةُ في الأجساد، فلذلك أمرهم ضمناً أن يصبروا كما صبر أولوا العزم من الرسل، وهذه من خصائصهِ عليه السلام الذي كُلِّفَ بها من قبل الله تعالى، وهذا على فرض صحة الرواية، وإلا فهي أيضاً من خرافات الأساقفة.

ولنرجع لإكمال النص قال «فمضى أيضاً ثانية، وصلى قائلاً: يا أبتاه إنْ لم يمكن أن تعبُرْ عني هذه الكأس إلا أنْ أشربها، فلتكُنْ مشيئتك. ثم جاء فوجدهم نياماً أيضاً، إذ كانت أعينهم ثقيلة، فتركهم ومضى أيضاً، وصلى ثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه، ثم جاء إلى تلاميذه، وقال لهم: ناموا الآن، واستريحوا، هُوَ ذا الساعة قد اقتربتْ، وابنُ الإنسان يُسَلَّمُ إلى أيدي الخطاة، قوموا ننطلق، هو ذا الذي يسلِّمني قد اقترب» انتهى.

أقول: انظروا أيها النصارى إلى قول المسيح: «إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكاس». فهو دليلٌ على أنه عليه السلام لا يَدري ما يفعل الله به، وأن عِلْمَ الله تعالى لا يُحيطُ به عِلْمُ نبيٍّ مرسل ولا ملك مقرب، بل يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد؛ ويؤيد ذلك إقرارهُ عليه السلام، عندما سألوه عن الساعة، فقال لهم في - ص١٣ - ف٣٢ - من مرقس: «ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمُ بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابنُ إلا الأب» انتهى.

وإذا كان الأمرُ كذلك، فكيف يسوغُ لمن له أدنى إدراك أن يَتَّخِذَ المسيحَ إلهاً ويصفه بجميع صفات الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد.

ثم ما هذا التنافي في قوله: «ناموا الآن، واستريحوا»، مع قوله: «قوموا ننطلق»؟ فهل يمكن أن يصح نسبةُ ذلك لعيسى عليه السلام، وحاشاه، والذي يدل عليه سياق هذه العبارة أن المسيح كان في غايةِ الخوفِ والاضطراب، لا يستقرُّ على حال، من جَزَعِهِ، كلما مضى عن التلاميذ رجع إليهم، فوجدهم نياماً، وكَلَّمهم وهم لا يزيدون إلا استغراقاً في النوم شأن مَنْ هو خالي البال مستريح الفكر، على حد قول الشاعر:

فكأنه الطفلُ الصغيرُ بمهدِهِ يزدادُ نوماً كلما حَرَّكته

وقال مرقس - في ص١٤ - ف٣٢: «وجاؤوا إلى ضيعة اسمها جَثْسَيْماني، فقال لتلاميذه: اجلسوا ههنا حتى أصلي، ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا، وابتدأ يدهش ويكتئب، فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا هنا، واسهروا، ثم تقدم قليلاً، وخَرَّ على الأرض، وكان يصلي لكي تَعبُرَ عنه الساعة إن أمكن، وقال: يا أبا الآب: كل شيء مُستطاعٌ لكَ، فأجِزْ عني هذه الكأس، ولكنْ ليكُنْ لا ما أريدُ أنا بل ما تريدُ أنتَ. ثم جاء ووجدهم نياماً، فقال لبطرس: يا سمعان أنت نائم، أما قدرتَ أن تسهرَ ساعة واحدة؟! اسهروا لئلا تدخلوا في تجربة» انتهى.

فقد اتفقت على ذِكْرِ هذا النص الرواياتُ الثلاثة، ويفهم منه أن الحادثة كانت على طريق الامتحان من الله تعالى له، كما وقع ذلك للأنبياء من قبله، كالذبيحِ إسماعيل وأيوب عليهما السلام، فلما كان منهما الاستسلامُ لقضاء الله وأوامره، فَدَى الأولَ بالكبش، وعافى الثاني مما أصابه، وكذلك المسيح عليه السلام، فيكون عند وجود الاستسلام لأوامره فداه الله تعالى بالشبيه، ورفعه إليه؛ ويدل عليه قوله: أما الروح فنشيطة، وأما الجسد فضعيف.

وبقية عبارة مرقس موافقةٌ لما ذكره المترجم، ورواية لوقا مباينةٌ لهما، فإنه قال في - ص٢٢ - ف٣٩: «وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون، وتبعه أيضاً تلاميذه، ولما صار إلى المكان، قال لهم: صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة. وانفصل عنهم نحو رَمْية[1] حجر، وجثا على ركبتيه، وصلى قائلاً: يا أبتاه: إنْ شئتَ أن تجيز عني هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي، بل إرادتك. وظهر له ملاكٌ من السماء يقويه، وإذ كان في جهاد، كان يصلي بأشد لجاجة، وصار عَرَقُه كقطراتِ دمٍ نازلة على الأرض؛ ثم قام من الصلاة، وجاء إلى تلاميذه، فوجدهم نياماً من الحزن، فقال لهم: لماذا أنتم نيام؟! قوموا وصلوا

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «رومية».

لئلا تدخلوا في تجربة» انتهى.

فذكر أنه جثا على ركبتيه، ولم يقل خَرَّ على وجهه كما قال المترجم ومرقس، وقال أيضاً: فوجدهم نياماً من الحزن، والظاهر أن زيادة لفظ (الحزن) منه، يُوضِّحُ به عذرَ القوم، ويدفعُ عنهم اللومَ، حيث استولى عليهم النوم.

ومن تأمل كلام لوقا يجده قد أبعد، في حكاية الحادثة، عن رفيقيه المترجم ومرقس. وعبارة يوحنا صريحةٌ في تكذيبِ الثلاثة، فإنهم اتفقوا على أن المسيح كان يدعو الله بأنْ يصرفَ عنه كأسَ الحِمام، وأنه في حزن واكتئاب، لتيقنه بالموت. ويوحنا خالفهم حيث قال في - ص١٣ - ف٢٦ «فغمس اللقمة، وأعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطي، فبعد اللقمة دخله الشيطان، فقال له يسوع: ما أنت تَعمَلُه، فاعمله بأكثر سرعة» إلى أن قال ف٣١ «فلما خرج[1]، قال يسوع: الآن تَمجَّدَ ابنُ الإنسان وتمجد الله فيه، إنْ كان الله قد تمجد فيه، فإن الله سيمجده في ذاته، ويمجده سريعاً. . إلى آخر ما حكاه».

فمقتضى هذه الروايات أن يهوذا إنما فعل ذلك، إنْ صَحَّ، فهو بأمر عيسى، وأن المسيحَ استبشرَ بموته لخلاصِ العالم، فكيف يَصِحُّ، على رواية الثلاثة، أنه طلبَ من الله تعالى أن ينجيه من تلك الساعة، ويأمر التلاميذ بشراء السيوف، مع أنه لم يأتِ إلى هذه العالم إلا لغاية أنْ يُصلبَ ويموتَ، كما هو نص الأناجيل الأربعة.

فهل بعد هذا التناقض يقدرُ المسيحيُّ أن يقول: إن الوحيَ قد ألقى مضمونَ الإنجيل في قلوبِ الإنجيلين، وهم أفرغوه بعباراتٍ شتى، لا تختلف في المعنى، وإن اختلفت في اللفظ؛ ويريد بذلك تمهيدَ العذرِ كما حكيناه عن بعض علماء البرتستنت آنفاً، وقد ظهر لك اختلافُ المعنى ظهورَ الشمس في رابعة النهار.

---

(١) أي: خرج يهوذا الأسخريوطي.

ثم أقول: هاهنا أمور:

الأول: أن كلام المترجم ومرقس يدل على أن المسيح انفرد عن سائر التلاميذ، واختص بثلاثة منهم، وهم الذين كان يُؤْثِرهُمْ على غيرهم في جميع أموره الخصوصية، وإن كان المترجم لم يذكر إلا اسم بطرس، وكنى عن الاثنين، ومرقس بأسماء الثلاثة، ولوقا لم يذكرهم، بل دل كلامه على أن عيسى المسيح انفصل عن التلاميذ، وذهب وحده، ولم يتبعه أحدٌ، وهذا اختلافٌ باللفظ والمعنى.

الثاني: أنهما أي المترجم ومرقس أثبتا أن الواقعة كانت في ضيعة «جَثْسَيْماني» ولوقا يقول: في جبل الزيتون، وأكده بقوله: ولما صار إلى المكان، أي المكان الذي اعتاده للصلاة والعبادة فيه، بدليل قوله: وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون. ويوحنا ناقضَ الثلاثةَ، فجعل الضيعةَ والجبل بستاناً، وقد تقدمت عبارته، فارجع إليها؛ وهذا أيضاً تناقضٌ في اللفظ والمعنى.

الثالث: عبارة المترجم تفيد أنهم عقب العشاء والتسبيح خرجوا على الفور، ولوقا فصل بين العشاء وخروجهم بحكايات وقصص كثيرة، وهذا يقتضي أن عيسى لبث بعد العشاء برهة، وهو تناقضٌ في اللفظ والمعنى.

الرابع: أن مرقس وافق المترجم في ذكر المرات الثلاث، وخالفه في لفظ الدعاء بقوله: «يا أبا الآب». وخالفهما لوقا، فلم يذكر من صلاته ولا مرة واحدة.

ثم إن المترجم وجه خطاب المسيح في تأنيبه للتلاميذ الثلاثة، حين وجدهم نياماً، ومرقس خالفه، فوجه الخطاب لبطرس خاصة حتى خصه بالذكر بقوله: يا سمعان أنت نائم أما قدرتَ أن تسهر ساعة واحدة. ولوقا اختلق لنومهم عذراً، فقال: نياماً من الحزن، وهو ليس بعذر في الحقيقة، بل ذنبٌ لا يغفر، وجُبنٌ وعَدَمُ مبالاةٍ بعيسى، وهم على ما هم عليه من تلك العقيدة.

الخامس: إن مَنْ تأمل في كلام لوقا من أن عيسى كأنه في جهاد، يسيلُ منه العرق كقطرات الدم، يعلم منه أن هذا الإله كان قد يبلغُ به الخوفُ والاضطرابُ كُلَّ مَبْلغ، وهذه صفاتُ الرجلِ الذي قد بلغ من الجُبْنِ غايته.

فانظر هداك الله إلى قولهم هذا في حق المسيح، عليه السلام، وإلى قول المسلمين فيه بأنه صلى الله عليه وسلم من أُولي العَزْمِ الذين هم أفضلُ أنبياء الله تعالى ورسله؛ ولا يَخْفَى ما في لفظ العزم من الشجاعة والثبات والإقدام والصبر والجهاد، إلى غير ذلك من الصفات العالية والفضائل السامية، ولو أخذنا في شرحِ ما تَضَمَّنَ من المعاني، لخرجنا عن موضوع البحث.

السادس: ذكر المترجم ومرقس قولَ عيسى للتلاميذ: ناموا واستريحوا، فقد اقتربت الساعة، ثم ذكرا قول المسيح لهم: قوموا ننطلق، فقد اقترب الذي يسلمني. وأنتَ تعلم أنَّ بين النوم والانطلاق منافاة لفظاً ومعنى، كما مر، فإذا كان عيسى قد استعدَّ للصلب، وهو الغرضُ الذي لأجله جاء إلى العالم، كما زعموا، فَلِمَ قال: قوموا ننطلق، فهل أراد بذلك الفرارَ أو الاستسلامَ؟ فإذا كان الأول، فيكون مخالفاً لغرضه، وقد ناقض نفسَهُ بنفسِه، وإن كان الثاني، فيلزمُ تبرئةُ يهوذا، لأن عيسى، على ما رويتم عنه، هو الذي تَعرَّضَ لذلك، ثم إن المترجم ومرقس ويوحنا أهملوا ذكر المَلَك الذي ظهر لعيسى، حين ضعفَ عن تحمل هذا الأمر، وانحطَّتْ قوته؛ وقد انفرد لوقا بذكره، أفما كان يقتدر هذا المَلَكُ على مدافعة هذه الشرذمة الضعيفة، وتخليص إلَهه من أيادي مخلوقاتهِ الباغينَ عليه؟

وأي حاجة للإله في معاونةِ المَلَكِ له، فالمَلَكُ حينئذ كان أشد بأساً وقوة من عيسى، حتى جعل يُقَوِّيه، ويظهر منه أن هذا الإله كان يخورُ عند الشدائد كما يخورُ العاجزُ من الآدميين، إذاً فلا لومَ على التلاميذ حين شردوا حفاة عراة.

قال يوحنا في - ص١٢ و - ف٢٧ عن عيسى أنه قال: «الآن نفسي قد اضطربت» لماذا تضطربُ نفسُه وهو خالِقُها! قال «وماذا أقول أيها الآب! نَجِّني من هذه الساعة» لماذا لم ينج نفسه، وهو الإلّه؟! إلى أن قال «وآخرون قالوا: قد كَلَّمه مَلاَك» فهذا لا يُحتملُ تطبيقه على رواية لوقا، لأن ذلك الصوتَ كان قبلَ تسليم عيسى بمدة طويلة، فإن صَحَّ، فيكون إهمالُ الثلاثة ذِكْرَ ذلك من أفحش القصور.

والحاصل: أن مَنْ أراد إحصاء الكبيرة، وتَعدادَ الصغيرة على النصارى، في مناقضاتِ تلك الحكاية، يسترسلُ الأمرُ به إلى التطويل والملل، وفي كل ذلك شاهدٌ على أن الإنجيليين ليس عندهم عِلْمٌ بحقيقة الواقعة حتى اختلفوا بينهم لفظاً ومعنى، فينقضُ هذا ما ذكرَهُ ذاك، حتى ينقضَ الواحدُ منهم قولَ نفسه، ومن أنكر ذلك، فإنه يكابر في إنكار المحسوس، كما قال الله تعالى ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء] ولم يَكْفِهم هذا التناقض حتى نسبوا للمسيح، سلامُ الله عليه، فحشَ القولِ وفساد العقيدة، وأرادوا بذلك قلب الحقائق، ففضحهم الله على رؤوس الأشهاد بين الخلائق.

وليت شعري: أين كان لاهوتُه حين ذهب به الوجَلُ[١] كُلَّ مذهب، وما معنى تقوية المَلك له، وهو لم يَحْمِ هذا الإلّه من اللطم والبزقِ بوجهه، ونتفِ لحيته، فضلاً عن الصلب له، وهو ذلك الإله الذي تزعمونه، وأي فائدة في تقوية الملك، وأنتم تزعمون أن صلبه كان حتماً مقضياً، فهل يجزع الإلّه، ولماذا كتبَ على نفسه تلك الفضيحة والشنيعة، وأخذ يندمُ على ما فعلَ بنفسه وحكم، تاللهِ إنَّ هذه لمن أقبح أنواع الكفر وأفحش أقسام الجهل.

ومَنْ تحامل علينا فيما أوردناه، وأنكر ما أثبتناه، فليبرز غير ناكص، فإن

---

(١) أي الخوفُ والهلعُ الشديد.

الحقَّ يقطعه، والزُّورَ يَفْضَحُه، ولله دَرُّ رئيس كنيسة رومية، حيث منع العامة عن تلاوة الأناجيل حذراً من الاختلاف، ومحافظة لبقاء الضلال، فإنه أصاب المرمى بذلك.

ثم مَنْ تأمَّلَ في باقي هذه القصة، يرى من الخرافات ما يضحك الثكلى، وهاكَ تمامها، قال المترجم ص٢٦ - ف٤٧: «وفيما هو يتكلم، إذا يهوذا واحد من الاثني عشر، قد جاء، ومعه جمع كثيرٌ بسيوفٍ وعصي من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب، والذي أسلمه أعطاهم علامة قائلاً: الذي أُقبِّلُهُ هُوَ هو، أمسكوه».

أقول: أيها المسيحيون! أفلا ترون ماذا فعلتْ أسلافُكم بكم؟! أليسَ هو الذي أحيا أمواتهم، وأبرأَ أسقامهم، وفتح أعينهم وآذانهم، وجعل العُرْج منهم يمشون، والخُرْسَ ينطقون، كيف لا يعرفونه، وهو من أشرافهم، أليس هو الذي ارتجَّت المدينةُ عند دخولهِ وهو راكبٌ الجحشَ والأتان معاً، كيف يجهلونه، أفلا تنظرون وتعقلون؟!.

ثم قال: «فللوقتِ تقدم إلى يسوع وقال: السلامُ يا سيدي، وقَبَّلَهُ، فقال له يسوع: يا صاحبُ لماذا جئتَ؟ حينئذٍ تقدموا، وألقوا الأياديَ على يسوع، وأمسكوه، وإذا واحد من الذين مع يسوع «أي بطرس» مدَّ يده، واستلَّ سيفه، وضرب عبد رئيس الكهنة، فقطع أذنه، فقال له يسوع: رُدَّ سيفكَ إلى مكانه، لأنَّ كل الذين يأخذون السيفَ بالسيفِ يهلكون، أتظنُّ أني لا أستطيعُ الآن أنْ أطلبَ إلى أبي، فيقدِّم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة، فكيف تُكَمَّلُ الكتب؟! إنه هكذا ينبغي أن يكون».

أقول: لو صَحَّ هذا، لَزِمَ تكذيبُ قوله: «بيعوا ثيابكم، واشتروا سيوفاً» ثم قال: «في تلك الساعة قال يسوع للجموع: كأنه على لص خرجتم بسيوفٍ وعصيٍّ

لتأخذوني، كل يوم كنت أجلس معكم، أُعَلِّمُ في الهيكل، ولم تُمسكوني، وأما هذا كله فقد كان لكي تُكَمَّلَ كتبُ الأنبياء، حينئذ تركه التلاميذ كلهم، وهربوا».

أقول، وأعوذ بالله من سوء الأدب: إنَّ هربهم لعلمهم أن الهزيمةَ غنيمةٌ، وأنها ثلثا الشجاعة، لأنهم خلصوا من البزق بوجوههم واللطم على خدودهم والهزء والجلد، وقد حكى مرقس في - ص١٤ - ف٤٣ - مثل ذلك إلا أنه أنكرَ جملتين، فإنه لم يذكر الاثني عشر جيشاً من الملائكة، ولا نهْيَ المسيحِ لمن استلَّ السيفَ على عبد رئيس الكهنة، وزاد جملتين، الأولى تحريض يهوذا للجموع في إمساكه بقوله: «أمسكوه وامضوا به بحرص» الثانية قوله - ف٥١: «وتبعه شاب لابساً إزاراً على عربة - أي يوحنا - فأمسكه الشبان، فترك الإزار، وهرب منهم عرياناً» وفاته أن يكرر ما كرره المترجم بقوله «لكي تُكَمَّلَ الكتبُ» ولكنْ استعوضَ هذا الفوتَ بتملق يهوذا للمسيح بقوله: «يا سيدي يا سيدي» وأما قول المسيح ليهوذا: «يا صاحب: لماذا جئتَ؟» فلم يذكره لما فيه من تعظيم يهوذا بتسميته صاحباً.

وعبارة لوقا لا يمكن توجيهها، لِمَا تضمَّنتهُ من المباينة لروايتي المترجم ومرقس، فلزم ذِكْرُها برمَّتها، قال في - ص٢٢ - ف٤٧: «وبينما هو يتكلم إذا جَمْعٌ والذي يُدعى يهوذا واحد من الاثني عشر يتقدمهم، فدنا من يسوع ليقبِّله، فقال له يسوع: يا يهوذا: أبقُبْلَةٍ تسلم ابن الإنسان؟! فلما رأى الذين حوله ما يكون، قالوا: يا رب أنضربُ بالسيف؟ وضرب واحدٌ منهم عبدَ رئيس الكهنة، فقطع أذنه اليمنى، فأجاب يسوع وقال: دعوا إليَّ هذا، ولمس أذنه وأبرأها، ثم قال يسوع لرؤساء الكهنة وقواد جند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه كأنه على لصٍّ خرجتم بسيوف وعصي، إذ كنتُ معكم كل يوم في الهيكل لم تمدوا عليَّ الأيادي، ولكن هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» انتهى.

وكذلك رواية يوحنا حيث قال في - ص١٨ - ف٢: «وكان يهوذا مُسَلِّمُهُ

يعرف الموضع، لأن يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه، فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين، وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح، فخرج يسوع، وهو عالمٌ بكل ما يأتي عليه، وقال لهم: مَنْ تطلبون؟ أجابوه، يسوع الناصري، قال لهم يسوع: أنا هو، وكان يهوذا مُسَلِّمُهُ أيضاً واقفاً معهم، فلما قال لهم: إني أنا هو، رجعوا إلى الوراء، وسقطوا على الأرض، فسألهم أيضاً، مَنْ تطلبون؟ فقالوا: يسوع الناصري، أجاب يسوع: قد قلتُ لكم إني أنا هو، فإن كنتم تطلبونني، فَدَعُوا هؤلاء يذهبون، ليتمَّ القولُ الذي قال إن الذين أعطيتَنِي، لم أُهْلِكْ منهم أحداً، ثم إن سمعان بطرس كان معه سيف، فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة، فقطع أذنه اليمنى، وكان اسمُ العبد مَلْخُس، فقال يسوع لبطرس: اجعل سيفك في الغمد، الكأسُ التي أعطاني الأب، أَلَا أشرَبُهَا» انتهى.

أقول: لا يخفى أن الله، جَلَّتْ قدرته، لم يمنح العقلَ للإنسان إلا ليكون حكماً فارقاً بين الصدق والكذب، والحق والباطل، والمعوج والمستقيم، فالنصارى استدلوا بعقولهم على عكس المعقول، فإنهم اعتقدوا بتلك الروايات الكاذبة الباطلة، مع ما اشتملت عليه من الفساد والاعوجاج، وجزموا بأنها من الإنجيل الشريف المنزل من الله على رسوله عيسى صلى الله عليه وسلم، وليتهم يعلمون أن تلك دعوى مجردة من البينة العادلة، وتبرهن خلافَ الظاهرِ، بل عارية عن التعقل، وصراحةُ النقل تُثبتُ عكسها.

وهنا لو تأملنا في دعواهم الفاسدة هذه، لوجدناهم من القوم الذين يُخربون بيوتهم بأيديهم، وذلك لِمَا نجد فيها من التناقض الفاحش، فهل يصدق العقل بدعوى يَدّعيها مُدَّعٍ، ويأتي بأربعة شهود لإثباتها، ويقول كل ما تسمعونه منهم هو عين الحق، وعند أداء شهادتهم تراهم قد أخذوا في نقض ما ادعاه المدعي، وشهدوا عليه بأنه مبطل، حتى ذهب بهم التناقض إلى أن نفى الأول ما أثبته

الثاني، وأثبت الثالث ما نفاه الأول، وبالعكس، أتكون تلك الدعوى مسموعة؟ كلا. ولربما تطالبني بإقامة الحجة على ما قلته، فأقول:

إن ما مَرَّ من التناقض الكلِّي شاهد عدل وقول فصل، وإليك بيانُ ما نذكره علاوة على ما مضى، ليقوم العيانُ على الخبر، ويصدق السمع البصر، فقد ذكر المترجم ومرقس أن يهوذا أقبل للقبض على عيسى، عليه السلام، ومعه جمعٌ كثير جاؤوا من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب بالسيوف والعصي، وليس في كلامهما دلالة على أن هذا الجمع كان من الجند أو من عوام الناس، واقتصد لوقا، فاقتصر على أنهم جَمْعٌ يتقدمهم يهوذا، ولكنه لم يلبث حتى جعل هذا الجمع مؤلفاً من رؤساء الكهنة والشيوخ، فخالف صاحبيه، ويوحنا خالف الثلاثة كعادته، وقال في كلامه المنقول آنفاً: فأخذ يهوذا الجندَ وخداماً من خدمة رؤساء الكهنة والفريسيين، وجاؤوا إلى هناك - أي إلى البستان - بمشاعل ومصابيح وسلاح.

قلتُ: كيف أمكن لليهود أن يُجَيِّشُوا ذلك الجيشَ بلا إجازة الحاكم الروماني الذي كان والياً عليهم، وأي حاجة كانت بهم إلى يهوذا، حتى يستخدموه بالفضة في هذه المصلحة، وهم كانوا قادرين على تنفيذ مرامهم وبلوغ أربهم بدونه.

ثم المفهوم من كلام يوحنا أن يهوذا كان دليلاً على الموضع الذي فيه عيسى، ليس دليلاً على شخصِ المسيح عليه السلام، ولم يقل: إنه من الاثني عشر، وهذا خلافُ قولِ الثلاثة، ثم إن المترجم ومرقس، على عادتهما في المتابعة لبعضهما، ذكرا أن يهوذا جعل بينه وبين الجند علامة تقبيله للمسيح، ليعرفوه بذاته، ولوقا لم يذكر ذلك، ولكن ألمح إليه بذكر القبلة، ويوحنا خالفهم، فذكر أن المسيحَ عرضَ نفسه بدون إشارةٍ من يهوذا، وذكر أيضاً سقوطَ الجندِ حين قال لهم المسيح: ها أنا هو.

ومَنْ كانت هذه قُوَّتُه ومعجزاته، وقد سقط الجند، وانطفت المشاعلُ في ظلمات الليل، فلا يبعد منه أن يعتزلَ في محل ليس فيه أحد، ويرتفع لساعته إلى السماء.

فالحكمةُ في سقوط الجند وانطفاء المشاعل تيسيرُ أسبابِ نجاة المسيح عليه السلام، ورفعه وفداؤه بالشبه، في ساعةٍ تَطيشُ فيها العقولُ، ويختل التمييز والتعيين، ولا سيما إذا صَحَّ قولهم بأن يهوذا ندم، ونحرَ نفسه، وأنه رضيَ بقتل نفسه، فالأولى والأشرف له انتحاره عن المسيح، بأنه سَلَّمَ نفسه لليهود برضاه، وجعلها فديةً عن مولاه، فصلبوه، وهم يظنون أنه المسيح، وذلك ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

فانظر أيها المنصف، أفلا يكون ذلك أقرب للعقل من قولك بأن اليهود لطموه، وبزقوا بوجهه، وهزئوا به، وألبسوه تاج الشوك، وجعلوا بيده قصبة، بين الأسفال والأطفال، وبعدَ جَلْدِه وتعذيبه صلبوه بين لصين، على خشبة. ثم قال يوحنا: «فتقدم ثانياً بعد سقوطهم وقال: قلتُ لكم: إني أنا هو، فإن كنتم تطلبون، فدعوا هؤلاء يذهبون».

فليت شعري! ما أراد من قوله: فدعوا هؤلاء يذهبون؟ فإن قلتُ كما قال مفسركم: إنهم كانوا قابضين على التلاميذ، فلذلك طلب إطلاقهم بقوله: فَدَعُوا هؤلاء يذهبون، قلتُ: إن الأناجيل الأربعة لم تذكر حرفاً واحداً مما ذهب إليه مفسركم، بل صَرَّحُوا بعكسه من أنهم هربوا حُفاةً عراة، فمن أين ثبت عند المفسرين أنهم قبضوا على التلاميذ، وما معنى قوله: «يذهبون، ليتم القولُ الذي قاله: إن الذي أَعطيْتَنِي، لم أُهْلِكْ منهم أحداً»، وعلى زعمكم قد هلك يهوذا هلاكاً أبدياً، مع كونه مبشراً بالجنة، فخسر الدنيا والآخرة، فأي هلاك أعظم من هذا؟!

وليت شعري، ما هذه العطية، أليست هي التلاميذ الاثني عشر؟! وقد شهد المسيحُ عليهم بإقراركم في هذه الأناجيل، أنه لم يكنْ عندهم من الإيمان بقدر حبة خردل أليس هم الذين شَكُّوا فيه حين أَسرتْهُ اليهود، وأليس هم الذين ناموا مطمئنين، وهو في كربٍ عظيم. أليس هم الذين تركوه بأيدي أعدائه، وهربوا؟!.

ثم من تأمل في اختلافهم، في ضاربِ رأسِ عبد الكهنة، يَرَ عجباً، فإن الثلاثة جعلوا الضارب أحدَ التلاميذ، ولم يُعَيِّنُوا اسمه، ولا اسمَ المضروب وانفرد يوحنا بنسبة ذلك إلى سمعان بطرس، وأن المضروب اسمه ملخس، وأن الأذن التي قطعت هي الأذن اليمنى. وأغربَ لوقا في هذا البحث، فجعلها معجزةً للمسيح، وأنه والحالة هذه لمس الأذن المقطوعة، فأبرأها. ويظهر من كلامه أنها لم تُقطعْ من أصلها بل كانت مجروحة، ولو كانت مقطوعة، لعبَّرَ باللصق. فتأمل في خلل هذه الرواية.

وانفرد المترجم بذكر نهي المسيح للضارب، وأمره بردِّ السيف إلى غمده قائلاً: «كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون، أَتظنُّ أني لا أستطيعُ الآن أن أطلب إلى أبي، فيقدم إلي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة» وذلك بعدد أسباط بني إسرائيل، لأنهم الجميع كانوا يتطلَّبون قتله.

وذكر الخوري يوسف الدبس الماروني اللبناني، في كتابه «تحفة الجيل» أن التلاميذ الاثني عشر كانوا [جبن] هكذا وصفهم في كتابه المذكور، وإذا كانوا مثل بطرس هامة الرسل جباناً، والجُبنُ صفةٌ رذيلة، حتى اتفقت الأمم على أنه من أمهات الرذائل الأربع، فما هي مناقبُ التلاميذ الذين أخذوا عنهم دينهم، واعتمدوا على رواياتهم، وكيف حالُ المنحطِّ درجةً عن مرتبتهم، من رؤساء النصرانية كبولس ومرقس ولوقا وأمثالهم؟!

واعلم أن ما ذكره هنا، من كلام المسيح، مناقضٌ لكلامه فيما رواه عنه لوقا،

من أمرِهِ للتلاميذ بالاستعداد لشراء السيوف. وقد تقدم في أول الإصحاح وضِدَّ ما رَوَتْهُ الأناجيلُ عنه، فإن نفس المترجم روى عنه في - ص١٠ - ف٣٤ أنه قال: «ما جئتُ لألقي سلاماً بل سيفاً» وقد روى مثله لوقا - بص١٢ - ف٤٩ «جئت لألقي ناراً على الأرض».

فكيف يقول: «كل الذين يأخذون السيف بالسيف إلخ»؟ فلا بد من أن تكون الرواياتُ كذباً، أو أنَّ المسيح، وحاشاه، كان يُظْهِرُ ضِدَّ ما يُبْطِن، فيتلَوَّن في الكلام كما يريد لا كما هو الحق، وهو بريءٌ من ذلك، وقد تقدم البحث عن تناقض الجملة في محلها، فراجعه إن أردت.

ثم في كلام المترجم تصريحٌ بأن عيسى كان متقدماً بنفسه إلى هذا الأمر، يُحبُّ تنفيذَهُ، وذلك لعلمه أنه محتوم عليه، لتتم بذلك نبوته أو ألوهيته، كما يزعمون، ولم يَدْرِ هذا الراوي المسكين أنه نقض بذلك كافة رواياته المذكورة آنفاً، من جَزَعِ المسيح لهذا الأمر واكتئابه ودعائه إلى الله، بأنْ يُخَلِّصَهُ من اليهود، واختفائه، فيلزمه تكذيب إحدى الحالتين، لأن الجمع بينهما مستحيل.

ونسأل مترجم متَّى عن المكتوب في كتب الأنبياء [لتتميمِ] هذه النبوة ما هو، فإنه وحده انفرد به، وهذه شُرّاح الأناجيل لم تفصح لنا في هذه النبوة بشيءٍ من كُتُبِ الأنبياء، فكأنهم سكتوا عن واحدة من كذبه، وقد طالعتُ دليل النبوة المطبوع سنة ١٨٨٢ في بيروت فلم أجد فيه ما يشير إلى ذلك أدنى إشارة، وهذه ليست بأول كذبة أتى بها، فكم من قِيْلٍ له من هذا القبيل، وقد كرر تلك الإشارات بعد قول المسيح للقابضين عليه: كأنكم خرجتم إلى لص إلخ، لكن صاحب كتاب «تحفة الجيل» دافع عن هذا التكرار بأنه من زيادة المترجم، ولا غرابة، فإننا لو تتبعنا تَعدادَ زيادات المترجم، بإقرار علماء النصرانية، لبلغ ثُلثَ الكتاب.

وختم المترجم بحثه بالشهادة على جميع التلاميذ بالهرب، ولكن علم أن هذا يدل على جُبْنِهم، وعدم ثباتهم على نصرة هذا الإلّه المظلوم، ولا عارَ أكبر من الفرار، فاستدرك واستثنى من ذلك الخليفة بطرس، فذكر لحوقَهُ بالمسيح خفيةً، كما سيأتي، واتفقت الروايات الأربعة على أنه كان يتبع المسيح من بعيد وحده، إلا يوحنا فقد ذكر معه تلميذاً آخر وأراد بالآخر نفسه فإنْ صَحَّ ذلك، فهو مناقضٌ لقول مرقس حيث قال: وتبعه شاب لابساً إزاراً على عُرْيه أي - على جسده العريان - فأمسكه الشبان، فترك الإزار، وهرب منهم عرياناً» حيث قيل: إنه يوحنا، ولا أقبحَ من تلك الهزيمة وعورته مكشوفة، فيفهم من هذا أنه لم يكن إذ ذاك بردٌ، يُحْوِجُ إلى الاصطلاء، لبطرس في بيت رئيس الكهنة الذي سيذكره يوحنا وغيره، وإلا فيكون تَجَرُّدُ يوحنا عن الثياب موجباً للتعجب، لأنه بين الاصطلاء والتجرد عن الثياب في آن واحد بونٌ بعيد، وبهذه زَلَّتْ قدم لوقا، كما زلت قدمه فيما نقل عن المسيح من قوله: «ولكن هذه ساعتكم وسلطان الظلمة». والمراد من سلطان الظلمة قيافا رئيس الكهنة.

والعجبُ لهذه الأناجيل، فإن يوحنا قد سَمَّاهُ نبياً، واستنتج من ذلك أن حُكْمَ قيافا على المسيح، كان بالأمر الإلهي، فشتان بين مَنْ يجعله نبياً وبين مَنْ يُطْلِقُ عليه بأنه سلطان الظلمة.

وهنا نستلفت الأنظار إلى قضية فرار التلاميذ، فقد اختلفت النصارى في أن هذا الفرار هل كان جائزاً أم غير جائز، والحق أنَّ فرارَ هؤلاء الرسل عن عيسى، عليه السلام، في ساعة العُسْرِةِ، وتركهم إياه في أيدي أعدائه، يعبثون فيه، ويحقرونه، ويعذبونه عذاباً أليماً، ثم يصلبونه، وهم ينظرون إليه في هذه الحالة، ولا ينصرونه، فهو دليلٌ على رِدَّتِهم، والعياذُ بالله تعالى، إلا أنه يبعدُ عن العقل صِحَّةُ وقوعه من حواريي عيسى، عليه السلام، لأنهم موعودون، بنصِّ الإنجيل، بأنهم يجلسون على كراسي في ملكوت الله. وفي «تحفة الجيل» ما نصه:

«وأجاب غيرهم أن هربهم كان غير جائز، لزعمهم أن هذا الهرب صدر في عدم ثقة الرسل بالمسيح» انتهى.

فتأمل، ولنعد إلى باقي الإصحاح، لتظهرَ حقيقةُ هذا الافتراء المقول على المسيح وتلاميذه، في قصة الصلب، قال المترجم - ف٥٧: «والذين أمسكوا يسوع، مضوا به إلى قيافا رئيس الكهنة، حيث اجتمع الكتبةُ والشيوخ، وأما بطرس فتبعه من بعيد إلى دار الكهنة، فدخل إلى داخل، وجلس بين الخدام لينظر النهاية» انتهى.

ووافقه مرقس في ص١٤ - ف٥٣ وزاد عليه أن بطرس جلس بين الخدام، يستدفيءُ عند النار. ومعلومٌ أن الحادثة كانت في عيد الفصح، وهو يبتدىء في نصف شهر نيسان، وهذا الشهر في أورشليم يعد من فصل الصيف، ولكن ماذا نقول لهذه الكتب الإلهامية، بزعمهم، إذ حكت عن بطرس أنه كان يستدفيء على النار، في فصل الصيف تقريباً، وعن يوحنا أنه كان عُرياناً من شِدَّةِ الحر، كل ذلك في يومٍ واحد كما مر البحث عنه. وقد تذكرتُ هنا الحكاية المشهورة، وهي أن امرأةً كان لها ابن وبنت، وكلاهما متزوجان، فمرَّت بالابن وهو نائمٌ مع امرأته، فقالت للمرأة: تَنَحَّيْ عن الولد في هذا الحرِّ، ومرت بالبنت وهي نائمة أيضاً مع زوجها، فقالت لها: التصقي بزوجك في هذا البرد، وكان ابنها يسمع، فقال: لله دَرّكِ يا أماه: جمعتِ الصيفَ والشتاءَ في آنٍ واحد.

وقد تابعهما لوقا في - ص٢٢ - ف٥٤ بقوله: «فأخذوه وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة، وأما بطرس فتبعه من بعيد، ولما أضرموا ناراً في وسط الدار، وجلسوا معاً، جلس بطرس بينهم» انتهى.

ويوحنا خالف الثلاثة، فقال في - ص١٨ - ف١٢ -: «ثم إن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع، وأوثقوه، ومضوا به إلى حَنَّان أولاً، لأنه كان

حمى قيافا الذي كان رئيساً للكهنة في تلك السنة، وكان قيافا هو الذي أشار على اليهود أنه خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب، وكان سمعانُ بطرسُ والتلميذ الآخر يتبعان يسوع، وكان ذلك التلميذ معروفاً عند رئيس الكهنة، فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة؛ وأما بطرس فكان واقفاً عند الباب خارجاً، فخرج التلميذُ الآخر الذي كان معروفاً عند رئيس الكهنة، وكَلَّم البوابة، فأدخل بطرس» انتهى.

وسيرد عليك من كلامه في - ص١٨ - ف٢٤ أن «حنان أرسل يسوع موثقاً إلى قيافا رئيس الكهنة» وذلك بعد أن حكى محاورة يسوع مع قيافا، ومثل هذا لا يقال فيه: إنه من التناقض، بل هو من الخلل. والعجب منه أنه قد انفرد بذكر حنان، ولم يوافقه أحد من أرباب الأناجيل الثلاثة على ذلك، وما فائدةُ إدخالِ يسوع على حنان، والمجلس كان في بيت رئيس الكهنة قيافا، واعتذر عن هذا حضرة يوسف الدبس الخوري الماروني في كتابه «تحفة الجيل» بأنَّ حنان كان حمواً لقيافا، فلذا أدخلوا يسوع عليه، وأن يهوذا كان عقدَ المقاولةَ على تسليم المسيح، وأخذ الثلاثين فضة مع حنان، هذا كلام الخوري، ولم يسنده عن أحد من المتقدمين، وأيّما كان فبقيةُ الأناجيل لم تذكر حنان، ولم يسمع في المسيحية اسم حَنَّان إلا في إنجيل يوحنا.

ثم هنا بحث يختص برئيس الكهنة قيافا، يَلْزمُ ذِكْرُه للمطالع، ليكونَ على بصيرة من هذا التلاعب في الدين، كما أوعدناه، فيما تقدم، بذكره تفصيلاً، فاعلمْ أن يوحنا ذكر في - ص١١ - ف٤٩ ما نصه: «فقال لهم واحد منهم وهو قيافا، كان رئيساً للكهنة في تلك السنة: أنتم لستم تعرفون شيئاً، ولا تفكرون أنه خيرٌ لنا أن يموتَ إنسانٌ واحد عن الشعب، ولا تَهلكَ الأمةُ كلها، ولم يَقُلْ هذا من نفسه، بل إذْ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة، تَنبَّأ أن يسوع مزمعٌ أن يموت عن الأمة، وليس عن الأمة فقط، بل ليجمعَ أبناءَ الله المتفرقين إلى

واحد» انتهى.

فقد علمت أنه صرح يوحنا في - ص١١و١٨ المار ذكرهما، بأن قيافا تنبأ، أي أوحى اللهُ إليه بأن يحكمَ على عيسى بالقتل، وأنه هو الذي أشار على اليهود: أنَّ خيراً أن يموتَ إنسان واحد عن الشعب. فقد تضمن هذا البحث أغلاطاً ومناقضات، تَتحيَّرُ فيها فحولُ العلماء فضلاً عن الحمقاء، ويقضي عليهم الدهش بلعن قائلها، لأن مفهومه ظاهر البطلان. ولعلَّ الأساقفةَ الذين التمسوا من يوحنا أن ينادي بلاهوت عيسى، هم الذين تصوروا أن قيافا نبي، وأدخلوه في إنجيل يوحنا، لإفهامِ عوامهم بأن صلبَ عيسى كان بأمرٍ منه إلى نَبِيِّه قيافا، ولم يتفطنوا إلى أنه يلزم من ذلك أعظم المحاذير، وهو الحكم من هذا النبي بكفر المسيح، وحاشاه من ذلك؛ ونُبرأُ إلى الله تعالى من هذا القول، وإن كان هذا عكس مرادهم، ثم إنَّ قتلَ عيسى كان بأمر من الله تعالى إلى قيافا، لأجلِ أنْ يكون كفارةً لهم. وكلامُ رئيس الكهنة يستلزمُ أنَّ قتلَ عيسى كان لأجلِ نجاةِ اليهود من الضلال، لا لأجلِ نجاةِ العالم، كما تزعمه النصارى، فأين يبقى قول يوحنا في رسالته الأولى في - ص٢ - ف٢: «وليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً».

وهنا نقول: إن قيافا لم يقل ذلك من تلقاء نفسه، فإن كان قوله عن نبوةٍ وإلهامٍ من الله، كما يفهم من إنجيل يوحنا، فيكون الحكم على قتل عيسى من قيافا حداً بالإلهام لأنه كفر، وإلا فكيف جازَ له أن يفتي بقتل عيسى عليه السلام، ويحكم بكذبه وكفره وتوهينه ولطمه وجلده، وتشهيره بالأسواق، وصلبه، أيفتي النبيُّ بقتلِ الإله، أيُكذِّبهُ في ألوهيته، ويكفره ويهينه؟! فإنْ كانت نبواتكم حاويةً لأمثالِ هذه الشنائع، فنحن براَء عن هذه النبوة وعن صاحبها؛ وإذا كان الأمرُ كذلك، فيجوزُ، على هذا التقدير عند العقل، أنْ يكون عيسى نبياً، ولكنه ركبَ على مطيةِ الغواية، والعياذُ بالله، فارتدَّ، وادعى الألوهية، كما

زعمتم، وكذبَ على الله، وتكون دعوى العصمة، في حقه، غير مسموعة، على التقدير المذكور، وهذا إذا سلمنا لإنجيل يوحنا نُبُوَّةَ قيافا، وإلا فكيف نجوّز أن يحكم النبيُّ على عيسى بالكفر إلخ.

والحق أن يوحنا الحواري بريءٌ عن أمثال هذه الأقوال، كما أن عيسى - سلامُ الله عليه - بريء من ادعاء الألوهية فيه، وهذه كلها من خرافات الأساقفة المغالين.

أيها المسيحي: إنْ صَحَّ أن قيافا نبيٌّ من الله، لم يبقَ لك دينٌ ولا إلهٌ ولا رسولٌ ولا إنجيل، لأنه يستلزم من ثبوتِ نبوةِ قيافا ثبوت كفر عيسى، وإذا أثبت بطلان نبوة قيافا، يستلزم تكذيب الأناجيل، وينتج من تكذيب الإنجيل تكذيب رسالة عيسى وألوهيته معاً، وتبقى دعواه بلا دليل ولا معجزة، فليس للنصارى مَخْرَجٌ من هذه الحفرة إلا أن يخضعوا للقرآن، وهو الذي يُفَصِّلُ الآيات لقومٍ يعقلون وبه يهتدون.

وماذا يقول العاقل منكم، إذا نظر ما حكاه صاحب «تحفة الجيل» في هذا البحث - ص١١ - ف٥١ حيث نقل عن فَمِ الذهب ما نصه «أن روح القدس حرك لسان قيافا لا قلبه، على أن قيافا لم يخط ضد الإيمان، بل ضد العدل والتقوى» انتهى.

فتأمل - هداكَ الله - هذا الكلامَ العاطل المناقض أوله لآخره، هل تتصور معنىً لتحريكِ اللسان دون القلب، في مثل هذا الحكم الذي نتيجته صلب المسيح [بزعمهم] على تلك الهيئة الشنيعة والحالة الفظيعة، وهل اللسانُ إلا ترجمانُ القلبِ كما يقال، وإذا كان روح القدس هو المحرك للسان قيافا، فلم كان قيافا مخطئاً ضد العدل والتقوى؟.

ثم نقول: ما معنى كون الشيء ضد العدل والتقوى، وليس ضد الإيمان، فهل

هذا إلا هذيانُ محمومٍ، وكلام مَنْ هو عن نعمةِ البيان محروم، فضلاً عن أرباب العقول والفهوم؟! وكيف يصح نسبةُ مثله إلى الوحي الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، إلا أنه ليس ببدع ممن يعتقد بألوهية إنسانٍ مثله مصلوب مهان، بصورة التثليث الخارج عن دائرة الأذهان، أنْ يعتقد أن هذا إلهام، والإلّه الذي تلك صفاته يليقُ به مثل هذا الكلام.

ولنرجع إلى كلام مترجم متى قال - ف٥٩: «وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادةَ زور على يسوع، لكي يقتلوه، فلم يجدوا، ومع أنه جاء شهودُ زورٍ كثيرون، لم يجدوا، ولكن أخيراً تقدم شاهِدَا زورٍ وقالا: هذا قال: إني أقدرُ أن أنقضَ هيكلَ الله، وفي ثلاثة أيام أبنيه، فقام رئيسُ الكهنة، وقال له: أما تجيبُ بشيء؟ ماذا يشهد به هذان عليك؟ وأما يسوع فكان ساكتاً، فأجاب رئيس الكهنة، وقال له: أستحلفُكَ بالله الحي، أن تقولَ لنا: هل أنتَ المسيحُ ابنُ الله؟ قال له يسوع: أنتَ قلتَ، وأيضاً أقولُ لكم: من الآن تبصرون ابنَ الإنسان جالساً عن يمين القوة، وآتياً على سحاب السماء، فمزَّقَ رئيسُ الكهنة حينئذٍ ثيابه قائلاً: قد جَدَّفَ، ما حاجتنا بعدُ إلى شهود، ها قد سمعتم تجديفه، ماذا ترون؟ فأجابوا وقالوا: إنه مستوجب الموت، حينئذ بصقوا في وجهه، ولكموه، وآخرون لطموه قائلين: تنبأ لنا أيها المسيح، مَنْ ضربك» انتهى.

أقول: انظر إلى هذا الكلام المضحك المبكي المتضمن لغرائب وعجائب من الأقاصيص، لولا ما فيه من الكفريات، لكان من نحوِ الأساطيرِ والرومانات التي هي محضُ خيالاتٍ مُضْحكات، وهل أعظمُ غرابةً من محاكمةِ إلّهٍ مظلوم وربٍّ محكوم؛ يُوقَفُ موقفَ المُتَّهَمِ الحقير، ويُحكَمُ عليه بالكفر والتقصير، ثم يُبصَقُ في وجهه، ويلطم وينتف شعر لحيته، كما قال صاحب «تحفة الجيل» ويُصْلَبُ في غاية الذل والهوان.

أَربٌّ يبــولُ الثُّعلبــانُ بــرأســهِ لقد ذَلَّ مَنْ بالت عليه الثعالبُ

فنعوذُ بالله تعالى من مثل هذه الأباطيل.

وعبارة مرقس - بص١٤ - ف٥٥: «وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شُهاداً على يسوع، ليقتلوه، فلم يجدوا، لأن كثيرين شهدوا عليه زوراً، ولم تتفق شهاداتهم، ثم قام قوم، وشهدوا عليه زوراً قائلين: نحن سمعناه يقول: إني أنقضُ هذا الهيكل المصنوع بالأيادي، وفي ثلاثة أيام أبني آخر غير مصنوع بأيادٍ، ولا بهذا كانت شهادتهم تتفق، فقام رئيس الكهنة في الوسط، وسأل يسوع قائلاً: أما تجيب بشيء، ماذا يشهد به هؤلاء عليك؟ أما هو فكان ساكتاً، ولم يُجِبْ بشيء، فسأله رئيس الكهنة أيضاً، وقال له: أأنت المسيح ابن المبارك، فقال يسوع: أنا هو، وسوف تُبصرون ابنَ الإنسان جالساً عن يمين القوة، وآتياً في سحاب السماء. فمزق رئيس الكهنة ثيابه، وقال: ما حاجتنا بعد إلى شهود؟! قد سمعتم التجاديف، ما رأيكم؟ فالجميع حكموا عليه أنه مستوجبُ الموتِ، فابتدأ قومٌ يبصقون عليه، ويغطون وجهه، ويلكمونه، ويقولون له: تنبأ، وكان الخدام يلطمونه» انتهى.

وعبارة لوقا في - ص٢٢ - ف٦٣ ما نصه: «والرجالُ الذين كانوا ضابطين يسوع، كانوا يستهزئون به، وهم يجلدونه، وغطوه، وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين: تنبأ مَنْ هو الذي ضربك، وأشياء أخر كثيرة، كانوا يقولون عليه مجدفين. ولما كان النهار، اجتمعت مشيخةُ الشعب رؤساء الكهنة والكتبة، وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين: إنْ كنتَ أنت المسيح، فقل لنا، فقال لهم: إنْ قلتُ لكم، لا تصدقون، وإن سألتُ، لا تُجيبونني ولا تطلقونني، منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله، فقال الجميع: أفأنتَ ابنُ الله، فقال لهم: أنتم تقولون إني أنا هو، فقالوا: ما حاجتنا بعد إلى شهادة، لأننا نحن سمعنا من فمه» انتهى.

وعبارة يوحنا - ص١٨ - ف١٩: «فسأل رئيس الكهنة يسوعَ[1] عن تلاميذه وعن تعليمه، أجابه يسوع: أنا كلمتُ العالم علانية، أنا علّمتُ كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً، وفي الخفاء لم أتكلم بشيء، لماذا تسألني؟ أنا أسألُ الذين قد سمعوا ماذا كلَّمتهم، هو ذا هؤلاءِ يعرفون ماذا قلتُ أنا، ولما قال هذا، لطم يسوعَ واحدٌ من الخدام، كان واقفاً، قائلاً: أهكذا تُجاوِبُ رئيسَ الكهنة؟! أجابه يسوع: إنْ كنتُ قد تكلمتُ رَدِيّاً، فاشهد على الرديِّ، وإن حسناً فلماذا تضربني؟ وكان حَنَّانُ قد أرسله موثقاً إلى قيافا رئيس الكهنة» إلى آخر ما قال.

فقد بسطنا لك نصوص الأناجيل الأربعة، فاسمع ما نتلوه عليك من شواهد التكذيب لتلك الروايات التي لا تصدقها الأطفال، ولا تقبلها ربات الحِجال، ولا شك أنك تعتقد أيها المسيحي أن هذه الحادثة وقعت على المسيح، بلا ريب، وأن إنجيلك هذا موحىً به إلى هؤلاء الأربعة الملهمين من الله تعالى، فإنْ كنتَ كذلك، فَعدَمُ اتفاقِ المُلْهمينَ يُبْطِلُ عقيدتك، ويدحض حجتك، وإنْ قلتَ: إن هذه الكتب كانت بمنزلة التاريخ، لضبط أحوال هذا الرجل المصلوب، فلا شك أنك تُسَلِّمُ أن متَّى المعزو إليه تلك الترجمة، ويوحنا المعزو إليه هذا الإنجيل كانا في عصر هذا المصلوب، وأنهما من أخصِّ أصحابِ عيسى عليه السلام، لا ينفكان عنه، فمن الواجب أن يتفقا في الحكاية إثباتاً ونفياً وتقريراً، لأنهما رأيا الحادثة رأيَ العين معاً، ولم يرويا عن غيرهما، وهذا إذا اعتبرناهما مؤرخين فقط لا ملهمين، وإذا قلنا: إنهما مُلْهمان، وإنَّ ما كتباه وحيٌ من الله، وجب أنْ لا يختلفا ولا في حرفٍ واحد، فضلاً عن نفيِ كلمةٍ وإثباتِ غيرها.

ولو جاز تطرق الاختلاف في أخبار الوحي، لبطلت الشرائع، وهذا أيضاً بديهي، ونحن نجد في كلام هذين المؤرخين أو الملهمين تبايناً كلياً في النفي

---

(١) سقطت من المطبوع.

والإثبات، بحيث يجزمُ العقلُ، أن الرجلين لم يكونا مشاهِدَيْنِ تلك الحادثة رأيَ العين، فضلاً عن الوحي والإلهام، وروايتهما أمامك، وها أنا أذكرُ لك بعضاً من تناقضهما لبعضهما، مدرجاً ضمن ذلك مناقضات روايتي مرقس تلميذ بطرس ولوقا تلميذ القديس بولس، لأنهما - بزعمك - ملهمان أيضاً، أما التناقض الأول فقد ذكر متَّى أن يسوع مضوا به إلى دار رئيس الكهنة قيافا، ومرقس وافقه على ذلك إلا أنه خالفه بعدم ذكره اسم قيافا، ولوقا من حيثُ أنه ذكرَ في روايته أن القابضين عليه هم رؤساء الكتبة وشيوخ الشعب، لم يوافق صاحبيه هنا على ذلك، بل المفهوم من كلامه أن الرؤساء سلَّمته إلى الخدام، ومكث الليل بطوله معذباً بأيدي الخدام إلى الصباح، وبعد اجتماع مشيخة الشعب، أصعدوه إلى مجمعهم.

وانفرد يوحنا بقوله: أخذوه أولاً إلى دار حنان، ثم إلى دار قيافا رئيس الكهنة، وهذا تناقض فاحش، يتفرع منه بالاستقراء جملةُ مناقضات، ثم اضطربت مقالتهم في تقديم الشهود عليه.

وعبارة مترجم متَّى خبيصةُ أطفال، إذ لا معنى لقوله: «طلبوا شهادة زور، ليقتلوه، فلم يجدوا، مع أنه جاء شهودُ زورٍ كثيرون، لم يجدوا، ولكن أخيراً تقدم شاهدا زور».

ومرقس في - ص١٤ تخلص من هذا التشويش في العبارة، وقال - بف٥٧ - «ثم قام قوم، وشهدوا عليه زوراً قائلين: نحن سمعناه يقول: إني أنقضُ هذا الهيكل المصنوع بالأيادي، وفي ثلاثة أيام أبني آخر غير مصنوع بأياد» وقد سمى شهادتهم هذه شهادة زور، وليست كذلك، بل هي حَقٌّ كما سمعوا منه في الهيكل، كما في إنجيل يوحنا - ص٢٠ - ف١٩ ونصه «فقال لهم: انقضوا هذا الهيكل، وفي ثلاثة أيام أقيمه» الخ فهل يقال لهؤلاء الشهود: إنهم زَوَّروا وكذبوا، وهم شهدوا كما سمعوا منه، وتشهدُ الأناجيلُ بصدقهم؟!.

ولوقا روى حكاية استنطاق الرؤساء جميعهم للمسيح، وأنه لما أقرَّ بقوله: أنا ابنُ الله، خُتمت الجلسةُ بالحكم عليه، ولم يحتاجوا للشهود.

ويوحنا ذهب إلى غير ما ذهبت إليه الثلاثة، ووافق لوقا في حكاية الاستنطاق، ولم يذكر الشهود أيضاً، ولكنْ خالفه بأن المستنطق قيافا، على أنه لا حاجة للشهود ولا للاستنطاق، فإن الأناجيل حكت قولَ المسيح هذا، بمحضرِ اليهودِ من أنه هو ابن الله.

ثم من تأمل في تقرير المسيح، على رواية يوحنا، يجد المسيح بريئاً مما حكته الأناجيل الثلاثة، لأن تقريره بعد سؤال قيافا له عن تلاميذه وتعليمه كان هكذا: «أنا كلمتُ العالم علانية، أنا علَّمتُ كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث تجتمعُ اليهود دائماً، وفي الخفاء لم أتكلم بشيء».

وتقريره على رواية لوقا هكذا: «إن كنتَ أنتَ المسيح، فقلْ لنا، فقال: إن قلت، لا تصدقون، وإنْ سألتُ، لا تجيبونني ولا تطلقونني، منذ الآن يكون ابنُ الإنسان جالساً عن يمين قوة الله، فقال الجمع: أفأنتَ ابنُ الله، فقال لهم: أنتم تقولون إني أنا هو».

وعلى رواية مرقس هكذا: «فقام رئيس الكهنة في الوسط، وسأل يسوع قائلاً: أما تُجيبُ بشيء، ماذا يشهد به عليك؟ أما هو فكان ساكتاً، ولم يجب بشيء، فسأله أيضاً أأنت المسيح ابن المبارك؟ فقال: أنا هو، وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة، وآتياً في سحاب السماء».

وعلى رواية متى: «قال له رئيس الكهنة: أستحلفك بالله الحي، أن تقول لنا، هل أنتَ المسيح ابن الله، قال له يسوع: أنتَ قلتَ» ثم ذكر قول المسيح: «من الآن تبصرون» كما في لوقا ومرقس، وحينئذ حكم عليه الرئيس بالكفر، ومزق ثيابه على إثر الحكم.

فانظر، نوَّر الله بصيرتك، إلى هذا الاختلاف والتناقض في ما هو أساس الديانة النصرانية، فهل يحكم وجدانك، وأنتَ ذاك الرجل السليم العقل، أن يكون ذلك لديك في حَيِّزِ القبول، وتجعله لعقيدتك تجاه ربك من أهم الأصول؟

على أننا لو تأملنا في كلام المسيح هنا، نجده تَبرَّأ مما نسبتم إليه، أعني قوله ابن الله، فهذه رواية يوحنا ليس فيها من هذا التدليس شيء، ورواية لوقا وقع السؤال فيها أولاً منه، بأنه هل هو المسيح، فلم ينكر، فأجاب بقوله: «إنْ قلتُ لكم إلخ» وهو جوابٌ لا يُطابقُ السؤالَ، ولا يدل على إقرارٍ أو إنكار؛ ثم إن الكهنة سألوه ثانياً بقولهم «أفأنتَ ابن الله» فأجابهم «أنتم تقولون إني أنا هو» ومفهومه: أما أنا فلا أقولُ ذلك. وفي رواية مرقس: أن رئيس الكهنة قال له: «أأنتَ المسيح ابن المبارك» فأقر بقوله «أنا هو» ورواية المترجم تطابق السؤال الثاني من رواية لوقا، والجواب منه كذلك، والمراد بالمبارك هو داود عليه السلام، إذْ لا شَكَّ أنه عليه السلام كان مباركاً، ومن ينكر ذلك؟! وسياقُ سؤالهم أيضاً يدل على أنهم ما سألوه عن كونه هو ابن الله حقيقة، بل أرادوا: أنتَ المسيحُ الموعود به في الناموس، الذي هو من نسلِ داود، ويُفْهَمُ ذلك من قولهم: «أأنتَ المسيح» ولو كان مرادهم بلفظِ المباركِ هو الله تعالى، لما قالوا له أنتَ المسيح، فقولهم أنتَ المسيح، ينفي ما ذهبتْ إليه النصارى.

ثم لو تَنزَّلْنَا إلى تصديقكم بصحة رواية مرقس، فهذا أيضاً لا يُفْهَمُ منه أنه أراد بذلك ابنَ الله الحقيقي، فقد جاء في التوراة والزبور والإنجيل إطلاقه على آدم ويعقوب وداود وسليمان، وتقدم البحثُ عن ذلك إجمالاً، وسيأتي إن شاء الله تعالى في الكلام على أول إصحاحٍ من إنجيل يوحنا، وإنما قلنا: إن المراد من ذلك، لأن اليهود أنكروا عليه رسالته، وهم يطلقون على الرسولِ أنه ابن الله، فلذلك سأله أأنتَ المسيح ابن المبارك، أي: أأنتَ الرسولُ الموعودُ به في ناموسنا، فأجابهم: أنا هو، وهذا السؤال والجواب موافقٌ للعقل والنقل،

والذهابُ بخلافِ ذلك من أقبحِ أنواعِ الكفر وأفحش أقسام الجهل.

ثم إن قوله: «منذ الآن تبصرون ابنَ الإنسان جالساً عن يمين القدرة» إلخ يفيد أن الله رفعه إليه حين قوله: «منذ الآن»، كما رفعَ اخنوخ النبي عليه السلام، على أنكم لو تأملتم في هذه الجملة، لوجبَ عليكم إنكارها، لاشتمالها على الكذبِ المحض، لأن المخاطبين بهذا الكلام هم اليهود، وهم لم يروا المسيح قط جالساً عن يمين القدرة، ولا أتاهم على سحابِ السماء، لا قبلَ موتهِ ولا بعده، وقد مضى تسعة عشر جيلاً، ولم يأتِ، وأنتم قلتم: إنه بعد قيامه من القبر، لم يُظْهِرْ نفسه لهم، مع كونه أوعدهم، وجعلها معجزةً يأتي بها بعد موته وقيامه، وأنتم وهم تُقِرُّونَ بهذا. والمفهوم من قوله: «منذ الآن»، أنه من تلك الساعة ارتفع، وأُجْلِسَ مع الذين أنعمَ اللهُ عليهم، من أهل اليمين، وذلك يستلزمُ بالضرورة تكذيبَ رواياتكم أنه استمر معَذَّباً بأيدي اليهود، يقاسي أنواعَ الذل والهوان والضرب واللطم والتشهير في الأسواق بتاج الشوك، وبيده قصبة تتضاحكُ عليه السفلة والصبيان، وأنه بعد الصلب والدفن قام، ولبث يترددُ أربعين يوماً، وبعد هذا كله صعد إلى السماء فهو مناقضٌ لقوله: «من الآن ترون ابن الإنسان إلخ».

أفيكذبُ المسيحُ والعياذُ بالله، وهو المُصَدَّقُ في كل ما أتى به من عند الله، عجباً لكم: تكذبون عليه، وتقولون: إن هذا تصديق له، وتهينونه، وتقولون: إن ذلك إجلالٌ لقدره، وتصفونه بالموت، وتقولون: إنه هو الله الحي. وأناجيلكم هذه، وأنتم تزعمونها وحياً من الله، تعلنُ بأن سفلة اليهود بصقوا بوجهه ولطموه وجلدوه، ثم تروون عنه في ص١٦ ف٣٣ من إنجيل يوحنا أنه قال «أنا قد غلبتُ العالَم» ويأمركم بصراحة أناجيلكم أنكم تخضعون أولاً للتوراة، وبعده للفارقليط، وأنتم تبطلون التوراة وتجحدون الفارقليط، وتعصون المسيح، وتخالفونه، وتدَّعون بأنها طاعة له، وتجعلونه ذليلاً خاضعاً حزيناً كئيباً خائفاً، وعرَقُه كدَم يقطر للأرض وساجداً لعظمة الله، ثم تقولون: إنه هو القادرُ والأولُ والآخر،

خالق الأرض والسموات ومن فيهما.

ولو أردنا أن نعدد ما افتريتموه على الله ورسوله، لسَوَّدنا الصحف في مساويكم، ولم نرَ أمةً من الأمم تَقْرُبُ مما أنتم عليه، في جمعِ الأضداد وتناقض الآراء.

ومن تأمل في صورة الحكم، من رئيس الكهنة على عيسى، بالجدف، يرى من التناقض ما هو أشد من تناقضهم وخبطهم في استنطاقه، فهذا المترجم قال «فأجابوا أنه مستوجب الموت» ووافقه مرقس، وخالفهما لوقا، وقال: «ما حاجتنا بعدُ إلى شهادة، لأننا نحن سمعنا من فمه» فليتَ شعري ماذا سمع من فمه هذا الذي قالوا عنه أنه نبي؟! وعلى أيِّ دليل بنى الحكمَ بأنه جدف، مع أن كُلَّ ما تكلم به وصرح فيه فهو مسبوقٌ من الأنبياء، ومذكور في الناموس.

ويوحنا لم يذكر شيئاً مما قاله الإنجيليون الثلاثة، فما هذا الخلط والخبط؟!.

ثم إن من نظر إلى هذه الروايات الأربعة، وما افتروه فيها من أن اليهود عذبوا المسيح عليه السلام، وبصقوا بوجهه، وألبسوه تاجاً من الشوك، مع قولهم بألوهيته، قضى على القومِ بالسَّفهِ، وكان غرضُ الأساقفة من هذا الافتراء تهييجُ النصارى على اليهود، فقال مترجم متَّى: «إنهم بعد الحكم عليه بصقوا بوجهه، ولكموه، وآخرون لطموه قائلين: تنبأ لنا أيها المسيح مَنْ ضربك» ووافقه مرقس، لكنه جعل البصق عليه من قوم دون آخرين، وأنهم غطوا وجهه، وبعد ذلك كانوا يكلمونه، ويقولون له: تنبأ، أي أَخْبِرْنَا باسم الذي ضربك منا، واتَّخذُوه لعبةً يلعبون به إهانةً له وتحقيراً لشأنه، وأن الخدام كانوا يلطمونه، ولوقا خالفهما، فحكى حكاية الضرب واللطم من الذين ألقوا القبض عليه، وذلك قبلَ الحكم، ويوحنا لم يذكر ذلك، وهو ممن كان في المجمع مع القوم.

وقد أخذني الضحك على عقول الأساقفة الذين افتروا على اليهود بقولهم:

وغطوه، وكانوا يضربون وجهه، وقد تذكرت هنا لعبة للصبيان في أكثر بلاد العرب كسوريا وحلب، فإنهم يجتمعون، ويلعبون، فيغطون وجه واحد منهم، ويضربونه، وهناك رئيس عليهم، يسأل المضروبَ عن اسم الضاربِ، فإنْ أصاب، يُقِيمون الضاربَ مكانه، وهكذا. فالظاهر أن مصنف الإنجيل كتب تلك اللعبة في إنجيله روايةً عن الصبيان فلا حولَ ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فالواجب على كل مَنْ يحب المسيح عليه السلام، من مسلم ومسيحي، ولا سيما العلماء، أن يدافعوا عن المسيح عليه السلام، وينفوا عن إنجيله هذه الأشياء المُسْتهجَنة التي تأباها غَيْرَة الله سبحانه وتعالى، وليت شعري، ألم يكن في القرن الأول مَنْ هو ذا شهامةٍ ومروءة، يدافع عنه وعن تحرير هذه الأباطيل في الأناجيل؟!

أين كان هؤلاء الألوف الذين حكت عنهم الأناجيل بأنهم آمنوا به، وشفى كثيراً من أمراضهم المزمنة، أماتوا كلهم، أم ارتدوا عندما أسروه، ألم يكن مُبَجَّلاً بينهم ومحبوباً لهم؟! فكم أحيا من ميت، وطهّر من برص، وشفى من مرض حتى جعل العُمي يبصرون، والعرج يمشون، والمجانين يعقلون، أين تلك الجموع الغفيرة التي طلعت لملاقاته، حين دخوله أورشليم، وهو راكب الجحش والأتان معاً، وهم ينادون «أوْصِنا في المعالي الآتي باسم الرب» حتى ارتجت المدينة من أصواتهم، ونحن نرى أن رئيس القرية عندما يُرادُ به أدنى أذى ممن هو مساوٍ له في المرتبة، تَتحزَّبُ له الأحزاب حميةً له، فضلاً عن الرسولِ صاحب الآياتِ والمعجزات، ومَنْ له ذرةٌ من العقل، يتخيَّل وقوع مثل هذا، أفما كان لقومه المؤمنون أسوةٌ بأتباعِ الأنبياء، في المدافعة، أفما كان لهم مقدارُ حبةِ خردلٍ من الإيمان، بل من الغيرة والحمية والمحبة له؟!.

وبعد هذا وهذا كيف أمكن لرئيس الكهنة أن يُحْضِرَ عيسى عليه السلام لداره، بواسطة تلك الجموع المسلحة المستضيئة بالمشاعل والمصابيح، ويحكم عليه

بالموت، من غير إجازة الحاكم الروماني له بذلك؟! تالله ما هذا إلا إفكٌ عظيم، افترته الأساقفةُ، لأجل تحريض قلوب الأمة المسيحية على رؤساء اليهود كي يتجنبوا عن ترددهم على الكهنة، ويستنكفوا من تعبُّدهم بأحكام التوراة، لينحصرَ الأمرُ فيهم. ولو تصور المسيحي ذلك، لوجد أن ألد الأعداء لا يقدر أن يأتي ببهتانٍ يفتريه على عدوه أكثر مما أتت به النصارى في حق عيسى عليه السلام.

وَيْحَ أمةٍ اتخذت نبيها إلهاً، ووصفته بأنه جبارُ السمواتِ والأرض، ثم تصفه بالذلِّ والهوان والعجزِ والضعف والجبن والاستسلام لأضعفِ خَلْقِه، وهم اليهود الذين ضُربت عليهم الذلة والمسكنة، فأصبح هذا الإلّه الذي خلق السموات والأرض ومَنْ فيهن أسيراً بأيديهم، ذليلاً حائراً مهاناً، وأي إهانة أعظم من جْعلِه مَلْعَبة؟! فأين ذهبت قدرته وألوهيته عندما ضُرِب، وقيل له: تنبأ، أين ملائكته حين أجهده العطشُ ساعة الصلب، وسقوه خلاً مخلوطاً بمرٍّ، أين أبوه عندما لطموه، أين قوته التي حكاها يوحنا بقوله: «فلما قال للجموع: إني أنا هو، رجعوا إلى الوراء، وسقطوا على الأرض» أين قوله: «أنا قد غلبت العالم» وضَعَفَتُهم غلبوه؟!

ثم لعلَّكَ تقول أيها النصراني: إن إلهك هذا قادر على إهلاك مَنْ في الأرض والسموات جميعاً، وعلى أن يغفر الذنوب العظيمة، وهو الذي أراد أن يجعل ذاته خلاصاً للعالم، وحكمَ على نفسه أنْ يلبسَ تاج الشوك، وبيده قصبة ويُشَهَّرَ بين سفلة مخلوقاته، وتبصق اليهود، وتهينه الفَسَقة، وتضحك عليه النسوة والصبيان، لأجل أنْ يغفرَ خطايا عَبَدة الطاغوت والأوثان وفرعون وهامان؟.

قلتُ: من أخبرك ومَنْ دَلَّكَ على نزولِ هذه الداهية والمصيبة على إلهك، بإرادتِهِ، مع كونِ إنجيلك يُصَرِّحُ بعكسِ ذلك، ليت شعري، أفما كان يشعر هذا الإله أنه هو قادر، كما أقررتَ، ويغفر خطايا السابقين واللاحقين، ويجعل الجنة مأوى للمؤمنين والكافرين، بدون صلبِ نفسه وتعذيبها، وإنْ كان ولا بد من

صلبِ أحدٍ، كما زعمتَ، فهلاّ كان العدلُ صلبَ لجئون رئيسَ الشياطين الذي أغوى آدم وحواء، وسَوَّلَ لذئابِ الرهبان في الكنائس اقتناصَ الغواني والغلمان؟

وإن قلتَ: إن هذا محالٌ لأن الله خالق الإنس والجن اقتضت حكمته، من البدء، أن يجعل الشياطين من المُنْظَرين إلى آخر الزمان، حتى يكونَ فريقٌ في الجنة وفريق في السعير، فأقولُ: وأنا على ذلك لمن الشاهدين، ولقولكَ هذا من الخاضعين، ولكن ما الفائدةُ إذاً من صلبِ ذاتهِ وهوانه وتحقير نفسه وتذليلها، وإظهار غايةِ الضعف والعجز أمام مَنْ تزعمون أنهم أذلُّ خَلْقِه؟ فالذي لا يستطيع دفعَ الضُّرِّ عن نفسه، كيف يكونُ إلهَ الخلق الذي ينبغي أن يكون هو القاهر فوق عباده، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ولنرجع إلى ما نحن بصدده، قال مترجم متَّى من آخر هذا الإصحاح في – ف٦٩ وقد نقلناه من النسخة القديمة ما نصه: «أما بطرس كان جالساً في الدار خارجاً، فتقدمت إليه جاريةٌ قائلة: وأنتَ كنت مع يسوع الجليلي، فأنكر قُدَّامَ الجمع قائلاً: لستُ أدري ما تقولين. وحينما هو خرج الباب، فرأته جارية أخرى، فقالت للذين هناك: وهذا كان مع يسوع الناصري. وأنكر أيضاً بحلفانٍ: إني لستُ أعرفُ هذا الإنسان. وبعد قليل تقدم القُيّام، وقالوا لبطرس: حقاً إنك منهم، فإنه كلامُك يُظْهركَ. حينئذ بدأ يحرّم ويحلفُ أنه لم يعرف هذا الإنسان، وللوقتِ صاح الديكُ، فذكر بطرس كلام يسوع الذي قال: إنه من قبل أنْ يصيحَ الديكُ تُنكرني ثلاثَ مرات، فخرج خارجاً، وبكى بكاء مراً» انتهى.

قلت: انظر أيها المنصف إلى صدور الأيمان الكاذبة من بطرس، على عدم معرفته المسيح، مع أن الحلفَ مطلقاً مَنْهيٌّ عنه في شريعته، وقوله: «يُحرِّم» أي: يلعن كما هو عبارة النسخة الجديدة. ولا ندري من الذي ابتدأ يلعنُه بطرس، فإنْ قصدَ لَعْنَ نفسِه، فتلك مصيبةٌ، وإنْ قصد لعنَ المسيح فالمصيبةُ أعظم.

وقال مرقس في ص١٤ - ف٦٦ ما نصه: «وبينما بطرس في أسفلَ في الدار، جاءت جارية من جواري رئيس الكهنة، ولما رأت بطرس يصطلي، نظرت إليه وقالت: وأنتَ أيضاً قد كنتَ مع يسوع الناصري، فأنكر هو وقال: لست أنا أدري، ولا أعرف ما تقولين، وخرج خارجاً أمام الدار، فصاح الديكُ؛ ورأتْه أيضاً الجارية، وبدأت تقول للقيام: إنَّ هذا منهم، فأنكر أيضاً، وبعد قليل قال أيضاً لبطرسَ القيّامُ: حقاً إنك منهم، وأنت جليليٌّ، فبدأ يلعنُ ويحلفُ أني ما أعرفُ هذا الإنسان الذي تقولون عنه، وصاح الديك ثانية، فتذكر بطرس القول الذي قاله له يسوع: إنك قبل أن يصيحَ الديكُ مرتين تنكرني ثلاث مرات، فلما تفكر به بكى» انتهى.

فعبارته تدل على أنه أنكر مرةً قبلَ صياح الديك، ومرتين بعده، ثم صاح الديك مرة ثانية، فتذكر قولَ المسيح وبكى.

وعبارة متَّى تدل على إنكاره ثلاث مرات، قبل أن يصيح الديك، فقد اختلفا من هذه الجهة، واتفقا على اللعن والبكاء واليمين الكاذبة من هذا الحواريِّ الذي يقولون عنه: إن بيده مفاتيح السموات.

وأما لوقا فقد ساق القضية قبل محاكمة عيسى ومحاورته مع رئيس الكهنة، حيث قال في - ص٢٢ - ف٥٤: «وكان بطرس يتبعه من بعيد، فلما أضرموا ناراً في وسط الدار، جلسوا حولها، وكان بطرس جالساً في وسطهم، فلما رأته جاريةٌ جالساً عند الضوء، فميَّزتْهُ وقال: هذا أيضاً كان معه، فأنكره قائلاً: يا امرأة! ما أعرفهُ. وبعد قليلٍ أبصره آخرُ وقال: أنتَ أيضاً منهم، فقال بطرس: يا إنسان ما أنا هو، وبعد ساعة كرر عليه القول آخرُ، وقال: حقاً هذا كان أيضاً معه، لأنه جليلي، فقال بطرس: يا إنسان! ما أعرفُ ما تقول، وللوقتِ فيما هو يتكلم، صاح الديكُ، فالتفت الربُّ، ونظر إلى بطرس، فذكر بطرس كلامَ الربِّ كما قال إنه قبل أنْ يصيحَ الديك تنكرني ثلاث مرات، فخرج بطرس خارجاً،

وبكى بكاء مراً» انتهى.

وهذا الكلامُ يدل على أن الخطاب في المرة الأولى كان مع امرأة، وفي المرتين الأخريين مع رجل، بخلاف روايتي مترجم م١٨تى ومرقس، وأما رواية يوحنا فهي مشوشة الترتيب، مع اشتمالها على مخالفةِ أصحابه الثلاثة، حيث قال في - ص١٨ - ف١٥ ما ملخصه: «وكان بطرس والتلميذ الآخر يتبعان يسوع، وكان التلميذ الآخر معروفاً عند رئيس الكهنة، فكلم البوابةَ، فأُدْخِلَ بطرس إلى الدار».

تنبيه: إن المراد من التلميذ الآخر المذكور في هذا النص هو يوحنا، المنسوب له هذا الإنجيل، ويتبين من ظاهر هذا النص أنَّ المُصَنِّفَ للإنجيل غير يوحنا، فإذاً بطلَ قولُهم بأن يوحنا صَنَّفَ إنجيله، بل صنفوه بعد وفاته بمدة، ونسبوه له حتى تعتبره الناسُ وفي - ف١٧: «فقالت الجاريةُ البَوَّابةُ لبطرس: هل أنتَ أيضاً من تلاميذ هذا الرجل؟ فقال لا، وكان العبيد والشُّرَطُ قياماً عند النار، فيصطلون لأنه كان برداً، فقام بطرس أيضاً معهم يصطلي».

أقول: بعدما قال: إن يوحنا معروف عند رئيس الكهنة، أي معروف عنده أنه من تلاميذ عيسى، وهو الذي أدخل بطرس رفيقه، كيف يتصور سؤال البوابة وتهديدها له، وهي التي قبلت التماسَ يوحنا المعروف عندهم، ولماذا لم ينكروا على يوحنا، ولم يَتعرَّضُوا له بشيءٍ حين أدخلَ بطرسَ، وإذا كان يوحنا ذا جاهٍ عند رئيس الكهنة، فما بالهم حين أمسكوا المسيح تعلقوا بثوبه، فألقاه عن جسده، وفر بنفسه عرياناً، ثم يأتي ويشفع في بطرس، فهل هذا إلا من الكذب البيّن؟!

ثم قال يوحنا في - ف٢٥ «فقالوا له - أي لبطرس - لعلك أنت أيضاً من تلاميذه؟ فأنكر وقال: لستُ أنا، قال له واحدٌ من عبيدِ عظيمِ الكهنة قريب الذي

كان بطرس قطع أذنه. أليس أنا رأيتك معه في البستان؟ فأنكر بطرس أيضاً، وفي ذلك الوقت أيضاً صاح الديك» انتهى.

وهنا أَنِفَ يوحنا من أنْ يذكرَ بكاءَ بطرس، لأنه يكونُ بمنزلةِ الاستغفار عما اقترفه من الذنب، حينما أنكر المسيحَ ولعن، وحلفَ اليمينَ الكاذبة، بأنه لا يعرفه. على أن الأناجيل الأربعة اختلفت في حكاية بطرس وإنكاره على وجوه، يتفرع منها مناقضات، ذكرنا البعض منها إجمالاً.

وهنا نبسطُ المقالَ، ليتَّضِحَ الحالُ، فنقول: إن اضطراب عبارات الأناجيل، في هذا المقام من وجوه.

الأول: أنَّ مَن ادعى على بطرس، في بيت رئيس الكهنة، أنه من تلاميذ عيسى، على رواية مترجم متَّى ومرقس: جاريتان والرجال القيّام، وعلى رواية لوقا: جارية ورجلان، وعلى رواية يوحنا: جارية ورؤساء الشعب وواحد من عبيد رئيس الكهنة.

الثاني: إن كلام الجارية كان مع بطرس، أنه من التلاميذ، وسؤالها منه وقع، وبطرس في ساحة الدار، على رواية مترجم متَّى، وفي وسط الدار، على رواية لوقا، وفي أسفلِ الدار، على رواية مرقس، وداخلَ الدار، على رواية يوحنا.

الثالث: اختلافهم في نوع ما سُئل من بطرس، فالمترجمُ روى أن الجارية قالت له: وأنتَ كنتَ مع يسوع الجليلي، ومرقس مثله، لكنه أبدل لفظ الجليلي بالناصري، ولوقا روى أنها قالت: وهذا كان معه. ويوحنا ذكر أنها سألته هكذا: ألستَ أنتَ أيضاً من تلاميذ هذا الإنسان؟.

الرابع: في صياح الديك، فعبارة المترجم تفيد أن بطرس أنكره ثلاث مرات، قبل صياح الديك. ومرقس يروي أنه أنكره المرة الأولى، فصاح الديكُ صيحةً واحدة، ثم أنكره مرتين، فصاح الديك مرة ثانية. وعبارة لوقا تفيد وقوع الإنكار

مرتين، ثم قبل أن يثلث بالإنكار صاح الديك، ووافقه يوحنا.

الخامس: في روايات الأناجيل عن صياح الديك، وإنكار بطرس، فإن كلام المترجم ولوقا يفيد أن عيسى قال لبطرس: قبلَ أنْ يصيحَ الديك تنكرني ثلاث مرات.

السادس: في جواب بطرس للجارية التي سألته أولاً، فإن مترجم متَّى يروي قوله لها: «لست أدري ما تقولين» ومرقس روى هكذا: «لستُ أدري، ولا أفهمُ ما تقولين» ولوقا اقتصد، فروى «يا امرأة! ما أعرفه» ويوحنا أتى بلفظ لا النافية فقط.

السابع: في جوابه للسؤال، عند الإنكار الثالث، فعلى رواية مرقس ومتَّى أنكر مع القَسَم واللعن قائلاً: «إني لستُ أعرفُ الرجل»، ورواية لوقا «يا إنسان لست أعرف ما تقول»، وفي إنجيل يوحنا اقتصار على قوله: «لست أنا».

الثامن: وهي خاتمة الفساد في قضية بطرس، أن الرجال القيّام، وقت السؤال، كانوا خارج الدار، على ما يُفْهَمُ من مرقس، وفي وسط الدار، على ما يفهم من لوقا.

وهكذا من تأمل في نوع ما سئل في المرة الثالثة، مع اختلافِهم في ذِكْرِ الجوابِ المتضمن الإنكارَ. فاعتبر أيها المسيحي بالمناقضات الكثيرة، في هذه الحكاية القصيرة.

والأعظم من هذا تفرد لوقا بقوله: إن عيسى نظر إلى بطرس، حين صاح الديك بعد إنكاره، فتذكر قوله، فبكى بكاء مراً، وغيره لم يذكر هذه النظرة من عيسى لبطرس، فهي كذبٌ صريح، ولستُ أدري ما أراد من هذه النظرة، هل تضمنت من السرِّ مالا يعقلُه إلا لوقا، أو كان بطرس غير مُصَدِّقٍ عيسى، ولذلك نظر إليه نظرة مُذَكِّرٍ حالةَ إنكارِه ذلك. على أنّي أقول: إذا صَحَّتْ روايةُ مرقس:

من أن بطرس كان خارج الدار، حينما صاح الديك، كيف يمكن لعيسى عليه السلام أن ينظر بطرس، وبينهما حجاب، فقد ثبت بالبداهة أن هذا كلام فاسد.

ولو أنك تأملتَ في حكاية الإنكار برمتها، تراها مناقضة لما في إنجيل لوقا - بص٢٢ - ف٣٢ من خطاب المسيح لبطرس بقوله: «ولكني طلبتُ من أجلك، لكي لا يفنى إيمانُكَ، وأنت متى رجعتَ، ثَبِّتْ إخوتك» وفي يوحنا في - ص١٧ - ف١٥ وملخصه: أن عيسى سأل الله أن يحفظ تلاميذه من الشرير، وأنه أعطاهم المجد الذي أعطاه إياه الله، ليكونوا واحداً، كما كان عيسى هو والله واحد.

فإن صدقت هذه الروايات عن لوقا ويوحنا، كيف يصح لبطرس أن ينكر سيده ومعلمه وكيف ساغ لمتَّى ومرقس أن يسكتوا عما رواه لوقا ويوحنا؟.

وحيث انتهى الكلام على هذا الإصحاح وما فيه من التدليس والمناقضات وهو قليل من كثير، والمسيحيُّ يعتقدُ أن هذه الوقائع كانت مقدمة لإثبات الصلبِ فلا بأس أن نُذَكِّر، على طريق الإجمال، تكذيب هذه المحال، علاوة على ما أسلفناه، فنقول: قد أكثرنا من الإشارات والتنبيه على أن المترجم انفرد وحده عن باقي الرواة فيما جاء به من التدليس والتصريح بلفظِ الصلبِ والقيام من الأمواتِ في رواياته، ووقد أثبتنا، بالبراهينِ الواضحة والأدلة الراجحة، أنَّ هذه من مخترعاته وحده، ومتَّى أَجَلُّ من أن يتكلم بشيء ضد العقل والنقل، ومثل هذا لا يكون من وحي الرحمن، بل من نفث الشيطان.

ومن المعلوم أن التصديقَ بصلبِ ذات المسيح، عند أغلب النصارى، هو من أعظمِ أركانِ الدين، فلا يتمُّ الإيمانُ بعيسى ما لم يعتقدوا بأن سفلة اليهود ألبسوه تاجَ الشوك، وبيده قصبة، وشهروه في الأزقة، وكانت تتضاحكُ عليه الصبيانُ والغلمان، وكأنهم جعلوا هذه الإهانات صفاتٍ لإلههم المصلوب. ولكن من نظر

إلى هذه الأناجيل نظرة المتأمل الذي يريد إنقاذ الحق من شر الباطل، مع كونها مُحَرَّفة، بإقرارِ أفاضلهم وعلمائهم، لا يجد فيها دليلاً يقبله العقل على صلب ذات المسيح، بل يجد فيها قرائنَ وأماراتٍ ظاهرة، تدل على أن عيسى لم يُصْلَبْ بذاته، فمن ذلك وجود التناقض الكثير في قضية الصلب والقيام، وهو أقوى دليل على نفي الصلب.

وها هنا روايات عن المسيح، تدل على أنه ارتفع بدون أن تمسه أيدي اليهود، فمنها رواية يوحنا في ص٧ - ف٣٢: «فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداماً ليمسكوه، فقال لهم يسوع: أنا معكم زماناً يسيراً بعد، ثم أمضي إلى الذي أرسلني، ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا، لا تقدرون أنتم أن تأتوا».

فهذا صريحٌ في أن اليهود طلبوه ليمسكوه، ولم يجدوه، كما قال لهم، وحيث أكونُ أنا لا تقدرون أن تأتوا، أي أن المكان الذي سأصيرُ إليه، تعجزُ عنه قدرةُ البشر، لعجزهم أن يصعدوا إلى السماء، فهل بعد هذه الصراحة يقال: إنهم مسكوه وأسروه ولطموه وبصقوا بوجهه وصلبوه، ويُكَذَّبُ قولُه «ستطلبونني ولا تجدونني» وتكذيبه كفر، على أنَّ مسألةَ الصلب لم تنطبق على الأصول العقلية، ويكفي أن نقول بعدم جواز الامتهان والذل والهوان والصلب والموت قهراً على مَنْ تزعمون أنه إله موصوفٌ بجميع صفات الألوهية، إذ يلزم أن يكون على زعمكم، ذليلاً عزيزاً منيعاً قوياً ضعيفاً ميتاً حياً، وذلك لا يرضاهُ أجهلُ الناس فهماً وأسخفهم عقلاً، حتى على اعتبار النبوة، كما نعتقدهُ نحنُ معاشرَ المسلمين من صيانةِ قَدْرِ المسيح، عليه السلام، عن صَلْبه، على هذه الصورة، لا سيما وقد أكثرَ من الصلاةِ والتضرُّع والتوسُّلِ إلى الله تعالى، وعَرَقُه يقطرُ كدمٍ، وهو يجاهد بتكرار الدعاء على أنْ يُخَلِّصَهُ من اليهود، فيبعد من غيرة الله تعالى على رسولِه المجاهد في سبيله عقلاً وعادة، أنْ يَرُدَّ دعاءه ويتركه خائباً، تعبثُ به

اليهود، بمقتضى روايات الأناجيل، وههنا أمور:

الأول: أن الأناجيل الأربعة اتفقت على أن كهنةَ اليهود كانوا قد تواطؤوا وتحالفوا على قتله، بعد عيد الفصح، حتى لا يحصلَ شغبٌ بين الشعب في العيد، وهذا صريحٌ في الإنجيل، ولكن هؤلاء الرواة نسوا أو نقضوا ما تواطؤوا على روايته، فحكوا أن هجومَ اليهود عليه، وأَسْرَهم إياه، وقتله وصلبه، كان في العيد، ومن المعلوم أن اليهود لا يُجَوِّزونَ فِعْلَ شيء حتى فِعْلَ الخيرِ في السبت والأعياد، كما صرحت الأناجيل الأربعة بذلك، فيلزم من تناقضهم هذا أحدُ أمرين: إمَّا كَذِبُ الأناجيل في كونِ وقوعِ الصلبِ في العيد، أو كذبهم في نقلهم عن اليهود أنهم تواطؤوا على قتله بعد العيد.

والحق أن العقلَ لا يجوِّزُ أن اليهود فعلت هذا في العيد، وعلى كلٍّ فقد ثبت بالبداهة كذبُ الأناجيل في قضية الصلب، ولا سيما قولهم في العيد، وإذا ثبت الخلل في قضيةٍ مّا، جاز تَطَرُّقُ الخللِ إلى كل قضاياها فتبطل برُمَّتها، فإذاً جميع روايات الصلب باطلة، فيثبت قوله تعالى في القرآن العظيم الشان ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء].

الأمر الثاني: أن الأناجيل الأربعة اتفقت على أن المسيح حينما أحسَّ بأن اليهود عمدوا على قتله، كان يفرُّ منهم من مكانٍ إلى آخر، وهو خائف يترقَّبُ، فلو علم أنه سَيُصْلَبُ وأن ذلك كان حتماً مقضياً عليه من الله، وأنه أخبرَ تلاميذهُ بصلبهِ لما جازَ له الهربُ والاختفاء، بناء على أنه رسولٌ، مع قطع النظر عن كونه إلَهاً بزعمهم، فعليه يظهر أنه لا يعلمُ أنه سَيُصْلَبُ، لا أخبرَ بشيءٍ عن صلبه وقيامه، فثبتَ أنَّ المصلوبَ غيرُه لا محالة، كما أخبر القرآن.

الأمر الثالث: لو صحت روايات مترجم متَّى بأن عيسى، عليه السلام، أخبر عن صلب نفسه، وأنه كان حتماً مقضياً عليه من الله تعالى، وأن دعوى النصرانية

بلاهوت عيسى والإيمان به لا يتم إلا أن يصدقوا بصلب اليهود إياه، لما جاز لبطرس أن يناضلَ عن المسيح، ويقطعَ أُذُنَ عبدِ رئيسِ الكهنة بسيفه، فإن ذلك فيه محذورٌ من وجهين:

الأول: صنيعُه هذا يدل على تكذيبِ خبرِ عيسى بوجوبِ الصلب، وذلك كفرٌ.

الثاني: أنه أراد قطعَ طريقِ الإيمان على كافةِ المؤمنين من النصارى، لأنَّ ما لا يتمُّ الإيمانُ إلا به، فهو واجب.

الأمر الرابع: قالت الأناجيل الأربعة: إن المسيح لما علم بإصرار اليهود على قتله، كان يتضرعُ إلى الله تعالى بالدعاء، ويصلي باجتهاد، ويطلب من الله أن يخلصه من اليهود، فهل بعد هذا الدعاء العريض يقال: إنه صَلَبَ نفسه برضاه، وأنه كان حتماً مقضيا؟

ولا أظنك أيها العاقل تقول: إن الله تعالى لم يَسْتَجِبْ دعاءه، وتركه تعبثُ به سفلة اليهود، حتى حصل له يأسٌ من رحمة الله تعالى.

ما المانعُ من أن تكونَ هذه القضيةُ كقضيةِ إبراهيم عليه السلام، التي نطقت بها الكتبُ الإلهية وذلك أن الله تعالى، بمقتضى حكمته أمره بأن يذبح ابنه امتحاناً له، ولمّا هَمّ بذبحه امتثالاً لأمر الله تعالى، وهما صابران بدون فزعٍ ولا جزعٍ، صدرَ الأمرُ من مشيئته تعالى إلى إبراهيم بأنْ يفدي ولده بكبش عظيم، ففعل، كما هو ثابت عند الفريقين.

أفلا ترضى أيها المسيحيُّ أن تُنْزِلَ المسيحَ منزلتهما، وتقول بأن الله، عز وجل، كما فدى الذبيحَ بكبشٍ، فدى رسولَهُ عيسى أيضاً بغيره، بعد أنْ أوقعَ الشبه عليه، فصلبته اليهود، وهم لا يشعرون، بل ظنوا أنهم صلبوا المسيح، والله رفعه إليه مُبَجّلاً من دون أن تَمسّهُ أيدي اليهود، ، كما أخبر الله تعالى في القرآن بقوله، عَزَّ مِنْ قائل ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء].

الأمر الخامس: وهي النتيجةُ لهذه الأدلة وخاتمتها، أن الأناجيل الأربعة اتفقت على أن الذين جاؤوا ليمسكوه، لم يكونوا يعرفونه، وأنتم اعترفتم بذلك، وقلتم بأن يهوذا جعل لهم علامة الإشارة إليه تقبيلَه له، وليس أدْعى للضحكِ مِمَّنْ يضحكُ على نفسه، فإن عيسى عليه السلام، فضلاً عن كونه واحداً منهم نَسَباً ووطناً ولغة، وهو من أشرافهم، ومعروف بينهم، حتى إن مترجم متَّى قال في - ص٢ - ما خلاصته بأن المجوس أتوا من المشرق، ليسجدوا لعيسى ملكِ اليهود وهو طفلٌ، ولما سمع هيرودس الملك، قتلَ كافة الأطفال، ممن عمره سنتان فما دون، حتى قال: ليتم ما قيل بأرميا النبي القائل: صوتٌ سُمعَ من الرامة، نوحٌ وبكاء وعويل الخ.

وقد حكت الأناجيل أنه، عليه السلام، كان يتردد إلى الهيكل، فكانت العذراء عليها السلام تأتي به وهو صغير، وكانت مما لا يختلف فيها اثنان، وكان لها موضعٌ خاص في الهيكل السليماني، تعبدُ اللهَ فيه، وهو أيضاً كان بعد ترعرعه يتردد إلى الهيكل، إلى أن آتاه الله الوحي، وهذه المدة لا تقل عن ثلاثين سنة، واليهود لم يكن لهم مجتمع عمومي غير الهيكل، ولما أراد الله إرساله إلى بني إسرائيل، بلّغه بواسطة روح القدس، أي جبرائيل عليه السلام، وأمره أن يدعو الضالَّةَ من بني إسرائيل علناً في الهيكل والشوارع والمنابر، وكانت تجتمعُ لسماعِ دعوته الجموعُ الكثيرة في كل آن ومكان؛ وكل هذا مسطورٌ في الأناجيل، إلى أنْ قبضوا عليه، حتى أنه قال المسيحُ للذين أسروه، وهم الرؤساءُ والشيوخ وقوادُ الجند، كأنه على لصٍّ خرجتم، إذْ كنتُ معكم كُلَّ يوم في الهيكل، لم تمدوا عليَّ الأيادي، كما ذكره لوقا[1].

وفوق كل ذلك، فإن يوحنا المعمدان كأن ينادي في البدو والحضر عن المسيح، حتى دَلَّهم عليه بقوله: هذا حمل الله، وهو يمشي في وسطهم، وكم

---

(١) إنجيل لوقا الإصحاح الثاني والعشرين الفقرة ٥٢.

أحيا أمواتاً، وشفى مِراضاً منهم، ولا سيما أولاد كهنتهم.

وهذه الأناجيلُ تنبئك بأنه أرسل السبعين بعد السبعين من الرسل، لتبليغِ رسالته، أفما كان بين تلك الربوات[1] واحدٌ يعرفه منهم، حتى التجؤوا إلى إعطاءِ رشوةٍ إلى يهوذا، ليعرِّفَهُمْ به، هل يصدّق من له ذرة من العقل، بأن عيسى لم يكن معروفاً عند صغيرهم وكبيرهم، وهذه شهرته ونشأته وسيرته ووقائعه التي عمّت الرَّبع المسكونَ، فكيف لا يعرفونه؟!

يا أيها المسيحيون! إنَّ أناجيلكم هذه تشهدُ وتنادي بأنكم لستم على شيءٍ من دِينكم، لأنها تنقضُ بعضَها بعضاً، وهي تُعْلِنُ بفسادِ عقيدتكم.

(١) الرِّبي والرابي: الكاهن أو الرئيس أو الشيخ.

الإصحاح السابع والعشرون

إن خلاصة هذا الإصحاح توطئةٌ ومقدمةٌ لصلبِ ذاتِ المسيح عليه السلام فليتأمَّلِ العاقلُ تلك المقدمات الدالة على خلاف ما يَدَّعون، مع ما فيها من المناقضات، ويضم ذلك إلى ما تقدم في الإصحاحات السالفة، على أن المنصف يكتفي بما قدمناه من الكلام، على الإصحاح الذي قبله، والنصارى إن لم يكونوا حُمْقاً، في ادعائهم صلبَ ذاتِ المسيح - عليه السلام - فإنهم متحامقون، ولذلك أتينا بذكر المناقضات، على وجه الإشارة، بدون اعتراض على إنكار تلك الدعوى، وذَيَّلْنا الإصحاحَ بفصلٍ، جمعنا فيه شاردَ القضيةِ ووارِدَهَا، ليكون للمتبصِّرِ ميزاناً، يَزِنُ فيه كليّات تلك الدعوى وجزئياتها، وحيث أن من عادة المترجم إكبارَ الدعوى، افتتح الإصحاحَ بكذبٍ، لا يندرجُ تحت قاعدة الصدق، فقال فيه - ف١: «ولما كان الصباح، تشاور جميعُ رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع، حتى يقتلوه، فأوثقوه، ومضوا به، ودفعوه إلى بيلاطس النبطي الوالي» انتهى.

ورواية مرقس في - ص١٥ - ف١ تُقارِبُ، من حيثُ المعنى، لرواية المترجم، وإنْ كانت مخالفةً في بعض الشؤون المهمة، حيث لم يذكر فيها صفة بيلاطس ووظيفته، وما يميزه من الأحوال التي ينبغي ذِكْرُهَا في التواريخ، ولكن أقول بالاختصار: والعتابُ على الراوي، لا على الوحي، مع التأسُّفِ على لوقا، فإنه اختصر كل الاختصار. والأمر يقتضي مزيد الإيضاح، والظاهر أنه أراد مخالفتهما، وروايته في - ص٢٣ - ف١ هكذا: «فقام كل جمهوركم وجاؤوا به إلى بيلاطس» ورواية يوحنا مخالفة للثلاثة، حيث قال في - ص١٨ - ف٢٨: «ثم جاؤوا بيسوع، من عند قيافا إلى دار الولاية، وكان صبْحٌ، ولم يدخلوا هُمْ إلى دار الولاية، لكي لا يتنجسوا، فيأكلون الفصح».

والعجب من جمهور اليهود، في محافظتهم على رسوم العيد، بعدم دخولهم

دار بيلاطس، لئلا يتدنَّسَ ظاهرهم بجدران دار الولاية، وتتنجس أحذيتهم بأرضها، ولو كانوا صادقين بزهدهم، كيف يُدَنِّسون ظاهرهم وباطنهم بصلبِ المسيح، عليه السلام، على أنهم لو أبقوه موثوقاً بين أيديهم إلى مُضي العيد، مَنْ كان يمانعهم؟! إن هذا لشيء غريب، وأمر عجيب.

ثم إن المفهوم من رواية لوقا: أن أخذَهُم المسيح إلى بيلاطس، كان آخر النهار، بدليل ما تقدم في الإصحاح الماضي، من رواية لوقا، أن محاكمته كانت وسط النهار، وهذا مناقض للأناجيل الثلاثة، لتصريحهم أنهم أتوا دار بيلاطس صباحاً.

ثم قال المترجم - ف٣: «حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه، أنه قد دِينَ، ندم، وردَّ الثلاثينَ من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً: قد أخطأتُ إذ سلّمتُ دماً بريئاً، فقالوا: ماذا علينا؟ أنت أبْصر. فطرح الفضة في الهيكل، وانصرف، ثم مضى، وخنق نفسه، فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا: لا يحلُّ أن نلقيها في الخزانة، لأنها ثمنُ دم، فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخَّاريِّ مقبرةً للغرباء، لهذا سُمي ذلك الحقلُ حقلَ الدم، إلى هذا اليوم، حينئذٍ تم ما قيل بأرمياء النبي القائل: وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المُثَمَّنِ الذي ثَمَّنوهُ من بني إسرائيل، وأعطوها عن حقل الفخاري، كما أمرني الرب» انتهى.

أقول: إن هذا البحث الطويل، لم تذكره بقية رواة الأناجيل، غير أن مؤلف الابركسيس [أي لوقا في أعمال الرسل] ذكره عن بطرس، وما أورده فيه، أتى مناقضاً للمترجم، وعبارته في الإصحاح الأول - ف١٨: «فإن هذا [أي يهوذا] اقتنى حقلاً، من أجرة الظلم، وإذ سقط على وجهه، انبثق من الوسط، فانسكبتْ أحشاؤهُ كلها، وصار ذلك معلوماً عند جميع سكان أورشليم، حتى دُعِيَ ذلك الحقل، في لغتهم، حقل دِما، أي: حقلَ دمٍ» انتهى.

ولم يزل هذا المُلْهَمُ على تفسيره كلمةُ «دِما» بالدم، والعجبُ منه حيث جعلها لغة القوم خاصة، وذلك دليل على أن مؤلف الابركسيس غريب عن القوم، والأعجب من ذلك أن كتاب «أعمال الرسل» أُلِّفَ بعد إنجيل متَّى، فكيف ساغ له تكذيب متَّى بأن يهوذا إنما اشترى الحقل لنفسه، وأنه لم يخنق نفسه، وأن هذا الأمر كان مشهوراً عند بني إسرائيل وعموم سكان أورشليم، ومعلوماً فيما بينهم.

قلتُ: أليس قوله هذا يدل على أن المترجم قد كذب في حكايته؟! ولا عجب، فقد كذب أيضاً مؤلف الابركسيس، حيث جعل أمر هذا البار، أعني يهوذا، شائِعاً معلوماً في جميع أورشليم، فلو صَحَّ هذا، لتناقلته أقلامُ المؤرخين من الرومانيين والوثنيين واليهود، وتوفرت دواعيهم لِذكْرِ هذا الخبر المهم.

والعجبُ من الأناجيل الثلاثة في سكوتهم عن ذِكْرِ هذا الخبر الذي شاع وذاع، وملأ الأسماع، بزعم هذا الملهم، فهل من دأبِ الملهم أو المؤرخ أن يذكرَ جزئياتِ الأمور، كقصةِ الجحشِ، وإفاضةِ الطيب، وجولانِ النساء مع المسيح، وأمثال ذلك، ويسكت عن ذكرِ هذه الآية الباهرة، ولكنْ طبعَ الله على قلوبهم، ليظهرَ الحق على ألسنتهم، ويبرىء يهوذا مما نُسِبَ إليه، ولا غرابة، فإنَّ أخبارَ الصلبِ كلها لا تخرجُ عن هذا النمط، فلم يتفق فيها اثنان.

والعجبُ من النصارى، تسمع هذا التضارب في تلك القصص، والتناقضَ فيها ثم تزعم أنه وحي من الله، أيسقطُ يهوذا من مرتبة الرسالة إلى حضيض الارتداد، بهذه اللقمة التي تناولها من المسيح، بعد أن أيده بروحٍ منه، كما زعمتم في رواياتكم المكررة.

لَئِنْ صَحَّ خبرُ إعطاء المسيح تلك اللقمة ليهوذا، فما هي إذاً إلا لقمة الزقوم، أيغوي المسيحُ رُسُلَهُ، بعد أنْ قال لهم: أعطيكم فماً وحكمة، أيُضِلُّهم بعد الهداية، وهو الذي رويتم عنه أنه جاء لهدايةِ الضالَّةِ من خراف بني إسرائيل،

أليس يهوذا من المشهور عندهم، مع جملة التلاميذ، بأنه يَدينُ أسباطَ إسرائيل، ويجلسُ مع عيسى على كرسي يوم الدينونة؟! أيكذب المسيح في تلك الشهادة، أوَ يجهلُ المسيح، وهو الإلهُ بزعمكم، ويعلم ما تُكِنُّه صدورُ العباد، ويحكم؟! أليس جميع ذلك نقصاً في نبوته، فضلاً عن ألوهيته؟! فويلٌ للمترجم إذ حكم على هذا البريء بالكفر، بعد أنْ ذكرَ له من الخدمات الدينية مُدَّةَ ملازمةِ المسيح ما يستوجبُ المدحَ والثناء. وعندي: إنه لا عتابَ ولا لوم على هذا المترجم، حيث لم يتصور أن القارىء لا بد وأنْ ينظرَ في حاله، هل هو من القوم الذين تقبل شهادتهم على مثل يهوذا أم لا.

تنبيه: من غريب الاتفاق، أن الذين حكموا على يهوذا بالردة المترجمُ ومؤلف «أعمال الرسل» وكُلٌّ منهما مجهول، لم يوصف، ونكرةٌ لم تَتعرَّفْ. ثم إن الأعجب ما ذكره صاحب «تحفة الجيل» عند تفسيره لهذه الأوهام التي تَخيَّلها المترجم، فقال: «إن يهوذا هذا، بدايةُ توبته هذه كانت محمودةً إلا أنه خامرها رجاء المغفرة، والاهتمام بالمصالحة مع الإلّه المهان، إلى أن قال: فشنق نفسه، وأضحى معذباً في جهنم، وسوف يلبث في العذابات القادحة مدى الأبدية» انتهى كلام المفسر.

وليت شعري: على أيِّ قاعدةٍ شرعية أو مادة قانونية استند هذا الفاضل، في الحكم على هذا البار، بأنه استوجبَ جهنمَ خالداً فيها، بعد أن ذكر توبته المحمودة، وهذه سيرته في الأناجيل، تدل على أنه لم يكن مُتَّهماً بين التلاميذ، ولا منحط الرتبة عنهم، بل يزيدهم وفاء، حيث جعله عيسى أمين صندوق المِلّة؛ وعيسى أعلمُ من المترجم بصدقه، وليس هناك من فائدةٍ سوى أنه يريد بهذا الافتراء إقامةَ الحجة عليه، بأنه هو الدال على المسيح فتثبت بذلك دعوى صلبِ ذاتِ المسيح، مع أن القوم لو أتوا لإثباتِ هذه الدعوى، من غيرِ هذا البابِ، لكان أوْلى لهم، لأن المنصف لو تأمَّلَ فيما حكاه يوحنا في إنجيله، من هجوم

اليهود على المسيح، لرأى أن يهوذا هذا بريء مما نُسِبَ إليه، وقد تقدمت عبارة يوحنا حرفياً، وملخصها أنه بعد أنْ حكى هجومَ اليهود على البستان، ذكر أنه خرج إليهم يسوع، وقال لهم: مَنْ تطلبون؟ أجابوه: يسوع الناصري، فقال لهم عن نفسه: أنا هو. وكان يهوذا هذا الدال عليه بزعمهم واقفاً مع القوم، ولم يُشِرْ لهم عليه، ولم تَبْدُ منه حركةٌ عن ذلك، ولم يَفُهْ بشيء، فيحتمل أن الجند وهم ذاهبون للقبض على يسوع، رأوا يهوذا في طريقهم، فخافوا من أن يسبقهم بالخبر إلى يسوع، فيهرب ويفوتهم ما أرادوا به من الكيد، فأخذوه في جملتهم، فتوَهّم حينئذ مَنْ رآه معهم أنه أتى ليدلَّهم عليه، والظنُّ لا يغني عن الحق شيئاً.

ولو تَبصَّرَ المُنصِفُ، لرأى أن هذا الاحتمال أقرب للعقل وللحق، وعلى فرض أن يهوذا دلَّ عليه وأذنب، فكان يجب على المفسر أن يأتي بتوجيه، يُوَفِّق به بين أحاديث المسيح، عليه السلام، المتباينة في هذه القضية، حتى يرتفع التناقض بينها، ويصلح ما أفسده أسلافه، فهو عَكَسَ الأمرَ، وزاد على الفساد فساداً، فكان كمن يحثو التراب بظلفهِ على رأسه.

فيا ليت شعري: ما ضَرَّهُ لو قال: إن يهوذا، بعدما دَلَّ اليهود على عيسى، ندم كما صرحت الأناجيل بأنه رَدَّ الثلاثين من الفضة للكهنة، وسلّم نفسه لليهود بدلاً عن المسيح، والله تعالى أيضاً قَبِلَ ندامته وتوبته، وشبَّهه به، فصلبوه، وهم لا يشعرون أنه يهوذا، فمات شهيداً، ونال بذلك الكرسي الموعود به من المسيح، في ملكوت الله، أَفَمَا كان هذا التفسير، للحقِّ أقربَ وأوفق، وللعقل أصوبَ، ولشأنِ المسيح أليق؟! وترتفع المباينات من الأحاديث، ويُنزَّه المسيح من ذلك التاج القبيح؟ على أنه لو يعقل هذا المفسر، لكان ما ذهبنا إليه أنسب لاعتقاده الباطل، بأنه إله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، على أنه لم تكن حاجة إلى مَنْ يدلُّهم عليه، لأنه ليس فردٌ من أفرادِ أهالي أورشليم إلا ويعرف شخصه، وهل يجهله رؤساء الشعب أو خُدّام الشيوخ؟ وهو كل يوم بين ظهرانيهم، يعِظُهم

في الهيكل والأسواق، ويدعوهم إلى الإيمان بما جاء به.

ثم مَنْ تأمَّلَ في إسناد المترجم قضية الثلاثين فضةً إلى نبوة أرميا، يرى أنه من الكذبِ على جانبٍ عظيم، ليس أعظم من شهادةِ أتباعهِ عليه، بأنَّ هذا من غلطه، فهل يغلط الملهِم أم الملهَم؟ تلك قضية نسأل عنها رؤساء هذا الدين، المحامين لتلك الأناجيل، القائلينَ بأنها مُنَزَّهةٌ عن الغلط والتحريف والتبديل.

وخلاصة ما يقال: إن آراء مفسري هذا الإنجيل قد تضاربت في هذا الغلط، مع اتفاقهم على أن هذا الكلام لا يوجد إلا في سِفر أرمياء، بل في نبوة زخريا مذكور [أي زكريا عليه السلام] قال صاحب «تحفة الجيل»: «وفي ذلك اختلافُ أقوالٍ بين المفسرين، أكثرها احتمالاً، عند ملدوناتيوس، أن اسم ارميا أدخله في النسخة المذكورة سهواً النُّسَّاخُ، كما ذهب فَمُ الذهب وربوتوس والليري وفرنسيس لوقا وباروتيوس وغيرهم، لأن متَّى ليس من عادته أن يذكر اسم الأنبياء الذين يستشهدهم، ثم إنَّ النسخة السريانية وبعض النسخ اللاتينية، الباقي حتى الآن نسخة منها في روما، لا يوجد فيها اسم أرمياء هذا إلا إنْ شئتَ أن تزعم مع اوريمانوس ونرتليانوس وأوسابيوس أن هذه الألفاظ كانت قديمة في نبوة أرمياء، كما شاهد القديس ايرونيموس أنه رآها في نسخة صحيحة منها، ثم حذفت منها بواسطة اليهود». انتهى كلامه.

أقول: أما قولهُ: «لأن متَّى ليس من عادته، إلخ»، فذلك شأن المدلّس يطوي ذِكْرَ الأسماء لأغراضٍ يريدها ومنويات يقصدها، وكلامُ الوحي ينبغي أن لا يُتْرَكَ منه حرفٌ واحد. وأما شهادة القديس إيرونيموس أنه رآها في نسخة صحيحة، ثم حُذفت بواسطة اليهود فتلك شهادة لم يكمل نصابها ولا سيما شهادة عدوٍّ على عدوه، والشرائع العادلة لا تجوّز قبولها، ما لم تعضدها قرينة قاطعة أو يؤيدها برهان، وههنا لم ينطق بها غيره، ولنسأل هذا الفاضل، في نقلهِ تلك الشهادةَ عن هذا القديس، أين تلك النسخة، ومتى رآها؟ لأنها أتت دليلاً واضحاً على أن

النصارى لم تحافظ على كتبها المقدسة التي هي أساس دينها، وهذا التغيير والتبديل الواقع في نبوة أرمياء إقرارٌ بأن التحريف تطرق على كتبهم المقدسة، فانخرمت الثقة بها.

والعجب أن في كل تلك الأجيال، لم يعثرْ أحد من علماء الملتين اليهودية والنصرانية على أمثال تلك النسخة، ولكن لا نؤاخذ صاحب «تحفة الجيل» لأنَّ مَنْ يقرن صفة الإهانة بإلهه، لا يبعد منه أن يختلقَ أسانيد لمثل هذه الشهادة. وهنا نوجه الخطاب إلى أوريمانوس ورفيقيه، بأنَّ زعمهم أن تلك الألفاظَ كانت في الزمن الأولِ في نبوة أرميا، مما يسفِّهُ أحلامهم، لأننا لو سلَّمنا ذلك، وأن اليهود حَرَّفوا عناداً للنصارى، كما يفهم من مدلول العبارة، لقلنا لعموم النصارى: هل من سببٍ لكم، في موافقتكم اليهودَ على هذا التغييرِ والتبديل في النسخ التي بأيديكم، مع عِلْمِكُم بأنَّ صِحَّةَ العهد الجديد موقوفة على صحة العهد القديم؟ فليس هناك من سببٍ غير الافتراء على اليهود، لسترِ فضائحِ أسلافه.

وقد صنف بعض علمائكم أقوالاً أخر، في هذا الغلط، منها ما حكاه جواد بن ساباط، في مقدمة كتابه المسمى «البراهين الساباطية» فإنه قال: سألت القسيسين الكثيرين عن هذا الغلط، فقالوا: جاء من غلط الكاتب، ومنها ما نقله العلامة رحمة الله الهندي، قدس الله روحه، عن بيوكانان ومارطيروس وكيراكوس، أنهم قالوا: «إن متَّى كتب إنجيله معتمداً على حِفْظِه، بدون مراجعةِ الكتب، فوقع في الغلط» انتهى.

فيلزم من هذا أن ما كتبه متَّى، لم يكن بطريق الإلهام. ومنها ما قال بعض القسيسين: لعل زكريا يكون مسمى بأرمياءَ، قلت: لعَمْرُ العاقل! إنَّ هذا القولَ شبيهٌ بزعم القديس إيرونيموس، وقد أطلتُ الكلام، لتعلم أن النصارى على غير بيِّنةٍ من دِينهم، لأن في كل هذه الاحتمالات ضعفاً، والحق ما ذهب إليه المستر جوويل، واعترف به في كتابه المسمى «بكتاب الأغلاط» المطبوع سنة ١٨٤١ أنه

غلطٌ من متى، وأقَرَّ به هورون في صفحة ٣٨٥ و٣٨٦ من المجلد الثاني، من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢ حيث قال: إن هذا اللفظ إلحاقيٌّ، وليست هذه بأول زلة للمترجم، بل إن غلطه أصبح كنارٍ على علم، مع أن المسكين لو تأمل في مخرج هذا النص، لوجده عكس ما أراده؛ والإصحاحُ برُمّته في نبوة زخريا، وهو حكايةُ حال لا نُبوَّة، ولفظ الأجرة بدل لفظ الثمن في نسخة.

ثم على فرض أن زكريا عبر بلفظ الثمن، دون الأجرة، فالمعنى على هذا: الثمنُ الذي يحقُّ لي، فإن الإضافة في اللغة العبرانية كما في العربية، تكون لأدنى ملابسة، ومَنْ يريد الاحتياط لإحقاق الحق، فليراجع الإصحاحَ من أولهِ إلى آخره، يجد ما هو أظهر من الشمس، وإليك نص العبارة على ما جاء في النسخة المطبوعة في لندن سنة ١٨٤٨ في - ص١١ - ف١٢ من سِفر زكريا هكذا: «وقلت لهم: إنْ حَسُنَ في عينيكم، فهاتوا أجري، وإلا فكُفّوا. فوزنوا أجري ثلاثين من الفضة، وقال لي الرب: ألقِها إلى صُنَّاعِ التماثيل، ثمناً كريماً أثمنوني به، فأخذت الثلاثين من الفضة، وألقيتها في بيت الربِّ إلى صناع التماثيل» انتهى.

وفي النسخة المطبوعة سنة ١٨٧٠ في بيروت هكذا: «فقلت لهم: إن حَسُنَ في أعينكم، فأعطوني أجرتي، وإلا فامتنعوا، فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة، فقال لي الرب: ألقها إلى الفخاري. الثمن الكريم الذي ثمنوني به، فأخذت الثلاثين من الفضة، وألقيتها إلى الفخاري في بيتِ الرب» انتهى.

فمع قطع النظر عن اختلاف النسخ نقول: إن الحكاية لا تعلُّقَ لها فيما استشهدَ به المترجمُ، وكفى دليلاً على كذبه أنه نقل النص المذكور خلافَ ما هو محرر في الأصل، ونسبه إلى أرمياء، مع أنه من زكريا، وقد قصد الكذبَ في التأويل انتصاراً لمذهبه الباطل، ففضحه اللهُ من حيث أتى، وليته نقلَ النص بلفظه، وقد تقدم اللفظ في النسخة التي بأيدينا، من إنجيله المطبوع في بيروت،

ونعيد إثباته هنا، ليظهر للمتأمل خيانة هذا المدلس، ولفظه: «وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذي ثمنوه، من بني إسرائيل، وأعطوها عن حقل الفخاري، كما أمرني الرب».

وليت شعري! كيف ساغ للنصارى أن يظهروا بدعوى: أن كتبهم المقدسة مَصُونةٌ عن التحريف، فإني صرتُ أتحرى نقل هذا النص، وأطبقه على ما بأيدينا من النسخ، لعلي أجدُ لهم عذراً في تأويله، فلم أجد ملتمساً لصحة تأويله، كما أني لم أجد نسخة تطابق الأخرى، فأحببت إثبات اختلاف النسخ هنا، لعلَّ طالب الحق يرجع إليه، ففي النسخة المطبوعة في لندن سنة ١٨٤٨ هكذا: «وأخذوا الثلاثين فضة ثمن المثمن الذي أثمنوه، من بني إسرائيل، وجعلوها لحقل الفخاري، كما أمرني الرب».

وفي نقل أحمد فارس عن نسخة من كتبهم هكذا: «أخذوا الثلاثين فضة ثمن الزكي الذي شرط عليه بنو إسرائيل، ودفعوها في مقابلة حقل الفخار، كما أمرني الرب كذلك».

والنسخة التي فسر عليها صاحب «تحفة الجيل» هكذا: «إني أخذت الثلاثين من الفضة ثمن الكريم الذي شارط عليه بنو إسرائيل، وأعطيتها في حقل الفخار، كما أمرني الرب».

فهل بعد ما حكيتُ من إقرارِ علماء القوم، في غلطِ التأويل، واطلاع القارىء على مثل هذا الاختلاف، يقال: إنَّ هذه الكتب مصونةٌ عن التحريف؟! ولَعَمْري! إن من يقول ذلك فهو يكابر في إنكار المحسوس. ويعجبني هنا أن يتفكه القارىءُ بما ذكر الخوري صاحب «تحفة الجيل» عند تفسيره لهذه الأحلام، فإنه من قبيل المرقِص المطرِب قال: «وقوله كما أمرني الرب، يمكن فهمه أنه كلام المسيح، وكأنه يقول به: إن الثلاثين من الفضة التي بعت بها أنا المسيح شري

بها حقل الفخار، ليصرف كل مالي في منفعة الناس، كما أمر الرب» انتهى بحروفه.

أقول: أيخطرُ لعاقلٍ أنَّ هذا الكلامَ يصدرُ عن ذي إدراك، فإنه جعله من كلام المسيح، ثم خلط، فجعله من كلام النبيِّ أرمياء، وفسره بما لا معنى له. والمترجمُ أورده تأويلاً عن أرمياء، وقد رَدَّتْهُ علماءُ النصرانية إلى أنه حكاية حال عن زكريا.

وملخص ما فهمته من كلام هذا الخوري: أنَّ المسيحَ أَمر أن يُباعَ إلى اليهود بثلاثين فضة، ويصرف هذا الثمن في شراءِ حقلٍ، ليكونَ كلُّ مالهِ في منفعةِ الناس.

فتأمل أيها القارىء، هَداكَ الله، أليس مثل هذا الكلام من وساوس الشيطان، فإنه من التلفيق المحض، وقد قال المفسر بنيامين بنكرتن، بأن مثل هذا الغلط من غلط الوحي وكتمانه بعض الكلمات، ولعمري إن مثل هؤلاء المتصدِّين لتفاسيرِ الكتب المقدسة، يستحقون الجائزةَ العظيمة، وهي قطع ألسنتهم.

وهنا نعود إلى المترجم في غلطه، فنقول: لعلَّ الوحيَ أوحى إليه باسم زكريا، فظنه أرمياء، وكتب من غير تروٍّ على ما فهم. والأمرُ لو كان محصوراً في المترجم وحده، لضربنا صفحاً عن خبطه وخلطه، لأنه قد اعتاد الكذب، وتعودت النصرانية على استماعه منه، وهنا يوجد في النقل والمنقول عنه تفاوت كلّيٌّ بين النُّسَخِ، ومناقضاتٍ لا تنحصر، والمطالع هنا لا يخطىء ظنه، إذا حكم بأن ألفاظ الجملة التي في نسخة لندن غير التي في نسخة بيروت، وألفاظ الجملة المنقولة في إنجيل المترجم، عن العهد القديم، لا توافق نسختيه المطبوعة قديماً والمطبوعة حديثاً، وهكذا باقي النسخ المتعدّد اختلافها بتعدُّدِها، فالعجبُ لعلماء النصرانية في هذا العصر، الذين يدَّعون كشفَ الحقائق، كيف قبلوا مثل هذا

الاختلاف، ولم يردوه إلى جمعية تصحيح الأغلاط؟!.

ومن نظر إلى الألفاظ المثبتة في نسخة بيروت، تشمئز نفسه من تصنيفها، ويرى أنها خلاف الظاهر، بل لا معنى لها مثل قوله: «ألقيتها إلى الفخاريِّ في بيت الرب» فيفهم منه أن في الهيكل كوراً لعمل الفخار، ولم يَثْبُتْ هذا الكلامُ في سائر النسخ المطبوعة قبلها، ولربما يقال: إن مطبعة بيروت أيضاً مُلْهَمة، حتى ساغ لها أن تختلق ألفاظاً، لا معنى لها، وتضع ما تشاء، وترفع ما تشاء من الزيادة والنقصان في نصوص الأناجيل والتوراة، تبعاً لطائفه البروتستانت التي ترى التحريفَ والتبديل بمنزلة الشيء الطبيعي، ولو لم يكن كذلك، لما وجد في تلك النسخ ما يخالف النسخ المطبوعة قديماً في لندن.

وهنا نكرر القول، وإنْ يكن فيه سآمةُ التطويلِ على المُطالعِ فنقول: إن أسلافنا بينما كانوا يدافعون دعوى النصارى في خصوص إلهام الحواريين، إذ تفاقم الأمر، وظهر مَنْ يدَّعي بأن المترجم وبولس وأمثالهما كمرقس ولوقا أيضاً ملهمون، ولم يكد ينطفىءْ لهيبُ تلك الثائرة حتى ظهر إنجيل يوحنا، وفيه أن قيافا رئيس الكهنة الذي حكم بكفر المسيح، هو نبيٌّ مُلْهم، فاستعرَتْ نارُ تلك الدعاوي، وترقّى الحال، فظهر من يقول بأن البابا أيضاً ملهم، لا يخطىء فيما يحكم به، وإن كان مخالفاً لظاهر النصوص، فسكت أسلافنا حينئذ عن المدافعة، حيث كانوا يظنون أن القومَ نشأت فيهم تلك الدعوى عن شبهة، يمكن إزالةُ ظُلْمَتِها بنورِ الحق قياماً بحقوق الإنسانية حتى كابرَ القومُ بإنكار المحسوس، فأظلم ليلُ تلك الشبهات بين فِرقهم، وأخذت الاضطهادات الدموية، لهذا السبب، تزداد يوماً فيوماً حتى اليوم، في زماننا زمن التمدن، فعلمنا أن القوم يَدَّعون أن المطابعَ أيضاً ملهمة، والدليلُ على ذلك أنهم خضعوا لكافة ما ابتدعه المترجمون في مطابعهم الجديدة، ولا سيما في بيروت، وترقّى الحال حتى صارت أعضاء لجنة إصلاح أغلاط الأناجيل ومناقضاتها أيضاً ملهمين، فاتَّسَعَ

الخرقُ على الراقع.

وتراخى الأمر حتى أصبحت هملاً يطمعُ فيها مَنْ يراها

ونخشى أن يأتي زمن، يُعدُّ فيه كل رجل من النصارى مُلْهَماً، وكُلُّ آتٍ قريب.

ويُخَيَّلُ لي أن مُصَحِّحَ مطبعة بيروت رجل ذو دراية وغيرة قومية، لأن نفسه الأبية أنفت أن تطبع نسخة العهدين، وهما مشحونان بالأغلاط والخلل والمناقضات والزلل، ولا سيما في النصوص التي ينقلونها عن العهد القديم إلى العهد الجديد، كالبحث الذي نحن فيه، فتفكَّرَ هذا الفاضلُ ملياً، فرأى أن رفع الخلل والتناقض من العهدين بالكلية لا يمكن، وإبقاؤه على حاله فضيحةٌ بين الملل، فاتخذ بين ذلك سبيلاً في التحريف، بأنْ توسَّط، فأصلح بعض الأغلاط، ليخرج الكتاب من حالة التناقض إلى حالة، يمكن معها التأويل، بزعمهِ، ولهذا نُقَدِّمُ، إلى رجالِ هذه الملة المعظمة، مراسم التبريكِ، على أنها ظفرت بمثل هذا الفاضل النحرير، مؤملين لها وجود أمثاله، ليحصل لكتبها الدينية كمال التهذيب، بتكررِ طبعها.

وإني أُبَشِّرهم بأنه إنْ دام لهم هذا الترقّي إلى نهاية القرن العشرين، يتم لهم تطبيق تلك الكتب وفق المرام، هذا وقد ذكر العلامة رحمة الله الهندي، في الباب الأول من كتابه «إظهار الحق» وجوهاً سبعة، لبيانِ غلطِ المترجم هنا، وقد أتينا ببعضها فيما قدمناه أثناء البحث، ونذكر هنا سائر الوجوه، مع التصرف في العبارة، فنقول: إن سياق عبارة المترجم لهذه القصة واقع بين الفقرة الثانية والفقرة الحادية عشرة، ولا يحتاج القارىء إلى زيادة تأمل بأنَّ العبارةَ أجنبيةٌ عن الكلام، فهي حَشْوٌ زائد، والدليل على ذلك عدم ارتباط الكلام والتئامه.

ومن نظر إلى القصة، في سائر الأناجيل الثلاثة، يتضح له ذلك وضوحاً كافياً،

ثم يفهم من عبارة المترجم أن وقوعَ الندم من يهوذا بعد الحكم على عيسى، والحال لم يُحْكَمْ بعدُ على عيسى، عليه السلام، بل كان رؤساء الشعب رفعوه إلى بيلاطس، لأجلِ الحكمِ عليه، ثم كلامه صريح في أن يهوذا ردّ الثلاثين من الفضة إليهم في الهيكل، مع أن هؤلاء الرؤساء والشيوخ كانوا في هذا الوقت عند بيلاطس، يَشْكُونَ إليه أمر عيسى، وما كانوا في الهيكل، وما حكاه من خَنْقِ يهوذا نفسه في صباح الليلة التي ألقي القبضُ فيها على عيسى، عليه السلام، بعيدٌ جداً، لعلمه، قبل تسليمه، بأن اليهود يقتلونه، فكيف يتصور ندمه في هذه المدة القليلة، بحيث يخنق نفسه.

وسيأتي في الفصل الذي وعدْنا بذكره، في آخر هذا الإصحاح، من البراهين الدالة على تبرئة يهوذا بما يشفي العليل، ويروي الغليل.

ولنرجع لإكمالِ الإصحاح. قال المترجم ف١١: «فوقف يسوع أمام الوالي، فسأله الوالي قائلاً: أأنتَ ملكُ اليهود؟ فقال له يسوع: أنت تقول. وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه، لم يُجِبْ بشيء، فقال له بيلاطس: أما تسمعُ كم يشهدون عليك؟ فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة، حتى تَعجَّبَ الوالي جداً».

وعبارة مرقس ص١٥ - ف٢ إلى نهاية - ف٥ مرتبةٌ على المعنى الذي أورده المترجم، وخالفهما لوقا، فقال في - ص٢٣ - ف٢: «وابتدؤوا يشتكون عليه قائلين: إننا وجدنا هذا يُفْسِدُ الأمةَ، ويمنع أن تُعطى جزيةٌ لقيصر قائلاً: إنه هو مسيح ملك، فسأله بيلاطس قائلاً: أنتَ ملك اليهود؟ فأجابه وقال: أنت تقول» أقول: لقد شهدنا باقتصاد لوقا في غير مرة، ولكنه في هذه قد ركب الشطط، وأفرط في مناقضة رفيقية، وتلك الدعوى التي رفعتها اليهود، بزعمه، على المسيح، تضمنت ثلاثة أمور.

الأول: أن المسيح كان يفسد الأمة.

الثاني: أنه كان يمنع اليهود من إعطاء الجزية لقيصر.

الثالث: دعواه أنه ملك.

وأنتَ تعلم أن هذه الأمورَ الثلاثة تُخِلُّ بالمدنية وانتظام المملكة، وأراد لوقا بهذا الافتراء أمرين عظيمين.

الأول: أن يجعل للأمر وقعاً عظيماً في النفوس، لأن السامع بتلك الدعوى يصدقُ بأن هذه الأسباب المهولةَ تُوجبُ على بيلاطس قتلَ عيسى، فيصدِّقُ ضمناً بوقوعِ الصلبِ على ذات المسيح، إذ لا يقلُّ جزاءُ مَنْ يفسد في الأرض، ويظهر العصيان لسلطان زمانه، ويَدَّعي باستحقاق الملك دونه أن يُقتلَ أو يصلبَ لا محالة.

والثاني: أراد استحكام العداوة والبغضاء في قلوب المسيحيين، وإيغار صدورهم على اليهود، فيتطلَّبون في كلِّ زمانٍ ومكان الانتقامَ منهم، بسببِ تلك الدعوى العظيمة التي رفعوها إلى بيلاطس، فكانت قاضية عليهم بقتل إلٓههم وصلبه، فلا ينكر أحد من النصرانية هذا الأمر الصريح، بل يقرُّ بأن الإذعانَ إلى الأمرِ الأول محسوس.

ولكن العاقل إذا تَبصَّرَ في الأمر، يجد أن لوقا هذا قد ركب الشطط، واستعمل المغالطة والغلط، فظن أن النصرانية تستمر في الجهل والغواية، وتتمادى في العمى وعدم الدراية، فمثله مثل مَنْ يخدعُ نفسه، ويُمَنِّيها الأكاذيب، لأن ما تَضمَّنَهُ الأمرُ الأول حكاية عن دعواهم بأنهم وجدوه يفسد الأمة، وقد نقل نقيضه حكاية حال عن اليهود في ص٢٠ - ف٢٠ من إنجيله بقوله: «فراقبوه، وأرسلوا جواسيس يتراأون أنهم أبرار، لكي يمسكوه بكلمة» إلى أن قال في - ف٢٦: «فلم يقدروا أنْ يمسكوه بكلمة قدام الشعب» انتهى.

فقد ظهر لك ما في كلامَيْهِ من المنافاة، حيث نفى أن يمسكوه بكلمة، وأثبت أنهم نسبوا له الفساد، ثم حكى في نهاية - ص٢٢ حينما كان المسيح في بيت قيافا، أنه لم يكن عند اليهود شهودٌ عليه، ولا إقرار منه في مجلس بيلاطس، وغاية ما نقموا عليه قوله «أنه هو ابن الله، ويجلس عن يمين القوة».

فانظر - هداك الله - إلى هذا النفي والإثبات.

وأما ما تضمنه الأمر الثاني من حكاية دعواهم بقولهم: «ويمنعُ أن تُعطى جزيةٌ لقيصر» فتلك دعوى شبيهة بالأولى، بل لا يقوم معها دليل، حيث أن لوقا ذكر أيضاً في نفس الإصحاح - ف٢٢ أن اليهود سألوا المسيح عن ذلك بقولهم «أيجوز لنا أن نعطي جزية لقيصر، أم لا، فشعر بمكرهم، وقال لهم: لماذا تجربونني؟ أروني ديناراً، لِمَنِ الصورةُ والكتابة؟ فأجابوا وقالوا: لقيصر، فقال لهم: أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله» فهل بعد هذا يتصور جراءة اليهود على دعوى باطلة في هذا الشأن، بمحضر نائب قيصر، وهو بيلاطس الذي حكى المؤرخون تَحكُّمَهُ في اليهود وتجبُّرهُ عليهم، فوق ما يتصور، مع أن هذه دعوى تمس بشرف سلطانه، وتجعل صدره حرجاً إلى أن ينكشفَ له القناعُ عن وجه الحق في عيسى، فهل يفوتُ بيلاطس تحقيق أمر تلك الكلمة أو يفلت قائلها؟.

وسنحكي من رأفةِ بيلاطس وتَلَطُّفهِ بالمسيح ما يكون ضداً لهذا الأمر.

وأما الأمر الثالث، أعني: نِسبتهم إليه أنه ملك، فهو من الكذب الصريح، لأن الإنجيل صرح بأنه لما أراد قوم أن يجعلوه ملكاً عليهم، صعدَ إلى الجبل هرباً من اسم الملوكية، كيف يُقالُ بأنه ادعى أنه ملك، فذلك بعيد عقلاً، إذ من المعلوم أن مسلكَهُ كان مسلكَ الأنبياء، يدعو بني إسرائيل إلى عبادة الله تعالى وحده، والعمل بالناموس الإلّهي، ويحث على مكارم الأخلاق، ولم يتعرض لأمورِ الحكومةِ والسياسة، لا سراً ولا جهراً، والدليلُ على ذلك ما ذكرناه آنفاً

عن الإنجيل، من أمره بإعطاء الجزية لقيصر، ولم يكن مشتهراً إلا بدعوى النبوة، فمن آمنَ به صدَّقه، ومن لم يؤمن به، رماه بالكفر، والعياذ بالله تعالى.

ولو كان مشتهراً بدعوى أنه ملك، لعَمِل به نائبُ قيصرَ ما عملَ، من غير حاجةٍ إلى شكاية اليهود ونسبة الكفر إليه، مع أن النائب المذكور كان يراعيه ويحترمه، ويدافع عنه، بسبب كونه يحثُّ الناسَ على الطاعة والانقياد إلى الحكومة، فهل من المعقول أن تدعي رؤساء المملكة أو عامة أهلها أمام حاكمهم على رجلٍ منهم، بدعوى يُخْشَى من انتشارها وقوعُ الخلل في المملكة، ثم يُدافع الحاكمُ عن المُدَّعى عليه؟! لا يتصور هذا أحد إلا لوقا ومَنْ شاكله.

ونحن معاشر المسلمين لا ننكر سعي اليهود في قتل المسيح، لأن الله تعالى قَصَّ علينا نبأهم وسيرتهم، في قَتْلِهم الأنبياء بغير حق، وتكذيبهم المسيح ومن قبله من الرسل، صلوات الله عليهم أجمعين، إنما نحن ننكرُ كذبَ هذا المؤرخ لوقا، كما كذبَ يوحنا فيما حكاه عن تلك القضية، بما سيأتي بيانه حرفياً، وذلك من أن اليهود حين رفعوا المسيح إلى بيلاطس، سألهم: ما الذي تَنقمونَهُ عليه، فأجابوه بقولهم: «لنا ناموس، وحسَبَ ناموسنا يجب أن يموت، وذلك لأنه جعل نفسَهُ ابنَ الله». فمثل تلك الدعوى وإن كانت منقوضة أيضاً، كما سنبينها إن شاء الله تعالى، ولكن العقل يميلُ إلى قبولها بعضَ الميل، وتكون حينئذٍ حكاية المدافعة من بيلاطس غير ملام عليها، لأنه رومانيُّ الجنس وثنيُّ الدين، فإذا كان هذا الأساس الواهي الأركانِ قد اتخذته النصارى حُجَّةً على صلبِ هذا الإله المهان، فويلٌ للعقلاء رؤساء هذا الدين، كيف لعبت بعقولهم الشياطين.

ومن تأمل في رواية يوحنا حيث قال في ص١٨ - ف٢٩: «فخرج بيلاطس إليهم، وقال: أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان؟ أجابوا وقالوا له: لو لم يكن فاعلَ شرٍّ، لما كنا قد سلمناه إليك، فقال لهم بيلاطس: خذوه أنتم، واحكموا

عليه حسب ناموسِكم، فقال له اليهود: لا يجوز لنا أن نقتلَ أحداً، ليتم قولُ يسوع الذي قال مشيراً إلى أية مِيتةٍ كان مزمعاً أن يموت» انتهى.

نجد يوحنا قد كذَّبَ رواية الأناجيل الثلاثة عموماً، وكذّب لوقا خصوصاً، ولم نجد في مناقضات الأناجيل أشد تناقضاً من روايات سبب الصلب، فإنه لم يتفق على السبب اثنان، فكيف يسوغ للأساقفة تلك الدعوى الباطلة، وإسنادها إلى الوحي والإلهام.

ثم ذكر المترجم ختام المحاكمة، فقال في ف١٥: «وكان الوالي معتاداً في العيد أن يُطْلِقَ للجمع أسيراً واحداً من أرادوه، وكان لهم حينئذٍ أسيرٌ مشهور، يسمى باراباس، ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس: مَنْ تريدون أن أطلق لكم باراباس أم يسوعَ الذي يُدْعى المسيح؟ لأنه علم أنهم أسلموه حَسَداً، وإذ كان جالساً على كرسي الولاية، أرسلت إليه امرأته قائلة: إياكَ وذلك البارَّ، لأني تألمتُ اليوم كثيراً، في حُلُم من أجله، ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حَرَّضوا الجُموعَ على أن يطلبوا باراباس، ويهلكوا يسوعَ، فأجاب الوالي وقال لهم: مَنْ مِن الاثنين تريدون أن أطلق لكم؟ فقالوا: باراباس، قال لهم بيلاطس: فماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح؟ قال له الجميع: ليُصْلَب، فقال الوالي: وأيّ شرٍّ عملَ؟ فكانوا يزدادون صراخاً قائلين: ليُصْلَب. فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً، بل بالحريِّ يحدثُ شغبٌ، أخذ ماء، وغسل يديه قدام الجمع قائلاً: إني بريءٌ من دم هذا البار، أبصروا أنتم، فأجاب جميع الشعب وقالوا: دَمُه علينا وعلى أولادنا، حينئذٍ أطلق لهم باراباس، وأما يسوع فجلَدَه وأسْلَمه ليُصْلب» انتهى.

ورواية مرقس، لتمام تلك المحاكمة، مختصرةٌ عن رواية المترجم، ومع الاختصار فقد ناقضه حيث قال في ص١٥ - ف٦: «وكان يُطلِقُ لهم في كل عيد أسيراً واحداً مَنْ طلبوه، وكان المسمى باراباس موثقاً مع رفقائه، في الفتنه الذين

في الفتنة فعلوا قتلاً، فصرخ الجمع وابتدؤوا يطلبون أن يفعل كما كان دائماً يفعلُ لهم، فأجابهم بيلاطس قائلاً أتريدون أن أُطلقَ لكم ملك اليهود؟ لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسداً، فهيّج رؤساءُ الكهنة الجمعَ، لكي يُطلقَ لهم بالحريِّ باراباس، فأجاب بيلاطس أيضاً، وقال لهم: فماذا تريدون أن أفعل بالذي تَدْعونَهُ ملكَ اليهود؟ فصرخوا أيضاً: اصلبه، فقال لهم بيلاطس: وأيّ شرٍّ عمل؟ فازدادوا جداً صُراخاً، اصلُبْه، فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجمع ما يرضيهم، أطلق لهم باراباس، وأسلم يسوع بعدما جلده ليُصلب» انتهى.

وأما لوقا فقد خالفهما، كما سترى، أشدَّ المخالفة، وناقضهما أفحشَ المناقضة، ولا نعلم كيف تمتزجُ هذه الخبيصة بين الأناجيل الثلاث، وهذا لفظ حكايته في - ص٢٣ - ف٤: «فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع: إني لا أجد علّة في هذا الإنسان، فكانوا يشددون قائلين: إنه يُهيِّجُ الشعب، وهو يعلّم في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل إلى هنا، فلما سمع بيلاطس ذِكْرِ الجليل، سأل: هل الرجل جليلي؟ وحين علم أنه من سلطنة هيرودس، أرسله إلى هيرودس، إذ كان هو أيضاً تلك الأيام في أورشليم».

أقول: سبحان مَنْ يُحيي العظامَ وهي رميم. أيها المسيحي! هذا إنجيل متَّى يقول في - ص٢ - ف١٩: «فلما مات هيرودس، إذا ملاكُ الرب قد ظهر، في حُلُم، ليوسفَ في مصر قائلاً: قُمْ وخذ الصبيَّ وأمه، واذهب إلى أرض إسرائيل، لأنه قد ماتَ الذين كانوا يطلبون نفسَ الصبي» انتهى.

فعلى فرض صحته، كيف يقال: إن بيلاطس أرسله إلى هيرودس، وهيرودس مضى على موته حِينٌ من الدهر؟! وهل أفحش من هذا التناقض؟!

ولنرجع إلى إكمال رواية لوقا قال: «وأما هيرودس فلما رأى يسوع، فرِحَ جداً، لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه، لسماعهِ عنه أشياء كثيرة، وترجَّى

أن يرى آيةً تُصنع منه، وسأله بكلامٍ كثير، فلم يجبه بشيء، ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد، فاحتقره هيرودس مع عسكره، واستهزأ به، وألبسه لباساً لامعاً، وردّه إلى بيلاطس، فصار بيلاطس وهيرودس صديقين بعد، مع بعضهما، في ذلك اليوم، لأنهما كانا من قبل في عداوة بينهما، فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب، وقال لهم: قدَّمْتم إليّ هذا الإنسان، كمن يُفسد الشعب، وها أنا قد فحصتُ قدامكم، ولم أجدْ في هذا الإنسان عِلَّةً مما تشتكُون به عليه، ولا هيرودس أيضاً، لأني أرسلتكم إليه وها لا شيءَ يستحق الموت، صُنعَ منه، فأنا أؤدبه، وأطلقه.

وكان مضطراً أن يطلق لهم كل عيد واحداً، فصرخوا بجملتهم قائلين: خذ هذا، وأطلقْ لنا باراباس، وذاك كان قد طُرِح في السجن، لأجل فتنةٍ حدثت في المدينة وقَتلٍ، فناداهم أيضاً بيلاطس، وهو يريد أن يطلق يسوع، فصرخوا قائلين: اصلُبْهُ، اصلُبه، فقال لهم ثالثة: فأي شر عمل هذا؟ إني لم أجد فيه علة للموت، فأنا أودبه وأطلقه، فكانوا يلجُّون بأصوات عظيمة طالبين أن يصلب، فقويت أصواتُهم وأصواتُ رؤساء الكهنة، فحكم بيلاطس أن تكون طِلْبتهم، فأطلق لهم الذي طُرِح في السجن لأجل فتنةٍ وقتْلٍ، الذي طلبوه، وأسلم يسوع لمشيئتهم» انتهى.

فليحفظ النصراني العاقل الخاضع لهذا الدين ما تلوناه من القصة، على روايات الأناجيل الثلاثة، وليُعِرْنا أذناً واعية لسماعها، من رواية إنجيل يوحنا قال في ص١٨ - ف٣٣: «ثم دخل بيلاطس أيضاً إلى دار الولاية، ودعا يسوع، وقال له: أنتَ ملكُ اليهود؟ أجابه يسوع: أمِنْ ذاتك تقولُ هذا، أم آخرون قالوا لك عني؟ أجابه بيلاطس الْعَلَّي: أنا يهودي، أُمَّتك ورؤساء الكهنة أسلموك إليّ، ماذا فعلتَ؟ أجاب يسوع: مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم، لكان خُدامي يجاهدون لكيلا أُسَلَّمَ إلى اليهود، ولكن الآن ليست مملكتي

من هنا، فقال له بيلاطس: أفأنت إذاً ملك؟ أجاب يسوع: أنتَ تقولُ إني ملك، لهذا قد وُلدت أنا، ولهذا قد أَتيتُ إلى العالم، لأشهد للحق، كل مَنْ هو من الحق يسمعُ صوتي، قال له بيلاطس: ما هو الحق؟ ولَمَّا قال هذا، خرج أيضاً إلى اليهود، وقال لهم: أنا لستُ أجدُ فيه عِلة واحدة، ولكم عادةٌ أن أُطلِق لكم واحداً في الفصح، أفتريدون أن أُطلِقَ لكم ملكَ اليهود، فصرخوا أيضاً جميعهم قائلين، ليس هذا بل باراباس، وكان باراباس لصاً.

فحينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجلده، وضَفرَ العسكرُ إكليلاً من شوك، ووضعوه على رأسه، وألبسوه ثوب أُرجوان، وكانوا يقولون: السلامُ يا ملكَ اليهود، وكانوا يلطمونه، فخرج بيلاطس أيضاً خارجاً، وقال لهم: ها أنا أُخرجه إليكم، لتعلموا أني لستُ أجد فيه علة واحدة، فخرج يسوع خارجاً، وهو حاملٌ إكليلَ الشوك وثوب الأرجوان، فقال لهم بيلاطس: هُوَ ذا الإنسان، فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام، صرخوا قائلين: اصلُبه اصلُبه؛ قال لهم بيلاطس: خذوه أنتم واصلبوه، لأني لست أجد فيه علة، أجابه اليهود: لنا ناموسٌ، وحسبَ ناموسنا يجب أن يموت، لأنه جعل نفسه ابنَ الله، فلما سمع بيلاطس هذا القول، ازداد خوفاً، فدخل أيضاً إلى دار الولاية وقال ليسوع: من أين أنت؟ وأما يسوع فلم يعطه جواباً، فقال له بيلاطس: أما تكلمني، أَلَسْتَ تعلمُ أن لي سلطاناً أن أصلبك، وسلطاناً أن أُطلِقَك؟! أجاب يسوع: لم يكنْ لك عليَّ سلطان البتة، لو لم تكن قد أُعطيتَ من فوق، لذلك الذي أسلمني إليك له خَطِيَّةٌ أعظم. من هذا الوقت كان بيلاطس يطلب أن يُطْلقه، ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين: إن أطلقتَ هذا، فلست محباً لقيصر، كُلُّ مَنْ يجعل نفسه ملكاً، يقاوم قيصر.

فلما سمع بيلاطس هذا القول، أخرج يسوع، وجلس على كرسي الولاية، في موضعٍ يقال له البلاط، وبالعبرانية جَبَّاثا، وكان استعداد الفصح، ونحو الساعة السادسة فقال لليهود: هُوَ ذا ملككم، فصرخوا: خُذْه خذه اصلبه، قال لهم

بيلاطس: أأصلبُ ملككم؟ أجاب رؤساء الكهنة: ليس لنا ملكٌ إلا قيصر، فحينئذٍ أسلمه إليهم ليصلب» انتهى.

أقول: لا يخفى على القارىء أن هذه الروايات التي أدرجناها، هي التي تَضمَّنَتْ صورةَ الدعوى على يسوع ومحاكمته والحكم عليه بالصلب، وبها تمسَّكت النصارى، على اختلاف مذاهبهم، والعاقلُ يعلم أنه لم يوجد في الأناجيل الأربعة اختلافٌ بين هؤلاء المُلْهَمين أشدُّ من اختلافهم في هذه القصة، والنصارى بأجمعهم يقولون بوجوبِ تسليم هذه الأناجيل، مع قولهم باتفاق مضامينها، وأن معتقدهم الوحيد هو صلب ذات المسيح، وليس عندهم مستندٌ في صلبِ ذاتهِ سوى هذه الأراجيف المتناقضة، ولا مرجِّح عندهم لإحدى هذه الروايات على ما سواها، فأيّ حجةٍ لهم بها؟!.

والدعوى لم تكن متفقة المضمون ولا متقاربة المعنى، مع قطع النظر عن الاختلاف في الحكاية لفظاً، أيقال إنه أُوحيَ إلى يوحنا ما يكذِّب متَّى، أو أُلهم لوقا خلافَ ما أُلهمه مرقس، وبالعكس، فلو كان اختصار في الألفاظ في إحدى الروايات، وبَسْطٌ في الأخرى، مع الاتفاق في المعنى، لقامَ لكم العذرُ بأن كتبكم هذه هي تاريخيةٌ لا إلهامية، أو لو قلتم بالترجيح في إحدى الروايات، ولا مرجّح عندكم، لكان قولُكم هذا محطاً للنظرِ إلا أنه قد اختلفت تلك الأراجيف في أصل الشكاية، فإنجيلٌ يقول: إن سبب رفع القضيةِ عليه تعليمُه من الجليل إلى بيت المقدس، والآخر يقول: إنه كان يُفْسِدُ في الأرض، ويدَّعي المُلكَ دون قيصر، ويمنع أن تُعطى الجزيةُ له. والثالث يسكتُ عن قصة الشكاية. ولم يَكْفِهم ذلك حتى اختلفوا في محلِّ تشكيلِ المحكمة.

فالمتبادر من إنجيل المترجم أن محاكمته كانت داخل بيت بيلاطس، ومرقس جعلها داخل دار الولاية، والتبس الأمرُ على لوقا، فسكت وجاءَ يوحنا، فكذَّبهما بأنهم لم يدخلوا الدار، وعلل بأن رؤساءَ اليهود لو دخلوا، وهم في استعدادِ

الفصح لتنجَّسُوا، ولم يكتفِ بهذه، بل كَذَّب الأناجيلَ الثلاثة في قولهم: إن يسوع لم يجاوبْ بيلاطس، حين استنطقه، حتى حكوا تَعجُّبَ بيلاطس من سكوتِ يسوع، ويوحنا نفى عن يسوع السكوت في المدافعة، فحكى من مدافعته ما حكاه أولاً وثانياً وثالثاً، ثم جاء مترجمُ متَّى، ولم يعلم أن رواة الأناجيل الثلاثة يكذِّبونه، فَقصَّ من رؤيا امرأة بيلاطس ما يعطِّفُ قلبَهُ على يسوع، وانفرد بذكر ذلك، حتى حكى ما يزيد حناناً في القلب، من أن بيلاطس غسل يديه قبل أن يحكم عليه. وَيْحَهُ! فليغسلْ صفحاتِ إنجيله من تلويثات كذبه.

وانظر إلى لوقا في اقتصاده الذي شهدنا له به، فإنه انفرد في مسألة هيرودس، ولم يعلم بموته، على رواية المترجم التي نقلناها قبل صحيفتين، والمسيح إذ ذاك صبيٌّ.

يا لَلنصارى لمثلِ هذا التناقض، فيما يُطلقون عليه أنه كلام الله تعالى! ولم يكتف لوقا بهذا البهتان، حتى جعل هيرودس الذي كان يتمنَّى رؤيا المسيح، وهو ممن ساكَنَهُ في البلدان، ألبسه ثياباً لامعة، واستهزأ به، مع أن الثلاثة كذّبوه، وقالوا: إن الذي ألبسه ثيابَ الشُّهرةِ هو بيلاطس وعسكره، وليتهم اتفقوا على لونِ ما ألبسوه إياه، فإن المترجم قال: ألبسوه رداءً قرمزياً، ومرقس قال: ألبسوه أرجوانياً، ولوقا يقول: ثياباً لامعة، ويوحنا يقول: ثوب الأرجوان، فهذا الاختلافُ يقتضي أن تكون الرواياتُ الأربعة كاذبة في ذلك.

وانظر إلى المترجم، فإنه يقول: عَرُّوه، ثم ألبسوه تلك الثياب. ومرقس لم يفهم من كلامهم أنهم عروه، بل ألبسوه الأرجوان فوق ثيابه، ووافقه في ذلك يوحنا.

ثم مَنْ نظر إلى اختلافهم في باراباس، يقضي بالعجبِ على عقولِ تلك الأمة، فإن المترجم ذكره بصفة أسيرٍ في سجن بيلاطس، وأن من عادةِ بيلاطس أن يُطْلِقَ

لهم في العيد أسيراً، فخيَّرَهم بين إطلاق يسوع أم باراباس. ومرقس ولوقا يثبتان أن باراباس كان موثوقاً في سجن بيلاطس، لجناية قَتْلٍ، ومرقس يقول: إن اليهود طلبوا إطلاق باراباس ابتداء، ولوقا يقول: إن بيلاطس كان مضطراً لإطلاق أسير، فخيَّرهم بين يسوع وباراباس ويوحنا يثبت أن باراباس كان لصاً، وشَذَّ عن فِكْر لوقا أن يذكرَ إكليلَ الشوك، فقد اقتصد في هذه المرة. والمترجم يقول: سَلَّموهُ قصبة في يمينه، ثم أخذوها منه، وضربوه بها. ومرقس لم يَرَ حكمةً في تسليمه القصبة، بل حكى ضربه بها. ويوحنا أثبت اللطم، وهذا لا يكون إلا بالأيدي، لا بالقصبة. والمترجم يقول: سجدوا له استهزاء، ثم بصقوا عليه. ومرقس جعل البصق أولاً، ثم سجدوا له.

ثم بعد قرون عديدة، في زماننا هذا، جاء حضرة صاحب «تحفة الجيل» فزاد في الطنبور نغمةً، وقال: إنهم نتفوا لحيته أيضاً، فانظروا عبادَ الله، أيحكي اللهُ تعالى مثلَ هذه الألفاظ في كتابِهِ المنزل؟! جَلَّ الله تعالى وعز عن حكاية ذلك.

ثم اتفق لوقا ويوحنا في ذِكْرِ شفاعة بيلاطس، عند اليهود في المسيح ثلاث مرات، والمترجمُ ومرقس مرةً واحدة؛ فهل بعد وجود هذا التناقض يستحسنُ العاقلُ، لهذه القصة التي احتوت على ضروبٍ من الكذب، وفنونٍ من اللهو واللعب، أنْ يقصَّها أمام مخالفية، ويدّعي أنها حجة دامغة؟! وهل هناك إلا مجرد الوهم في إمكان وقوع ما ذكروه على سبيل المجازفة، من دون علمٍ بكيفيتهِ وماهيَّته وخصوصيته وعلاقته، مما لم يتفوّه به أحد من المؤرخين، فكيف يليقُ بالقوم إسناد ذلك إلى الوحي والإلهام؟!

وليت شعري! ما حجة القوم فيما ذكره لوقا، من أن الذين استهزؤوا بيسوع، وألبسوه تلك الثياب اللامعة، هم هيرودس وجنده، خلافاً لما ذكره المترجم ومرقس، من أنهم كانوا جند بيلاطس، أيصحُّ للقوم التوفيق بين هؤلاء الملهمين، أم يقولون بتكذيبِ أحدِهم وتصديقِ الآخر، ولا مرجِّح لأحدِ أقوالهم؟ وأين

الجَلْدُ الذي ادعى يوحنا وقوعه من بيلاطس، والثلاثة لم يذكروه. ودعوى النصارى أن إهانة يسوع دليلٌ على ألوهيته، والحال أن الأمر بالعكس.

أيها المسيحي المنصف! تأمَّلْ - هداك الله - في هذه الأخبار المتباينة، التي تريد من مدلولها أن تُثبتَ خبرَ صلب ذات المسيح، عليه السلام، أيَليق أن تنسبَ لنفسك هذا التباينَ والتناقض، وترى ذلك من الشرف، وأنت تُقِرُّ بأنك عبدٌ، ترِدُ مواردَ الخطأ والسهو والنسيان؟! فإن كنتَ لم تستحسن ذلك لنفسك، فكيف يليق بك أن تفتري على الله تعالى الكذب، وتجعل كلامه المنزه هدفاً للنقيصة والعيب؟.

ويحك! أي دليل يقف لك أمام القرآن العظيم الناطق بالحق في قوله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء] وهو على ما هو عليه من الإحكام في الأحكام، وقد تواترَ نقلُه حرفاً بحرف، ورُتِّبت آياتُه أبدع ترتيب، وأَعجزتْ كلماتُه الإنسَ والجن من أن يأتوا لها بمثيلٍ أو نظير، أَتكذِّبهُ، وتُصدِّق قصصَ قوم، قام البرهانُ العقلي والنقلي على كذبهم، ونَبَأُهم لا يخرج عن كونه خبرَ واهِمٍ غير محقق ولا معاين، مع وجود التناقض في آياته، والتباين في وجوه دلالته، وعقلاؤكم يقرون باشتماله على تحريف الكاتب، بعد إقرارهم باحتوائه على الغلط في النقل والمنقول عنه.

وتأمَّلْ - أنارَ اللهُ بصيرتكَ - في آيةٍ واحدة منه، ترى هؤلاء الذين تدعي أنهم مُلْهَمون، لم يتفقوا على إيرادها بلفظها، بل الواحد منهم يوردها على سبيل الشك، والثاني بالسلْب، وآخر بالإيجاب، وهكذا في كل ما أوردوه. سبحانك اللهم ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].

لا عيبَ في القوم من طول ومن قصَر جسم البغال وأحلام العصافير

ويلٌ لمن يعبد من دون الله ما لا يملك له نفعاً ولا ضراً، ثم يُوجبُ على هذا

المعبود التحقيرَ والذلّ، ولو قاس نفسه بعَبَدة الأوثان؛ لوَجَدَهم أحسن حالاً، في توقيرهم وإعزازهم لآلهتهم.

يكفي العاقل في رجوعه عن الباطل إلى الحق أن يتأمَّلَ قولَ مترجم متَّى، بأن بيلاطس بعد أن جلَدَ المسيح، سلّمه إلى العسكر، وبصقوا عليه، ووضعوا على رأسه تاج الشوك، وأخذوا القصبة، وضربوه على رأسه، وبعدما استهزؤوا به، نزعوا عنه الرداء، وألبسوه ثيابه، ومضوا به للصلب. أَيليقُ بالوحي أنْ يقصَّ هذا الأمرَ الفظيع والخبر الشنيع، ويسند وقوعه عن بيلاطس، بعد أنْ حكى حُسْنَ اعتقاده فيه، أيقبلُ عقلُ الصبي الذي لم يبلغ الحلم تلك الخرافات؟! كلا! ولو اقتصرت رواة الأناجيل على ذكر أحد الخبرين، لاحتُمِلَ وجهٌ للتصديق، اللهم لك الحمدُ إذ طهّرتَ ضمائرنا عن مثل هذا الاعتقاد الفاسد، وأوجبتَ علينا الإيمان الكامل بعبدك ورسولك عيسى ابن مريم، صلى الله عليه وسلم.

والبصير إذا نظر إلى باقي القصة، يقضي بالعجب.

ثم قال المترجم - ف٣٢: «وفيما هم خارجون، وجدوا إنساناً قيروانياً، اسمه سمعان، فسخّروه ليحمل صليبه، ولما أتوا إلى موضع، يقال له: جلجثة، وهو المسمى: موضع الجمجمة، أعطوه خلاًّ ممزوجاً بمرارة ليشربَ، ولما ذاق، لم يُرِدْ أن يشربَ، ولما صلبوه، اقتسموا ثيابه مقترعين عليها، لكي يتمَّ ما قيل بالنبيِّ: اقتسموا ثيابي بينهم، وعلى لباسي ألقوا قرعة، ثم جلسوا يحرسونه هناك».

أقول: قبل أن أُعارضَ هذا الكلامَ بسهام الملام، نبحث عن هذه النبوة التي ذكرها، في خلال كلامه، وأتى بها مَن اعتاد الكذبَ على الله ورسوله، لإثباتِ مرامه، فنقول: قال العلامة الشيخ رحمة الله الهندي، في المقصد الثاني، من الباب الثاني، من كتابه «إظهار الحق» ما لفظه: فهذه العبارة: «ليكمل قولُ

النبي، حيث قال: اقتسموا لباسي، واقترعوا على قميصي» محرَّفة واجبة الحذف، عند محققيهم، ولذلك حذفها كريسباخ، وأثبت هورن بالأدلة القاطعة، في الصفحة ٣٣٠ و٣٣١ من المجلد الثاني من تفسيره، أنها إلحاقية، ثم قال: لقد استحسن كريسباخ في تركها، بعدما ثبت عنده أنها كذبة قطعاً، وقال [لوطر كلارك] في المجلد الخامس من تفسيره، في ذيل الآية المذكورة: لا بد من ترك هذه العبارة، لأنها ليست جزءً من المتن وتركها النسخ الصحيحة، وكذا تركها التراجم إلا شذوذا، وكذا تركها غير المحصورين من القدماء، وهي إلحاقية صريحة، أخذت من الآية الرابعة والعشرين، من الباب التاسع عشر، من إنجيل يوحنا» انتهى.

لقد سَفهت - والله - أحلامُ قومٍ، لم ينتبهوا إلى هذا الإلهام، وإلى مثل هذا الكلام. ولنعد إلى تمام ذكر هذه الروايات المتناقضة، بعد أن تتم عبارة المترجم إلى نهاية الفصل، لتتضح حقيقةُ الحالِ للمطالع، قال - ف٣٧: «وجعلوا فوق رأسه عِلَّتهُ مكتوبةً: هذا هو يسوع ملك اليهود، حينئذ صُلِب معه لصان، واحد عن اليمين وواحد عن اليسار، وكان المجتازون يجدّفون عليه، وهم يهزون رؤوسهم قائلين: يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام: خَلِّصْ نفسك إنْ كنتَ ابنَ الله، فانزلْ عن الصليب، وكذلك رؤساء الكهنة أيضاً، وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ، قالوا: خَلَّصَ آخرين، وأما نفسُه فما يقدرُ أن يخلِّصها، إنْ كان هو ملكَ إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب، فنؤمنَ به، قد اتَّكلَ على الله، فلينقذه الآن إنْ أراده، لأنه قال: أنا ابنُ الله، وبذلك أيضاً كان اللصان اللذان صُلِبا معه يُعَيِّرانهِ».

وأما مرقس فقد أورد ما هو قريب منها، إلا أنه خالفه في البعض، وحكايته في - ص١٥ - من ف٢١ إلى نهاية - ف٣٢ فزاد على المترجم بقوله: «إن الرجل الذي سخّروه لحمل الصليب، كان آتياً من الحقل» وزاد على اسمه أيضاً

لقبه «أبو الكَسَنْدَرُس وروفُس» وكَذَّبَ المترجمَ بأنه «لم يذق الخل» وناقضه بها، وكأنه لم يرض بما نقله المترجم، من الإشارة إلى أن الاقتراع على ثياب المصلوب كان نبوةً، ولكنه ذكر نظيرها بقوله ف٢٨ «فتم الكتاب القائل: وأُحصيَ مع أَثَمَة» وعَيَّنَ وقتَ الصلب، بأنه كان في الساعة الثالثة، خلافاً للثلاثة، لأنهم قالوا: كان في الساعة السادسة، ولم يذكر أن المجتازين كانوا يجدّفون عليه استهزاءً، وكل ذلك لم يذكره المترجم.

وأما مرقس ما كان في تلك أصدقَ من المترجم، وبعد هذا فليطالع القارىء حكايةَ المستهزئين ومناقشاتهم، وتضارُبَ الأناجيل في أقوالهم، ويعلم ما بين الروايتين من التباين.

وأما لوقا فقد أغرب وقال في ص٢٣ - ف٢٦: «ولما مضوا به، أمسكوا سمعان رجلاً قيروانياً، كان آتياً من الحقل، ووضعوا عليه الصليب، ليحمله خلف يسوع، وتبعه جمهورٌ كثير من الشعب والنساء اللواتي كن يلطمن أيضاً، ويَنُحْنَ عليه، فالتفتَ إليهن يسوع وقال: يا بنات أورشليم: لا تبكين عليّ، بل ابكين على أنفسكنَّ وعلى أولادكن، لأنه هُوَ ذا أيامٌ تأتي، يقولون فيها: طوبى للعواقرِ والبطونِ التي لم تلد، وللثدي التي لم ترضع، حينئذٍ يبتدئون يقولون للجبال: اسقطي علينا، وللآكام: غطينا، لأنه إن كان بالعُود الرَّطْب يفعلون هذا، فماذا يكون باليابس».

أقول: سبحان مَنْ أنطقه، وهو في تلك الساعة، في حالةٍ تغيبُ فيها العقول، ولا يُجدي فيها الكلام نفعاً، وأسكته في ديوان بيلاطس الحاكم، مع عِلْم المصلوب بأن هذا الحاكم الموكل بالأمر وتنفيذ الحكم عليه، كان مضاداً لأخصامه، وقد أجهدَهُ أنْ ينطقَ ولو بكلمةٍ واحدة، يدافع بها عن نفسه. ثم العجَب لباقي الأناجيل، كيف لم تأت بذكر كلمة واحدة من خطابه للنساء!! ولا غرو في ذلك، فلعلَّ لوقا ظن أن يسوع كان إذ ذاك في الهيكل السليماني، يَعِظُ

النساء، ويضرب لهن الأمثال، أو لعلَّ الوحيَ خَصَّ لوقا بهذه الفقرة، كما خص غيره من جماعته الملهمين بغيرها، سبحان المانح الوهاب. وباقي رواية لوقا - ف٣٢ «وجاؤوا أيضاً باثنين آخرين مذنبين، ليُقتلا معه».

أقول: الظاهر من لغة الوحي أن القتلَ بمعنى الصلب، حتى انفرد لوقا بلفظ القتل عوض كلمة الصلب، خلافاً للثلاثة وأردف كلامه - ف٣٣: «ولما مضوا به إلى الموضع الذي يدعى جمجمة، صلبوه هناك مع المذنبين، واحد عن يمينه، والآخر عن يساره، فقال يسوع: يا أبتاهُ اغفرْ لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون، وإذ اقتسموا ثيابه، اقترعوا عليها، وكان الشعب واقفين ينظرون، والرؤساء أيضاً معهم يسخرون به قائلين: خلّصَ آخرين، فليخلِّصْ نفسه إن كان هو المسيحَ مختارَ الله، والجند أيضاً استهزؤوا به، وهم يأتون ويقدمون له خلاًّ قائلين: إنْ كنتَ أنتَ ملك اليهود، فخلِّصْ نفسك».

أقول: فكان الواجبُ على هذا المصلوب، وهو الإلهُ بزعمهم، أن لا يدعوَ إلّه غيره، بل يقول: غفرتُ لكم، لأنكم ألبستموني تاج الشوك. ثم قول الجند: «إن كنت أنت ملك اليهود» إلخ لا أصلَ له، لأنه من أين للملوك صفة لاهوتية، تُخلِّصُهم حتى يقال له ذلك، وأما قوله عن لسان اليهود: إن كان هو المسيحَ مختارَ الله، أي نبيَّ الله، فليخلِّصْ نفسه، فمعقولٌ ومحتملٌ صدورُه منهم، لأنه نبيٌّ كريم ورسول عظيم، لا يبعد على الله أن يخلصه من الصلب، ويرفعه إليه حياً مبجَّلاً معجزة له، كما أجرى على يده معجزات كثيرة، كإحياء الموتى وغيره، ثم قال: «وكان عنوان مكتوب فوقه، بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية: هو هو ملك اليهود».

أقول: هذه أيضاً من مخترعاته، فإن المترجم ومرقس لم يذكرا تلك الأحرف، وسيأتي قريباً في رواية يوحنا، بدل الرومانية لاتينية، والصحيفة واحدة، ولم يكفهم الاختلافُ في ذات العنوان، حتى اختلفوا أيضاً في الأحرف التي رسم بها

ذلك العنوان أيضاً، وهذا دليلٌ على أن النصارى لم يكن عندهم من خبرِ المصلوبِ عِلْمٌ، بل قالوا ذلك رجماً بالغيب، بعد مضيِّ القرن الأول، فلا يسع العاقل، بعد أن اطلع على اختلافهم وخبطهم، في كليات ذلك الأمر وجزئياته، أن ينكر قوله تعالى ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۝١٥٧﴾ [النساء].

ثم قال لوقا - ف٣٩ من هذا الإصحاح: «وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلاً: إنْ كنتَ أنت المسيح، فخلِّصْ نفسك وإيانا، فأجاب الآخر وانتهره قائلاً: أَوَلا أنتَ تخافُ الله، إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه، أما نحنُ فبعدلٍ، لأننا ننالُ استحقاقَ ما فعلنا، وأما هذا فلم يفعلْ شيئاً ليس في محله، ثم قال ليسوع: اذكرني يا رَبُّ متى جئتَ في ملكوتك، فقال له يسوع: الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس».

أقول: لا يخفى على القارىء، أن بين لوقا وصاحبيه المترجم ومرقس، في قضية استهزاء اللصين، اختلافاً، لا يُنكِرُه إلا مَنْ أنكر المحسوس، وعبارتهما تقدمت ومفادها أن اللصين كانا يستهزئان به، ولوقا انفرد بقوله: إن المستهزىء واحد منهما، وإن الآخر كان يُعَنِّفُ رفيقه، ويزجره على استهزائه، فإذاً لا بد من تكذيب إحدى الروايتين، وهنا أمر يقتضي التنبيه عليه، وهو أن المسيحيَّ لا يكملُ إيمانه حتى يعتقدَ أن المسيح مكث بعد الصلب، في بطن الأرض، ثلاثةَ أيام وثلاث ليال، كما في الأناجيل الأربعة، ووَعْدُ المسيح هنا لأحد المصلوبين بقوله: «إنك اليوم تكون معي في الفردوس»، يكذِّب روايات الصلب والقيام بعد ثلاثة أيام، وإن صدّقنا رواية بقائه، في بطن الأرض، ثلاثة أيام وثلاث ليال، يلزم تكذيب وعده للمصلوب: «اليوم تكون معي في الفردوس»، وإن أغمضنا عن المباينة بين الروايتين، وصدّقنا الجهتين، أي: وعْدَه للمصلوب، وروايات القيام، يلزم حينئذٍ تكذيبُ الأناجيل الأربعة، لأنها اتفقت على دفنه ليلة السبت، وقيامِه ليلة الأحد صباحاً، فإذاً لم يبق إلا يوم واحدٌ وأقل من ليلتين، فثبت بالبداهة

كذب الرواة والأناجيل الأربعة معاً، وإلا فيلزم تكذيب عيسى، عليه السلام، وتكذيبه كفر؛ وهنا مسألة أخرى أيضاً أجلُّ نظراً في الدقة من الأولى، ومحصّلها أن المسيحَ كان يعتريه العوارضُ البشرية في الدنيا، وهي من صفاتِ الحوادث، وكذلك هي ملازمةٌ له في الآخرة غير منفكّةٍ عنه، وذلك مُستفادٌ من قول المسيح: «تكون معي في الفردوس».

ولو كان المسيح هو ذات الله بعينه، لكان جوابُه لهذا المصلوب «قد أنعمتُ عليك بالجنةِ مع الأبرار» وتلك الساعةُ آخر ساعةٍ من حياة هذا الإله، ولم يكن محذوراً من إظهار دعوته بالألوهية، لأنه حينئذ لا يخاف من أحد، كما قيل: [ما وراءَ عبادان قرية] ولكن ختمَ اللهُ تعالى على قلوبِ هؤلاء القوم، فلا يكادون يفقهون حديثاً.

هذا ومن تأمل في زجرِ أحدِ اللصين لرفيقه، وقوله له: «أولا أنت تخافُ الله» علم بأن المسيح لم يدَّعِ الألوهية، لأنه حكم على هذا القائل بالإيمان، وجعله من الأبرار، بهذه الكلمة، وهذا أوردناه إلزاماً للنصارى، لا اعتقاداً بالصلب.

ثم لنذكر فصلاً من رواية يوحنا، في هذا الباب في - ص١٩ - ف١٧ من إنجيله قال: «فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له: موضع الجمجمة، ويقال له بالعبرانية: جلجثة، حيث صلبوه وصلبوا اثنين آخرين معه، من هنا ومن هنا، ويسوع في الوسط، وكتب بيلاطس عنواناً، ووضعه على الصليب، وكان مكتوباً: يسوع الناصري ملك اليهود. فقرأ هذا العنوانَ كثيرون من اليهود، لأن المكان الذي صُلِبَ فيه يسوع كان قريباً من المدينة، وكان مكتوباً بالعبرانية واليونانية واللاتينية، فقال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس: لا تكتب ملك اليهود بل إن ذاك قال: أنا ملكُ اليهود، أجاب بيلاطس: ما كتبتُ قد كتبتُ.

ثم إن العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع، أخذوا ثيابه، وجعلوها أربعة أقسام، كل عسكري قسماً، وأخذوا القميص أيضاً، وكان القميص بغير خياطة منسوجاً كله من فوق، فقال بعضهم لبعض: لا نشقُّه، بل نقترع عليه، لِمَنْ يكونُ، ليتم الكتاب القائل: «اقتسموا ثيابي بينهم، وعلى لباسي ألقوا قرعة»، هذا فعله العسكر، وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية، فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً، قال لأمه: يا امرأة هو ذا ابنك، ثم قال للتلميذ: هو ذا أمك، ومن تلك الساعة أخذها التلميذُ إلى خاصته، بعد هذا رأى يسوع أن كلَّ شيء قد كمل، فلكي يتم الكتاب قال: أنا عطشان، وكان إناء موضوعاً مملوءً خلاًّ فملؤوا إسفنجة من الخل، ووضعوها على زوفا، وقدموها إلى فمه، فلما أخذ يسوع الخل قال: قد أُكْمِلَ، ونكَّس رأسه، وأسلمَ الروح» انتهى.

أقول: لقد علمتم أيها النصارى أن معظم حجتكم التي تناضلون فيها، على صلب عيسى، وقيامه من الأموات، هو عبارة عن هذا الإصحاح، ومن البيِّن أن روايات الصلب، لم تكن مرويةً عن المسيح، لأنه حينئذٍ كان أسيراً بيد أعاديه، فلذلك لا يصحُّ قولُهم أنها من الإنجيل، ويا ليتَ هذه الأخبار تشبه التواريخ، بل هي عبارةٌ عن خبيصةِ أقاويل محكيةٍ عن جَهَلةِ أساقفتكم المختلفة، بنصوصِ أناجيلكم الأربعة، كما قالت أفاضلكم بأنها صادرةٌ من حاطبِ ليلٍ، ومع هذا إنْ أغمضنا وقلنا: إنهم مُلْهَمُونَ، كما تزعمون، ينبغي أن تكون أقوالهم سالمةً عن التناقض والاختلاف، وإلا فكيف يختلفُ خبرُ الوحي والإلهام؟!

ولنذكر بعضاً من الاختلافات والمناقضات، ليزداد المسيحي الفطِن يقيناً، بأن النصارى في عمى من الجهل، لا يميزون بين الرطب واليابس، وها أنا أذكر بضعة عشر اختلافاً، بعدد فقرات الجملة المروية عن مترجم متى، وأحيل النظر في باقي الاختلافات إلى فِكْر المطالع.

فأقول: **الاختلاف الأول** في حامل الصليب: اتفق المترجم ومرقس ولوقا على أن الذي حمل الصليب، هو سمعان القيرواني، واختلفوا في باقي الحكاية، فالمفهوم من عبارة المترجم أنهم وجدوه، وهم خارجون بالمصلوب ليصلبوه، فسخَّروه بحمله. ومرقس قال: إنه كان مجتازاً بهم في مجيئه من الحقل، لكنه استدرك على المترجم خوفاً من اشتباهه بغيره، فقال: إنه (أبو الكسَنْدَرُس وروفس) ولوقا توسط بين الاثنين، لأنه سبق منه الوعدُ بأنْ يأتينا بأصحِّ الأخبار، وجاءت شهادةُ يوحنا مُكَذِّبةً للثلاثة، فقال: إن حامل الصليب نفس المصلوب، فتفكر.

الاختلاف الثاني: في إسقاء المصلوب، حيث اختلفوا في نوع الشراب، وسبب إسقائه ووقته ومكانه، فالظاهر من رواية المترجم أنهم أعطوه خلاًّ ممزوجاً بمر، قبل الصلب، وبعد أن ذاقها ردها، وبعد الصلب قال: إنهم أعطوه خلاًّ في إسفنجة، وجعلوها على قصبة، وسقوه بدون طلب منه، وخالفه مرقس في النوع فقال: إنه خمر ممزوج بمرّ، فردَّهُ المصلوبُ قبل الذوق، ووافقه في المكان والوقت، وجعل الثانية خلاً، ولم يذكر هل شربها أم رَدَّها. ورواية لوقا مباينةٌ لهما، فاقتصر على مرة واحدة، ووضّح النوعَ بأنه خل صِرْف، وأنه أُعطيَ بلا طلبٍ منه، وأنه حالَ كونِه مصلوباً قدموا له ذلك استهزاء، ولم يذكر أنه شرب أم لا، ومقتضى كلام يوحنا أن ذلك كان مرة واحدة، بطلبٍ من المصلوب، إذ قال: أنا عطشان، فناولوه خلاً صرفاً في إسفنجة، ووضعوها على زوفا، فقدموها إلى فمه، فأخذها، أي: فشربها.

والعجب من الثلاثة، كيف فاتهم ذكر النبوة التي ذكرها يوحنا بقوله: «فلكي يتم الكتاب قال: أنا عطشان، إلى آخر ما ذكره» وأراد بالكتاب المزمور الثامن والستين، من النسخة القديمة، وأنا أُمثِّلُ لك أول العبارة، لترى رأيك في هذا الاستنباط العجيب، فقد قال في ف٢١ من المزمور المذكور، عنه مناجاة داود

عليه السلام لربه، وشكايته من قومه، في جملةِ كلامٍ طويل ما نصه: «وانتظرتُ مَنْ يحزن معي، فلم أجد، ومُعَزّين فلم أُصِبْ، جعلوا في طعامي مرارة، وفي عطشي سقوني خلاً، فتصير مائدتهم قدامهم فخاً للمجازات والشك»[1] إلى آخر مناجاته عليه السلام، فأينَ هذا من ذاك، وأين السمكُ من السَّمَّاك؟!.

وقد حضرني في ذلك جواب حسن، أذكره للمطالع، وهو أن النبوات التي نقلتها الأناجيلُ الأربعة، من أسفار الأنبياء، أتت متفرقةً في كتب الأنبياء، على ما يزعمونه، فلعلَّ الوحيَ رأى أن من الحكمة أن يفرقها على المُلْهمينَ الأربعة، فاختصَّ متَّى بذكر نبوة [الاقتراع على ثياب المصلوب] واختص مرقس بذكر نبوة كون [المصلوب يُصلب مع أَثَمة] ويوحنا بما ذكره من طلب المصلوب ماء، وبقي لوقا محروماً من تلك المزِيّة، لكن الرجل اعترف، في بداية إنجيله، بأنه ليس بملهم، بل يروي عن الذين كانوا، منذ البدء، مُعاينينَ وخُدَّاماً للكلمة، ولكنني أراه قد خالف وعده، في بعض المواضع أيضاً، فذكر رواياتٍ بالإلهام غير معقولة، ولم تذكرها الأناجيل الثلاثة، كذكرِه تقريعَ المصلوبِ لبناتِ أورشليم، ودعائه للذين صلبوه بالغفران.

الاختلاف الثالث: في الاقتراع على ثياب المصلوب، فظاهر رواية مترجم متَّى، أنهم اقتسموا الثياب، واقترعوا عليها، واستشهدَ بالنبيِّ القائل «اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي ألقَوا قُرْعة» وكذا رواية مرقس ولوقا إلا أنهما لم يستشهدا بكلام النبي. والثلاثة لم يعيّنوا مقدار الحِصص وعدد المقسوم عليهم. وأما يوحنا فذكر أن المقسوم عليهم أربعة، وجعل القرعة على القميص فقط، لأنه منسوجٌ كله من دون خياطة. ويُفْهَمُ من قوله، أنه صارَ لواحدٍ من الأربعة

---

(١) في طبعة القاهرة لعام ١٩٦٩ دار الكتاب المقدس جاءت العبارة بألفاظ أُخَر وفي المزمور ٦٩: «انتظرت رِقَّةً فلم تكن، ومُعَزِّينَ فلم أَجِدْ، ويجعلون في طعامي علقماً، وفي عطشي يسقونني خلاً. لتَصر مائدتهم قُدَّامهم فخاً وللآمنين شَرَكاً».

بالقرعة، بدون قِسمةٍ، وناقضَ قولَهُ بقولِهِ: «ليتم الكتاب القائل اقتسموا ثيابي بينهم، وعلى لباسي ألقوا قرعة» لأنهم لم يقترعوا على لباسه، بل على قميصهِ فقط.

والعجب من يوحنا في ضبطه مسألة القميص ضبطاً كلياً، وقد فاته ذِكْرُ موعظةِ المصلوبِ للنائحات عليه، مع أن العذراء وأختها كانتا مع النسوة، وذلك أهم ذِكْراً، وقد حضر بنفسه الواقعة، على ما يظهر من كلامه، بأنه كان واقفاً مع العذراء.

الاختلاف الرابع: في العنوان، واختلافهم عليه أشبه باختلافهم في سقاء المصلوب، بل أشد تناقضاً واختلافاً، فإن مترجم متَّى قال: «جعلوا فوق رأسه عِلَّته مكتوبة: هذا هو يسوع ملك اليهود». ولوقا ويوحنا تَفَنَّنا في ذلك، فقال الأول: «وكان عنوان مكتوب فوقه، بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية، هذا هو ملك اليهود». وقال الثاني: باللاتينية، عوض الرومانية مع أن في ذِكْرِ الرومانية حكمةً، لكونها لسانَ الحكومة إذ ذاك. ويدل كلام يوحنا على وقوع مجادلة بين اليهود وبيلاطس، من جهة العنوان، لم تذكرها الثلاثة.

الاختلاف الخامس: قد انفرد مترجمُ متَّى في حراسة المصلوب، ولم تذكر ذلك الثلاثة.

الاختلاف السادس: في رفيق المصلوب، قال المترجم ومرقس: إنهما كانا لِصَّين. وقال لوقا: إنهما كانا من المذنبين. ويوحنا لم يذكر جريمتهما التي استحقا بها الصلب مع هذا الإله المهان.

الاختلاف السابع: في المستهزئين بالمصلوب، فالمفهوم من رواية مترجم متى، أن المارين ورؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ واللصين اللذين صلبا معه، كلهم كانوا يستهزئون به، وكان استهزاء المارين بقولهم: «يا ناقضَ الهيكل وبانيهِ

في ثلاثة أيام، خَلِّصْ نفسك، إنْ كنتَ ابنَ الله» وأن الرؤساء واليهود كان استهزاؤهم بقولهم: «خلَّصَ آخرين، وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها» إلى آخر حكايته، وكان اللصان يعيّرانه، ووافقه مرقس في أغلب الرواية، مع اختلاف في بعض الألفاظ.

ومن دسائس المترجم أنه قال بأن المجتازين كانوا يجدّفون على المصلوب، ويقولون له: «خلّص نفسك، إن كنت ابنَ الله»، وهذه الجملة لم يذكرها مرقس، وقصد المترجم بذكرها نسبة هذه الدعوى إلى عيسى، وحاشاه من ذلك، وخالفهما لوقا فقال: «وكان الشعب واقفين ينظرون، والرؤساء معهم أيضاً يسخرون به، وكانت سخريتهم به بقولهم: خلَّص آخرينَ، فليخلِّصْ نفسه. والجند أيضاً استهزؤوا به قائلين: إن كنت أنت ملك اليهود، فخلّص نفسك»، فهذا كلامٌ فاسد بارد، لا ينطقُ به الوحيُ، لأن ملك اليهود من أين له قوة قدسية، حتى يُقَالَ له: «إن كنت ملك اليهود، خلّص نفسك»، وذكر أن واحداً من المذنبين جدّف عليه، إلى آخر ما حكاه، فلم يتفق مع صاحبيه بنوعٍ من أنواع السخرية التي كان يسخر بها المجتازون على المصلوب.

ويوحنا خالف الثلاثة ولم يذكر استهزاءهم عليه، سوى أنهم قالوا له: السلام عليك يا ملك اليهود فقط، مع أنه كان حاضراً وقت الصلب، ولم يذكر حرفاً مما ذكره الثلاثة، فيكون الثلاثة قد كذبوا في ذلك، فسقطت الحكايةُ من طرفيها.

الاختلاف الثامن: ذكر الوقت الذي صلب فيه المصلوب، والعجب لهؤلاء الرواة، إذ فاتهم أن يذكروا ذلك إلا مرقس، فإنه صرح بأن الساعة التي صلب فيها، هي الساعة الثالثة، وهل عند القوم أفضل من هذه الساعة، إذ فيها صَحَّ لهم الفِداء، وأصبحوا فرحين بصلب هذا الإله المُهان، عن هذه الشرذمة التي كانت مستحقة الخلود في جهنم أبداً، ففداهم هذا الإله بصلبِ ذاته، حتى استحقوا الملكوت.

ولم أتكلم بتلك الكلمات، على طريق السخرية بالنصارى، بل وجدت صاحب «تحفة الجيل» من أفاضلِ علمائهم سماه «بالإله المُهان» فحذوتُ حذْوَهُ، والقوم يعتقدون أن ذاتَ المصلوب هو ربهم، وأنه فداهم بنفسه، فصلب ذاته، فذكرت ذلك تبعاً لعادتهم وعقيدتهم.

الاختلاف التاسع: فيما ذكره لوقا وحده، قول المسيح: «يا أبتاه اغفرْ لهم، لأنهم لا يعلمون ما يفعلون» فإن هذه العبارة لم تذكرها الثلاثة، فكيف تَصدرُ من لوقا، وهو وَعَدَ، في مبدأ إنجيله، بأنه لم يذكر شيئاً في تاريخه، إلا بعد تيقُّنِهِ بالأمور، من الذين كانوا مشاهدينَ وخُدَّاماً للكلمة، ويشير بهذا إلى متَّى ويوحنا والحواريين، وهذا متَّى ويوحنا ومرقس لم يذكروا حرفاً واحداً من ذلك، مع أن هذه الكلمة أتت ضربةً قاضية على العقيدة النصرانية، فقلعت أُسَّها، وجعلت عاليها سافلها، لأنها أثبتت لنا أمرين عظيمين.

الأول: أنَّ المسيح ليس بيده من الأمر شيءٌ، كسائرِ البشر، وأن الأمر كله لله الذي خَلَقَهُ وأمه البتول.

والثاني: أن المسيح لم يُصْلَبْ، ليفديَ الناس من خطيئة آدم، كما زعموا، بل صَلْبُهم للمصلوب كان جهلاً وعناداً، ولو كان المسيح إلَهاً، لخاطبهم بقوله: إني غفرتُ لكم، لأنكم لا تعلمون ما تفعلون. والعجب من الإنجيليين الملهمين الثلاثة، كيف ساغ لهم ابتلاع هذه الجملة، أو كيف اختلقها لوقا رغماً على الباقين.

الاختلاف العاشر: انفراد يوحنا بقوله: «وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم إلى آخر ما ذكره»، وباقي الأناجيل لم تذكر مِن هذا الوحي حرفاً واحداً، وتلك خيانةٌ تقضي على كاتمها بالحَدِّ، ويوحنا هو أصدق منهم إلا أنه هرب عرياناً حين قبضت اليهود على المسيح، فكيف تجاسرَ في الحضور إلى أن

وقف مع العذراء، بين تلك الجماهير من اليهود، في حالة صلب المصلوب.

وسيأتي عن يوحنا نفسه، في الإصحاح العشرين - ف١٩ أنه قال: «وكانت الأبواب مغلقة، حيث كان التلاميذُ مجتمعين لسببِ الخوفِ من اليهود»، إلى آخر ما سيحكيه، فالظاهر أن إحدى الجملتين مدسوسة من الأساقفة في إنجيله، أو هذا التناقض من تحريف النساخ أو المطابع، كما أثبتناه آنفاً في طبع بيروت الأخير.

الاختلاف الحادي عشر: أن ما حكاه يوحنا، من صفة الموتةِ التي ماتها هذه الإلهُ المصلوب، مخالفٌ لما ذكره الثلاثة. وعبارة يوحنا تقدم نصها، وإليك باقي الروايات الثلاثة.

قال مترجم متَّى - ف٤٥ من هذا الإصحاح «ومن الساعة السادسة كانت ظلمةٌ على كلِّ الأرض إلى الساعة التاسعة، ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي! لَمَا شبقتني، أي إلهي إلهي! لماذا تركتني، فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا: إنه ينادي إيلياء، وللوقت ركض واحد منهم، وأخذ إسفنجة، وملأها خلاً، وجعلها على قصبة، وسقاه، وأما الباقون فقالوا: اترك لنرى هل يأتي إيلياء يخلّصه، فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم، وأسلم الروح، وإذا حجاب الهيكل قد انشقَّ إلى اثنين، من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تَشقَّقَتْ، والقبور تفتَّحت، وقام كثير من أجساد القدِّيسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينةَ المقدسة، وظهروا لكثيرين. وأما قائد المئة والذين معه، يحرسون يسوع، فلما رأوا الزلزلة وما كان، خافوا جداً، وقالوا: حقاً كان هذا ابنَ الله، وكانت هناك نساء كثيرات، ينظرون من بعيد، وهُنَّ كُنَّ قد تبعن يسوع من الجليل، يخدمنه، وبينهن مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب ويوسي وأم ابني زيدي» انتهى.

وعبارة مرقس في ص١٥ من ف٣٣ إلى نهاية ف٤١ مخالفة لعبارة متَّى فقد أورد فيها بدل «إيلي إيلي» «الوي الوي» وسكت عن مسألة الزلزلة وخوف قائد المئة والذين معه منها، لكنه أتى بشهود، من النساء، علاوة على ما ذكره المترجم، وقال: إن الصلب كان في الساعة الثالثة خلافاً لمقالة الثلاثة.

وعبارة لوقا في ص٢٣ - ف٤٤: «وكان نحو الساعة السادسة، فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة، وأظلمت الشمس، وانشق حجاب الهيكل من وسطه، ونادى يسوع بصوت عظيم، وقال: يا أبتاه! في يديك أستودعُ روحي، ولما قال هذا، أسلم الروح، فلما رأى قائد المئة ما كان، مَجَّدَ الله قائلاً: بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً، وكلّ الجموع الذين كانوا مجتمعين بهذا المنظر، لما أبصروا ما كان، رجعوا وهم يقرعون صدورهم، وكان جميع معارفه ونساء كُنَّ قد تَبِعْنَهُ من الجليل واقفين من بعيد، ينظرون ذلك».

أقول: إن روايات الثلاثة، وإن أدرجناها في ضمن الاختلافات التي عددناها على المترجم إجمالاً قد تضمنت من التناقض الكلي ما يقضي على السامع بالعجب، عندما يتأمل سِرَّ هذا التناقض، لأن روايات الأربعة نُصْبَ عينِ المُطالِع، فلم يتفقوا ويتواطؤوا إلا على صراخ عيسى، وهو برهانٌ جلي بأنَّ المصلوب ليس عيسى، ولا هو فداء عنهم، وإلا فلماذا يصرخُ، وهو الذي سَلَّمَ نفسه فداء، كما يزعمون، فهذا الصراخُ غريبٌ من عيسى كل الغرابة، وسنأتي - بحوله تعالى - على بيانِ غرابته، غُبّ أن نحكي وجوه الاختلافات في آخر ساعة، من حياة هذا الإله المصلوب قهراً.

وقد علم المطالعُ لكتابنا هذا ما وقع في هذه الأناجيل، من التناقض، في أول ساعة من حياته، فيكون الاختلاف والتناقض متصلاً في حكايات شأن هذا الإله، من بدء أمره إلى نهايته، وقبل أن نأتي ببسط هذا الاختلاف، نقدم ذِكْرَ أربعة أمور، انفرد بذكرها مترجم متَّى وهي:

قوله: إن الأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، والأموات قامت من أجداثها، ودخلت المدينة، فهذه العجائبُ الأربعة، انفرد بذكرها هذا المترجم، ولم يَعثُرْ عليها أحدٌ سواه، ولا كُشِفَتْ لغيرِه من مؤرخي العالم.

وقد أخذني العجب من ذلك، وَلجأت إلى كتب علماء النصارى، لأقفَ على حقيقة هذا الأمر العظيم الذي سكت عن ذكره مُؤرِّخُو عصر المسيح، فوجدتُ العلامة رَحْمَة الله الهندي، رحمه الله، قد أظهر دسيسة هذا المفتري، وأطلق عليها اسمَ الكذبِ بشهادةِ كبيرٍ من علماء النصرانية المحامين للإنجيل الشريف، وهو الفاضل الشهير نورتن، قال في «إظهار الحق» ما نصه: [وهذه الحكاية كاذبة، والفاضل نورتن حامي للإنجيل، لكنه أورد الدلائلَ على بطلانها في كتابه، ثم قال - أي الفاضل نورتن - هذه الحكايةُ كاذبة، والغالب أن أمثال هذه الحكاية كانت رائجة في اليهود، بعد ما صارت أورشليم خراباً، فلعلَّ أحداً كتب في حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متى، وأدخلها الكُتَّابُ في المتن، وهذا المتنُ وقع في يد المترجم، فترجمها على حسبه] انتهى.

أقول: يكفي، في البرهان النقلي، لتكذيب هذه الخرافات، شهادة هذا الفاضل الذي أطلق عليه علماء عصره، بأنه المحامي للإنجيل، وهنا أُورِدُ لك أيها المسيحي من البراهين العقلية، لبيانِ هذه الخرافة وَرَدّ هذه الكذبة، ما فيه الكفاية، حتى يطمئن قلبك، ويستقر حالك.

الأول: سيرد عن المترجم نفسه في هذا الإصحاح - ف٦٢ أن اليهود ذهبوا إلى بيلاطس ثاني يوم الصلب، وسألوه قائلين: «يا سيد: قد تذكَّرنا أن ذلك المُضِلَّ قال وهو حيٌّ: إنني بعد ثلاثة أيام أقوم، فَمُرْ بضبطِ القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه، ويقولوا للشعب: إنه قام من الأموات، فتكون الضلالةُ الأخيرة أَشَرُّ من الأولى» وقد صرح في هذا الإصحاح، أن بيلاطس وامرأته كانا غير راضيين بقتله، فلو ظهرت هذه العجائبُ، أي قيام

القديسين من الأجداث، فهل يكون لليهود أن يذهبوا إلى بيلاطس، ويسألوه حراسةَ القبر، وكُلٌّ منهم قد شاهد هذه الآيات العظيمة التي عَمَّت العالم، ولا سيما سكَنَة أورشليم، حيث أنهم رأوا بأعينهم انشقاقَ الهيكلِ والصخور، وخروج الأموات من قبورهم، وظلمة الأرض وتزلزلها، وكل ذلك من أجل صَلْبِهم هذا الإله، فهل، بعد هذا كله، يجسرُ رؤساءُ اليهود، ومن جملتهم قيافا النبي، بأن يصفوه عند بيلاطس، بأنه مُضِلّ؟! ولنفرض أن بيلاطس كان راضياً بقتله أولاً، ثم بعد أن شاهد تلك الأحوال، لماذا لم يرجع على اليهود بالانتقام؟.

الثاني: أن هذه الأمور، من الآيات العظيمة، ولو كان وقوعها صحيحاً، لقام عامةُ اليهود على رؤسائهم، وقَطَّعوهم إرباً إرباً جزاءً عما فعلوه، ولتنصَّرَ كثيرٌ من الروم واليهود، على ما جرت به العادة، ألا ترى أنه لما نزل روح القدس على الحواريين، وتكلموا بألسنة مختلفة، تَعجَّبَ الناس، وآمن نحو ثلاثة آلاف رجل، كما هو مذكور في ص٢ - ف٤٠ و٤١ من أعمال الرسل، على أن التكلم بألسنةٍ مختلفة ممكنٌ وقوعهُ من كل بار وفاجر، وأما انشقاق الصخور، وتفتح القبور، وقيام الأموات، فهو من أعظم خوارق العادات، وأوعظُ للنفوس من التكلم بألسنة مختلفة.

الثالث: أن هذه الأمور العظيمة، لما كانت ظاهرة ومشهورة، يستبعد جداً أن لا يكتبها أحدُ مؤرِّخي ذلك الزمان، أو الزمان الذي هو قريب منه، وإن امتنع المخالف عن ضبطها، فلا بد من أن يكتبها الموافقون، لا سيما لوقا الذي هو أحرص الناس على تحرير العجائب، وقد كان مُتَتَبِّعاً لكافة الأمور التي فعلها عيسى، عليه السلام، كما يُعْلَمُ من الإصحاح الأول من إنجيله، والأول من أعمال الرسل. وكيف يتصور أن يكتب الإنجيليون كلهم، من هذا البحث، صُراخَ المسيح، ويتواطؤوا على إثباته، مع كونه يُخِلُّ بشرفه، ويبطل لاهوته، ويهدم أساسَ العقيدة النصرانية، ولا يذكروا تلك المعجزات العجيبة؟! وربما يقول

المعترض: إن مرقس ولوقا ذكرا، في غير مرة، حدوث الزلازل.

قلت: إنهما لم يذكراها في بحث الصلب، بل كانت بطريق الخبر عن علامات الساعة، فإن قيل: إنهما اتفقا، مع المترجم، على ذكر الظلمة، وانشقاق الهيكل. قلتُ: أما انشقاق الهيكل والظلمة، فإنهما من الأمور التي لا يعبأ بها، إذ هي من الأمور الجزئية، وهذا دأبُ أصحاب تلك الأناجيل، يتواطؤون على ذِكْرِ الخسيس من الأمور، كركوبِ الجحش وحلِّه، ويختلفون في ذكرِ العظيمِ منها، حتى يؤدي بهم الاختلاف إلى سقوط القضية من أصلها، وقد هَوَّلَ صاحبُ «تحفة الجيل» في أمر انشقاق حجاب الهيكل، وحكى اختلافَ المتقدمين من النصرانية، في أن الحجاب المنشق أيّ حجاب هو، وكيفما كان الأمر، فالحكايةُ من أكاذيب الأساقفة، ومعلوم أن الحجاب كان من الكتان، في غاية اللين، فما معنى انشقاقه، لأجل هذه الصدمة، من فوق إلى أسفل؟! ولو كان من غير الكتان، فكيف بقي بناء الهيكل، ولم ينهدم، على أنَّ في هذا الانشقاق اختلافاً وشقاقاً بين الرواة، فالمترجم ومرقس ذكرا أن الانشقاق كان بعد موت المصلوب، ولوقا خالفهما، فصرح بأنه كان قبله، وأن الحجاب انخرق من وسطه، خلافاً لقولهما: إنه من فوق إلى أسفل.

وأما حدوثُ الزلازل وظلمة الشمس، فلا يبعد أن تكون أمراً طبيعياً، قد تُظلم من الكسوف، أو من اغبرار الجو وشدة الهواء، فإنه يجلبُ العجاجَ من أرض بعيدة، حتى إنه اتفق في بغداد في ٢٧ رمضان سنة ١٢٧٤ وذلك أن الريح اشتدت من جهة مغرب الشمس جداً، وكان الوقت بعد العصر، ولم يمض نحو دقيقتين حتى أظلمت الدنيا، بحيث تكافحت الرجال مع بعضها، من شدة الظلمة، وكان سوادها أشد من ليلةٍ ممطرة في آخر الشهر، وأخذت النساءُ والأطفال يتصارخون ويستغيثون، والرجال يستغفرون ويكبرون، من شدة تلك الساعة ومنظرها الهائل، فكأنَّ القيامةَ قد قامت، واستمر الظلام نحو نصف

ساعة، ثم أخذ ينكشف تدريجاً، وأصبحت بغداد وأرضها مستورة بطبقة صفراء من تراب تلك العاصفة، إذ كان لونه كالبقم، وقد شاهد هذا الحالَ ألوفٌ من النفوس الأهلية والأجنبية، ممن كان يسكنُ بغداد، والجرائد في ذلك التاريخ تشهد بذلك، ولم يكن حينئذٍ لا مصلوبٌ ولا مقتول، بل ولا سبب من الأسباب قط، وزلازلُ الأرض أيضاً أمر مستفيض، وقد يحدث خارقاً للعادة، ولا ننكره من هذا الوجه، بل انفرد المترجم بذكرهما هنا، وسكوت المؤرخين الرومانيين عنهما هم وسائر رواة الأناجيل، ولا سيما يوحنا، فعلمنا أن هذا أمرٌ مدسوسٌ على متَّى، أو مُختلَقٌ من المترجم، كما جزم الفاضل نورتن بذلك.

وبقي من هذه الأمور أمرُ خروجِ الموتى من أجداثهم، وقد حكى صاحب «تحفة الجيل» من خرافاته أن هؤلاء المبعوثين من قبورهم، صعدوا إلى السماء بأجسادِهم، ولا يخفى أن هذا الأمرَ هو شيءٌ خارق للعادة، لم يسمع بمثله، فالعجب من سكوت الوحي عن هذا الخبر العظيم، في الأناجيل الثلاثة، ولا سيما إنجيل يوحنا الحواري.

وليت شعري! كيف كان حالُ هؤلاء الموتى، بعد انبعاثهم، وعلى مَنْ ظهروا، ومع مَنْ تكلَّمُوا، وأين بقيت أكفانهم، وما كان لباسهم، وهل كانوا حُفاةً عراة بين أهالي أورشليم، وماذا وقع لهم بعد ذلك، وهل بقوا أحياء أم رجعوا إلى أجداثهم؟! إن في ذلك لعجباً، فيجب على النصارى أن تنكر هذا الأمر البتة، إذ هو مناقض لعقيدةِ قِدِّيسها ومؤسِّس دينها بولس، حيث قال في ص١٥ - ف٢٠ من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس: «ولكن الآن قد قام المسيحُ من الأموات، وصار باكورةَ الراقدين» وقال في ص٢٦ - ف٢٣ من أعمال الرسل: «إنْ يُؤَّلَمِ المسيحُ، يَكُنْ هو أولَ قيامةِ الأموات» انتهى.

فبهذا يكذِّبُ قيام القديسين من أجداثهم يوم الصلب، لأنه لو صح قيامهم، لم يكن المسيحُ أولَ قائمٍ من الأموات وباكورة الراقدين، وأي الأمرين أخذتَ به،

لزمكَ تكذيب ما سواه، فأنصف أيها القارىء، عافاك الله، ولا تتبع الهوى، فتضل.

ويوحنا مع كونه صاحب زيادات، ودأبه التشبُّثُ بالمحال والتمحُّلُ وسردُ العجائب والغرائب، لم يذكر شيئاً من هذه الأحوال، ونفسه أبت أن تتبع خرافات المترجم بهذا الكذب الفضيح، ولعلَّ تصنيفه كان قبل ترجمة إنجيل متَّى، ولم يرها وقتئذٍ في أصل النسخة العبرانية، فمن هذا يظهر أن المترجم ترجم إنجيل متَّى، بعد موت يوحنا، وأدخل هذه الخرافة في ترجمته، وإلا فلو كان يرى يوحنا هذه الآيات مذكورة في متَّى، لكان ذكرها لا محالة، سواء كانت كاذبةً أم صحيحة، لأنه هو الرسولُ المكلَّفُ بإذاعة الحقيقة، ورد الأراجيف، ونشر الآيات الباهرة، وكيف لا يذكرها وهو كان حاضراً مع العذراء، حيث الصلب، ورأى، على زعمهم، تلك الظُّلْمةَ في الظهيرة، والزلازل تحت رجله، والأموات نشرت من القبور، تمشي بين يديه، والناس تراها وتقرع صدورها، فكيف لا يحس بهذا كله؟!.

وإن قلتم: إن الوحي لم يخبره بذلك، وحاشاه أن يقول شيئاً من تلقاء نفسه، قلت: إن يوحنا لا يحتاجُ إلى خبر الوحي، في هذه الواقعة، لأنه رآها رأيَ العين، أفما كان يتذكر هذه القضية العظيمة، عندما كان يدرس في إنجيل متَّى الذي تَصنَّفَ قبله بخمسين عاماً وهو حاضرٌ في هذه القضايا؟ ثم وبالتغاضي عن يوحنا، فإن بطرس قد شحنَ الرسائلَ وأعمالَ الرسل بذكرِ اليهود، وما جرى في يوم الصلب، وقيام عيسى، ولم يذكرْ حرفاً مما ذكره المترجم هنا، على أن انفراده غير كافٍ في إثبات مثل هذه الأمور، إلا أن يقال: إنه وحده هو الذي رأى في منامه هذه الأحوال، فاختصَّها بالذكر والمقال، وعلى كلٍّ، فقد ثبت بالبداهة أن هذه الجملة من قبيل حديث خرافة، هذا وقد وَعَدْنا أن نذكرَ اختلاف الرواة وتناقضهم، في هذا البحث الذي يتعلق بآخر ساعة من حياة المصلوب،

ويكفي أن نقول: إن المترجم وصاحبه مرقس ذكرا تَأَوُّهَ المسيحِ وجزعه وصراخه، بقوله: «لماذا تركتني»، وذلك حين فارق الحياة، وأسلم الروح إلى باريها.

ولوقا وافقهما بالصراخ، وخالفهما في التضجُّرِ، وهذه عبارته: «ونادى يسوع بصوت عظيم وقال: يا أبتاه! في يديك أستودعُ روحي». ويوحنا لم يذكر شيئاً من هذا التضجر ولا الاستسلام ولا الصراخ، بل حكى موته بسكون، وزاد قضيتين على الأناجيل الثلاثة:

الأولى: أن واحداً من الناس طعنَ عيسى في جنبهِ بعد الصلب.

والثانية: كسر سيقان المصلوبين معه، ولم يكسر ساق المسيح.

والغرض من ذكر هاتين القضيتين، هو الاستشهادُ بالأسفارِ والزبور، وتطبيق الآيات، وجعلها إشارةً إلى مسألةِ الصلب، وشَتَّانَ ما بين مقاصد الأنبياء وبين أغراض الأغبياء.

ونصوص الأناجيل الثلاثة تقدمت، فلا حاجة إلى الإعادة، ولكنني أستدرك على المسيحيين بما يعتقدونه إنجيلاً من إنجيلي متَّى ومرقس، إذْ ذكرا قول المسيح «إلهي إلهي لماذا تركتني».

فإنْ كان هذا الكلام صادراً عن عيسى، فهو غريبٌ كل الغرابة، وذلك لأمرين.

أحدهما: أنه باعتقاد النصرانية كافةً أن المسيحَ أصلُ مجيئه إلى العالم، لكي يُصْلَبَ، فكيف قال: «لماذا تركتني» وهو الذي ارتاح في الصلب، لحصولِ المطلوبِ، وتخليصِ الناس أجمعين.

والثاني: من قوله: «إلهي إلهي»، يُفِيدُ أنه لم يكن ابنَ الله، لأنه بالمعنى الذي زعموه أنه إله، لا يَصحُّ، فإن الإله لا يدعو، ولا يستغيثُ بغيره، بل ولا يقال

إنه إله بحسب اللاهوت، ودعاؤه هذا كان بحسب الناسوت، لأنه يلزم من ذلك أن يقال: إنه إلهُ نفسِه، وهو فاسدٌ.

ومن العجائب اختلافهم في هذا الصراخ، فإن المترجم ومرقس ذكرا أن المصلوبَ صرخ مرتين، ولوقا يقول: مرة واحدة، ويوحنا يُكذِّبُ الثلاثةَ بأنه لم يصرخ أبداً، ولا مرة واحدة، وأغربُ من هذا اختلاف مرقس ويوحنا أيضاً، في تعيين وقت الصلب، فإن كلام مرقس في - ص١٥ - ف٢٥ يقتضي أنه كان في الساعة الثالثة، وكلام يوحنا يفيد وقوعه الساعة السادسة من النهار، عند بيلاطس، وعبارته تقدمت في - ص١٩ - ف١٤ وهي: «وكان استعداد الفصح، ونحو الساعة السادسة، فقال لليهود: هُوَ ذا ملككم».

أقول: وقد راجعت أثناءَ هذا البحث كتاب «تحفة الجيل» فرأيته حكى عن بعضهم: أنَّ قولَ مرقس، فيه سهوٌ من النسَّاخ، ويكفي شهادتهم بوقوع السهو في الأصول التي يحاولون أن يثبتوا بها وقوعَ الصلب على ذات المسيح، عليه السلام، فهل يقال لهذا إلهام، ويثبت صلب المسيح بهذه الأوهام؟! هيهات هيهات.

وهنا عجيبة نختم البحثَ بذكرها، فنقول: ورد في رواية مرقس في - ص١٥ - ف٣٩ ما نصه: «ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله، أنه صرخ هكذا، وأَسلمَ الروح، قال: حقاً كان هذا الإنسانُ[1] ابنَ الله» فإن ذلك صريحٌ في نفي ألوهيته، إذ ليس من شأن من اتَّصفَ بكونه إلهاً أو ابن الله أنْ يموتَ، ففي كلامه هذا تناقض، لا يلتئم، ومثله قوله: إن هذا الإنسان ابن الله، فإن الإنسان لا تصدقُ عليه هذه الصفةُ أبداً إلا أنْ يكون الوثنيون كانوا يطلقون ابنَ الله على كل ذي شأنٍ وجلالة، وقائد المئة منهم، لأنه روماني، والرومانيون وثنيون.

---

(١) سقطت من المطبوع.

ولنعد إلى إتمام باقي الإصحاح، قال المترجم في - ف٥٧: «ولما كان المساء، جاء رجل غنيٌّ من الرامة، اسمه يوسف، وكان هو أيضاً تلميذاً ليسوع، فهذا تقدم إلى بيلاطس، وطلب جسدَ يسوع، فأمر بيلاطس حينئذ أن يُعطى الجسدَ، فأخذ يوسفُ الجسدَ، ولَفَّهُ بكتّان نقي، ووضعه في قبره الجديد الذي كان قد نحته في الصخرة، ثم دحرجَ حجراً كبيراً على باب القبر، ومضى، وكانت هناك مريم المجدلية ومريم الأخرى جالستين تجاه القبر» انتهى.

أقول: إن مسألة دفن المصلوب ليست من ذوات البال، لِنُطِيلَ فيها القِيلَ والقال، ولكن لا بد لنا من أن ننبه القارىء على ما بين الرواة من الاختلاف، فالقصةُ في إنجيل مرقس في - ص١٢ من ف٤٢ إلى نهايته، ومحصل روايته: أن يوسف هذا هو أحد شرفاء الرامة، وكان ينتظرُ ملكوتَ الله، فتجاسر وطلب جسدَ المصلوب، ليواريه التراب، فتعجب بيلاطس من سرعةِ موتِ المصلوب، وبعد أن تَحقَّقَ موته من قائد المئة، وَهَبَ الجسد للسائل، فحينئذ اشترى الكتان، ثم أنزله وكفنه ووضعه في قبر، كان منحوتاً من صخرة، ودحرج حجراً على باب القبر، وحَضَرتْهُ وقتَ الدفن مريم المجدلية ومريم أم يوسي» انتهى.

وفي إنجيل لوقا في ص٢٣ من ف٥٠ إلى نهاية الإصحاح خلاف ما حكى صاحبه، ومن شاءَ فليراجع، ويوحنا خالفهم، وبسط قبل ذلك مقدمة طويلة، وروايته في - ص١٩ وف٣١ إلى ف٣٨ من هذا الإصحاح، وملخصه: أنه حيث كانت العادة أن لا تبقى الأجسادُ على الصلبِ يوم السبت، لأنه كان يوماً مُعَظَّماً عند اليهود، أن تُكْسَر سيقانُ المصلوبين، ويرفعوا، والغرض تعجيل موتهم، ليدفنوهم قبل دخول السبت، وهذا تكذيبٌ منه لمترجم متَّى وصاحبيه، فإنه يدل على أن المصلوب لم يصرخ بذلك الصوتِ الذي اختلفوا في إثباته، وعليه فلم تُظْلِمِ الشمسُ، ولم تتزلزل الأرض، ولم يحدث شيء مما أرجف به المترجم، من قيام الأموات من أجداثها. والنصرانيُّ الذي يُنْصِفُ مُخالفيه مجبورٌ على

تكذيب إحدى الروايتين، وأيهما كذب، فهو حجةٌ لنا على تكذيبهما معاً، ولا يصح أن يكون سكوت يوحنا إغفالاً، وهل في الدِّينِ مثلُ ذلك، وهو بعيد من يوحنا، لأنه حواريُّ عيسى، ورسولُه إلى النصرانية، وقد أيد هذا الكلام يوحنا ص١٩ - ف٣٥ «والذي عاينَ شَهِدَ، وشهادتُه حق، وهو يعلمُ أنه يقول الحق، لتؤمنوا أنتم» وذلك بعد أن حكى العسكر - إجابة لطلب اليهود - أتوا وكسروا سيقانَ المصلوبين، وإن يسوع المصلوب حينما أتوا ليكسروا ساقيه، وجدوه قد ماتَ، فطعنَ جَنْبَهُ واحدٌ من العسكر، فخرج على أثرِ الطعنة دَمٌ وماء، وقد استشهد صاحب هذه الرواية على هذه الطعنة، وعلى اقتسام الثياب المار ذكرها بما روى في ص١٢ - ف٤٦ من سِفر الخروج والمزمور ٢١ - ف١٦ من كتاب المزامير، فليراجع القارىء ذلك، إنْ أَحبَّ، ليعلمَ ضعفَ أحلامِ هذه الأمة العظيمة، وفساد آرائهم السقيمة.

ثم لا يخفى أن ما ذكره يوحنا، في هذه المقدمة الطويلة، قد انفرد بروايته عن باقي الأناجيل، ثم أعقبه بقصة قدوم يوسف من الرامة، وهنا أغربَ أيضاً كُلَّ الإغرابِ، والقصة عنده بص١٩ - من - ف٣٨ إلى نهاية الإصحاح، وحاصلها أن يوسف هذا الذي هو تلميذ المسيح، سراً لخوفه من اليهود سأل بيلاطس أن يأخذ الجسد، ويواريه التراب، فأذن له. ثم جاء أيضاً نيقوديموس، وهو حاملٌ مئة مَنٍّ من مزيج المر والعود، فأخذا المصلوب، ولفّاه بالأكفان والأطياب، كعادة اليهود، وكان في الموضع الذي صُلِبَ فيه بستان، وفيه قبرٌ جديد، وقد استحسنا دفنه في هذا المكان، لقرب دخول السبت» انتهى.

فالمطالع البصير يعلم، من اختلاف هذه الروايات وتناقضها خاصة، أن القوم لا عِلْم لهم بكيفية الصلب، كما قال تعالى في القرآن العظيم ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء].

فمن وقف على اختلاف روايات الأناجيل، في جميع أحواله، عليه السلام،

من مبدأ أمره إلى آخر عهده، لم يَرْتَبْ فيما أخبرَ اللهُ سبحانه عنهم في هذه الآية الكريمة، وتأمَّلْ - هداك الله - في قول المترجم: «ووضعه في قبره الجديد»، وقول مرقس: «ووضعوه في قبر كان منحوتاً من صخرة»، وقول يوحنا «وفي البستان قبر جديد» إلى أن قال «فهناك وضعا يسوع، لأن القبر كان قريباً» فهل يحنث الحالفُ بأنَّ النصارى لم تَعلَمْ أين قُبِضَ على المسيح، وكم يوماً بقي في السجن، وهل هو المصلوب أو غيره؟!.

ثم انظر إلى انفراد يوحنا بقوله عن يوسف الذي دفن عيسى، بأنه تلميذ المسيح سراً خوفاً من اليهود، مع إخبارِهِ عنه أنه أتى جهاراً، واستوهبه من بيلاطس، ليدفنه. والعجب من الثلاثة الذين أغفلوا ذكر هذا الطِيبَ المُقَدَّر من يوحنا بمئة مَنٍّ على النسخةِ الجديدة، أو بمئة رطل، على النسخة القديمة المطبوعة في لندن، والفرق ما بين المنِّ والرطل كالفرق ما بين الرجل الكامل والطفل.

ويضحكني قول الخوري يوسف إلياس الدبس، في كتابه «تحفة الجيل» عند تفسيره لهذه الآية، حيث استعظم أيضاً هذا المقدار من الطيب، وأراد أن يُوجِّهَ هذا الكذبَ، فشرح على النسخة القديمة وقال: «يراد بالرطلِ هنا الليبرة، وهي تساوي ستة وتسعين درهماً، فهذا القدر من الطيب أزيد مما يلزم لجسد المسيح، وإن طويلاً وكبيراً» انتهى.

قول المفسر النشيط الغيور الذي ارتكب كذبتين، ليستر فضائح الإنجيل:

الأولى: قوله: إن الليبرة ستة وتسعون درهماً، والحال هي ستة وتسعون مثقالاً، عبارة عن مئة وأربعة وأربعين درهماً، كما هو ثابت من القديم إلى يومنا هذا، وتشهد به عموم أهالي أوروبا.

والثانية: جعل عيسى عليه السلام طويلاً وكبيراً، وهو لم يكنْ كذلك، بل هو

رَبعةٌ من الرجال، جميلُ الصورة، كامل الخلقة، لم يكن ملحماً كما وصفه المؤرخون، ولعل مراد المفسر بالمصلوب: المُشَبَّه بالمسيح.

تنبيه: مر في رواية يوحنا، أن المصلوب، عندما أسلم روحه، قال: «يا أبتاه! في يديك أستودعُ روحي»، فكان ذلك آخر كلامه، وهو مخالفٌ لروايتي المترجم ومرقس، من أنَّ آخرَ كلام المصلوب «إلهي إلهي، لماذا تركتني» أما رواية لوقا فهي أليقُ بالمقام، لأنها غاية في الاستسلام لمن بيدِهِ الأمرُ كله، فكان المناجي، حينما بلغت الروحُ منه الحلقومَ، وعلم أن قضاءَ الله مُبْرَمٌ محتوم، احتسب بنفسه عند الله تعالى. وأما على رواية المترجم ومرقس، فهذا كلام مَنْ خَذَلَهُ مولاهُ، وأسلَمهُ بيد أعدائه، وهو بعيدٌ بالنسبة لمقامِ النبوة، وكيف يقولُ المسيح ذلك، وهو الذي استراح للصلب، بزعم النصارى، ليخلِّصَ نوعَ الإنسان من العذاب.

وَيْحَكم أيها الضالون! ما هذا الخبط والخلط، فإنه على فرض تسليم هذا الكلام، في هذا المقام، منه أو من الشَّبيه المصلوب عنه، فإنه يكون على سبيل الزجر للطائفتين الكافرة به والقائلة بألوهيته، لأن هذا آخر نَفَسٍ من حياته، وآخر كلمةٍ نطق بها مُقِرّاً فيها لله بالعبودية، وأن الإله المعبود غيره، فكأنه قال: أُشْهِدُكم عموماً وخصوصاً جاحدَكم ومؤمنكم بأني مُوَحِّدٌ لله، وأن الذي يقول عني بأني مدعي الألوهية، ويحكم بكفري، فهو كاذب، بل أنا عبدٌ من عبيد الله، فأشهد على إقراري بأن لي إلهاً، أتضرع إليه وما أنا إلا رسول من الله، له أخشعُ وإليه أخضع.

وكيف يصحُّ تأويلكم كلامه بخلافِ الحقِّ الصريح، وهو ينادي بلسان فصيح: في يدك أستودعُ روحي! فهل يقال: قد نزع الناسوت نفسه، وجرد من نفسه لاهوتاً، وأسلمَ تلك النفسَ لهذا اللاهوت؟ تالله إنَّ قائلَ ذلك لَمَمْقُوتٌ، انظروا لمن أشرك بربه من عَبَدةِ الأوثان ومشركي العرب، فإنهم أشركوا مع الله آلهةً، ولكن اعتذروا بقولهم: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، فقد جعلوا تلك

الآلهة وسيلةً إلى رب الأرباب، فهم أشركوا وأوّلوا، وأنتم أشركتم بلا تحاشٍ ولا تأويل، رغماً على الحس والعقل، وعناداً للمشاهدة والنقل.

وَيْحكم! هل يرضى العاقلُ أو الجاهل أن يذبح ولده بيده، أم بيد خدامه، ليخلِّص عدواً مشركاً به من عذابٍ، استحقه، فيا أسفاً: قد جعلتم هذا الدينَ مَلْعبةً، يضحك منه العدو والصديق، وترهاتٍ بل خرافات تشمئز منها نفسُ المؤمن والزنديق، ونشأ من ذلك الاستخفاف بكافة الأديان، عند كل الملل في جميع البلدان، حتى أوقعتم عقلاء الإفرنج في إنكار النبوات من أصلها، بل إنكار الربوبية، والانخراط في سلك الماديين الدهريين، كُلُّ ذلك لمّا جعلتم مقام الألوهية موطئاً لنعالِ أسافلِ اليهود الذين لا ترضاهم الدولُ اليوم، أن يكونوا من جملةِ رعاياها، ويلكم إذ ترمون إلهكم بأسوأ الجهل، وتختارون له ذلك الذل والهوان، لتخليص العالم من النيران، وتحصيل الراحة لفرعون وهامان، ثم تريدون وصفه بصفات الكمال، وأن بيده أزِمّة الأمور، وإليه مرجع الأفعال، أوَ يستحيلُ على الله تعالى أن يقول لعباده، اذهبوا، فقد غفرتُ لكم ذنوبكم؟!

ويحكم! تقولون: إنه القادر، بألسنتكم، وتجعلونه نهايةً في العجز، بأفعالكم، تصفونه بالقاهر، وتحكمون عليه بالقهر من أقلِّ عباده، وتُقِرّون بأنه العالم، ثم ترمونه بتحيُّرِ الجاهل، ثم بعد هذا وذاك يتبجح قديسكم بولس بأنه افتداكم بدمه عن دم التيوس، وأنه لو لم يُلعن، لم يُعبد، ولو لم يُصلب، لم يكن إلهاً، فاتبعتم قوله، ونسختم ما قبله.

لماذا رفضتم أمره، وكذبتم قوله - ص٢ - ف٥ من رسالته الأولى إلى تيموثاوس حيث يقول «لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح» ويقول أيضاً في هذه الرسالة - ص١ - ف١٧ ما نصه «وملك الدهور الذي لا يفنى ولا يرى، الإلّه الحكيم وحده له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور آمين».

ولست أدري: لماذا نبذتم قوله هذا، وهو موافقٌ للمعقول والمنقول، واتبعتم خرافات لا تقبلها الأطفال ضعاف العقول، فيا أيها العاقل! بحق المسيح ومَنْ مَسَحَهُ، أما تتأمل في تلك العقيدة التي تسلسلت حلقاتها بالكذبِ والبهتان، وما هي إلا من نفثات الشيطان، إني لأستحي من شرح تلك العقيدة حذراً من أن تجري على لساني تلك الكلمات التي تضاد العقليات والنقليات، واللبيبُ تكفيه الإشارة، هذا والعذر لأهل الصدر الأول من النصارى في رفضهم تلك الترجمة المشتملة على الترهات والأكاذيب، كما أشرنا إليه في مقدمة هذا الإنجيل، وحيث قد أتممنا الكلام على هذا الإصحاح، وذهبت أكاذيبه أدراج الرياح، ووضح الصُّبحُ لذي عينين، وتَبيَّنَ الذي أورده المترجم معارض لما أورده يوحنا، وما حكاه لوقا منقوض بما حكاه مرقس، وبالعكس، فتضاربت كلماتُ الأربعة، ولم تتفق روايةُ الواحد مع رواية الآخر، ودعوى صلب ذاتِ الإله عندهم من أهم مسائلِ دينهم المعوج، وكتابنا «الفارق» حالَ بينهم وبين ما يشتهون، فلتأتِ النصرانيةُ بإنجيلٍ غير تلك الأناجيل، ليسوغَ لهم الاستئنافُ في إثباتِ صلب معبودهم، وحيث وعدنا المُطَالِعَ في صدرِ الإصحاح أن نختمه بفصل يكون فيه زيادة إيضاح لما هو المرام، فإنجازاً للوعدِ قد التزمتُ أن أُورِدَ مسائله في مقدمة وثلاث قضايا فأقول:

[فصل: نتيجة قضية الصلب]

المقدمة: نذكر فيها الآيات القرآنية الدالة على عدم صلب ذات المسيح ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ (١٥٧)﴾ [النساء].

ولا بد من تمهيد أمام الكلام، ليطَّلعَ العاميُّ من النصارى على قُوَّةِ ما نستدلُّ به من الآيات ومرتبتها عند العقلاء منهم، لئلا يوجه الطعن على تلك الأدلة القاطعة التي لا تتجاوز الحق الحقيق، فيهوي به الجهلُ إلى مكان سحيق، فأقول: من المعلوم أن القرآن هو كتابنا معاشرَ المسلمين، نَدِيْنُ اللهَ تعالى بأحكامِه، فنحلِّلُ ما أحلَّهُ لنا، ونُحرِّمُ ما حرمه علينا، ونؤمِن بمجْمَله ومفصَّله، أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، كما أنزل التوراة على موسى عليه السلام، والإنجيل على عيسى عليه السلام، وقد تكفّل بحفظه عنايةً وحكمةً منه تعالى، إذ هو آخر كتاب، أنزله على آخر نبيٍّ أرسله، فهو محفوظٌ من التغيير والتبديل إلى آخر الزمان، وقد شهد بذلك العلماءُ منكم الذين قدّروا العلم حق قدره، ولم يحيدوا عن جادة الصواب ومَحَجَّة الاعتدال، إذ دلتهم المعرفة إلى الإذعان ببقاء القرآن محفوظاً من التحريف، إلى آخر الدوران، وأنه هو الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه شهاداتهم في هذا الشأن.

قال الفاضل الأديب محمد حبيب، في رسالته الثانية من مجموعته المسماة «السيوف البتارة في مذهب خريستو جباره» قال العلامة سفساف باشا العضو في عدة جمعيات علمية بأوروبا في كتابه المشهور المسمى «أصول الفقة الإسلامي» ما ترجمته في صحيفة عشرين: (إن رسول المسلمين كان يعتريه عند نزول الوحي حالة تشبه الإغماء، كما كانت هذه الحالة تعتري كثيراً من الرسل كدانيال وموسى وغيرهما، صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً) وتستمر هذه الحالةُ ما دام الوحي، حتى إذا تَمَّ، أخبر الرسول أصحابه بنفس ألفاظ الملك، فيحفظونها، على الفور، عن ظهرِ قلبٍ حرفياً، وكانوا يعتنون بذلك الاعتناء الذي لا مزيد عليه، لأن

الحفظ الحرفي لسور وآي الكتاب كان عندهم من أعظم العبادات، وأقرب القُرَب، والحِفْظُ بهذه الكيفية له أهمية كبرى في الشريعة الإسلامية، لأن معارف المسلمين مؤسسة كلها على القرآن، فكانت أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم تُفرِغ الوُسْعَ، وتبذل جهد المستطيع، لتنقش في حافظتها ألفاظَ الوحي مضبوطةً مُحْكَمة، بمجرد نزوله، حتى كانوا من مزيد عنايتهم به بعد حفظ الآية من الرسول عليه الصلاة والسلام، يترددون عليه غير مرة، ويتلونها أمامه، حتى يزداد تثبتهم في حفظها وأدائها كما هي، ويسألونه هل حُفِظَتْ كما أُنزلت، حتى يُقرهم عليها، فمثلاً نقِل عن عمر الفاروق، رضي الله عنه، أن آية نزلت، وهو غائب في سرية، فحفظها من بعض الصحابة الذين حضروا نزولها، ولوافرِ اهتمامهِ واحتراسه، توجه إلى الرسول، بعد منصرفه من سريته، وتلاها عليه، فقال الرسول: هكذا أُنزلت.

وفضلاً عن كل هذا التحفظ، فقد كان للرسول كُتّاب، يكتبون فوراً كافة ما يُوحى إليه، ومن أجَلّهم زيد بن ثابت، رضي الله عنه، فقد كان متمكناً كل التمكين من الكتابة باللسان العربي، ولم يزل منوطاً بالكتابة حتى وفاة الرسول، فبهذه الكيفية كُتِب القرآن من أوله إلى آخره، في حياة الرسول، بإملائه على كاتبي الوحي مباشرة، وكان يُكتب على عسب النخل، وعلى الألواح من أكتاف الغنم وغيرها، من العظام الطاهرة، وعلى الجلود، بَيْدَ أنه لم يُجْمَع إذ ذاك في كتاب واحد، وبعد أن قُبِضَ رسول الله ﷺ أحَسّ عمر الفاروق بضرورة جَمْعِه إذ ذاك، لوفاة كثير من الحُفَّاظ في الحروب، فلما اتفقت كلمة أبي بكر وعمر على ذلك، أحضرا زيد بن ثابت، فوافق أخيراً على ما رأياه، وفي «البخاري» عن زيد المذكور ما معناه: قد جمعنا قِطَع الجلد والعظام وعسب السَّعَف، حتى لم يبق قطعة خارجة من أيدينا، ثم جمعنا الحفاظ كلَّهم المشهودَ لهم بالضبط والدقة، وكان أهمهم أبيٌّ بن كعب وعلي بن أبي طالب، ثم عبد الله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن مسعود، حتى وصلنا إلى آخر

آية ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ من سورة التوبة، ففقدناها، ففتشنا عليها لنجدها مكتوبة، وأخيراً وجدناها مكتوبة عند خزيمة بن ثابت، فَتَمَّ جمعُه والإجماع عليه حفظاً وكتابة.

ثم قال: هذا كلامُ أعظم وأهم رجل عامل في جمع القرآن، مأخوذ من البخاري الشريف نفسه، ونحن نعلم اليقين من التاريخ كيقيننا المستفاد من البخاري، أن الستة المذكورين وغيرهم من أكابر الحفّاظ كخالد بن الوليد وطلحة، بذلوا قُصَارى الجهد في جمع القرآن، وأنهم اجتمعوا برئاسة زيد في منزل عمر الفاروق، رضي الله عنهم، باديءَ بدءٍ ليتشاوروا في كيفية جمعه، وتخصيص أعمال كُلِّ واحدٍ منهم، ثم أخذوا يوالون اجتماعاتهم في مسجد المدينة، وما منهم إلا مَنْ يحفظه كله عن ظهر قلب، وكانوا ممن اعتنوا قبلاً بكتابته جملة مِراراً، من ذاكرتهم، ليتحققوا من ضبطهم وحفظهم له حرفياً، كما أُنزل، ولمزيد العناية وشدة التحرّي عَهدوا إلى بلال المؤذن أن ينادي في كل أنحاء المدينة، أنَّ مَنْ كانت عنده قطعة، عليها شيء من القرآن، فليأت بها إلى الجامع، ويسلمها للحفاظ المَنُوطينَ بجمع القرآن، فَجِيءَ بعدد كثير من القطع، وأغلبها كان مُدَّخَراً عند النساء للتبرك بها، مع شدة الحرص عليها، واعتبارها أنفس من الكنوز، فشرعوا يضاهون[1] كافة القطع المكررة بعضها ببعض، حتى لم يبق مجالٌ لأدنى شَكٍّ في نهاية الضبط التام للكتاب الكريم، ثم كتبَه جميعَه بيده زيدُ بن ثابت كاتبُ الوحي، وجمع عمر رضي الله عنه جميع الحفاظ من الصحابة، وقرأه عليهم، ثم دعا الحالُ في زمان عثمان رضي الله عنه الخليفةِ الثالثِ لنشر الكتاب في الجهات، فصدَّر ثلاثة مصاحف إلى الأمصار، وقد رأى أستاذي بعينَي رأسه مصحفاً منها بدار الإفتاء الحنفي بدمشق. انتهى كلام سفساف

---

(١) يضاهون: يقابلون، تحقيق التثبت من الصحة.

باشا الأرنوكورسي.

وبمثل هذه الشهادة شهد أهم مجادلي البروتستنت، كالمستر ستوبارت رئيس مدرسة لامارتينيار، في لكنو من الهند الإنكليزية، وصرح بذلك في كتابه المسمى «الإسلام ومؤسسه» صحيفة (٨٧) وشهد أيضاً الفاضل موبر المعدود في هذا العصر بأمهر وأحذق وأكبر عدو للإسلام، وملخص كلامه أن جميع ما في المصحف هو نَصُّ ما صدر من بين شفتي محمد، صلى الله عليه وسلم، وشهد أيضاً الدوقتور فل الكاثوليكي في كتابه المسمى «التعليم الإسلامي في المدارس العليا» حيث قال: إنه لانسبة بين القرآن وبين الكتب النصرانية، من حيث الضبط والدقة. انتهى.

ولا شك أن شهادته من أعلى الدرجات عند الأمة النصرانية، لأنه مدرس اللاهوت الكاثوليكي بإحدى الكليات الكبرى بألمانيا. انتهى كلام الفاضل محمد حبيب ملخصاً. ولم نستوعب ذكر جميع كتاباتهم، خوفاً من السآمة في التطويل، فإذا علم المطالع، من المسيحيين، المنزلةَ التي يقدّر فيها شهادة أفاضل دينه، في حَقِّ الكتاب الكريم المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه المحفوظ من التغيير والتبديل، وهذه أول نسخة كتبت في صدر الإسلام تشهدُ لما هو مكتوب في هذا الزمان، الحرفُ بالحرفِ، فلا مجال حينئذ للشك إلا لِمُعانِدٍ جهلاً، فلا كلام لنا معه، فإذا كان الكلام كذلك، فالباري تعالى أخبرنا في هذا الكتاب الكريم بقوله جل شأنه، حكاية عن ادعاء اليهود ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [النساء].

وقد أجمع علماء الإسلام، من الصدر الأول إلى هذا العصر، بأنه لا معنى لهذه الآية الكريمة إلا نفي القتل والصلب عن المسيح، صلى الله عليه وسلم، ولما كان الباري عالماً بما يحدث من الاختلاف في شأنه، بين قوم نبيه عيسى،

أعلَمَنا في قوله تعالى تكميلاً للآية ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء].

ومصداقُ الكتاب الكريم يعلمه كُلُّ مَنْ تَدبَّرَ اختلافَ الأمتين اليهودية والنصرانية، من ميلاد عيسى إلى هذا العصر، وقد يَرِد هنا إشكال، بأن صَلْبَ المسيح ثابتٌ بنصوص العهد القديم، وقد أوردوا في إثبات ذلك شواهد، من نبوة زخريا وأشعياء، ومن الزبور، حتى تغالى علماؤهم فقالوا: إن الزبور كله تنويهاتٌ بالمسيح، فنقول: إن هذا الإشكال لا يردُّ علينا، ولا يصح أن يكون حُجَّةً، لأن التحريف، في هذه الكتب، قد ثبت ثبوتاً قطعياً، بإقرار العلماء من سائر الفِرَق النصرانية، ولا ينافي إنكار هذا الإقرار من بعض الجاحدين عناداً واستكباراً، على أن هذه النصوص التي يستدلون بها مدفوعة من نفس تلك الكتب.

قال في النسخة المطبوعة في بيروت سنة ١٨٧٠ في ف٢١ - من مزمور عدد ٦٩ «ويجعلون في طعامي علقماً، وفي عطشي يسقونني خلاً» فالنصارى تزعم أن هذا النص في حق المسيح، فإن سلم زعمهم، فهو مُعارِضٌ لما في ف٨ من مزمور السادس ونصه «أبعدوا عني جميع فاعلي الإثم، لأن الرب قد سمع صوت بكائي، سمع الربُّ تَضَرُّعي، الرب يقبل صلاتي، جميع أعدائي يخرون ويرتاعون جداً، يعودون ويخرون بغتة» فهذا النصُّ نقضَ حكمَ النصِّ الأول، على أن الأول لا يصدق عليه، لأنه قال فيه: «ويجعلون في طعامي علقماً»، واليهود لم يجعلوا في طعام عيسى علقماً، ولا أطعموه شيئاً، فهل يقال: إن الزبور وارد كله تنويهاً بالمسيح، وحيث أن القول بصلبه مع اعتقاد ألوهيته، يخالفُ الدليلَ العقلي الذي سنورده، وجَبَ ضرورة تأويل الآيات التي فيها أثر من التنويه، على زعمهم، بصلب ذات عيسى عليه السلام، وإذا تقرر لدى المطالع أن القرآن الكريم الشأن ينفي صلب ذات المسيح، وذلك الألْيَقُ باعتقاد أنه نبيٌّ كريم، لا ترَدُّ دعوته، وقد

استغاث بالله تعالى، فقبل دعاءه، كما صرح بذلك بولس في رسالته العبرانية من ص٥ - ف٧ وخلاصته: بأن الله تَقبَّلَ دعاءه، وخلّصه من الموت، كما هو عقيدتنا، فيثبت بالضرورة وبداهة العقل أن تلك الرواية المختلفة المتناقضة في صلب ذات المسيح، لا أصلَ لها، وأن ما حكوه من التحقير والإهانة، في قضية الصلب والتشهير، فِرْيَة من غير مِرْيَة، وعليه فنذكر القضايا الثلاث الموعود بها في صدر البحث فنقول.

القضية الأولى

(في استحالة صلب المسيح)

أيها الذكيّ الفهيم: لا بد أنك تعلم بأن النصارى تفرقوا، في اعتقاد ذات المسيح، شِيَعَاً، فمن قائلٍ منهم: إنه هو الله، وقائلٍ: هو ابن الله، وقائل: إن الله حَلَّ فيه، وقائل: إنه اتَّحدَ مع الله، فكيفما توجهوا في تلك الدعاوي الباطلة، فإنهم راجعون إلى مذاهب ثلاث، على عدد التثليث.

الأول: مذهب الملكية، وهم الروم، القائلون: إن المسيح بعد الاتحاد جوهران وأقنوم واحد، وله طبيعتان لاهوتية وناسوتية، فله بطبيعة لاهوتيته مشيئةٌ كمشيئةِ الأب، وله بطبيعة ناسوتيته مشيئة كمشيئة موسى وداود وغيرهما من الأنبياء، ولكنه أقنوم واحد، وردوا هذا الاتحاد إلى الأقنومية، إذ رأوه بالنسبة إلى الجوهرية قبيحاً.

الثاني: مذهب النسطورية، وهم نصارى المشرق، يقولون: إن المسيح، بعد الاتحاد، جوهران وأقنومان باقيان على طباعهما، كما كانا قبل الاتحاد، غير أنَّ لهما مشيئة واحدة، يفعل بها فِعلَ الإله وفعلَ الإنسان، وردوا الاتحاد إلى خاص النبوة، إذ رأوه، بالنسبة إلى الجوهرية والأقنومية محالاً.

الثالث: مذهب اليعقوبية، وهم نصارى الإفرنج، قالوا: إن المسيح صيّره

الاتحاد طبيعةً واحدةً وأقنوماً واحداً، فهو عندهم، بعد الاتحاد، إله كلُّه، إنسانٌ كله، وله طبيعة واحدة، يفعل بها ما يشبه فعل الإله، وما يشبه فِعل الإنسان، وهو أقنوم واحد.

فعلى تقدير صحة مقالَتي الملكية واليعقوبية، يمتنع قَتلُ المسيح، فإن أبوا إلا القولَ بقتله، فنقول لهم: أليس بزعمكم أنه تَركَّبَ من جوهر اللاهوت وجوهرِ الناسوت أقنومُ شخصٍ واحد؟ فإذا أقرّوا، ولا بد من إقرارهم به، بمقتضى تقريرهم، فنقول لهم: الافتراقُ بالمشيئة لا يمكن مع الاتحاد في الأقنومية.

وإذا قلتم: إن الذاتين صيَّرهما الاتحاد أقنوماً واحداً، أي شخصاً واحداً، لم يمكنكم ادعاء قَتْلِهِ بعدُ، لأن الجوهر اللاهوتي قد كان، قبل اتحاده بالناسوتي، مُقدَّساً عن أنْ تناله الأيدي، فكيف انحط عن عزة لاهوتيته وسمو جبروتيته، بمشابكة الناسوت؟.

ثم يقالُ لليعاقبة أيضاً، على انفرادهم: إذا تحقق عندكم، على زعمكم، كون المسيح أقنوماً واحداً مركباً من طبيعتين لاهوتية وناسوتية، فمحال أن يقال: إنه قُتِل ولم يُقْتَل، وصُلِب، ولم يُصْلَب، لأن القتل عندهم وقع على الناسوت، ولم يقع على اللاهوت، فامتنع والحالةُ هذه قتلُه، على مقتضى عقيدتهم هذه أيضاً، إذ قالوا: إن طبيعة اللاهوت والناسوت صارتا طبيعة واحدة وأقنوماً واحداً، وما كان كذلك لا سبيل إلى تفصيل الأحكام فيه، فيقال: قُتل ولم يُقتل، فلا سبيل إلى عدمه.

وأما على ما ذهبت عليه النسطورية، فإنه أيضاً ممتنع قَتْله، لأنهم لما قنطوا من الجمع بين الاتحاد والقتل، واستحال عليهم ذلك، ردوا الاتحاد إلى خاص النبوة فقط، ولكنهم وافقوا أصحابهم في عبادة المسيح واعتقاد ربوبيته، وتلك الموافقةُ تمنعُ من اعتقاد قَتْلِهِ، إذ ما ثبت قِدَمُه استحال عَدَمُه، وهذا إنما أوردناه

جدلاً، لإبطال مذهبهم في الصلب والقتل، بمقتضى مذهبهم في ذات المقتول والمصلوب، وإلا فمن أين ثَبتَ لهم دعوى الاتحاد، وهي لا تخرجُ عن دعوى تَعَدُّدِ الآلهة، وهم ذاتهم يَفِرّون منها.

وفي كل شيء له آية تَدلُّ على أنه واحد

تنبيه: تقرير هذه المذاهب الثلاثة، إنما هو عند النصرانية، في القرون الأولى للمسيح، أما الآن فلا تكادُ تجد للقوم مُعتقداً يلجؤون إليه، فهم يفرون من قول إلى قول، على تمادي العصور وكر الدهور، وقد ذهب مجادلو البروتستنت الآن إلى ما هو قريب من مذهب الملكية، وهم الآن أكثر النصرانية عدداً، وذهبت فرقة كثليك إلى ما هو قريب من مذهب النسطورية، ولِحَدّ الآن لم ينتشر عن التعليم اللاهوتي في كلياتهم تقرير تلجأ إليه العوام، وغاية ما في الباب أوهام، ضَلَّتْ عندها الأفهام، وحيث قد امتنع صلبُ ذاتِ المسيح، بمقتضى عقائدهم، فيقضي بنا القول إلى أن نقول:

القضية الثانية

في رد دعوى صلب ذات المسيح بالأخبار التاريخية والأدلة العقلية

اعلم أن النصرانية تدعي أن صَلْب المسيح ثابت بالإجماع، ولا يلتفتون إلى أن ذلك ممتنع عقلاً ونقلاً، مع أنه لا إجماع بينهم على هذا الأمر، فضلاً عن أن يكون هناك إجماع من خلافهم، ولعله كإجماعِ بني إسرائيل على عبادة العجل، أما أهلُ الإسلام فلا يعتقدون صحة ذلك قطعياً، لتصريح القرآن الكريم بنفيه، لكنهم لا ينكرون وقوعَ الصلب على غيره، وبقيت المسألة دائرة بين اليهود والنصارى، فأما اليهود فلا إجماع عندهم البتة، وهذه كتبهم بين أيدينا، فلم نجدْ فيها شيئاً يوافق ما تَحكيه النصارى عنهم، وهم شركاء متشاكسون، ومع هذا

فإجماعهم على وقوعِ الصلبِ لا ينافي ما جاء به القرآن العظيم، من كونِ المصلوب شبيه عيسى، وقد تقدم في الآية عن اليهود أنهم في شَكٍّ منه، أيما كان، فهم أعداء المسيح وأعداء أتباعه، وقد نتجت عداوتهم عن عنادٍ وكفر وحَسَد من كهنتهم، والمقرر عند أرباب العقول، أن الشهادة المناقضة لبعضها ساقطة، ولا سيما إذا كانت من الأعداء، فهي إذاً غير مُسَلّمة، والتاريخ يشهد بأن عداوة اليهود للأنبياء، توارَثَها الخلفُ منهم عن السلف، وأقرب ما يستدل به العاقل على عداوتهم قول المسيح: «يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء والمرسلين» فقد سقطت دعوى الإجماع من الطائفتين، ولا مجال للعاقل في إنكار عداوة اليهود للنصرانية وبالعكس، كما أنه لا إمكان لإنكار الاختلاف الواقع بين الطائفتين، في قضية الصلب، فلا معنى لدعوى الإجماع في هذه المسألة، وأن وقوع الصلب ثابت، وإنما الاختلاف واقع في ذات المصلوب، وأنا أنقل، في هذا الخصوص، ما يشفي الغليل، ويبرىء العليل، فأقول:

لا يخفى على مَنْ وقف على حقائق التاريخ، أن مسألة الصلب من أهم المسائل التي ولَّدَت الشقاق بين النصارى عموماً ونصارى البلاد الشامية ومصر قبل الإسلام خصوصاً، فإن الأكثر منهم كانوا يرفضون حصول الصلب رفضاً كلياً، لأن البعض منهم كان يَعدُّه إهانةً لشرف المسيح ونقصاً، وأيّ نقصٍ أعظم من نقص الإله الذي تَلحقه مثل هذه الإهانات، والبعض الآخر كان يرفضه استناداً على الأدلة التاريخية، وهؤلاء الأقوام الجاحدون للصلب طوائف كثيرة، منهم [الساطرينوسيون] - [والكاربو كراتيون] - [والمركبونيون] - [والبارديسيانيون] و(التاتبانيسيون) و(المانيسون) و(البارسكاليونيون) و(البوليسيون) وهؤلاء مع كثيرين غيرهم، لم يُسَلِّموا بوجهٍ من الوجوه أن المسيح سُمِر فعلاً، ومات على الصليب، حتى استخفوا بالصلب والصليب، وما ذكرناه مقرر في تاريخ [موسيهيم] الشهير الذي يُدَرَّسُ في مدارس اللاهوت الإنجيلية، حتى قال بعض المؤرخين: إن الخلاف الذي وقع بين النصارى، في مبدأ الأمر، كان سبباً

لانسلاخ جملة طوائف وتشتيتها واعتبارها في رأي آخرين، مارقة من الدين، ولكن هذه الطوائف المضطهدة المهضومة، كانت أفكارها منطبقة على الأصول النصرانية عقلاً ونقلاً، بخلاف أفكار مُضطَّهِدِيهم، فإن هذه الطوائف حيث اعتقدت بألوهية عيسى، جزمت بأنه لا يجوز أن يُمْتَهَنَ، واستنتجت من هذا أنه لم يُصْلَبْ قطعاً، وأن ألفاظ التوجع والتضجر التي نسبتها إليه كتبُ النصارى المتأخرين، لم يتفوَّهْ بها، ولا تصح نسبتها إليه.

وبالجملة إن الشخص المصلوب غير عيسى قطعاً، وأنه لم تُسَلَّطْ عليه أيدي مضطهديه، بل رُفع إلى السماء. ومن القائلين بهذه الأفكار الدوسيتية، والمرسيونية والفلنطانيائية. وغير خاف أنه حتى على فرض النبوة فقط، لا يُمكن عقلاً أن يُتَصَوَّرَ صلبُه بالصورة التي ذكرتها الأساقفةُ في الأناجيل، وتأييداً لذلك أنقل هنا ثلاث شهادات، من علماء النصرانية.

الأولى: قال الموسيو ادوارد سيوس الشهير أحد أعضاء الأنسيتودي فرنسي، في باريس المشهور بمعارضة المسلمين، في كتابه «عقيدة المسلمين» في بعض المسائل النصرانية في صحيفة ٤٩ (إن القرآن ينفي قتل عيسى وصلبه، ويقول بأنه أُلقي شبههُ على غيره، فغلط اليهود فيه، وظنوا أنهم قتلوه. وما قاله القرآن موجود عند طوائف نصرانية، منهم الباسيليديون، كانوا يعتقدون بغاية السخافة أن عيسى وهو ذاهب لمحل الصلب أُلقي شبهه على سيمون السيرناي تماماً، وألقى شبه سيمون عليه، ثم أخفى نفسه، ليضحكَ على مضطهديه [اليهود] الغالطين، ومنهم السيرنتيون، فإنهم قرروا أنَّ أحدَ الحواريين صُلِبَ بدل عيسى، وقد عثر على فصل من كتب الحواريين، وإذا كلامه نفس كلام الباسليديين، وقد صرح إنجيلُ القديس برنابا باسم الذي صُلِبَ بدل عيسى أنه يهوذا» انتهى.

الثانية: قال الموسيو ارتست ذي بونس الألماني في كتابه المسمى «الإسلام أي النصرانية الحقة» في صحيفة ١٤٢ ما معناه: «إن جميع ما يختص بمسائل الصلب

والفداء هو من مُبتكراتِ ومخترعات بولس ومَنْ شابهه، من الذين لم يروا المسيح، لا مِن أصول النصرانية الأصلية» انتهى.

الثالثة: قال ملمن، في الجزء الأول من كتابه المسمى (تاريخ الديانة النصرانية): «إن تنفيذ الحكم كان في وقت الغلس وإسدال ثوب الظلام، فيستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا في سجون القدس منتظرين تنفيذَ حكمِ القتلِ عليهم، كما اعتقد بعضُ الطوائف وصَدَّقهم القرآن» انتهى.

وبالجملة فإن أغلب الشعوب الشرقية، قبل الإسلام، رفضت قبول مسألة الصلب والقتل، حتى قال باسيليوس الباسليدي: إن نفس حادثة القيامة «أي دعوى قيام المسيح من الأجداث» المُدَّعى بها بعد الصلب الموهوم، هي من ضمن البراهين الدالة على عدم حصولِ الصلبِ على ذات المسيح، ومعلوم أن نصارى سوريا هم الذين وقعت هذه الحادثة بينهم، فهم أقربُ الناس إلى العلم بحقيقتها، وكذلك مَنْ جاورهم من نصارى المصريين وغيرهم، لحصول الجوار وقرب المسافة، فشهادتهم أقربُ للحقِّ من غيرهم، ولنذكر هنا براهين عقلية، ترتاح إليها العقول، ليبطل الشك باليقين، ويزول، فنقول:

البرهان الأول

إن قولكم بصلب ذات المسيح دعوى مجردة عن الدليل، لأن كتب اليهود وكتبكم لا يصحُّ الاستدلالُ بها في تعيين ذات المصلوب، لوجودِ الاختلافِ بينكم وبينهم، في قضية الصلب والمصلوب، ووقتِ الصلب ومكانه، وهذا دليل على أنهم في شك من ذلك، كما أخبر الله في كتابه العزيز، حال كونهم هم الذين قاموا في إحداث هذه الحادثة، وهؤلاء الرومانيون الذين هم حكامُ هذه المسألة بدعوى الطائفتين اليهودية والنصرانية، لم يُؤْثَرْ عنهم شيءٌ، يَصحُّ أنْ يكون دليلاً

على أن المصلوب هو ذات المسيح، مع ضبطهم كليات الأمور وجزئياتها، والحكاية المحكية عنهم، في هذه الأناجيل، تنفي صَلْب المسيح، وتدل دلالة واضحة على أن المصلوب مشبه، كما مَرَّ بيان ذلك، فأين الإجماع، وقد علمتَ أننا معاشر المسلمين ننكر ذلك، ونُشَدِّدُ النكير على مَنْ يخالفنا في هذا الموضوع، فلم يكن هناك من دعوى الإجماع إلا الوهمُ المجرد عن الدليل، والظنُّ الذي لا يُغني عن الحق شيئاً.

البرهان الثاني

يعلم كل مطلع على أحوال الأمم الماضية، أن تسلُّطَ الرومانيين على اليهود كان تسلطاً محكماً، وأن سعي الحكومة الرومانية إذ ذاك كان بضد عقائد اليهود، ليتمَّ لهم توحيدُ الوثنية، ويكفي في صحة ذلك ما ذكرته جريدة العالمين، في تاريخ ١٥ مارس سنة ١٨٩٣ تحت عنوان «اليهود تحت حكم الرومان» وهي من إنشاء الكاتب الشهير أرنست رنان العضو في الأقادم الفرنسوي، قال من جملة كلامه: «إن الحكومة الرومانية تجهد في نيل هذا المطلوب، حتى كادت معالمُ اليهودية أن تُمحى من صحيفة الوجود، ووقع ذلك سَيِّءُ الوقع في نفوس البقية القليلة من اليهود، حتى اعتصمت بدينها» انتهى.

فإذا كان الأمر كذلك، فهل يصدق العقل بأن الحكومة الرومانية، وهي على ما نرى من قصد محو معالم اليهودية، أن تُجيبَهُم إلى ما طلبوه من تنفيذ أمر الصلب، أو تُعيرَهُ أذناً صاغية، والحاكم الروماني إذ ذاك كان ذا حقدٍ على اليهود وديانتهم، فيكون تنفيذه لطلبهم هذا تأييداً لشعائرهم الدينية.

البرهان الثالث

إذا سلمنا دعوى وقوع الصلب، على ذات المسيح، وسكتنا عن كونه مناقضاً للقول بألوهيته الذي هو أساس العقيدة النصرانية، فنسأل أرباب تلك الدعوى،

هل عندكم دليلٌ سوى هذه الكتب التي تَدَّعون أنها من الوحي؟ فلا بد من الجواب بأن دعواهم هذه مبنية على هذه الكتب، وقد علم المطالع حالة أَوَّلِها وأُولاها وهو إنجيل المترجم، هذا المُدَّعى أنه من مصنفات مَتَّى الحواري، وحالة الأناجيل الثلاثة إجمالاً، حتى أَقَرَّت العلماءُ منهم في المناظرات العلنية الرسمية وغير الرسمية بفقدانِ السند المُتَّصِلِ بالمصنِّفين لها، وأنها مملوءةٌ من الأغلاط والمناقضات كما مر، وأن دعوى التحريف بسائر أقسامه فيها دعوى مُسَلَّمة، لا ينكرها أربابُ العقول منهم، وليس كلامنا هذا مع المكابر المعاند الذي لا يهمه إحقاق الحق، وقد نقلنا في كتابنا هذا «الفارق» الشهادات الكثيرة في هذا الشأن، ونورد هنا أيضاً تأييداً لما أسلفناه من القول، وختاماً لهذا البحث، بعض شهادات علماء هذا العصر المشهورين في بيان الحقائق، فأقول:

إن من أهم الكتب المؤلفة في المعارف الأوروباوية «دائرة المعارف الكبرى» الذي اجتمع على تأليفه ما ينوف على خمس مئة عالم من أعظم علماء فرنسا، واشتركت فيه كافة المجالس المهمة والنظارات الفرنساوية والأجنبية، وقد طبع منه الآن ما ينوف على عشرين جزءاً، واعتبره العلماء أنه خلاصة الرأي العام في عالم النصرانية، لمهارة مؤلفيه وعُلُوّ منزلتهم في العلم والمعارف.

وقد ورد في هذا المؤلف، في بحث الأصول التي اتخذتها العلماء النصرانية أساساً لسائر معتقداتهم مقالةٌ، بقلم «الموسيو موريس فورن ناظر مدرسة العلوم العليا في باريس» والمدرس في القسم الديني منها، وأخذ يتكلم على التوراة، فقال: لو سألنا في أي وقت جمع كل كتاب من كتب التوراة، وفي أيِّ حال وظروف، وبأقلام مَنْ كُتب، لا نجد أحداً يجيبنا عن تلك الأسئلة وما شابهها إلا بأجوبة متباينة متخالفة جداً.

ثم أفاض في شرح الموضوع بكيفية علمية، تبين أن كافة ما كتب مشكوكٌ في كاتبيه، وأن كل ما في التوراة هو عبارة عن خليط من كتابات عديدة جداً،

جمعت في أجيال متباينة، إلى أن قال: والملخص أن المذاهب العلمية الجديدة ترفضُ أغلب أقوال علماء النقل التي هي أساس اعتقاد النصارى واليهود، وتقوّضُ بُنيانَ ادعاء السابقين، وتبرىء الأنبياء من تلك الكتابات.

ثم أخذ يتكلم على الكتب المشتملة عليها التوراة واحداً واحداً، مُبَيِّناً أن تصحيحَ هذه الكتب كالنقش في الماء أو البناء على الهواء، إلى أن قال: «ولكن ما الحيلة، ونحن من نحو مئة سنة حيارى، بين أسانيدَ يمحو بعضُها بعضاً، فالحديث «أي الجديد» يناقضُ سابقه، والسابق ينافي الأسبق، وقد تتناقض أجزاء الدليل الواحد «إلى أن قال» وأيِسْنَا من الوصولِ إلى معرفة صاحب الكتاب الحقيقي.

ثم تكلم هذا الكاتب الشهير تحت لفظ «أناجيل» بعد أن حكى شكه في صحة نسبة الأناجيل الثلاثة الأُوَلْ «أي إنجيل متى ومرقس ولوقا» إلى مَنْ عُزيت إليهم من الحواريين، لدرجة تعادل الرفض تماماً، ثم قال في حق إنجيل يوحنا «أما إنجيل يوحنا، فإنه لا مِرية ولا شك أنه كتاب مُزَوّر، أراد صاحبه مضادة الحواريين لبعضهما، وهما القديسان يوحنا ومتى، ولقد ادعى هذا الكاتب «أي المُصَنِّفُ له» المزوِّر أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على عِلاّتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً، مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم، ليربطوا ولو بأوهى رابط ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يحيى الصياد الجليلي «أي يوحنا» فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى، لخبطهم على غير هدى» انتهى كلامه.

فليتأمل المطالع المسترشد في تلك الشهادة التي صدق عليها خمس مئة عالم،

أعني جمعية دائرة المعارف الكبرى، وهي شهادة من رجلٍ عالم نصراني مشهود له بالفضل وسعة الاطلاع وسلامة الفكر، ثم إننا آثرنا تقديم البحث على إنجيل يوحنا، لكونه وحده هو الذي تسبب في الاختلاف بين االمسيحيين والمسلمين.

ثم قال الدكتور المذكور: «إن أقدم نسخة من الأناجيل الرسمية الحالية، كُتِب في القرن الخامس بعد المسيح، أما الزمان الممتد بين الحواريين والقرن الخامس، فلم يخلف لنا نسخة من هذه الأناجيل الأربعة الرسمية، وفضلاً عن استحداثها وقرب عهد وجودها منا، فقد حُرّفت هي نفسها تحريفاً ذا بال، خصوصاً منها إنجيل مرقس وإنجيل يوحنا» انتهى.

ثم تكلم على بعض مواقع الخلاف بين النسخ المتداولة الآن، وبين نسخ القرن الخامس، ولا نطيل في ترجمة ما قاله، في هذا الموضوع، خوفاً من سآمة التطويل. وكتاب «إظهار الحق» كافٍ لهذا المرام، وقد جاءت أبحاث دائرة المعارف المذكورة شاهدة لمؤلفه، فَرَحِمَهُ الله تعالى رحمة واسعة، لأن ما هو مسطور في دائرة المعارف من التناقض والأغلاط مِعشار ما أتى به صاحب «إظهار الحق»، فليرجع المسترشدُ لهذه الدائرة التي أتت على دينه، فهدمت بنيانه.

وبالجملة فلا يسع العاقل من النصارى إلا أن يُقَلِّبَ كَفَّ الأسف، ويعض على بنان الندم، على تزعزع أعظم ركن في النصرانية ، لا يثبت إلا في مخيلات بعض المقلدين، من غير إسناد إلى دليل نقلي صحيح أو عقلي مُسَلّم، حتى قام عقلاء هؤلاء القوم نافضين غبار التقليد ناشدين الحقيقة، فانجلت لكثيرٍ منهم عن تدمير هذا البناء التقليدي، والرجوع إلى ما ثبت بالدليل في ديانة غيرهم، وهنا أختم البحث بأوضح برهان على بطلان ما أصرتْ عليه النصارى بالدلائل النقلية من هذه الأناجيل، فأقول:

القضية الثالثة

في رد دعوى صلب الذات بالأدلة النقلية

إن هذه الأناجيل الرسمية صرحت بأن اليهود خرجوا إلى المسيح ليلة الجمعة، لثلاث عشرة خلت من نيسان، بالسيوف والعصي والمصابيح، والمسيح إذ ذاك مع تلاميذه بوادي الأردن، فقرعوا الباب، فخرج إليهم المسيح، فقال: مَنْ تريدون؟ فقالوا يسوع، فأنكروه، ولم يعرفوه. وهو دليلٌ قطعي بأنه غشي على أعينهم، فتشابه الأمرُ عليهم، وفعلوا ذلك مرات، فقال لهم: أنا يسوع، فسقطوا إلى الأرض مغشياً عليهم.

ويحتمل أنه خرج من بينهم، وهم في تلك الحالة، إلى محلٍّ لم يكن فيه أحد، ولما أفاقوا، رأوا شخصاً يشبه المسيح، فأخذوه وربطوه، فهرب تلاميذه، فلم يتبعه إلا بطرس من بعيد وشاب آخر، عليه إزار، فتعلقوا بالشاب، فترك لهم الإزار، وهرب عرياناً، وبطرس دخل الدار، وجعل يصطلي بالنار مع الجند، فعرفته جاريةٌ، فقالت: أنتَ صاحبُ يسوع، فأنكر، فجاءت أخرى، فقالت مثلَ مقالةِ الأولى، فأنكر بطرس، ولعنَ نفسَهُ، وحلفَ بأنه لم يعرفه، وخادعهم حتى خَلَّصَ نفسه من أيديهم، ولما كان صباح تلك الليلة، صلبوا ذلك المشبه بيسوع، فلم يحضر صلبه أحدٌ من تلاميذ المسيح إلا نساء يبكين، فقال لهم المصلوب، على مقتضى بعض الروايات: لا تبكين عليَّ، إلى آخرِ مقالته.

فَيُعْلَمْ من هذا أنه لم يحضرْ أحدٌ من أتباع المسيح، وقتَ الصلب، سوى نسوة، ومعهن الهارب عرياناً، على مقتضى رواية يوحنا.

واليهود الذين شاهدوا القتل والصلب لم يحكوا القضية كما حكتها الأناجيل، على أن شهادتهم أيضاً غير مقبولة، ولا يسوغ للنصراني أن يجعل ركن دينه قضية الصلب، بمجرد خبر اليهود، وهم لا عبرة بخبرهم، وكل مَنْ جاء بعدهم إنما

نقل عنهم، وذلك لا يحصل به العلمُ الضروري، بمقتضى القواعد العلمية. والمبني على الفاسد فاسد، فإذا بطل صحة الخبر، وانخرمت منه الثقةُ بقتلِ ذاتِ المسيح وصلبه، فقد برح الخفاء، وانكشف الغطاءُ، ووجب تسليم وقوع الشّبه لا محالة، وصَحَّ خبرُ القرآن العظيم، وها نحن نورد في هذه الكتب دلائل تدل على أن المصلوب غيره فنقول:

الدليل الأول: صرحت الأناجيل الأربعة بأن المسيح، عليه السلام، لما استحسَّ بإصرار اليهود على قتله، صار يتضرع ويدهش، وعرقه نازل كالدم، وهو يخرُّ للأرض ساجداً، يستغيثُ من الله أن يخلِّصه من كيد اليهود والموت، فسمع الله دعاءه، وخلصه من الموت، كما نص على ذلك القديس بولس في رسالته للعبرانيين في - ص٥ - ف٧ ولفظه: «الذي في أيام جسده إذ قدم بصراخٍ شديد ودموع طلباتٍ وتضرعاتٍ للقادر، أن يخلصه من الموت، وسمع له من أجل تقواه» انتهى قوله، والعاقلُ يعلم أن هذا القديس هو الذي شرع لكم هذا الدين، فقد حسم بيننا الجدال، وكفى الله المؤمنين القتال.

الدليل الثاني: روى المترجم - ف٦٣ - من - ص٢٦ أن رئيس الكهنة قال له: أستحلفُكَ بالله الحيِّ، أن تقولَ لنا: هل أنتَ المسيح ابن الله؟ قال له يسوع: أنتَ قلتَ، ولم يقل له: أنا المسيح، ولوقا حكى ما هو قريب منه، وذلك نَصٌّ بأن المسؤول لم يكن ذات المسيح، ولو كان ذاته، لم يُوَرّ في الجواب، ويستعمل الحيدة عن إجابة رئيس الكهنة، وكان ينبغي أن يُعَرِّفهم بنفسه، ليؤمنوا به، لا سيما وقد أقسم عليه بالله تعالى: هل أنت المسيح، فيبعد أن يكون هو المسيح، ولم يجبه، بل هو المشبه.

الدليل الثالث: روى المترجم في أوائل ص١٧، ومرقس ولوقا رويا في ص٩ حديث التجلي، وأن يسوع صعد إلى الجبل، ليصلي، ومعه بطرس ويوحنا ويعقوب، فبينما هو يصلي، إذ تَغَيّر منظرُ وجهه، وابيضت ثيابه، فصارت تلمع

كالبرق، ونظروا موسى بن عمران وإيلياء قد ظهرا لهم، وجاءت سحابة، فأظلَّتهم، فأما التلاميذُ الذين كانوا معه فوقع عليهم النوم، فناموا. وهذا دليلٌ على رفع المسيح في تلك الساعة، وصيانته من يد أعدائه اليهود، وأيّ مانعٍ يمنع من أن يكون ذلك قد وقع في اليوم الذي طلبته فيه اليهود أو قبله بيوم أو يومين، والرواة تناقضوا واختلفوا في نقلها، كما تناقضوا واختلفوا في نقل غيرها.

الدليل الرابع: أفرطت رواة الأربعة، وتغالت في حكايتها أن الذي أُخذ للصلب قد غيرت هيئته، وشاهت صورته، وسيق دليلاً، وتُوِّجَ من الشوك إكليلاً، وألبس أرجواناً، وكُسي هَوَاناً، وجذب وسُحب ولُطم، ونُتفت لحيته، وبُصِق على وجهه، وصُفع على قفاه، وجُلد وأهين، فأركبوه القصبة، وحمّلوه خشبة الصليب، فمن كان حاله كما ذكرنا، كيف لا تتغير صورته، ولا يشتبه عليهم هيئته، على أن لوقا حكى في الإصحاح الأول من إنجيله، أن جبرائيل بشّر مريم والدة المسيح، بأن الله يُجلس ولدَها على كرسي داود، ويمّلكه على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا شك أن قول جبرائيل حق، وَوَعْد الله صدق، فلو قلنا: إن المهان المصلوب هو المسيح، لَلَزِمَ منه بطلانُ تلك البشارة الصادقة، وهو محال، فبالضرورة يثبت أن المهان المصلوب ليس هو ذات المسيح عليه السلام.

الدليل الخامس: روى يوحنا في ص١٨ من إنجيله، أن الذين قبضوا عليه في بستان، بِوادي الأردن، وقد خرج إليهم المسيح، حين قرعوا الباب، وقال لهم: من تريدون؟ فقالوا: يسوع، وقد لزم أعينهم عن معرفته، ويهوذا واقف، ولم يَفُهْ بكلمة ولا بإشارة، فسألوه ثانية، وأعاد عليهم الجواب، وهذا دليلُ وقوعِ الشبه، إذ كيف لا يعرفون شخصه، وهو الناشىءُ بين أظهرهم، والمُرَبَّى بين جماعتهم، وكانوا أعرف الناس به أولاً، ولا سيما الدالُّ عليه معهم، ولكن شُبّه لهم، كما أخبر سبحانه في القرآن العظيم، ليصونه عما أرادوا به من الإهانة والقتل، وهذا

دليل لا غبار عليه.

الدليل السادس: في الإصحاح المذكور في نفس الحكاية أنه حين قال لهم: إني أنا هو، رجعوا إلى وراء، وسقطوا على الأرض. أليس في هذا خذلان أعداء الله ووقاية المسيح من أن يَمَسُّوه بسوء، فلا يبعد أنهم لما سقطوا مغشياً عليهم، ارتفع معززاً، أو تنحّى عنهم في تلك الساعة، ثم صعِد كما قال تعالى في القرآن العظيم ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ١٥٨﴾ [النساء] فوقع منهم ما وقع على الشبه.

الدليل السابع: روى لوقا في إنجيله أن المسيح أمسك أعين رفقته في الطريق، وأعين تلاميذه في الجليل، وعلى ساحل البحر أيضاً، فلم يعرفوه، وحتى مريم ظنته البستاني، وإذا جاز إخفاء شخصه عن تلاميذه وأحبّائه، فلِمَ لا يجوز أن يخفيه على أعدائه اليهود، حين أرادوا قتله؟!.

الدليل الثامن: روت أصحاب الأناجيل الأربعة: أن المصلوب قد استسقى اليهود، فأعطوه خلاً ممزوجاً بمرٍّ، فذاقه ولم يشربه، على اختلافٍ بينهم، في فروع الحكاية، لا في أصلها، مع أنهم يرون في هذه الأناجيل، أن المسيح كان يطوي أربعين يوماً وأربعين ليلة، ويقول للتلاميذ: إن لي طعاماً، لستم تعرفونه، كيف يُظْهِرُ الحاجةَ والمذلّةَ لأعدائه، بسببِ عطشِ ساعةٍ واحدة؟ هذا لا يفعله آحادُ الناس، فضلاً عن خواص الأنبياء، أليس في هذا دليل على أن المصلوب المستسقي هو غيره المُشَبَّه به؟!.

الدليل التاسع: رويتم في هذه الأناجيل قول المصلوب «إلهي إلهي! لم تركتني؟» وهذا كلامٌ يقتضي عَدَمَ الرضا بالقضاء، وعدم التسليم لأمرِ الله خالق الأرض والسماء، والمسيح مُنَزّهٌ عن ذلك، بالنسبة لمرتبة النبوة فقط، فكيف وأنتم تزعمون أنه الإلّه، وأنه ارتاح إلى الصلب بنفسه، أليس في هذا دليل على أنه شُبّه لهم، على أنكم رويتم أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون

عليهم السلام، حينما حَضَرهم الموتُ، كانوا مستبشرين بلقاء ربهم، فرحين بانقلابهم إلى سعيهم، لم يجزعوا من الموت، ولم يستثقلوا منه، ولم يهابوا مَذَاقَهُ، مع أنهم عبيده، والمسيح، بزعمكم، رَبُّهم، فكان ينبغي أن يكون الأمرُ بالعكس، ولمّا لم يكنْ كذلك، دَلَّ على أنَّ المصلوبَ غيرهُ، فلذلك كان يجزع ويصرخ ويفزع البتة، لأنه من آحاد الناس.

الدليل العاشر: روى المترجم في ص٢٦ في حديث العشاء، أن يسوع قال للتلاميذ: كلكم تَشُكّون فيَّ هذه الليلة، فإنه مكتوبٌ أني أضرب الراعي، فتتفرق الغنم، حتى قال بطرس: فلو شك جميعهم، لم أشك أنا، إلى آخر ما رواه، فقد شهد المسيح عليهم بوقوع الشك منهم فيه، بل على خيرهم بطرس هامةِ كنيستهِ ومهبطِ وحي المسيح من بعده، وبهذا انخرم الوثوقُ برواياتهم وأقوالهم بوقوع الصلب على ذات المسيح، وثبت الشبه علي غيره، وصح قوله تعالى ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء].

الدليل الحادي عشر: من المعلوم أن جمهور محققي الإفرنج مثل دي بونسن وأحزابه، عزوا مسألة الصلب والفداء، والقول بألوهية عيسى، إلى بولس، وأنه المخترع لهذه المسائل إضلالاً منه لهذه الأمة الضعيفة الأفكار، وعناداً فيها، ومع هذا كله فإن الله أنطقه بالحق، فأقرَّ في رسائله بنفي الصلب، وصرح بأن الصلب والقتل ليسا بحقيقيين كما جاء في رسالته لأهل غلاطية، حيث قال: «أنتم الذين رُسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً» وفي رسالته لأهل رومية «فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطيئة، ولاجل الخطيئة دان الخطيئة في الجسد» ثم قال «نحن قوم يشبه موته» إلى أن قال «فدفنا معه بالمعمودية، لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بارتفاعه عالمين أن إنساننا العتيق قد صلب معه» إلخ ما قاله، فَيُستفادُ من مجموعِ أقواله هذه أن المسيح لم يصلب، ولم يقتل حقيقة، وإنما ذلك مجاز عن الشبه، والمصلوب رسم هيكله لا ذاته حقيقة.

الدليل الثاني عشر: قد ورد في إنجيل برنابا، وهي النسخة التي أثبتها العلماء قبل الإسلام بنحو ثلاث مئة سنة، حتى أن تولاند الإنكليزي الشهير قال حين رأى تلك النسخة سنة ١٧١٨ في مكتبة البرنس أوجين دي: «سأقول على النصرانية السلام» وذلك لأن هذا الإنجيل يثبت صراحة بأن المسيح نبيٌّ عبدٌ مخلوق، ليس بإلهٍ، وأنه لم يصلب، وفيه البشارة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد ورد في هذا الإنجيل ما نصه بالحرف عن المسيح عليه السلام «وإني وإن كنت بريّاً، ولكن بعض الناس لما قالوا في حقي: إنه الله وابن الله، كَرِهَ اللهُ هذا القول، واقتضت مشيئته بأن لا تضحك الشياطين يوم القيامة عليّ، ولا يستهزئون، فاستحسن بمقتضى لطفه ورحمته أن يكون الضحك والاستهزاء في الدنيا، بسبب موت يهوذا، ويظن كل شخص أني صُلبتُ، لكن هذه الإهانة والاستهزاء تبقيان إلى أن يجيءَ محمدٌ رسول الله، فإذا جاء في الدنيا، ينبِّه كل مؤمن على هذا الغلط، وترتفع هذه الشبهة من قلوب الناس» وقد استشهد سيل الإنكليزي المشهور بأوروبا بترجمة المصحف الشريف، بهذه الآية الإنجيلية تفسيراً لقوله تعالى ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [آل عمران] وقد قرر العالم الإنكليزي تولاند في كتابه المسمى [نزارينوس، أي الناصري] «أن تيار تَقَدُّمِ النصرانية وقف من ذاك الحين» أي من حين ظهور نسخة إنجيل برنابا، وأنها ستأخذ في التقهقر تدريجياً حتى تمحى من صحيفة الوجود.

الدليل الثالث عشر: ورد في الإنجيل المنسوب ليوحنا، أن المحكوم بكفره هو عيسى، والحاكمُ بذلك عليه هو قيافا النبي، على مذهب هذا الإنجيلي، فقد حكم هذا النبيُّ بقتلِ إلههِ مصلوباً، بمقتضى نصوص الإنجيل، فيا أيها المنصف: أبهذا الهذيان يثبتُ صلبُ ذاتِ المسيح؟! أهذه الخرافات تُثْبِتُ ألوهيةَ عيسى؟! وعلى فرض صحة الرواية، يلزم منها سقوط ألوهية المسيح ونبوة قيافا والإنجيل معاً، فهل يحكم العقل بصدق خبر الصلب، بهذه الحكاية السخيفة التي هي عبارة عن خبطٍ وفساد وملعبة أولاد؟!.

الدليل الرابع عشر: صرحت الأناجيل بأن عيسى عليه السلام قال للكهنة: «ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا» وهذا ظاهر في أن اليهود، بعد ما قال لهم هذا، طلبوا أن يمسكوه ويقتلوه، فلم يجدوه، ولم يقدروا أن يصلوا إليه، وإذا أصرّت النصارى على أن اليهود طلبوه وأمسكوه وصلبوه، فحينئذٍ يلزم تكذيب عيسى، وحاشاه من ذلك، ونحنُ معاشرَ المؤمنين نُصدِّقُ بقول المسيح، ونكذّب تلك الخرافات المكذوبة.

الدليل الخامس عشر: صرحت الأناجيل بأن المسيح وعد أن يمكث في قلب الأرض ثلاثة أيام بلياليها، كما كان يونان النبي في بطن الحوت، ثم يقوم من الأموات، وقد صرحت الأناجيل أيضاً بأن المسيح لم يمكث في قلب الأرض إلا يوماً واحداً وأقل من ليلتين، فهل يثبت خبر الصلب بما هو تناقض صريح وكذب فضيح، وأيّاً صدقتَ، لزم تكذيب غيره.

الدليل السادس عشر: لم يأت في هذه الأناجيل الأربعة على قيامهِ من القبرِ شهادةُ شاهدٍ، سواء كان من اليهود أو العسكر أو الحراس أو واحد من الحواريين أو من الرسل أو من العامة أو من النساء، وأما مريم التي انفردت بأنها رأت ملائكة ورجالاً في القبر، فلم تقل: إنه قام بحضورها من قبره، بل لم يروا في قبره جسداً حياً ولا ميتاً، نعم ورد في حكاياتهم أنهم رأوه بالطريق، وظهر للتلاميذ، وهذه أخبارٌ تضاربت وتناقضت، على أنها لو صحت، لم تُفِد العلمَ بصَلْبه ولا قيامه، بل تؤيد أنه كان بمعزل عن اليهود عند وقوع الصلب، وقد قال لليهود: ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون لا تقدرون أنتم أن تأتوا، كما مر ذكره آنفاً في الدليل الخامس عشر.

الدليل السابع عشر: حكت الأناجيل أن بيلاطس كان يدافع عن المسيح، حين المحاكمة، وأن زوجته حين علمت الأمر قالت له: إياك وهذا البار، لأني تألمتُ اليوم كثيراً في حلم من أجله، وذلك دليل واضح على عدم وقوع الصلب على

ذات المسيح إذ لا يبعدُ إبدالُه بآخرَ محكوم عليه بالقتل من الذين في السجن، وكراهة الحاكم بيلاطس لليهود وقيامه ضد أفكارهم معلومة.

الدليل الثامن عشر: من تأمل نص التوراة - ف١٨ - ص٢١ من سفر الأمثال، أنَّ الأشرارَ فِديةٌ للأبرار، جزم قطعاً بأن المصلوب غير المسيح، وإلا لزم كون المسيح من الأشرار، وحاشاه، لأنهم قالوا عنه: إنه فدية عن الناس، وهذا لا ينطبق عقلاً، ولا يرضى به النصارى شريعة.

الدليل التاسع عشر: تقرر في عقيدة النصارى أن صلب المسيح كان كفارة لخطيئة البشر كافة، لسببِ أكلِ أبيهم آدم عليه السلام من الشجرة، وأن كافة الناس قبل صلبه كانوا في الجحيم، حتى الأنبياء والرسل، فإذا كان الصلبُ واقعاً على ذات المسيح، لهذه الحيثية، فهو مخالفٌ لما في الكتب الإلهية، لأنها مُصَرِّحةٌ بعدم مؤاخذةِ أحدٍ بذنبِ غيره، وقد ورد في ص١٨ - من ف٢٠ من سفر حزقيال: «النفس التي تخطىء، فهي تموت، والابنُ لا يحملُ ذنبَ الأب، والأب لا يحمل ذنب الابن، وعدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه».

على أننا لو سلمنا هذه العقيدة، ولم نلتفت إلى ما ورد في سفر حزقيال، لوجب القول بعدم تسليم النبوات، لأنه إذا كان مثل إبراهيم وموسى، عليهما السلام، مُتلبِّسين بهذه الخطيئة، ومن أهلِ الجحيم إلى وقتِ الصلب، فكيف اصطفاهما ربهما، فاتخذ إبراهيم خليلاً وموسى كليماً، وقد ورد في ف٥ من المزمور الأول: «لا تقوم الأشرار في الدين ولا الخُطاةُ في جماعة الرب»فإذا كان إبراهيم وموسى من أهل الخطيئة، على زعم النصرانية، فكيف دخلا في جماعة (الرب) وإذا بطل الفداء، يَثْبتُ أن المصلوبَ لم يكن عيسى عليه السلام الذي يعبرون عنه بالخروف، أي ضحية عن العالم ولسان حال الخروف يقول:

غيري جنى وأنا المعاقَبُ فيكم   فكـــأنـــي سبـــابـــة المتنـــدم

وقد أورد صاحب «السيف الصقيل» على إبطال تلك العقيدة جُملةَ أدلةٍ عقلا ونقلاً، فليرجع إليها، وهنا أدلة نقلية غير ما أتينا على ذِكْرِه، سنورد بعضاً منها، إن شاءَ الله تعالى، في آخر الإصحاح الثامن والعشرين.

الدليل العشرون: قال في أوائل ص١ من يوحنا «إن عيسى هو الله» ثم قال فيه أيضاً ف١٨: «اللهُ لم يَرَهُ أحدٌ» فمن هذين النصين يثبتُ بالبداهة بأن المصلوب غير عيسى، لأن ألوفاً من الناس رأوه مصلوباً، والإله لا يُرى قط، وهذا كله أوردناه على طريق الجدل لا بفرضِ أن أناجيلكم إلهامية، لا تحتملُ الكذب.

الإصحاح الثامن والعشرون

وهذا الإصحاح ليس بأحط درجة في التناقض مما تقدم، بل فيه مما يُريبُ اللبيبَ، ولنأتي بنقل أول جملة من هذا الإصحاح من النسخة المطبوعة قديماً في لندن في سنة ١٨٤٨ ونأتي بنقلها أيضاً من النسخة المطبوعة حديثاً في بيروت، من هذا الإنجيل، حتى لا تكون دعوانا كدعواهم عارية عن الدليل، وقد قسمنا الصحيفة قسمين، وجعلنا نقل كل نسخة منهما في جانب من الصحيفة، حتى لا يَعسرَ على الغبي من النصارى مطالعته وتنقيده، ليظهر التحريفُ والتناقضُ علناً، وهذا نصها.

قال مترجم متَّى من ف١ إلى نهاية - ف٥ - من ص٢٨-.

(المنقول من النسخة العربية) المطبوعة في لندن سنة ١٨٤٨ قال فيها:

(وفي عشية السبت صبيحة أحد السبت جاءت مريم المجدلانية ومريم الأخرى، لينظرا القبر، فها كانت زلزلة عظيمة، لأن ملاك الرب نزل من السماء، وتقدم ودحرج الحجر، وجلس فوقه، وكان منظره كالبرق، ولباسه كالثلج، فمن خوفهِ اضطربت الحُرَّاسُ، وصاروا كالأموات، فأجاب الملاك وقال للنسوة: لا تخفن، أنتن قد

(المنقول من النسخة العربية) المطبوعة في بيروت حديثاً قال فيها:

(وبعد السبت، عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر، وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء، وجاء ودحرج الحجر عن الباب، وجلس عليه، وكان منظره كالبرق، ولباسه أبيض كالثلج، فمن خوفه ارتعد الحراس، وصاروا كأموات، فأجاب الملاك وقال

علمت أنكن تطلبن يسوع للمرأتين: لا تخافا أنتما، فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب، ليس هو ههنا» انتهى المصلوب، ليس هو ههنا» انتهى المصلوب ليس هوهاهنا» انتهى.

أقول: فالمتأمل إذا طابق بينهما، يعلم أن هذه الجملة اشتملت على التحريف بأقسامه الثلاثة.

أما الأول: وهو التحريف بالتغيير والتبديل، فقد أبدل مصحح نسخة بيروت كلمة (في) (ببعد) والبُعد بينهما ظاهرٌ لِمَنْ كان عنده إلمامٌ بمعاني الكلام، وبدل (صبيحة أحد السبت) بجملة (عند فجر أول الأسبوع) وهذا التغييرُ الفاحش الذي تأبّطَ فيه هذا المصحح شراً، لا يدخل تحت قاعدة الترجمة، لأن من يعرف اللغتين العبرانية والعربية، يعلم أن المعاني العبرانية الموضوعة بإزاء الألفاظ لا تختلف عن العربية هذا الاختلاف، فهل يكونُ لفظُ السبت في العبرانية بمعنى فجر أول الأسبوع في العربية، وأئمة تلك اللغة ولله الحمد ألوفٌ، من علماء المشرق والمغرب، وهم ينكرون ذلك، على أن عبارة نسخة لندن نفسها متناقضة، أو لا معنى لها، إذ لا محصل لقوله فيها (عشية السبت صبيحة أحد السبت جاءت مريم) فأينَ العشيةُ من الصبيحة، وأين السبت من الأحد، وهذا بهذيانِ المَحْموم أشبهُ، ثم بدل (فها كانت) بلفظه (وإذا) وهذا التبديلُ من الفاضل المصلح كان لاستبشاعه تلك الجملة المبدلة، ثم بدل (تقدم) بكلمة (جاء)، وأبدل أيضاً لفظ (فوقه) بكلمة (عليه) وهذا الإبدال الأخير تَرَجَّحَ عنده، ليجعل جلوس الملك على القبر لا فوق الحجر، لأن في جلوس الملك فوق الحجر احتراماً للمدفون، فلم يرتضيه هذا المصلح، فأبدله بلفظ يدل على عدم حرمة المدفون، ثم اضطربت أفكار هذا الفاضل، فأبدل (الاضطراب) (بالارتعاد) وليته عَلِمَ أن عبارة نسخة لندن أدق معنى وأحكم لفظاً وأقوى موقعاً، لمناسبة ذكر الخوف من تصليحه، ولكن القوم لا يريدون الإصلاح، بل أرادوا الإفساد.

ثم أبدل ما ورد في نسخة لندن من قوله (وقال للنسوة: لا تخفن أنتن، قد علمت أنكن تطلبن) بقوله (وقال للمرأتين: لا تخافا أنتما، فإني أعلم أنكما تطلبان) ولا يخفى على القارىء أن في هذا الإبدال استدراكاً من الفاضل المصلح، لأن أول عبارة نسخة لندن ظاهرة، بأن التي جاءت لتنظر القبر مريم المجدلية ومريم الأخرى، فهما اثنتان، وخطاب الملك يدل على بيان أنهنَّ نسوةٌ ثلاثةٌ فأكثر، فيكون غلطاً ظاهراً، فاستدرك هذا الغلط الظاهر، وأبدلَ خطابَ الملك بلسان التثنية، ولم يعلم هذا المصلحُ أن هذا إقرارٌ منه بوجود الغلط في تلك الكتب المقدسة، سواء كان الغلط من متَّى أو من المترجم، فأيهما تَرَجَّح عندهم، فهو حجة لنا في إثبات وقوع التحريف، كما حكاه الله تعالى لنا في كتابه العزيز.

وأما الثاني: أعني التحريف بالزيادة: ففي نسخة بيروت زيادة لفظ (حدثت) فهي من فضلات المصحح البيروتي، وكذا أضاف لفظ (الباب) ثم زاد في وصف ثياب الملك لفظ (أبيض) فقال (وثيابهُ بِيضٌ كالثلج) وفي نسخة لندن (ولباسه كالثلج) فَغيَّرَ لفظ اللباس بالثياب، وزاد في وصفها بأنها أبيض. وليت شعري! هل كان يرى أن في الثلجِ ألواناً، فذهب إلى بيانه بالأبيض منها، ولم يعلم بأن أحسنَ الكلام ما قَلَّ ودل، وفي الكاف كفايةٌ عن تلك الزيادة التي زادها في كلام الله تعالى بزعمه.

وأما القسم الثالث: أعني التحريف بالنقصان: فهو موجود أيضاً بهذه الكلمات الجزئية، من هذه الحكاية، لأن مَنْ نظرَ إلى نسخة لندن في قوله (مريم المجدلانية) نسبة إلى مجدل مدينة كانت في فلسطين، على بركة جانا، على ما ذكره صاحب «مرشد الطالبين»، فأتى المصحح، وصلّح وأسقط منها حرفين وكتبها هكذا (مريم المجدلية) وهكذا عمد إلى قولة نسخة لندن (وصاروا كالأموات) فأسقط الألف واللام وكتبها (كأموات) وربما يقول المعترض: إنَّ هذا

تحاملٌ على القوم، وإن أنواع التحريف التي عددتها لم تطرأ على المعنى، بل لم تَتعدَّ اللفظَ، فأقول: إن هذا الكتاب المتنازع فيه تدعي النصارى أنه كتاب الله المنزل من السماء، فإذا كان قولهم صحيحاً، وجب حِفْظُه وصيانته مما يوجب الريبة والشك، ولو في حرف واحد من حروفه، فلا يجوز أن تمسه الأيدي بتغيير كلمة أو تبديل جملة منه، لأن الكتب السماوية، بعد التسليم أنها إلهامية، لا تكون إلا مُحْكَمة، فإذا وقع التحريف، ولو بحرفٍ، تعدت أفكار أرباب الأغراض إلى تغيير كلمة منه، وتعدي هذا التغيير إلى الكثير من جمله وفصوله، ونحن نرى الأساقفة قد تعدوا في التحريف إلى رفع قصة أو مسألة منه برمتها، وإلحاق جُمَلٍ أخرى مكانها، فضلاً عن إبدال كلمةٍ بكلمةٍ أو حرفٍ بحرف. وفي المثال الذي قدمناه غنية للمتأمل.

والعلامة المرحوم الشيخ رحمة الله الهندي حكى في كتابه «إظهار الحق» أن التغيير والتبديل على الأخص عند فرقة البروتستانت هو بمنزلة الشيء الطبيعي، لا يتحاشون منه، وأنه قابلَ بين أربع نسخ من كتاب العهدين، مترجمة بلسان أردو ولسان فارس، ومطبوعة في البلاد الهندية، في زمن لم يتجاوز نصف قرن، فلم تتفق الترجمتان سواء، والعالِمُ المنصف من النصرانية لا ينكر هذا، والنسخ المذكورة موجودة ومحفوظة في مدارس الهند، ولا نعلم ما عذرهم في الجواب عن تلك النقيصة، وما علينا إلا تنبيه العامي ليقفَ على تلاعبِ أمناء هذا الدين فيه.

وَيْحَ المسيحيِّ المسكين! كيف لا يرتابُ قلبه، وتشمئز نفسه، لمثل هذا، أيقال: إن عيسى عليه السلام نزل من كرسيه مرةً أُخرى كالأولى بعد تسعة عشر قرناً، وبَلَّغَ مطبعةَ بيروت تصحيحَ هذا الإنجيل، بعد أن صُحِّحَ ونُقِّحَ وطُبِعَ في لندن، بإقرارِ ألوفٍ من العلماء، هل تقبلُ أيها المسيحيُّ العاقل أن تتوهم أنك وأسلافك في مدة تسعة عشر قرناً، كنتم تتعبدون بتلاوة إنجيل مليءٍ من

الأغلاط، حتى أتت تلك الطائفة، وشَمَّرت عن ذراع الغيرة، وأصلحت تلك الأغلاط، وَيْلٌ للمتمسِّك بتلك الخرافات، فمتى ينتهي به الحال، ونرى بيده ترجمةً صحيحة من تلك الكتب التي يزعم أنها منزلة من عند الله تعالى، ومتى يستقيمُ الظلُّ والعودُ أعوج، أفلا يتدبر هذا المصلح ما ورد في ص٢٢ - ف١٨ من كتاب الرؤيا من التحذير بقوله: «إنْ كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب» فعدمُ مبالاتهِ بهذا الإنذار يدل على أحد أمرين: إما أنه لا يعتقد إلهاميةَ تلك الكتب، وإما أنه في المرتبة الدينية مُقَدَّمٌ على الملهمين.

ولنورد أيضاً هذه الجملة من رواية مرقس، من النسختين المذكورتين، ليزداد القارىءُ وقوفاً على تلك الحالة المدهشة، فنقول:

(قال مرقس في ص١٦ - ف١ إلى نهاية - ف٤)

(نسخة لندن)

فلما جاز السبت، ابتاعت مريم المجدلانية طيباً، ومريم أم يعقوب وسالومي، ليأتين ويطيِّبن يسوع، وفي أحد السبوت بكّرا جداً، وافين القبر إذ طلعت الشمس، فكن يقلن بعضهُم لبعض: من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟ فتطلعن ونظرن الحجر قد دحرج لأنه كان عظيماً جداً. انتهى.

(نسخة بيروت)

وبعدما مضى السبت، اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاً، ليأتين ويدهنه، وباكراً جداً في أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس، وكن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟ فتطلَّعْنَ ورأين أن الحجر قد دحرج، لأنه كان عظيماً جداً. انتهى.

فإن أيدي المحرفين لعبت بتلك الرواية وأخرجتها عن صورتها الأصلية، ويكفي الناقد أن ينظر إلى الفقرة الأولى، من نسخة لندن، وهي من قوله (فلما

جاز السبت، إلى قوله ويطيبن يسوع)، وقابلها على نظيرتها في نسخة بيروت، ومَنْ نظر إلى الفقرة الثانية أيضاً، يرى التحريفَ قد ذهب فيها كل مذهب، لأن المتبادر من رواية نسخة لندن أن ذهاب المجدلانية وأم يعقوب كان بكرة أحد السبوت، فأبدله صاحب نسخة بيروت بقوله: (وباكراً جداً في أول الأسبوع) إلخ ومدلوله أن إتيانهما القبر كان بكرة الأحد التالي لليوم الواقع بعد الصلب، ومدلول نسخة لندن أنه كان بكرة أحد السبوت، لا على التعيين.

ومعلوم أن شراء الحنوط وقع بعد مُضِيِّ السبت، فلا بد أن يكون إتيان النساء إلى القبر في صبيحة أحدٍ آخر، ولا أقل من أن يتخلل حينئذٍ بين الدفن وإتيانهن القبر أسبوع، والمصحح البيروتي بدّل أحد السبوت بأول الأسبوع، ليصرف العبارةَ عن معناها المتبادر، ويجعل المراد بأحد السبوت يوم الأحد، لا واحداً من السبوت، فراراً من بعض المناقضات والمخالفات لباقي الأناجيل، مع أن هذا التركيب صريح فيما قلنا، لا يخفى على مَنْ يعرف اللسان العربي، وحيثُ أن ابتياعَ الطِّيبِ وقع بعد مضي السبت، فيبعد أن يكون ذلك ليلاً، لأن مضي السبت لا يتم إلا بدخولِ الليل، وقد حصلت تلك الأراجيفُ المخوفة في المدينة، من وقوع الزلزلة، وقيام الأموات من قبورهم، وانشقاق الهيكل، والظلمة، كما صرح بذلك الإنجيل، فَمَنْ يجسرَ أن يخرجَ في تلك الليلة لشراء حنوط ميت، ولا سيما طائفة النساء، فإنهم أقل جسارة من الرجال، مع أن مريم ورفيقتها قد رأتا هذا الميت حُنِّطَ بمئةِ رطلٍ من أنواع الطيب، كما حكاه يوحنا في إنجيله، وعلى زعمهم أنه في اليوم الثالث سيقوم من قبره، فأيّ حاجةٍ بقيت للحنوط، ثم مرقس بعد أن حكى أن مريم وصاحبتها خرجتا، وفرتا من القبر، وما رأتا يسوع، كيف ينقضُ كلامه هذا بقوله «قام باكراً أحد السبوت وظهر أولاً لمريم» فهل هذا إلا خبص وهذيان، لا يكاد يصدرُ مثله حتى عن المجانين والصبيان، وحيث قد أتينا على تلك الجملة من رواية المترجم ومرقس، فلا بأس من إثباتها أمام المُطَالِعِ من رواية لوقا أيضاً وهي.

(قال لوقا في ص٢٣ وف٥٥ إلى نهاية ف٢ من ص٢٤)

(نسخة لندن)	(نسخة بيروت)
والنسوة اللاتي جئن معه من الجليل تابعات، أبصرن القبرُ، وكيف وضع جسده، فلما رجعن، أعددن عطراً وطيباً، وكففن في السبت كما الوصية، وفي أحد السبت باكراً جداً أتين إلى القبر، ومعهن العطر الذي أعددنه، فوجدن الصخرة قد دحرجت عن القبر.	وتبعته نساءٌ، كن قد أتين معه من الجليل، ونظرن القبر، وكيف وضع جسده، فرجعن وأعددن حنوطاً وأطياباً، وفي السبت استرحْنَ حسب الوصية، ثم في أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعددنه، ومعهن أناس فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر.

وليس هنا مجال لنصراني أن يقف أمام المخالف، ويدافع عن فساد هذا الذي يسمونه مصلح الإنجيل أو مُصَحِّح أغلاطه، بعد أن يرى أنه قدّم وأخّر، وبدّل وغيّر، وأضاف وأسقط، ورضي بأن يوطن نفسه لتحمل الضربات المكتوبة في آخر ص٢٢ من كتاب الرؤيا، فلم يبالِ بهذا التهديد، ولم يعبأ بذلك الوعيد، فزاد قوله: ومعهن أناس، لأنه علم أن شهادة المرأة على رواية يوحنا، كما سيأتي: أو امرأتين، على ما مَرَّ في رواية المترجم ومرقس غير كافٍ في إثباتِ تلك الدعوى التي أحاط بها الكذبُ من سائر أطرافها، ووضح حال افترائها فأتى هنا بجملة تدل على أن الشهود جَمٌّ غفير ونفر كثير، وليته علم أن قومه عند ضبطهم تلك الدعوى، ونشرِها أمام العالم بأجمعه، من نحو تسعة عشر جيلاً، لم يذكروا من الشهودِ سوى مريم المجدلانية ومريم الأخرى، مع وجود اختلافهما في الشهادة، ويوحنا لم يذكر سوى مريم المجدلانية، فمن أين يَصحُّ لهذا المفتري المصلح أن يأتي بهذا الجمع في الجيل التاسع عشر، أوَ لَم يكف النصارى تزويرُ قدمائهم في نفس الدعوى، حتى يأتوا في زماننا علناً بشهود زور؟!

وَيْلٌ لهذا المصلح، ما أجراه على تغيير الكتب المقدسة، وهذا دليل كاف على وجود التحريف في كل وقت وزمان، والنصارى يكابرونا في عدم وجوده، ونؤخر الكلام على التناقض بين رواية لوقا هذا وبين ما تَقَدَّمَ من روايتي المترجم ومرقس، في شراء النسوة للطيب، هل هو بعد السبت أو قبله، وهل كُنَّ ثِنتين أو أكثر، وفي تعيين أسمائهن إلى غير ذلك مما سنبينه بعدُ، إن شاء الله تعالى، ولنأت على نموذج رابع من رواية يوحنا، ليعلم القارىء أن تحريفهم الجديد كان عمومياً في كافة الأناجيل، لا خصوصياً في إحدى الروايات دون أخرى، قال يوحنا في ص٢٠ - من ف١ إلى نهاية ف٣-.

في نسخة لندن	في نسخة بيروت
فلما كان أحد السبت، جاءت مريم المجدلانية غلساً، والظلام باق إلى القبر، فرأت الحجر مقلوباً عن القبر، فأسرعت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى لتلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه، وقالت لهما قد حملوا الرب من القبر، ولا علم لنا أين تركوه، انتهى.	وفي أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً، والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر، فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه، وقالت لهما: أخذوا السيد من القبر، ولسنا نعلم أين وضعوه. انتهى

فإنه قال في نسخة لندن «فلما كان أحد السبت» فأبدله هذا المصحح البيروتي بقوله «وفي أول الأسبوع» وهكذا فعل في الروايات الأربع، مع أنه يلزم أن تختلف ألفاظها، لاختلافها في نسخة لندن، وأبدل لفظ «الغلس» بقوله «باكراً» ليلفِّق بين الروايات الأخر، ولكنه لم يتجاسرْ على حذف جملة «والظلامُ باقٍ» وقد أجلَ ذلك إلى طبعة أخرى سيفتتحها في وسط القرن العشرين، لأن طبع نسخة لندن كان سنة ١٨٤٨ وطبع نسخة بيروت كان سنة ١٨٩٦ وسيكون الطبع

الثالث بعد التصحيح كما قلنا سنة ١٩٥٠ وحينئذٍ يكون الشاب، من أبناء هذا الجيل، قد شاخ وضعف عن النظر، فلا يستطيع أن يقارن بين النسخ، بل ولا يلتفت لمطالعتها، لعدم أهميتها، بسبب كونها مملوءةً من التناقض والتخالف، ويكون الشيخ قد هرم ومات، فيحصل غرض المصحح، وياله من ماكر، ما أَعلمَهُ بدروبِ الحيل والاحتياط لها، هذا وقد بَدَّلَ أيضاً كلمة «مقلوباً» بقوله «مرفوعاً» كما لا يخفى، وقَلْبُ الحجر قريب من تدَحْرُجِهِ فيكون قد قارب بين الروايات، وأما الرفع فإنه بعيد عن التدحرج، ولعله قصدَ بقوله مرفوعاً إثباتٌ آيةٍ لعيسى، لأنه زعم أن قلب الحجر ممكن، ورفعه ممتنع، فأراد بهذا التبديل المبالغة، حيث ورد في الروايات الأخر أن الحجر كان عظيماً، فيكون رفع العظيم جداً أدلّ على القوة من قلبه، مع أنا لو اعتبرنا رفع الحجر معجزةً لعيسى، لكانت معجزةُ اليهود فيه أعظم، لأنهم أتوا به من مكان بعيد، ووضعوه على القبر، وأما إبداله لفظ «أسرعت» بقوله «ركضت» وبينهما فرق ظاهر فقصده بذلك إعظام الأمر والعجب له، إذ أثبت لها الركض، وهي حالة توجب على الرائي أن يتبعها، ليقف على سبب ركضها، ولم يذكر أن أحداً تبعها.

وليت شعري! لماذا لم يتبعها بالركضِ ذلك الجَمْعُ المذكور في رواية لوقا بقوله: ومعهن أناس، ولكنا نعذره، لأن رَكْضَها كان في آخر الليل، والناسُ نيام.

ثم مَنْ نظر إلى عبارة نسخة لندن، في قوله: «قد حملوا الرب من القبر، ولا نعلم أين تركوه»، وأبدلها في نسخة بيروت بقوله «أخذوا السيد من القبر، ولسنا نعلم أين وضعوه» يعلم أن هذا المصلح استهجنَ لفظَ الحملِ والتركِ بالنسبة إلى الرب، فأبدله بالأخذِ والوضعِ، وتبّاً لربٍّ، تتداوله الأيدي بالضرب، والصفع والصلب والصرع والدفن والجضع والأخذ والوضع والحَطِّ والرفع، إلى غير ذلك مما يُصِمّ السمع، ويقبض الطبع.

وهنا ننبه القارىء على إبدال لفظ الرب بالسيد، حيث أن الرب مستعملٌ في هذه الأناجيل بمعنى الأستاذ والمعلم، بدليل قول يوحنا في - ف١٦ - من ص٢٠ «ربوني» وتفسيره: يا معلمي، فاستقبح هذا المصلح إطلاقه على المسيح، ورأى لفظة السيد أليَقَ بالمقام، لأن المتأخِّرين من علماء النصرانية، كنوا به عن الإله، فأصبح لفظ السيد مستعملاً عند نصارى سوريا في إلّه السموات والأرض، وأما في اللغة العربية والعرف العام عند الإسلام، فيراد به: شريف القوم وكبيرهم الذي يسود جماعته، فيصح إطلاقه، بهذا المعنى، على المسيح، عليه السلام، ولكن النصارى كفروا بها، فكانت كلمة حق أريد بها باطل.

وهنا وقف بنا جوادُ القلم عن الخوض في إظهار دسائس القوم، بواسطة التحريف الجديد، وفيما أثبتناه من الأنموذج كفايةٌ للقارىء.

ولو أخذنا في تتبع هذا البحث واستقصائه، لأفضى بنا الأمرُ إلى تأليف مجلدات كثيرة، والفطِن لَوْ قايس بين نسخَتَي لندن وبيروت، والمدة بينهما لم تتجاوز نصف جيل، والزمن زمن تمدن القوم، حتى ادعوا الارتقاء فيه إلى ذروة المجد، علم هنالك ما فعلته أيدي المدلسين منهم، في الأزمان السالفة، خصوصاً في القرون الأولى التي فيها انتشرت تلك الأناجيل، وهو زمن القلاقل وتسلط الرؤساء على العامة، وهم لا ينكرون أنه كان زمن التوحش، وكانت عامة النصرانية فيه أُسَراء الجهل، وهو زمن تغلُّب الأساقفةِ على العامة، بحيث أن أحدهم كان يتسبب لإهدار دماء الملايين من النصرانية، لنشرِ بدعةٍ، وآخرها ما جرى بين الكاثوليك والبروتستانت وغيرهم.

ولنعد إلى ما وعدنا به، من سرد عبارة المترجم، ومعارضها فقرةً فقرة، من باقي الروايات من الأناجيل الثلاثة، فنقول: ثم قال المترجم - ف٥: «فأجاب الملاك وقال للمرأتين: لا تخافا أنتما، فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب، ليس هو ههنا، لأنه قام، كما قال: هلما انظرا الموضعَ الذي كان الربُّ مضطجعاً

فيه، واذهبا سريعاً قولا لتلاميذه: إنه قد قام من الأموات، ها هو يسبقكم إلى الجليل، هناك ترونه، ها أنا قد قلت لكما، فخرجتا سريعاً من القبر، بخوفٍ وفرح عظيم راكضتين، لتخبرا تلاميذه، وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه، إذا يسوع لاقاهما، وقال: سلامٌ لكما، فتقدمتا، وأمسكتا بقدمه، وسجدتا له، فقال لهما يسوع: لا تخافا، اذهبا قولا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل، وهناك يرونني، وفيما هما ذاهبتين، إذا قوم من الحراس جاؤوا إلى المدينة، وأخبروا رؤساءَ الكهنة بكلٍّ ما كان، فاجتمعوا مع الشيوخ، وتشاوروا، وأعطوا العسكر فضة كثير قائلين: قولوا: إن تلاميذه أتوا ليلاً، وسرقوه ونحن نيام؛ وإذا سمع ذلك عند الوالي، فنحن نستعطفه، ونجعلكم مطمئنين، فأخذوا الفضة، وفعلوا كما علّمُوهم، فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم، وأما الأحد عشر تلميذاً، فانطلقوا إلى الجليل، حيث أمرهم يسوع، ولما رأوه سجدوا له، ولكن بعضهم شَكُّوا، فتقدَّم يسوع، وكلمهم قائلاً: دفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتَلْمِذوا جميع الأمم، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتُكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر آمين» انتهى إنجيل متى.

أقول: ليست قصة القيام والانبعاث، عند المسيحي، أحطَّ مرتبةً في الاعتقاد من قصة الصلب، لارتباطِ الأولى بالثانية، وبالعكس، وقد علمتَ أن دعوى صلب ذاتِ المسيح منقوضةٌ بالأدلة العقلية والنقلية، وقد أتينا، في الفصل الذي ختمنا به الإصحاح السابق، بما فيه كفاية لطلب الحق، ولكن حيث التزمنا ذكر المناقضات، فلنذكر من مناقضات هذه القصة قليلاً من كثير أنموذجاً للمطالع، وتأييداً للبراهين الماضية، مبتدئين بقصة مريم ومجيئها إلى القبر، فإنها تضمنت ثلاثةَ اختلافات في وقت المجيء وسببه، وعدد مَنْ جاء.

فالذي رواه المترجم: أن مريم المجدلية ومريم الأخرى جاءتا في صبح يوم

الأحد، لينظرا القبرَ، وهذا دليلٌ على أن ما حكاه المترجم في ف٦١ - من ص٢٧ بقوله: «وكانت هناك مريم المجدلية ومريم الأخرى جالستين تجاه القبر» كَذِبٌ، وإلا فلا معنى لمجيئهما ثانية، لينظرا القبر.

وعبارة مرقس مخالفة للمترجم، فإنه جعل السببَ تحنيط المدفون، وأن وقت المجيء بكرةَ أحدِ السبوت، كما في نسخة لندن. ولوقا وافق مرقس في سبب المجيء، وأنه كان لتحنيط المدفون، ولكن خالفه في شراء الحنوط، وأنه كان قبل السبت لا بعده، وخالفه كما خالف المترجم في عدد الذين جاؤوا، فجعلهم النساء اللاتي تبعن المسيح من الجليل، وأغمض عن ذكر أسمائهن، وأضاف إليهن جمعاً من الناس. وعبارة يوحنا تخالف الثلاثة، وتكذبهم في الوقت والسبت وعدد النسوة، وقد تقدم نص روايته، فلا حاجة للإعادة.

والذي تَلَخَّصَ من تلك الروايات، أن الذي جاء للقبر، باتفاق المترجم ومرقس ويوحنا، مريم المجدلية، وقد اقتصر عليها يوحنا، ومريم الأخرى، عند المترجم، مجهولة، فيكون خبرُ القيام وانبعاثُ المدفون منحصراً في مريم المجدلية وحدها، وذلك لا يفيدُ اليقينَ في مثل هذا الأمر الخارق للعادة مع هذا، وهي لم تخبر بأنها رأت المسيح خرج من القبر، بل تَدَّعي أنها رأته في الطريق، ولا نزاع بذلك، وقد قالوا بصدور الكذب فيما هو أعظم من ذلك عن الحواريين الاثني عشر، وهم المبشرون بالزُّلفى عند الله تعالى، وحسن المستقر؛ والعجب من أولئك الرواة الذين راموا تصوير المُحال في شأن مريم المجدلية، وليتهم أسندوا هذا الخبر لمريم العذراء، سلامُ الله عليها، وهي يومئذٍ بقيد الحياة، ولماذا أهملت زيارةَ ولدها وفلذة كبدها، أشَذَّ عن فكرها أمرُه، ألم تعلم، وهي أم الإلّه، بواجباتِ حديثِ القيام، وانبعاثِ ولدها من الموتى، في اليوم الثالث كما زعموا، ألم تؤمن بذلك، أو هل كان محجوراً عليها ومباحاً لمريم المجدلية؟ على أن المجدلية أيضاً بريئة من هذا الهذيان، وهو افتراء من

الأساقفة عليها بعد موتها، كما افتروا في إنجيل يوحنا، بعد موته، أن المسيح هو إلّه، وشحنوا إنجيله وسائر الأناجيل من بحث الصلب والانبعاث، وقد تكررت الروايات بوقوع هذه القضية المُهِينة بألوهية المسيح في الأناجيل ٣٣ مرة على ما أحصاه الخوري مارون الدبس في كتابه «تحفة الجيل».

وليت شعري! ما فائدةُ هذا التحنيط من المجدلية، على ما رواه مرقس ولوقا؟ وبالأمس روى يوحنا أن الذي دَفنَ المصلوب، حنّطه بمئة مَنٍّ من الطيب، أيحتاجُ جسمُ هذا الإله إلى التحنيط بأزيدَ من هذا المقدار الفاحش؟ وقد روت الأناجيل الأربعة أن طيب الناردين الذي صبته مريم المجدلانية على جسده، كان لهذا اليوم، ولم يمضِ بعدُ على ذلك أسبوع، ثم مَنْ نظر إلى هذا الاختلاف المثلث الأضلاع، كتثليث معبودهم، هان عليه الأمرُ عندما يسمع رواية المترجم، وانفراده عنهم بذكر الزلزلة العظيمة التي حدثت، بنزول الملك من السماء، لهذا الأمر العظيم، وقد صارت الحراسُ كالأموات، من هولِ هذا الأمر الفظيع.

ومن العجيب قول يوحنا: إنها رأت القبرَ مفتوحاً قبل حضورها، بدون زلزلة ولا ملائكة، وأخبرت بطرس ويوحنا، وهما أيضاً حضرا معها إلى القبر معاً، فلو صَحَّ خبرُ الزلزلة، لكان يوحنا أول مَنْ شاهدها وأول من يذكرها في إنجيله، ثم إن وقوع هذا الحادث العظيم الذي صارت الحراس منه كالأموات، كُلُّ ذلك لرفعِ الحجر عن قبرِ المدفون، وقد وضعه رجلٌ يهودي بدون كُلفة.

وخلاصته: تضاربت رواة الأناجيل في شأن هذا الحجر، فتلاشت أخبارهم، وحكاية الثلاثة خالفت المترجم، في أن الذين جاؤوا إلى القبر، وجدوا الحجر مدحرجاً، وكل منهم حكاه بلفظ، يخالف الآخر.

ورواية مرقس من المضحكات، حيث قال: فتطلّعن رأينَ أن الحجر قد تدحرج، لأنه كان عظيماً جداً» ومفاده أنه لو لم يكن عظيماً، لم يدحرج، فلذلك

قويت اليهودُ على وضعه على القبر، لأنه كان عظيماً جداً. ويوحنا قال: مرفوعاً.

واختلفوا أيضاً في الملك، فالمفهوم من رواية المترجم أنه نزل بعد مجيء مريم إلى القبر، وبنزوله دحرج الحجر أمامها، وجلس عليه، وأن منظره كالبرق، ولباسه كالثلج، وأنه كَلَّمها وصاحبتها بقوله: «لا تخافا أنتما، فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب، ليس هو ههنا، لأنه قام - كما قال - هلما انظرا الموضعَ الذي كان الربُّ مضطجعاً فيه».

والمفهوم من رواية مرقس ضد هذا. وقد مر نص مجيء الزائرات، وأنهن وَجَدن الحجر مدحرجاً، وتمامه في - ص١٦ - ف٥ من مرقس: «ولما دخلن القبر، رأين شاباً جالساً عن اليمين، لابساً حلة بيضاء، فاندهشن، فقال لهن: لا تندهشن، أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب، قد قام، ليس هو ههنا، هو ذا الموضع الذي وضعوه فيه» وعبارة لوقا بعد أن قال: وجدن الحجر مدحرجاً عن القبر، قال في ص٢٤ - ف٣ «فدخلن، ولم يجدن جسد الرب يسوع، وفيما هُنَّ محتاراتٍ في ذلك، إذا رجلان وقفا بهن، بثياب براقة، وإذ كن خائفات ومنكِّساتٍ وجوههن إلى الأرض، قالا لهن: لماذا تطلبن الحي بين الأموات؟ ليس هو ههنا».

قلت: قد ظهر الحق، وزهق الباطل، وذلك في قول الملكين لهن: إن طلب جسد المسيح في القبر من المحال والعبث، لأنه حيٌّ لم يمت، ولكن حيث ظن النسوة أن المصلوب المُشَبَّه هو المسيح، وأنه هو المدفون، ولم يعلمن بوقوع الشبه، فجئن إلى القبر لتلك الغاية، ولما كان مجيئهن عبثاً وطلباً للمحال، قال لهن الملكان ذلك إعلاماً بحقيقة الحال، ورفعاً للإشكال، وتمام عبارة لوقا أنهما قالا: «لكنه قام، اذكرن كيف كلَّمكن، وهو بَعْدُ في الجليل قائلاً: إنه ينبغي أن يُسَلَّم ابن الإنسان في أيدي أناسٍ خُطاةٍ، ويصلب، وفي اليوم الثالث يقوم، فتذكرن كلامه، ورجعن من القبر» انتهى.

وقد انفرد بذكرها عن الأناجيل الثلاثة، وهو مناقضٌ لِمَا تقدم من صاحبيه مرقس والمترجم، وأما يوحنا فقد خالف الثلاثة أيضاً، وقد تقدم طرف من حكايته، وتمامها في ص٢٠ - ف١١: «أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً، تبكي، وفيما هي تبكي، انحنت إلى القبر، فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين، واحد عند الرأس والآخر عند الرجلين، حيث كان جسدُ يسوع موضوعاً، فقالا لها: يا امرأة! لماذا تبكين؟ قالت لهما: إنهم أخذوا سيدي ولستُ أعلم أين وضعوه، ولما قالت هذا، التفتت إلى الوراء، فنظرت يسوع واقفاً» إلى آخر ما سيأتي، فتلخَّصَ من تلك الحكاية خمسة أمور.

الأول: اختلافهم في نزول الملك من السماء، ولم يذكر النزول غير المترجم، وغرضه التوطئة لإحداث الزلزلة التي انفرد بذكرها.

الثاني: تصريح المترجم بأن نزول الملك من السماء بحضور مريم المجدلية ومريم الثانية، حتى لا يتبادر في الأذهان أن الذي كلَّمها، من القبر، رجلٌ من البشر، بل هو مَلَكٌ، بدليل نزوله من السماء بحضورهما، وحدثت زلزلة عند رفع الحجر، وهما ينظرانه بأعينهما، فنقول للمترجم: - حَفظتَ شيئاً، وغابت عنك أشياء - لأنه لو صَحَّ هذا الافتراء، لثبت، بالبداهة، عَدَمُ صلبِ عيسى، عليه السلام، إذ لم يظهر في القبر جسد ولا أحد، وهو صريح، فقد ثبت أن هذا من مخترعات المترجم، لتلك الغاية التي ذكرناها، وهذه الأناجيل الثلاثة تفيد خلافه، فرواية مرقس تفيد أنهن رأينَ القبرَ مفتوحاً قبل حضورهن، وحين دخلن القبر، رأين شاباً، ورواية لوقا خلافهما، إذ قال: فإنهن رأين الحجر مرفوعاً قبل حضورهن، وبعد دخولهن القبر، لم يجدن فيه جسداً، ولا ملك، ولا رجلاً ولا شاباً، فوقعن في الحيرة، وفيما هن محتارت، وإذ رجلان. إلخ.

وحكاية مريم في يوحنا مخالفة للأناجيل الثلاثة، لأنها ذكرت بأنها رأت القبر مفتوحاً، وليس فيه جسد ولا ملائكة، فركضت، وأخبرت بطرس، ويوحنا، وبعد

مجيئهما، وجدوا القبر خالياً، وليس فيه ملك ولا رجل ولا شاب، وبعد رجوع التلميذين لمحلهما، قالت: إنها تراءى لها ملكان داخل القبر، ولا يشك المسيحي في أن هذا التناقض يكذب القضية. ولقد أغرب يوحنا إذ جعلَ رؤيةَ الملائكة بعد عودها ثانياً إلى القبر، خلافاً للأناجيل الثلاثة، وما هذا إلا أكاذيب من الأساقفة، أُلحقَتْ في إنجيله، بعد موته، كما أُلحقت فيه روايات لاهوت المسيح.

الثالث: تناقض الروايات في قصة هذا الملك، وقد علمتَ، من رواية المترجم، أن منظره كالبرق، ولباسه كالثلج، ولم يقل: إنه شاب أو شيخ، وهذا مرقس يصفه بالشباب، وأنه كان جالساً يمين القبر لابساً حُلَّةً بيضاء. ولوقا قال: إنهما ملكان بثياب براقة. ويوحنا يقول: بثياب بيض، فكأن الوصف الذي رواه المترجم اقتسماه لوقا ويوحنا.

الرابع: اختلاف الرواة في العدد والمكان الذي رأين فيه الملائكة، وهذه زَلَّةٌ لا يُجبر كسرها، فإن المترجم ومرقس يقولان: إنه واحد، واختلفا في كونه مَلاكاً أو شاباً، ولوقا ويوحنا يقولان بأنهما اثنان، واختلفا في كونهما رجلين أو ملكين، فصِدْقُ أحدِهم دليلٌ على كذبِ الثلاثة الأُخَر، ولا مُرَجِّحَ لإحدى الروايات على الأخرى، وهذا دليل على سقوطها جملة.

الخامس: اختلاف حكم الخبر باختلاف عدد الملائكة، لأن خبر الواحد دون خبر الاثنين، ومنه يظهر صدق الخبر أو كذبه، ثم إن المفهوم من عبارتي المترجم ومرقس: أن ما ذكره المسيح من حديث قيامه بعد صلبه، كان معهوداً إلى التلاميذ، والمتبادر من عبارة لوقا: أنه معهود عند النسوة، لقول الملائكة: اذكرن كيف كَلَّمكنَّ وهو بَعْدُ في الجليل. وكما أن هذا مفهوم من صريح عبارة لوقا، خلافاً لصاحبيه، كذلك يفهم من نصه الصريح: أن الملائكة لم يأمروا النسوة بإخبار ذلك للتلاميذ، ولا بإبلاغهم أنه يسبقهم إلى الجليل، ورواية يوحنا

خالية من هذه المحاورة التي جرت بين المجدلية والملائكة، واختصاصها بهذا الوحي دون أمه العذراء، رضي الله تعالى عنها، بل دون تلاميذه الذين هم أحباؤه وخلفاؤه من بعده، قرينةٌ واضحة على كذب الروايات.

ولعمرك أيها المسيحي! إن تلك الشؤون أحق بأن تلحق بأخبار لجئون[1]، وحيث بيّنا حقيقة خبر الانبعاث من الأجداث، وظهر للفطن تضارب الإنجيليين في هذا الخبر، وتناقض رواياتهم، فلا بأس أن نأتي بما يزيدُ القارىءَ بصيرةً في ذلك فنقول:

قد مَرَّ في آخر الإصحاح السابق، أنه لا خلاف عند المسلمين في أن المسيح لم يُصلب بذاته، ولم تمسه أيدي أعدائه، بل رفعه الله إليه مكاناً علياً، وبقي الكلامُ فيه عند الطائفتين اليهودية والنصرانية، فأما الأولى فالتاريخ يشهد بأنها طائفةٌ قتلت الأنبياء، كما تشهد بذلك الكُتبُ المقدسة أيضاً، ولا خلاف في كونهم ينتظرون مسياً من عند الله تعالى حتى الآن، وكانوا يظنون بأنهم على حق من أمرهم، ولما أرسل الله تعالى عيسى عليه السلام إليهم، سفّه أحلامهم، ونقض عاداتهم، ودعاهم إلى ترك ما هم عليه من الباطل، وأمرهم بالرجوع إلى الحق، فنازعوه في الأمر، وتألَّبوا عليه، وتألفت جموعهم على رفض دعوته، فأخذوا في أسباب إلقاء القبض عليه، وأرادوا قتله، كما فعلت أسلافُهم بإخوانه من المرسلين والأنبياء قبله، وأسَرُّوا النجوى إلى أنْ حَضَرُوه وتلاميذه في بستان، فساقوا إليه جموعهم بالمشاعل، وجنودهم بالعصيِّ والسيوف، وما منهم أحدٌ إلا ويعرفه بذاته وصفاته وحِلْيتهِ ولهجته ونسبه وحسبه، ولا يختلف عليهم أمره، ولما هجموا عليه في ذلك المكان، أعمى اللهُ بصيرتهم عن معرفة شخصه، فأنكره أصحابهُ بعد تلك الصحبة، وخفيَ شخصه على أعدائه، بعد تلك المعرفة، كما صرحت الأناجيل الأربعة بذلك، فهل بعدَ هذا إنكارٌ لقولهِ تعالى ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ

---

(١) هو رئيس الشياطين.

لَهُمْۚ ﴿١٥٧﴾ [النساء] فألقوا القبض على هذا المُشَبَّه، وظنوا أنهم نالوا المطلوب، كما حكاه مؤرخوهم، ونقل ذلك صاحب كتاب «الفاصل» عنهم، وكانوا يحاولون تَبَيُّنَ حالِه، حيث وقعوا في شَكٍّ من أمره، كما قال تعالى عنهم ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ ﴿١٥٧﴾ [النساء] ولما أعياهم أمرُ الإثبات، استحلفه رئيسُ الكهنة، في مجمعٍ من جمهور الأحبار، باسم الحي قائلاً له: هل أنت المسيح؟ على ما صرح به الإنجيل، فلو كان هو المسيح لما أنكر نفسه بعد هذه الآية العظمى، وكان ينبغي أن يقول: [أنا المسيح] وهو النبي المرسل لإعلان ذلك، ولا يخادعهم في الجواب قائلاً «أنتَ تقولُ ذلك» كيف لا، وهو الموعودُ به في التوراة، ولأجرى معجزاتٍ تُزِيلُ شَكَّهم، ولا يدخلهم في إثم هَدْرِ دمه هذا، ولما خافوا الفشل، رفعوا أمره إلى الحاكم، فأخذ في المدافعة عن هذا الشخص المأخوذ بالشبهة ظناً منهم أنه هو المسيح.

والحكاية بطولها تقدم بيانها من رواية الأناجيل الأربعة، ولما التبسَ الأمرُ على الكهنة، ولم يظهر لهذا الحاكم، من حالِ المقبوضِ عليه، شيءٌ يستوجبُ القتلَ، وخافت رؤساء اليهود من الشعب زيادة الفشل، وذهاب آمالهم أدراجَ الرياح، من رجوع العامة عنهم، استعجلوا الحاكم الروماني في أن يصلبه، وقالوا: إن لنا كتاباً ، وبنصِّ كتابنا يجب أن يموت، فأسلمه إليهم كرهاً.

ولعمري: إن مَنْ له أدنى رأي، يحكم بأن المصلوب غير المسيح، ويتضح ذلك من اطمئنانِ أمه وتلاميذه حين الصلب، وهم حاضرون ناظرون لهذه الوقائع، دون أن يظهر من أمه وتلاميذه أدنى كدر، والعيب كُلُّ العيب أنْ تَخذله رُسُلُه، وتتخلى عنه أمه، مع كونِ الحاكم حينئذٍ كان يناضلُ عنه أشد المناضلة، ويدافع جهده.

فهذا ملخص القصة عند اليهود، وغاية ما في الباب أنها قتلت رجلاً، لا تقدر أن تعينه، بإقرارها في كتبها التي وصلت إلينا، بعد أن وصلت إليكم، وقد

أقررتم لهم بهذا في كتبكم. وأما الطائفة النصرانية، فليس عندها حُجة على تلك الدعوى إلا هذه الأناجيل المملوءة من الدسائس والأغلاط، المشتملة على ضروبِ المناقضاتِ ومخالفة اليهود كل المخالفة، ويكفي اختلافاً أنكم تدّعون وقوعَ الصلب للمصلوب بعد القبضِ عليه بيومٍ واحد، وهم يدعون أنه صلب بعد أن أودعوه السجن أربعين يوماً، وقد تقدم في رواية المترجم - بص٢٧ - ف١٥ تفيد أن المصلوب كان مودعاً في السجن، وقد مَرَّ على سجنه أيام لا ساعات، كما تدعيه النصارى في زماننا. فانظر عافاك الله إلى اختلاف الطائفتين وتأمل قوله تعالى ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء] فهو أصدقُ شاهدٍ على أنهم ليس لهم به من عِلْم، فهل بعد هذا ينكر المسيحي أن أناجيله لا تصلح لإثبات ما يدعيه، وأربعتها تصرح بأن اليهود عمدت إلى غيره، حيث كانت لا تعرفه، والله تعالى رفعه إليه، كما رفع أخنوخ النبي، وحيث كانت معجزاتُه باهرةً، ووعظه في غاية الحسن، والتلاميذ تنادي باتباع إنجيله الحقيقي الذي كان يلقنهم إياه، وكله موافقٌ لأحكام التوراة إلا ما نَدَرَ، خافت رؤساء اليهود وكهنتها من أن تصير عامتهم إلى دعوته، فعزوا إليه أموراً كثيرة، لا أساسَ لها، ونسبوا إليه أقوالاً، لا عِلْمَ له بها، لتنفر العامة عنه.

وبعد جميع هذا أيضاً خافت اليهود عاقبة هذا الأمر، فأوقعوا القتلَ فيمن اتبع عيسى عليه السلام، من المؤمنين به حقاً، حتى هزموهم وأخرجوهم من بلاد الشام، فعند ذلك تَنصَّرَ ذلك اليهودي بولس الذي كان شديدَ الفتك في النصارى، وتنصره كان نفاقاً، وصار يخادعهم بملازمته للعبادةِ في الصوامع وتجنبه عن الناس حتى اتخذته النصارى قديساً عظيماً، وهو يخبرهم بأنه رأى عيسى المسيح عليه السلام، وجعله رسولاً ومؤتمناً على إنجيله، وهم يُصَدِّقونه، ولم يكن حينئذ فيهم رجل رشيد، يتعقل كيف يمكن نزول المسيح، من السماء، وظهوره إلى هذا اليهودي، فيجعله رسولاً ومؤتمناً، بعد أن رفعه الله بأعوام، وبطرس كان حياً يكرز في اليهودية، وهو الوصيُّ عنه، بنصِّ الإنجيل، ثم لما رأى بولس

خضوعهم له، وتمكّنَ حُبُّه فيهم، انتهز الفرصة، ومكر بهذه الأمة المسكينة، وأبطل التوراة، وأدخل في عقائدهم الكفريات والخرافات، ولعله هو المترجم لإنجيل متى الذي دَسَّ لهم التثليث في آخر فقرة من الترجمة، ولما رأى المؤمنون منهم حقاً، أنه حلل لحم الخنزير، وأباح كافة المحرمات، وأبطلَ الهيكلَ والسبت والختان وأحكام التوراة، قامت عليه طوائفُ آسيا عموماً، ورفضت تعليمه وإنجيله، كما يثبت ذلك من إقراره في رسالته الثانية إلى تيموثاوس ص١ - ف١٥ ولفظه «أنت تعلم هذا أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني» انتهى.

ولما يئس من الشرقيين، التجأ إلى تلك الوحوش من الغربيين، وصار يبث الفساد بينهم شيئاً فشيئاً، حتى تَمكَّنَ الداء فيهم، فأباح لهم كافة المحرمات، ورفع عنهم التكليفات، فوافق مذهبُه مشربَ غالب أهل أوروبا، وهم الطبيعيون، فكثرَ تابعوهُ ومُقلِّدوه، ثم في حياته وبعد موته جرى ما جرى من الاضطهادات فيما بينهم، فَعَمَّ البلاءُ عليهم حتى أهرقت دماء ألوف من الفقراء، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، إلى أن أتى قسطنطين الرومي، وكانت حينئذ أناجيل كثيرة، فانتخب مما طاب له منها أربعة، وأتلف الباقي، فعكفوا عليها إلى يومنا هذا، وهم لا يعلمون حقيقة حالها، ولا يتعقلون ضلالها، بل كل واحد من عوامهم يظن أنها منزلةٌ من الله، ومقدسةٌ من الخلل والزلل.

وبعد أن تمكن فيهم هذا الضلال الأسود، أشرقت أنوارُ خاتم الرسل، صلى الله عليه وسلم، وانتشر دينه، وبدت أمَّته، تنشر العلوم الدينية والمدنية حتى عَمَّتْ أنحاء البسيطة، وأخذت العقلاءُ منهم، في تتبع أسباب ظهور هذه الترهات في عقائد النصارى، والتفتيش عن تلك المناقضات، فظهر ما كان مخفياً، واتضح الأمر للعاقل والجاهل، فهذا ما كان من قصة بولس والنصارى.

ولنعد إلى إتمام الكلام، فيما رواه المترجم، ومعارضته بما روته الثلاثة، وقد

تقدم قولُه: «فخرجتا، أي مريم ومريم، سريعاً من القبر، بخوف وفرح عظيم راكضتين، لتخبرا تلاميذه، وفيما هما منطلقتان، ليخبرا تلاميذه، إذا يسوع لاقاهما، وقال: سلام لكما، فتقدمتا، وأمسكتا بقدميه، وسجدتا له، فقال لهما يسوع: لا تخافا، اذهبا، قولا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل، وهناك يرونني».

أقول: صريحُ كلامه يدل على أنه لم يكن هو المصلوب المدفون في القبر، وهذا المترجمُ ناقضَ نفسه بنفسه، حيث حكى في صدر العبارة، عن الملك، أن المسيحَ سبقهم عقبَ قيامهِ من قبره إلى الجليل، ولا يرونه إلا هناك، وبذلك بلّغ مريم ورفيقتها، وأمرهما بأن يبلغا التلاميذ، ثم نقض ذلك بقوله: لاقاهما المسيح وقال: سلام لكما، وهذا يدل على أن الملك الذي كَلَّمهما كاذبٌ في وحيه لهما، فإن قالوا: إن رؤيته بالجليل مختصة بالتلاميذ فقط، وعلى هذا فلا تعارُض في الرواية، فنقول: إن صريح العبارة دال على أن مطلق الرؤية لا تكون إلا في الجليل، وذلك مأخوذ من قوله: ها هو يسبقكم، وهناك ترونه.

ويستنبط من قوله: قد قام، أي: فيما مضى، ويؤكده كشفُ القبر أمامهما، فلم تجدا جسداً ولا أحداً، والحال أن ذلك من الكذب البيّن، حيث وجدتاه أمامهما بعد خروجهما من القبر، وأما قوله: أنهما أمسكتا بقدمي المسيح، وسجدتا له، فروايات الثلاثة مع تناقضها متفقة على خلافه، وقد أتينا على طرف من روايتهم، فمرقس في ص١٦ - ف٩ أثبت الرؤية لمريم المجدلانية فقط دون صاحبتها، ولوقا اقتصد في الرؤية، فنزّه إنجيله عن هذه الرؤيا المخصوصة بالمجدلية، وعبارته في ف٩ من ص٢٤ «ورجعن من القبر، وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله، وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتي قلن: هذا للرسل» والعجبُ لهذا المؤرخ، كيف ذكر أسماء النسوة هنا، ولم يذكرها في أول الإصحاح، مع وجوب ذكرهن وتعداد أسمائهن هناك وجوباً ضرورياً، ثم قال «فتراءى كلامهن لهم كالهذيان، ولم يصدقوهن، فقام

بطرس، وركض إلى القبر، فانحنى، ونظر الأكفان موضوعة وحدها، فمضى متعجباً في نفسه مما كان».

أقول: لا خلافَ في اختلافِ الروايات وكونِ الأمر من المهمات، ولكن العجب من تَعَجُّبِ بطرس، بعد إخبار المسيح له ولسائر التلاميذ، بأن الأمرَ كائنٌ، بصريح العبارة وإخبار الملائكة لمريم المجدلية ومريم الثانية، فيظهر من هذا أن بطرس والتلاميذ غير صادقين في إيمانهم، ولا مُصَدِّقين بقولِ المسيح. والأعجب قول يوحنا في - ص٢٠ - ف٣ «فخرج بطرس والتلميذ الآخر، وأتيا إلى القبر، وكان الاثنان يركضان معاً، فسبق التلميذُ الآخر بطرس، وجاء أولاً إلى القبر، وانحنى، فنظر الأكفانَ موضوعة، ولكنه لم يدخل، ثم جاء سمعان بطرس يتبعه، ودخل القبر، ونظر الأكفان موضوعة، والمنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان، بل ملفوفاً في موضع وحده، فحينئذٍ دخل أيضاً التلميذُ الآخر الذي جاءَ أولاً إلى القبر، ورأى، فآمن، لأنهم لم يكونوا بَعْدُ يعرفون الكتاب، أنه ينبغي أنْ يقومَ من الأموات، فمضى التلميذان أيضاً إلى موضعهما» انتهى.

وهذه الرواية تقضي على العاقل بأن يبكي بعين المَرْحمة، ويضحك بعين الاستهزاء، على عقولهم، إذ كيف يكتب أن التلاميذ لم يكونوا بعدُ يعرفون الكتاب، إلخ، وهو التلميذ الذي يَتَّكِيءُ على صدر المسيح، ويسأله عن تفسير ما يهم من الأمثال، أليس بطرس واحداً من التلاميذ الذين كانوا يعرفون أسرار ملكوت السموات، ويسمعون صراحةً قولَهُ بأنه يُصلب، ويقوم بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال، من الأموات، ويلزم من ذلك تكذيب الثلاثة والثلاثين رواية المتضمنة للصلب والقيام، المسرودة في الأناجيل الأربعة إشارة أو صراحة، وإلا فتلك الخرافات تدلنا عل أن التلاميذ كانوا مدة حياتهم في خدمة المسيح منافقين معه، وحاشاهم من ذلك.

وليت شعري! هل كان يوسف الذي تولى تكفين المصلوب ودفنه، يعتقد بأن المصلوب هو ذات عيسى، ولا يعلم أنه سيقوم بعد ثلاثة أيام حتى كَفَّنه وحنطه بمئة رطل من العطر؛ والعجب منه حين وُضِعَتْ عنه الأكفانُ في القبر، هل ذهب عرياناً، أم أتحفه الشاب أم الملك بحلَّة، أم استردَّ ثيابه من العسكر المقتسمين ثيابه بينهم؟ ثم هل فقدوا تلك الثياب، وأخبروا بفقدها؟ ولماذا لم تذكرها الأناجيلُ، وهي من أَجَلِّ الوقائع، وهم الذين ذكروا الخسيسَ من الأخبار، كدخول النساء في القبر وتنكيس رؤوسهن بين يدي الملائكة أو الرجال؟ وخبر الثياب أحرى بأن يخبروا به وأجلُّ من إخبارِهم بقضية العطر وأمثالها، ثم إن لوقا يجحدُ رؤيةَ مريم للمسيح أولاً وآخراً خلافاً للمترجم، فإنه صرح بأن مريم المجدلية ومريم الثانية تلاقتا معه في الطريق. وخلافاً لمرقس فإنه يثبت رؤيتها له أولاً، ولم يذكر كيفية الرؤية، ولا وقتها ومكانها، ويوحنا يثبتها بصورة أخرى، وقد أتينا على صدر عبارته وتمامها، بعد سؤال الملائكة عن سبب بكائها ف١٤ - من ص٢٠ «التفتت إلى الوراء، فنظرت يسوع واقفاً، ولم تعلم أنه يسوع، قال لها يسوع: يا امرأة! لماذا تبكين؟ مَنْ تطلبين؟ فظنت تلك أنه البستاني، فقالت له: يا سيد: إنْ كنتَ أنتَ قد حملته، فَقُلْ لي أين وضعته، وأنا آخذه، قال لها يسوع يا مريم، فالتفتت تلك، وقالت له: «ربوني» الذي تفسيره يا معلم، قال لها يسوع: لا تلمسيني [فليتأمل القارىء بين قوله هذا وقول المترجم، فأمسكتا بقدميه] لأني لم أصعدْ بعدُ إلى أبي، ولكن اذهبي إلى إخوتي، وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم، فجاءت مريم المجدلية، وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب، وأنه قال لها هذا» انتهى.

فتأمل أيها المسيحي! ودَقِّقِ النظرَ في تلك الروايات المتلاطمة بالمناقضات، فالذي ذكره المترجم، وتوافَقَ عليه مرقس ولوقا، يدل على أن الملك هو الذي أخبر مريم، وعبارة يوحنا صريحة في أن المخبر لها عيسى لا الملك ولا الشابان.

وهنا نسرد لك تلك المناقضات، في هذا الخبر، على سبيل الإجمال، وإن كان تقدم ذلك بنوع تفصيل، فنقول: المستفاد من كلام المترجم، أن مريم لمست عيسى، وعبارة يوحنا: لم تلمسه، وأنه ظهر أولاً لمريم ولغيرها، وكلام مرقس بخلافه، ولوقا صرح بأن عيسى لم يظهر للنساء، وإنما ظهر لهن الملكان فقط. والمترجم ذكر أن النساء، حينما كُنَّ ذاهبات، ليخبرن التلاميذ، لاقاهن عيسى في الطريق، وأمرهن بأن يخبرن التلاميذ. وأنتَ خبيرٌ أن ذلك تحصيل حاصل، إذ لم يزد على الكلام الأول شيئاً.

ثم المفهوم من رواية المترجم، أن ظهور عيسى، كان لمريم في الطريق، وهي تهرولُ راكضة. ومقتضى كلام يوحنا، أنه كان عند القبر، والعجب لها، كيف اشتبه عليها حالُه، بعد تلك الصحبةِ الطويلةِ سَفَراً وحضراً، حتى ظنته أنه البستاني؟! فعلى فرض صحة الرواية، لا يبعد أن يكون غشى على عينها كما غشى أعين اليهود عن معرفته، عندما هجموا عليه، ليتم قول القرآن العظيم بوقوع الشبه.

ثم من نظر إلى باقي رواياتهم، يستولي عليه الدهش، وتأخذه الحيرة، حيث قال المترجم - ف١١: «إذا قوم من الحراس جاؤوا إلى المدينة، وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان، فاجتمعوا مع الشيوخ، وتشاوروا، وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين: قولوا: إن تلاميذه أتوا ليلاً، وسرقوه، ونحن نيام، وإذا سمع ذلك عند الوالي، فنحن نستعطفه، ونجعلكم مطمئنين، فأخذوا الفضة، وفعلوا كما عَلَّموهم، فشاع هذا القولُ عند اليهود إلى هذا اليوم» انتهى.

وهذه الرواية من خرافات المترجم، ولم يذكرها غيره، فلا تفيدُ العِلْمَ اليقيني. وقد قال بعض علماء المسيحيين، في هذه الرواية: إن التزوير ظاهرٌ علها، فإن أولئك الخَفَرَة إن كانوا من جند بيلاطس، وَجَبَ عليهم أن يخبروا قائدهم الروماني، لا رؤساء الكهنة، إذ ليس من عادة الجند، إذا عَرَضَ لهم أمر مثل

هذا، أن يخبروا أجنبياً، أو أن يقولوا: كنا راقدين، ويثبتوا أنفسهم مذنبين، وإن كانوا من اليهود، فكيف صدقت كلامهم رؤساء الكهنة والشيوخ، ولم يتكلفوا مزيدَ بحثٍ واستقصاء عن هذا الأمر العجيب، ولا سيما أن إشاعة مثل ذلك، كيف لم تبلغ الحاكم؟ على أن الرومانيين كانوا لا يألون جهداً في ضبط الأمور وتحقيق الدعاوي» انتهى.

وأقول: إن هذا تطويلٌ مُستغنىً عنه، فإن المترجم أورد، فيما تقدم، أن الحراس كانوا من طائفة اليهود، بدليل قوله - ف٦٢ - من ص٢٧ أن الرؤساء طلبوا من بيلاطس تعيينَ الخفرة، لضبطِ القبر، فكان جوابه - ف٦٥: «عندكم حراس، اذهبوا واضبطوه كما تعلمون» فيكون تَحجُّجُ المترجم من الكذب الظاهر، كما هو دأبه. ثم أورد المترجم ف١٦ من ختام هذا الإصحاح الذي هو خاتمة إنجيله قوله: «وأما الأحد عشر تلميذاً، فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل، حيث أمرهم يسوع، ولما رأوه، سجدوا له، ولكن بعضهم شكّوا [وأظنهم شَكُّوا بناسوته، وسجدوا للاهوته] فتقدم يسوع، وكلمهم قائلاً: دُفعَ إليَّ كُلُّ سلطان في السماء وعلى الأرض».

نسأل النصرانية إذا كان عيسى هو الله، كما يزعمون، فمن الدافعُ إليه هذا السلطان، أفوقَ الإلَهِ إلهٌ، أم كان له شريكٌ، ترفع عنه في هذا الأمر، أو حصل الدفع والأخذ بين لاهوته الكامل وناسوته الكامل؟ وإلا فهذا إقرارٌ منه بالوحدانية لله، صريحٌ في عبوديته لمولاه. وهل يصح هنا أن نقول: هو الدافع والمدفوع إليه، والرافع والمرفوع، تالله ما هذه إلا أباطيل، أوحتها الشياطينُ إلى محرّفي الإنجيل، فَضَلُّوا وأضَلُّوا من هذه الأمة جيلاً بعد جيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ثم قال المترجم ف١٩ «فاذهبوا وتَلْمِذوا جميع الأمم، وعمّدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلموهم جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام، إلى انقضاء الدهر آمين» انتهى.

وهذا آخر إنجيل متَّى الذي أفرغه المترجم في قالب الترتيب، وحشاه بالأباطيل والأكاذيب، وحيث أنَّا سنستوفي الكلام على التثليث، في إنجيل يوحنا، نؤخر الكلام على هذا التثليث المذكور في هذه الفقرة، مع أنها، على فرض صحتها، قابلةٌ للتأويل، والمقصود من التعميد باسم الثلاثة، هو التبرُّك بذكرِ اسم الله واسم عيسى واسم جبريل؛ الأول لألوهيته، والثاني لنبوته، والثالث لكونه الواسطة بين الإله والرسول. ويأتي البحث مفصلاً إن شاء الله تعالى هناك، فراجعه.

ولنأت الآن على ذكر باقي الروايات لتظهر المناقضات، فنقول: قال مرقس في ص١٦ - ف٩ من إنجيله ما نصه: «وبعد ما قام باكراً، في أول الأسبوع، ظهر أولاً لمريم المجدلية التي كان قد أخرج منها سبعةَ شياطين، فذهبت هذه، وأخبرت الذين كانوا معه، وهم ينوحون ويبكون، فلما سمع أولئك أنه حيٌّ، وقد نظرته، لم يصدقوا».

قلتُ: عدم تصديقهم، لاحتمال الكذب منها، في رواية لم يذكرها أحدٌ من المؤمنين، ولا من المخالفين، وهذا دليل على أن ما أوردته الأناجيل، من حديث الصلب والقيام، عن المسيح قبل قضية الصلب، فهو كذب غير معقول، وإلا لكان في هذا الجمع من يتذكر إخباره، بأنه قال، يبقى في قلبِ الأرض ثلاثة أيام بلياليها، ثم يقوم. ثم قال مرقس ص١٦ ف١٢ «وبعد ذلك ظهر بهيئةٍ أخرى [أي غير هيئته الأولى التي رأته فيها مريم] لاثنين منهم، وهما يمشيان منطلقين إلى البرية، وذهب هذان، وأخبرا الباقين، فلم يصدقوا، ولا هذين أخيراً ظهر للأحد عشر، وهم متكئون، ووبَّخَ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم، لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام».

أقول: إن في هذه الجملة أكاذيب ظاهرة البطلان، منها قوله: وبخ الحواريين عن عدم إيمانهم. الخ، هذا بعيد عقلاً، لأنه هو الذي اصطفاهم لهدايةِ الخلق، وبَشَّرهم بالجنة، وأنهم يجلسون معه على اثني عشر كرسياً، في ملكوت الله،

فكيف يشهد بأن لا إيمانَ لهم؟!

ثم إن الأناجيل لم تذكر أن أحداً رآه قام من القبر، بل أخبرت بخلافه، حيث قال مترجم متَّى: انفتح القبر بحضور مريم، ولم تر فيه عيسى، لا حياً ولا ميتاً. ومرقس ولوقا ويوحنا قالوا: لما حضرت مريم، رأت القبر مفتوحاً، وليس فيه المسيح؛ والحراس قالوا: انفتح القبر وهم نيام، ولما انتبهوا، لم يروا المسيح قام من القبر.

فليت شعري! مَنْ أخبر التلاميذ بأنه رأى عيسى قام من القبر، ولم يصدقوه؟ فقد ثبت أن هذه الجملة من خرافاتِ الأساقفة، وأنه ما صُلِبَ ولا قام، والمصلوب غيره، كما قال لهم: ستطلبونني ولا تجدونني الخ. فإن قيل: إن المترجم ذكر أن الملك أخبر مريم بقيامه، قلت: نعم كما أخبرها الشاب أيضاً في رواية مرقس، والرجلان في رواية لوقا، والملكان في رواية يوحنا، لكن حيث تناقضت أخبارها، وتضاربت روايتها، سقطت كلها، وعلى فرض صحتها، يحتمل أن المخبرين الذين حسبتهم ملائكة، كانوا من اليهود، وأخفاهم غَلَسُ الليل، فعملوا ذلك استهزاءً، فإن قلت: كيف يكون هذا، وعند نزول الملائكة من السماء بثيابهم البيض حصلت زلزلةٌ عظيمة، قلت: ليس كل مَنْ تَزَيَّا بثيابٍ بيض لامعة، ينبغي أن يكون ملكاً، ومع هذا فهم لم يدّعوا أن أنفسهم ملائكة، بل هو مجرد ظَنٍّ من مريم، والظن لا يغني عن الحق شيئاً، وأما الزلزلة فهي أمر طبيعي، تحدث في كل مكان وزمان، كما هو مشهود، وتدحرج الحجر عن القبر أيضاً ليس من الأمور العجيبة، لأنه كما وضعه رجل أو رجلان من اليهود، كذلك يمكن رفعه أيضاً بواسطة رجلٍ أو رجلين من حراس القبر، أو المستهزئين بها، أو من النصارى؛ وهذا مما يؤيد الخبرَ الشائعَ بين اليهود، بأنَّ التلاميذ سرقوا الجسد ليلاً من القبر، وكل هذا ناشىءٌ من غلوٍّ مُحِبٍّ جاهل، أو من عدو ألدّ عاقل.

وبالجملة فإن خبر الصلب والقيام كذبٌ صريح، وتصديقُه من أفحشِ الحمق.
ثم قال مرقس - ف١٥ «وقال لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، مَنْ آمن واعتمد، خلص، ومن لم يؤمن يُدان، وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي، ويتكلمون بألسنة جديدة» إلى أن قال في - ف١٩: «ثم إن الرب بعدما كلَّمهم، ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله».

أقول: إن جلوسه هذا، لم يذكره غيره، ولا ذكر أنه أخبرهم به، أو شاهده أحدٌ منهم، نعم! قد سبق منه هذا الوعد لليهود، فلم يشاهدوه. وتمام إنجيل مرقس «وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان، والرب يعمل معهم، ويثبت الكلام بالآيات التابعة آمين» فهذا ما كان من مرقس، وأما لوقا فقد أوردنا آنفاً بعضاً من خبره، وباقي القصة عنده من ف١٣ إلى نهاية ف٣٥ من ص٢٤ وخلاصته: أنه ظهر لاثنين من التلاميذ وصاحبهما في الطريق، وأمسك أعينهما، فلم يعرفاه، ثم دخل معهما القرية، فأعطاهما خبزاً، وفتح أعينهما، ثم اختفى عنهما، فرجع إلى أورشليم، ووجد التلاميذ الأحد عشر مع غيرهم، يتحدثون بقيامِه، فأخبرا بما كان، وإذا هو في وسطهم، فسلّم وأخبرهم أنه هو، بعد أن ظنوه ملكاً، ثم طلب طعاماً، فأعطوه سمكاً وعسلاً، إلى أن قال ف٤٩ «وها أنا أرسل إليكم موعد أبي، فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبثوا قوة من الأعالي. وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا، ورفع يديه، وباركهم، وفيما هو يباركهم، انفرد عنهم، وأصعد إلى السماء، فسجدوا له، ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم، وكانوا كل حين في الهيكل، يُسَبِّحون ويباركون الله آمين».

ورواية يوحنا في هذا البحث في ص٢٠ - ف١٩ طويلة الذيل، وقد انفرد بذكر عدم تصديق توماً لصلب ذات المسيح وقيامه، وظهور عيسى مرات، ومنها على بحيرة طبريا، وأكله الخبز والسمك، وأن ذلك كان ثالث مرة ظهر فيها، ثم إنه أتى بمحاورة بينه وبين بطرس، ولم يذكر الصعود البتة.

هذا وفي «أعمال الرسل» المعروف: بالإبركسيس، ذكر خبر الانبعاث، ولما كان مناقضاً لما ذكرته هذه الأناجيل، وكان معتبراً في النصرانية، فلا بأس أن نذكر هنا أيضاً ملخص ما في الإبركسيس - ف٣ من ص١ حيث قال «إنه ظهر للتلاميذ الذين أراهم نفسه حياً ببراهين كثيرة، بعد ما تألم، وهو يظهر لهم أربعين يوماً، ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله، وفيما هو مجتمعٌ معهم، أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم، بل ينظروا موعد الأب الذي سمعتموه مني - إلى أن قال - ف٩ - ولما قال هذا، ارتفع وهم ينظرون، وأخذته سحابة عن أعينهم، وفيما كانوا يشخصون إلى السماء، وهو منطلق، إذا رجلان قد وقفا بهم، بلباس أبيض، وقالا: أيها الرجال الجليليون: ما بالكم واقفين تنظرون، إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء، سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء، حينئذ رجعوا إلى أورشليم من الجبل الذي يدعى جبل الزيتون الذي هو بالقرب من أورشليم على سفر سبت» انتهى.

ثم إن بولس خاصة ذكر هذا الأمر، في رسالته الأولى إلى كورنثوس، فقال في ص١٥ - ف٥: «إنه ظهر لبطرس ثم للاثني عشر - مع أنهم كانوا أحد عشر فقط كما صرحت الأناجيل، ولا ندري هل رواتها أعلم أو هذا القديس الملهم - وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمس مئة أخ - إلى أن قال: وظهر فيما بعد ليعقوب، ثم للرسل أجمعين» انتهى.

أقول: حيث كان هذا البحث ختام إنجيل متى، فلا بد أن نستوفي الكلام على حسب المقام، ليظهر للمطالع عجائب المناقضات وغرائب المغايرات، ولنذكر ونبسط تلك المناقضات على أحد عشر وجهاً، بعدد التلاميذ، لمناسبة أن الفصل متعلق بظهوره لهم، فنقول:

الأول: إن المترجم ويوحنا لم يذكرا صعود المسيح، بل عبارة المترجم صريحة في أنه بقي على الأرض، لقوله: ها أنا معكم جميع الأيام، والتأويل بأنه

معهم بالروح دون الجسم، يكون خروجاً عن الجادة، ونُلْزمهم بتأويل أشياء كثيرة، لا يقولون بتأويلها، مع أنها واجبة التأويل.

الثاني: أنه لو سلمنا أن ذكر المترجم الجبل إشارة إلى صعود المسيح من هناك، يكون مناقضاً لما قاله لوقا، من أنهم رأوه صعد من بيت عنيا، ومناقضاً أيضاً لمرقس، فإن عبارته تفيد أنه صعد من محلٍّ اجتماعهم، وهو العِليَّة التي كانوا يجتمعون فيها في أورشليم.

الثالث: أن عبارة لوقا صريحة، في أن صعوده كان في ذلك اليوم الذي انبعث فيه، حيث قال: إنه في ذلك اليوم ظهر للتلميذين، وأنهما قاما من تلك الساعة، وجاء إلى التلاميذ، وأنهم إذ كانوا يتكلمون عن ظهوره، وقف في وسطهم، وبعد كلام وجيز ارتفع عنهم. وعبارة مرقس أيضاً قريبة من ذلك، ولكن عبارة «أعمال الرسل» تكذبهما، لأنها تفيد أن المسيح تلبث، بعد انبعاثه، أربعين يوماً، وهذا يقربُ من قولِ اليهود: أنه مكث في السجن أربعين يوماً، ثم وقعت قضية الصلب.

الرابع: أن رواية المترجم تفيد أن المسيح أمر تلاميذه بالذهاب، ليكرزوا في كل الأمم، وكذا رواية مرقس، وصريح عبارة لوقا تفيد أمره لهم بالمكث في أورشليم، وكذا عبارة أعمال «أعمال الرسل».

الخامس: ذكر يوحنا أن دخول عيسى، على تلاميذه، مرتين، كان والأبواب مغلقة، ولم يذكر ذلك غيره، ومرقس ذكر أنه وعد المؤمنين به، أن مَنْ يشرب منهم السم، لا يؤثر فيه، ولم نسمع عن أحدٍ من القديسين الماضين والموجودين، حتى البابا في زماننا، أنه يستطيع ذلك، فضلاً عن سائر النصارى. وبقية الرواة لم تذكر ذلك.

السادس: تقدم في رواية الأناجيل الأربعة، أنه ظهر أولاً لمريم المجدلانية،

وكلام بولس، في النص المتقدم من رسالته، يخالف الأناجيل، فإن صَحَّ خبر بولس، يكون أخبار الأناجيل بقيام المسيح المستفاد من خبر مريم لا عبرة فيه، لأن بولس يصرح بخلافه، وهو قديس، ولكِنه فضح النصرانية بمناقضاته وتلونه في العقيدة.

السابع: روى مرقس أن التلاميذ، بعد أن ارتفع عنهم المسيح، خرجوا، فبشروا في كل مكان، فكذبه لوقا بأنهم كانوا كل حين في الهيكل، يسبحون الله.

الثامن: انفرد مرقس بما رواه من أن عيسى أمر تلاميذه أن يذهبوا إلى الخليقة كلها، ولم تنقلْ كتبُ التاريخ أن أحداً منهم سافر إلى إقليم آخر، ومن الغريب أن الباقين لم يذكروا هذا الأمر، والعجب من عدم قيام التلاميذ بموجبه، والحق أن هذه أيضاً من خرافات الأساقفة.

التاسع: كيف يحكم بإيمان التلاميذ الذين شكّوا في المسيح وبالأخص فإن متَّى ذكر ارتيابهم، ولم يذكر أنهم آمنوا به بعد ذلك، فليت شعري! كيف تأتّى لهم أن يشكّوا ويرتابوا، وقد صرح لوقا في - ص٢٤ بأن عيسى مكّنهم من لمسه، وأعلمهم بأنه كان ذا جسم بشري مركب من عظم ولحم، وأن الروح ليس له لحمٌ وعظام، وعلى كُلٍّ فإنْ صَحَّ عن الأناجيل حديث الشك والارتياب، فيكون خبر الصلب والقيام لا أصل له، لورودهِ عن أولئك المرتابين.

العاشر: ذكر المترجم قول المسيح، أنه قد دفع إليه كل سلطان، فأين يبقى قولهم: أن اليهود ألبسوه تاجَ الشوك، ولطموه وصفعوه، فإن قالوا: كان سلطانهَ بعد الانبعاثِ، قلنا: إن الأناجيل الأربعة ذكرت، بصريح العبارة عن المسيح غير مرة قبل قضية الصلب، أنه قال: فوّض إليّ أمر كل شيء، وهذا ينافي دعوى إهانته وصلبه.

الحادي عشر: ذكر بولس أنه بعد قيامه، ظهر لأكثر من خمس مئة أخ، أي

نصراني، ولم يذكر ذلك أحد من رواة الأناجيل، ولا مؤلف الإبركسيس الذي زعم أنه تلبث مدة أربعين يوماً مع تلاميذه، فلم يأت على ذكر هذا العدد الكثير، وهنا أقول: كما قال بعض الأدباء: ليت شعري! لِمَ لم يظهر ولو مرة واحدة لبيلاطس الذي كان يدافع عنه وقت المحاكمة، أم لعظماء الكهنة والمشايخ، ليؤمنوا به وينجوا، فإن نجاة العالم بالإيمان به، ولا سيما أمة اليهود، مع أنه بنص كلامه قال: بُعثت للضالة من خراف بيت إسرائيل.

وإذ أتينا على نتيجة تلك المناقضات، علمت حينئذ بطلان تلك الدعوى، ومن تصدى للجواب، فليبرزْ غير ناكصٍ، فإن الحقَّ يقطعهُ والزُّورَ يفضحه، ولقد أصاب رئيس كنيسة رومية كثيراً في منعه العامة عن تلاوة تلك الأناجيل، لأن تاليها لا يلبث أن يرى ما فيها من المحال والمخالفة للواقع المعقول والظاهر المحسوس، ومَنْ تلاها، ولم يتبين له ذلك، فالأعمى أهدى منه سبيلاً.

خاتمة

لقد أتينا، في خاتمة الإصحاح السابع والعشرين، بالأدلة النقلية والبراهين العقلية، على تكذيب روايات صلب ذات المسيح، وأقمنا الحجةَ على ذلك، لامتناعه عقلاً، وبطلانه نقلاً. ولما كانت قصة قيام المصلوب وانبعاثه من الأموات مشتملةً على المناقضات والمغالطات، وكانت دعوى الصلب مجردة عن الدليل، ورواياتها حديث مجهول لديهم غير معلوم، أحببنا أن نورد هنا، على سبيل الإلزام، ما يزيل شُبَهَ تلك الأوهام من الاستدلال ببعض الآيات منظمة على ترتيب الإصحاحات، غير أننا نقدم، أمام هذه البراهين، فصلاً، يُزِيلُ الشكَّ بنور اليقين.

فنقول: يلزم على كل مسيحي أن يصحح أولاً دعواه في ذات عيسى، عليه السلام، المزعوم لديه صَلْبُهُ، والموهوم عنده قتله، فلا بد أن يقرّ بأنه إلّه خالق أو نبيٌّ مخلوق، وأما القول بأنه إلّه كامل وإنسان كامل، وهو واحد، فهذا كلام ساقط، لا يتفوّه به حتى المجانين، ولا تقوم به حجة، ولا يرتضيه إلا من سخِف عقله، وضَعُفَ رأيه، ورضي أن يخدع نفسه، فإن كان الأولُ، أي أنه إله خالق، فصَلْبُ الإلهِ بتلك الحالة السيئة، وموته مقهوراً مخذولاً، يستغيث، فلا يغاث، ويستجير، فلا يجار، ممتنع عقلاً ونقلاً. وإن كان الثاني، أي: أنه نبي مخلوق، فهنا تصح المحاججة، ويكفي أن نقيم الحجة على امتناع الأول، أي: كونه إلهاً مصلوباً، قوله في إنجيل متَّى ومرقس: «إلهي إلهي لماذا تركتني» فلو كان المنادى والمنادي واحداً، لكان ذلك من العبثِ، فهل يستجيرُ المستجيرُ بنفسِه متحملاً أنواع العذاب والهوان، فلم ينقذها؟ ورواية لوقا: «يا أبتاه في يديك أستودعك روحي» فدل على أن المصلوب ليس بإله جزماً.

وأما كون المصلوب غير عيسى جزماً فهو مُبَرهَنٌ بأمورٍ:

الأول: روى يوحنا الإنجيلي أن المصلوب حُكِمَ عليه بالصلب، بسبب كونه جدف فكفر، وذلك بحكم قيافا المسلّم بنبوته عندهم، وهذا دليل، فيه إلزامان: الأول: أن المصلوب يمتنع أنْ يكون إلهاً، وهل يقال: إن الإلّه جدف، لأن الحكم عليه بالتجديف كان عن نبوة من قيافا، وحكم النبوة عَدْلٌ، لا نزاع فيه؟.

الثاني: أن المصلوب غير عيسى، لأنه لا يصح أن يقال: إنه عيسى الرسول، وإنه الكافر معاً، ولا يصح إنكار نبوة قيافا المسلّم نبوته عندهم، وذلك بصراحة هذا الإنجيل المنزل من الله، وما عسى أن يصنع المسيحي، وبأيِّهما يأخذ، وعلى أيهما يعتمد؟ فإن أنكر نبوة قيافا، يلزم منه تكذيب إنجيله، وهو كُفْر، وإن صدَّقَ إنجيلَهُ ونبوة قيافا، يلزم منه تصديقه بكفر عيسى، وهو مَحْضُ الكفر، وعلى كلٍّ، فقد كفر مَنْ صدَّقَ بهذا إنجيلاً، والسلام.

الأمر الثاني: أيها المسيحي! كيفما توجهت بدعوى القيام في الأناجيل الأربعة، تراها تروي عن مريم المجدلية، فواحدٌ يروي أنه بحضورها انفتح القبر، وهي والحراس لم يروا المصلوب خرج عليهم من القبر، ولم يروا شيئاً في القبر، ثم زعموا أن الملَكَ الذي أوحى لها ما أوحى، لم يوثَق بكلامه، لأنه في كل إنجيل أوحى لها خلاف ما قاله في الإنجيل الآخر، والآخر يروي أنها عندما أتت، رأت القبر مفتوحاً قبل مجيئها، وليس فيه جسدٌ ولا أحد ولا حراس، وآخر يروي أنها رأت المسيح في الطريق، وآخر يقول: سجدتْ له، وآخر يقول: إنها رأته من وراء ظهرها، حتى اشتبه عليها حاله، وأنكرته، وظنته البستاني، وبعض الأناجيل ينكر الملائكة، ويقول: إنها رأت رجالاً، والبعض الآخر قال: رأت شاباً، وبعضهم قال: لم تَرَ في أول وهلة ملائكةً ولا رجالاً ولا شاباً ولا أحداً. وعباراتهم صريحة بهذه الاختلافات، كما مر تفصيله، فراجعه، وهذا التناقضُ كافٍ لتكذيب خبر القيام، ويستلزم من تكذيب القيام تكذيب صلْبِ ذاته ضرورياً.

الثالث: اتفقت الأناجيل الأربعة على أن عيسى، في الليلة التي أُلقيَ القبض عليه، كان يخر إلى الأرض ساجداً، يتضرع، وتارة يدهش ويحزن ويستغيث، وعرقُه يقطرُ كالدم، ويكرر الصلاة والدعاء إلى الله بأن يخلصه من اليهود، وهذا كله ثابتٌ في الأناجيل، ولا يمكنكم إنكاره، فليت شعري أين هذا من دعواكم أنه كان يرتاحُ إلى الصلب، ليفديكم بنفسه، ويفدي العالم بأسره؟

ثم ليت شعري! إذا كان الصلبُ عليه حَتْماً مَقْضِياً، فهل يصح أن يجهله ويطلب صرفَه عنه، وأنتم رويتم عنه في أناجيلكم: بأنه أخبركم عن صلبه وآلامه، فأين إذاً صبرهُ عند البلاء، وأين مقامه من مقام الأنبياء ومنهم الذبيح ابن إبراهيم الذي أثبتم استسلامَهُ للقضاء، بمجرد رؤيا رآها أبوه، كما ورد ذلك عندكم؟! أليس هذا التناقض برهاناً ساطعاً ودليلاً قاطعاً على كذبِ الرواةِ في قضية الصلب والقيام؟!.

الرابع: اتفقت رواة هذه الأناجيل على غيبوبة يهوذا الأسخريوطي، في يوم الصلب، وذلك بعد الندم، وحتى كانوا يظنون فيه أنه قَتَلَ نفسه ندماً، وصَرَّحت الأفاضلُ من علمائكم أيضاً، بأنه كان هو المصلوب فداءً عن المسيح عليه السلام، أليس في تصريح الأناجيل، مع شهادة الأفاضل منكم، قرينةٌ قاطعة، تَدُلُّ على أنَّ المصلوبَ غير المسيح، سواء كان المُشَبَّه به يهوذا أو غيره؟! وقد تقدم أن هذا مذهب كثير من عقلائكم.

الخامس: روت الأناجيل أن اليهود طلبوا منه آية، ليؤمنوا به، فوعدهم بأنه سيمكثُ في بطنِ الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال، كما لبث يونان النبي في بطن الحوت، فلو سَلَّمنا صحة زعمكم هذا عن عيسى، وهو الصادق الأمين في وعده، فكيف تروي الأناجيل الأربعة أنه مكث في بطن الأرض يوماً واحداً وأقل من ليلتين؟ وهذا مما عدا التناقض بين القولين، فقد أخلف الوعد أيضاً، لأنه بعد قيامه، لم يظهرْ للكهنة ولا لسائر اليهود، بل لم يروا أحداً يخبرهم بذلك،

فعليه يَثْبُتُ كذبُ قوله في المدة، وعدم قيامه بالوعد، وصدورُ هذين منه مُحالٌ، فلم يبق إلا أن نكذّب روايات الصلب والقيام، كما أخبرنا الله تعالى في كتابه العزيز.

السادس: روى المترجم أن عيسى قال للتلاميذ، حين صعوده: «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر آمين» وقد روى يوحنا عن المسيح، في الإصحاح الثاني عشر - ف٨ - من إنجيله ما نصه: «وأما أنا فلستُ معكم في كل حين» وهذا كما تَرى مُناقضٌ لما رواه المترجم، فإن صحت رواية يوحنا، يَثْبُتُ افتراءُ المترجم، وهو الموافق عقلاً، فيبطل خبرُ القيام.

السابع: أيها المسيحي! أورد المترجم في - ص٢٦ - ف٣ - أن الكهنة تشاوروا على قتل عيسى، بأن يكون بعد العيد، لئلا يكون شَغَبٌ في الشعب، وهذه الأناجيل الأربعة، والمترجم معهم، تواطأت على أن الصلب كان في العيد، ودفن ليلة السبت، وكُتُبُ اليهود دَالَّةٌ على أن المصلوب مكث محبوساً عندهم زهاء أربعين يوماً، فكُتبُ اليهود ونَصُّ المترجم المار ذِكْرُه يدلان على تكذيبِ الأناجيل الأربعة، فلا يصح خبر الصلب مع تناقض الرواة.

الثامن: أيها المسيحي: إن يوحنا روى عن المسيح في ص١٦ - ف٥ من إنجيله أنه قال للتلاميذ «وأما الآن فأنا ماضٍ إلى الذي أرسلني، وليس أحد منكم يسألني، أين تمضي» ومعلوم أن هذا الكلام وقع من عيسى قبل حادثة الصلب بأيام، ويستحيل أن يكون كاذباً في كلامه، وقوله: الآن، لا ينصرف لغيرِ الزمانِ الحاضر الذي هو معناه الحقيقي المفهوم منه، فلا بد أنه ارتفع إثر ذلك، بدون تأخير، وهو صادق القول، والدليل على هذا أن التلاميذ لم تعبأ في أمر الصلب، والأناجيلُ الثلاثة لم تذكر أن واحداً منهم حضر يوم الصلب، وقد كذبوا بأجمعهم حديثَ القيام، فماذا عسى أن نقول، أيكذب هذا النص الجلي البرهان، ويبطل هذا الإنجيل، أم يجوزُ الكذبُ من المسيح، وهو الصادقُ فيما بَلَّغَ عن

ربه عز وجل؟.

التاسع: أيها المسيحي: مما يؤكِّدُ كَذِبَ روايات القيام تخصيصهم ظهور الملائكة لمريم المجدلانية، على أن تخصيص ذلك بالحواريين أحرى، ولا سيما بأمه العذراء [عليهما السلام] أولى، وهو أليَقُ وأنسَبُ، وللعقل أقرب.

وهنا يصح أن يقال: عدم حضور أحد من الحواريين، رضي الله عنهم، وأمه، لزيارة قبر المصلوب، دليلٌ ظاهر على أن حديث القيام مَحْضُ افتراءٍ وغير ثابت عندهم، ولا مسموع فيما بينهم، وإلا فكيف يُصَرِّحُ لهم المسيح، بقيامه، ويُعَيِّنُ لهم المدة، ولا يحضر أحدٌ منهم لقبره، فإن قلت: منعهم عن ذلك خوفهم من اليهود، فنقول: إذاً هل كانت مريم أثبتَ جأشاً منهم، وأقوى إيماناً؟

وهَبْ أن الحواريين كانوا يمتنعون خوفاً من اليهود، فما بال أمّه لم تحضره، وهو فِلذةُ كَبدِها وحبيبها؟ وفي جميع ذلك أدلة واضحة على تكذيب خبر القيام.

ومَنْ تأمل اضطراب الرواة، في نقل الخبر عن المجدلية، على وجوه شتى وأنحاء مختلفة، ولو سلّم أن تلك الروايات تنتهي إليها، فلا يشك في أنها حَدَّثت بما حدثت فيه، عن خللٍ في شعورها، وضعفٍ في أفكارها، كما يحصل لطائفة النساء عند وقوع البلاء عليهن، وهو مُسَلَّمٌ عند كل عاقل، ولا سيما من مريم التي أخرج منها المسيحُ سبعةَ شياطين، تَستبعدُ ذلك عنها أيها النبيه، واختلافُ كلامها، في الرواية، أظهرُ من الشمس.

العاشر: قال المسيح عليه السلام في ص٢٣ - من متى - ف٣٨ ونصه: «هو ذا بيتكم، يترك لكم خراباً، لأني أقول لكم: إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا: مباركٌ الآتي باسم الرب» وكان هذا قبلَ قضيةِ الصلب بأيام، ولا شك من حين قوله: من الآن لا ترونني، ارتفع في ذلك النهار، وهو الصادقُ الأمين، وإلا يستلزم من القولِ بصلبِ ذاتهِ تكذيبه، وهو محال.

ختم لهذه الخاتمة وفيه فصلان

الفصل الأول

حاول بعض رؤساء المسيحيين في الاستدلال على صلب ذات المسيح، بنص الآية القرآنية، وذلك في قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴿٥٥﴾ ﴾ [آل عمران] وحاصلُ كلامهِ أن هذه الآية، إذا لم تُفِدْ إثباتَ صلب ذات المسيح، تكون مناقضةً لقوله تعالى ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [النساء].

فأقول: إن هذا تَشَبُّثٌ بالمحال، والاعتراضُ بالباطلِ مردودٌ، لأن القرآن ورد على قانون لغة العرب، وهم أعلمُ بقوانينه وأساليب أفانينه، فالتوفِّي الذي هو مدار الشبه، جاء لعدة معانٍ، منها الاستيفاء والقبض، فيكون المعنى: إني قابِضُكَ ومستوفيك من أيدي الكفرة، ومُطَهِّرك، أي مُنْقِذُكَ من كيدهم وحقارتهم وإهانتهم واستهزائهم.

ومن معانيه أيضاً: النوم، وقد ورد ذلك في قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزمر].

ومنها: ما ورد عن أبي بكر الواسطي، إني متوفيك، أي: عن شهوتك الدنيوية، ورافعك إليّ، وأنت في حالة كالملائكة، من زوال الشهوة. وهو المقتضى عقلاً، ليكون قابلاً للسُّكْنى في العالم العلوي، ويصح أن يكون التوفي هنا بمعناه الحقيقي، بأن الله تعالى، توفاه حين الرفع، ثم أحياه حتى لا يرتعب، لأن الرفعَ أمرٌ عظيم، فكلٌّ ذلك جائز، وعلى الله هَيِّنٌ، وهذا لا ينافي الآية ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [النساء] لأنه لا يُفْهَمُ منه أن المسيحَ لم يَمُتْ قط، بل هو نَصٌّ صريح في أن القتلَ والصلب لم يقعا على ذاته، من اليهود فقط.

الفصل الثاني

تَشَبَّثَ بعضُ مَنْ تصدى للرد على المسلمين، بأنَّ القولَ في جواز إلقاء الشبه يُفضي إلى السفسطة والشك في الحقائق، والدخول حينئذ في الجهالات، ومالا يليقُ بالعقلاء، لأننا إذا جَوَّزْنا إلقاءَ شبه الإنسان على غيره، فإذا رأى الإنسان ولده، لم يَثِقْ بأنه ولده، فلعلَّه غيره، فألقى عليه شبه ولده، وكذلك القولُ في امرأته وسائر معارفه، فلا يثق بأحد منهم، ولا يسكن إليه، ونحنُ نعلمُ بالضرورة أن الإنسان يقطع بأن ابنه هو ابنه، وأن كل واحد من معارفه هو هو، من غير شك ولا ريبة، والقول بالشبه يمنعُ الوثوقَ بمدنية الإنسان، ووطنه إذا دخله فيقول: ولعلَّهُ مكانٌ آخر، أُلقيَ عليه الشبه، فلا يثق بشيء مما يعرفه، وجميع ذلك خلاف الواقع والمحسوس، فيكون القول بالشبه من المحال، والمصلوب هو ذات عيسى عليه السلام. انتهى.

فأقول: إنَّ قولَك هذا تهويلٌ، ليس عليه تعويلٌ، لأن البراهين القاطعة والأدلة الساطعة قائمةٌ على أن الله تعالى خلق الإنسان وجملة أجزاء العالم، وأن حُكْمَ الشيء حكم مثله، فما من شيءٍ خَلقَهُ الله تعالى في العالم إلا وهو قادرٌ على خَلْقِ مثله، إذ لو تعذّر خلقُ مِثْلِه، لتعذَّرَ خلقه في نفسه، ويلزم منه أن يكون خلق الإنسان بل جملة العالم مستحيلاً، وهو باطل بالضرورة، فإذا ثبت أن الله تعالى قادرٌ على خلقِ مِثْلٍ لكلِّ شيءٍ في العالم، فجميع جسد المسيح لها أمثال، في حيّز الإمكان، يمكن خلقها في محل آخر غيرِ جسد المسيح عليه السلام، فيحصل الشبه قطعياً.

فالقول بالشبه قولٌ بأمرٍ ممكنٍ عقلاً، بطريق المعجزة وخرق العادة، ويؤيد ذلك أن التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع مااللحَيّةِ في عصاة موسى، عليه السلام، وهو أعظمُ من الشّبه، فإنَّ جَعْلَهُ إنساناً يشبه آخر أقرب من جعله نباتاً يشبه حيواناً، وقلب العصى حية تسعى، مما أجمع عليه علماءُ الأمتين اليهودية

والنصرانية، كما أجمعوا على جعل النار لإبراهيم، عليه السلام، جنةً وبَرْداً وسلاماً، وعلى انقلابِ الماء خمراً، وهي أولُ معجزة أثبتوها لعيسى، عليه السلام، ثم إن الأناجيل صرحت بأن المسيح، عليه السلام، كان يمسكُ أعينَ الناس عن معرفته، فيكلمونه ظانين أنه شخص آخر غيره، كما وقع لمريم المجدلانية، لمّا كلمها وكلمته، وهي تظنه البستاني، والرجلين اللذين صادفهما في الطريق، وأمسك أعينهما، فكلَّماه، وهما يظنان أنه غيره، وكذلك قضيته مع التلاميذ، بعد القيام، لما أنكروه، وإمساكه عيون العسكر، واليهود لما هجموا عليه، فلم يعرفوه، وظنوه غيره، كل ذلك يُلْزِمكمُ القولَ بجوازِ وقوع الشبه، لأنه إذا جاز وقوع صورة الغير على المسيح، جاز أيضاً وقوع صورة المسيح على الغير، فيظن أنه المسيح، بلا فرق في الصورتين، اللهم إلا أن تكذب الأناجيل في مسألة إمساك أعين الناس، فتلك مسألة أخرى.

والحاصل: لا يمكن إنكارُ الشبه إلا بعد إنكارِ النبوات والإلهيات والكتب المنزلة من السماء، كما عليه الآن أكثر الأروباويين. انتهى.

ترجمة حال مرقس وإنجيله

المقصد الثاني من إنجيل مرقس

تقدم الكلام على ترجمة حال متَّى الحواري وإنجيله، وحال المترجم له، ولا بأس هنا أن نأتي على نبذة يسيرة من أحوال هذا الإنجيل، ومؤلفه مرقس، قال بطرس قرماج في كتابه «مروج الأخبار في تراجم الأبرار» المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٠ ما ملخصه: «أن مرقس هذا كان يهودياً لاوياً، وهو تلميذٌ لبطرس، ولد بإقليم الخمس مدن، وصنف إنجيله بطلبِ من أهالي رومية، كان يُنكِرُ ألوهيةَ المسيح، ولم يذكر في إنجيله مدح المسيح لبطرس، ومات مقتولاً في سجن الإسكندرية سنة ٦٨ ميلادية قتله الوثنيون» انتهى.

وقد اختلفت النصرانية في تاريخ تأليف إنجيله، قال صاحب كتاب «مرشد الطالبين» ولفظه في صحيفة (١٧٠): «قد زعم أن إنجيل مرقس كتب بتدبير بطرس سنة ٦١م لنفع الأمم الذين كان تنصُّرُهم بخدمته» انتهى.

وقوله: زعم، يدل على أن هذا القولَ لا أصلَ له، والحق معه، لأنه لو ثبت أن تأليف إنجيل مرقس كان بمعرفة وتدبير بطرس، لذكر أن عيسى ليس بإلّه، بل هو بَشَرٌ رسول، وذلك لشهادةِ بطرس بذلك، وهو الحق، ولا يهمنا اختلافُهم في ذلك، فإن نتيجة هذا الاختلاف توهين هذا الإنجيل وحطّه عن درجة الكتب المُلْهَمة؛ ومَنْ أراد الوقوف على تفصيل هذا الاختلاف، فليرجع إلى ما كتبه لاردن في تفسيره، فأكتفي بنقل أقوال ثلاثة شهود، من أكابر علماء النصارى، في شأنه، وأَدَعُ المُطَالِعَ وشأنه في الحكم عليه.

الأول: قال ريس في المجلد التاسع عشر من كتابه المشهور بـ«إنسائي كلوبيد يارس» الذي كتبه بإعانة كثير من العلماء المحققين، نقلاً عن مستر كدل في الفصل الثاني من رسالته، في بيان الإلهام ما ملخصه: «إن الكتب التي كتبها تلاميذ الحواريين مثل إنجيل مرقس ولوقا وكتاب الأعمال ليست بإلهامية».

الثاني: قال واردكا تلك في كتابه: «صرح جيروم في مكتوبه أن بعض العلماء المتقدمين كانوا يشكون في الباب الآخر من إنجيل مرقس».

الثالث: قال المحقق نورتن في صحيفة ١٧٠ من كتابه المطبوع سنة ١٨٣٧ في بلدة بوستن، في حق إنجيل مرقس ما نصه: «في هذا الإنجيل عبارة واحدة قابلة للتحقيق، وهي من الآية التاسعة إلى آخر الباب الآخر، والعجب من كريسباخ أنه ما جعلها مُعلَّمةً بعلامةِ الشك في المتن، وقد أورد في شرحه أدلة على كونها إلحاقية» انتهى.

فإذا علم المطالع حالَ هذا المؤلف، ثبت عنده أن تأليفه ليس بإنجيل إلهامي،

بل هو تاريخ، نقله عن شيخه بطرس، وهو عبارة عن وقائع في زمن عيسى، عليه السلام، وأنه كان ينكر ألوهية المسيح التي هي مدار الاختلاف بين النصرانية وغيرهم، فلا بأس أن نتكلم هنا على إنجيله إجمالاً، وقد ذكرنا تفصيل أغلب مسائله، في ضمن الكلام على ترجمة إنجيل متَّى، ولا حاجة لتكراره، ولنذكر هنا بعض النصوص التي يهم شرحها، مما لم نذكره هناك، فنقول:

الإصحاح الأول

قال في ف١: (بدأ إنجيل يسوع المسيح ابن الله).

أقول: هذه الجملة عنوان التأليف، وليست من أصل الإنجيل، بل هي إلحاقيةٌ من المُصَنِّفِ كما ذهب إليه المفسرون من علمائهم، لكن صاحب إتحاف الجيل استنكفَ من أن يجعلها عنوانَ الكتاب، بل انفرد بجعلها من أصل الإنجيل، حيث قال ما نصه: «زعم بعضهم أن هذه الآية عنوان الكتاب، والصحيح أنها بدايةُ الكتاب لا عنوانه كما تدل لفظة «بدأ» ذاتها، انتهى».

وغرضه من هذا إثبات أن عيسى ابن الله، ونسي أن الإنجيليين كافة لم يذكروا هذه الجملة في أناجيلهم، ولو كانت من الإنجيل لما تركوها، على أن المتقدمين منهم صرحوا بأنها عنوان، فيكون إصرارُ المفسر المذكور عناداً وخلاف الظاهر، ولعله يَدَّعي الإلهامَ أيضاً، وأنه بعد تسعة عشر جيلاً عَلِمَ بواسطة الوحي ما لم يعلمه الإنجيليون والعلماء الأقدمون، فتلك مسألة، جوابُها السكوت. ثم قال مرقس ف٢ نقلاً من المطبوعات حديثاً في بيروت ما نصه: «كما هو مكتوب في الأنبياء: ها أنا أرسلُ أمامَ وجهك ملاكي الذي يُهَيِّءُ طريقك قدامك» انتهى.

وقد وافقه مترجم متَّى في ص١١ ف١٠ ولوقا في ص٧ ف٢٧ لكنهم تخالفوا في قوله: كما هو مكتوبٌ في الأنبياء، فلذا مَسَّت الحاجةُ لمراجعة النسخة المطبوعة قديماً في لندن، فوجدتها مخالفةً للنسخة المطبوعة حديثاً في بيروت،

فراجعتُ هذا النص المنقول في الأناجيل الثلاثة، من سفر ملاخيا النبي من ص٣ - ف١ فوجدته مناقضاً للأناجيل الثلاثة المطبوعة قديماً وحديثاً، ولم يوافقْ واحداً منها، فأخذني الدهش من أعمالِ هؤلاء القوم، ثم راجعتُ نسخة التوراة المطبوعة قديماً في لندن، وإذا هي لا توافق التوراةَ المطبوعة حديثاً في بيروت أيضاً، ولا توافق الأناجيل المطبوعة قديماً وحديثاً، فتأسفتُ على حالِ هذه الأمة العظيمة السائبة الذين يزيدون على مئتي مليون من النفوس، ولم يبقَ باليد حيلةٌ لإظهار الحقيقة سوى مراجعة الأسفار العبرانية التي بأيدي اليهود، ولما راجعت بعض علمائهم، قالوا: إن التوراة والزبور وسائر الأسفار التي بأيدينا، لا توافقُ الكُتُبَ التي ترجمتها وطبعتها النصارى قديماً وحديثاً، لأنهم حَرَّفوها وغيّروها، ولا زالوا يبدلون ويزيدون وينقصون، معتذرين بأنهم يصححون اللغات والتراجم، من لغةٍ إلى لغة، حتى أضحت عباراتُ الترجمة مخالفة للأصل البتة، فعند ذلك أوقفتُ قلمي، ثم تَرَبَّصْتُ رويداً، أَفتكِرُ، فرأيتُ أنه لا مناص من هذه الورطة إلا أن أنقل النص المذكور عيناً من النسخة المطبوعة قديماً وحديثاً، من سفر ملاخيا ومن الأناجيل الثلاثة، وأجعل النصف الأيمن من الصحيفة للنسخة المطبوعة في لندن سنة ١٨٤٨ ميلادي والنصف الأيسر منها لنسخة بيروت المطبوعة سنة ١٣٠٠ رومي، وها هو منقول على الوجه المسطور.

(بيان نقل النص المذكور من سفر ملاخي ص٣ ف١)

(في نسخة لندن)	(في نسخة بيروت)
ها أنذا مُرْسِلٌ ملاكي ويُسَهِّلُ الطريق أمام وجهي، وللوقت يأتي إلى هيكله المُسَلَّطُ الذي أنتم تطلبون وملاك الميثاق الذي أنتم تريدون ها ها جاي يقول رب الجنود.	هأنذا أرسل ملاكي، فيهيِّئُ الطريق أمامي، ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه، وملاك العهد الذي تسرون به هو ذا يأتي قال رب الجنود

(بيان نقل النص المذكور من الأناجيل الثلاثة)

مرقس ص١ ف٢

(من نسخة لندن القديمة)	(من نسخة بيروت الحديثة)
كما هو مكتوب في أشعيا النبي هأنذا مرسل ملاكي أمام وجهك الذي يسهل طريقك قدامك.	كما هو مكتوب في الأنبياء ها أنا مرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيِّىءُ طريقك قدامك.

متى ص١١ - ف١٠

(من القديمة)	(من الحديثة)
لأن هذا هو الذي كتب من أجله هأنذا مرسل ملاكي أمام وجهك، فيسهل طريقك قدامك.	هذا هو الذي كتب عنه، ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيىء طريقك قدامك.

لوقا ص٧ - ف٢٧

(من القديمة)	(من الحديثة)
هذا هو الذي كتب من أجله هأنذا مرسل أنا ملاكي قدام وجهك فيصلح طريقك أمامك.	هذا هو الذي كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيىء طريقك قدامك.

ثم لما تأملتُ من هذه اللوحة التي تقضي بالعجب، رأيتُ أن أُضيفَ إليها ترجمة هذه الآية المذكورة، من نفس التوراة العبرانية التي بأيدي اليهود، فكلَّفتُ بعضَ من له وقوفٌ على اللغتين العربية والعبرانية، فترجمتها كما يأتي.

وهذا ترجمته للعربية

(ها أنا سوف أرسلُ رسولي، فيعزلُ طريقاً بحضوري، وحينئذٍ يأتي بغتة إلى هيكله الوليُّ الذي أنتم ملتمسون، ورسول الختان الذي أنتم راغبون أيضاً هو ذا آتٍ قال الله ربُّ الجيوش) انتهى.

فيا أيها العاقل اللبيب! تأمل - عافاك الله - في هذه الجملة الوجيزة، كيف لعبت بها أيدي المُدلِّسين، وانظر كيف كانت في لندن، وكيف انقلبت في بيروت، وكيف نقلها الإنجيليون، وهم أيضاً في نَقْلِها مختلفون، والكلُّ منهم خالفوا أصل النص المنقول آنفاً، من النسخة العبرانية، وقد بسطنا أمامك أصلَها وترجمتها، وهي مخالفةٌ لجميع كتب النصارى، قديمة كانت أو حديثة، والسبب الذي ألجأهم إلى هذا الخبص في هذا النص، أنه يشير إلى يحيى بن زكريا وعيسى وأحمد، صلى الله تعالى عليهم وسلم، وسيأتي لهذا مَزيدُ إيضاحٍ في إنجيل يوحنا، إن شاء الله تعالى.

ثم إنه قال في طبع لندن من إنجيل مرقس هكذا: «كما هو مكتوب في أشعياء النبي» مع أن هذا النص ليس في أشعياء، بل في ملاخي كما مَرَّ، وكان مُصَحِّح نسخة بيروت فَطِنَ لذلك، فأصلحها بزعمه، وبدّل لفظة أشعياء بالأنبياء، كي يواري سوأة أخيه في لندن، والطبع الجديد أضرب عن قوله: في أشعياء، بل كُلُّ واحدٍ غيرّه بلفظ، لم يذكره الآخر، قال في لندن: «ويسهل الطريق أمام وجهي» فبدل في بيروت بقوله «فيهيىء الطريق أمامي» ونقله الإنجيليون هكذا: الذي يهيىء طريقك قدامك. ثم قال في لندن «وللوقت يأتي إلى هيكله» فبدله في بيروت بقوله «ويأتي بغتة إلى هيكله» والإنجيليون الثلاثة لم يذكروا شيئاً من ذلك. ثم قال في نسخة لندن «المُسَلَّط الذي أنتم تطلبون» وفي نسخة بيروت حرّفه، وقصد بتحريفه شراً، على ما سنبينه قريباً إن شاء الله تعالى فقال: «السيد الذي تطلبونه» والأناجيل الثلاثة سكتت عنه، حتى لا يقال: إن التحريف الذي

في متن سفر ملاخيا كانا دسيسةً من المحرفين في طبع بيروت، ثم إنه كتب في نسخة لندن «وملاك الميثاق» وفي نسخة بيروت غيره فقال «وملاك العهد» والإنجيليون الثلاثة سكتوا عن باقي الآية، ليظهر تحريفهم في نفس الأسفار.

والأغربُ من هذه الملاعب أنه قال في الطبع القديم «المُسَلَّط» وفي المطبوع حديثاً غيَّره بلفظ «السيد» وأيّ مناسبةٍ بينهما، ولكن قصد المسكين أنْ يجعلَ النصَّ في نبوة ملاخيا مختصاً بالمسيح، وأشار بقوله: السيد، إلى أنه إلّه، كما هو اصطلاحهم، وهو تَشَبُّثٌ أوهَى من بيتِ العنكبوت.

وأما مصحح الطبع القديم فقد اكتفى بسرقةٍ واحدة، إذ وجد من أسفار الأنبياء ما يتشبث به، مع تحريف خفيف، والثاني لم يلتفت إلى سرقة سلفه، بل عَدَّها غنيمة باردة، فأخذ يتصرف فيها كيف شاء، وأخذ يطبق الآية في نبوة ملاخيا على حسب هواه، ثم قال في لندن «الذي أنتم تريدون» وبَدَّلَهُ في بيروت بقوله: «الذين تُسَرُّونَ به» ليجعلها مقدمة، توافق قوله في مرقس بعد سطرين: «وكان صوت من السموات: أنتَ ابني الحبيب الذي سُررتُ به» والعجب من هذا المُلفِّق، يريد أن يُثْبِتَ ذِكْرَ عيسى، في أسفار الأنبياء، بالتلفيقات الكاذبة، مع أن ذِكره ثابتٌ في الأسفار وكافة الكتب النازلة من السماء، بأخبارٍ صادقة، تُغني عن الكذب والافتراء.

ولنرجع إلى ما نحن بصدده، قال مرقس حكاية عن يحيى عليه السلام ف٧: «يأتي بعدي مَنْ هو أقوى مني» وأراد به عيسى، لأنه من أولي العزم، وفيه دليلٌ قطعي على أن عيسى عليه السلام رسولٌ مخلوق كسائر الأنبياء، ولو كان إلهاً، كما تزعم الأساقفة، لقال: يأتي بعدي الذي هو أرسلني، وصوّر العالَم وصوّرني، ثم قال ف٨: «أنا أُعَمِّدُكم بالماء وأما هو [أي عيسى] فسيعمِّدكم بالروح القدس. وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل، واعتمد من يوحنا في الأردن، وللوقتِ وهو صاعد من الماء، رأى السموات قد انشقت، والروح

مثل حمامة نازلاً عليه، وكان صوتٌ من السموات: أنتَ ابني الحبيب الذي به سُررتُ، وللوقت أخرجه الروح إلى البرية، وكان هناك في البرية أربعين يوماً، يُجَرَّبُ من الشيطان، وكان مع الوحوش، وصارت الملائكة تخدمه.

وبعدما أسلم يوحنا، جاء يسوع إلى الجليل، يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول: قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» انتهى.

أقول: لقد عهدنا من مرقس أنه كان يتبع إنجيل متَّى، ونراه في هذه الجملة خالفه، وأظن أن هذه المُباينةَ حصلت بسبب عدم مطابقة الترجمة لأصل إنجيل متَّى، ولو كان الأصل موجوداً، ولم يحرفه المترجم، لكانا يتفقان بالمقال، ومنه يتبين أن ترجمة متَّى ظهرت بعد القرن الأول، أي بعد وفاة مرقس ولوقا والحواريين، فلذلك صارت مناقضةً للأناجيل الثلاثة، بل يكذِّبُ آخرُها أولَها، ولو سلم إنجيل مرقس من تحريفات المترجمين والمصححين في المطابع، لكان أقلها ضرراً، لأنه لم يتعرض لما يَمَسُّ بعظمةِ الباري عزَّ وجل كغيره، ولنذكر بعضاً من اختلافاتهم في أول قول المسيح الصادر منه، في مجامع بني إسرائيل عندما بَلَّغهم رسالته، فقد ذكرنا آنفاً رواية مرقس، ولنذكر روايات الثلاثة أيضاً، حتى تثبت المناقضات، وتظهر المخالفات، نقول:

قال المترجم في إنجيل متَّى في - ص٣ - ف١١: «سيعمدكم بالروح القدس» وقال في - ص٤ - ف١٧ «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السموات» وخالفهما لوقا، فقال في ص٣ - ف١٦ حكاية عن يحيى أيضاً «أنا أعمدكم بماء، ولكن يأتي مَنْ هو أقوى مني الذي لستُ أهلاً أن أُحُلَّ سيورَ حذائه، هو سيعمدكم بالروح القدس» إلى أن قال في - ص٤ - ف١٦: «دخل المجمع حسب عادته يوم السبت، وقام ليقرأ، فدفع إليه سفر أشعياء النبي، ولما فتح السفر، وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه، روحُ الربِّ عليَّ، لأنه مَسَحني، لأُبَشِّر المساكين، أرسلني لأشفي المُنكسري القلوب» انتهى.

وأما إنجيل يوحنا فإنه ذكر فيه عن يحيى أنه قال في ص١ - ف٣٣: «فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس» ولم يذكر الأب والابن في التعميد، وسيأتي البحث عن التثليث في يوحنا مفصلاً إن شاء الله تعالى.

ثم إنهم اختلفوا أيضاً في قضية الصوت من السماء المار ذكره آنفاً، فإن المترجم قال في ص٣ - ف١٦ ما نصه: «وإذا السموات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة، وآتياً عليه، وصوت من السموات قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» فمرقس قال: رأى الروح، والمترجم قال: فرأى روح الله، وأما لوقا فقال في ص٣ - ف٢١ «وإذ كان يصلي، انفتحت السماء، ونزل عليه الروح القدس، بهيئة جسمية مثل حمامة، وكان صوتٌ من السماء قائلاً: أنت ابني الحبيب، بك سررت» ويوحنا خالف الثلاثة فقال في ص١ -ف ٣٢: «وشهد يوحنا قائلاً: إني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء، فاستقرَّ عليه، وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لِأُعمِّدَ بالماء، ذاك قال لي: الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه، فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس» وقال أيضاً يوحنا الإنجيلي في ص١٢ - ف٢٨: «أيها الأب: مَجِّدْ اسمك، فجاء صوتٌ من السماء مجَّدت وأمجد أيضاً» وهو مخالفٌ للثلاثة، فإنهم اتفقوا على أن الصوتَ كان في أول نبوته، وبعد نزول الحمامة عليه، وهذا يدل على أنه كان في آخر أمره، قُبَيْل رفعه، وهذا من التناقضِ الفاحش.

ثم بالله عليك أيها المسيحي: كيف ترضى أن يكون الروحُ القدسُ النازلُ بصفة حمامة هو الله كما تزعم الأساقفة، فكيف يكون الله تعالى جسماً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ونحنُ معاشرَ المسلمين نقول: إن الروح القدس النازل بصفة حمامة على عيسى هو جبرائيل أمينُ الله، على أنبيائه، عليهم السلام، وعيسى واحدٌ منهم، كما أخبر عنه قديسكم بولس برسالته الثانية إلى كورنثوس في ص٣ - ف٣ حيث قال: «جبرائيلُ روحُ الله الحيّ» وأما كون الصوت ليس من الله، بل

من جبرائيل، فثابتٌ أيضاً كما صرح به صاحب «تحفة الجيل» حيث قال في تفسيره للعدد ٢٩: «إن الصوتَ كان من المَلَك لا من ذاتِ الله» انتهى.

ولنرجع إلى ما نحن بصدده، قال مرقس في الفقرة المذكورة: فسيعمدكم بروح القدس. قلت: بهذا يظهر أن التعميد لم يكن بالتثليث الذي دَسَّهُ مترجم متَّى في نهاية ترجمته، بل هو بروح القدس فقط، كما اتفقت الأناجيل الأربعة، في أوائل أناجيلهم، على أن يحيى بن زكريا، عليهما الصلاة والسلام، شهد وبلَّغَ بني إسرائيل بأن المسيح سيعمدهم بروح القدس، ففضح اللهُ هذا المترجم، بإقراره في أول ترجمته، وكَذَّبَ نفسه بنفسه، والنصارى جعلت مجرد قول هذا المترجم الخبيث آيةً منزلة على فرضية التثليث، حتى إنهم جعلوا هذا الأمر المخالف، لكتب الله المنزلة، رأسَ دِينهم وأساس عقيدتهم.

وقوله: «كان يُجَرَّبُ من الشيطان بعد نزولِ روح القدس عليه» عجيبٌ غريب، ومنه يثبت أن الأساقفة الذين ابتدعوا هذه الحكاية هم وحوش جهلة، لا يفهمون ما يقولون، والمثل يقول [إنْ كنتَ كَذُوباً فكن ذَكُوراً] وكان يقتضي تجربة الشيطان قبل نزول الوحي عليه وقبل تبليغه بالرسالة، أيها الفطِن: تأمَّلَ لو أردتَ وأنت بشر أن تستخدمَ أميناً على أموالك أو معلماً لتربية أولادك، هل تسلم أموالك أو أولادك إلى مُؤَدِّبٍ قبل التجربة، أم إذا أردت أن تتزوج بامرأة، هل تعقد عليها قبل التجربة، ولا سيما عند النصارى، لأنه لا خلاصَ للزوج منها، فكيف يُجَرِّبُه الشيطانُ بعد نزولِ روحِ القدس عليه؟! فليت شعري كيف يقال: بأن الله سَلَّطَ الشيطانَ على تلك الكلمة التي زعم يوحنا أنها هي الله، وتَجَسَّدَتْ في بطن العذراء، فكان إلهاً كاملاً وبشراً كاملاً، فهل كان في عصمةِ هذا الإله الكامل شَكٌّ، ولم يظهر حالُه إلا بعد التجربة من الشيطان الذي طرده من رحمته؟.

أفما كان هذا الإله الكامل الخالق أن يستحق منصب البابا في العصمة، وهل

يعقل أنه لا يوجد في النصارى رجلٌ رشيد، يعقلُ ذلك، ويفهمُ ما هنالك، وهم يزيدون على مئتي مليون من النفوس، وفيهم عقلاء يميزون وعلماء يفهمون؟ ولكن البعض منهم اقتدوا بالطبيعيين، ونبذوا الديانةَ وراءَ ظهورهم، ومنهم مَنْ عرف الحق اليقين، ولا يتمكن من إظهاره خوفاً أو حياءً من طائفته وأصدقائه وأقربائه وأهل بيته ووطنه، ومنهم مَنْ تمنعهم الخلاعةُ والتلذذ بهذا الدين السائب والتمدن الجديد، والنفس أمارةٌ بالسوء، ولأمرٍ ما بدّل المُبَدِّلون الأناجيلَ الحقيقية، ما هو إلا ليصطادوا الناسَ بفخِّ الشهوات، ومنهم أصحابُ المناصب العالية الذين يكتمون عقائدهم حباً للإمارة والتفاخر بين الأقران في الدنيا الفانية، ومنهم مَنْ ليس له وقوفٌ على حقيقة الحال بالكلية، ولا يميز بين الممكن والمحال بالمرة، وهم السوادُ الأعظم، نراهم عاكفين على مذهب آبائهم وأجدادهم، لا يميزون سوى أمور صنائعهم وأسباب معايشهم، وفي ذلك شُغلٌ شاغلٌ لهم عن معرفة الدين، فهم كالأنعام، بل هم أضلُّ سبيلاً.

ولنرجع إلى بحثنا، قوله، أي مرقس «وكان مع الوحوش، وصارت الملائكة تخدمه».

أقول: كيف يكون إلهاً، وهو بين الوحوش، تجرِّبهُ الشياطينُ، وتخدمه الملائكة؟! ولعلَّ في جمع هذه الأضداد أسراراً، تَقْصُرُ أفهامنا عن إدراكها، ولا يعلمها إلا الأساقفةُ والراسخون في علم التثليث، وأيُّ حاجة للإلَه في خدمة الملائكة، ولم لا يذودون عنه الشياطين التي تجربه؟

وغاية ما يقال: عجباً لإلهٍ يحتاج لمعاونة غيره وخدمة خدامه، وهو مع الوحوش، تَعبَثُ به الشياطين، وتجربه الأباليس.

وقوله: «آمنوا بالإنجيل» صريحٌ في أنه كان بيده إنجيل، وإلا فكيف يكلِّفُهم بأن يؤمنوا بكتاب، لم يكن موجوداً، وهم أحرصُ الناس على توراتهم، فكيف

يتركون التوراة لكتاب غير موجود، وإن زعمت أن المراد به هذه الأناجيل نفسها، قلنا لك: إنها أربعة مختلفة متناقضة، وليست بإنجيل واحد، مع أنها عبارة عن وقائع وحكايات وقعت بعد قوله: «آمنوا بالإنجيل»، ومنه يُسْتَبَانُ أن هذه الأناجيل بعينها مفتعلة بعد عيسى، عليه السلام، ويغلبُ على الظن أن الإنجيل الحقيقي الذي أشار إليه، هو الانجيل العبراني المنسوب إلى متَّى، وقد غَيَّره المترجمُ في ترجمته، وأعدمه من أصله، وأظهر الترجمةَ المملوءة من الكفر والهذيان، فكان ما كان، والله المستعان.

الإصحاح التاسع

اعلم أن أكثر إصحاحات إنجيل مرقس، قد مرّ الكلامُ عليها، في ضمن أبحاث ترجمة متّى، فلم تبقَ حاجةٌ إلى إعادتها هنا، ولذلك طوينا ذكرها، وإن في بعضها أشياء، انفرد بذكرها، كشفاء بعض الأمراض مما لم يذكره غيره، ولا يتعلق بها الغرض، ونتكلم هنا على شيء من هذا الإصحاح التاسع، فنقول: قال فيه ف٣٨ ما نصه: «فأجابه يوحنا قائلاً: يا معلم: رأينا واحداً يخرج شياطين باسمك، وهو ليس يتبعنا، فمنعناه، لأنه ليس أحد يتبعنا، فقال يسوع: لا تمنعوه، لأنه ليس[1] أحد يصنع قوة باسمي، ويستطيع سريعاً أن يقول عليَّ شراً، لأن مَنْ ليس علينا فهو معنا» انتهى.

وذكره لوقا في ص٩ - ف٤٩ ونصه: «فأجاب يوحنا، وقال: يا معلم رأينا واحداً يخرج الشياطين باسمك، فمنعناه، لأنه ليس يتبع معنا، فقال له يسوع: لا تمنعوه لأنَّ مَنْ ليس علينا، فهو معنا» انتهى.

فزاد مرقس على لوقا قوله «لأنه ليس أحدٌ يصنع قوةً باسمي، ويستطيع سريعاً أن يقول عليّ شراً» ولا ندري الصواب مع لوقا، في طَيِّها، أو مع مرقس، في نَشْرِها، أو مع متّى ويوحنا في عدم ذكرهما هذا النص بجملته، ثم إن ما رواه مرقس ولوقا، في النص المذكور من قول المسيح «مَنْ ليس علينا، فهو معنا» منقوضٌ بما رواه مترجم متّى حكايةً عن المسيح أيضاً في ص١٢ و - ف٣٠ وهو قوله: «مَنْ ليس معي، فهو عليَّ» ويُجَلُّ المسيحُ عليه السلام أنْ ينقضَ كلامه بكلامه. [ومَنْ كان ذا لُبٍّ فليتعجَّبْ].

---

(١) سقطت من المطبوع.

الإصحاح الحادي عشر

قال فيه: إن مباحثة اليهود والمسيح، عليه السلام، كانت في اليوم الثالث من وصوله إلى أورشليم. وفي متَّى في ص٢١ أنها كانت في اليوم الثاني، وهذا الاختلافُ مما يقبل التوفيق، حتى قال هارون، وهو من أعاظمهم، في بيان هذين الاختلافين في صحيفة (٢٧٥) وفي صحفة (٢٧٦) من المجلد الرابع من تفسيره المطبوع في سنة ١٨٢٢ من الميلاد ما نصه «لا تخرج صورة ما من التطبيق في هذه الأحوال» انتهى.

الإصحاح الثاني عشر إلى نهاية الإصحاح الخامس عشر

ذكر فيها معجزات، لم يذكرها غيره، ولا يهمنا أمرها، لأننا معشر المسلمين نُصَدِّقُ برسالة عيسى، عليه السلام، وبجميع معجزاته وما جاء به، إلا أننا نطعنُ في كلام مرقس من حيث كونه تَفَرَّدَ به، ونستدل بذلك على سقوط الأناجيل الموجودة عن الاعتبار، لاختلافها البيّن، وتناقُضِها الصريح.

الإصحاح السادس عشر

قال فيه - ف٩: «ظهر أولاً [أي: بعد قيامه] لمريم المجدلية التي كان قد أخرجَ منها سبعةَ شياطين».

أقول: إن هذا النص قد تكلمنا عليه في متَّى، ولكن لم نتكلم على قوله: أخرج منها سبعة شياطين، وهو عجيب وغريب، والأغرب منه قول المفسر في «تحفة الجيل» ونصه «ذكر إخراج الشياطين السبعة منها أنَّ المرادَ بها الخطايا الروسبة السبع، إشارةً إلى عَظَمةِ توبتها ومحبتها ليسوع، حتى استحقت أن تراه قبل الجمع إلا أمه» انتهى.

ولعمري: إن ابتكارات هذا الفاضل، في تفسير هذه الآية، من أنواع البديع، ولا يخطر على فكر أحدٍ أن الشياطين السبعة تفسّر «بالروسبة السبع» فجديرٌ أن يُقال: لولا هذا المفسر، لبقي الإنجيل بِكراً، ولم يكتف بهذا التفسير الغريب، حتى استثنى العذراء بقوله: إلا أمه، فأفاد أنها رأته قبل المجدلية، ولا ندري عَمَّنْ أخذ هذه الرواية، وفي أيِّ إنجيلٍ وإصحاحٍ مذكورة، مع أن هذا النص الذي نقلناه عن مرقس وغيره، من نصوص الأناجيل جميعها، صَرَّحَ أنَّ في أوَّلِ مَنْ رآه مريم المجدلية، فيا أيها الفاضلُ والمفسر الكامل، نطلب منك نصاً من الإنجيل، في ظهوره أولاً لأمه، حتى نحكمَ بأن رواة الأناجيل كاذبة في هذه الرواية، ولعلك بعد تسعة عشر جيلاً تدّعي الإلهام أيضاً، وإلا فهذه الأناجيل وأعمال الرسل والرسائل كافة لم تذكر حرفاً واحداً من ذلك، ونحنُ معاشرَ المسلمين لا نقولُ بامتناع زيارته للعذراء، أو زيارتها له بعد قضية الصلب، بل يمكن أنه زارها مراراً، قبل الرفع، لأنه لم يصلب، وكان مختفياً عن اليهود، كما مر البحث عن ذلك.

ويضحكني قولُ المفسر في آخر كلامه: ليتعلَّمَ الخُطاةُ بمثلها. ولعله قَصدَ بالخطاة العذارى والغواني، وغرضُه الحَثُّ على الإتيان بما ترجفُ منه الحَمِيّة، والاعتراف له ولأمثاله من ذئاب الأساقفة والرهبان، لمغفرةِ خطاياهن في خلواتِ الكنائس، مع أن عيسى عليه السلام، لم يَخْتَلِ مع المجدلية، حتى يتعلمَ الخُطاةُ بمثلها، بل تابت بين يدي عيسى، بحضور جَمٍّ غفير، كما هو مُصَرَّحٌ في الأناجيل، فقبِلَ التوبةَ منها، كما فعلت الأنبياء من قبله.

ثم قال مرقس في ف١٦ ما نصه: «من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يُدَن، وهذه الآيات تتبع المؤمنين، يُخْرِجُونَ الشياطين باسمي، ويتكلمون بألسنة جديدة، يحملون حيات، وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى، فيبرؤون، ثم إن الرب بعدما كلَّمهم ارتفع إلى السماء، وجلس عن

يمين الله، وأمّا هم فخرجوا، وكَرروا في كل مكان، والربُّ يعمل معهم، ويثبت الكلام بالآيات التابعة آمين» انتهى، وبه تم إنجيل مرقس آمين.

أقول: إن هذه الخاتمة لا أصلَ لها، بل هي علاوة من الأساقفة المُغالينَ، لأجلِ إضلالِ العامة والمساكين، والدليل على كونها مفتراة، أنه لم يَذْكُرها أحدٌ من الإنجيليين غيره، بل ولا الحواريون ولا الرسل في أعمالهم ورسائلهم سوى مرقس، وهو لم يكن منهم، وقد مَرّ شرح ذلك مُفَصَّلاً في ص٢٨ من متَّى، فلا حاجة إلى التكرار.

المقصد الثالث في إنجيل لوقا

ترجمة حال لوقا وإنجيله

قد علم المطالع، مما تقدم، حالَتَي متَّى ومرقس وإنجيليهما المار شرحهما، وهنا نأتي بفصل قصير، في بيان ترجمة حال لوقا وإنجيله.

أقول: قد اختلفت النصرانية في لوقا اختلافاً كلياً، بحيث يمكننا أن نُلْحِقَهُ في الجهالة، بمترجم إنجيل متَّى، وكيفما كان، فإنهم اتفقوا على أنه كان تلميذاً لبولس العدوّ الألَدِّ للنصرانية، وأنه لم يَرَ المسيحَ أصلاً، وكان من أهل إنطاكية طبيباً، وقيل: مُصَوِّراً، وقال صاحب «مرشد الطالبين»: إنه كتب إنجيله برسم ناوفيلوس، المزعوم أنه [مصري] كما يفهم ذلك من فاتحة إنجيله أيضاً، وقد حقق الفاضل (لاردن) أن لوقا كتب إنجيله بعدما حرر مرقس إنجيله، وذلك بعد موت بطرس وبولس، فتبين أن إنجيله ليس إلهامياً، كما زعموا، وأنقلُ هنا خمسةَ أقوال، لعلماء المسيحية، في أن إنجيل لوقا ليس إلهامياً.

الأول: تقدم عن ريس في كتابه المشتهر بـ«إنسائي كلوبيديارس، أن إنجيل لوقا على ما حققه مستر كدل، في رسالة الإلهام، ليس إلهامياً.

الثاني: إن واتسن صرح في المجلد الرابع من كتابه، في رسالة الإلهام التي أخذت من تفسير داكتر بنسن، بأن عدم كون إنجيل لوقا إلهامياً، يظهر مما كتب في ديباجته (وذكر الديباجة برمتها إلى أنْ قال) وهكذا قال القدماء من العلماء أيضاً، أي: بأنه ليس إلهامياً.

الثالث: صرح جيروم في مكتوبه، على ما نقله واردكاتلك عنه، أن بعض القدماء كانوا يشكّون في بعض الآيات، من الباب الثاني والعشرين، من إنجيل لوقا، وأن البعض كانوا يشكون أيضاً في البابين الأولين، من هذا الإنجيل، وأن هذين البابين ما كانا في نسخة فرقة مارسبوني، أقول: وقد جزم أكهارن في الصفحة ٨٩ من كتابه أن من ف٤٣ إلى ف٤٧ من الباب الثاني والعشرين، من إنجيل لوقا إلحاقية.

الرابع: قال أكهارن في الصفحة ٦١ من كتابه المذكور ما نصه: «قد اختلط الكذبُ الراويق ببيان المعجزات التي نقلها لوقا، والكاتب ضمه على طريق المبالغة الشاعرية، لكنَّ تمييزَ الصدق عن الكذب في هذا الزمان عسير» إ.هـ وعليه فالبيان المختلط بالكذب، على طريق المبالغة الشاعرية، كيف يكون إلهامياً صرفاً.

الخامس: قال كلي مي شيس: إن متى ومرقس يتخالفان في التحرير، وإذا اتفقا، ترجَّحَ قولُهما على قول لوقا» انتهى.

ومنه يظهر أن هذه الأناجيل الثلاثة ليست بإلهامية، وإلا فلا معنى لترجيحِ الأوَّلين على الثالث، وقد أقرَّ هذا الفاضل بصراحةِ قولهِ، أن هذه الأناجيل وقع فيها الاختلافُ، ولا شك أنه أراد الاختلافَ المعنوي، لأن الاتفاق اللفظي مستحيلٌ بين الأناجيل الأربعة، وكتابنا هذا مملوءٌ من ذِكْرِ التناقض بسائر أقسامه.

فصل

من نظر إلى اختلاف القوم في عنوان هذا الإنجيل، يظهر له حاله، ولنذكر من ذلك ثلاثة اختلافات:

الأول: عنوان النسخ السريانية «باسم ربنا وإلّهنا يسوع المسيح نكتبُ الإنجيلَ المقدس الذي هو بشارةُ لوقا الإنجيلي، التي تكلم بها مبشراً باليونانية، في مدينة الاسكندرية العظمى».

الثاني: عنوان النسخة اللاتينية: إنجيل يسوع المسيح المقدس، كما كتب لوقا.

الثالث: عنوان النسخة العربية القديمة: باسم الأب والابن والروح القدس الإلّه الواحد إنجيل الأب الأفضل لوقا البشير افتتاح الإنجيل المجيد. قال صاحب «تحفة الجيل»، في مقدمة إنجيل لوقا في صحيفة (٤٦١) ما لفظه: فمن هذا الاختلاف يظهر أن هذا العنوان لم يضعه مار لوقا، بل الكنيسة التي لأجل حكمها فقط تعتقد أن هذا الإنجيل هو للوقا، وأنه قانوني خلافاً لأناجيل أبولوس وباسليد وغيرهما، قال مار أغوسطينوس: «إني لم أكن أؤمن بالإنجيل، لو لم تُسلِّمني إياه الكنيسة المقدسة [إلى أن قال] فينتج من ذلك أن الأراطقة الذين ينكرون سلطة الكنيسة وعصمتها في الضلال، لا سيما البروتستنت، لا يمكنهم أن يثبتوا أن الأسفار المقدسة قانونية وملهمة من الله. انتهى بحروفه.

أقول: تبين من كلام هذا الفاضل أمران:

الأول: يفهم منه أنه لو لم ير الكنيسةَ تعتبرُ أن إنجيل لوقا إلهامي قانوني، لتعذَّر قَبولُه.

الثاني: أن التوراة والزبور والأسفار والأناجيل أيضاً، لا سبيلَ لإثبات

إلهاميتها بطريق العقل والنقل البتة، ويكفينا شهادة هذا الفاضل، لأنَّ صاحب البيت أدرى بما فيه.

تنبيه: إن لوقا أتى في إنجيله هذا بزيادات كثيرة في نيِّفٍ وعشرين محلاً، وهذه بالنسبة إلى المترجم، وأما بالنسبة إلى مرقس فحدِّثْ عن البحر ولا حَرَجَ، وهذه الزيادات بعضها معجزات، وبعضها أشياء أُخَر، فليتنبه المطالع لقولنا: إن هذه من زيادته، عند الكلام على هذا الإنجيل، إن شاء الله تعالى، وقد أشرنا إلى ذلك هنا، ليعلم أن هذه الزيادات لا تخلو عن أحدِ أمرين: إما إفراط من لوقا، أو تفريط من المترجم ومرقس، وكيفما كان الأمر، فإن هؤلاء المُلْهَمين، بزعمهم، قد أخذوا هذه الأحوال عن واحد، فلا ينبغي أن يختلفوا وهم مُلْهَمون، فيكون وقوع ذلك منهم دليلاً على أنه ليس هو الإنجيل المنزل من الله تعالى.

الإصحاح الأول

افتتحه بقوله: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المُتيقَّنة عندنا، كما سلَّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة، رأيتُ أنا أيضاً إذ قد تتبعتُ كُلَّ شيء من الأول بتدقيق أنْ أكتبَ على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به» انتهى.

أقول: كلامه هذا صريحٌ في أنه لم يكتبْ إنجيلاً عن وحيٍ وإلهام، بل مكاتيب متتابعة إلى الأمير ثاوفيلس، ويخبره بما سمعه، وهو لم يكن من الحواريين، ولا من المؤمنين في زمن عيسى، وهو يُقِرُّ بأنَّ تصنيفه عبارة عن قصص وحكايات، سمعها من خُدَّامِ الكلمة حال كون يوحنا الحواري لم يذكر في إنجيله أغلب ما ذكره لوقا، وهو المحبوب والملازم للمسيح في السفر والحضر، وكذلك متَّى الحواري لم يذكر في إنجيله كثيراً من أخباره، وهو من

خدام الكلمة أيضاً، فتبين أن لوقا حاطبُ ليل، لا عبرة في خبره، ثم قال عن زكريا عليه السلام ف١١: «فظهر له ملاكُ الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور، فلما رآه زكريا، اضطرب ووقع عليه خوفٌ، فقال له الملاك: لا تخف يا زكريا، لأن طِلبتك قد سُمعت، وامرأتك أليصابات ستَلِدُ لك ابناً، وتُسميه يوحنا، ويكون لك فرح وابتهاج، وكثيرون سيفرحون بولادته، لأنه يكونُ عظيماً أمام الرب، وخمراً ومسكراً لا يشرب، ومن يظن أمه يمتلىء من الروح القدس» انتهى.

فأقول: إن تفسيره هذه الآية واضح، وأظنها خالية من التحريف، فتأمل أيها المسيحي في كلام الوحي إلى زكريا، كيف يمدحُ يحيى عليه السلام بكونهِ لا يشربُ الخمور ولا المسكرات، وأساقفتكم جعلوا سيدتنا البتول وابنها الرسول عليهما السلام خَمَّارين للأشرار والفُجَّار في العرس، عندما قلبَ الماءَ خمراً للسكارى، بالتماس أمه العذراء في قانا، وزعموا أنها أول معجزةٍ صدرتْ منه، وحاشاهما من ذلك، وكيف يفعلان هذا المنكر، والله تعالى يذم الخمر وشاربيها، ويمدح مجتنبها وتاركيها، فَهَلاَّ تَذَكَّروا قوله: «السكير لا يدخل ملكوت السموات». وفي ص٢١ - ف٢٤ من هذا الإنجيل قال المسيح: «احترزوا لأنفسكم، لئلا تتثقل قلوبكم في خمار وسكر» وهذا نهيٌ صريح عن مُعاطاةِ هذا المنكر، وفي الخمرةِ وتحريمها نصوصٌ كثيرة، كقولِ هوشع في أسفاره بص٤ ف١١: «السلافة تخلب القلب» وكقولِ بطرس في رسالته الأولى بص٤ ف٣: «سالكين في الدعارة والشهوات وإدمان الخمر» وكقولِ قِدِّيسكم بولس في رسالته إلى تيطس بص١ ف٧: «يجب أن يكون الأسقف بِلا لَوم كوكيل الله، غير معجبٍ بنفسه، ولا غضوبٍ ولا مدمن الخمر» وأمثال هذه النصوص كثيرة، والحُرُّ تكفيه الإشارة.

والنصارى جعلوا افتتاح معجزات المسيح بالسكر، واختتموه بالسجود للخمر

الذي زعموا أنه ينقلب دم المسيح خمراً، وكُلٌّ من السُّكْرِ وشرب الدم حرام، باتفاق الشرائع، والقوم لم يكتفوا بشرب الخمر، بل تفننوا في مزجها بدم مَنْ يزعمونه إلَهاً، ثم يسمونه خروفاً، إلى ألقاب أُخَر، تقشعر منها الجلود.

ويظهر من قوله: أن يوحنا المعمدان من بطن أمه امتلأ من الروح القدس، أنه أفضل من عيسى ومن أنبياء بني إسرائيل كافة، ومثله ورد في ص٧ - ف٢٨ - من هذا الإنجيل: «لأني أقول لكم إنه بين المولودين من النساء، ليس نبيٌّ أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت الله أعظم منه» وورد أيضاً في إنجيل متَّى بص١١ - ف١١: «لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه» وقوله عنه قبل هذه الفقرة بف٩ «أفضل من نبيٍّ» فيدل ذلك على أن يحيى عليه السلام أفضل منه، وهذا على فرض صحة روايات أناجيلكم، وإن قلتم: إن يوحنا قال بأنه لا يقدر أن يحل سيورَ أحذية عيسى، قلتُ: هذه الرواية أيضاً من مفتريات الأساقفة، لا أصلَ لها، وإن صحّت، فهو من باب التواضع من يحيى، مع أنكم ذكرتم في أناجيلكم، أن عيسى تَعمَّدَ من يوحنا، فكلُّ ذلك يقتضي الأفضلية.

فإن قلت: إن مراد عيسى، من قوله: الأصغر في ملكوت السموات، نفسه، فيكون أعظم من يوحنا، كما أشار إليه المفسر في كتاب «تحفة الجيل» قلتُ: هذا خلاف المتبادر إلى الفهم، والحق أن المراد به الأصغر من ملائكة السموات، وكيف يسوغُ لك أن تقول بأن عيسى أصغر مَنْ في السموات، وأنت تزعم أنه أعظم مَن في السموات والأرض، وأنه الذي خلقهما ومَنْ فيهما كما لا يخفى، ثم إنه قال: أفضل المولودين من النساء، ولم يَستثنِ نفسه، ولا نزاعَ في أن عيسى مولودٌ من النساء، باتفاق أناجيلكم الأربعة، وهذا كله مبنيٌّ على نصوص كتبكم التي تزعمون أنها إلهامية، أما نحنُ معاشر المسلمين، فلا نُفَضِّلُ يحيى على عيسى، عليهما السلام، بل الأمرُ عندنا بالعكس، ولنا على ذلك أدلةٌ

مبسوطة في كتبنا، يعرفها العالمون، وينكرها الضالون، ولا نبخسُ فضلَ أحد من جميع الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

ولنرجع إلى أساس البحث، ثم قال في هذا الإصحاح، في بشارة جبرائيل للعذراء، عليهما السلام - ف٣١ ما نصه: «وها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً، وتسميه يسوع، هذا يكون عظيماً، وابن العلي يُدعى، ويعطيه الرب الإلّه كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية» انتهى.

وهذه الجملةُ مقدوحٌ فيها من وجهين:

الأول: أن عيسى عليه السلام من أولاد يواقيم، بمقتضى النسب الذي تقدم ذكره في إنجيل متى، من الإصحاح الأول، ومَنْ كان من أولاد يواقيم، لا يصلح أن يجلس على كرسي داود، لأنه لما أحرقت الصحيفة التي كتبها باروخ من فم النبي أرمياء، عليه السلام، نزل الوحيُ إلى أرمياء، فقال كما في ف٣٠ من ص٣٦ من كتاب أرمياء: هكذا يقول الرب ضد يواقيم، ملك يهوذا لا يكون منه جالساً على كرسي داود.

الثاني: أن المسيح، مع كونه لم يجلس على كرسي بيلاطس، أمر بضربه وإهانته، وسلَّمه لليهود بزعمكم، ففعلوا به ما فعلوا، ثم صلبوه على أنه يُعْلَمُ من إنجيل يوحنا في ص٦ أنه كان هارباً من قومه، عندما أرادوا أن يجعلوه ملكاً، ولا يتصور الهرب من أمر، بعثه الله لأجله، على ما بشّر جبرائيل أمه العذراء قبل ولادته، كما مَرَّ بحثه، ثم قال فيه ف٣٥: «فأجاب الملاك، وقال لها الروح القدس، يحلُّ عليك، وقوةُ العليِّ تُظَلِّلك».

أقول: الذي يفهم من هذا النص، أن الروح القدس لم يحل في عيسى، كما تزعم النصارى، ولا حَلَّ في العذراء أيضاً، بل نزل على العذراء، أي أنزل الله عليها جبرائيل، عليه السلام، الذي هو روح القدس، بنص الأناجيل والرسائل،

ووهبها ولداً في رحمها، بأمره وقدرته؛ ومما يؤيد ذلك قوله: وقوة العلي تظللك، فكأنه قال: يا مريم لا تخافي من أهلكِ وقومكِ، فإن الله يشملك بقوته، ويظللك بلُطْفهِ ورحمته، وينجيك من شر الشيطان والبشر بعنايته. وهذا على فرض صحة الرواية، والظاهر أنها من المفتريات، لأنه لم يذكرها غير لوقا، وهو لم يكن من التلاميذ، ولا من الرسل، حتى يدعي الإلهام، بل هو من عامة الناس، وقيل: إنه آمن بعد رفع المسيح، وكان تلميذاً لبولس.

والعجب كل العجب من هذه الأمة، ما أسرعهم في تصديق الباطل، وأبطأهم عن تصديق الحق، وليت شعري! كيف صدقوا لوقا، وهو منفرد بذلك، وأصحاب الأناجيل الأربعة، ولوقا منهم، صَرَّحوا بالاتفاق بأنَّ الروح القدس نزلَ عليه، بعد أن بلغ من العمر ثلاثين سنة، ولهذا البحث تفصيلٌ في أول شرحنا على إنجيل يوحنا فراجِعْه، فهو يكفيك عن السؤال، ويُغْنيكَ عن المشاجرة في المقال.

ثم قال من ف٥٧ إلى نهاية الإصحاح ما نصه: «وأما أليصابات فتم زمانها لِتَلِدَ، فولدت ابناً، وسمع جيرانها، وأقرناؤها أن الرب عَظَّمَ رحمته لها، ففرحوا معها، وفي اليوم الثامن جاؤوا ليختنوا الصبي، وسموه باسم أبيه زكريا، فأجابت أمه وقالت: لا بل يسمى يوحنا، فقالوا لها: ليس أحد في عشيرتك تَسمَّى بهذا الاسم، ثم أومؤوا إلى أبيه، ماذا يريد أن يسمى، فطلب لوحاً، وكتب قائلاً: اسمه يوحنا، فتعجب الجميع، وفي الحال انفتح فمه ولسانه، وتكلم وبارك الله، فوقع خوفٌ على كل جيرانهم، وتُحُدّث بهذه الأمور جميعها في كل جبال اليهودية، فأودعها جميع السامعين في قلوبهم قائلين: أترى ماذا يكون هذا الصبي؟ وكانت يدُ الرب معه، وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس، وتنبأ قائلاً: مباركٌ الربُ إلّه إسرائيل، لأنه افتقد وصنع فداءً لشعبه، وأقام لنا قرنَ خلاص في بيت داود فَتَاهُ كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر خلاص من

أعدائنا ومن أيدي جميع مبغضينا، ليصنع رحمة مع آبائنا، ويذكر عهده المقدس القَسَم الذي حلف لإبراهيم أبينا أن يعطينا: إننا بلا خوف منقذين من أيدي أعدائنا، نعبده بقداسة وبرٍّ قدامه جميع أيام حياتنا، وأنت أيها الصبي نبيَّ العليِّ تُدْعى، لأنك تتقدم أمام وجه الرب، لتعدَّ طرقه، لتعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم بأحشاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا المشرق من العلاء، ليضيء على الجالسين في الظلمة، وظلال الموت لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام. أما الصبي فكان ينمو ويتقوى بالروح، وكان في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل» انتهى.

أقول: إن هذه الجملة لم يذكرها غيره، ويُفْهَمُ منها أن القرن الذي كان فيه يوحنا المعمدان وعيسى عليهما السلام، هو خاتمةُ قرن النبوات في بني إسرائيل، وفي ذلك إشارة إلى ظهور خاتم الأنبياء، ولكن مفسري الأناجيل عكسوا القضية في تفاسيرهم، وذهبوا إلى معنى ليس له مناسبةٌ في البحث، فقال صاحب «تحفة الجيل» في تفسير هذه الجملة «إن زكريا قصد بكلامه عيسى، لا ابنه يحيى، عليهم الصلاة والسلام» انتهى.

قد أبعد هذا المفسر عن الحقيقة، لأن أساس هذا البحث وموضوعه من زكريا هو حكاية عن ولده يوحنا المعمدان، وهو ظاهرٌ لا غبارَ عليه، وليس له تَعَلُّقٌ بالمسيح إذ لم يَسْبِقْ له ذِكْرٌ كما لا يخفى، وأنا أفسر لك هذه الجملة، لتعلم حقيقتها، وبعد وقوفك عليها، زِنْها بعقلك، وميّزْها بفكرك، حتى يثبت عندك تلفيقات الأساقفة والمفسرين، فأقول: إن أول العبارة صريح في حكاية حال زكريا وأليصابات وكيفية حملها ووضعها يحيى، وكلامه وهو صبي وظهور آيات النبوة فيه، ثم سألوا أباه زكريا أن يسميه، فصار يتكلم في شأنه، وقال: «صنع فداء لشعبه» فهو ظاهر في أن المراد به ولده يحيى، لأن الحاكم الروماني قتله بسبب كونه حافظ على حكم التوراة، إذ قال له: لا يحلُّ لك أن تأخذ هيروديا،

والقصة معلومة في إنجيل متَّى ص١٤ - ف٤ فكان فداءً لشعبه، أي محافظاً لحكم الله تعالى وأوامره، بحيث لا تأخذه فيه لومةُ لائمٍ ولا هجمة ظالم، حتى ضَحَّى نفسه بين شعبه ، في طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما هو شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وأما المسيح فلم يكن فداءً لشعبه فقط، بل فداء لجميع العالم بأسره، كما يقتضيه كلامُ يوحنا الإنجيلي، فلا يصح أن يكون هو المراد بالفداء في الجملة المذكورة، وهذا أمرٌ لا مِرْيةَ فيه، وقوله: «أقام لنا قرن خلاص» يُفْهَمُ منه أن ذلك القرن الذي كان فيه يحيى وعيسى عليهما السلام هو آخر قرنٍ من نبواتِ بني إسرائيل كما هو متفق عليه عند الفرق الثلاثة، لأن اليهود تقرّ بأنه لم يأتهم بعد يحيى رسولٌ ولا نبيٌّ، والنصارى أيضاً تدعي أنه بعد قرن يوحنا والحواريين لم يأت رسولٌ ولا نبيٌّ سوى قيافا رئيس كهنة اليهود، الذي تنبأ وحكم بكفرِ عيسى، وقتله كما في ص١١ ف٥١ من يوحنا، وأما عيسى عليه السلام فليس بنبيٍّ عندهم بل هو إلهُ بزعمهم.

ونحن معاشر المسلمين كذلك نصادقهم على انقطاع النبوات في بني إسرائيل، بعد ذلك القرن، ونكفِّر مَنْ يجحد نبوة عيسى، فقد ثبت أن ذلك القرن هو قرن خلاص وانتهاء للنبوات في بني إسرائيل.

وقوله: «في بيت داود فتاه كما تكلم بفم أنبيائه إلخ» فمعناه واضح، والمقصود أن زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام هم من بيت داود، فلذا قال: وأقام لنا قرن خلاص، أي تنتهي نبواتُ بني إسرائيل في نسل داود كما أخبرت أسفار أنبيائهم. وقوله: فتاه، أي: عَبْدَهُ الذي اصطفاه من الخَلْقِ، فهو من أعظمِ الأنبياء الخاضعينَ لعظمةِ الله تعالى.

ثم أخذ يذكّرهم بوعدِ الله لإبراهيم عليه السلام بقوله «ويذكر عهده المقدس

الذي حلف الرب لإبراهيم» وهذا أيضاً غير خَفِيٍّ، لأن الله تعالى عز وجل، ذكر في التوراة عهده مخاطباً لإبراهيم، فقال في التكوين ص٢١ ف١٢ من النسخة القديمة: «في إسحاق يُدْعى لك زرع، وابنُ الأمة أيضاً، فإني سأجعله لشعبٍ عظيم، لأنه زرعك» انتهى.

وابن الأمَةِ هو اسماعيل، والشعب العظيم هم العربُ الذي اختار منهم محمداً صلى الله عليه وسلم، فهذا هو العهدُ المذكور في قول زكريا، المُعْطَى من الله تعالى لإبراهيم، عليه السلام، وقصد زكريا بذلك إخبار بني إسرائيل، وتذكيرهم بأن الله تعالى لا يُخْلِفُ الميعادَ، وقد وعد إبراهيم عليه السلام بأنْ يجعل في ذريته النبوةَ وذكر كلاً من ولديه إسحاق وإسماعيل فبدأ بذكر إسحاق إشارةً إلى كونِ النبوة تكونُ أولاً في نسله، وذكر بعده ابنَ الأمَة، يعني إسماعيل إشارة إلى أن ختام النبوة في نسله، فكان الأمر كما وعد سبحانه وتعالى، وسيأتي هذا البحث مفصلاً، إن شاء الله تعالى في آخر شرحنا على إنجيل يوحنا، فراجعه.

ثم قال زكريا: «وأنت أيها الصبي نبيّ العلي تُدْعى، لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعد طرقه» وتفسيره: أن يحيى يكون نبيَّ الله العلي، ويكون من المقربين، لأنه يتقدمُ بالطاعة لله تعالى والنصيحة لعباده، ويعلمهم طريق الحق. وقوله: «لتعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم، بأحشاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا المشرق من العلاء، ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت، لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام» تفسيره أيضاً واضح، لأن يحيى عليه السلام علَّم الشعب معرفة وحكمة، تكون سبباً لخلاصهم من خطاياهم، فخرجوا بهديه من الظلمة إلى النور، وهو الذي ثبّت أقدامهم في طريق الحق والسلام، وكان عليه السلام كالشمس المشرقة على بني إسرائيل، بعدما كانوا في ظلمة الشقاء، ووعظهم ونصحهم، وجاهد معهم في سبيل الله حق الجهاد.

وأما قوله في آخر هذا الإصحاح ما نصه: «أما الصبي فكان ينمو ويتقوى

بالروحِ، وكان في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل» فهو مؤيد لما شرحناه آنفاً، ومُكَذِّبٌ لقول المفسر، بأن المراد منه عيسى، لأن عيسى لم يكن ينمو في البراري، ولا فارقَ العذراءَ إلى أنْ تعَمَّدَ من يحيى، ونزل عليه روح القدس بشكل حمامة، وبعد أن تنبأ خرج إلى البرية أربعين يوماً، لأجل أن يجربه الشيطان، فثبت أن الذي كان في البراري يتقوى بالروح هو يوحنا ابن زكريا، ومما يؤيد ذلك أيضاً قوله في متَّى ص٣ ف١: «وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان، يكرز في برية اليهودية قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوتُ السموات، فإن هذا هو الذي قيل عنه بأشعياء النبي القائل: صوتٌ صارخٌ في البرية، أعِدُّوا طريقَ الرب، اصنعوا سبله مستقيمة. ويوحنا هذا كان لباسه من وبر الإبل، وعلى حقويه منطقةٌ من جلد، وكان طعامه جراداً وعسلاً برياً» انتهى.

فالذي كان يتقوى في البراري هو يحيى بن زكريا، لا عيسى، عليهم الصلاة والسلام، وهذا على فرض صحة الرواية، والحق أنه لا صِحَّةَ لها، بل هي من تصنيفات الأساقفة الذين كانوا في القرن الثاني، ولوقا منهم، لأنه لم يذكرها غيره، فكيف يهملها الإنجيليون، ولا سيما يوحنا ومتى، وهما من أكابر الحواريين المكلفين بنشر الإنجيل؟! والله أعلم.

الإصحاح الثاني

قال في أوله: «وفي تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر، بأن يكتب كل المسكونة، وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والي سوريا، فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد إلى مدينة، فصعد يوسف أيضاً من الجليل، من مدينة الناصرة إلى اليهودية، إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم، لكونه من بيت داود وعشيرته، ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة، وهي حبلى، وبينما هما هناك، تمت أيامها لتلد، فولدَتْ ابنَها البكر».

أقول: الظاهر أن هذه الجملة من الأكاذيب، لوجوه:

الأول: أن لوقا انفرد بذكرها، ولم يذكرها الثلاثة، فدلَّ هذا على أنها من مختلقاته.

الثاني: جعله كل المسكونة عبارة عن سوريا، أو يكون قيصر حاكم جميع المسكونة في ذلك العصر، وهو خلاف الواقع.

الثالث: لم يذكر هذا الاكتتاب أحدٌ من المؤرخين القدماء، من اليونانيين وغيرهم الذين كانوا في ذلك العصر، وإن ذكره أحد من المؤرخين الذين كانوا بعد لوقا بمدة، فلا سندَ لقولِه، لأنه ناقلٌ عنه، والخبر المبني على الفاسد فاسد.

الرابع: أن كيرينوس كان والي سوريا بعد ولادةِ المسيح عليه السلام بخمس عشرة سنة، فكيف يتصور في وقته الاكتتابُ الذي كان قبلَ ولادة المسيح.

الخامس: أن لوقا أقر في إنجيله في ص١ أنَّ حَمْلَ أليصابات كان في عهد هيرودس، وحملت مريم البتول عليها السلام بعيسى، بعد حملها بستة أشهر، ولما عجز البعض من علمائهم عن جواب هذه المناقضات، حكم بأن الآية الثانية إلحاقية، لم يكتبها لوقا، بل هي من الأكاذيب عليه.

الإصحاح الثالث

قال في ف١: «وفي السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر، إذ كان بيلاطس النبطي والياً على اليهودية، وهيرودس رئيس ربع على الجليل، وفيلبس أخوه رئيس ربع على أبطورية وكورة تراخونيتس، وبيسيانيوس رئيس ربع على الابلية» انتهى.

قال العلامة رحمة الله الهندي في «إظهار الحق» لم يثبت عن أحد من المؤرخين أن رجلاً اسمه بيسانيوس معاصراً لبيلاطس، وهيرودس كان رئيس ربع

على الابلية، وفي هذا الإصحاح كذب آخر، حيث قال في ف١٩ «أما هيرودس رئيس الربع، فإذ توبخ منه بسبب هيروديا امرأة فيلبس أخيه» ومثله في متَّى ومرقس، وهذا غلط، والصواب أن زوج هيروديا اسمه هيرودس أيضاً، لا فيلبس، كما نبه عليه يوسيفس، في الباب الخامس من الكتاب الثامن عشر، من تاريخه، حيث قال: «إنه غلطٌ وقعَ من غفلةِ الكاتب» انتهى.

والحق أن هذا الغلط وقع من لوقا، أو من الأساقفة، لا من الكاتب المسكين، ولو كان من الكاتب لصححه علماء ذلك العصر، ولا سيما البابا، وقد حرف مترجم النسخة العربية المطبوعة سنة ١٨٢١ وسنة ١٨٤٤ في عبارة متى ولوقا، فأسقط لفظ فيلبس، لكن المترجمين الآخرين لم يتبعوه في هذا الأمر، ولا يُصْلِحُ العطَّارُ ما أفسدَ الدهرُ. انتهى.

وقد سبق لهذا البحث تفصيل في ص١٤ من إنجيل متَّى، فراجعه. ثم قال لوقا في ف٨: «فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة، ولا تبتدئوا تقولون في أنفسكم: لنا إبراهيم أباً، لأني أقول لكم: إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم».

أقول: هذا النص الصريح ينادي، على رؤوس الأشهاد، بعبودية المسيح، كيف لا، وقد حصرَ القدرةَ في الله عز وجل رَبِّه وخالقهِ ومُرْسِلِهِ، فالذي هو قادر أن يقيم من الحجارة أولاداً لإبراهيم، أفلا يقدر أن يخلق عيسى في رَحِمِ أمه، من غير أبٍ، ويقول له: كُنْ فيكون، على أن في كلامه، عليه السلام، إشارة إلى أن الله تعالى يستبدل ببني إسرائيل قوماً آخرين، ومثله ما في متَّى، أن ملكوت الله يُنْزَعُ منكم، ويُعْطَى لأمةٍ تعملُ أثماره، وما أراد بهم إلا الأمة المحمدية التي تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتفرق بين الإله والبشر، وتعظم المسيح وأمه وسائر الأنبياء، صلوات الله عليهم أجمعين؛ وسيأتي هذا البحث في يوحنا، إن شاء الله تعالى.

الإصحاح الرابع

قال ف١: «أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس، وكان يقتاد بالروح في البرية أربعين يوماً، يُجَرَّبُ من إبليس».

أقول: قوله: فرجع من الأردن، أي: بعد تعميدِه من يحيى عليه السلام، ونزولِ روحِ القدس عليه بصفة حمامة، وقد اضطربت أقوالهم هنا، فإن صاحب «تحفة الجيل» ذكر قول مرقس ص١ ف١٢ «وللوقت أخرجه الروح إلى البرية» ثم قال في تفسيره المذكور ما نصه: وروى متَّى في ص٤ ف١١: حينئذ أخرج يسوع. فيشير إلى أن المخلص خرج بعد اعتماده حالاً إلى البرية، ولا بد في ذلك من سِرٍّ، وهو إما الإشارة إلى فاعلية الروح القدس الذي حلَّ عليه، وإما الدلالة على جدّ المسيح بتكميل وصايا أبيه، أو جدِّ الشيطانِ بالبحثِ عنه، هل هو المسيح حقاً، بعد أن سمع الصوت من السماء: أنتَ هو ابني الحبيب والمخلص، لئلا يظهر الخوف منه، خرج حالاً لملاقاته في البرية، إلا أنه يظهر خلاف ذلك من قول يوحنا في ص١ ف٣٥ وما يليه: «وفي الغد كان يوحنا قائماً هو واثنان من تلاميذه، فنظر يسوعَ ماشياً، فقال: هذا هو حمل الله» وهذا كان بعد اعتمادِ المسيح، فإذاً لم يخرج حالاً إلى البرية، وتوفيق ذلك إما بأن يوحنا استعمل لفظة الغد، بالمجاز، حتى كان لم يقصد بها اليوم التابع، بل المدة التي بعده المدة، وإما بأن قول مرقس هنا: للوقت، لا يُرادُ به الساعة نفسها، بل يراد به: بعد مدة وجيزة، ويكون المراد: أن المخلص خرج إلى البرية، قبل أن يباشر إنذاراً، أو يجترح أعجوبة. انتهى كلام «تحفة الجيل».

فقد ظهر لك اختلافهم في التعبير الموجب لاختلاف المعنى، بالوقت والزمان، وتأويل المفسر في التوفيق بين تلك الأقوال المتباينة، لا يفيد شيئاً، وقال المفسر المذكور أيضاً في تفسيره على ص١ ف١٣ من إنجيل مرقس ما نصه «قال المفسرون الأراطقة، في هذا المحل، إن انفراد المسيح هذا، أي: في

البرية، كان حادثاً فردياً، فيخافون أن نورد عليهم مثال المسيح إثباتاً للحال الرهبانية» انتهى.

ونحن ندع المفسر والأراطقة، يتطارقون بمطارقِ الضلال، ويتشاجرون بينهم، مع أن الصواب في هذا الباب ما ذهبتْ إليه الأراطقةُ، ونبحث هنا عن الرهبانية وحالاتها التي قامت لها النصرانية وقعدت، فنقول: إن الرهبانية في النصرانية، سَبَّبَتْ ضرراً وخيماً على المِلّة المسيحية، من وجوهٍ عديدة، ومن أقبحها اجتماع الراهبات، في خلوات المعابد، مع فحولِ الرهبان الممنوعين عن الزواج، ليلاً ونهاراً، بدون رقيب، ونسكت عما يكون بينهم، ونحول تقدير الضرر من ذلك لعقلاء الملة. لو سألناك أيها المنصف، عن الترهب وعدمه، أيهما خيرٌ لك، فلا شك أنك، بمقتضى دينك، تجيبنا بأن الترهُّبِ خيرٌ من التأهُّلِ البتة، ثم لو سألناك إيضاحاً عن اتباع أحسن الأمرين، هل هو لازم، أم لا، فبالضرورة أنك تجيبنا بلزوم اتباع الأحسن، فحينئذٍ تكون قد قيدت نفسك من وجهين.

الأول: أنك تركت الأحسن الذي هو الترهب، وفعلت الأدنى وهو التأهل.

والثاني: أنَّا لو فرضنا أن جميع أفراد النوع الإنساني أمة نصرانية، واتَّبعتْ أحسنَ الأمرين الذي هو الترهُّب، لزم من ذلك انقطاعُ نسلِ الإنسان بمدةٍ قصيرة، لا تزيد عن قرن واحد، وهو خِلافٌ الحِكمة الإلهية، فعلى هذا يثبت بالبداهة أن الترهب ليس بأمرٍ إلهي، بل هو رهبانيةٌ ابتدعتموها لأمرٍ ما، والحق في هذا قول الذين سماهم المفسر «أراطقة» كما لا يخفى، ثم قال لوقا، عند ذِكْرِ تجربة الشيطان لعيسى، وطلبه منه السجود أمامه في ف٨ ما نصه: «فأجابه يسوع، وقال: اذهبْ يا شيطان، إنه مكتوبٌ: للربِّ إلهك تسجد وإيَّاه وحده تعبد» انتهى.

قال المفسر في «تحفة الجيل» عند الكلام على ص٤ ف١٠ من إنجيل متَّى ما

نصه: لفظة «وحده» لا وجود لها بالعبرانية في المحل المذكور من التثنية، لكنها محصلة من قوة الكلام، ولذلك وضعها مترجمو السبعينية، والمترجم اللاتيني في التثنية» انتهى.

وهو يفيد أن لفظة «وحده» إلحاقيةٌ من الأساقفة، وهذا من جملة الأدلة على وقوعِ الزيادةِ والنقصان في الإنجيل، مع أن كلمة «وحده» تُبْطِلُ التثليثَ، وأظنُّ أن مترجمي السبعينية والمترجم اللاتيني لم يكن لهم وقوفٌ على آخر فقرة من الإنجيل، وهي «إنْ كان أحد يزيد على هذا، يزيد الله عليه الضربات المكتوبة بهذا الكتاب» ولعمرك! لو صح هذا النص، لما بقيَ أسقفٌ إلا وهو مضروبٌ على رأسه بضربات الله تعالى، لأنهم لم يُبْقُوا سطراً واحداً، من الأناجيل، إلا وأضافوا عليه، ونقصوا منه، ثم قال لوقا ف١٣ ما نصه: «ولما أكمل إبليس كُلَّ تجربة، فارقه إلى حين» انتهى.

والذي يُفْهَمُ منه أن للشيطان رجعة ثانية عليه، وليت شعري! متى يخلصُ هذا المخلِّصُ للعالَم من شرٍّ هذا الشيطان، وإذا كان هذا حال إلههم مع الشيطان، فكيف حال الأساقفة والرهبان، حِينما يختلون في مخادع الكنائس بالغانيات والغلمان، يُجَرِّبُونهم بوسيلة الغفران، نسأل الله تعالى أن يحمينا من شر الشيطان، وحيث أن لوقا هنا أهمل ذكر رجوع الشيطان عليه ثانيةً، أحال المفسر في «تحفة الجيل» بيانَ ذلك، على ما ذكره في تفسير متَّى، وقد قال هناك في ص٤ - ف١١ ما نصه: «فتركه حينئذ الثلاب [أي إبليس] مقراً بانقلابه، لكنه لم يبتعد عنه إلا إلى زمان، كما قال مار لوقا، لأن الحرب تكررت مراراً، خاصة في اليوم الأخير من حياته» انتهى.

ثم قبل هذه العبارة بأسطر، قال المفسر المذكور أيضاً: إن إبليس كان منتظراً ليرى، هل يجيبه المسيح بغضبٍ قائلاً: ليس لكَ ملكُ الكونِ، بل هو لي، لكوني ابن الله الطبيعي، فينال الشيطان مقصده من معرفته، إلا أن المخلِّصَ أبطلَ

حيلتَهُ بنوع، أنه لم يسلِّمْ لإبليس بشيء، ولم يُظْهِرْ له أنه الإله، كما كان يرغب» انتهى.

فتأمَّل، هداك الله، في قوله هذا الذي يدل على أن الشيطان، قبل تجربته، لم يكنْ يعرفُ أن عيسى إلهٌ أو رسول، فأراد من تجربته المعرفة به، وطابقه مع قوله المذكور آنفاً، من أنه كان محارباً له إلى حين الصلب، فهو من أفحشِ التناقض والكذب، لأن كافة الأناجيل تصرح بأن عيسى، لما كان يُخْرِجُ الشياطينَ من المجانين، كانوا يصرخون وينادونه بقولهم «إنك أنتَ المسيح ابن الله» وهذا صريحٌ في أن الشياطين كانت تعرفه كما يعرفون أنفسهم، ثم إن المفسر بنفسه نقض كلامه في تفسيره، على ص٣ - ف١١ من مرقس، حيث قال: والمعذبون من الأرواح النجسة، إذ شاهدوه، كانوا يسقطون أمامه صارخين وقائلين: أنت هو ابن الله.

يظهر من رواية مرقس هنا ومن أقوال متَّى ولوقا، ومن أقوال الآباء والمفسرين، عند ذكر هذه الآيات، أن الشياطين، وإنْ لم يعرفوا المسيح بالتمام، عند اعتماده وقبله، إذ جربوه بعد اعتماده، ليعرفوا من هو، إلا أنهم عرفوه بعد ذلك من قوة عجائبه التي كانوا يرونها تفوقُ قدرتهم، وكل قوة مخلوقة، خاصة عند مقابلتهم آياته وأعماله مع نبوات الأنبياء» انتهى.

فقد أقر المفسر هنا، ولم يكتف حتى روى عن المفسرين والآباء، بأنهم أقرّوا واعترفوا بأنَّ الشياطين كانوا يعرفون المسيح، فهو في أول الجملة يقول: إنَّ عيسى أخفى أُلوهيته عن إبليس، وفي آخرها أقرَّ بأنهم يعرفونه، والأعظمُ من هذا قوله: إن الحربَ تكررت بين إبليس وعيسى، إلى أنْ مات عيسى والشيطانُ يحاربه، ويقول في صحيفة (٣٨٧) من تفسيره، وكانت الملائكةُ تخدمه، لا قبلَ التجربةِ والظفر كما زعم بيدا، بل بعدهما، كما يظهر من بشارة متَّى، وإلا لكان إبليس عرف المسيح، وما تجاسر أن يجربه» انتهى.

فقد كَذَّبَ نفسه بنفسه مرتين، وكَذَّبَ الإنجيلَ والمفسرين والآباء أيضاً، والمصيبة العظمى قوله: إن عيسى لم يُظْهِرْ نفسه للشيطان بأنه إلهُ العالم.

قلت: فإذا أخفى ألوهيته عن إبليس، كما أخفاها عن اليهود، فلماذا كلَّف نفسه، ونزل عن كرسي عَظَمتهِ، وتَحَمَّلَ تلك المصائب من اليهود وهو لم يرد أن يبلغ إرادته لخليقته، بل يريد أن يَخْفَى عليهم، وأيمُ الله لا يقبلُ هذا إلا من سَخِف عقله، وضعُف رأيه، ورضيَ أن يخدع نفسه، وعلى فرض أنه أخفى ألوهيته عن إبليس وخليقته، فمن دل المفسر والمترجم وبولس وأمثالهم من الأساقفة على أنه هو المصلوب المهان، وهو خالقُ الخلق والأكوان، هل كانوا أدرى من الشيطان، أو كانوا مُلْهَمِينَ من الرحمن؟! لا والله ما هذا إلا زُورٌ وبهتان.

ولنرجع إلى أصل البحث، قال لوقا في ف١٦ ما نصه: «وجاء إلى الناصرة، حيث كان قد تربى، ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت، وقام ليقرأ، فدفع إليه سفر أشعياء النبي، ولما فتح السفر، وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه: روحُ الربِّ عليَّ، لأنه مسحني لأبشّر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق، وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة».

أقول: إن صراحة هذا النص أبطلت عقائد النصرانية، وهدمت أساسها، وأثبتت عبوديةَ المسيح، لله تعالى، ورسالَتهُ إلى الخَلْقِ بشيراً ونذيراً، كسائر الأنبياء الكرام، وبَيَّنَتْ وجوبَ السبتِ والهيكل على النصارى، خلافاً لما قاله بولس في رسائله، وقوله: وأكرز بسنة الرب، أي: أعظِكم أن تُوحِّدُوا الله وتنزهوه، كما فعل أسلافكم من أهل الكتاب، وهي سُنَّةٌ جاءت بها الأنبياء، من بدء الخليقة إلى أن أتى موسى بالتوراة، وعيسى بالإنجيل، ومحمد بالقرآن، صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين. وقوله: «وأرسل المنسحقين في الحرية»

مخالفٌ لما في النسخة القديمة المطبوعة في لندن سنة ١٨٤٨ فإن فيها «المحبوسين بالفتح» فبدله تسلقاً إلى الحرية الجديدة، ليثبت استحسانها، بنص الإنجيل، فيكون مخالطة الرجال بالنساء، في محافل الرقص، من جملة أوامر شريعتهم، ثم إن هذا النص المنقول عن سفر أشعياء، ليس مطابقاً لما في النسخة العبرانية التي بأيدي اليهود، وعدا عن ذلك، فإنه مختلفٌ بالنظر إلى نسخة لندن القديمة ولنسخة بيروت الحديثة، وها هو منقول من النسختين.

نسخة لندن	نسخة بيروت
روحُ الرب عليّ، من أجل أنه مسحني، الربُّ أرسلني لأبشر المتواضعين، لأعالج منكسري القلوب، وأكرز الأسارى بالغفران، والمحبوسين بالفتح، لأنادي بسنة المغفرةِ للربِّ، وبيوم الانتقام لإلهنا.	روح السيد الرب عليّ، لأن الرب مسحني، لأبشر المساكين أرسلني، لأعصب منكسري القلب، لأنادي للمَسْبيِّينَ بالعِتْقِ، وللمأسورين بالإطلاق، لأنادي بسنة مقبولة للرب، وبيوم انتقام لإلهنا.

فهذا هو النص المنقول في إنجيل لوقا، فطابقه، وقابل النسختين، ليظهر لك التخالف بين الجميع، فإن نسخة بيروت زادت لفظ «السيد» ولم يكن لها أثر في نسخة لندن، ولا في النسخة العبرانية التي بيد اليهود، وقد قال صاحب «تحفة الجيل» في تفسيره على ص٤ - ف١٩ من إنجيل لوقا ما نصه: «وأعضد المنسحقين بالغفران» [هذه العبارةُ لا وجودَ لها في نبوة أشعياء بص٦١ في النسختين العبرانية واليونانية، فيظهر أن لوقا، أو مترجم بشارته زادها، تفسيراً لقوله: لأشفي المنكسرين القلب، فإن المنكسرين والمنسحقين بمعنى واحد، ولذا حذف بعضهم العبارة الأولى، وأبقى هذه، وعمل بعضهم بالعكس] انتهى قول المفسر، وهو شاهدُ عَدْلٍ، على تحريفِ الإنجيل الذي هو أول الكلام مع النصارى. وبقية عبارة النسختين بين يديك، فقابلهما ليطمئن قلبك بما قلنا،

والله الهادي.

ثم قال لوقا ف٢٥: «وبالحق أقول لكم: إن أرامل كثيرة كُنَّ في إسرائيل، في أيام إيلياءِ حين أغلقت السماء مدة ثلاثة سنين وستة أشهر، لما كان جوع عظيم في الأرض كلها» انتهى.

ومثله في ص٥ - ف١٧ من رسالة يعقوب الحواري، حيث قال: «كان إيلياء إنساناً تحت الآلام مثلنا، وصلى صلاةً أنْ لا تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر، ثم صلى أيضاً، فأعطت السماءُ مطراً، وأخرجت الأرضُ ثمرها» انتهى.

وهذا من الافتراء البين، يدل عليه ما في سفر الملوك الثالث، في أوائل - ص١٨ وخلاصته: أنه قبل كمال الثلاث سنين، وهؤلاء الجماعة لم يكتفوا بثلاث سنين، فزادوا عليها ستة أشهر، كما هو دأبهم، والأمر في ذلك سهلٌ، بالنسبة إلى زيادةِ إلهين على الإلهِ الواحد، وما ألطفَ قولَ صاحب «تحفة الجيل» في تفسيره على حكاية نزول المطر، حيث قال «حقاً أقول لكم: أرامل كثيرات كُنَّ في أول إسرائيل أيام إيلياء النبي، إذ أغلقت السماء» يعني لم ينحدر المطرُ من الجو على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر، كمية هذا الوقت لم تذكر في العهد القديم، فعرفها المسيح بلاهوته، وأوحاها إلى يعقوب، فذكرها في رسالته في ص٥ - ف١٨ ثم إن هذا المفسر ختم البحث بقوله «كانوا يرونه [أي اليهود لما هجموا على عيسى] ولا يجسرون أن يقبضوا عليه، فقد أبان حينئذٍ أنه إله» انتهى.

يفهم من قول هذا الفاضل، وخلاصته: أن النصارى استدلت على ألوهية عيسى من تعيينِ زمانِ انقطاع المطر، ومن عدم اقتدارِ اليهود على القبضِ عليه عندما هجموا عليه قبل الصلب، فمن هذين البرهانين ثبت عند المسيحيين أن عيسى خالقُ نفسه وأمه، وأبدع الكائنات.

فانظر - عافاك الله - إلى هذا الاستدلال العجيب والاستنباطِ الغريب، مع أن هذه الرواية إنْ صَحَّتْ، فهي تستلزمُ كَذِبَ المسيح، وحَاشَاهُ، لأنَّ سفر الملوك يصرح بأن المدة أقل من ثلاث سنين، والثابت من رواية لوقا ويوحنا أن المدة ثلاث سنين ونصف، ولا شك أن ما في سفر الملوك هو الصحيح، وغيره من الكذب الصريح، والكذبةُ الثانية أفضح، لأن النصارى، على اختلاف مذاهبهم وأناجيلهم، متفقون على أنَّ اليهود هجموا على عيسى، وقبضوا عليه، وصلبوه، ولم يكتفوا بذلك، بل قالوا: إنه كانت الأسافل تلطمه، وتبزق عليه، حتى ألبسوه تاج الشوك. وعلى زعم هذا المفسر أنهم نتفوا لحيته شعرة شعرة، وجلدوه، وسقوه خلاً ممزوجاً بمرارة، وهو يستغيث ولا يغاث. وكافة أناجيلهم ورسائلهم المقدسة تُصَرِّحُ وتشهد بذلك، فكيف يقبل من هذا المفسر قوله: إن اليهود كانوا يرونه، ولا يجسرون أن يقبضوا عليه، بل كان يمكنه أن يستدل بتاج الشوك على ألوهية المصلوب، لأن الأناجيل صرحت به.

ويا ليت هذا الفاضل ينادي بعصمة المسيح، عليه السلام، من ضَعفَةِ اليهود كما عَصَمَ اللهُ نبينا صلى الله عليه وسلم من صناديد قريش، أيها المفسر! أفلا استحييتَ من نفسك عند كتابة هذه الكلمات الكاذبة في تفسيرك؟! أتريدُ أن تستدلَّ بهذا الكذب الصريح على ألوهيةِ المسيح، لقد أخطأت استُك الحفرة، وفُتَّتْ بيدِ نفسكَ بَعْرة.

ومن مناقضات الأناجيل ما قال لوقا ف٣٨و٣٩ من هذا الإصحاح ما ملخصه: «أن المسيح شفى حماة بطرس، ثم في ص٥ منه قال بأنه شفى الأبرص، ثم في ص٧ منه قال بأنه شفى عبد قائد المئة، وخالفه متَّى في التاريخ والمكان، فقال في ص٨ ما ملخصه: أولاً شفى الأبرص، بعد وعظ الجبل، ثم شفى عبد قائد المئة بعدما دخل عيسى كفر ناحوم، ثم شفى حماة بطرس، فمن هذا التخالف والتباين الواضح، ثبت بالبداهة أن أحد البيانين لم يكن إلهاماً (البتة).

الإصحاح الخامس والسادس

أما الإصحاح الخامس فليس فيه ما يوجب الذكر، وقد مَرَّ في متَّى ومرقس طرفٌ منه، ومما ينبغي الكلام عليه قوله في ص٦ - ف١٢ «خرج إلى الجبل ليصلي، وقضى الليلَ كُلَّهُ في الصلاة لله» فهذه الآية وحدها كافيةٌ في إبطال عقيدة النصرانية.

فانظر - هداك الله - إلى قوله: في الصلاة لله، فهل يمكن أن يكون العابدُ عينَ المعبودِ، أو يتصوّر أنْ يكونَ العبدُ الخاضعُ نفس الإله المخضوع له، فكيف تجعله إنساناً كاملاً، وإلهاً كاملاً، وعبداً ومعبوداً، وواحداً حقيقياً، واثنين كاملين، وأنت تراه بعيني رأسكَ واحداً ليسَ اثنين؟! فهل يسجدُ البعضُ من عيسى للبعضِ منه، نعوذُ بالله تعالى من هذه الأباطيل، وهو حَسْبُنا ونعم الوكيل.

الإصحاح السابع

قال في ف١١ ما نصه: «وفي اليوم التالي ذهب [أي يسوع] إلى مدينة، تدعى نايين، وذهب معه كثيرون من تلاميذه، وجَمْعٌ كثير، فلما اقترب إلى باب المدينة، إذا ميت محمول، ابنٌ وحيدٌ لأمه، وهي أرملةٌ، ومعها جمع كثير من المدينة، فلما رآها الرب، تحنَّن عليها، وقال لها: لا تبكي، ثم تقدم ولمس النعش، فوقف الحاملون، فقال: أيها الشاب: لك أقول: قم، فجلس الميت، وابتدأ يتكلم، فدفعه إلى أمه، فأخذ الجميعَ خوفٌ، ومَجَّدوا الله قائلين: قد قام فينا نبيٌّ عظيم، وافتقد الله شعبه، وخرج هذا الخبر عنه في كل اليهودية، وفي جميع الكورة المحيطة» انتهى.

أقول: إننا معاشر المسلمين، نؤمنُ بأن عيسى، عليه الصلاة والسلام، رسول الله، وقد أحيا الأمواتَ بإذن الله، ولكن هذه الآية مُحَرَّفة، أو هي من مفتريات الأساقفة، لأنه لم يذكرها غير لوقا، كما شهد بذلك مؤلف كتاب «مرشد

الطالبين» وهو من أفاضل علمائهم في صحيفة ٢٤٠ من كتابه المذكور، حيث صرح بأن هذه الآية الباهرة برمتها، انفرد بها لوقا، هذا الذي وعد في أول إنجيله بأنه قد تتبع كل شيء، بتدقيقٍ من البدء، من خدّام الكلمة، فهذه أناجيلُ خُدَّامِ الكلمة ورسائلهم لم تذكرْ شيئاً من ذلك، وكيف لا يذكرونها، وهي من أعظم المعجزات، فتبين أن الأساقفة دَسَّتها في لوقا، بعد تصنيف الأناجيل بمدة، وإلا لكانت الأناجيل تذكرها بالسلب أو الإيجاب، ثم لو سلمنا صحة الرواية، فهي تثبت نُبُوَّةَ عيسى عليه السلام صراحة، لقولهم في آخر الجملة: قد قام فينا نبيٌّ عظيم، ولا شك أن قولهم هذا موافق لدعواه، حيث أقرهم عليه، فتبين أن دعواه كانت منحصرة في النبوة، لا في البُنَوَّة.

بحث من ص – ٩ إلى نهاية الإنجيل

أقول: إنَّ الإصحاحات الباقية من هذا الإنجيل، قد مر الكلام عليها في شرح إنجيل متى ومرقس، ونذكر هنا بعض أبحاث، لم تذكرها الأناجيل الثلاثة، فمنها قوله في ص٩ ذهابُ عيسى إلى أورشليم قبل ارتفاعه، ومنها في ص١٠ إرسال السبعين من تلاميذه رسلاً إلى المدن، وفي ص١١ إلى نهاية ص١٨ أبحاثٌ ووقائع متعددة، لم تذكرها بقيةُ الأناجيل أيضاً، ولا الرسائل، ولا أحد من المؤرخين، بل انفرد بها هذا المُلْهَمُ، وهو تلميذ ذاك القديس بولس الذي جعل المسيحَ لعنةً، ونسخَ الإنجيلَ والتوراة معاً، وحكى تلك الخرافات، ثم إن لوقا لم يَكْفِهِ ذلك، بل حكى عكس ما قال أستاذه بولس، وكذب نفسه بنفسه، والكلُّ كذبٌ ناشىءٌ عن غلُوٍّ ودسٍّ منه أو من الأساقفة من بعده، كما شهد بذلك مؤلف «مرشد الطالبين» في الفصل السادس من الجزء الأول، فراجعه. ومن أفحش كذبه على المسيح عليه السلام ما قال في ص١٣ – ف٣٣: «ينبغي أن أسير اليوم وغداً وما يليه، لأنه لا يمكن أن يهلك نبيٌّ خارج عن أورشليم» انتهى.

فالذي يفهم منه: أن كافة الأنبياء والرسل ماتوا، ودفنوا في أورشليم، وهو

خلافُ الواقع، لأن كثيراً من الأنبياء والرسل ماتوا وقتلوا خارج أورشليم، وآثارهم وقبورهم إلى الآن تُزار، في الشام وحلب ونينوى والعراق وطور سينا وفاران، كيونس بن متى، ويحيى وزكريا، وجرجس وشيث والعزير ودانيال وهوشع وذي الكفل وغيرهم، عليهم السلام، وهذا مُسَلَّمٌ عند الخاص والعام من اليهود والنصارى والإسلام، بل عند الدهرية والمجوس وعَبدَةِ الأصنام، فقد ثبت ببداهة العقل أن هذه الرواية من أفحش الكذب على عيسى، عليه السلام، ولو صَحَّتْ، فهي من أعظم البراهين الدالة على فساد عقيدة النصرانية وهدمها من أساسها، لأنه صرح فيها بأنه نبيٌّ لا إله ولا ابن إلّه، كما يزعمون، وتعالى الله عما يصفون.

المقصد الرابع في إنجيل يوحنا

ترجمة حال يوحنا وإنجيله

إن أغلب الطوائف النصرانية تذهب إلى أنَّ يوحنا الإنجيلي أحد التلاميذ الإثني عشر، وأبوه زبدي الصياد، ولد في بيت صيدا من الجليل، وأنه هو الذي كان يحبه عيسى جداً، على ما ذكره صاحب كتاب «مرشد الطالبين»، وأشارت إليه الأناجيلُ، وذهب بعضهم إلى أن يوحنا الإنجيلي لم يكن من التلاميذ ولا من الرسل، وقد مر في ص٢٦ - ف٣ من إنجيل متى حكاية التماس الأساقفة من يوحنا، واستئناف البحث هنا لا يخلو من فائدة.

قال جرجس زوين الفتوحي اللبناني تلميذ الرهبان اليسوعيين، في ترجمته المطبوعة في بيروت سنة ١٨٧٣ إنه حُكِمَ على يوحنا في رومية بأمر الملك روميسياوس، أن يُلقى في الزيت المغلي، فلم يمت، وحينئذ نفوه إلى جزيرة باطموس، وبعد وفاة الملك راح إلى أفسس [ثم استطرد البحث في سبب تأليفه الإنجيل فقال]: إن شيربنطوس وأبيسون وجماعتهما، لما كانوا يعلمون المسيحية

بأن المسيح ليس إلا إنساناً، وأنه لم يكن قبلَ أمه مريم، فلذلك في سنة ٩٦ اجتمعوا عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا، والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح، وينادي بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون، وأنْ يكتب بنوعٍ خصوصي لاهوتَ المسيح، فلم يسعه أن ينكر إجابة طلبهم» انتهى.

وقال في «مرشد الطالبين»: «إنه لا يوجد اتفاق بين العلماء، بضبط السنة التي فيها كتب يوحنا إنجيله، فإن بعضهم يزعم أنه كتبه في سنة ٦٥ قبل خراب أورشليم، وآخرون ممن يوجد فيهم بعض الأقدمين يروون بكتابته في سنة ٩٨ وذلك بعد رجوعه من النفي، فالمقصدُ بكتابته إبقاء بعض مسامرات المسيح الضرورية ذات التروي، مما لم يذكره باقي الإنجيليين، وإفناء بعض هرطقات مفسدة، أشهرها: معلمون كذَبَة في شأن ناسوت المسيح وموته، وخاصة ترسيخ النصارى الأوائل في الاعتقاد بحقانية لاهوتِ وناسوتِ رَبِّهم وفاديهم ومُخَلِّصهم، وقد قيل: إن يوحنا لم يؤلف إنجيله إلا بعد صلاة عامة قلبية مع البيعة، لأجل أن يوحيه الروح القدس بذلك» انتهى بحروفه.

قلتُ: إذا حصل نزول الوحي، بمجردِ الصلاةِ العامةِ القلبية، فَلِمَ لا يصلون في زماننا صلاة عامة، حتى ينزلَ الوحيُ، ويُوحِّدَ مذاهبهم، ويرفع الاختلاف من بينهم - وقال يوسف الدبس الخوري في مقدمة تفسيره من «تحفة الجيل» إن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته، بطلبٍ من أساقفة كنائس آسيا وغيرها، والسبب أنه كانت طوائف تنكرُ لاهوتَ المسيح، فطلبوا منه إثباته، وذكر ما أهمله متَّى ومرقس ولوقا في أناجيلهم» انتهى ملخصاً.

فَتبيَّنَ مما نقلناه لك عن كتب النصرانية، أنَّ الله تعالى أظهرَ الحقَّ من فلتأتِ ألسنة هؤلاء المخادعين لهذه الأمة المسكينة، ويكفي تصريح جرجس زوين في ترجمته، والخوري في مقدمة تفسيره المار ذِكْرُهما، أن الأساقفة اجتمعوا، والتمسوا من يوحنا أن يكتب لهم بنوع خصوصي عن لاهوت المسيح، فهذا دليلٌ

على أن الطبقة الأولى إلى نهاية القرن الأول كانت تُنْكِرُ لاهوتَ المسيح، كما أن الأناجيل الثلاثة لم تذكر شيئاً من لاهوته، وهو أولُ دينِ النصرانيةِ وأساسُ عقيدتها، فحيث أهملوا هذا الأمر المهم، فقد سقطت أناجيلهم وعدالتهم، وأصبح خبرهم لا يُعَوَّلُ عليه، وحيث أن إنجيل يوحنا كُتِب بالالتماس، فلا يصح أن يقال: إنه من الإلهام، فظهر أن البعض من أساقفة الطبقة الثانية ابتدعوا هذا الضلال الأسود، وأرادوا إطفاء نورِ الله بأفواههم، ويأبى اللهُ إلا أن يُتِمَّ نوره، ولو كره الكافرون.

وعارٌ على المسيحي أن يَدَّعي إلهاميةَ كتاب صُنِّفَ بالالتماس. وكيف يعتقد بلاهوت المسيح الذي أهملته الأناجيل، وزاده يوحنا إجابةً لطلبهم والتماسهم، فخالف به الطبقةَ الأولى الذين هم أعلم بحقيقة المسيح، وأدرى بأخباره وأحواله. نَحمدُ الله الذي جعلنا في زمنٍ، لا يمكن فيه تعيينُ أحدٍ عضواً في لجنةٍ ما لم تكن بيده شهادةٌ من أهل الفن، ونشكره تعالى أيضاً انْ نَجَّانا من زمنٍ يكونُ المصلوبُ المُهانُ فيها إلهاً بالالتماس.

ثم إن اختلاف علماء النصارى، في شأن يوحنا، وتاريخ تأليفه، مع عدم وجود السند المتصل في روايته، بطريق التواتر إلى مؤلفه، يسقطه عن الاعتبار، ويحط رتبته عن باقي الأناجيل، فضلاً عن كونه أعلى منها أو مساوياً لها، على أن كثيراً من علمائهم أنكروا كون هذا الإنجيل تأليف يوحنا التلميذ، فمن ذلك ما كتبه «استادلن» ونقله عنه صاحب كاتلك هرلد في صحيفة (٢٠٥) من المجلد السابع المطبوع سنة ١٨٤٤ ونصه: «إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة المدرسة الإسكندرية» انتهى.

وقال المحقق برطشبندر: «إن هذا الإنجيل كله وكذا رسائل يوحنا، ليست من تصنيفه، بل صنفها أحد في ابتداء القرن الثاني، ونسبه إلى يوحنا، ليعتبروه الناس» انتهى.

وقال المحقق المشهور كرونيس: «إن هذا الإنجيل كان عشرين باباً، فألحق كنيسة أفاس الباب الحادي والعشرين بعد موت يوحنا» انتهى.

وأنتَ تعلمُ أن فِرَق الوجين التي كانت في القرن الثاني، تنكر هذا الإنجيلَ وجميعَ تصانيف يوحنا، والبرهانُ القاطع في هذا الباب ما ورد في دائرة المعارف الكبرى، الكتاب الذي هو زبدةُ أفكار خمس مئة عالم نصراني، اجتمعوا على تأليفه، وهذا ما كُتِبَ فيه تحت عنوان أناجيل: «أما إنجيل يوحنا، فإنه لا مِرْيةَ ولا شكَّ كتابٌ مزوَّر، أراد صاحبه مضادة حَوارِيَّين لبعضهما، وهما القديسان يوحنا ومتى، ولقد ادعى هذا الكاتب المزور، في متن الكتاب، أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسةُ هذه الجملة على عِلاَّتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمهُ على الكتاب نصاً، مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كُتُبِ التوراة التي لا رابطةَ بينها وبين مَنْ نُسبت إليه، وإنا لنرأفُ ونُشفقُ على الذين يبذلون منتهى جهدهم، ليربطوا، ولو بأوهى رابطة، ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليلي، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى، لخبطهم على غير هدى» انتهى.

فهذا حال إنجيل يوحنا وكلام المحققين، من علماء النصارى، في شأنه، وما نقلناه عنهم قليل من كثير، كما لا يخفى على الناقد البصير، والظاهر وفاة يوحنا كانت حين كمال تصنيف إنجيله، والأساقفة أيضاً استولوا عليه، قبل تعدد النسخ وانتشاره، ففعلوا فيه ما أرادوا، ونادوا به بعد خراب البصرة.

الإصحاح الأول

قال ف١: (في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله).

أقول: إن هذه الفقرات، مع كونها باطلة من حيث المعنى، فهي متناقضة متنافية غير قابلة للتعقل، لا صالحة للتوجيه، فإن قوله: والكلمة كان عند الله، لا يلتئم مع قوله: وكان الكلمة الله، فإذا كان اللهُ عينَ الكلمة، لا يصح أن تكونَ الكلمةُ عنده، لأن العِنْدية تَقتضي المغايرةَ، لأنها عبارة عن حصولِ شيءٍ عند شيء، كحصولِ المال عند زيد، ولا شَكَّ أن المال غير زيد، وزيد غير المال، وهذا ظاهرٌ لا غبار عليه، فكيف تكون الكلمة عنده، وتكون عينه، ثم تتجسد، وتكون ابنه، والابن عين أبيه، والأب عين الابن، ولا أظن أن مَنْ يعرف معنى الكلمة والكلام، يتفوه بمثل هذا الهذيان الذي لا يكادُ يجري مِثْلُه على ألسنةِ المحمومين والسكارى والنيام، لأن الكلمةَ والكلامَ صفةٌ للمتكلم، والصفةُ لا تكونُ عينَ الموصوف، فكلمه «الله» ليست ذات الله تعالى، ولم نر في شرائع الأنبياء وكتبهم إطلاق الكلمة على ذات الله تعالى، عز وجل، والأسفُ على قوم بنوا دينهم على هذه الكلمات التي لم يسبقْ مثلها على لسانِ أحدٍ ممن يؤمنُ بالله واليوم الآخر، فخالف الأنبياء والمرسلين، وتجاوز إلى مقام رب العالمين، فجعله موطئاً للذلِّ والهوان، وضحكةً تهزأُ به أوباشُ اليهود في كل زمان ومكان.

ومن الغريب ما نقله الخوري في «تحفة الجيل» عند ذكره سبب تأليف هذا الإنجيل، وهو أن يوحنا لما أمر المؤمنين بالصوم، أخذ تلميذه بروكلوس، وصعد به جبلاً عالياً، وأقام عليه صائماً مصلياً كموسى، فخطف عن حسِّه، وعرضت بروقٌ ورعود وصواعق كما عرض لموسى عند قبول الشريعة، ثم استحالت تلك الرعودُ إلى أصواتٍ مفهومة، تقولُ: في البدء كان الكلمة. إلخ. وشرع يوحنا حينئذٍ بنصِّ إنجيله، وبروكلوس تلميذه يكتبه. انتهى بحروفه.

والأشبه أن الرجل لما رأى تلك البروق والرعود، واشتدت الزعازع عليه، وهو في قنة الجبل، استولى عليه الخوفُ والدهش، فاختلَّ عقله، وتَشوَّشَ وصار يهذي بما لا يشعر، ويتكلم بما لا يعلم، ويُمْلي على التلميذِ المسكين الذي كان

أشدّ خوفاً من أستاذه، فكتب تلك الكلمات المستحيلة، عن تلك البروق والرعود المهولة، فكانت صاعقةً، تركت المِلَّةَ النصرانيةَ على جُرُفٍ هارٍ، فوقعوا في جهنَّمَ وبِئْسَ القرار.

وبروكلوس المذكور هذا هو الذي كان في مدرسة الإسكندرية تلميذاً، وصَنَّفَ هذا الإنجيل، بعد موت يوحنا، بشهادة علمائهم المار ذكرهم في المقدمة آنفاً، والدليل على ذلك قوله في آخر جملة من هذا الإنجيل ونصه «هذا هو التلميذ الذي شهد بهذا، وكتب هذا، ونعلم أن شهادته من» انتهى.

فتبين أن المصنف غير يوحنا، ويخبر عنه بضمير الغائب، وهذا ظاهرٌ لا غبار عليه. ثم قال يوحنا ف١٤: «والكلمة صارت جسداً، وحلَّ بيننا» وهذه الفقرة مرتبطة بالفقرة الأولى، وعليها بنت النصارى القولَ بالحلولِ والاتحاد، واعتقاد ألوهية المسيح، وغَرَّهم في ذلك ما ورد موهماً من ألفاظ الإنجيل: كالأب والابن والإله والرب والسجود والغفران، ونحو ذلك، فلم يحملوها على ما أُريدَ منها، وحملوها على ظاهرها وخصوصيتها بعيسى عليه السلام. هذا خلاصة ما تَمسَّكوا به، وكله ظاهر البطلان.

أما كون الكلمة هي ذات الله، ثم حَلَّتْ في المسيح، وتجسدت، فإنه من المحال البيّن، لأن الفقرات الأولى، مع تناقضها، كاذبة، لأن الكلمة التي هي من صفات الله تعالى، يستحيلُ أن تكون ذاتَ الله، لوجوبِ مُغايرةِ الصفةِ للموصوفِ، لا سيما والمغايرة صريحة في قوله: والكلمة كان عند الله، كما مر، فوَصْفُ الكلمة هنا بالتجسُّدِ الحقيقي باطلٌ أيضاً، لابتنائه على ما هو باطلٌ في نفسه، فظهر أن تسمية المسيح «كلمة الله» إنما هو بطريق المجاز، ومعناه الحقيقي هو «كن» التي بها توجد الكائنات، فإطلاقها على المسيح من إطلاق اسم السبب على المسبب، وذلك لكونه على خلاف أفراد بني آدم، فكان تأثير الكلمة، في حقه، أظهر وأكمل، وقد قال الله تعالى في القرآن العظيم:

﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [النساء] وقال تعالى :﴿ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴿٤٥﴾ ﴾ [آل عمران] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [آل عمران].

وأما سائر ما اتَّصَفَ به المسيح، عليه الصلاة والسلام، فقد اتصف به غيرهُ من الأنبياء الكِرام، وحتى لا يبقى كلامنا، ككلامهم، عارياً عن الدليل، نقول: قال في آخر الإصحاح الثالث من إنجيل لوقا: «آدم ابن الله» وفي سفر الخروج من النسخة القديمة - ص٤ ف٢٢ و٢٣: «يقول الرب ابني بكري إسرائيل» وفي المزمور الثاني ف٧ من النسخة القديمة: «قال الله تعالى لداود: أنت ابني وأنا اليوم ولدتك» وفي النسخة القديمة مزمور (٨٨) وفي الحديثة مزمور (٨٩) - ف٢٦ هكذا: «داود ابن الله البكر» وفي سفر الخروج من النسخة القديمة ص٣١ ف٢ و٣: «كلم الله موسى قائلاً: إن بسلائل ملأته من روح الله» وفي سفر أخبار الأيام الأول، من النسخة الحديثة ص١٧ و٢٢ ف١٠ و١٣ «داود ابن الله» وفي سفر الملوك الأول ص١٥ - ف١: «فقال صموئيل لشاؤول: أنا الذي أرسلني الرب لأمسحك» وفي سفر العدد من النسخة القديمة ص١١ - ف٢٤ و٢٥: «موسى الكليم مع سبعين رجل روح الرب» وفي سفر القضاء في ص١١ و١٢ و١٣ و١٤ و١٥ ففي هذه الخمسة إصحاحات، من نسخة لندن، تفيد بأن يفتاح وشمشوم روح الله.

وفي الرسالة الثانية، من بولس إلى كورنثوس: «جبرائيلُ روحُ الله الحي» وفي سفر صموئيل الأول في آخر ص٩ وفي أول ص١٠ وفي آخره أيضاً «صموئيل وشاؤول مسيح وروح الله» وفي سفر الملوك الأول من النسخة القديمة ص١٢ - ف٦: قال الله إلى صموئيل ونصه: «لم أدعك يا ابن» وفي النسخة القديمة أيضاً من سفر الملوك الأول، من ص١٦ ف١٣ ونصه «واستَوَتْ روحُ الرب على داود» وفي سفر أخبار الأيام الثاني، من النسخة الحديثة ص١٥ ف١: «وكان على عزريا

روح الله» وفي إنجيل لوقا ص٣ - ف٢ «كانت كلمة الله على يوحنا ابن زكريا» وفي إنجيل يوحنا ص١٠ ف٣٥ «أولئك الذين صارت إليهم كلمةُ الله» وفي مرقس ص٤ - ف١٤: «الزارع يزرع الكلمة» وفيه ف١٥:«يأتي الشيطان للوقت، وينزع الكلمة المزروعة في قلوبهم» وفي المزمور ١٠٤ من النسخة القديمة قال ف٢٩ ونصه «مَرْمِرُوا كَلِمَتَهُ» أي عذبوا موسى عليه السلام.

وفي المزمور ١٠٥ - ف١٢ نقلاً من النسخة المطبوعة سنة ١٨٤٨ ما نصه «فآمنوا بكلمته» أي: بموسى، وفيه ف٢٥ ولفظه: «لم يؤمنوا بكلمته» أي بموسى، وفي سفر دانيال عليه السلام ص٩ - ف٢ نقلاً من النسخة المطبوعة حديثاً في بيروت، ونصه: «كلمةُ الرب إلى أرميا النبي».

ومن الطبع الجديد أيضاً، قال في سفر أرميا عليه السلام ص١ - ف١ ولفظه: «كانت كلمةُ الربِّ إليه» ومن المزمور ١٠٦ ف٢٠ ونصه: «فأرسل كلمته، فشفاهم، ونَجَّاهم من فسادهم» وفي النسخة الجديدة أيضاً قال في سفر حجي عليه السلام ص١ ف١ ونصه: «كانت كلمة الرب على يد حجى النبي» وفي صفنيا عليه السلام، من النسخة الحديثة ص١ ف١: «كلمة الرب التي صارت إلى صفنيا» وفي سفر أشعيا عليه السلام ص٥٣ ف٥: «التي يأتي من مشرق الشمس روح الله» وفي ص١٤و١٥و١٦ من إنجيل يوحنا: «الفارقليط روحُ الحقِّ وروحُ الله» وفي إنجيل لوقا ص٢ ف٢٥: «سمعان عليه روحُ القدس».

وقد أقرت النصارى في «عنوان الرؤيا» أن يوحنا لاهوتي، وقالوا أيضاً عن يحيى بن زكريا عليهما السلام: أنه «جاء من بطن أمه مملوءً من روح القدس» وقال عيسى في حقه: لم تلدِ النساءُ أفضلَ منه، فإنْ صَحَّ هذا، فهو أفضلُ من عيسى، بزعمهم، لأنه مولودٌ من النساء، وأن حواء خلقت من غير أم، وذلك أعظم من خلقه من غير أب، وأعظم منهما أن آدم خلق من تراب، وقد صعد أخنوخ النبي إلى السموات، والملائكةُ أيضاً صاعدةٌ نازلةٌ منها، وزعم مفسركم

أن العذراء عليها السلام ويوحنا أيضاً صعدا للسماء، وهذا إيلياء واليسع وغيرهما أحيوا الأمواتَ، وهذه عصا موسى الكليم تارةً يضربُ بها البحرَ فينفلقُ طُرُقاً يابسة، وأخرى يضربها على الأرض، فتنفجر منها عيونُ ماءٍ جارية، وتارة تكون حية تسعى.

والنار كانت لإبراهيم جُنَّة، وبطن الحوت ليونس ابن متى، صلوات الله عليه، ولو كان كل مَنْ يَتَّصِفُ بهذه الصفات يكون إلهاً، لكانت الملائكة وموسى أولى، لأن الله تعالى خلق الملائكة أرواحاً لطيفة، وقال لموسى: جعلتك إلهاً على فرعون، وهو لم يخرج من قوله: أنا عبد الله، كما أن عيسى لم يخرج من قوله: أنا ابن الإنسان.

وهذه قضايا مترادفة ونصوص متضافرة، لا يمكن ردها. وأي صفة وخصلة في عيسى، لم تكن في غيره من الأنبياء والمرسلين، ولا مرجِّحَ له عليهم، صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين.

وخلاصةُ دعواه في الرسالة بأنه لم يرسل إلا إلى الضالة من بيت إسرائيل، وأنه مؤيد للتوراة وكل ما ادعت به الأساقفة خلافَ ما ذكرناه، فهو باطلٌ فاسد، لا أساسَ له، وأما الشواهدُ النقلية من الأناجيل، الدالة على التوحيد وعبوديةِ المسيح، عليه السلام، وإبطال التثليث والحلول والتجسيد، فكثيرةٌ منها: وهو **(الشاهد الأول)** ما في يوحنا في ص١ ف٥١ ونصه: «من الآن ترون السماءَ مفتوحةً، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابنِ الإنسان» انتهى.

فيفهم من هذا أن عيسى، بعد تَعَمُّدِهِ من يحيى بن زكريا، عليه السلام، صارت الملائكةُ تنزلُ عليه من الله تعالى، بالأوامرِ الإلهية، وهو ابتداء يُبلّغ بني إسرائيل كما يؤمر، وهو المسيح، عليه السلام، فبَطَلَ الحلولُ والاتحاد.

الشاهد الثاني: ما في يوحنا بص٤ - ف٦ ولفظه: «يسوع قد تعب من السفر»

وهو ظاهرٌ بأنَّ الذي يعتريه التعبُ والنَّصَبُ ليس بإلهٍ.

الشاهد الثالث: ما في إنجيل يوحنا ص٣ ف٢٦ ونصه: «فجاؤوا إلى يوحنا المعمدان، وقالوا له: يا معلم! هُوَذا الذي كان معك في عبر الأردن، الذي أنتَ قد شهدتَ له، هو يعمد، والجميع يأتون إليه، أجاب يوحنا وقال: «لا يقدرُ إنسان أن يأخذ شيئاً، إن لم يكن قد أُعطي من السماء، أنتم أنفسكم تشهدون لي أني قلت: لستُ أنا المسيح، بل إني مُرْسَلٌ أمامه».

انظر - هداك الله - إلى قوله: إني مرسل أمامه، ولم يقل: هو أرسلني أمامه، إلى أنْ قال فيه ف٣٠: «ينبغي أن ذلك يَزيدُ، وأني أنا أنقص» وهذا صريحٌ أيضاً في عبودية المسيح، عليه السلام، لأنهم لما قالوا ليوحنا عنه: هو الذي يعمد، والجميعِ يأتون إليه، أجابهم بأنه لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً، إن لم يكن قد أُعطيَ من السماء، فأفهم أن المسيح إنسانٌ رسولٌ، من الله تعالى، لم يفعلْ شيئاً من تلقاء نفسه، كسائر الأنبياء والرسل من الناس، فهو يُعَمِّدُ باسم الله تعالى، واللهُ تعالى هو الإلَه، لا رَبَّ غيرُه، ولا أمرَ إلا أمرُه، ولا شك أن المعطي غير المُعْطَى، فلا حلولَ ولا اتحاد.

ويكفينا من شهادة يوحنا، عليه السلام، قوله: إن ذلك يزيد، وأنا أنقص. وأنتَ تعلمُ أيها النبيه أن الإله لا يزيدُ ولا ينقص، وكان كما قال يوحنا عن نفسه: بأنه ينقص، لأنه بعد أيام قليلة قُتلَ مظلوماً، وأما عيسى فأخذ يزدادُ شأنُه وتتوالى معجزاته، وتنتشر دعوته، حتى رفعه الله مكاناً علياً.

الشاهد الرابع: قال في يوحنا ص٣ - ف٣٤: «الذي أرسله الله، يتكلم بكلام الله، لأنه ليس بِكَيْلٍ يُعطي، الله الروح الأب يحب الابن، وقد دفع كُلَّ شيء في يده، الذي يؤمن بالابنِ له حياةٌ أبدية» انتهى.

أقول: إن معناه ظاهر، وهو أن الله يحب عيسى كما يحبُّ أنبياءَهُ ورسله، وقد

أعطاه الله كتاباً، فيه كلُّ شيءٍ، ولا شك أن المعطي غير المعطى، فلا حلولَ ولا اتحاد.

الشاهد الخامس: قال في يوحنا ص٤ - ف٣٤: «قال لهم يسوع: طعامي أنْ أعمل مشيئة الذي أرسلني، وأُتممَ عمله» انتهى.

وهذا إعلانٌ منه، عليه السلام، بالعبوديةِ والرسالة، وأنه ليس له من الأمرِ شيءٌ، ولا يعمل شيئاً من تلقاء نفسه، بل هو مأمورٌ بتبليغ مشيئةِ الله تعالى، فهل بعدَ هذا يُتَصوَّرُ حُلولٌ واتحاد.

الشاهد السادس: قال في يوحنا ص٤ - ف٤٤: «لأن يسوع نفسه شهد أنْ ليس لنبيٍّ كرامةٌ في وطنه» انتهى.

وهذا صريح في نبوة المسيح، وأن الكرامة التي تُعْطى له ولغيره، من الأنبياء، إنما هي من الله تعالى، وتكون في غير الوطن، فلو كان المسيح إلَهاً، بطريق الحلول والاتحاد، لم يكن نبياً كسائرِ الأنبياء، وتحصل له الكرامة من مكان دون مكان.

الشاهد السابع: حكاية السامرية مع المسيح، عليه السلام، ونصها كما في إنجيل يوحنا ص٤ - ف١٩ ولفظه: «قالت له الامرأة: يا سيد! أرى أنك نبي، آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون: إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه، قال لها يسوع: يا امرأة! صدقيني إنه تأتي ساعة، لا في هذا الجبل، ولا في أورشليم تسجدون للأب، أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أما نحنُ فنسجدُ لما نعلم [إلى أن قالت له الامرأة في] ف٢٥ «أنا أعلم أن مسيا الذي يقال له: المسيح، يأتي، فمتى جاء ذلك، يخبرنا بكلِّ شيء، قال لها يسوع: أنا الذي أكلمك هو» انتهى.

فهي تُثبتُ أن المسيحَ هو النبيّ الموعود به، بصراحةِ اللفظ من الامرأة

السامرية، وقد صَدَّقها بقوله: أنا الذي أكلمك هو، وفضلاً عن ذلك، فإنه أقرّ بأنه يسجد لربه وخالقه ومرسله، وكلٌّ يبطل دعوى الألوهية فيه، فلم يبقَ مجالٌ للتثليث والتجسيد والاتحاد والحلول، على أنه، عليه السلام، أخبر بضلالهم أيضاً، قبل الوقوع، بقوله: تأتي ساعة، لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للأب، وكان كما قال: فإن النصارى بَدَّلُوا القبلة لمطلع الشمس، وجعلوا سجودهم لخشبة الصليب وللخميرة والخمر كما ترى.

الشاهد الثامن: قال في يوحنا ص٥ - ف١٩: «لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الأب يعمل».

الشاهد التاسع: قال يوحنا أيضاً فيه ف٢٤: «من يسمع كلامي، ويؤمن بالذي أرسلني، فله حياةٌ أبدية» انتهى.

فهو عليه السلام يدعو إلى الإيمان بالله تعالى، الذي أرسله، فلو كان هو الإله لأمرَ بالإيمانِ به، لا غير، وذلك واضح.

الشاهد العاشر: قال فيه أيضاً ف٣٠: «انا لا أقدرُ أن أفعلَ من نفسي شيئاً، كما أسمع أدين، ودينونتي عادلة، لأني لا أطلبُ مشيئتي، بل مشيئة الأبِ الذي ارسلني» انتهى.

الشاهد الحادي عشر: وفيه أيضاً ف٤٤: «كيف تقدرون أن تؤمنوا، وأنتم تقبلون مجدَ بعضكم من بعض، والمجد الذي من الإله الواحد، لستم تطلبونه» إلى أن قال [في ف٤٦ منه: «لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني، لأنه هو كتبَ عني» انتهى.

يعني: أن هذا ثابتٌ عند الفرق الثلاثة، وأن موسى الكليم، عليه السلام، أخبر بمجيء نبيٍّ إلى بني إسرائيل، كما قال عيسى أيضاً: لم أرسل إلا إلى الضالة من خراف بيت إسرائيل.

الشاهد الثاني عشر: قال في يوحنا ص٦ - ف١٤ ما نصه: «إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم» وهذا أيضاً صريح بأنه نبيٌّ لا إله.

الشاهد الثالث عشر: قال يوحنا فيه ف٢٩ ما لفظه: «أجاب يسوع وقال لهم: هذا هو عمل الله، أن تؤمنوا بالذي هو أرسله» وهذا مثل النصوص الماضية، واللبيب تكفيه الإشارة.

الشاهد الرابع عشر: قال يوحنا فيه أيضاً ف٢٨: «لأني قد نزلت من السماء، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني، وهذه مشيئة الأب الذي أرسلني، إن كل ما أعطاني لا أُتلفُ منه شيئاً، بل أقيمه في اليوم الأخير، لأن هذه هي مشيئة الله الذي أرسلني» انتهى.

وقوله: نزلت من السماء، المراد منه: نزول الرسالة والنبوة عليه من السماء.

الشاهد الخامس عشر: قال يوحنا ص٦ - ف٤٤ «لا يقدر أحدٌ أن يُقْبِلَ إليّ، إنْ لم يجتذبه الأبُ الذي أرسلني» فتبين أن الهادي هو الله تعالى، وعيسى عبدُه ورسولُه، ليس له من الأمر شيء.

الشاهد السادس عشر: قال يوحنا ص٧ - ف١٧ و١٨: «أجابهم يسوع وقال: تعليمي ليس لي، بل للذي أرسلني، إن شاء أحد أن يعمل مشيئته، يعرف التعليم، هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي، مَنْ يتكلم من نفسه، يطلب مجدَ نفسه، وأما مَنْ يطلب مجد الذي أرسله، فهو صادق، وليس فيه ظلم» وهذا ظاهر لا يحتاج إلى الشرح.

الشاهد السابع عشر: قال يوحنا فيه أيضاً ف٢٨: «فنادى يسوع، وهو يعلّم في الهيكل، قائلاً: تعرفونني، وتعرفون من أين أنا، ومن نفسي لم آت، بل الذي أرسلني هو حق» ففي هذا النص يُذكِّرُ اليهودَ بنعته المذكور في التوراة، وهو أنه نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل.

الشاهد الثامن عشر: قال يوحنا فيه أيضاً ف٣٣: «فقال لهم يسوع: أنا معكم زماناً يسيراً بعد، ثم أمضي إلى الذي أرسلني» وقوله: أمضي إلى الذي أرسلني، يثبت بأنه غير الله، فالقول، بأنه إله، شِرْكٌ صريح.

الشاهد التاسع عشر: قال يوحنا فيه ف٤٠: «وكثير من الجمع لما سمعوا هذا الكلام، قالوا: هذا بالحقيقة هو النبيّ، آخرون قالوا: هذا هو المسيح» ولم يقل أحد منهم بأنه هو الله.

الشاهد العشرون: قال في آخر الإصحاح السابع، من يوحنا: «لم يقم نبيٌّ من الجليل» فمنه يتبين بأنهم كانوا يُنْكِرُونَ نبوته، وهو يَدَّعيها، ولم يَدَّعِ الالوهية.

الشاهد الواحد والعشرون: قال يوحنا في ص٨ - ف٢٦: «الذي أرسلني هو حق، وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم» تاللهِ: لو سألنا البليد بأن يقبلَ ألوهيةَ صاحب هذا الحديث، لاتَّخَذَ قولَنا مَسْخرة.

الشاهد الثاني والعشرون: قال يوحنا فيه ف٢٨: «ولستُ أفعلُ شيئاً من نفسي، بل أتكلم بهذا كما علمني أبي، والذي أرسلني هو معي، ولم يتركني الأب وحدي، لأني في كل حينٍ أفعلُ ما يرضيه».

الشاهد الثالث والعشرون: قال يوحنا في ص١١ - ف٤١: «رفع يسوع عينيه إلى فوق، وقال: أيها الأب: أشكرك لأنك سمعت لي، وأنا علمت أنك في كل حين تسمعُ لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا: إنك أرسلتني».

الشاهد الرابع والعشرون: وفي ص١٢ - ف٢٧ من يوحنا: «أيها الأب: نَجِّني من هذه الساعة».

أقول: لو كان هذا هو الإلَه، لماذا يدعو رباً غيرَهُ، ولا يخلِّصْ نفسه وينجيها.

الشاهد الخامس والعشرون: وقال يوحنا فيه ف٤٩: «لم أتكلم من نفسي، لكن الأب الذي أرسلني، هو أعطاني وصية ماذا أقول، وبماذا أتكلم».

أقول: لا أظن أن نبياً من الأنبياء برّأ نفسه من القدرة والمشيئة بمقدار ما صرح وكرر به عيسى عليه السلام، وكان أمر الله قدَرَاً مقدوراً.

الشاهد السادس والعشرون: قال في ص١٣ - ف١٦ من إنجيل يوحنا ما لفظه: «ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله».

الشاهد السابع والعشرون: قال في يوحنا ص١٤ - ف١: «ولا تضطرب قلوبكم، أنتم تؤمنون بالله، فآمنوا بي، في بيت أبي منازل كثيرة، وإلا فإني كنت قد قلت لكم: أنا أمضي لأُعِدّ لكم مكاناً».

الشاهد الثامن والعشرون: قال يوحنا فيه ف١٦: «أطلب من الأب، فيعطيكم مُعَزِّياً آخر» وفي النسخة المطبوعة في لندن سنة ١٨٤٨ «فيعطيكم فارقليطاً آخر» فهذا صريح في أنه يأتي بعده فارقليط آخر مثله، في كونه رسول الله، كما يفيده لفظ «آخر» فلو كان إلهاً، يلزم أن يكون الذي يأتي بعده أيضاً مثله في الألوهية، ولا قائل به.

الشاهد التاسع والعشرون: قال يوحنا فيه أيضاً ف٢٤: «والكلام الذي تسمعونه، ليس لي، بل للأب الذي أرسلني» قلت: والنصارى أهملوا جميع هذه الأحاديث عن المسيح، وعملوا بما قاله بروكلوس عن يوحنا، عن البروق والصواعق، بعد عروج المسيح بسبعين سنة.

الشاهد الثلاثون: قال يوحنا فيه ف٢٨: «أمضي إلى الأب، لأن أبي أعظم مني».

الشاهد الواحد والثلاثون: قال يوحنا ص١٤ - ف٣١: «ولكن ليفهم العالم

أني أحب الأب، وكما أوصاني الأب هكذا أفعل».

الشاهد الثاني والثلاثون: قال عيسى، عليه السلام، في يوحنا ص١٥ - ف١: «أنا الكرمةُ الحقيقية، وأبي الكرّام» فصرح بأن الله تعالى هو الزارع، أي: الخالق، والمالك للكرمة، وعَبَّرَ عن نفسه بالكرمة المزروعة، أي المملوكة للكرَّام.

الشاهد الثالث والثلاثون: قال يوحنا في ص١٥ - ف١٠: «إن حفظتم وصاياي، تثبتون في محبتي، كما أني أنا قد حفظتُ وصايا أبي، وأثبتُ في محبته».

الشاهد الرابع والثلاثون: قال يوحنا منه ف١٥: «لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي».

الشاهد الخامس والثلاثون: وقال يوحنا فيه ف٢١: «لا يعرفون الذي أرسلني».

الشاهد السادس والثلاثون: قال في يوحنا في ص١٦ - ف١٠: «فلأني ذاهب إلى أبي، ولا ترونني».

الشاهد السابع والثلاثون: قال المسيح في ص٢٠ من إنجيل يوحنا ف١٧ ما نصه: «اذهبي إلى إخوتي، وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم».

أقول: إن هذا صدر عن المسيح، بعد قضية الصلب، وهو حينئذٍ في أمانٍ من اليهود، وقد أفصح عن أمرين: الأول: أن إطلاق «الأب» على الله تعالى، إنما هو بطريق المجاز، لأنه لو كان حقيقياً، للزم أن يكون الله أباً حقيقياً لكافة النصارى أيضاً، لأنه قال: أبي وأبيكم. والأمر الثاني: أن له إلَهاً يعبدهُ كسائر

المخلوقات، لأنه قال: إلهي وإلهكم، وهو الموافق للإنجيل والناموس والظاهر المحسوس،، فكأنه علم، عليه السلام، بما سيكون، بعد رفعه، من الضلالِ، فصرَّحَ لهم بحقيقة الحال.

ولعلك تقولُ أيها المعاند بأنَّ قوله ذلك، كان بحسب ناسوته فقط، دون لاهوته. قلت: فقد أقررت إذاً بأنهما اثنان لا واحد، تارة يجتمعان، وتارة يفترقان، فليت شعري! هل كانت الألوهية جُبَّةً أو عمامة، ينزعها أحياناً، ويلبسها أخرى، تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً.

الشاهد الثامن والثلاثون: قال عيسى في يوحنا في ص١٧ - ف١: «تكلَّمَ يسوع بهذا، ورفع عينيه نحو السماء، وقال: أيها الأب: قد أتت الساعة، مَجِّدْ ابنَك، ليمجدك ابنُك أيضاً، إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد، ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيته، وهذه هي الحياةُ الأبدية أنْ يعرفوك، أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته أنا مجدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته، والآن مجّدني أنت أيها الأب عند ذاتك، بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم».

قلت: قوله: قبل كون العالم، أي: في علم الله تعالى، قبل خلق العالم ثم قال: «أنا أظهرتُ اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم كانوا لك، وأعطيتهم لي، وقد حفظوا كلامك، والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك، لأن الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم، وهم قبلوا وعملوا يقيناً إني خرجت من عندك، وآمنوا أنك أنت أرسلتني من أجلهم» إلى آخر الإصحاح، وهو آخرُ كلامٍ صدر منه، عليه السلام، قبل قضية الصلب، وفيه نصوص كثيرة، تدل على أنه نبيٌّ ومرسل لبني إسرائيل، كما قال، خاضع لله عز وجل، موحّد له، فليت شعري! هل كانت هذه المناجاة منه وهو إله؟ تالله لا يقولُ بهذا إلا مَنْ سُلِبَ العقلَ والإدراك، فوقع في شَرَكِ الإشراك.

الشاهد التاسع والثلاثون: حكاية لوقا - ص٢٤ - ف١٩ قول التلميذين عن الأمور التي وقعت في تلك الأيام «فقال لهما: وما هي؟ فقالا: المختصة بيسوع الناصري الذي كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول، أمام الله وجميع الشعب» انتهى.

فصرَّحا بأنه إنسان ونبي، وأقرَّهُمَا على ذلك، ولم يَقُلْ لهما: إني إلّه، ووقتئذٍ لم يكنْ خوفٌ من اليهود، لأن ذلك وقع بعد الصلب.

الشاهد الأربعون: قال في متَّى، في ص٦ ف٩ ما نصه: «فصلوا أنتم، هكذا أبانا الذي في السموات، ليتقدَّس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك... إلى آخره» وهو عبارة عن توحيدٍ صِرْف، كما هو دأب أهل الكتاب، وهذه صلاتهم تنادي بالتوحيد، ولم يكن فيها تثليث ولا تجسيد، بخلاف صلاة النصارى اليوم.

الشاهد الواحد والأربعون: قال فيه ف٢٤: «لا يقدر أحد أن يخدم سيدين» انتهى.

وهو ظاهر في أن الإنسان لا يمكن أن يَتَّخِذَ إلهين.

الشاهد الثاني والأربعون: قال في متى ص٧ ف١١ ما نصه: «أبوكم الذي في السموات، يَهبُ خيراتٍ للذين يسألونه» فلو كان هو الإله، لامتنع أن يشير إلى إلهٍ آخر في السموات.

الشاهد الثالث والأربعون: قال فيه ف٢١: «ليس كل مَنْ يقول لي: يا رب يا رب! يدخل مَلكُوتَ السموات، بل الذي يفعلُ إرادةَ أبي الذي في السموات».

الشاهد الرابع والأربعون: قال متَّى في ص١٠ ف٤٠: «مَنْ يقبلني، يقبل الذي أرسلني، من يقبل نبياً باسم نبي، فأجر نبيٍّ يأخذ» فكيف يجعلونه إلهاً، وهذه أحاديثُه لهم، وهم يدرسونها صباحاً ومساء، فبأيِّ حديثٍ بعده يؤمنون.

الشاهد الخامس والأربعون: قال يسوع في متى ص١١ ف٢٥: «أحمدك أيها الأبُ رَبَّ السماء والأرض، لأنك أخفيتَ هذه عن الحكماء والفهماء، وأعلنتها للأطفال، نعم أيها الأب لأن هكذا صارت المَسَرَّةُ أمامك» انتهى.

فأسألك أيها المسيحي، بشرف المسيح، هل مَنْ يحمد الله ويشكره على هذه الحالة يقال له: إله؟!

الشاهد السادس والأربعون: قال في متى ص١٢ ف٥٠: «من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات، هو أخي وأختي وأمي».

الشاهد السابع والأربعون: قال في متى ص١٥ ف١٣: «كل غرس لم يغرسه أبي السماوي، يُقلع».

الشاهد الثامن والأربعون: قال فيه أيضاً ف٢٤: «قال: لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة».

الشاهد التاسع والأربعون: قال في متَّى ص١٩ ف١٧: «فقال له [أي يسوع] لماذا تدعونني صالحاً، ليس أحدٌ صالحاً إلا واحد، وهو الله» وهذا النص من أعظم الأدلة على إبطال تثليثهم وتجسيدهم، فإنه، عليه السلام، لم يَرْضَ أن يُقالَ له: صالح، لكثرةِ تواضعه، وهضمِ نفسه الطيبة الطاهرة، فكيف يرضى أن يُسَمَّى إلهاً، ويتخذونه معبوداً.

الشاهد الخمسون: قال في مرقس ص١٢ ف٢٩: «يا إسرائيل: الربُّ إلَهنا رَبٌّ واحد» وتأبى النصارى إلا التثليث.

الشاهد الواحد والخمسون: قال في متى ص٢١ ف١٠: «ولما دخل أورشليم، ارتجت المدينة كلها قائلة: مَنْ هذا؟ فقالت الجموع: هذا يسوع النبيُّ» ومن عادةِ الناس ما يدخلُ في آذانها، يخرجُ من أفواهها.

الشاهد الثاني والخمسون: قال في متى ص٢٣ ف٩: «لا تدعوا لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السموات، ولا تدعوا معلمين، لأن معلمكم واحد المسيح» انتهى.

فانظر - هداك الله تعالى - كيف نهاهم عن اتخاذ إلّهٍ على الأرض، وأمرهم بالتوحيد، وبَيَّنَ لهم حقيقة نفسه وصفته، بأنه هو مُعَلِّمٌ لهم، وقد بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، صلاةُ الله عليه، ولكن الأساقفة لا يرضون بذلك، وسبحان الله عما يصفون.

الشاهد الثالث والخمسون: قال بولس برسالته الأولى إلى تيموثاوس ص١ ف١٧: «مُلك الدهور اللذي لا يفنى ولا يرى، الإلّه الحكيم، وحده له الكرامةُ والمجد إلى دهرِ الدهورِ آمين».

الشاهد الرابع والخمسون: قال بولس فيها أيضاً ص٦ - ف١٤: «أنْ نحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم، إلى ظهور ربنا يسوع المسيح الذي سيبيِّنُه، في أوقاته، المباركُ العزيز الوحيد ملكُ الملوكِ وربُّ الأرباب الذي وحده له عدم الموت، ساكناً في نور لا يُدنى منه، الذي لم يره أحد من الناس، ولا يقدر أن يراه، الذي له الكرامة والقدرة الأبدية آمين».

ومن الغريب أن رسائل بولس محشوة من الضلال، وهنا ينفي ألوهية المسيح، ويخضع لله الواحد ذي الجلال.

الشاهد الخامس والخمسون: قال في متى ص٢٦ - ف٣٦ ما نصه: «فقال للتلاميذ: اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك، ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب، فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا ههنا، واسهروا معي، ثم تقدم قليلاً، وخَرَّ على وجهه، وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه! إن أمكن فلتعبر عني هذا الكأس، ولكن ليس كما أريدُ أنا، بل كما تريدُ

أنتَ» وكرر هذا ثلاث مرات متوالية، فليت شعري! لأي إلَهٍ كان يتضرع، هل كان يستغيث من نفسه لنفسه؟!.

الشاهد السادس والخمسون: قال في متى ص٢٧ ف٤٦: «صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إلهي إلهي! لماذا تركتني» وهذا مثل سابقه.

الشاهد السابع والخمسون: قال تلاميذه في مرقس ص٨ ف٢٩ ما نصه: «فقال لهم: وأنتم مَنْ تقولون: أني أنا؟ فأجاب بطرس، وقال له: أنت المسيح».

الشاهد الثامن والخمسون: سألوا المسيح عن الساعة، أجابهم في مرقس ص١٣ ف٣٢: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلمُ بهما أحدٌ، ولا الملائكة الذي في السماء، ولا الابن إلا الأب».

الشاهد التاسع والخمسون: قال مرقس ص١٤ - ف٣٣ ما لفظه: «ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا، وابتدأ يدهش،ويكتئب ، فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا هنا، واسهروا. ثم تقدم قليلاً، وخرّ على الأرض، وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة، إن أمكن، وقال: يا أبا الآب: كل شيءٍ مُستطاعٌ لك، فأجرِ عني هذا الكأس، ولكن ليكن لا ما أُريدُ أنا، بل ما تريدُ أنت» وقد مر مثله.

الشاهد الستون: قال في لوقا ص٤ ف١٨ ما لفظه: «روح الرب عليَّ، لأنه مسحني، لأبشّر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، إلى أن قال: وأكرز بسنة الرب المقبولة» وقد نطق عليه السلام بالحق، ولَقَمَ الأساقفةَ حجراً، ولا سيما قوله في آخر الجملة: «وأكرز بسنة الرب المقبولة»، وهي التي جاءت بها الأنبياء، ثم قوله: «مسحني».

ليت شعري! مَنْ مسحه، هل هو مسح نفسه، كما قلتم فيه بأنه خلق أمه ثم خلق نفسه؟.

الشاهد الواحد والستون: قال في لوقا في ص٥ - ف١٦: «فكان يعتزل في البراري، ويصلي».

الشاهد الثاني والستون: قال فيه ص٦ - ف١٢: «وفي تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلي، وقضى الليل كله في الصلاة لله».

أقول: ولعلَّهم يقولون: كان يصلي بعضُه لبعضٍ.

الشاهد الثالث والستون: قال الناس، عندما رأوا معجزاته، كما في لوقا ص٧ - ف١٦ ما لفظه: «قد قام فينا نبيٌّ عظيم، وافتقد الله شعبه» فلو كان يدّعي نفسه إلهاً أو ابن إله، كما زعموا، لقالت الناس: قد قام فينا إلهٌ عظيم.

الشاهد الرابع والستون: قال في لوقا ص٩ - ف١٧: «فأخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين، ورفع نظره نحو السماء، وباركهن» وهذا فِعْلُ العبدِ الطائع.

الشاهد الخامس والستون: قال في لوقا ص٩ - ف٤٨: «من قَبِلني يقبَل الذي أرسلني».

الشاهد السادس والستون: قال لوقا بص٢٤ - ف٣٦ ما نصه: «وفيما هم يتكلمون، وقف يسوع نفسه في وسطهم، وقال لهم: سلام لكم، فجزعوا وخافوا، وظنوا أنهم نظروا روحاً، فقال لهم: ما بالكم مضطربين، ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم؟ انظروا يدي ورجلي، إني أنا هو، جُسُّوني وانظروا، فإنَّ الروحَ ليس له لحمٌ وعظام كما ترون لي».

أقول: لقد وَضَّحَ الرُّوحَ، وعَرَّفها بأنه لا يمكن حلولها في اللحم والعظام، وقد نفاها عن نفسه خاصة، وذلك بقوله: جُسُّوني، وهذا منه، عليه السلام، تعليماً وإنذاراً عما سيقع بعده من الفساد والضلال.

الشاهد السابع و الستون: قال لوقا بص١٠ - ف١٦: «الذي يُرذِّلُني يرذلُ

الذي أرسلني».

الشاهد الثامن والستون: قال في ص١٠ - ف٢١ من لوقا: «في تلك الساعة تهلل يسوع بالروح، وقال: أحمدك أيها الأب ربَّ السماء والأرض».

الشاهد التاسع والستون: قال لوقا ص١١ - ف١٣: «الأب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه» وهنا وَضَّحَ أن إعطاء الروح القدس، لم يكن منحصراً في عيسى، عليه السلام.

الشاهد السبعون: قال في ص٢٢ - ف٤١ من لوقا: «وانفصل عنهم نحو رمية حجر، وجثا على ركبتيه، وصلى قائلاً: يا أبتاه! إن شئت أن تُجيزَ عني هذا الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي، بل إرادتك، وظهر له ملاك من السماء يقويه، وإذ كان في جهاد، كان يصلي بأشدّ لجاجةٍ، وصار عرقهُ كقطراتِ دمٍ نازلة على الأرض».

أقول: يا هل ترى! مَنْ يكون اضطرابه وحاله وتضرعه إلى الله، بهذه الدرجة، ويحتاج إلى ملك يقويه، كيف يتصور فيه ألوهية أو ربوبية؟ ولعلك أيضاً تجاوبني بجوابك الأول، وتجعل منصب الألوهية عبارة عن لبس عباءة، انتزعها عنه حين كان يصلي.

الشاهد الواحد والسبعون: قال لوقا بص٢٣ - ف٤٦: «يا أبتاه في يديك أستودعُ روحي».

أقول: من المعلوم أن الأرواح كلها تعطى إلى الخليقة، من الله، وترجع إليه كما في الجامعة من التورية في ص٢٢ - ف٧ ما معناه: «الروح تعطى إلى الإنسان من الله، وعند الموت ترجع إلى الله» ليت شعري! حين تسليم الروح، أين كان لاهوته، ولا شك أنهم يجاوبون بافتراقه عنه، فإذا ثبت الافتراق، ثبت فساد قول بروكلوس عن الصواعق، بأن الكلمة «الله» صارت جسداً، ولا يصح

القول أيضاً بأن الثلاثة واحد، لأنهم جوّزوا الافتراق، وهذا من الأمور البديهية.

الشاهد الثاني والسبعون: قال في متى ص١٢ - ف٢٨: «أنا بروح الله أخرج الشياطين» ويؤيده في لوقا ص١١ - ف٢٠: «بأصبع الله أُخرِج الشياطين» فثبت بالبداهة أنه لم يكن هو الإله، ولا ابن الإله، ولا فيه اتحاد وحلول، وأن القوات والمعجزات وخرق العادات لم يفعلها هو من نفسه، بل بإذن من الله، كما هو صريح قوليه.

الشاهد الثالث والسبعون: قال في متى بص٢١ - ف٣٣ وخلاصته: أن المسيح عليه السلام، ضرب مثلاً لليهود فقال: «ربُّ بيتٍ غرس كرماً، وسلَّمه إلى كرَّامين، ولما قارب وقت الإثمار، أرسل عبيده إلى الكرَّامين، ليأخذ أثماره، فجلدوا الكرامون عبيده، ورجموا البعض، وقتلوا البعض، ثم أرسل أيضاً عبيداً كثيرين، ففعلوا بهم كما فعلوا بالأوَل، ثم أرسل ابنه قائلاً: يهابون ابني، فلما رأى الكرامون الابنَ، قالوا: هذا هو الوارث، هلموا نقتله، ونأخذ ميراثه، فقتلوه، فعنذ ذلك صاحب الكرم أهلكَ أولئك الكرامين، وأخذ الكرمَ منهم، وسلمه إلى آخرين، يعطونه الأثمار بأوقاتها».

فإن صَحَّ ورود هذا المثل عنه، فإن المراد منه ظاهر، فإن صاحب الكرم هو الله تعالى، والكرامين هم بنو إسرائيل، والعبيد هم الأنبياء، والابن هو عيسى، والكرامون الآخرون لم يكونوا إلا المسلمين، فعليه لم يبق مجال للنصارى لدعوى الألوهية، لأن، على زعمهم، قتلوا الوارث، وبقي الموروث، وهو أيضاً سلم الكرم إلى الآخرين، وكفى الله المؤمنين القتال، فكيف يصح بعد هذا أن نعتبر الابن إلهاً، وهو صاحب الكرم، وهو مباينٌ لصراحة المثل: هل يصحُّ للميت أن يرثَ الحيَّ؟!.

الشاهد الرابع والسبعون: قال في متَّى بص٢٦ - ف٣١ ما نصه: «مكتوب أني

أضرب الراعي، فتتبدَّد خراف الرعية» وأنت تعلم أيها اللبيب! أن الراعي هو عيسى، والخراف بنو إسرائيل، والضارب للراعي هو الله تعالى، والضارب غير المضروب.

الشاهد الخامس والسبعون: قال في متى ص٦ - ف١: «احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس، لكي ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات. إلى أن قال: اجعل صدقتك في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء، يجازيك علانية. إلى أن قال بف٦: صلِّ إلى أبيك في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء، يجازيك علانية. إلى أن قال ف٨: أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه». فهل يقال لهذا الواعظ إله؟.

الشاهد السادس والسبعون: قال في متى بص١٦ - ف٢٧ ما لفظه: «فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه».

أقول: على أن الابن، الذي يراد به العبد الصالح، غير الأب الذي يعبر به عن الإله.

الشاهد السابع والسبعون: قال في لوقا ص٢ - ف٤٩: «ينبغي أن أكون فيما لأبي».

الشاهد الثامن والسبعون: قال في متى ص٦ - ف١٨ ما لفظه: «لا تظهر للناس صائماً، بل لأبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء، يجازيك علانية»، وقد مر مثله.

الشاهد التاسع والسبعون: وفيه أيضاً ف٣١: «فلا يهتموا قائلين: ماذا نأكل، أو ماذا نشرب، أو ماذا نلبس؟ فإن هذه كلها تطلبها الأمم، لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها، لكن اطلبوا أولاً ملكوتَ الله وبِرَّهُ، وهذه كلها تُزَادُ لكم، فلا تهتموا للغد، لأن الغد يهتم بما لنفسه، يكفي اليوم شره».

الشاهد الثمانون: قال في لوقا ص٦ - ف٣٦: «كونوا رحماء، كما أن أباكم أيضاً رحيم».

الشاهد الواحد والثمانون: قال في متى ص٦ - ف١٥ ما نصه: «إنْ لم تغفروا للناس زلاتهم، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً».

الشاهد الثاني والثمانون: قال في يوحنا ص١٠ - ف٣٠ ما نصه حكاية عن المسيح مخاطباً لليهود: «أنا والأب واحد» بمعنى أنَّ ما يأمر به هو شرع الله تعالى، لا غيره «فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه، أجابهم يسوع: أعمالاً كثيرةً حسنة أريتُكم من عند أبي، بسببِ أيِّ عملٍ منها ترجمونني؟ أجابه اليهود قائلين: لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فإنك وأنتَ إنسان تجعلُ نفسكَ إلهاً، أجابهم يسوع: أليس مكتوباً في ناموسكم، أنا قلت: إنكم آلهة أن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمةُ الله، ولا يمكن أن ينقض المكتوب، فالذي قَدَّسَهُ الآبُ وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف، لأني قلتُ إني ابن الله».

أقول: إن هذا النص الذي استشهد به المسيح، عليه السلام، من الناموس، قد هَدَمَ عقائدَ النصرانية من أساسها، على اختلافِ أنواعها، فهو يقول لليهود: إن أنبياءكم ادّعوا قبلي كما ادعيتُ، وكانت كلمةُ الله عليهم كما هي عليّ، فقد تبين أن المقصود من الإله هنا هو المُسَلَّط، ليس المعبود، والمراد بهم الأنبياء الذين أرسلهم، وسلَّطهم على خلقه، كما قال الله تعالى لموسى عليه السلام: جعلتك إلهاً على فرعون.

الشاهد الثالث والثمانون: (فسألوا عيسى التلاميذ، فأجاب في ص١ - ف٧ من أعمال الرسل ما لفظه: «فقال لهم: ليس لكم أن تعرفوا الأزمنةَ والأوقات التي جعلها الآبُ في سلطانه» فقد نفى عنه السلطان بصراحة القول).

الشاهد الرابع والثمانون: خطب بطرس لليهود في أعمال الرسل، فقال في ص٢ - ف٢٢ ما لفظه: «يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات، صنعها الله بيده في وسطكم، كما أنتم أيضاً تعلمون».

الشاهد الخامس والثمانون: قال بطرس أيضاً في ص٣ - ف١٩ من الأعمال: «فتوبوا وارجعوا لِتُمْحَى خطاياكم، لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب، ويرسل يسوع المسيح المُبَشّر به لكم قبل، الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رَدِّ كلِّ شيء التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين، منذ الدهر، فإن موسى قال للآباء: إن نبياً مثلي سيقيمُ لكم الربُّ إلهكم، من إخوتكم» إلى أن قال ف٢٥: «أنتم أبناء الأنبياء، والعهد الذي عاهد به الله آباؤنا قائلاً لإبراهيم: وبنسلك تتباركُ جميعُ قبائل الأرض، إليكم أولاً إذ أقام الله فتاهُ يسوع، أرسله يباركِكم بردِّ كلِّ واحدٍ منكم عن شروره» انتهى.

وهو ينادي بأعلى صوت، بأنَّ المسيح عبدُ الله ورسولُه، من بني إسرائيل، مثل موسى عليه السلام، كما قال موسى للآباء إن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم. ويكفي صراحة على عبوديته، عليه السلام، في هذا النص قوله: «إذ أقام فتاه يسوع، وأرسله يباركِكم، والفتى هو العبد، والحاصل أن هذا النص في غاية الوضوح، فلينظر المسيحيُّ إليه بعين الإنصاف، ويترك المكابرة والاعتساف.

الشاهد السادس والثمانون: قال في ص٤ - ف٢٤ من أعمال الرسل أيضاً في التضرع إلى الله تعالى مانصه: «رفعوا بنفس واحدة صوتاً إلى الله، وقالوا: أيها السيد! أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، القائلُ بفم داود فتاكَ: لماذا ارتجت الأُمم، وتفكر الشعوب بالباطل، قامت ملوك الأَرض، واجتمع الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه، لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاكَ القدوس يسوع الذي مسحته، هيرودس وبيلاطس النبطي، مع أمم وشعوب إسرائيل ليفعلوا كل ما سبقت فعيَّنت يدك ومشورتك أن يكون، والآن يا رب!

انظر إلى تهديداتهم، وامنح عبيدك أن يتكلموا بكلامك، بكل مجاهرة، بمدِّ يدك للشفاء: ولْتَجْرِ آياتٌ وعجائب باسم فتاك القدوس يسوع، ولما صلَّوا، تزعزع المكانُ الذي كانوا مجتمعين فيه، وامتلأ الجميع من روح القدس، وكانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة» انتهى. وهذا كسابقه.

الشاهد السابع والثمانون: ما في ص١٧ - ف٢٢ من أعمال الرسل حكاية عن خطبة بولس ونصه: «وقال: أيها الرجال الأثينيون: أراكم من كل وجه، كأنكم متدينون كثيراً، لأنني بينما كنت أجتازُ وأنظر إلى معبوداتكم، وجدتُ أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه: الإلّه مجهول. فالذي تتقونه، وأنتم تجهلونه، هذا أنا أنادي لكم به، الإلهُ الذي خَلَقَ العالَمَ وكل ما فيه، هذا إذ هو رَبُّ السماء والأرض، لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي، ولا يُخْدَمُ بأيادي الناس كأنه محتاج إلى شيء» إلى آخر الخطبة، فقد صرح بأن رب السماء والأرض لا يسكنُ في هياكل، ولا يحتاج إلى خدمة.

والقولُ بالاتحادِ والتجسيد يُثْبِتُ الاحتياجَ إلى جميع ما يحتاجهُ البشر، والله مُنَزَّهٌ عن ذلك.

الشاهد الثامن والثمانون: قال بولس في رسالته إلى رومية ص١ - ف٨: «أولاً أشكر إلهي بيسوع المسيح» وفي ف٩: «فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه» وفي ف١٦: «لأني لست أستحي بإنجيل المسيح، لأنه قوة الله للخلاص» وفي ف١٩: «إذ معرفة الله ظاهرة فيهم، لأن الله أظهرها لهم، لأن أموره غير المنظورة ترى، منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته» وفي ف٢٥: «الذين استبدلوا حَقَّ الله بالكذبِ، واتقوا، وعبدوا المخلوقَ دون الخالق الذي هو مبارك إلى الأبد آمين» انتهى.

وهذا أيضاً صريح في التوحيد، ومُبْطِلٌ للتثليث والاتحاد والتجسيد.

الشاهد التاسع والثمانون: قال بولس في رسالته إلى رومية ص٢ - ف١٦: «في اليوم الذي فيه يدينُ الله سرائرَ الناس حسب إنجيلي بيسوع المسيح» فقد ثبت أن الدينونة بيد الله تعالى، وتبين أيضاً أن عيسى غير الله.

الشاهد التسعون: قال بولس فيه ص٣ - ف٢١: «وأما الآن فقد ظهر بِرُّ الله بدون الناموس، مشهود له من الناموس والأنبياء، برُّ الله بالإيمان بيسوع المسيح» إلى أن قال في ٢٩ منه: «أَمِ اللهُ لليهود فقط، أليس للأمم أيضاً، بل للأمم أيضاً، لأن الله واحد».

الشاهد الواحد والتسعون: قال بولس في رسالته المذكورة ص٤ - ف٢٤: «نؤمنُ بِمَنْ أقام يسوع ربنا من الأموات» ويكفينا هذا الإقرار بأن المسيحَ ميتٌ، واللهُ أحياه.

الشاهد الثاني والتسعون: قال بولس في ص٦ - ف٤ من رسالته إلى أهل رومية أيضاً: «أُقيمَ المسيحُ من الأمواتِ بمجدِ الآب» وقال في ص٧ - ف١١: «فالذي أقام المسيح من الأموات، سيحيي أجسادكم».

الشاهد الثالث والتسعون: إلى أن قال - ف١٤: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله» إلى أن قال ف١٧: «فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح» وقد كشف بهذا النص الغطاء، وظهرتْ حقيقةُ الابن والآباء، وأنهم بهذا العنوان كعيسى، ورثة وأبناء الله، وهذا ظاهر.

الشاهد الرابع والتسعون: قال بولس أيضاً في رومية ص٨ - ف٢٦ «الروحُ نفسه يشفع فينا» وفي ف٢٧ منه: «بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين» إلى أن قال في ف٣٤ منه: «هو أيضاً عن يمينِ الله الذي أيضاً يشفع فينا».

انظر أيها العاقل - هداك الله - إن قديسكم هذا يُقِرُّ بلفظٍ فصيح أن عيسى عليه السلام غير الله، في الدنيا والآخرة، لأنه قال: يشفع، وهو عند الله من أهل

اليمين، وهذه هي الشفاعة أيضاً، بمشيئة الله، وفي رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس بص١ ف٤ قال: «أشكر إلهي في كل حين، من جهتكم، على نعمةِ الله المُعطاةِ لكم في يسوع المسيح».

الشاهد الخامس والتسعون: قال فيها - ص٦ ف١٤: «الله قد أقام الرب، وسيقيمنا نحن أيضاً بقوته» انتهى.

فلا فرق بين المسيح وسائر الناس، من حيث تعلق القدرة الإلهية بهم.

الشاهد السادس والتسعون: قال فيها أيضاً بص١١ - ف٣: «إن رأسَ كلِّ رجل هو المسيح، وأما رأس المرأة فهو الرجل، ورأس المسيح هو الله».

وهذا صريح في أن النساء دون الرجال، ورأس الرجال هو المسيح، والمسيح دون الله، واللهُ تعالى فوق كل شيء، ومالكُ كل شيء، وخالقُ كل شيء، والمسيحُ عبدٌ من عبيد الله تعالى المقربين.

الشاهد السابع والتسعون: قال القديس بولس في رسالته الثانية إلى كورنثوس ص١٣ - ف٤: «وإنْ كان قد صُلِبَ من ضعف، لكنه حيٌّ بقوة الله، فنحنُ أيضاً ضعفاء فيه، لكننا سنحيا معه بقوة الله».

وهذا أيضاً صريحٌ في أن المسيح كسائر الخلق، يحيا بقوة الله تعالى كما يحيون، وأن الله هو الإلهُ الواحد، بائنٌ عن خلقه، ليس كَمِثْلِه شيءٌ، وهو السميعُ العليم.

الشاهد الثامن والتسعون: قال بولس في رسالته إلى غلاطيا ص١ ف٣: «سلامٌ من الله الأب، ومن ربنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجل خطايانا، لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادةِ الله وأبينا الذي له المجدُ إلى الأبد آمين».

وهذا أيضاً صريح في كون المسيح عبداً لله ورسولاً له، كسائر الأنبياء عليهم

الصلاة والسلام، وقد بذل نفسه في خلاصِ الناس لمرضاةِ الله، عَزَّ وجل، فاللهُ رَبُّه، وهو عبدُه الصادقُ في خدمته.

قال بولس في رسالته الأولى إلى تيموتاوس - ص٢ - ف٥: «لأنه يوجد إلهٌ واحد ووسيطٌ واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح» انتهى.

وهذا من أصرح الصريح على كون الإله واحداً والمسيح عبداً ورسولاً، وواسطة بين الخالق والخلق، كسائر الأنبياء عليهم السلام. وإذا كان المسيح غير الله وواسطة بينه وبين الناس، فكيف يكونُ عينَ الله، ويُدَّعى فيه الحلول والاتحاد!؟

الشاهد التاسع والتسعون: كان من عادة المسيح عليه السلام أن يُعَبِّرَ عن نفسه بابن الإنسان غالباً، وهذه الأناجيل الأربعة تثبت ذلك، كما في إنجيل متى بص٨ ف٢٠ وص٩ ف٦ - وص١٦ ف١٣ و٢٧ وص١٧ ف٩ و١٢ وف٢٢ وفي١٨ ف١١ وفي ص١٩ ف٢٨ وفي ص٢٠ ف١٨ و٢٠ وفي ص٢٤ ف٢٧ وفي ص٢٦ ف٢٤و٤٥و٦٤ وهكذا إنجيل مرقس ولوقا ويوحنا، وظاهرٌ أن ابن الإنسان لا يكون إلا إنساناً، وتكرارُ هذا التعبير عن نفسه، ليُشهد اللهَ والناسَ بأنه لم يَدَّعِ الألوهية، بل نفى أن يكون ابنَ الله حقيقة كما تزعمُ النصارى، حتى قيد نفسه ورسله حين أرسلهم إلى بني إسرائيل، بأنه مُرْسَل إلى بني إسرائيل، كما مر بحثه مكرراً.

الشاهد المائة: قال بولس في رسالته إلى العبرانيين في ص١ ف١ ما نصه: «الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً، بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء» إلى أن قال مخاطباً للمسيح عليه السلام في ف٩: «أحببت البِرَّ، وأبغضتَ الإثم، من أجل ذلك مَسَحكَ الله إلهك، بزيتِ الابتهاج، أكثر من شركائك» انتهى.

وهذا الإصحاح من أوله إلى آخره ينادي بأن عيسى مسيح الله ورسوله، من أنبياء بني إسرائيل، لأنه قال: مسحكَ الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك. وأراد بالشركاء بقية أنبياء بني إسرائيل، فلو كان هو الإله، لما جاز أن يكونَ له شركاء، فهو عبدُ الله ورسوله.

الشاهد المئة والواحد: قال بولس فيها ص٥ ف٥: «كذلك المسيح أيضاً لم يُمَجِّدْ نفسه، ليصير رئيسَ كهنة، بل الذي قال له: أنت ابني أنا اليوم ولدتك.

كما يقول أيضاً في موضع آخر: أنت كاهن إلى الأبد على رتبت ملكي صادق الذي في أيام جسده، إذ قام بصراخٍ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر، أنْ يُخَلِّصه من الموت، وسمعَ له من أجلِ تقواه» انتهى.

ويفهم منه ثلاثة أمور.

الأول: أن عيسى عليه السلام لم يكن ابنَ الله حقيقةً، بل مجازاً، لقوله: وأنا اليوم ولدتك، لأن الله تعالى لا يولَدُ منه ولد حقيقة.

الثاني: قوله: أنتَ كاهنٌ إلى الأبد، والكاهنُ لا يكون إلهاً.

الثالث: دعاؤه وتضرعه إلى الله تعالى أن يخلصه من كيد اليهود، والله تعالى تَقبَّلَ دعاءه، وطَهَّرهُ من اليهود، ورفعه إليه مبجلاً. كل ذلك دليل عبوديته وعدم ألوهيته.

الشاهد الثاني بعد المئة: قال بطرس قريب وفاته في رسالته الثانية ص١ - ف١٦: «لأننا لم نتبع خرافات مصنعة إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا مُعاينينَ عظمته، لأنه أخذَ من الله الأبِ كرامةً ومجداً، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سُررتُ به، ونحن سمعنا هذا الصوتَ مقبلاً من السماء، إذ كنا معه في الجبل المقدس،

وعندنا الكلمة النبوية، وهي أثبت التي تفعلون حسناً، إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم، إلى أن ينفجر النهار، ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم عالمين هذا أولاً، أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص، لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسيون مَسُوقين من الروح القدس» انتهى.

أقول: إن هذه الوصية من بطرس الوصي، كانت في آخر عمره، وفيها كشفَ الغطاء، وكذَّبَ كافة ما قيل في عيسى من الافتراء، فصرَّحَ بأنه نبيٌّ كريم، أعطاه الله مجداً وكرامة، فهو غير الله تعالى، وعَبَّرَ عنه بالسراج المنير، لاهتداءِ الناسِ بنوره. وقوله: إلى أن ينفجر النهار، ويطلع كوكب الصبح، إشارة إلى خاتم الأنبياء، صلى الله عليه وسلم، كما لا يَخْفَى على النصف.

الشاهد الثالث بعد المئة: قال يوحنا الإنجيلي في رسالته الأولى في ص٢ - ف١ ما لفظه: «إن أخطأ أحد، فلنا شفيعٌ عند الأب يسوع المسيح البار» انتهى.

فقد جعل المسيحَ شفيعاً للأمة عند الله تعالى، ولا شكَّ أنَّ الشفيعَ هو غير المشفوع عنده، فلا حلولَ ولا اتحاد.

الشاهد الرابع بعد المئة: ثم قال يوحنا فيها بص٣ - ف٨: «من يفعل الخطيئة فهو من إبليس، لأن إبليس من البدء يخطىء، لأجل هذا أظهر ابن الله، لكي ينقضَ أعمالَ إبليس، كل مَن هو مولود من الله، لا يفعل خطيئةً، لأن زرعه يَثبتُ فيه، ولا يستطيع أن يخطىء، لأنه مولودٌ من الله، بهذا أولاد الله ظاهرون، وأولاد إبليس كل مَنْ لا يفعل البر، فليس من الله» انتهى.

فقد أبطلَ كونَ عيسى ابنَ الله حقيقةً، حيث جعل لله أولاداً كثيرين، فالمراد بهم: الأبرار ومن جملتهم المسيح عليه السلام، وأما الفجار فيقال لهم: أبناء إبليس، لأنهم يعملون بعمله.

الشاهد الخامس بعد المئة: قال في ص١٣ - ف٣٣ من لوقا ما نصه: «ينبغي أن أسير اليوم وغداً وما يليه، لأنه لا يمكن أن يهلك نبيٌّ خارجاً عن أورشليم، يا أورشليم! يا أورشليم يا قاتلةَ الأنبياء وراجمة المرسلين» انتهى.

فهذا من المسيح، عليه السلام، إعلانٌ بأنه نبيٌّ مُرْسَلٌ عبداً لله، عز وجل، وتأبى النصارى إلا القول بألوهيته، والعياذ بالله تعالى.

الشاهد السادس بعد المئة: قال عيسى عليه السلام في لوقا ص٤ - ف٤٣ ما لفظه: «فقال لهم: إنه ينبغي لي أن أبشر المدن الأُخَر أيضاً بملكوت الله، لأني لهذا قد أُرسِلت» وهذا تصريحٌ برسالته أيضاً.

الشاهد السابع بعد المئة: قال المسيح في يوحنا ص٨ - ف١٦ ما نصه: «وإن كنت أنا أدين، فدينونتي حق، لأني لست وحدي، بل أنا والأب أرسلني. وأيضاً في ناموسكم مكتوب، أن شهادة رجلين حق، أنا هو الشاهدُ لنفسي، ويشهدُ لي الأبُ الذي أرسلني» انتهى.

فانظر إلى قوله: لست وحدي، بل أنا والأب. وإلى قوله: أنا الشاهد، ويشهدُ لي الأب، ومع هذا التصريح يجعلون الثلاثة واحداً، ويتشبثون بالمحال، لإثبات هذا الضلال.

الشاهد الثامن بعد المئة: قال المسيح عليه السلام في يوحنا ص١٤ - ف٢٨: «أبي أعظم مني» ففيه أيضاً نفيٌ لألوهيته، لأن الله ليس كمثله شيء.

الشاهد التاسع بعد المئة: قال بولس في رسالته الأولى إلى كورنثوس ص١٥ - ف٢٨: «ومتى أخضعَ له الكُلَّ، فحينئذٍ الابنُ نفسه أيضاً سيخضعُ للذي أخضعَ له الكُل» وهو صريح في عبوديةِ المسيح عليه السلام، حيث جعله خاضعاً لله تعالى، والخضوعُ من المخلوقِ والعبد، لا الإله، والخاضعُ غير المخضوع له، كما لا يخفى.

الشاهد العاشر بعد المئة: قال في إنجيل يوحنا عن إحياء لعاذر في ص١١ - ف٣٢ ونصه: «مريم لما أتت إلى حيث كان يسوع، ورأته، خرت عند رجليه قائلة له: يا سيد! لو كنت ههنا، لم يَمُتْ أخي، فلما رآها يسوع تبكي، واليهود جاؤوا معها يبكون، انزعج بالروح، واضطرب، وقال: أين وضعتموه؟ قالوا له: يا سيد! تعال، وانظر، بكى يسوع، فقال اليهود: انظروا كيف كان يحبه» انتهى.

فقوله: انزعج بالروح، يُبْطِلُ القولَ بلاهوتيته قطعاً، لأنه ليس له روحان، بل روح واحدة، وهي التي انزعج بها، والإله أيضاً لا يجوز أن يبكي، لأن البكاء من آثار الضعفِ والعجزِ، وذلك ينافي الألوهية.

الشاهد الحادي عشر بعد المئة: وهو خاتمة الشواهد، قال في كتاب «مرشد الطالبين»، في الفصل الرابع عشر، من الجزء الثاني، في صحيفة ٣١٦ من النسخة المطبوعة سنة ١٨٤٠ ميلادي، في مدينة فالته، ما هو نَصُّه: «وقد يكشف الكتاب المقدس وحده بالتفصيل، أن الله الحي السرمدي هو واجبُ الوجود، وأن له عناية جامعة، وكمال أبدي، ويثبت ويعلن ناموسه المقدس بأنه قاعدة فرض آدابي لخلقه العاقل، ويهدد بدينونة جامعة مستأنفة، يجازي فيها جميع البشر على مقتضى جميع أفعالهم» إلى أن قال في الصحيفة المذكورة أيضاً، وخلاصته: «بواسطة ربنا يسوع المسيح الشفيع الواحد بين الله والناس، ويرسل عليه فارقليطاً مقدساً آخر، لينيرَ عقلَ الإنسان، لكونه مظلم، أو يطهر قلبه كونه فاحش»[١] انتهى.

انظر - هداك الله - إلى شهادة هذا الفاضل المنصف، وهو من كبار رؤساء المسيحيين وأعاظم علمائهم المتبحِّرين، فقد أقرَّ، بصراحةِ اللفظ، بأن الإنجيل ينادي بالله الحي السرمدي واجب الوجود، وأن عيسى عليه السلام شفيعٌ ووسيطٌ

---

(١) وردت في الفقرة أخطاء نحوية، أثبتناها كما هي.

بين الله وبين الناس، وأحكام التوراة واجبة على النصارى، ويجازى بها جميع البشر.

وصرح أيضاً بمجيء فارقليط آخر، أي رسول غيره، لكي ينير عقول الناس، ويطهر قلوبهم، ويكشف الظلام عن أعينهم التي هي أوصافُ خاتمِ الأنبياء، وحركاته كما ذكره وفعل، كما قال آنفاً، فهل بعد هذا التصريح تثليثٌ أو جحودٌ أو شرك أو حلولٌ أو بنوة أو صلب أو غفران أو تجسد كلمة؟!

هذا ولو أردنا استقصاء الشواهد الدالة على عبودية المسيح عليه السلام ورسالته، ونفي الربوبية عنه من الكتب المقدسة، لطالَ الكلامُ، وما ذكرناه كافٍ لذوي الأفهام، وقد رأيتُ في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لشيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالى فصلاً شافياً في هذا الباب، وكلاماً وافياً بالدلالة إلى طريق الصواب، فآثرت نقله، لينتفع به طالبُ الحق من أولي الألباب، قال رضي الله عنه.

فصل

قالوا «أي النصارى»

وقد علمنا أنه لا يلزمنا، إذا قلنا: الإنسان ونطقه وروحه ثلاثة أناسي، بل إنسان واحد، ولا إذا قلنا: لهيب النار وضوء النار وحرارة النار ثلاثة نيران، ولا إذا قلنا قرص الشمس وضوء الشمس وشعاع الشمس ثلاثة شموس، وإذا كان هذا رأينا في الله، تقدست أسماؤه، وجلت آلاؤه، فلا لوم علينا ولا ذنب لنا، إذ لم نهمل ما تسلمناه، ولا نرفض ما تقلدناه، ونتبع ما سواه، ولا سيما لنا هذه الشهادات البينات والدلائل الواضحات، من الكتاب الذي أتى به هذا الرجل.
والجواب من وجوه.

أحدها: أنكم صرحتم بتعدد الآلهة والأرباب، في عقد إيمانكم، وفي

استدلالكم، وغير ذلك من كلامكم، فليس ذلك شيئاً ألزمكم الناسُ به، بل أنتم تصرحون بذلك، كما تقدم من قولكم: نؤمنُ بإلهٍ واحد أب ضابط الكل خالق ما يُرى وما لا يُرى، وبربٍّ واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد. ولو لم تذكروا ما يقتضي أنه جوهرٌ آخر، لأمكنَ أن يُحْمَلَ كلامكم على عطفِ الصفةِ على الصفة، لكن كان يكون كلامكم أعظم كفراً، فتكونون قد جعلتم المسيحَ هو نفس الإله الواحد الأب خالق ما يرى وما لا يرى، وهذا أعظم من كفركم، مع أن هذا حقيقة قولكم، فإنكم تقولون: المسيح هو الله، وتقولون: هو ابن الله، كما ذكر الله القولين عنكم في كلامه وكَفَّركم بذلك.

وليس هذا قول طائفة، وهذا قول طائفة، كما يقوله بعضُ الناس، بل القولان جميعاً تقولهما فرقُ النصارى كالنسطورية واليعقوبية والملكية ونحوهم، وهذا أيضاً من تناقضكم، فإنه إنْ كان هو الله، لم يكنْ هو ابن الله، سواء عبر بالابن عن الصفة أولاً، فإن الأب هو الذات، والذات ليست هي الصفة، وإن عنى بالابن الذات، مع صفة الكلام، كما يفسرون الأقنوم بذلك، فهذه الذات متصفة، مع ذلك، بالحياةِ والكلام، سواء عنوا به العلمَ أو البيانَ، مع العلم هو مع الحياة قائم بالأب، والصفة ليست عين الموصوف، بل ولا يعبر عنها بأنها ابن الموصوف، ولا عبر بذلك أحد من الأنبياء عليهم السلام.

والمقصود أنهم لم يريدوا بقولهم: «وبربٍ واحد يسوع المسيح» عطف الصفة، فإن هذا أي يسوع المسيح هو الأب كما قال: إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب، فهذا إلهٌ واحد، والعطف لتغاير الصفة، فلو كان المراد بالابن نفس الأب، لكان هذا خلاف مذهبهم، ويكونون قد جعلوه إلهاً من نفسه، فقالوا: إلّهان، بل ثلاثة، وهو واحد، فهذا لو أرادوه، لكان أعظم في الكفر، بل قالوا: وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه مولود غير مخلوق.

فصرحوا بأنه رب، وأنه إله حق من إله حق، فصرحوا بأنه ثانٍ مع الإله الأول.

وقالوا مع ذلك: إنه مولودٌ من الأب قبلَ كلِّ الدهور، وأنه مولود غير مخلوق، فامتنع أن يريدوا بذلك الناسوت، فإنَّ الناسوتَ مخلوقٌ، وهم يقولون: الكلمةُ هي المتولِّدة من الأب، والكلمةُ صفة المتكلم، وقائمة به، والكلامُ ليس بربٍّ ولا إله، بل هو كلام الرب الإله، كما أن سائرِ كلام الله كالتوراةِ والإنجيل والقرآن، ليس هو الرب والإله.

ثم قلتم: مساو للأب في الجوهر، فاقتضى هذا أن يكون المولود الذي هو الكلمة جوهراً، وأنه مساو للأب في الجوهر، والمساوي ليس هو المساوى به(١) وهذا يقتضي إثبات جوهر ثان مساو للجوهر الأول، وهو صريح بإثبات إلهين، ويقولون مع ذلك، إنه إله واحد جوهر واحد، ولا يقال الجوهر مع العلم الذي يعبرون عنه بالأقنوم مساو للجوهر الذي هو الذات، فإنَّ الجوهرَ هو الذات، وليس هنا جوهر أن أحدهما مجرد عن العلم والآخر مُتَّصِفٌ به، حتى يقال: إن أحدهما مساوٍ للآخر، بل الرب تعالى هو الذاتُ المتصفةُ بالعلم، فإنْ كان الأب هو الذات المجردة، فالابن أكمل من الأب، وهو الذاتُ مع العلم، والأبُ بعضُ الابنِ، وكذلك يلزمهم أن يكون الابن هو بعض روح القدس، فإنهم، في أمانتهم، جعلوا روحَ القُدُس هو الربّ المحيي، والرب المحيي هو الذات المتصفة بالحياة، والذات المجردة بعض ذلك، فإن كان الأب هو الذات المجردة، فالابن بعض روح القدس.

ثم قلتم في أقنوم روح القدس الذي جعلتموه الرب المحيي: إنه منبثق من الأب، مسجود له، مُمَجَّدٌ ناطق في الأنبياء، فإن كان المنبثق رباً حياً، فهذا

---

(١) يقتضي السياق وجود كلمة (به) بعد المساوي.

إثبات إلهٍ ثالث، وقد جعلتمُ الذاتَ الحية منبثقة من الذات المجردة، وفي كلٍّ منهما من الكفرِ والتناقضِ ما لا يخفى، ثم جعلتم هذا الثالث مسجوداً له، والمسجود له هو الإله المعبود، وهذا تصريحٌ بالسجودِ لإلهٍ ثالث، مع ما فيه من التناقض، ثم جعلتموه ناطقاً في الأشياء، وهذا تصريحٌ ثالث بحلولِ هذا الأقنوم بجميع الأنبياء، فيلزمكم أن تجعلوا كل نبيٍّ مركباً من لاهوت وناسوت، وأنه إلٰه تام وإنسان تام، كما قلتم في المسيح، إذ لا فرق بين حلولِ الكلمةِ وحلولِ روح القدس، كلاهما أقنوم.

وأيضاً فيمتنع حلول إحدى الصفتين دون الأخرى، وحلول الصفة دون الذات، فيلزم أن يكون الإله الحي الناطق بأقانيمه الثلاثة حالاً في كل نبيٍّ، ويكون كل نبيٍّ ربَّ العالمين، ويقال مع ذلك: هو ابنه، وفي هذا من الكفرِ الكثيرِ والتناقضِ العظيم ما لا يخفى، وهذا لازمٌ للنصارى لزوماً، لا مَحِيدَ عنه، فإن ما ثبتَ للشيءِ، ثبتَ لنظيرِه، ولا يجوز التفريق بين المتماثلين.

وليس لهم أن يقولوا: الحلولُ والاتحاد في المسيح، ثَبَتَ في النص، ولا نَصَّ في غيرِه لوجوه.

أحدها: أن النصوص لم تدل على شيء من ذلك، كما قد بين.

الثاني: أن في غير المسيح من النصوص ما شابه النصوص الواردة فيه، كلفظ الابن، ولفظ حلول روح القدس فيه، ونحو ذلك.

الثالث: إن الدليل لا ينعكس، فلا يلزم من عدم الدليل المُعَيَّن عدم المدلول، وليس كل ما علمه الله وأكرم به أنبياءه، أعلَمَ به الخلق، بنصٍّ صريح، بل من جملة الدلالات دلالة الالتزام، وإذا ثبت الحلول أو الاتحاد في أحد الشيئين، لمعنى مشترك بينه وبين الشيء الآخر، وجب التسوية بين المتماثلين، كما إذا ثبت أن النبي يجب تصديقه، لأنه نبيٌّ، ويكفر من كذبه، لأنه نبيٌّ، فيلزم من

ذلك أنه يجب تصديقُ كُلِّ نبيٍّ، وتكفير كل من كذبه.

الرابع: هَبْ أنه لا دليل على ثبوت ذلك في الغير، فيلزم تجويز ذلك في الغير، إذ لا دليلَ على انتفائه، كما أن ذلك كان ثابتاً في المسيح، قبل إظهار الآيات، على قولهم، وحينئذ فيلزمهم أن يجوّزوا في كل نبيٍّ أن يكون الله قد جعله إلهاً تاماً وإنساناً تاماً كالمسيح، وإن لم يعلم ذلك.

الخامس: أنه لو لم يقع ذلك، لكنه جائز عندهم، إذ لا فرق في قدرة الله بين اتحاده بالمسيح واتحاده بسائر الآدميين، فيلزمهم تجويز أن يجعل الله كل إنسان إلَهاً تاماً، وإنساناً تاماً ويكون كل إنسان مركباً من لاهوت وناسوت، وقد تقرب إلى هذا اللازم الباطل مَنْ قال بأن أرواح بني آدم من ذات الله، وأنها لاهوت قديم أزلي، فيجعلون نصف كل آدمي لاهوتاً ونصفه ناسوتاً، وهؤلاء يلزمهم من المحالات أكثر مما يلزم النصارى، من بعض الوجوه، والمحالات التي تلزم النصارى أكثر، من بعض الوجوه.

الوجه الثاني: قولهم: ولا يلزمنا إذا قلنا هذه العبارة ثلاثة آلهة، بل إله واحد، كما لا يلزمنا إذا قلنا: الإنسان وروحه ونطقه ثلاثة أناسي، ولا إذا قلنا النار وحرها وضوؤها ثلاث نيران، ولا إذا قلنا: الشمس وضوؤها وشعاعها ثلاث شموس، فيقال: هذا تمثيل باطل، لوجوه:

أحدها: أن حر النار وضوءها القائم بها، ليس ناراً من نار، ولا جوهراً من جوهر، ولا هو مساوٍ للنار والشمس في الجوهر، وكذلك نُطْق الإنسان، ليس هو إنساناً من إنسانا، ولا هو مساو للإنسان في الجوهر، وكذلك الشمس وضوؤها القائم بها، وشعاعها القائم بها، ليس شمساً ولا جوهراً قائماً بنفسه. وأنتم قد قلتم: إلهٌ حَقٌّ من إله حقٍّ، فقلتم في الأمانة: نؤمن بإلّه واحد أب ضابط الكل، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، من جوهر أبيه، وأنه مساوٍ للأب في

الجوهر. وقلتم في روح القدس: إنه مسجود له ممجد، فأثبتّم ثلاثة أرباب.

والثاني: أن الضوء في الشمس والنار يراد به نفس الضوء القائم بهما، ويراد به الشعاع القائم بالأرض والجدران، فهذا مباينٌ لهما، ليس قائماً بهما. ولفظ النور يُعَبَّرُ به عن هذا وهذا، وكلاهما صفةٌ قائمة بغيرها، وعَرَض، وقد يراد بلفظ النور نفس النار ونفس الشمس والقمر، فيكون النور جوهراً قائماً بنفسه، فإذا كان كذلك، فهم جعلوا الأب رباً جوهراً قائماً بنفسه، وروح القدس رباً قائماً بنفسه، فإذا كان كذلك، فهم جعلوا الأب رباً، ومعلومٌ أن ضوءَ النار والشمس وحرارتهما ليس كل منهما شمساً وناراً قائمة بنفسها، ولا جوهراً قائماً بنفسه، فلو أثبتوا حياة الله وعلمه وكلامه صفتين قائمتين به، ولم يجعلوا هذا رباً جوهراً قائماً بنفسه، وهذا رباً جوهراً قائماً بنفسه، لكان قولهم حقاً، وتمثيلهم مطابقاً، ولكنهم لم يقتصروا على مجرد جعلهما صفتين لله، حتى جعلوا كلاً منهما رباً وجوهراً وخالقاً، بل صرحوا بأن المسيح الذي يزعمون اتحاد أحدهما به إلَه وخالق، فلو كان نفس كلمة الله وعلمه، لم يكن إلهاً خالقاً، فإنَّ كلامَ الله وعلمه ليس إلهاً خالقاً، فكيف والمسيح مخلوقٌ بكلمةِ الله، ليس هو نفس كلمة الله.

الوجه الثالث: أن قولهم الشمس وشعاعها وضوؤها، إن أرادوا بالضوء ما يقوم بها، وبالشعاع ما ينفصل عنها، فليس هذا مثال النار وحرها ولهيبها، إذ كلاهما يقومُ بها، وعلى هذا فالشمسُ لم يقمْ بها إلا صفة واحدة، لا صفتان، فلا يكون التمثيل بها مطابقاً. وإن أرادوا بالضوء الشعاعَ، وكلاهما ما يقوم بها، أو كلاهما ما ينفصل عنها، فكلاهما صفة واحدة، ليس هما صفتين كالحياة والعلم، فعلم أن تمثيلهم بالشمس خطأ، وبعضهم يقول: الشمس وحرها وضوؤها، كما يقولون مثل ذلك في النار، وهذا التمثيلُ أصح، لو ثبت أن في جِرم الشمس حرارة، يقوم بها، فإن هذا لم يقم عليه دليل، وكثير من العقلاء

ينكره، ويزعم أن جِرم الشمس والقمر والكواكب لا تُوصَفُ بحرارةٍ ولا ببرودة، وهو قول أرسطو وأتباعه، وأما تمثيلهم بروح الإنسان ونُطْقه، فإن أرادوا بالروح حياته، فليس هذا هو مفهوم الروح، وإن أرادوا الروح التي تفارق بدنه بالموت، وتسمى النفس الناطقة، فهذه جوهر قائم بنفسه، ليس عرضاً من أعراضه، وحينئذ فيلزم أن يكون روح الله جوهراً قائماً بنفسه، مع جوهر آخر نظير بدن الإنسان، ويكون الرب مركّباً من بدنٍ وروح كالإنسان، وليس هذا قول أهل الملل، لا المسلمين ولا اليهود ولا النصارى، فتبين أن تمثيلهم بالثلاثة باطل.

الوجه الرابع: أن التمثيل إما أن يقع بصفات الشمس والنار والإنسان، أو النفس القائمة بهذه الجواهر، أو بما هو مباينٌ لذلك، كالضوء الذي يقع على الأرض والحيطان والهواء، وغير ذلك من الأجسام، إذا قابلت الشمس أو النار، فإن أُريدَ هذا، فهذا الشعاعُ منعكس، وهو منقلب، وليس هو صفة قائمة بالشمس والنار، وإذا أريد بما حَلَّ في المسيح هذا، وهذا يسمى نوراً وروحاً، ويسمى نور الله، كما قال تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النور] وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى] فأخبر أنه جعل الروح الذي أوحاه نوراً يهدي به مَنْ يشاء. وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [النساء] وقال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [آل عمران] وقال تعالى: ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد] وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النور] فإذا أُريدَ ما حلَّ في المسيح من الروح والكلمة، بهذا المعنى، فلا اختصاصَ للمسيح بذلك، فإن هذا يحل في جميع الأنبياء والمؤمنين، وإن كانوا متفاضلين فيه بحسب درجاتهم، وليس هذا الحالُّ فيهم

نفسَ صفة الله القائمة به، وإنْ كان ذلك حاصلاً عنها ومسبباً عنها، لكن ليس هو نفس صفة الله، وإن كان من الناس من يقول: بل صفة الله التي اتصف بها، حَلَّتْ في العبد، فهذا القول خطأ، فإن صفة الموصوف القائمة به، يمتنعُ قيامها بعينها بغيرِه، ولكن الإنسان إذا تعلم عِلْمَ غيره، وبلّغ علم غيره، يقال: هذا علم فلان وكلامه، لأن هذا الثاني بلّغه عنه، والمقصود: هو علم الأول وكلامه، مع العلم بأن نفس ما قام بذاتِ الأول ليس هو عين ما قام بذاتِ الثاني، وإنْ كان مثله، وقد يكون الأول هو المقصود بالثاني، مثل من بلّغ كلام غيره، فكلام المبلغ هو المقصود بالتبليغ، وصفات المبلّغ كحركته وصوته، بها يحصل التبليغ، وليس هو نفس المقصود، وإذا قيل: هذا كلام المبلّغ عنه، فالإشارة إلى حقيقة الكلام المقصود بالتبليغ، لا إلى ما يختص به المبلّغ من أفعاله وصفاته، ولهذا يُشَبِّهُ الناسُ مَنْ قال بحلول صفة الرب في عبده بالنصارى القائلين بالحلول، وهو شبيهٌ بهم من بعض الوجوه، لكن النصارى لا يقولون بحلولِ صفةٍ مجردة، بل بحلولِ الأقنوم الذي هو ذات متصفة بالصفة.

ويقولون: إن المسيحَ خالقٌ ورازق، وهو خالقُ آدم ومريم، وهو ولد آدم ومريم، وهو خالقٌ لهما بلاهوته، ابنٌ لهما بناسوته، ويقولون: هو ابنُ الله، وهو اللهُ بلاهوتِه، ويقولون أيضاً باللاهوت والناسوت، لأجل الاتحاد، والله كَفَّرهم بقولهم: إن الله هو المسيح بن مريم ونحو ذلك.

وإن أرادوا بتمثيلهم بصفات الشمس والنار والنفس التمثيلَ بنفس ما يقومُ بالشمس والنار والنفس، من الضوء والحياة والنطق، وجعلوا ما يثبتون من الأب والابن وروح القدس صفات الله، كما أن هذه صفات لهذه المخلوقات، قيل لهم أولاً: لم يُعَبِّرْ أحدٌ من الأنبياء، عليهم السلام، عن صفات الله باسم الابن وروح القدس، فليس لكم، إذا وجدتم في كلام المسيح عليه السلام أو غيره من الأنبياء ذِكْرَ الإيمان بالأب والابن وروح القدس، أن تقولوا: مرادهم بذلك صفة الله التي

هي الكلمةُ والعلم، ولا حياة الله، إذ كانوا لم يريدوا هذا المعنى بهذا اللفظ، وإنما أرادوا باسم الابن وروح القدس ما هو بائنٌ عن الله عز وجل، والبائنُ عن الله ليس صفة الله، فضلاً عن أن يكون هو الخالق، فضلاً عن أن يكون البشر المتحد به خالقاً، فقد ضللتم ضلالاً بعد ضلال ضلالاً، حيث جعلتم الصفةَ خالقاً ورباً، ثم ضلالاً ثالثاً حيث جعلتم الصفة تَتَّحِدُ بِبَشَرٍ، هو عيسى، ويسمى المسيح، ويكون هو الخالق رب العالمين، فضلَلْتم في الحلولِ ضلالاً مثلثاً بعد ضلالكم في التثليث أيضاً ضلالات أُخَر، حيث أثبتم ثلاث صفات دون غيرها، وجعلتموها جواهر أرباباً، ثم قلتم إلّه واحد، فضللتم ضلالاً مثلثاً في التثليث، وضلالاً مثلثاً في الاتحاد.

وقيل لكم ثانياً: إذا جعلتم ذلك صفات لله، كما أن الضوءَ والنُّطْقَ والحرارةَ صفاتٍ لما يقومُ بها، امتنع أن تحلَّ بغيرها، وامتنع مع الحلول أن تكون فاعلةً فِعْلَ النار والشمس والنفس، وأنتم جعلتم الكلمة والحياة حالّة بغير الله، وجعلتم ما تحل به إلّهاً خالقاً، بل هو الإله الخالق.

ومعلوم أن أحداً من العقلاء لا يجعل ما يحصل فيه ضوء النار ناراً، ولا ما يحصل فيه شعاع الشمس شمساً، ولا ما يحصل فيه نطق زيد وعلمه هو نفس زيد، فكان جعلكم المسيح هو الخالق للعالم مخالفاً لتمثيلكم، وتَبَيَّنَ بذلك أن ما ذكرتموه لا يطابقه شيءٌ من الأمثلة، إذ كان كلاماً باطلاً متناقضاً، يمتنع تَحقُّقه، فلا تمثيل بشيء من الموجودات الثابتة المعلومة، إلا كان تمثيلاً غير مطابق.

ولهذا يشبهون الحلول والاتحاد تارة بحلول الماء في الظرف، وتارة بحلول النار في الحديد، وتارة بالنفس والبدن، وتارة يقولون بأنهما جوهر واحد، اختلطا كاختلاطِ الماء واللبن، وكُلُّ هذه الأمثال التي ضربوها لله أمثالٌ باطلة، فإن الماء في الظرف وغيره من الأوعية محتاجٌ إلى وعائه، لو تَخَرَّقَ وعاؤه،

لتبدَّد، وهو محيطٌ، لا يتصف الظرفُ بشيءٍ من صفات الماء، والرب تعالى يمتنع أن يحتاج إلى شيءٍ من مخلوقاته، لا إلى العرشِ ولا إلى غيره، أو يحيط به شيء من الموجوات، إذ هو الظاهر، فليس فوقه شيء، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال «أنت الأولُ فليسَ قبلكَ شيءٌ، وأنت الآخِرُ فليس بعدك شيء، وأنت الظاهرُ فليس فوقك شيء، وأنت الباطنُ فليس دونك شيء»[1] فهو غني عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقيرٌ إليه، ولهذا لم يكن ما وصف به نفسه مماثلاً لصفاتِ المخلوقين، كما لم تكن ذاته كذواتِ المخلوقين، فهو مستوٍ على عرشه، كما أخبر عن نفسه، مع غِناهُ عن العرش، والمخلوق المستوي على السرير أو الفلك أو الدابة، لو ذهب ما تحته، لسقَطَ، لحاجته إليه، والله غنيٌّ عن كلِّ ما سواه، وهو الحاملُ للعرش، ولحَمَلةِ العرش.

وفرق النصارى الثلاثة يقولون بالاتحاد، فلا ينفعهم التمثيلُ بحلولِ الماء في الظرف، ولو قُدِّرَ أنهم قالوا بالحلول المجرد، مع أن الرب لا يحتاج إلى الناسوت، بل كما خاطب موسى من الشجرة، فهذا يوجب أن الناسوت لا يتصف بشيء من الإلهية كالشجرة، ثم إنه معلوم بالضرورة أن الصوت الذي كان يسمع، هو صوت الناسوت، فالتمثيل بالشجرة أيضاً باطل، كما بُسط في موضعه.

وأما الحديد والخشب وغيرهما إذا أُلقيَ في النار، فإنه يستحيلُ ناراً، لاتصاله بالنار، لأن النار التي استحال لها، كانت موجودة، فحلَّتْ به، فهنا استحالة بلا حلول، والنار التي صارت في الحديد حادثة عن تلك النار ليست إياها، ثم تلك الحديدة إذا طُرِّقَتْ، وقع التطريقُ على النار، وكذلك إذا أُلقيت في الماء، فلو كان هذا تمثيلاً مطابقاً، لكان الضرب والإهانة وقع على اللاهوت، وكان اللاهوت هو الذي يغتسل بالماء، وهو الذي يأكل ويشرب،

---

(١)

وهذا من أعظم الكفر.

ويحكى عن بعض طائفة منهم كاليعقوبية، أنه يقول بهذا الكفر، وإنْ كان كثيرٌ منهم كالملكية والنسطورية يُنْكِرهُ، فهو لازم لهم، وكذلك إذا شَبَّهوه بالنفس والبدن، فإن النفسَ تتألمُ بتألُّمِ البدن، وتستحيل صفاتها بكونها في البدن، وتكتسب عن البدن أخلاقاً وصفات، فلو كان هذا تمثيلاً مطابقاً، لزم تألُّم اللاهوت بآلام البدن، وأن يكون متألماً بجوع البدن وعطشه وضربه وصلبه، وأن يكون مستحيلاً لما اكتسبه من صفات الناسوت الذي هو عندهم بمنزلة البدن للنفس. انتهى.

ولنختم هذا الإصحاح بمناظرات، وقعت بين الإمام الهمام الفخر الرازي، عليه الرحمةُ والرضوان، وبين بعض القسيسين بخوارزم، ولما كان نقلها لا يخلو من فائدة، أحببتُ نقلها.

قال قدس الله سره، في المجلد الثاني من تفسيره، في سورة آل عمران، تحت تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران] الآية: اتفق أني حين كنتُ بخوارزم، أُخبرتُ أنه جاء نصرانيٌّ يدَّعي التحقيق والتعمق في مذهبهم، فذهبتُ إليه، وشرعنا في الحديث، فقال لي: ما الدليلُ على نبوة محمد ﷺ؟ فقلت له: كما نُقِلَ إلينا ظهورُ الخوارق على يد موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء، عليهم السلام، نقل إلينا ظهور الخوارق على يد محمد ﷺ؟ فإن رددنا التواتر، أو قبلناه، لكن قلنا: إن المعجزة لا تدل على الصدق، فحينئذٍ بطلت نبوةُ سائر الأنبياء عليهم السلام؟ وإن اعترفنا بصحة التواتر، واعترفنا بدلالة المعجزة على الصدق، ثم إنهما حاصلان في حق محمد، ﷺ، وجبَ الاعترافُ قطعاً بنبوة محمد، عليه السلام، ضرورة، إذ عند الاستواء في الدليل، لا بد من الاستواء في حصول المدلول. فقال النصراني: لا أقولُ في عيسى عليه السلام أنه كان نبياً، بل أقول: إنه كان إلهاً، فقلت له: الكلام في

النبوة لا بد وأن يكون مسبوقاً بمعرفةِ الإله، وهذا الذي تقوله باطل، ويدل عليه أن الإله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته، يجب أن لا يكون جسماً ولا متحيزاً ولا عَرَضاً، وعيسى عبارة عن هذا الشخص البشري الجسماني الذي وُجد بعد أن كان معدوماً، وقتل بعد أن كان حياً، على قولكم، وكان طفلاً أولاً، ثم صار مترعرعاً، ثم صار شاباً، وكان يأكلُ ويشرب، ويُحْدِثُ وينام ويستيقظ، وقد تَقرَّرَ في بداهةِ العقول أن المحدَث لا يكون قديماً، والمحتاج لا يكون غنياً، والممكن لا يكون واجباً، والمتغير لا يكون دائماً.

والوجه الثاني: في إبطال هذه المقالة، أنكم تعترفون بأنَّ اليهودَ أخذوه وصلبوه، وتركوه حياً على الخشبة، وقد مزقوا أضلعه، وأنه كان يحتالُ في الهربِ منهم وفي الاختفاء عنهم، وحين عاملوه بتلك المعاملات، أظهر الجزعَ الشديدَ، فإنْ كان إلهاً، أو كان الإلهُ حالاًّ فيه، أو كان جزء من الإله حالاً فيه، فلِمَ لم يدفعهم عن نفسه، ولِم لمْ يُهلكهم بالكلية، وأي حاجةٍ به إلى إظهار الجزع منهم، والاحتيال في الفرار منهم؟ وبالله! إنني لأتعجب جداً أن العاقلَ كيف يليقُ به أن يقول هذا القول، ويعتقد صحته، فتكاد أن تكون بداهة العقل شاهدة بفساده.

والوجه الثالث: وهو أنه إما أن يُقالَ بأنَّ الإله هو هذا الشخص الجسماني المشاهد، أو يقال: حلَّ الإله بكليته، أو حَلَّ بعض الإله أو جزء منه فيه، والأقسام الثلاثة باطلة.

أما الأول: فلأن إله العالم لو كان هو ذلك الجسم، فحين قتله اليهود، كان ذلك قولاً بأن اليهود قتلوا إلَه العالم، فكيف بقيَ العالم بعد ذلك من غيرِ إلهٍ، ثم إن أشد الناس ذلاً ودناءة اليهود، فالإلهُ الذي تقتله اليهود إلهٌ في غاية العجز.

وأما الثاني: وهو أن الإله بكليته حَل في هذا الجسم، فهو أيضاً فاسد، لأن

الإله إن لم يكنْ جسماً ولا عَرَضاً، امتنع حلوله في الجسم، وإن كان جسماً، فحينئذٍ يكونُ حلولُه، في جسم آخر، عبارة عن اختلاط أجزائه بأجزاء ذلك الجسم، وذلك يوجب وقوع التفرق في أجزاء ذلك الإله، وإن كان عرضاً، كان محتاجاً إلى المحل، وكان الإله محتاجاً إلى غيره، وكل ذلك سخيف.

وأما الثالث: وهو أنه حلَّ فيه بعض من أبعاض الإله وجزء من أجزائه، فذلك أيضاً محال، لأن ذلك الجزء إن كان معتبراً في الإلهية، فعند انفصاله عن الإله، وجب أن لا يبقى الإله إلهاً، وإن لم يكن معتبراً في تحقيق الإلهية، لم يكن جزءً من الإله، فثبت فساد هذه الأقسام، فكان قول النصارى باطلاً.

الوجه الرابع، في بطلان قول النصارى: ما ثبت بالتواتر من أن عيسى عليه السلام كان عظيمَ الرغبةِ في العبادة والطاعة لله تعالى، ولو كان إلهاً لاستحال ذلك، لأن الإله لا يعبد نفسه، فهذه وجوهٌ في غاية الجلاء والظهور دالة على فساد قولهم.

ثم قلت للنصراني: وما الذي دَلَّكَ على كونه إلهاً؟ فقال: الذي دل عليه ظهور العجائب على يده، من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وذلك لا يمكن حصولُه إلا بقدرة الإله تعالى، فقلتُ له: هل تُسَلِّمُ أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، أم لا؟ فإنْ لم تُسَلِّمْ، لزمك من نفي العالم، في الأزل، نفي الصانع، وإنْ سَلَّمْتَ أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، فأقول: لما جَوَّزتَ حلولَ الإله في بدن عيسى عليه السلام، فكيف عرفتَ أن الإله ما حلَّ بدني وبدنك، وفي بدنِ كلِّ حيوان ونبات وجماد، فقال: الفرق ظاهر، وذلك لأني إنما حكمت بذلك الحلول، لأنه ظهرتْ تلك الأفعال العجيبة عليه، والأفعالُ العجيبة ما ظهرت على يدي ولا على يدك، فعلمت أن ذلك الحلول مفقود ههنا، فقلتُ له: تبين الآن أنك ما عرفتَ معنى قولي: أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، وذلك لأن ظهورَ تلك الخوارقِ دالةٌ على حلول الإله في

بدن عيسى عليه السلام، فَعدَمُ ظهور تلك الخوارق مني ومنك، ليس فيه إلا أنه لم يوجد ذلك الدليل، فإذا ثبت أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، لا يلزم من عدم ظهور تلك الخوارق مني ومنك عدم الحلول في حَقِّي وفي حقك، بل وفي حَقِّ الكلب والسنور والفأر.

ثم قلتُ: إن مذهباً يؤدي القولُ به إلى تجويزِ حلولِ ذاتِ الله في بدن الكلب والذباب لفي غايةِ الخِسَّةِ والركاكة.

الوجه الثاني: أن قلبَ العصا حيةً أبعدُ في العقل من إعادة الميت حياً، لأن المشاكلة بين بدن الحي وبدن الميت أكثر من المشاكلة بين الخشبة وبين بدن الثعبان، فإذا لم يوجب قلب العصا حية كون موسى عليه السلام إلهاً وابناً للإله، فبأن لا يدلَّ إحياء الموتى على الإلهية، كان ذلك أولى، وعند هذا انقطع النصراني» انتهى.

ويُحكى أنه تَنصَّرَ ثلاثة أشخاص، وتلمذوا على بعض القسيسين، وعلَّمهم العقائد الضرورية لا سيما عقيدة التثليث، لأنها رأس الدين عندهم وأساسه، وكانوا في خدمته، فجاء مُحِبٌّ من أحباء هذا القسيس، وسأله عَمَّنْ تنصَّرَ، فقال: ثلاثة أشخاص تنصروا، فسأل هذا المحب: هل تَعلَّمُوا شيئاً من العقائد الضرورية، فقال: نعم! وطلب واحداً منهم ليُري مُحبّه، فسأله عن عقيدة التثليث، لأنها رأس الدين، فقال: إنك علمتني أن الآلهة ثلاثة. أحدهم هو في السماء، والثاني تولَّدَ من بطن مريم العذراء، عليهما السلام، والثالث الذي نزل في صورة الحمام، على الإله الثاني، بعدما صار ابنَ ثلاثين سنة، فغضبَ القسَيسُ وطرده، وقال: هذا جَهُولٌ.

ثم طلب الآخر منهم، وسأله، فقال: إنك علَّمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة، وصلب واحد منهم، فالباقي إلّهان، فغضبَ عليه القسيسُ أيضاً وطرده.

ثم طلب الثالث، وكان ذكياً بالنسبة إلى الأولين، وحريصاً في حفظ العقائد، فسأله، فقال: يا مولاي! حفظتُ ما علَّمْتَنِي حفظاً جيداً، وفهمتُ فهماً كاملاً بفضلِ الربِّ المسيح، أن الواحد ثلاثة، والثلاثة واحد، وصُلِبَ واحدٌ منهم، ومات، فماتَ الكُلُّ لأجلِ الاتحادِ، ولا إلهَ الآن، وإلا يلزمُ نفيُ الاتحاد.

أقول: لا تقصيرَ للمسؤولين، فإن هذه العقيدة يخبطُ فيها الجهلاء وتَتحيَّرُ منها العلماء، وهم يعترفون بقولهم: نعتقد ولا نفهم، ويعجزون عن تصويرها وبيانها، ولذا قال الفخر الرازي في تفسيره ذيل تفسير سورة النساء ما نصه: «واعلمْ أنَّ مذهب النصارى مجهولٌ جداً، لا نرى مذهباً في الدنيا أشدّ ركاكة وبعداً، من العقلِ، من مذهب النصارى. وقال أيضاً: ولا نرى في الدنيا مقالةً أشدّ فساداً وأظهر بطلاناً من مقالة النصارى.

وقد أحسن البوصيري قدس الله روحه

ليت شعري ذِكْر الثلاثة والوا حد نقْصٌ في عَدِّكم أم نَماءُ
إلَــه مُــرَكَّــبٌ مــا سمعنــا بــإلَــه لــذاتِــه أجــزاءُ
ألِكُـــلٍّ منهـــم نصيـــبٌ مـــن الملـــك فهـــلاّ تميـــز الأنصبـــاء
أتـراهـم لحـاجـة واضطـرار خلطـوهـا ومـا بغَـى الخلطـاء
أهـــو الـــراكـــبُ الحمـــارَ فيـــا عجـــز إلَـــه يَمسُّـــه الإعيـــاءُ
أم جميـــعٌ علـــى الحمـــار لقـــد جَـــلَّ حمـــارٌ بِجمعهـــم مَشَّـــاءُ
أم سـواهـم هـو الإلـه فمـا نِسْـ ـبـةُ عيسـى إليـه والانتمـاء
أم أردتـم بهـا الصفـات فلـم خصـ ـصـت ثـلاث بـوصفـه وثنـاء
أم هـو ابـن الإلـه مـا شـاركتـه فـي معـانـي النبـوة الأنبيـاءُ
قتلتـه اليهـودُ فيمـا زعمتـم ولأمـواتِكـم بـه أحيـاء

الإصحاح الثاني

قال ف١ وخلاصته: كان يسوع وأمه في عرس ولما فرغت الخمرة من السكارى قالت العذراء لعيسى: ليس لهم خمرٌ، فأحضروا له ستة أجران ماء، فقلبها خمراً للسكارى، ثم قال ف١٥ منه وخلاصته أيضاً: صنع يسوع صوتاً من حبال، وطرد من الهيكل باعة الغنم والبقر والحمام، وكَبَّ دراهم الصيارفة، فتذكر التلاميذ أنه غيرة بيتك أكلتني» انتهى.

وكل واحدة من هاتين الحكايتين، يستبعد العقلُ السليم صدورها عن المسيح عليه السلام، وحكايةُ الخمر خلت عنها الأناجيل الثلاثة، وانفرد بذكرها يوحنا، فإن المسيح عليه السلام أَجَلُّ من أن يُخالِطَ السكارى، ويزيدهم سُكْراً على سكرهم، ويكون لهم عوناً على ذهاب عقولهم، ثم يصنع صوتاً من حبال، ويكب دراهم الصيارفة، ويجعلها عُرضة للنهب والسلب، كل ذلك يبعد صدوره عن المسيح عليه السلام، وقد مَرَّ الكلام على السكر والخمر وما ورد فيهما، عن الكتب المقدسة في - ص١ من لوقا، وقد مر أيضاً حكايةُ تقليبِ موائد الصيارفة في ص٢١ من متَّى فراجعهما، فلذلك هنا كَفَفْنَا القلمَ عن هاتين الحكايتين السخيفتين.

الإصحاح الثالث

قال ف٣ ما نصه: «إنْ كان أحدٌ لا يولَدُ من فوق، ولا يقدر أن يرى ملكوت الله [وبعد سطر قال ف٥]: «إنْ كان أحد لا يولد من الماء والروح، لا يقدر أن يدخلَ ملكوتَ الله، المولودُ من الجسدِ، جسدٌ هو، والمولود من الروح هو روح، لا تتعجبوا إني قلت لك: ينبغي أن تُولَدُوا من فوق» انتهى.

وهاتان الجملتان مما انفرد بذِكْرِهما يوحنا، ولم يتابعهُ عليهما أصحابُ الأناجيل الثلاثة، مع أنهما متناقضتان، فإنه قال في الأولى: إن كان أحد لا يولد

من فوق، ولا يقدر أن يرى ملكوت الله، وفي الثانية يقول: إن كان أحد لا يولد من الماء والروح، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله، على أن جميع هذا الكلام، لا يُفْهَمُ منه معنى، ولا يَتَّضِحُ منه المرامُ، ثم قال ف١٣: «ليس أحدٌ صعِد إلى السماء إلا الذي نزلَ من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء».

أقول: إن هذه الرواية أيضاً مُزَوَّرة، وشاهِدُها منها، لأنه صعدَ إلى السماء أخنوخ وغيره، وهو لم يكنْ نازلاً منها، وكذلك عيسى صعد إلى السماء، وهو لم يكن نازلاً منها، بل مولودٌ من العذراء، وهذا ظاهر، ولو كان المسيحُ نازلاً من السماء، لَلَزِمَ تكذيبُ التوراة وجبرائيل والأناجيل والعذراء التي تولَّد منها.

الإصحاح الرابع

قال في ف٢١: «قال لها يسوع: يا امرأة! صَدِّقيني، إنه تأتي ساعة، لافي هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للأب».

أقول: هذه كلمةُ حَقٍّ وصِدْق، فإنه بعد انقراض الحواريين، تبدَّلت عقائد النصرانية وصاروا يسجدون للخمر والخميرة وللصليب وإلى مطلع الشمس، فكان كما قال عليه السلام.

الإصحاح الخامس

قال ف١ إلى نهاية ف١٧ ما خلاصته: «قالوا: إن اليهود اعترضوا على عيسى، لكونه شفى مريضاً في السبت، فأجابهم: أبي يعمل، وأنا أعمل، فمن أجل هذا قالوا: إنه كسرَ السبتَ، وجعل نفسه مُعَادِلاً لله».

أقول: فِعْلُ الخير في السبت لا يكسرُ السبتَ، حتى إن اليهود لما أرادوا قتل عيسى اتهموه بأنواع الجدف، وقَدَّموا عليه شهودَ زُورٍ، ولم يَدَّعِ عليه أحد منهم أنه كسرَ السبت بشفاءِ مريضٍ، فتبين أنَّ فِعْلَ الخير لا يكسر السبت، ولا يفهم

من قوله: أبي يعمل وأنا أعمل، أن يكون معادلاً لله، بل يُفْهَمُ منه أن الله يعمل الخير في يوم السبت، وأنا أيضاً أفعل الخير، والظاهر أن هذا من زيادات الأساقفة، ومرادهم أن يجعلوا هذا الاختلاف مداراً لكسر السبت، ولأجل أن يقال: إن عيسى معادلٌ لله، بزعمهم الفاسد، على أن المعادِل ليس نفس المعادَل، بل هو غيره البتة. ثم قال ف٢٠: «لأن الأب يحب الابن، ويريه جميع ما هو يعمله، وسيريه أعمالاً أعظم من هذه لتتعجَّبُوا أنتم، لأنه كما أن الأب يقيمُ الأمواتَ ويُحيي، كذلك الابن أيضاً يُحْيِي مَنْ يشاء» انتهى.

أقول: لا نزاع في هذا النص، لأننا نقِرُّ بأنه أحيا الأمواتَ، والله يحبه، وطَهَّرهُ من قوم بُغاةٍ وشعب طغاة، ورفعه، وأراه من عجائب السموات. ثم قال ف٢٢: «لأن الأَبَ لا يدينُ أحداً، بل قد أعطى كُلَّ الدينونة للابن» أي جعله خليفةً عنه في الأرض، يدينُ الناسَ كما هو مقتضى الرسالة، وبهذا أيضاً يثبت أن عيسى غير الله، ولو كانا واحداً، كما تزعم النصارى، لما صَحَّ قوله: إن الله لا يدين أحداً، وليس المراد دينونة الناس في اليوم الآخر، لأن الذي يدينُ العالَمَ يومئذٍ هو الذي خلقَ الجنةَ والنار والموتَ والحياة، وإلا فهو مناقضٌ لقوله في هذا الإنجيل ص١٢ - ف٤٧: «إن سمع أحد[1] كلامي، ولم يؤمن، فأنا لا أدينه» وقوله أيضاً ص٨ - ف١٥: «أما أنا فلست أدين أحداً، وإن كنت أنا أدين، فدينونتي حق، وإني لست وحدي، بل أنا والأب الذي أرسلني» ومما يؤيد ذلك أيضاً قول القديس بولس في رسالته إلى رومية ص٢ - ف١٦ ونصه: «في اليوم الذي فيه يدينُ اللهُ سرائرَ الناس» ثم قال يوحنا فيه ف٢٥: «تأتي ساعة وهي الآن حين يسمعُ الأمواتُ صوتَ ابنِ الله، والسامعون يحيون، لأن كما أنَّ الأبَ له حياةٌ في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً، لأنه ابن الإنسان».

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «أحداً».

أقولُ: إن هذه الجملة، فضلاً عن الخلل الذي فيها، فهي تشهدُ على نفسها بأنها مختلقةٌ من أحمق، لا يُمَيِّزُ الصحيحَ من الفاسد، لأنه أبطل عقيدته، من حيث لا يشعر، فقوله: تأتي ساعة، وهي الآن، جملتان متناقضتان. قوله: أعطاه سلطاناً أن يدين، لأنه ابن الإنسان، دليلٌ على عبودية المسيح. وقوله: إن الله قد أعطى له حياة في ذاته، دليلٌ على أنها حياةٌ مخلوقةٌ، ولها مبدأٌ، لأنها مُعْطَاةٌ له من الله تعالى، وأما حياة الله فلا بدايةَ لها، لأنها لم تكن له من أحد، فأين المخلوقُ من الخالقِ والعبدُ من الإله. ثم قال فيه ف٢٨: «تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين. . . إلى آخره».

أقول: إن هذه الوظيفة مُوظَّفٌ بها إسرافيل، حين ينفخُ في الصور، ويخرج مَنْ في القبور، والفِرَقُ الثلاثة متفقة على هذا، ولو سُلِّمَ ذلك فلا يكون عيسى بهذه الوظيفة إلَهاً، بل تكون منزلته كإسرافيل، عليهما السلام، ثم إذا صَحَّ هذا عند النصارى، وأنه يخرج الذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة، فأين غفرانُ القسِّ وفداءُ الصليب. ثم قال فيه ف٣١: «إنْ كنتُ أشهدُ لنفسي، فشهادتي ليست حقاً».

أقول: إسنادُ هذا النص للمسيح لا أصلَ له، على أنه يناقِضُه قوله في هذا الإنجيل في ص٨ - ف١٤: «وإنْ كنتُ أشهدُ لنفسي، فشهادتي حَقٌّ» وهو الحق اللائق للأنبياء لأنهم الصادقون بكل ما يخبرون، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الإصحاح السادس

قال فيه ف١٤و١٥ ولفظه: «فلما رأت الناسُ الآيةَ التي صنعها يسوع، قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم، وأما يسوع فإذ علم أنهم مُزْمعونَ أن يأتوا ويختطفوه، ليجعلوه ملكاً، انصرف أيضاً إلى الجبل وحده» انتهى.

فانظر أيها اللبيب إلى تحجُّجِ الأساقفة والاختلاقات المترادفة، فإن الناس صرحوا بأنه نبيٌّ، وهو عَلِمَ بأنهم مزمعون على جعله ملكاً، فأين دعوى النصارى فيه، أنه عَلَّامُ الغيوب، ثم كيف يمكنهم أن يجعلوه ملكاً، والملكُ الروماني جالسٌ على كرسي سلطنته، وهم تحت سيطرته، فلو صَحَّ هذا عنهم، لأبادهم كما أباد أطفالَهم بعد الميلاد، بمجردِ خبرِ المجوس، فالظاهرُ أن هذا أيضاً من الزيادات.

الإصحاح السابع

قال ف٣٨: «من آمن بي كما قال الكتاب، تجري من بطنهِ أنهارُ ماء حي» إلى أن قال في ف٤٠: «فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام، قالوا: هذا بالحقيقة هو النبي، آخرون قالوا: هذا هو المسيح، وآخرون قالوا: لعلَّ المسيحَ من الجليل يأتي، ألم يقل الكتاب: إنه من نسلِ داود، ومن بيتِ لحم القرية التي كان داود فيها يأتي المسيح» انتهى.

أقول: تبين منه أن المسيح، عليه السلام، كان يطلب من اليهود الإيمان به، على الوجه الذي قالته أسفارُ أنبيائهم، وقد قال في ترجمة إنجيل متى ص٢ - ف٦ نقلاً عن أسفار ميخا النبي، وهذا لفظه: «منك يخرج مدبر ، يرعى شعبي إسرائيل» وفي أسفار شعيا ص٢ «ومن صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب» وفي الزبور قال في المزمور ٢ والمزمور ١٣١ ما معناه «صهيون أثبت قرناً لداود، وثبت سراجاً لمسيحي» فهذه هي الكتب التي أشار إليها، واستشهد بها، عليه السلام، كما قال في ص١٥ - ف٢٤ من متَّى: «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» فقد ثبت ببداهة العقل بطلان عقائد النصرانية وفسادها.

الإصحاح الثامن

انظر أيها الفطن، ولا تنس، فإنه لم يجفَّ القلمُ بعد، من افتراء الأساقفة على المسيح عليه السلام، بأنه قال في ص٥ - ف٣١ من هذا الإنجيل: «شهادتي ليست حقاً» وفي هذا الإصحاح كَذَّبوا أنفسهم واعترفوا بذنبهم، فقالوا في ف١٤ ما لفظه: «أجاب يسوع، وقال لهم: وإن كنت أشهدُ لنفسي، فشهادتي حق» وهو الحق كما مر آنفاً. ثم قال فيه ف٢٥ نقلاً من النسخة المطبوعة حديثاً في بيروت ما نصه: «قالوا له: من أنت؟ فقال لهم يسوع: أنا من البدء ما أكلمكم أيضاً به».

أقول: إن في هذا الطبع الجديد علاوة تحريفٍ على تحريفِ الطبعِ القديم، لَزِمَ أن نأتي بنقله من النسخة المطبوعة قديماً في لندن سنة ١٨٤٨ حتى تكون مرآةً للنصارى، وهذا لفظه: «فقالوا له: مَنْ أنت؟ فقال لهم يسوع بدء الذي وأتكلم لكم» فَغيَّرَهُ في الطبع الجديد إلى ما تَرى، إذ رأى أن العبارة القديمة لا معنى لها، لاختلالها معنى وتركيباً، وليت شعري أين ذهبت صلة الموصول فيها؟! على أن الطبع الجديد أيضاً لا يظهر منه المقصود، ثم إن اليهود سألوه عن حاله، فكان ينبغي أن يجاوبهم بقوله: إني رسول الله أو نبي أو مسيح أو نحوه، فأجاب بألفاظ، لا يظهرُ منها معنىً صحيح، ويُجَلُّ المسيحُ عن التكلم بمثل هذا الكلام، وما هو إلا دَسٌّ من جاهلٍ أحمق، لا يفرِّقُ بين الأبيض والأزرق، ولا يبعدُ أن المسيحَ أجاب اليهود بأن التوراة وأسفار الأنبياء من البدء أخبرتكم وأنبأتكم عني وعن أوصافي، فلا حاجةَ للسؤال مني، وإنْ كنتم في ريبٍ، فاسألوا من كتبكم، والأساقفة حرّفوهُ وكتبوه كما ترى، والعجب كل العجب من علماء النصرانية وأفاضلهم في زماننا، فبينما كنا نُؤمِّلُ، بعد أنْ ذاقوا معرفة العلم، أن يُصْلِحُوا ما أفسده أسلافهم، فإذا هم عند كل طبعٍ للكتب المقدسة يحرفونها، ويزيدون فيها، وينقصون إلى أنْ جعلوها في قالب، يستحيلُ تأويلها، بعدما كانت ممكنة

التفسير والتوفيق.

قال في ف٥٦ من هذا الإصحاح نقلاً من النسخة المطبوعة قديماً في لندن سنة ١٨٤٨ ما نصه: «إبراهيم أبوكم تهلل أن يرى يومي، فرأى وفرح، فقال له اليهود: لم يأتِ لك بعدُ خمسون سنة، وقد رأيت إبراهيم. قال لهم يسوع: الحق الحق أقولُ لكم: إنني أنا قبلَ أنْ يكونَ إبراهيم، فأخذوا حجارةً ليرجموه، فأما يسوع فتوارى، وخرج من الهيكل» انتهى.

ولنذكر النص بعينه، من الطبع الجديد، ليكون ميزاناً أمامك، وترى ما قد جرى في الكتب السماوية، قال في الطبع الجديد ما لفظه: «أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي، فرأى وفرح، فقال له اليهود: ليس لك خمسون سنة بعد، أفرأيتَ إبراهيم! قال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم: قبل أنْ يكونَ إبراهيم أنا كائنٌ، فرفعوا حجارة ليرجموه، أما يسوع فاختفى، وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم، ومضى هكذا» انتهى.

فتأمل أيها المنصف في تحريفِ علماء المدنيين، كيف زادوا وغيّروا في جملة واحدة، من إنجيلٍ وإصحاحٍ واحد، والمسألة واحدة في مدة ثلاثين سنة، وقِسْ عليه ما جرى في هذه المدة الطويلة.

الإصحاح العاشر

قال في ف٧ حكايةً عن عيسى عليه السلام ما نصه: «إني أنا بابُ الخراف، جميع الذين أتوا قبلي هم سُرَّاقٌ ولصوص» إلى أن قال في ف١١ ما نصه: «أنا هو الراعي الصالح» إلى أن قال ف١٢ وخلاصته: «وأما الذي هو أجير، وليس راعياً الذي ليست الخراف له، فيرى الذئب مقبلاً، ويترك الخراف، ويهرب» إلى أن قال ف١٨ ما نصه: «هذه الوصية قبلتها من أبي» إلى أن قال ف٢٤: «فاحتاط به اليهود، وقالوا له: إلى متى نعلق أنفسنا، إنْ كنتَ أنت المسيح، فقل لنا

جهراً. أجابهم يسوع: إني قلت لكم، ولستم تؤمنون، الأعمالُ التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهدُ لي» انتهى.

أقول: المراد من الخراف هم بنو إسرائيل، والرعاة أنبياؤهم، وقوله: جميع الذين أتوا قبلي سُرّاق ولصوص، لا ينبغي أن يصحَّ مثلُ هذا الكلام عن المسيح، عليه السلام، وما هو إلا من دسائسِ الأساقفة، لأن المراد بالذين أتوا قبله: هم الأنبياءُ السابقون في بني إسرائيل، كما صرح به في «تحفة الجيل» نقلاً عن ماراغواسطينوس قال: «إن أولئك الأنبياء لم يأتوا من تلقاء نفوسهم، بل أرسلهم الله، وكانوا بمنزلة منذرين سابقين للمسيح، ولذا لم يخالفوه، بل أتوا بأمره» انتهى.

فانظر عافاك الله إلى هذا الخلط، فإن الذين أرسلهم الله منذرين سابقين، كيف يكونون لُصوصاً وسُرَّاقاً، وهذه هي عقيدة النصارى في أنبياء الله ورسله، صلوات الله وسلامه عليهم، ويدلك عليه البحثُ الثالث من كتاب «أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين» تأليف نيقولا يعقوب غبريل. وقولهم: إنَّ لوطاً النبي سَكِرَ سكراً شديداً، وزنى بابنتيه، فحملتا منه، والمسيحُ من نَسْلهما. وقالوا عن يعقوب وأولاده وداود وسليمان أنهم زنوا في محارمهم، وهارون عمل العجل، وكَفَّرَ بني إسرائيل، وهلم جراً من الهذيان الذي تقشعر منه الجلود، وينفطر من سماعه الصخر الجلمود.

والحاصل أن المقصدَ من الذين أتوا قبله أنبياء بني إسرائيل، من جملتهم يحيى بن زكريا الذي تَعمَّدَ منه المسيح، وقال في حَقِّه: إنه أعظمُ من نبيٍّ، ولم تَلدِ النساءُ أعظم من يوحنا المعمدان، ومنهم داود النبي جَدُّ عيسى، عليهم أفضل الصلاة والسلام.

فيا أيها المسيحيون: لو قال المصلوب لليهود، يوم القيامة، لماذا قتلتموني

ظلماً، وأنا رَبُّكم الأعلى؟ وأجابوا: لِكَوْنِكَ أرسلتَ لنا أنبياء لصوصاً وسُرّاقاً، إنجيلك أخبرنا بأن قيافا رئيس الكهنة نبيٌّ، أنتَ أرسلته، فحكمَ بكفركَ، فوجبَ قَتْلُكَ بنصٍّ توراتك التي أنزلتها على موسى، فبأيِّ حَقٍّ تُعذبنا؟ فإذا كنتَ أنتَ الإله، فَلِمَ غَشَشْتَنا؟ فماذا يكون الجواب لهم من المصلوب؟ ثم لما كان المسيحُ عليه السلام يكرزُ بالإنجيل بين اليهود، ويدعوهم إلى الإيمان به، وكانوا يتحاملون عليه، وينظرون كلامه بمقامِ الجدفِ على الله، وأرادوا أن يرجموه، قال لهم: بسبب أيِّ عملٍ ترجمونني؟ قالوا في ف٣٣ من هذا الإصحاح: «لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان، تجعل نفسك إلَهاً، أجابهم يسوع: أليس مكتوباً في ناموسكم: أنا قلت أنكم آلهة، إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن ينقض المكتوب، فالذي قدّسه الأبُ وأرسله إلى العالم، أتقولون له إنك تجدف، لأني قلتُ إني ابن الله».

أقول: إن هذا العذرَ من عيسى، عليه السلام، واستشهاده بهذا النص من الناموس، من أعظم البراهين الدالة على تكذيب الأساقفة واليهود معاً، وإبطال جميع ما دَسُّوه من الألفاظ الموهمة في يوحنا وغيره رمزاً وتصريحاً، وهدم أيضاً أركان عقائد النصرانية برُمّتها، فقد أثبت نفسه عبداً من عبيدِ الله، يموتُ ويسقط، كما تموتُ الناس ويسقطون، ولكن حُمْقَ الأساقفة وجهلهم ألجأهم إلى تغيير النص المذكور من الأسفار، بخلاف ما هو مكتوب، حتى لا تختلَّ ألوهيةُ المصلوبِ المُهان، ولكنهم تَستَّروا من ضوء الشمس بنسجِ العنكبوت. كيف يكون هذا، والأسفارُ تنادي بخلاف مُدَّعاهم، وهذا نصها. قال في النسخة المطبوعة قديماً في لندن سنة ١٨٤٨ وهو النص السادس من المزمور [٨١]: «أنا قلتُ: إنكم آلهة، وبنو العليّ كلكم، لكنْ مثل الناس تموتون، وكأحد الأراكنة[1]

---

(١) الأراكنة: الرؤساء.

تسقطون» وقريب منه ما في الطبع الجديد، لكنهم بدّلوا العدد إلى المزمور (٨٢) وهذا لا يهمنا.

فانظر أيها اللبيب - هداك الله - إلى جسارة الأساقفة المتقدمين، ولعل قائلاً يقول: إن هذا النقل لم يكن من النسخ المطبوعة في لندن قديماً، ولا من المطبوعة في بيروت حديثاً، بل من نسخة ثالثة، قلتُ: لا يبعدُ هذا من القوم، لِتَعدُّدِ نُسَخِهم واختلافها، ويكون حينئذٍ تثليثُ التحريفِ كتثليثِ آلهتهم. ولنرجع إلى تفسير جواب المسيح لليهود، قال عليه الصلاة والسلام: «فالذي قدسه الله وأرسله، أتقولون له إنك تُجَدِّفُ، لكونهِ قال: أنا ابنُ الله».

أقول: أما قوله: أنا ابن الله، وأنا والله واحد، واللهُ فيَّ، وأنا فيه، فليس فيه تجديف، وقد مر تأويله، والتورية مملوءةٌ من أمثاله، فلذلك استشهد المسيح بما في المزمور المذكور آنفاً بقوله: «أنا قلت لكم آلهة، وبنو العليّ كلكم، ولكن مثل الناس تموتون ومثل الرؤساء تسقطون» والمراد بالآلهة الرؤساء، لأن هذا اللفظ مترجم بالعبرانية، وليس المراد به الآلهة التي تعبدها الناس، وتتخذها أرباباً، وهو خطابٌ من الله تعالى للقديسيين الذين سماهم الله آلهةً وأبناءَ الله، فكأنه يقول لهم: لا تظنوا بسبب وصفكم بذلك أنكم صرتم أرباباً من دون الله، بل أنتم كما تعرفون أنفسكم، تموتون كما يموتُ الناس، وتسقطون كما يسقط الرؤساء والأمراء.

فتبين لك أيها الرشيد أن عيسى، باستشهاده في هذا الحديث، أَقرَّ على نفسه لأنه لم يقصد بأقواله أنه هو الله أو مساوٍ له، بل أراد أن الله قدسه وأرسله كما قدس القديسيين وأرسلهم من قبله، وجعلهم آلهةً وأبناء الله، فهو مثلهم، ولا فرقَ بينه وبينهم، وبه نفى عن نفسه عليه السلام ما نَسَبَتْهُ إليه اليهود، فلذا قال لهم كما قال الله للكهنة آلهة، لكونهم كلمات الله، أي عاملين بها محافظين عليها، وعيسى قال كما قالوا، فلهذا قال لهم: لماذا ترجمونني، لكوني قلتُ

لكم كما قال ناموسكم.

ويؤيد هذا التفسير ما في سفر الخروج من التوراة في ص٧ - ف١ نقلاً من النسخة المطبوعة في لندن سنة ١٨٤٨ ونصه: «فقال الرب لموسى انظر فإني قد جعلتُكَ إلهاً لفرعون وهارون أخوك يكونُ لك نبياً فأنتَ تُكَلِّمُه بكلِّ ما آمُركَ به» انتهى.

ومع هذا التصريح لم يَدَّعِ موسى الألوهية، بل كان يسمي نفسه عبدالله، وقومه كذلك، وإلى الآن يسمونه: عبد الله، في صراحة توراتهم.

الإصحاح الحادي عشر

هذا الإصحاح يحتوي على إحياء ليعازر، ولنذكر طرفاً منه، قال في ف٣٢: «مريم لما أتت إلى حيث كان يسوع، ورأته، خَرَّتْ عند رجليه قائلة له: يا سيد لو كنت ههنا، لم يمت أخي، فلما رآها يسوع تبكي، واليهود الذين[1] جاؤوا معها يبكون، انزعج بالروح، واضطرب، وقال: أين وضعتموه؟ قالوا له: يا سيد تعال وانظر، بكى يسوع، فقال اليهود انظروا كيف كان يحبه» إلى أن قال في ف٤١: «فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً، ورفع يسوع عينيه إلى فوق، وقال أيها الأب أشكرك لأنك سمعتَ لي، وأنا علمتُ أنك في كل حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف، قلت: ليؤمنوا أنك أرسلتني. ولما قال هذا، صرخ بصوت عظيم: ليعاذر هلم خارجاً، فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة، ووجهه ملفوف بمنديل، فقال لهم يسوع: حُلُّوه ودعوه يذهب» انتهى.

أقول: إن في هذه الجملة ستة دلائل قطعية، على إبطال ألوهية المصلوب المهان، وإثبات نبوة عيسى، عليه السلام.

الأول: بكاء عيسى عليه السلام، والإلهُ لا يبكي ولا يحزن البتة.

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «الذي».

الثاني: اضطرابه وانزعاجه لأجل إحياء ميتٍ واحد، والإلهُ قادر على أن يحيي ويميت العالم بأسره، بكلمةٍ واحدة، بلا انزعاج ولا اضطراب.

الثالث: عدم علمه بالمحل الذي دُفِنَ فيه لعازر، وهو كافٍ في نفي الألوهية.

الرابع: دعاؤه ونداؤه لإلهٍ غيرِهِ.

الخامس: قوله: «أشكرك لأنك سمعتَ لي» والإلهُ لا يشكرُ إلّهاً غيره.

السادس: قوله: «ليؤمنوا أنك أرسلتني» فهو برهان قاطع على وجودِ إلهٍ غيره، أرسله، وقد مر آنفاً مثل هذا النص.

والبحث كثير، والنصوص متضافرة، على أنه ليس إلّهاً، بل هو نبيٌّ ورسول إلى بني إسرائيل مؤيد للتوراة كما صرح بذلك مكرراً في نفس الهيكل بين جماهير اليهود ورؤسائهم.

ثم قال - ف٤٩: «فقال لهم واحد منهم وهو قيافا كان رئيساً للكهنة في تلك السنة، أنتم لستم تعرفون شيئاً، ولا تفكرون أنه خيرٌ لنا أن يموتَ إنسانٌ واحد عن الشعب، ولا تهلك الأمة كلها ولم يقل هذا من نفسه، بل إذ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة، تَنَبَّأَ أن يسوع مزمع أن يموتَ عن الأمة» انتهى.

فتأمل أيها البصير في هذا الخبط والخبص! ومقصودُ هذا المفتري أن يجعل قتل عيسى بإرادته بزعمه، حتى لا يقال: إن اليهود قتلوه قهراً، فتختلَّ أُلوهيته، فرضيَ هذا الأحمقُ أن يجعل ذلك الكافرَ قيافا نبياً، وعيسى الذي هو روح الله وكلمته كافراً ولعنة، ويزعم أنه أَحسنَ صُنعاً في إثبات ألوهية ذلك المصلوب المهان، بحكم هذا المتنبىء الشيطان.

أترضى أيها المسيحيُّ العاقل بخلط هذا الأحمق الجاهل، وتعتقد أن الكافرَ قيافا كان نبياً، وعيسى عليه السلام لعنةً وفِدْيةً عن خطايا هذا الكافر وعونته،

وعن خطايا فرعون وهامان وعبدة الأوثان؟! وليت شعري! كيف يحكمُ النبيُّ بكفرِ خالقهِ ومُرْسِلِهِ، أليس هذا من الخَرفِ الذي يقضي على الأمة النصرانية بالأسف، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم.

الإصحاح الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر

إن أغلب نصوص يوحنا دخل في تعليقنا على إنجيل متى ومرقس ولوقا، سوى بحث التجسُّد والاتحاد والحلول، وما يتعلق بها من الأبحاث، وهذه أيضاً مر الكلام عليها آنفاً، وبقي بحث الفارقليط، وهو من أهم الأبحاث في كتابنا «الفارق» وها نحنُ نشرع فيه، فنقول:

قال يوحنا حكايةً عن المسيح عليه السلام في ص١٤ - ف١٥ إنه قال: «إن كنتم تحبونني، فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلبُ من الأب، فيعطيكم فارقليطاً آخر، ليمكثَ معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه، ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه، لأنه ماكثٌ معكم، ويكون فيكم» إلى أن قال ف٢٤: «الذي لا يحبني لا يحفظُ كلامي، والكلامُ الذي تسمعونه، ليس لي، بل للأب الذي أرسلني، بهذا كلَّمتُكم، وأنا عندكم، وأما الفارقليط الروح القدس، الذي سيرسلهُ الأبُ باسمي، فهو يعلِّمُكم كل شيء، ويذكِّركُم بكلِّ ما قلتُه لكم، سلاماً أتركُ لكم، سلامي أعطيكم، ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب، سمعتم أني قلت لكم: أنا أذهب، ثم آتي إليكم، لو كنتم تحبونني، لكنتم تفرحون، لأني قلتُ: أمضي إلى الأب، لأن أبي أعظمُ مني، وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون، لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً، لأن رئيس هذا العالم يأتي، وليس له في شيء، ولكن ليفهم العالم أني أحبُّ الأب، وكما أوصاني الأب هكذا أفعل، قوموا ننطلق من ههنا».

وفي ص١٥ - ف٢٦: «ومتى جاء الفارقليط الذي سأرسلُه أنا إليكم، من الأب، روح الحق الذي من عند الأب ينبثق، فهو يشهدُ لي، وتشهدون أنتم أيضاً، لأنكم معي من الابتداء».

وفي ص١٦ - ف٥: «وأما الآن فأنا ماضٍ إلى الذي أرسلني، وليس أحد منكم يسألني أين تمضي، لكن لأني قلتُ لكم هذا، قد ملأ الحزن قلوبَكُم، لكني أقول لكم الحق، إنه خيرٌ لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق، لا يأتيكم الفارقليط، ولكن إنْ ذهبتُ، أُرسِلُه إليكم، ومتى جاء ذاك، يُبَكِّتُ العالم على خطيئة وعلى بِرٍّ وعلى دَينونة، أما على خطيئةٍ، فلأنهم لا يؤمنون بي، وأما على بر، فلأني ذاهبٌ إلى أبي، ولا ترونني أيضاً، وأما على دينونة، فلأنَّ رئيسَ هذا العالم قد دين. إن لي أموراً كثيرة أيضاً لا أقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق، فهو يُرشِدُكم إلى جميعِ الحق، لأنه لا يتكلمُ من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمورٍ آتية، ذاك يمجدني، لأنه يأخذ مما لي، ويخبركم» انتهى.

ولما كان هذا الفارقليط الذي بَشَّرَ به عيسى عليه السلام، وجاءت البشارةُ به في التوراة وغيرها، ظاهر الصِّدْقِ على محمد ﷺ، وكانت الكتب الإلهية بغير اللغة العربية، أخذت أهلُ الكتب، ولا سيما النصارى وخصوصاً المتأخِّرين منهم، بالتصرُّفِ فيه عند ترجمته، تارةً بالمُعَزِّي، وتارة بالمخلِّص، إلى غير ذلك عناداً وكفراً، فلم ينفعهم، وكيفما مالوا به، اندحضت حُجَّتُهم، وتلاشت شُبَهُهم، ويأبى الحق إلا انطباقه على خاتم الأنبياء، عليه الصلاة والسلام، وقد كفانا البحث على وجه التفصيل علماء الإسلام، بما فَصَّلُوه وأوضحوه في كتبهم.

فمن أراد الاطلاع على هذا البحث بأطرافه، فعليه بكتاب «الجواب الصحيح لمن بَدَّلَ دين المسيح» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب «هداية الحيارى» للعلامة

ابن القيم[1] «وإظهار الحق» للعلامة رحمة الله الهندي «والجواب الفسيح لما لَفَّقهُ عبد المسيح» للعلامة المرحوم السيد نعمان أفندي آلوسي زاده، رحمهم الله تعالى، وجزاهم عن المسلمين خير الجزاء، فقد استكملوا الإيضاح في هذا المقام، ولم يهملوا شيئاً ينبغي عليه الكلام، فبقيَ علينا أن نشرح النصوص المذكورة وما شاكلها من عبارة الإنجيل، على مقتضى ما يتبادر إلى العقل السليم، ولا نقصد بذلك سوى بيان الحقيقة، والله سبحانه يهدي إلى الطريق المستقيم.

فقوله: «يعطيكم فارقليطاً آخر» أي: يرسلُ إليكم رسولاً آخر غيره.

وقوله: «يبقى معكم إلى الأبد» أي: تبقى شريعتُه قائمةً في العالم إلى قيام الساعة، فلا يأتي بعده نبيٌّ ولا رسول، فكانت دعوى خاتم الأنبياء صادقة، كما أخبر عيسى عليهما السلام، وقد مضى ثلاثة عشر قرناً، ولم يُبْعَثْ رسولٌ من الله عز وجل بعد ما كانت أنبياء بني إسرائيل تَتْرى، وهو أعظمُ دليل على صدقهما.

وقوله: «لا يستطيع العالم أن يقبله» ظاهر، لأن لغة خاتم الأنبياء عربية، ليست عبرانية، وهو عربي من نسل إسماعيل، ولم يكن من بني إسرائيل، غريب عنهم شعباً وقبيلة ولغة وبلاداً، وقد نَسخت شريعتُه كثيراً من أحكام التوراة، وقد جرت العادةُ باتباع طريق الآباء والأسلاف، خصوصاً في أمر الدين، فيشقُّ على النفوس تركُ المألوف، وإن كان باطلاً، ويَعْسُرُ عليها الانخراطُ في دينٍ جديد، وإنْ كان حقاً، ولا سيما إذا كانت التكاليف الشرعية خلاف الشهوات الحيوانية، فلذا قال: «لا يستطيع العالم أن يقبله».

وقوله: «وأما أنتم فتعرفونه»، أي لأني أخبرتكم به مكرراً، وأوضحتُ لكم وَصْفَهُ وأعلمتكم به شفاهاً. ويؤيد قوله أيضاً: «وكررت لكم وصاياي لكم، بأنها

---

(١) وهو بتحقيقنا، ونشرته دار الجيل في بيروت.

لم تكن من نفسي، بل وصية من الأب الذي أرسلني».

وقوله: «وأما الفارقليط الروح القدس»، أي: ذي الروح المقدسة الطاهرة، فهو يعلِّمكُم كلَّ شيء، ويذكِّركم بكلِّ ما قلتُه لكم، هو ظاهر الدلالة على محمد، ﷺ، لأنه هو الذي بَيَّنَ جميع الأحكام، وأخبر بكل شيء من أمور الآخرة؛ والكتاب الذي أتى به، فيه من العلومِ الدنيوية والأُخروية ما يحيِّرُ العقولَ، ويكفي شاهداً لما قلنا، أن علماء الإسلام الذين طبقت الأرض مؤلفاتهم العلمية، وملأت خزائن البلاد كتبهم الدينية، إنما استفادوا جميع ذلك من القرآن العظيم، ولو جمعنا الكُتُبَ المؤلفة، فيما يتعلق بعلومه وأسراره وعجائبه وفنونه وبدائعه، لضاقَ عنها الحصرُ، وملأت خزائن عديدة، عدا بقية الكتب الدينية التي لم تغادر من المسائل صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها، فما من سائل يسأل عن مسألة تقع، ولا يعرف حكمها الشرعي إلا ورد له الجوابُ عنها مسطوراً في الكتب المأخوذة من القرآن وحديث خاتم الأنبياء، صلواتُ الله وسلامهُ عليه، وعلى إخوانه النبيين والمرسلين من رب العالمين، وهكذا جميع المسائل هي مسطورةٌ في كتب الإسلام، إما بأعيانها، وإما داخلة تحت قاعدةٍ كلية دخولاً ظاهراً.

ولا مساغَ لأحدٍ من علماء الإسلام أن يجيب سائلاً من تلقاء نفسه، أو بحسب هواه بخلافِ سائر الأمم من أهل الكتاب، فإنا إذا تأملنا، لم نجد للنصارى واليهود كتباً دينية، تجمعُ المسائلَ، وتحل المشاكل. فالنصراني أو اليهودي إذا التبس عليه أمر، وأشكلت عليه مسألة، فأراد معرفة حكمها الإلهي، وسأل عنها القسيس أو الحاخام، لا يجيبه عن علمٍ ومعرفةٍ بالدين، وإنما يجيبه بحسب هوى نفسه ومقتضى داعية غرضه ورياسته، وما ذلك إلا لعدمِ وجودِ كتبٍ دينية عندهم، حتى إنه إذا سأل المسألة بعينها، من قسيس آخر، أو حاخام آخر، ثم آخر وآخر، لتباينتِ الأجوبةُ، والتبست الحقيقةُ، فلا يحصل السائل حينئذ على

طائل، وهلم جراً.

وإذا نظرنا من العلوم المستنبطة من القرآن العظيم، إلى علم الأصول وعلم الفرائض الذي يُعرَفُ به قسمةُ الميراث، وإنْ تَعدَّدت البطون، وانتقلت الحصص قبلَ القسمة إلى وارثين كثيرين، لكفى بذلك برهاناً على ما نقول، حتى إن الأسئلة لا زالت تأتي من باريس، ولوندرة وغيرهما من البلاد الأورباوية إلى البلاد الإسلامية، عندما يُشْكِلُ عليهم قسمةُ المواريث، وهم نصارى، فيسألون المسلمين، ويعملون بمقتضى الأجوبة الشرعية المأخوذة من كتب الفرائض، الذي هو أحد العلوم المستنبطة من القرآن، ومن كلام محمد ﷺ، الذي بَيَّنَ كلَّ شيء، وهذه من خصوصياته، عليه الصلاة والسلام.

والعاقلُ المطلع من النصارى على علوم الإسلام، إذا أنصف من نفسه، وترك التعصب، لا يسعه إلا تصديق ما قلنا.

وأما علوم النصارى الإفرنج اليوم، فهي فنون صنائع، أكَبُّوا على تحصيلها، ومهروا في الاشتغال بها، وليست من الدين في شيء، وأظن أن مخترعيهم المشهورين مثل أديسون وأضرابه، لو سألناهم عن الديانات والنبوات والكتب المنزلة المقدسة وأحكام الصوم والصلاة وبقية التعبدات التي في دين النصرانية، لما نطقوا بشيءٍ، بل يأخذهم الضحكُ على عقلِ السائل، هذا إذا فَرَضنا أنهم باقون على النصرانية، بعد تَوغُّلِهم في الفنون الصناعية، فلم يكنْ حَظُّهم من دينهم سوى الاسم والتبعية، على أن جميع معارفهم وصنائعهم وصلت إليهم من أساتذتهم مسلمي[1] الأندلس، كما هو معلوم عند مَنْ له أدنى إلمام بكتب التاريخ، وما زالوا حتى الآن يجهدون في جمع الكتب الإسلامية، من جميع الأقطار.

وقوله: «رئيس هذا العالم» يعني به محمداً ﷺ، يأتي «وليس له فيَّ شيء» أي رابطة نسبية لأنه عربيٌّ، من ذرية إسماعيل، وعيسى إسرائيلي «ليفهم العالم أني

(١) في المطبوع: «إسلام».

أحبُّ الأب» أي: ليعلمَ بحقيقةِ أمره، وكيف لا يحبه وهو عبدُه ورسولُه لا عدوه، كما يقتضيه نِسْبةُ دعوى الألوهية له، والشركة مع الله تعالى، فإن مَنْ يدّعي ذلك هو أعدى أعداء الله عز وجل، وعيسى عليه السلام بريءٌ من ذلك.

«وكما أوصاني الأب، هكذا أفعل» أي: ويخبرهم بأني لم أَخُنْ ربي فيما فعلتُ وبلَّغْتُ. وهكذا جاء في القرآن العظيم، قال تعالى في سورة المائدة ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة].

وقد كرر المسيح عليه السلام ذلك بالإصحاح الخامس عشر، فقال: «ومتى جاء الفارقليطُ الذي سأُرسِلُه أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق، فهو يشهدُ لي وتشهدون أنتم أيضاً، لأنكم معي من الابتداء» وقد شَهِدَ له نبينا عليه الصلاة والسلام، وبرّأه مما نَسبت إليه اليهودُ والنصارى، على حسب ما أخبر.

ثم قال في الإصحاح السادس عشر: «إن لم أنطلق، لا يأتيكم الفارقليط»، إلى أن قال: «متى جاء ذلك يبكِّتُ العالَمَ على خطيئة وعلى بر وعلى دينونة» وهذا لا ينطبقُ ولا يَصْدُقُ إلا على خاتمِ الرُّسلِ أحمَد، ﷺ، فإنه بَكَّتَ العالم على خطيئة وعلى بر وعلى دينونة، كما قال، ولا أظن أحداً من المخالفين ينكرُ ذلك إلا مَنْ نزعَ اللهُ من قلبهِ الإنصافَ، وارتكبَ العِناد والاعتساف.

وقوله: «وأما على خطيئة، فلأنهم لا يؤمنون بي»، فقد كان كما قال عيسى عليه السلام، فإن سَيِّدَ الأنام ومصباح الظلام شهَرَ السيفَ على المشركين وقتلة الأنبياء، وبكَّتَ النصارى واليهود الذين جحدوا رسالة المسيح ونبوته، ولعنوه

وحقروه، وهتكوا حرمته، وبدّلوا دينه وقبلته، وسجدوا للخمرة والخميرة والصليب، كما ترى، وهذا أمر واضح، يشهده كل إنسان.

وقوله: «وأما على بر، فلأني ذاهبٌ إلى أبي، ولا ترونني» وهذا ظاهرٌ أيضاً، لأنه بعد رفع المسيح، عليه السلام، اشتدَّ الكفرُ والظلام، وبقيَ الناسُ زمن الفترة في هرجٍ ومرجٍ، وذلك لأن النصارى بدّلوا دينهم، ولم يبق من يرشد الناس على بر، فأشرقَ إذْ ذاك نورُ الإسلام، وأزاح الظلام، ونشر العدل والبِرّ في البحر والبرّ.

وقوله: «وأما على دينونة، فلأن رئيس هذا العالم قد دين»، لأن الله تعالى أرسل الأنبياء والرسل إلى خلقه، وأنذرهم، وبشرهم، وختم ذلك كله بخاتم الرسل، إذ أتى بالقرآن العظيم، وفيه أخبارُ الأولين والآخرين، والعذاب والعقاب، والجنة والنعيم، ولم يُبْقِ شيئاً إلا وَضَّحَهُ لهم، وفصَّله.

وقوله: «إن لي أموراً كثيرة أيضاً، لا أقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن»، أي يَشقُّ عليهم حَمْلُها، وأن لهم وقتاً معلوماً، وهو وقت محمد، ﷺ، فهو الذي بَلَّغَ الناسَ تلك التكاليف الشرعية الإلهية، ولا فرق بين أن يبلّغها عيسى أو محمد، صلواتُ الله عليهما، لأنها أوامر الله عز وجل، وكُلُّهم رُسُلُه وأنبياؤه.

وقوله: «لأنه لا يتكلمُ من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمورٍ آتية، ذاك يُمَجِّدُني، لأنه يأخذُ مما لي ويخبركم»، يعني: أنه لا ينطق عن الهوى، إنْ هو إلا وحيٌ يُوحَى وقد أخبرَ كما قال بأمورٍ ماضية وآتية، والكلُّ وقع إلا ما يتعلق بأمور القيامة، ولا بد أيضاً من وقوعها عند حلول الأمر، وقد مَجَّدَ عيسى عليه السلام أحسنَ تمجيد، وبَجَّله أتمَّ تبجيل، وأخبر عن التوراة والإنجيل، وحيث أن هذه النصوص التي شرحناها، هي من جملة شواهد نبوة

نبينا محمد، ﷺ، نرى من المناسب إيراد شيء منها، فنقول:

من ذلك أيضاً ما في أسفار أشعياء، نقلاً من النسخة المطبوعة قديماً، في لندن سنة ١٨٤٨ - ص٢٤ - ف١٦ ما نصه: «من أقاصي الأرض سمعنا التسابيح حمد البار» انتهى.

فإن قوله: «من أقاصي الأرض»، لا ينطلق على أورشليم، ولا على جبل الزيتون، ولا على الجليل والناصرة، بل المراد به: إما تسابيح الحُجَّاج المسلمين في مكة وعرفات، أو تسابيح جميع المسلمين في جميع الأقطار البعيدة شرقاً وغرباً، وتلك التسابيح هي التي جاء بها أحمد البار المكنى به عن نبينا، ﷺ، وذلك حمده المتلوّ على ألسنةِ المُصَلِّين من أمته، كما يعرف ذلك مَنْ عرف كيفيةَ الصلواتِ الإسلامية والعبادات المحمدية.

ومن ذلك ما في ص٢١ - ف٣٣ من إنجيل متى، ونصه: «اسمعوا مثلاً آخر، كان إنسانٌ ربَّ بيت، غرس كرماً، وأحاطه بسياج، وحفر فيه معصرة، وبنى برجاً، وسلّمه إلى كرّامين، وسافر، ولما قرب وقت الإثمار، أرسل عبيده إلى الكرامين، ليأخذوا أثماره، فأخذ الكرامون عبيده، وجلدوا بعضاً، وقتلوا بعضاً، ورجموا بعضاً، ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين، ففعلوا بهم كذلك، فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً: يهابون ابني، وأما الكرامون فلما رأوا الابن، قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارثُ، هَلُمُّوا نقتله، ونأخذ ميراثه، فأخذوه، وأخرجوه خارج الكرم، وقتلوه، فمتى جاء صاحبُ الكرم، ماذا يفعل بأولئك الكرامين، قالوا له أولئك الأردياء يُهْلِكُهم هلاكاً ردياً، ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين، يعطونه الأثمار في أوقاتها. قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب: الحجرُ الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأسَ الزاوية من قبل الرب، كان هذا وهو عجيب في أعيننا، لذلك أقول لكم: إن ملكوتَ الله يُنْزَعُ منكم، ويُعْطَى لأمة تعمل أثماره، ومَنْ سقط على هذا الحجر يترضَّض، ومَنْ سقط هو عليه

يسحقه» انتهى.

فالمراد بالكرامين اليهود، لما طَغَوْا وبغوا، وقتلوا عبيدَ صاحبِ الكرم، والمراد من صاحب الكرم هو الله تعالى، والعبيد هم الأنبياء، وآخرهم زكريا، وألحقوه بابنه يحيى، وأصروا على قتل عيسى، فغضب الله عليهم، ونزع النبوة والملك منهم، وتركهم في زمن الفترة أَذِلَّةً تحت حكم الوثنيين، وخلّصه من كيدهم، وطهّره من تلويثات النصارى، ولعنهم لأنهم بَدَّلُوا دِينَهم، وقالوا على الله مالو قالوه في أراذلهم، لغضبوا عليهم، وبطشوا بهم، وقد سبق بيانُ ضلالهم، فلا حاجةَ لذكره هنا؛ وعكفوا على هذا الحال إلى أنْ أشرقَ نورُ الإسلام بين الأنام، فخمدت نيرانهم، وفسدت أحلامهم؛ فهذا هو مصداق قوله: فإنه أهلكَ الكرامينَ الأولين، وسلَّمهُ إلى كرامين آخرين، يعطون الأثمار بأوقاتها، وهم المسلمون، فإنهم يُصَلُّون الخمسَ بأوقاتها، ويوحِّدُونه، وينزهونه، ويسبحونه ليلاً ونهاراً، ويهللونه ويعظِّمونه ويكبِّرونه على رؤوس الجبال، وهم حُفَاةٌ عُراة، ويُجْرُون مناسِكَهُمْ بأوقاتها، ويجاهدون في سبيل الله، ويؤدون الزكاة بأوقاتها، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، والحمدُ لله الذي لا رَبَّ غيره، ولا يُرجى إلا خيره.

وأما قوله: «الحجر الذي رفضه البناؤون» إلى آخره، فنظيرُه ما قال اللهُ تعالى لإبراهيم، عليه السلام، في التكوين - ص٢١ - ف١٢ ونصه: «إسحاق يُدْعى لك نسلٌ، وابن الجاريةِ أيضاً سأجعلُه أمةً، لأنه نسلك» انتهى.

فظاهر هذا النص أن الله تعالى يقول لإبراهيم، عليه السلام: لا تظن أن نسلك من الجارية محرومون من النبوة، بسبب كونهم من الجارية، بل سأجعلهم أمةً عظيمة، لأنهم أيضاً من نسلك.

ولما أراد الله تعالى إنفاذ أمره، أمر إبراهيم أن يصرفَ الجاريةَ هاجر مع ابنها

إلى البرّية، كما طلبت سارة، فأعطى قربةَ ماء وخبزاً إلى الجارية، وأبعدها في البرية، وصرفها عنه، كما أمره الله تعالى، وتاهت مع طفلها في برية بئر سبعة، ليقضيَ اللهُ أمراً كان مفعولاً، وعندما تخلت من الناس، ونفد خبزها وماؤها، ألقت الطفل إسماعيل على الأرض، وتَنَحَّتْ عنه كي لا تسمعَ بكاءه، ولا ترى موته وهو يصرخُ من شدة العطش، كما قال في التكوين ص٢١ - ف١٧ ولفظه: «فسمع اللهُ صوتَ الغلام، ونادى ملاكُ اللهِ هاجرَ من السماء، وقال لها: مالك يا هاجر! لا تخافي، لأن الله قد سمعَ لصوتِ الغلام حيث هو، قومي احملي الغلام، وشدي يدكِ به لأني سأجعلُه أمةً عظيمة، وفتح الله عينها» إلى أن قال في ص٢١ - ف٢١: «وسكن في برية فاران» انتهى.

فهذا هو الحجرُ الذي رفضه البناؤون، وصار رأس الزاوية، إذ حصل من نسل إسماعيل قيدار، ومن نسلِ قيدار خاتمُ الأنبياء، فصار رأس الزاوية، بأمر الله تعالى، أي رئيسَ العالم، كما أشار به يوحنا في ص١٦ - ف١١ ومَرَّ ذِكْرُه قريباً بقوله: «رئيس هذا العالم قد دين»، وقد عبر عن الربع المسكون بالزاوية، وهذا صريح لا غبار عليه؛ فكانت هذه الأمة من أعظم الأمم الكتابية في الدنيا، وكما كانت بنو إسرائيل اثني عشر سبطاً، كان من نسل قيدار اثنا عشر رئيساً، وجعلهم قبائل وشعوباً كما ترى.

وقوله: «من قِبَل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا». فهو أيضاً ظاهر، لأنه مضى على بني إسرائيل ألوفٌ من السنين، والنبوةُ فيهم تترادفُ عليهم في كل قرنٍ وجيل، ولما انتزع الملك منهم، وانقطعت النبوة عنهم مدة تزيد على خمس مئة سنة، ظهر نبيٌّ من العرب، أبطل عوائدهم حال كونهم كانوا ينظرون العرب كأنهم وحوش، فكان هذا عجيباً في أعينهم، على أن النص الذي سنذكره من سفر أشعياء النبي، عليه السلام في ص٩ ف٦ سيبحث فيه أيضاً على قوله «عجيب» وكُلُّ آتٍ قريب.

وقوله: «ومَنْ سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه» فهذا أيضاً مما لا ينكر، فإن الذين تَعرَّضُوا لخاتم الأنبياء، رجعوا خاسرين مرضوضين، وكذلك الذين هاجمهم من المشركين وأمثالهم، فإنه أبادهم ومحا آلهتهم وأصنامهم.

ومن ذلك أيضاً وصية موسى الكليم عليه السلام كما في ص٣٣ ف٢ من التثنية ولفظه: «قال: جاء الرب من سيناء، وأشرق من ساعير استعلن من جبل فاران، ومعه ألوفُ الأطهار، في يمينه سنة من نار، أحب الشعوب جميع الأطهار بيده، والذين يقتربون من رجليه يقبلون من تعليمه» انتهى.

فهذا النص صدر من موسى الكليم، عن الله تعالى، حين وفاته، وهو آخر وصاياه لهم، فلذا أخبرهم بالرسولين المُعظَّمين عيسى ومحمد، عليهما الصلاة والسلام، حتى لا يضلوا بعده، فوضّح لهم وذكّرهم بأن الله جاء من سيناء، وأوصاكم بواسطتي باتِّباعِ التوراة، وسيشرقُ عليكم بواسطة عيسى من ساعير، فلم يبقَ إلا أنْ يستعلنَ من جبل فاران، المراد به مكة، ومعه ألوف الأطهار، ورمز به إلى خاتم الأنبياء، ومعه تلك الألوف من الصحابة الأطهار. كيف لا، وهم خواص الأطهار، كما أخبرنا القرآن في آخر سورة الفتح بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

فيا أيها المسيحيُّ المنصف! إنَّ هذا القرآن والتوراة قد تصادقا على خاتم الأنبياء وأصحابه الطاهرين، كما أن الإنجيل أيضاً صدَّقهما كما مَرَّ بحثه في الفارقليط وتفسير قوله: «وبيده سنة من نار»، وهي شريعة الإسلام، لأن فيها وعداً ووعيداً وحرباً وجهاداً، فأحرقت المشركين ومحقتهم، فأدخلتهم النار وبئس

المصير، فلذلك سماها ناراً عليهم، وجنةً للمتقين، لأن السُّنَّةَ معناها الشريعة، كما فسرته علماءُ المتأخِّرين منهم، وكتبوه في النسخة المطبوعة حديثاً شريعة بدل سنة، فراجعه إنْ شئت.

ألا ترى أن الدين الأحمدي(١) لما انتشر في الربع المسكون، وثبتت روابط أحكامه، وتحقق إعجاز القرآن ومتانة ترتيبه وعدالة تابعيه وشدة حزمهم وصلابة دينهم وصدقهم لإعلاء كلمة التوحيد، خضعت لشريعتهم الأمم والشعوب من كل جهة، وأحبتهم، فأسلموا، وصدقوا. وإلى ذلك يشير قول الكليم «أحب الشعوب جميع الأطهار، والذين يقتربون من رجليه يقبلون من تعليمه» فهذه قضايا متصادقة، ونصوص وآيات من التوراة والإنجيل والقرآن متوافقة، لا غبار عليها، ولا سبيل لإنكارها أو تأويلها.

ولو سلمت هذه الكتب السماوية من التحريف والزيادة والنقصان الذي أثبتناهُ آنفاً، لَبانَ صريحاً منها المقصود، واتَّضحَ المراد، وكان اللائق بعلماء النصرانية في زماننا، بعدما ذاقوا طعمَ العلمِ والعرفان، وحازوا منزلةً من الفضل، إصلاح بعض ما أفسدهُ أساقفتهم في سالف الزمان، ولكن تراهم زادوا في الطنبور نغمة، وحَرَّفُوا هذا الحديث الشريف، وغيّروا صورته الحسنة، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة].

ولنذكر نبذة من تجاسرهم على كتب الله تعالى وأنبيائه، فإن هذا الحديث المذكور آنفاً، عن موسى الكليم عليه السلام، منقولٌ من النسخة المطبوعة قديماً في لندن سنة ١٨٤٨ وقد قال فيه: «وأشرق لنا من ساعير» فبدلوهُ في نسخة بيروت بما لفظه: «وأشرق لهم من ساعير» انظر أيها اللبيب! أين ضميرُ الغائب

---

(١) كان الأولى بالمؤلف أن يقول: الدين الإسلامي، إذ لا يُنسب الدينُ عادة إلى شخص، والآيات القرآنية صريحة في ذلك: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران] ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴿٣﴾﴾ [المائدة].

من ضمير المتكلم! ثم قال في نسخة لندن: «واستعلن من جبل فاران» فبدَّله البيروتيُّ بقوله: «وتلألأ من جبال فاران» وقال في نسخة لندن: «ومعه ألوف الأطهار» والبيروتيُّ طوى هذه الجملة، وابتلع الألوفَ الأطهارَ، فلم يذكرْ واحداً منهم في النسخة الجديدة، ويا ويله! كيف ابتلع ألوفاً من الأُسْد، كُلُّ واحدٍ منهم كجبلِ أُحد، ولله دَرُّ الإمام البوصيري، رحمه الله تعالى القائل فيهم:

هم الجبال فَسَلْ عنهم مُصَادِمَهُم ماذا رأوا منهم في كل مُصْطَدم

وما اكتفى ذلك المصحح المفتري بطَيِّ تلك الجملة، بل اختلق كلاماً في النسخة الجديدة، لم يكنْ له أثرٌ في النسخة القديمة، وهو قوله: «وأتى من ربوات القدس»، ولعله يَدَّعي الإلهامَ أيضاً، بعد تسعةَ عشرَ جيلاً، كبولس وبروكلوس اللذين نسخا التوراة، وجسّدا الكلمة. ثم قال في نسخة لندن «في يمينه» فبدَّلَهُ البيروتيُّ بقوله: «وعن يمينه» وبين «في» و«عن» بَونٌ بعيد، وقال في النسخة القديمة «سنة من نار» فبدله البيروتي بقوله «نار شريعة لهم» وقصد بذلك دسيسةً، لا تُغني عن الحق شيئاً، ثم قال في النسخة القديمة: «أحب الشعوب جميع الأطهار بيده» فبدله البيروتي بقوله: «فأحب الشعبُ جميعَ قِدِّيسيه في يدك» والفرقُ بين الجملتين ظاهر.

ويُضْحِكُني تبديلُ لفظِ الأطهار بالقديسين، لئلا يتبادرَ للفكر أنهم من رؤساءِ المسلمين، ويقال لهذا المفسد: حفظتَ شيئاً، وغابتْ عنك أشياء، لأنَّ المسيحَ عليه السلام لم يكن معه ألوفٌ من القديسين، بل ولا مئات سوى الاثني عشر الحواريين، والرُّسُل السبعين، وقليلٍ من آحاد الناس الذين شفاهم المسيح، وهؤلاءِ كلهم ارتدوا في قضية الصلب والقيام من الأموات، بزعم النصارى، فإن يهوذا الأسخريوطي الحواري، زعموا أنه هو الذي دَلَّ اليهود عليه برشوة، ويوحنا الحواري هرب عرياناً، عند هجوم اليهود، ورئيس الحوراريين بطرس حلفَ للبوَّابة، ولعنَ نفسَهُ بأنه لا يعرفُ المسيحَ، وتوما الحواري أيضاً صرح بأنه لا

يؤمن إلى أن يرى موضع الصلب في جنبه، ويضع يده فيه.

وقالوا في غير موضع، أن جميع الحواريين شكُّوا فيه، فأين الألوفُ من القديسين؟ وإن قالوا: إنهم بعد رفعه صاروا ألوفاً من القديسين كبولس وأمثاله الذين أَسَّسوا الضلالَ، فهذا أيضاً مردود، لأن النص قيّد وجود الألوفِ من الأطهار، بكونِهم معه، لا بَعْدَهُ، فالمسيح ليس له في النص سوى قوله: «أشرق لنا من ساعير»، ثم استعلن من جبال فاران، وهو واحد؟! ولا غرابة منهم، لأنهم قالوا فيه: إنسان كامل وإله كامل.

وقوله في النسخة القديمة: «والذين يقتربون من رجليه يقبلون من تعليمه» قد غَيَّرَهُ المُلْهَمُ الجديد بقوله:«وهم جالسون عند قدمك، يتقبَّلون من أقوالك».

أسألك أيها المنصف، بشرف المسيح عليه السلام[1]، هل تعتقد بالنسختين المطبوعة حديثاً في بيروت، من العهد القديم، أو من العهد الجديد، أنهما من الكتب المقدسة، بعدما صارتا إلى هذه الحالة؟! ولو استقصينا هذه الاختلاسات، لفضحنا الكتب، واللبيبُ تكفيه الإشارة.

ومن ذلك أيضاً ما في سِفر حبقوق، عليه السلام ص٣ - ف٣: «الله جاء من تيمان، والقُدُّوس من جبل فاران» وهذا النص مُؤَيِّدٌ لما قبله، وهذه نصوصٌ متوالية يَشُدُّ بعضُها بعضاً، على ظهورِ نبيٍّ من فاران، وهي جبال مكة وجهاتها، فليت شعري! إذا لم يكن خاتم الأنبياء، فمن هو هذا المدعو من فاران، ويبكِّتُ العالَم، ويشهدُ لعيسى، ويملأ الأرضَ عدلاً وقسطاً، ومعه ألوفٌ من الأطهار، وأين قول المسيح: «رئيسُ العالم يأتي، وليس له فيَّ شيء»، تالله إنَّ هذه أمورٌ

---

(١) هذه أيضاً من الأخطاء الشائعة التي درجت على الألسنة، إذ لا يُسأل بشرف فلان أو غيره وكذلك القَسَمُ بشرف فلان وعلان، فالرسولُ عليه الصلاة والسلام علَّمنا أن نقول: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله».

ظاهرة، لا ينكرها إلاَّ من سخف عقله.

ومن ذلك أيضاً ما في ص٣ - ف١ من أسفار ملاخي، ولفظه: «ها أنا سوف أرسل رسولي، فيعزل طريقاً بحضوري، وحينئذ يأتي إلى هيكله الولي الذي أنتم ملتمسون، ورسول الختان الذي أنتم راغبون أيضاً، هو ذا آتٍ قال اللهُ رَبُّ الجيوش» انتهى.

وهذا النص نقلناه من النسخة العبرانية التي بيد اليهود، لأن النسخ التي بيد النصارى المطبوعة قديماً وحديثاً والمترجمة إلى لغاتٍ متعددة، كلها مُحَرَّفة، وقصدوا بهذا التحريفِ إخفاءَ هذه الإشارة وصرفِها عن خاتم الأنبياء، كما أثبتنا تحريفَهم في هذا النص في إنجيلِ مرقس في شرحنا على ص١ فراجعه، فهو يغنيك عن كثرة المقال.

ونحن معاشرَ المسلمين لا نُنَزِّهُ اليهودَ من التحريف، بل تحريفُهم ثابتٌ عندنا بالنص القطعي، ولا سيما تحريفهم عند ظهور عيسى عليه السلام عناداً للنصارى، والذي يسترُ تحريفَهم عَدَمُ ترجمتهم كتبهم وطبعها، ولو كانوا يكررون طبعَ كتبهم وترجمتها، كما فعلت النصارى، لظهر فضاحةُ تحريفِهم للعيان، على أن الأستاذ الفاضل رحمة الله الهندي، قدس الله روحه، في كتابه «إظهار الحق» فضحَ كتبهم، وبيَّنَ ما فيها من التحريفِ والمناقضات والكذب، وتجَاسُرَهم على الله تعالى وعلى أنبيائه الطاهرين، فإن أردتَ الوقوفَ على مساويهم، فراجعه، فهو يُغْنِيكَ ويَشفيك.

ولنرجع لشرح الجملة المار ذكرها، فهي تُصَرِّحُ بثلاثة أنبياء، على أن اليهود والنصارى عناداً لا تُقِرُّ إلا باثنين، وتنكر الثالث، فقالت اليهود: فإن الذي يعزلُ الطريقَ هو المهدي المنتظر، وإنَّ المراد من رسول الختان هو نبينا المنتظر مجيئه في آخرِ الزمان المرموز اسمه في آخر سفر ملاخيا إيلياء. وقالت النصارى: الذي

يعزلُ الطريقَ يوحنا المعمدان الذي هو إيلياء، وأما رسولُ الختان عيسى، عليهما السلام، وعَمِيَتْ بصيرتهما عن الثالث، ويا ليتهم يُغْمِضُون عن ثالوثهم كما أغمضوا عن هذا النبيِّ الثالث، ولا عتبَ على الفريقين، لأنهم إذا أقروا بالثالث، يبطلُ دينُهم البتة، لعدمِ احتماله غير نبينا ﷺ.

وإنْ تنزَّلْنَا وصدَّقَنَا اليهودَ، ناقضنا النصارى، لأنَّ بين المهدي ويوحنا تبايناً لا يلتئم، وإنْ صَدَّقنا النصارى بأن رسول الختان عيسى، فيكذبهم بولس بأن الختانَ منسوخٌ، فكيف يكونُ رسولَ الختان؟! وإنْ صَدَّقنا اليهودَ بأنَّ رسولَ الخِتان إيلياء، يكذبهم قول النصارى بأن إيلياء يوحنا؟! وإن صدقنا النصارى بأن إيلياء يوحنا، يكذبهم قول يوحنا نفسه بأنه لم يكن هو إيلياءَ، بصراحة الإنجيل، مع أنه لو كان إيلياء من أنبياء بني إسرائيل، لما لُقِّبَ برسولِ الخِتان، لأن أنبياء بني إسرائيل كلهم تابعون لِحُكْمِ الخِتان، ولا يقالُ لأحدٍ منهم رسول الختان، فلا يَصْدُقُ هذا إلا على أحمد خاتم الأنبياء، وله فيه مناسبة تامة، لأنه عليه الصلاة والسلام هو سَنَّ الختان بعد ما أبطلته الأساقفة والرهبان.

فالنص المذكور يصرح بثلاثة أنبياء، الأول: الذي يعزلُ الطريق، فهو يوحنا المعمدان، لا شك فيه، كما قالت النصارى. وأما الثاني: فهو الآتي إلى هيكله الولي الذي يلتمسونه، وهو عيسى عليه السلام. والثالث الذي سماه رسولَ الختان: هو أحمد خاتم الأنبياء ﷺ، ويؤيده أيضاً ما في أسفار ملاخيا النبيِّ عليه السلام في ص٤ - ف٦ وهو آخرُ نصٍّ من العهد القديم، ولفظه: «ها أنا ذا أرسل إليكم إيلياء النبي، قبل أن يجيء يوم الرب العظيم والمخوف، ويردُّ قلوبَ الآباء على البنين وقلوب البنين على آبائهم، لئلا آتي وأضربَ الأرض بالحرم» انتهى.

فهذه الأوصاف لا تَصْدُقُ إلا على نبيِّ الساعة أحمد، لأنه قال: «أُرسله قبل أنْ يجيءَ يومُ الرب العظيم»، أي قبل قيام الساعة، ورمز بإيلياء عن أحمد،

والدليل على ذلك أن اليهود كثيراً ما يراعون قاعدة حساب أبجد في تفسير الآيات، وهذا الحساب معتبر في شريعتهم، وإذا لاحظنا هذه القاعدة، في هذا الاسم، أعني إيلياء، نراه موافقاً لاسم أحمد، لأن كلاًّ منهما ثلاثة وخمسون «إيلياء» «أحمد» وهو اسمُ نبينا عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى في القرآن العظيم: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۝٦﴾ [الصف] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ۝١٥٧﴾ [الأعراف] الآية إلى قوله: ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧﴾ [الأعراف] والدليل على أن كلمة إيلياء، مرموزٌ بها، ما نقله الخوري في «تحفة الجيل»، عند الكلام على قول عيسى عليه السلام في ص١٠ - ف١٦ من إنجيل يوحنا: «ولي خراف أُخر، ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتي بتلك أيضاً، فتسمع صوتي، وتكون رعية واحدة وراع واحد» انتهى.

قال الخوري المذكور في صحيفة (٨٥١) ما نصه: «فسر بعضهم هذا القول بمعنى أن الله سوف يرد، عند نهاية العالم، كل اليهود، بواسطة إيلياء، وجميع الأمم بواسطة أخنوخ، إلى الإيمان بالمسيح، فتتألف كنيسةٌ واحدة من الفريقين، تحت رئاسةِ راعٍ واحد هو المسيح، ونائبه الحبر الأعظم على الأرض، ولذا ينتظرون الحبر الأعظم يتم هذا في أيامه، ويلزم أن يدعى الراعي الملائكي، كما سمي في عدد البابوات الذي دونه القديس ملاخيا تحت رموز، ورواه (ايلدوس فيون) في تاريخ سيرته» انتهى.

ثم قال الخوري المذكور: «إلا أن هذا غير صحيح، فلا إيلياء يرد جميع اليهود إلى الإيمان بالمسيح، ولا أخنوخ يرد جميع الأمم، بل يكون حينئذ كثير من الكفرة وأتباع الدجال. وقصد المسيحُ من قوله هذا أن يُبيِّنَ أن رُسُلَهُ سينذرون الأممَ بعد موته، ويردونهم إلى الإيمان» انتهى قول الخوري.

وهذه الأقوال التي نقلها، ولم يعتبرها، إنما هي مستندة على أسفار الأنبياء،

وقوله لم يستند إلى شيء يصيب بتكذيبهم، بل هو مجردٌ عن الدليل، على أن كلامه خلاف الظاهر والمحسوس، لأن دين النصرانية لم ينتشر في زمن الرسل، بل انتشر الضلالُ بعد انقراضهم، وأسباب انتشاره ظهور الفساد في عقائدهم، ورفع التكليفات عنهم، وتحليل المُحَرَّمات لهم، وإباحة اختلاط النساء والرجال في الخلوات وفي المجامع والحانات، بلا مانعٍ ولا زاجر، فهذا هو السببُ الوحيد لانتشار هذا الضلال، والنفسُ ميالةٌ إلى الشهوات، وأمّارةٌ بالسوء، فما قاله الفاضل منهم (اردليدوس فيون) في الحبر الأعظم المنتظر، مستندٌ على نصِّ النبي ملاخيا المار ذكره، وقد جعله من الرموز، وهو عينُ مُدَّعانا، فيا أيها المسيحيُّ الفطن! إذا أنكرت هذه النصوصَ المتضافرةَ على نبوةِ أحمد، عليه السلام، فقل لي: متى يحضر هذا الحبرُ الأعظم المنتظَرُ الذي ذكرته أناجيلكم، ومتى يجيءُ الفارقليط المار ذكره مكرراً بأنه يبكِّتُ العالم ويشهد للمسيح، ومتى يجيءُ رسول الختان وأين إيلياء الذي يأتي في آخر الزمان.

ومن العجائب والعجائبُ جمة قُرْب الدواء وما إليه وصول

ومن ذلك أيضاً قول بولس في رسالته إلى أهالي رومية في ص٩ - ف٢٥ ونصه: «كما يقول في هوشع أيضاً سأدعو الذي ليس شعبي شعبي والتي ليس محبوبة محبوبة، ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه: لستم شعبي إنه هناك يُدْعَوْنَ أبناءَ الله الحي، وأشعياء يصرح من جهة إسرائيل، وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر، فالبقية ستخلص، لأنه مُتَمِّمُ أمرٍ، وقاضٍ بالبِرِّ، لأن الربَّ يصنعُ أمراً مقضياً به على الأرض، وكما سبق أشعياء فقال: لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلاً، لصرنا مثل سدوم، وشابهنا عمورة، فماذا نقول؟ إن الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر، أدركوا البر» انتهى.

ويؤيده ما في سفر أشعيا، عليه السلام، نقلاً عن نسخة لندن ص٦٥ - ف١ ونصه: «طلبوني الذين لم يسألوني قبلاً، وجدوني الذين لم يطلبوني، قلتُ: ها

أنذا ها أنذا، إلى الأمةِ الذين لم يدعوا باسمي، بسطتُ يدي طول النهار، إلى شعبٍ غير مؤمن، الذي يسلك بطريق غير صالح وراء أفكاءهم، الشعب الذي يغضبني أمام وجهي دائماً» إلى أن قال فيه ف٤: «يأكلون لحم الخنزير والمرق المنجس في آنيتهم» انتهى.

فَيُفْهَمُ من قولِ بولس وأسفار الأنبياء أن مشركي العرب بعدما كانوا شعبَ الشيطانِ وعبدةَ الأصنام والأوثان، وكانت مكة غير محبوبة، لأنها محفوفة بالأصنام، مَنَّ الله تعالى عليهم بسيد الأنام ومصباح الظلام، فطهّرها من الأصنام، ومحى عنها الشرك والكفر، فصارت تلك البقعة قبلةً للإسلام، فيها رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذِكْرِ الله، يذكرونه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، ويتفكرون. إلخ. فلأجل ذلك قال عنهم. ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه: لستم شعبي، إنه هناك يدعون أبناء الله الحي، وأجازي بهم الشعب الذي أغضبوا الله بهتك الأنبياء وكتب السماء، المعروفين بأكل لحم الخنزير، وهم النصارى الذين لعنوا نبيهم، وحقروا معبودهم. والبقعةُ التي كانت ليست محبوبة هي مكة، وقد صارت محبوبة.

وقوله: «لولا رب الجنود، أبقى لنا نسلاً، لصرنا مثل سدوم، وشابهنا عمورة»، معناه: لو لم يكن بقيةُ نسلٍ لإبراهيم من إسماعيل، ويأتي من نسلهِ خاتمُ الأنبياء، لذهبوا ذهابَ سدوم وعمورة، ولم يبقَ لهم أثر في المعمورة، ومن ذلك أيضاً ما في أشعياء، عليه السلام - ص٤٦ - ف١١ نقلاً من نسخة بيروت، ونصه: «داع من المشرق الكاسر، من أرض بعيدة، رجل مشورتي، قد تكلمت، فأجريه، قضيت، فافعله» انتهى.

ومثله ما في أشعياء، عليه السلام، أيضاً ص٥٩ - ف١٩ ما لفظه: «من المغرب اسم الرب، ومن مشرق الشمس مجده» انتهى.

فليت شعري! من هو الذي يأتي من مشرق الشمس، ويدعو الناسَ لطاعةِ الله، وهو الكاسرُ لكلِّ مشركٍ جبار، فهل تَدَّعي النصارى أنه المسيح عليه السلام، وهو لم يكن كاسراً، ولا من المغرب ولا من المشرق، بل نشأ بينهم، وآخرُ أمره في زعمهم أنه صفعتهُ اليهود، وكسرته، وحقرته، وقتلته بعدما فعلتْ به ما فعلت، فهذان النصان لا يَصْدُقانِ إلا على النبيِّ العربي، عليه الصلاة والسلام، لأنه من بلادٍ بعيدة بالنسبة إلى أرض بني إسرائيل، ومن المشرق، وهو الصادقُ الأمين، والكاسرُ لكل جبار عنيد، وهو الداعي لطاعةِ الله كما ترى وجرى، ومن ذلك أيضاً ما في سفر صفنيا، عليه السلام ص٣ - ف٩ ولفظه: «قال الرب أحول الشعوب إلى شفة نقية، يدعوا كلهم باسم الرب، ليعبدوه بكتفٍ واحد» انتهى.

ولا شك أنه أراد بالشفة النقية العربَ أهلَ الفصاحة والبلاغة واللسان العذب المبين، الذي يُسَبِّحُون الله تعالى به، ويحمدونه ويذكرونه ويمجدونه، ويثنون عليه بما هو أهله في جوامع الكلم، ويدعونه ويتضرعون إليه بأحاسنِ الأدعية وأطايبِ الأثنية مما لم تسبقهم إليه أمةٌ من الأمم ولا شعب من الشعوب، مع ما أتاهم من القرآن العربي الذي سلَّمت لإعجازهِ مصاقع البلغاء، وخضعتْ لبلاغته رؤوسُ الفصحاء، وهذا مُتَّفَقٌ عليه بين المخالِفِ والموافق والمؤمن والمنافق، فترى جميع علماء البلاغة، من مسلمٍ ونصرانيٍّ وصابئي ويهودي إذا أوردوا قواعد الإعجاز، وذكروا محاسنَ الإطناب والإيجاز، يوردون منه الشواهدَ الواضحة والدلائل الراجحة - والفضلُ ما شهدت به الأعداء.

وقوله: «ليعبدوه بكتف واحد» إشارة إلى حال المسلمين في صلواتهم الخمس بالجماعة، وصلاة الجمعة والعيدين والاستسقاء وأمثال ذلك، فإنهم يصلون صفوفاً كتفاً بكتفٍ، حتى إن الملوك رتبوا صفوف عساكرهم كترتيب صفوف الصلاة، ورئيس الجيش كالإمام في الصلاة.

ويصدق عليه أيضاً عليه الصلاة والسلام ما في المزمور ٤٥ نقلاً من نسخته الحديثة، ومزمور ٤٤ من نسخته القديمة، وهو كونه حسناً، فإنه في أعلى طبقات الحسن، وكون الحكمة منكبة على شفته، وذلك ظاهر في ذلك القرآن الذي يتلوه، والحِكَم التي يَجْلوها، والمعارف التي يبرزها، وكونه متقلِّداً سيفاً، فهو ملتزمٌ محاربةَ أعداءِ دينه، وكونه قوياً، فهو قويُّ الحجة، متينُ السياسة، قويُّ الجسم، فقد صرع أشداء العرب، وكونه ذا حق، وكونه ذا دَعَة، وكونه ذا صدق، فهذه الصفات الثلاث ظاهرة فيه، وكونه نبلةٌ مسنونة، فاستعداده هو وأتباعه للأعداء، في أدوات الرمي، أمر معلوم، وهم مأمورون في شريعته بتعلُّمِهِ، ومَنْ نَسِيَهُ منهم بعد أن تعلمه، يُحْكَمُ عليه بالإثم، وكون الشعب تحته، فهو قد استولى على الشعب العربي تقريباً، وكونه محباً للبِرِّ، وكونه مبغضاً للإثم فكِلا الأمرين محقق فيه، ويشهد له بهما أعدى أعدائه.

وكون بنات الملوك تخدمه، فهذه بنات أمراء العرب يُجْلَبْنَ أسيراتٍ إليه، وهذه صفيةُ بنت أحطب صارت زوجته، وهي بنت ملك من ملوك اليهود. وكون الهدايا ترد إليه من الملوك، فهذا النجاشي ملك الحبشة، والمقوقس ملك مصر وغيرهما، يقدمون له الهدايا. وكون الأغنياء أتباعه، يدفعون زكاةَ أموالهم للفقراء، بمقتضى أوامره. ذكر ذلك في «الرسالة الحميدية».

ومن ذلك أيضاً ما في سفر أشعيا عليه السلام في ص٤٢ ف١: «هو ذا عبدي الذي أعضده مختاري، الذي سُرّت به نفسي، وضعتُ روحي عليه، فيخرج الحق للأمم، لا يصيحُ، ولا يرفع، ولا يُسمع في الشارع صوته، قصبة مرضوضة، لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفأ، إلى الأمان يخرج الحق، لا يكل ولا ينكسر حتى يضعَ الحقَّ في الأرض، وتنتظرُ الجزائرُ شريعته، هكذا يقولُ الله الرب خالق السموات وناشرها، باسط الأرض ونتائجها، معطي الشعب عليها نسمة، والساكنين فيها روحاً، أنا الرب قد دعوتك بالبر، فأمسِكُ بيدك، وأحفظك،

وأجعلكَ عهداً للشعب ونوراً للأمم، لتفتح عيونَ العُمْي، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن، الجالسينَ في الظلمة، أنا الرب، هذا اسمي، ومجدي لا أعطيه لآخر، ولا تَسبيحي للمَنْحُوتات، هو ذا الأولياتُ قد أتت، والحديثاتُ أنا مُخْبِرٌ بها، قبل أن تنبت أعلمكم بها، غنوا للرب أغنيةً جديدة تسبيحية من أقصى الأرض، أيها المنحدرون في البحر وملاؤه والجزائر وسكانها لترفع البرية ومدنها صوتها، الديارُ التي سكنها قِيدار لتترنَّم، سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا الربَّ مجداً، ويُخبروا بتسبيحه في الجزائر، الربُّ كالجبار يخرج كرجل حروب، ينهض غيرته، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه» انتهى.

أقول: هل يقال أيضاً بعد هذا التصريح، إن هذا النبي المنعوت في هذا السِّفْر هو عيسى عليه السلام، أو نبي من بني إسرائيل، كلا: فإن النصارى يزعمون أن عيسى إله، لا عبداً لله، والنصُّ يُصَرِّحُ بأنه عبدٌ، وليس من بني إسرائيل، بل من نسل قيدار، والأغنية الجديدة هي شريعته الجديدة غير الناموس، فجميعُ ذلك صريحٌ في خاتم الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليه، لأنه عبد الله ورسوله الجامع للأوصاف المذكورة.

وقوله: «يُخرجُ الحقَّ، ولا يكِلّ ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته»، ظاهرُ الصدقِ عليه، ﷺ، لأنه حاربَ المشركين حتى أظهر الحق، ونشر الدين، وأعلى كلمةَ التوحيدِ إلى أن توفي، ﷺ فامتلأت جزيرة العرب وجزيرة إفريقيا والجزيرة بين النهرين عدلاً وقسطاً، بشريعته الغراء، كما قال، وتنتظر الجزائر شريعته، وأصحابه رضي الله عنهم وصلوا إلى أوربا وآسيا القصوى إلى الصين، وهم يُكَبِّرون الله ويسبِّحونَهُ في كل موضع، وأثناء كل حرب وضرب، والمسيح عليه السلام لم يحارب أحداً قط، وأنبياء بني إسرائيل لم يأتوا بشريعة جديدة، بل هم والمسيح عليهم السلام إنما يحكمون بالتوراة.

وقوله: أحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم، مطابقٌ لقوله تعالى في القرآن الكريم ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۝٦٧﴾ [المائدة] وقوله ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧﴾ [الأعراف] ووقع كما قال السِّفْرُ والقرآن، فإنَّ الله حفظه من صناديد قريش والمشركين، وهو يُسَفِّهُ أحلامَهم، وينكِّسُ أصنامهم، وكلما حاولوا قتله وإبطال دعوته، جعل الله كيدهم في نحرهم، حتى ظهرَ دينُه، وتمت كلمتُه، وصارت شريعتُه عهداً ونوراً للأمم يرضى بحكمها العادل، وكل أحدٍ كما وعده الله، ولا بد أن يكون هذا العهد غير الناموس الذي أتى به موسى، لأنه حين قوله: «كان الناموس بيدهم يتعبدون به». وقوله: «أحفظك»، لم يكن المخاطَبُ به عيسى، لأنهم زعموا أنَّ اليهود صلبته بين لِصّين قهراً، وهو يستغيثُ، ولا يُغاثُ، فلم يُحْفَظْ حتى يَصْدُقَ عليه: أحفظك.

وقوله: «يفتح عيون العمي، ويفك الأسراء من حبس الظلمة»، من جملة أوصافه أيضاً، لأنه بعد عيسى، وقبلَ ظهور الإسلام، أي في زمن الفترة كانت الناسُ في هرج ومرج، فالجهلُ والتوحش عَمّ المسكونة، وعند ظهوره ﷺ نصحَ للأمة، وكشف الغُمَّة، ونشر العلوم والمعارف، وهذَّب الأخلاق، ومحق الشقاق والنفاق، والناسُ، إذ ذاك في ظُلمةِ الجهلِ محبوسون، وعُمْيٌ عن الحق لا يبصرون، فلما أضاءَ نور الإسلام، تفتحت عيونهم، وخلصت من أسر الجهل نفوسهم.

وقوله: «أنا الرب، هذا اسمي، ومجدي لا أُعطيه لآخر، ولا تسبيحي للمنحوتات، هو ذا الأُولياتُ قد أتت، والحديثاتُ أنا مُخْبِرٌ عنها، قبل أن تنبت أعلمكم بها» أشار بالأوليات إلى ما فعلته بنو إسرائيل بالأنبياء، وأراد بالحديثات ما فعلته النصارى بعد عيسى من الضلال والافتراء على المسيح ورب السماء، لأنه قال: «اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر»، والنصارى أعطوه إلى عيسى. وقال

أيضاً: «ولا أعطي تسبيحي للمنحوتات»، وهم سبحوا وسجدوا للصليب المنحوت، وللخبز والخمر ومطلع الشمس، فلأجل ذلك سَلَبَ الله النبوةَ من ذرية إسحاق ووهبها إلى خاتمِ الأنبياء الذي هو من نسل إسماعيل بن إبراهيم، عليهم السلام، وهو مصداقُ قوله: «غنوا للرب أغنية جديدة، تسبيحة من أقصى الأرض، أيها المنحدرون في البحر وملأوه والجزائر وسكانها، لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيدار».

وإذا تأملت أيها المسيحي الفطن، في النص من أوله إلى آخره، وأنصفتَ، وتجنبت التعصبَ، ترى الحق الذي أوضحناه كالشمس في رابعة النهار، فإن الأغنيةَ الجديدة والتسبيحات هو القرآن الكريم وسائر عبادات المسلمين، وما يَلْهَجُونَ به من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، في صلواتهم وصيامهم وحجهم، ولا سيما عند التلبيةِ بجبلِ عرفات حُفَاةً عُراةً، يُوحِّدون الله تعالى، ويتضرعون إليه، ولا يشركون به شيئاً، ويطلبون منه الغفران، لا كما تفعل العذارى والولدان في خلواتِ المعابد مع القسيسين والرهبان، وهذه التلبيةُ في رؤوس الجبال هي التي أشار إليها بقوله: «لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيدار».

وقوله: «لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال»، المراد بهم: أهل مدينة الرسول ﷺ التي هاجرَ إليها من مكة، فإن سالع هو سَلْع، جبلٌ في باب المدينة، كما في «مراصد الاطلاع» لياقوت، و«القاموس» وغيرهما من كتب الجغرافيا واللغة، وأما سالع، بالألف، فلم يذكروه، والظاهر أن الألف حصلت من إشباعِ الفتحةِ في اللغة العبرانية.

وقوله في آخر الجملة: «ليعطوا الرب مجداً، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر»، هذا هو المجد الذي ظهر في مكة والمدينة المنورة، على صاحبها أفضلُ الصلاة والسلام، وانتشر في الجزائر، فهذه الجملةُ من أعظم البراهين الدالة على نبوةِ

خاتم الأنبياء ﷺ، ولا ينكرُ هذا إلاّ معاند ومكابر.

ومن ذلك أيضاً ما في أشعياء ص٤١ - ف٢٥ ونصه: «قد انتهضته من الشمال، فأتى من مشرق الشمس، يدعو باسمي، يأتي على الولاة كما على الملاط وكخراف يدوس الطين، من أخبر من البَدْءِ حتى نعرف، ومن قبل حتى نقول هو صادق، لا مخبر ولا مسمع ولا سامع أقوالكم» انتهى.

فهذا الذي قام من الشمال هو إسماعيل بن ابراهيم، عليهما السلام، لأنهما كانا في أراضي أورفه، وكان إسماعيل إذ ذاك طفلاً، فأبعده أبوه مع أمه هاجر إلى فاران، وقد ظهر من نسله خاتمُ الأنبياء في مكة، وهي في المشرق بالنسبة إلى فلسطين، وأورفه بالنسبة إليها في الشمال، فلذلك قال: أقمتُه من الشمال، وأتى من المشرق هو وأصحابه وخلفاؤه، يدعون باسم الله براً وبحراً، ودمروا كثيراً من عظماء المشركين والمبتدعين، كما قال: يأتي على الولاة، كما على الملاط، وكخراف يدوس الطين، وهو المنعوتُ من البدء أي: من قبلِ مجيئِه. وقد أخبر الرسلُ عنه في كتب الله المنزلة، كما قال: ثم إن من أسمائه عليه السلام الصادق الأمين، وقبلَ النبوة كان معروفاً بين قومه بهذا الاسم، فهو مصداقُ قوله: «صادق لا مخبر ولا مسمع ولا سامع أقوالكم»، أي: لا يقبلُ الأقوالَ الباطلة، بل يفعل بما يُؤْمَرُ بواسطةِ الوحي، ولعلَّ قائلاً يقول: إن هذا هو عيسى عليه السلام، فنقول: إن عيسى لم يكن من الشمال، ولا من المشرق، بل تولد بينهم وهو منهم، وعاش إلى أنْ رفعه الله، فلا يَصْدُقُ عليه.

ومن ذلك أيضاً ما في سفر أشعياء - ص٣٥ - ف١: «تفرح البرية والأرض اليابسة، ويبتهج القَفْرُ ويزهر كالنرجس، يزهر أزهاراً، ويبتهج ابتهاجاً ويرنم، يدفع إليه مجد لبنان بهاء كرمل وشارون هم يرون مجدَ الرب بهاء إلهنا شددوا الأيادي المسترخية والركب المرتعشة. ثبتوها، قولوا لخائفي القلوب: تَشَدَّدوا، لا تخافوا، هو ذا إلهكم، الانتقام يأتي جزاء الله، هو ياتي ويخلصكم، حينئذٍ

تتفتح عيونُ العمي، وآذانُ الصم تتفتح، حينئذٍ يقفز الأعرج كالإبل، ويترنم لسانُ الأخرس، لأنه قد انفجرت في البرية مياهٌ وأنهار في القفر، ويصير السراب أجماً، والمعطشة ينابيع ماء في مسكن الذئاب، في مربضها دار للقصب والبردي، وتكون هناك سكة وطريق، يقال لها: الطريق المقدسة، لا يعبر فيها نجسٌ، بل هي لهم، من سلك في الطريق حتى الجهال، لا يكون هناك أسد وحش مفترس، لا يصعد إليها، لا يوجد هناك، بل يسلك المفديون فيها، ومَفْدِيُّو الرب يرجعون، ويأتون إلى صهيون، بترنم وفرح أبديّ على رؤوسهم ابتهاج وفرح بدركانهم، ويهرب الحزن والتنهد» انتهى.

فجميعُ جُمَلِ هذا النصِّ إشارةٌ إلى ظهور خاتم الأنبياء، ﷺ. والمراد بالبرّية والأرض اليابسة والقفر: أراضي الحجاز وبادية العرب، حيث ابتهجت، وتَحوَّلَ إليها مجدُ لبنان، واتخذ الناس من جميع البلاد إليها طريقاً مقدسة، وهي طريقُ الحج التي لا يسلكها إلا التائبون الطاهرون المُنِيبون إلى الله، تعالى، المفديون: الذين يُقَرِّبُون القرابينَ إليه سبحانه في مناسكهم، ويتقربون له بأضاحيهم وذبائحهم، ثم يرجعون من الحج، قاصدين زيارة بيت المقدس كما أمرهم خاتمُ الأنبياء، عليه الصلاة والسلام، فياتونه عائدين، من الحج، فَرِحينَ مبتهجين بما وَفَّقهم الله تعالى إليه، من زيارةِ البيت الحرام، وحصولهم على المرام، بالوصولِ إلى البيت المقدس الذي هو أحد المساجد الثلاثة، الذي شرع لهم السفر إليها، والعبادة فيها. وقد جاء في القرآن العظيم، وحديث النبي الكريم، وَصْفُه بالتبجيل والتعظيم، والأمر بقصده، للفوزِ بدارِ النعيم، وكل أحد يعلم ما كانت عليه الباديةُ قبل الإسلام، وما صارت إليه بعده، في تمهيدِ طُرُقِ الحج، من جميع الجهات، وحَفْرِ الآبار فيها، وتكثير المياه في جميع المنازل، حتى في مكة وما حولها، كل ذلك مما لا سبيلَ لإنكاره.

فبظهور الإسلام ابتهجت الأرض اليابسة، وصار لها المجدُ العظيم، وعلَت

كلمةُ الله تعالى، وغلب حزبُ الله في الأطراف والأكناف، واستولوا على بلاد بني إسرائيل، فدانوا لشريعتهم، واطمأنوا لطريقتهم، وصار الناسُ يدخلون في الدين المحمدي أفواجاً أفواجاً، من أهل الكتاب وغيرهم، رغبةً في سبيل الله تعالى، واتباعاً لما أمرهم به، على لسان أنبيائه، عليهم الصلاة والسلام؛ فآمن مَن آمن، وكفرَ مَن كفر، فحُقَّ الجزاء كما أخبر.

ومن ذلك أيضاً ما في أشعياء ص٥٤ ونصه: «تَرنَّمي أيتها العاقرُ التي لم تلد، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخضي، لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل. قال الرب أوسعي مكان ختمتك، ولتبسط شقق مساكنك، لا تمسكي، أطيلي أطنابك، وشددي أوتادك، لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار، ويرث نسلك أمماً، ويعمر مدناً خربة. لا تخافي، لأنك لا تخزين. ولا تخجلي، لأنك لا تستحين، فإنك تنسين خِزي صباك وعار تَرمُّلك، ولا تذكرينه بعدُ، لأن بعلك هو صانعك، ربُّ الجنود اسمه، ووليك قدوس إسرائيل، إله كل الأرض يدعى، لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب، وكزوجة الصبا إذا رذلت قال إلهك: لُحَيظة تركتك، وبمراحمَ عظيمة سأجمعك، بفيضانِ الغضب حجبتُ وجهي عنك لحظة، وبإحسان أبدي أرحمك. قال وليّك الرب: لأنه كمياه نوح هذه لي كما حَلفْتَ أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض، هكذا حلفت أن لا أغضب عليك، ولا أزجرك، فإن الجبال تزول، والآكام تتزعزع، أما إحساني فلا يزول عنك، وعهد سلامي لا يتزعزع. قال راحمك الرب: أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية! ها أنذا أبني بالإثمد حجارتك، وبالياقوت الأزرق أؤسِّسُكِ، وأجعل شرفك ياقوتاً، وأبوابك حجارة بهرمانية، وكل تخومك حجارة كريمة، وكل بنيك تلاميذ الرب، وسلام بنيك كثيراً بالبر تتبين بعيدة عن الظلم، فلا تخافين، وعن الارتعاب فلا يدنو منك، ها إنهم يجتمعون اجتماعاً ليس من عندي، من اجتمع عليك فإليك يسقط، ها أنا ذا قد خلقتُ الحدَّاد الذي ينفخ الفحم في النار، ويخرج آلة لعمله، وأنا خلقت المهلك، ليخرب، كل آلة

صورت ضدك لا تنجح، وكل لسان يقوم عليك، في القضاء تحكمين عليه. هذا هو الميراث عبيد الرب، وبرهم من عندي، يقول الرب» انتهى.

فقوله: «ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخضي» أراد به مكةَ المشرفة، ووصفها بالعاقر، لكونها لم يخرج منها نبيٌّ قبلَ ذلك، فبشرها بخاتم الأنبياء الذي يحق لها أن تترنم من أجله، أو لكونها خالية من الزرع، كما قال تعالى في القرآن العظيم: ﴿أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم] وقوله: «لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل» يشير إلى هاجر أم إسماعيل، لأنها كانت مستوحشة مطرودة في البر الأقفر، فكان بنوها، من نسل إسماعيل، أمّة عظيمة أكثر من نسل إسحاق ابن سارة المعبر عنها بذات البعل.

وقوله: «قال الرب: أوسعي مكان خيمتك، ولتبسط شقق مساكنك، لا تمسكي، أطيلي أطنابك» أشار به إلى ما أعطاها من الشأن والمجد، بقصدها من جميع البلاد والأسقاع، وتوارد المقدس. وقوله: «شددي أوتادك، لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار» قد كان كما قال، حيث انتشر الدين المحمدي شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، إلى جميع الأطراف، واشتد ساعد رجاله، في الجهاد، لإعلاء كلمة الله.

وقوله ف٤: «يرث نسلك أمماً، ويعمر مدناً خربة، لا تخافي لأنك لا تحزنين ولا تخجلي، لأنك لا تستحين، تنسين خزي صباك وعار ترمُّلك، ولا تذكرينه بَعْدُ، لأن بعلك هو صانعك، رب الجنود اسمه، ووليك قدوس إسرائيل، إله كل الأرض يدعى» وقع حرفاً بحرف، لأن نسل هاجر، من المسلمين، ورثوا أمماً عظيمة، وعمروا مدناً كثيرة، كالبصرة والكوفة وبغداد وغيرها من البلاد العظيمة، عدا القصبات والقرى وما أشبه ذلك، كما لا يخفى على مَنْ له أدنى إلمام بالجغرافيا والتاريخ، وقد طَهَّرَ الله مكة من خزي الجاهلية وعارها، ببعثة محمد

ﷺ، فأبدلها بالكفر إيماناً، وبالوحشة أُنساً، وبالخوف أمناً، يبقى إن شاء الله أبدَ الآبدين ودهرَ الداهرين.

وقوله ف٦: «لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب، وكزوجة الصبا إذا رذلت قال إلهك: لُحيظة تركتك، وبمراحم عظيمة سأجمعك، بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة، وبإحسان أبدي أرحمك، قال وليك الرب. لأنه كمياه نوح هذه لي، كما حلفت أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض، هكذا حلفت أن لا أغضب عليك، ولا أزجرك، فإن الجبال تزول، والآكام تتزعزع، أما إحساني فلا يزول عنك، وعهد سلامي لا يتزعزع، قال راحمك الرب» يُفْهَمُ منه أن الله تعالى غضبَ لوجودِ الأصنام في بيته الحرام، فوعد بأنه سيرحمها، فكان كما وعد، وأرسل خاتم الأنبياء، ﷺ، فيها، فأزال منها الشِّرْكَ، ورفع الأصنام، وفرض على من استطاع، من أمته، حَجَّ بيت الله الحرام، فانقاد المسلمون لهذا الأمر الجليل، فصارت تأتي من المشرق والمغرب، إلى الحج، نفوسٌ، لا يعلمُ عددَها إلا الله.

وقوله: «عهدي سلامي لا يتزعزع» أي حكمُ القرآن يبقى إلى آخر الزمان، فلا يتبدَّل ولا يتغير.

وقوله: «أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية! ها أنذا أبني بالإثمد حجارتك، وبالياقوت الأزرق أُؤسِّسُكِ، وأجعل شُرَفَك ياقوتاً، وأبوابك حجارة بهرمانية، وكل تخومك حجارة كريمة» وهذا أيضاً خطابٌ للكعبة المعظمة الموصوفة بتلك الأوصاف، فليس اليوم على وجه الأرض بيتٌ إلهي يقصده الناسُ مثلها في الشرف والاعتبار، وفي كل سنة يجلب إليها من الأموال النفيسة والأحجار الثمينة، من أقطار الأرض، ما لا يُحْصى.

وقوله: «وكل بنيك تلاميذ الرب، وسلام بنيك كثيراً» ظاهر الصدق على

المسلمين الخاضعين لأوامر ربهم، وهم أهلُ الإسلام والسلام.

وقوله: «بالبر تثبتين بعيدة عن الظلم» ظاهر في الكعبة، لأنه لا يوجد فيها غير ساجد وراكع بعيدة عن الظلم البتة، كما قال تعالى في القرآن العظيم، في حق البيت الحرام ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج].

وقوله ف١٤: «فلا تخافين، وعن الارتعاب فلا يدنو منك، ها إنهم يجتمعون اجتماعاً، ليس من عندي، مَن اجتمع عليك فإليك يسقط، ها أنذا قد خلقتُ الحدّاد الذي ينفخ الفحمَ في النار، ويخرج آلة لعمله، وأنا خلقت المهلك ليخرب، كُلُّ آلةٍ صورت ضدك لا تنجح، وكل إنسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه، هذا هو ميراثُ عبيدِ الرب، وبرهم من عندي، يقول الرب» انتهى.

وقد وفى الله سبحانه بجميع ما وعد، وجعل مجدَ بيته الحرام باقياً ببقاء الإسلام إلى الأبد، والحمد لله.

ومن ذلك أيضاً في أول ص٢٠ من إنجيل متى وهو: «فإنَّ ملكوتَ السموات يشبه رجلاً رَبَّ بيتٍ، خرج من الصبح يستأجرُ فَعَلَةً لكَرْمِه، فاتفق مع الفعلة على دينار في اليوم، وأرسلهم إلى كرمه» إلى آخر الإصحاح، وقد تكلمنا عليه في محله، عند الكلام على إنجيل متى، وبيّنا وجه صدقه على الأمة الإسلامية والرسالة الأحمدية، فراجعه هناك، والله سبحانه يتولى هداك.

ومن ذلك ما في سفر أشعياء، عليه السلام، نقلاً من نسخة لندن ص٩ - ف٦ ونصه: «صبياً وُلِدَ لنا، وابناً أُعطينا، وصارت رئاسته على منكبيه، ويدعى اسمه عجيباً مشاوراً الله جباراً أبا العالم الآتي رئيس السلام، ليكثر سلطانه وسلامه، ليس له فناء، وعلى كرسي داود وعلى مملكته يجلس، ليقيمها ويعضدها بالإنصاف والعدل، منذ الآن وإلى الأبد» انتهى.

أقول: فهذا صادق عليه، صلوات الله عليه، إذ هو الذي وُلد، وكان صبياً يتيماً لله تعالى، وكان خاتمُ النبوة بين منكبيه، وكان اسمه عجيباً، لم يسبق مثله في بني إسرائيل، وكان مشاوراً، وقوياً، وهو رئيسُ السلام والإسلام الذي كثر سلطانه، وصارت أورشليم في حوزته، وأقامت خلفاؤه فيها العدل والإنصاف، فتمت له مملكة داود عليه السلام، وجلس على كرسيه كرسي النبوة والرسالة، والفضلُ لله تعالى.

ومن ذلك ما في سفر التثنية، نقلاً من نسخة لندن، قال الله تعالى لموسى عليه السلام في ص١٨ - ف١٨ ونصه: «وسوف أقيم لهم نبياً مثلك، من بين إخوتهم، وأجعلُ كلامي في فمه، يكلِّمهم بكل شيء آمر به» انتهى.

فهذا نَصٌّ في محمد ﷺ، لأنه من أولاد إسماعيل بين إخوتهم، وهو مثل موسى أيضاً، في كونه نبياً ورسولاً، أتى بشريعةٍ إلهية، ولا يصدق هذا النص على عيسى أو غيره، من أنبياء بني إسرائيل، عليهم السلام، لأنهم ليسوا من بني إخوتهم؛ وهذا الذي سيقيمه الرب نبياً مثل موسى، موصوف بأنه ليس منهم، بل من بني إخوتهم، أعني بني إسماعيل، وهو ظاهر على أن في هذا السفر صرح في ص٣٤ - ف١٠ بأنه «لم يقم بعد ذلك نبي في بني إسرائيل مثل موسى» فتبين أن النبي المنعوت، في هذا النص، لم يكن عيسى، لأنه من بني إسرائيل، لا من بني إخوتهم، ولا سيما، على زعمهم، أنه هو الله، فكيف يكون مثله؟! ويا ليتهم يقبلون عبوديةَ المسيحِ لله كموسى.

ومن ذلك ما في أشعياء في ص٤١ ف١، ونصه: «أنصتي إليَّ أيتها الجزائر، ولتجدد القبائل قوة، ليقتربوا، ثم يتكلموا، لنتقدم معاً إلى المحاكمة. من أنهض من المشرق، يلاقيه النصر عند رجليه، دفع أمامه أُمماً، وعلى ملوك سلَّطه، جعلهم كالتراب بسيفه، وكالقش المنذري، بقوسه طردهم، مرّ سالماً في طريق لم يسلكه برجليه، من فعل وصنع داعياً الأجيال من البدء، أنا الرب الأول، ومع

الآخرين أنا هو» انتهى.

وهذا أيضاً مما لا غبار عليه، فَمَنْ هو صاحبُ السيف والقوس الذي نهض من المشرق، وأخضع الملوك، ودفع الأمم غير محمد ﷺ؟ ومَن القبائل غير قبائل العرب الذين جالوا في البلاد شرقاً وغرباً، وأعلنوا الدين المحمدي في جميع الأقطار، وأعلوا كلمة الله تعالى، في برهةٍ قليلة من الزمان، فكانوا أعظم أمة في العالم المدني، يبقى لهم المجد المخلد، والشرف الدائم إلى يوم القيامة، بحوله وقوته سبحانه وتعالى، ويصدق عليه ﷺ ما في دانيال ص٢ - ف٤٤ ولفظه: «يقيم إله السموات مملكة، لن تنقرض أبداً، وملكها لا يترك لشعب آخر، وتَسْحَق وتفنى كل هذه الممالك، وهي تثبت إلى الأبد» إلى أن قال فيه أيضاً في ص٧ - ف٢٧: «والمملكة والقدرة وعظمة المملكة التي هي تحت جميع السماء، تُعطى لشعب قديسي العلى الذي ملكوته ملكوتاً أبدياً، وجميع الملوك يعددونه ويطيعونه حتى هذه منتهى الكلمة» انتهى.

فهذا الشعب القديسي أيضاً، لا يَصْدُقُ إلا على المسلمين، ودينهم لا ينقرض أبداً، وهم آخرُ مِلَّةٍ كما أشار في النص بقوله: هذا منتهى الكلمة، أي منتهى النبوات والكتب المنزلة، فلا شك ولا ريب بأنها الملة الإسلامية الساكنة في جزيرة العرب، التي سحقت المخالفين، ونودي بها من أوروبا إلى الصين، وشريعتها نَسخت كافة الشرائع، ولا ينسخها ناسخٌ إلى يوم الدين، فلذلك قال: لا يترك مُلْكها لشعبٍ آخر، بل شريعتها ثابتة إلى الأبد.

ومن ذلك ما في أشعيا، نقلاً من النسختين المطبوعة قديماً وحديثاً - ص٢١ - ف١ وخلاصتهما: «وحي من جهة برّية البحر» والظاهر أن المراد ببرية البحر جبل الطور الواقع على البحر الأحمر، وذلك الوحي هو الذي نزل على أنبياء بني إسرائيل. ثم قال فيه ف٦: «وقال لي الرب: أخبر بما ترى، فرأى فارسين، أحدهما راكب حمار والآخر راكب جمل» إلى أن قال فيه أيضاً - ف٩: «سقطت

بابل، وتكسرت تماثيل آلهتها المنحوتة» والمرادُ براكبِ الحمار عيسى، وراكب الجمل محمد، عليهما أفضل الصلاة والسلام، إذ لم يسمع عن عيسى أنه ركب الإبل، بل الجحش حين دخل إلى أورشليم، ثم إن تماثيل آلهة بابل وملكها سقطت بظهورهما، ولا سيما بعد استيلاء الإسلام على تلك الجهات، كما هو معلوم، ومما يؤيد ما قلنا قوله في هذا الإصحاح أيضاً من السفر المذكور ف١٣ «وحيٌ من جهة بلاد العرب، في الوعر تبيتين يا قوافلَ الدادنيين، هاتوا ماء لملاقاة العطشان، وخبزة للهارب من أمام السيوف، يا سكان التيمن قال الرب: تفنى جبابرة قيدار» انتهى.

فهذا صريح في خاتم الأنبياء ﷺ، والمراد من بلاد العرب أرض الحجاز الموصوفة بالوعر، التي صارت تقصدها قوافل الحج من كل فج عميق، وتبيت في البر الأقفر والأراضي المعطشة.

وقوله: «هاتوا ماء لملاقاة العطشان، وخبزة للهارب»، إشارة إلى هجرته عليه الصلاة والسلام من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة، واستقبالهم له، وإضافتهم إياه، وقيامهم بخدمته. وخصَّ أهالي تيماء، لأنهم صالحوا النبي ﷺ، وتيماء هي في وادي القرى، من أعمالِ المدينة، كما ذكره ياقوت في «مراصد الاطلاع»، وكل ذلك مُفَصَّلٌ في كُتُبِ السِّيَرِ.

وقوله: «تفنى جبابرة قيدار»، إشارة إلى ما كان بعد هجرته، من نصرة الله تعالى له، على أبطال بني قيدار وجبابرتهم من المشركين، فمزقهم كل ممزق، وفتح الله تعالى له مكة المشرفة، وصار الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، والحمد لله رب العالمين.

تنبيه: في النسخة القديمة (ثقل) وفي النسخة الجديدة (وحي) والمعنى واحد، كما قال الله تعالى في القرآن العظيم ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل] وذلك

مما لا نزاع فيه، حتى إن الذين ترجموا القرآن، من علماء النصارى، فسروه بذلك، والله تعالى أعلم.

ومن ذلك ما في التكوين، قال يعقوب عليه السلام، في وصيته، نقلاً من نسخة لندن من ص٤٩[1] - ف١، ونصه: «فدعا يعقوب بنيه، وقال لهم: اجتمعوا، فأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام» إلى أن قال فيه في ف١٠: «فلا يزول القضيب من يهوذا، والمدبر من فخده، حتى يجيء الذي له الكل، وإياه تنتظر الأمم، يربط بالكرمة جحشه يا ابني، وإلى دالية الكرمة أتانه، يغسل بالخمر حلته، وبدم العنب رداءه، عيناه من الخمر متباشرة، وأسنانه أبيض من اللبن» انتهى.

أقول إن هذه الوصية من أعظم البراهين الدالة على صحة دعوى خاتم الأنبياء أحمد، ﷺ، لأنه صرح فيها بأن زوال القضيب والنبوَّة من بني إسرائيل موقوفٌ على مجيء خاتم الأنبياء، فإنه هو المُشَار إليه في الوصية «بأنَّ له الكل، وإياه تنتظر الأمم» وكان كما قال، فإنه أتى، وأزاح الملك والنبوة منهم. ومما يؤيدُ حُكْمَ الوصية، أنه قد مضى ثلاثة عشر جيلاً، ولم يظهر من فخذ يهوذا، وهو آخر مُدَبّر، أي: رسول إلى بني إسرائيل، كما قال بالوصية: لا يزولُ القضيب من يهوذا، والمدبر من فخذه حتى يجيءَ الذي له الكلّ، وإياه تنتظر الأمم.

ولعلكم تنكرون البديهيات عناداً بقولكم: إن عيسى لم يكن من فخذ يهوذا، ولا مدبراً، بل هو إله. قلت: فإن أسفار الأنبياء صرحت به كما في ص٢ - ف٦ من إنجيل متى، ونصه: «وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا! لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدبر، يرعى شعبي إسرائيل» وقد ثبت ببداهة النقل والعقل أن الله نزع القضيب والنبوة من فخذ يهوذا، عندما ظهر الذي له الكل، تنتظره الأمم، وهو ولا شك خاتم الأنبياء، لأنه جاء، وأزال القضيب من فخذ يهوذا بالفعل، فضلاً عن النقل، فتعيَّنَ أنه هو ليس غيره، والنصوصُ اجتمعت،

(١) في المطبوع: «ص١٩» وهو خطأ.

وتضافرت عليه، كما مر ذكره في يوحنا، وسماه فارقليطاً آخر، أي رسولاً غير عيسى. وفي زخريا سماه رسول الختان، وفي ملاخيا رمز إلى اسمه بإيلياء الآتي في آخر الزمان، وأيده مفسر الإنجيل في «تحفة الجيل»، حيث سماه بالحبر الأعظم المنتظر في آخر الزمان، ولعل بعض الأساقفة يُغالطون عوام النصارى بقولهم: إن هذا الوصف المذكور، في آخر هذه الوصية، لا يصدق إلا على عيسى عليه السلام، لأنه ركب الجحش. وقد قلت: إن قضية الجحش، أثبتنا آنفاً أنها من الأكاذيب، ومدسوسة، لأجل توفيقهم هذه الوصية على عيسى. وعلى فرض صحة ركوبه الجحش، فهو أيضاً لا ينحصر فيه فقط، بل كافة الأنبياء ركبوا الخيل والبغال والحمير، والإبل وربطوا مطاياهم في الكرم وسائر الأشجار، ولا سيما نبينا ﷺ، فإنه ركب الحمير والبغال والخيل والإبل، وحتى كان له جحش، اسمه عفير، كما ذكره ابن الأثير.

وقوله: «يغسل بالخمر حلَّته، وبدم العنب رداءه، وعيناه من الخمر متباشرة، وأسنانه أبيض من اللبن. معناه ظاهر، فالخمرُ ودم العنب كناية عن دماء المجاهدين والمشركين الذين كان، ﷺ، يخوضُ بدمائهم، وكانت عينه سوداء مخمورة بحمرة، فكأنها تتوقد ناراً، وأسنانه كالثلج، وهذه الصفاتُ عين الصفات المذكورةِ عنه في الكتب، فإنْ شَكَكْتَ، فراجعها.

ومن ذلك ما في سفر حزقيال النبي عليه السلام من ص١٩ - ف١٠ ولفظه: «انك ككرم في دمك غرست على الماء أثمارها وأوراقها نبتت من كثرة الماء وصارت لها قضبانها صامدة ولقضبان سلاطين، وارتفعت قامتها بين الأوراق ورأيت ارتفاعها بكثرة جفانها، ثم استؤصلت بالقضيب، وانطرحت إلى الأرض من ريح السموم أجفت ثمرها، فسدت وجفت قضبان قوتها والنار أكلتها، والآن انتقلت، فغرست في القفر، في أرض غير مسلوكة معطشة وخرجت نار من قضيب أغصانها وأكلت ثمرها» انتهى.

أقول: الكرم كناية عن إبراهيم عليه السلام، والأغصان نَسْلُه، فمنهم بنو إسرائيل الذين سكنوا فلسطين، ونموا وربوا، وتمتعوا في تلك البلاد الطيبة الكثيرة المياه والخيرات، كمصر والشام وسوريا وأمثالها، فتولد منهم أنبياء وملوك. كما قال في النص «صارت لها قضبانها صامدة، ولقضبان سلاطين ارتفعت قامتها» ومن نسل إبراهيم إسماعيل وما تناسل منه من العرب، في الأرض القفراء المعطشة الغير مسلوكة، كما قال، ثم ظهر منهم خاتم الأنبياء، ﷺ، كما أشار بالنص: «وخرجت نار من قضيب أغصانها» والمراد من النار الشريعة الأحمدية. كما أن مُفَسِّرَ الأناجيلِ فسَّرَ النارَ بالشريعة، في مواضعَ كثيرة، ولا نزاع بذلك. وقوله في آخر النص: وأكلت ثمرها، أي نسخت شرائع ما قبلها، وذلك بعد ما طغت اليهودُ بقتلِ أنبيائها، وبغت النصارى بتدنيس إلَٰهها ولَعْن رسولها، فغضب الله عليهم، وأزال الملك والنبوة والقضيب منهم، وهو مطابقٌ لقوله: «ثم استؤصلت بالقضيب، وانطرحت إلى الأرض، وريح السموم أجفت ثمرها، فسدت، وجفت قضبان قوتها» انتهى.

ومن ذلك ما في كتاب الرؤيا، المنسوب إلى يوحنا الإنجيلي في ص١٩ - ف١١ ونصه: «رأيت السماء مفتوحة، وإذا فرس أبيض، والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً، وبالعدل يحكم، ويحارب، وعيناه كلهيب نار، وعلى رأسه تيجان كثيرة، وله اسم مكتوب، ليس أحد يعرفه إلا هو».

أقول: إن هذه الأوصاف لا تَصْدُقُ إلا على أحمد، ﷺ، لأنه حارب وحكم بالعدل، وهو المسمى بالصادق الأمين، قبلَ النبوة وبعدها، وعيسى لم يُسَمَّ بهذا الاسم، ثم نبينا وخلفاؤه استولوا على تيجان الملوك، كما تشهد بذلك الأعداء. وقوله: عيناه كلهيبِ نار، فهي الشريعةُ التي جاءت بالسيف، وقوله: ليس أحدٌ يعرفه، معناه ظاهر، لأن النبيَّ الهاشمي، لغته عربية، وهو لم يكن من بني إسرائيل، وغريب عنهم، وبعيد عن مسكنهم، ودعوته بأنه خاتم الأنبياء عجيبة،

فلذلك قال: ويعرفوه، وأما عيسى فمعلومٌ ومعروف بينهم، وهو من أشرافهم، وتولَّدَ بينهم، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، إلى هذا فلا يَصْدُقُ النصُّ إلا على خاتم الأنبياء ثم قال فيه ف١٣: «وهو متسربلٌ بثوبٍ مغموسٍ بدم، ويدعى اسمه: كلمة الله» وهذا النص أيضاً لا يصدقُ إلا على صاحب السيف، لأنه من مبدأ رسالته إلى أن توفي، ﷺ وهو في المحاربات الدموية، وعيسى لم يذبح دجاجة.

والعجب من صاحب هذه الرؤيا أو المحرِّفِ لها، ما أكثر نسيانه وتباين كلامه، انظر هداك الله إلى خبصه، حيث لم يجفَّ القلمُ من قوله في الجملة المار ذكرها: «ليس أحد يعرف اسمه» فكيف يلتئم هذا مع قوله في هذه الجملة: «ويُدْعى اسمهُ كلمة الله» وهذا تناقضٌ فاحش، لا يمكن تأويله، وعلى فرض صحة وقوع الرؤيا، على علاتها، أيضاً فقوله: كلمة الله، لا ينحصرُ في عيسى، لأن كثيراً من الأنبياء يقال لهم: كلمة الله، كما أثبتناه آنفاً من أسفار الأنبياء، على أن كلَّ رسولٍ بالنسبة إلى وظيفته هو بالحقيقة كلمة الله، لأنه ينطقُ بها، ويأمر باتباعها، ولا نزاع في ذلك.

وقال فيه ف١٤: «والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيلٍ بيض، لابسين بزّاً أبيض نقياً» وعيسى لم يكن محارباً حتى يحتاج إلى الجُنْدِ، بل خاتمُ الأنبياء كان محتاجاً إلى المَدَدِ من الله، فأمده بصريح القرآن بقوله ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران].

ومما يدلك أيضاً على صِدْقِ مقالتنا قوله ف١٥ منه: «ومن فمه يخرجُ سيفٌ ماضٍ، لكي يضربَ به الأمم، وهو سيرعاهم بعصِي من حديد، ويدوس معصرة خمر سخطه، وغضب الله القادر على كل شيء».

والمراد من قوله: يخرج من فمه سيف ماض الخ هو القرآن الكريم، لأنه

يخرجُ من فمِ رسولِ الله، وفيه أحكام وقِصاص وقتال وجهاد بالسيف. والمراد من العصي الحديد: السيف، كالراعي الذي بيده عصى ويرعى بها غنمه، وكذلك الرسول المعظم، بيدِه السيفُ، يرعى به شعبه وأمته، وعيسى لم يكن كذلك، لانه بزعمكم امتنع عن جلدِ الزانية، ومنعَ بطرس من الضرب بالسيف، بل رويتم عنه أنه كان يخرج من فمه دعاء وتضرعات إلى الله، أن يُخَلِّصه من اليهود. وزعمتم أن الله لم يتقبل دعاءه، بل سَلَّمه إلى سفلة اليهود، تبزقُ عليه، وتلطمُ وجهه وهو يصرخ بين أيديهم من العذاب. ويكفينا برهان قوله: «سيرعاهم»، وهو خبرٌ عمّا سيكون ويأتي في مستقبل الزمان، وعيسى كان وقتئذ ماضياً بالنسبة لهذه الرؤيا، فتبين أن المراد منه غيره.

ولكن يوسف القس الحلبي قال في تفسيره على هذه الجملة: إنه ستقعُ عندما ينزل المسيحُ، في آخرِ الزمان، فأقول: لو أنصف هذا الفاضل، لاتبع الظاهر والمحسوس، لأنه لو صَحَّتْ هذه الرؤيا، فقد وقع تفسيرها قبل ثلاثةَ عشر جيلاً، من خاتم الأنبياء وخلفائه بالفعل، وكل أرض شربت ماءها، وليس من العقل اتباع ما يناقضه الظاهرُ والمحسوس، والإغماض عن الحقِّ المتواتر، ويؤيده قوله أيضاً: ويدوس معصرة خمر إلخ كيف يقال لعيسى: يدوسُ معصرةَ خمرٍ بغضبٍ، وقد رويتم عنه أنه قلبَ الماءَ خمراً في عرس قانا، لأجل أنْ يزيدَ سُكْرَ السكارى، بصراحة القول. ورويتم أنه قال عن الخمرة: إنها دمه. والحق أنه إنْ صَحَّتْ هذه الرؤيا، فهي لا تصدقُ إلى على خاتم الأنبياء ﷺ، لأنه حَرَّمَ الخمرة، وجلد شاربها، وحَرَّمَ بيعها وشراءها، وأفسد عقودها، وهدم معصرتها، وكسر دِنانها، وسخط على مدمنها بغضبِ الله القادر، كما قال في النص.

انظر أيها المسيحي العاقل، لا تغرك سفاسفُ الأساقفة، فإن الذي يخرج من فمه سيفٌ ماضٍ، وبيده عصا من حديد، ويدوس معصرة خمر بغضب، هو الفارقليطُ المذكور في يوحنا، وهو نبيُّ الخِتان المذكور في زخريا، وهو إيلياء

المرموز في ملاخيا كما عبر عنه في «تحفة الجيل» بالحبر الأعظم الموعود مجيئه في آخر الزمان.

فهذه نصوص متضافرة وأخبار متواترة، من كتبكم يؤيدُ بعضُها بعضاً، وليست من كتبنا، والكل تُصَدِّقُ دعوى سيد الأنام ومصباح الظلام. ثم قال في ف١٦ منه: «وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب: ملك الملوك ورب الأرباب».

فأقول: إن هذه الجملة أظنها من خرافات الأساقفة، أو رؤيا شيطانية، نشأت من أبخرةِ الخمرِ ولحم الخنزير، أو أضغاث أحلام، وإنْ صَحَّ وقوعها، فيكون في آخر الزمان، كما ذهب إليه القسُّ يوسف في تفسيره، فلا بد أن تكون هذه الكتابة مكتوبة على فخذِ وثوبِ الدجَّال الموعود مجيئه عندنا وعندكم، في آخرِ الزمان، لأن هذه الكتابة من أفحشِ أقسام الجهل، وأقبحِ أنواعِ الكفر، ولا يبعد من سخافة عقول القوم أن يعتقدوا، أن الثوب المكتوبَ عليه، هو ذاك الثوب الذي اقتسمه العسكرُ حين الصلب، المشار إليه أنه كان بدون خياطة، وكان ينمو على جسد المسيح كما ينمو المسيح [ومَنْ كان ذا لُبٍّ فليتعجَّبْ].

ثم قال في ف١٧ منه: «ورأيتُ ملاكاً واحداً واقفاً في الشمس، فصرخ بصوت عظيم، قائلاً لجميع الطيورِ الطائرة في وسط السماء: هلم اجتمعي إلى عشاء الإلّه العظيم ١٨ لكي تأكلوا لحوم ملوك، ولحوم قواد، ولحوم أقوياء، ولحوم خيل، والجالسين عليها، ولحوم الكل حرّاً وعبداً صغيراً وكبيراً ١٩ ورأيت ملوك الأرض وأجنادهم مجتمعين، ليضعوا حرباً مع الجالس على الفرس ومع جنده ٢٠ فقبض على الوحش، والنبي الكذاب معه، الصالع قدامه الآيات التي بها أضل الذين قبلوا سمة الوحش، والذين سجدوا لصورته، وطرح الاثنان حيين إلى بحيرة النار المتقدة بالكبريت ٢١ والباقين قتلوا بسيف الجالس على الفرس، الخارج من فمه، وجميع الطير شبعت من لحومهم» انتهى.

أقول: إن هذا كله وقع في زمن النبي العربي، لأن ملوكَ العرب وصناديدهم، وملوك الحبشة والفرس والروم وقوادهم، اجتمعوا، وتَحزَّبُوا على محاربته وخلفائه الطاهرين، فردَّهم الله على أعقابهم خاسرين، فكانت جثثُ قتلاهم بين الجبال والوديان، تأكلُ من لحومهم سباع الطير والغربان والوحوش والديدان، فكأن نوع الحيوان ضيوف الله على لحوم أعداء الله، كما قال البوصيري، رحمه الله.

ومعنى قوله: [فقبض على الوحشين والنبي الكذاب] ظاهر، لأن واقعة مسيلمة الكذاب باليمامة، والأسود العنسي باليمن، وطليحة في بني أسد وعسكر سميراء، وقصتهم معلومة ومشهورة، ومَنْ أراد الوقوفَ عليها، فليراجع ابن الأثير؛ وقبل وفاته ﷺ أمر بحربهم وقتلهم والمرتدين والمشركين معاً، وبعد وفاته حاربهم أبو بكر، رضي الله عنه، وقَتل مسيلمة والمرتدين والمشركين بعد رسول الله، فأصبحت تلك البِقاعُ لا يوجد فيها مشركٌ، بعدما كانت لا يوجد فيها مُوَحِّدٌ، وخضعت تلك القبائل والصناديد لكلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله. والحمد لله.

ومن القرائن الدالة على صحة رسالته، وصِدْق مقالته قوله تعالى في القرآن الكريم ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء] فهذه الآية بنفسها، تدل على أنها وحي صادق، لأنه لو كان هذا القرآنُ مُفْترىً، كما تزعمُ النصارى واليهود، لما كذب صلب ذات المسيح عليه السلام، بل من القريبِ العقلي تصديقُه، لأن وقوعه ثابتٌ عند الأمتين، وقد شاهدوا المصلوبَ رأيَ العين، فتصديقُ الصلبِ أعظمُ حجةٍ على بطلانِ ألوهيةِ المصلوب، وتكذيبه أفسد لحجته وأنفر للجاحد عن استماع دعوته، لأنه لو اتفق معهم على تصديقِ صلبِ إلههم، لكان أيسر وسيلة لإقناعهم وجلْبهم، وأقرب طريقة لفهمهم وردهم من الضلال إلى الهدى، ولو لم يكن تكذيب الصلب وحياً صادقاً، فما الفائدة من تكذيبه،

مع أن القرآن، بهذا التكذيب، أَيَّدَ قولَ عيسى عليه السلام: «من الآن لن تروني، وستطلبونني ولا تجدونني» فتبين أن نفيَ صلبِ ذات المسيح وحيٌ صادق عن الرب.

ومنها قوله في القرآن العظيم: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب] أي: لا نبيَّ بعده، ولا كتابَ بعد القرآن، وهذه الآية أيضاً من أعظم البراهين الدالةِ على صدقه، فقد مضى ثلاثة عشر جيلاً، ولم يظهر نبيٌّ ولا رسولٌ ولا كتاب، بعدما كانت أنبياء بني إسرائيل تترا، يَلِي بعضُها بعضاً، ولو لم تكن دعوته صادقة، بوحيٍ من الله تعالى، لما قيد نفسه بخاتم الأنبياء، وهو إذ ذاك بين ظهراني أمتين اليهودية والنصرانية، وهما على ما بأيديهما من الكتب الإلهية حتى إنهم كانوا منتظرين ظهورَ رسول، في ذلك الزمان، أفما كان يخشى ظهور رسول، يُكَذِّبُ قولَهُ بأنه خاتمُ الأنبياء، وهو ذلك الرجل المشهود له، من الأعداء، بغزارة العقل، وتَوقُّدِ الفِطنة، فعليه يبعدُ عن العقل أن يفتري بأمر، ينفضح فيه قبل موته، بل كان يمكنه أن يدعي الرسالة، بدونِ قيدٍ بأنه خاتمُ الأنبياء والمرسلين، إذ لا فائدةَ له من هذا القيد، وبمجرد دعوى الرسالة يكون مأموناً من تكذيبه، عند ظهور رسولٍ آخر، لأنه من الممكن وجودُ رسولين في زمانٍ واحد، كما كان يحيى وعيسى عليهما السلام وغيرهما.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر] وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة] وقد صدق الله وعده، وحفظ القرآنَ ثلاثة عشر جيلاً، من التبديلِ والتغيير، وعصم نبيه ﷺ إلى أن توفي، ولقد أحسن الإمام العلامة أبو الحسن الشيخ علي الماوردي حيث قال في الباب الثامن، من كتابه «أعلام النبوة» ونصه: «أظهر الله تعالى لرسوله ﷺ من أعلام نبوته، بعد ثبوتها بمعجز القرآن، واستغنائه عما سواه من البرهان، ما جعله زيادةَ استبصارٍ، يحجُّ بها مَنْ قَلَّتْ فِطنته، ويذعن لها من ضَعُفت بصيرته، ليكون إعجازُ القرآن

مُدْرَكاً بالخواطر الثاقبة تفكراً واستدلالاً، وإعجاز البينات معلوماً ببداية الحواس احتياطاً واستظهاراً، فيكون البليد مقهوراً بوهمه وعيانه، واللبيب محجوباً بفهمه وبيانه، لأن لكل فريق من الناس طريقاً، هي عليهم أقرب، ولهم أجذب، فكان ما جمع انقياد الفرق أوضح سبيلاً وأعم دليلاً.

فمن معجزاته: عِصْمتُه من أعدائه، وهم الجمُّ الغفير والعدد الكثير، وهم على أتمِّ حنقٍ عليه وأشدّ طلبٍ لنفسه، وهو بينهم مسترسل قاهر، ولهم مخالط ومكاثر، تَرْمقُه أبصارهم شزراً، وترتد عنه أيديهم ذعراً وقد هاجر عنه أصحابه حذراً، حتى استكمل مدته فيها ثلاث عشرة سنة، ثم خرج عنهم سليماً، ولم يكْلَم في نفس ولا جَسَد، وما كان ذلك إلا بعصمةٍ إلَهية، وعده الله تعالى بها، فحققها حيث يقول ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ۝٦٧﴾ [المائدة] فعصمه منها] انتهى.

ولو أخذنا نُقَرِّرُ دلائلَ نبوته وأعلامها، وشاهِدَها من العقل وأحكامها، لخرجنا عن الموضوع، وقد ألف علماء الإسلام في ذلك الكتب الجمة المشتملة على الدلائل والبيانات، ويكفي أن نقول: إن ما ذكروه أسلافنا، وسردناه في كتابنا «الفارق» غَرْفَة من يَمّ بل نقطة من ديم[١]، فإن هذا بحر، لو خضنا عُبابه، وأردنا استيعابه، لصرفنا العمر في استقصائه، دون أن نقف على إحصائه، على أنَّ مَنْ طرح التعنت والاعتساف، وتمسك بعُرَى الإنصاف، يعلم أن البحث، في هذا الشأن، أصبح من البديهيات التي لا تحتاج إلى برهان وتبيان، ولا بأس أن نأتي هنا بفصل، نذكر فيه طرفاً من أحواله وسيرته، ﷺ، مما يكون شاهداً على صِدْقِ مقالته، ونجعله خاتمة كتابنا فنقول:

إن من سنة الله تعالى في أنبيائه، أن يكون السابقُ مُبَشِّراً أو نذيراً، واللاحقُ مُصَدِّقاً وظهيراً، لتدومَ بهم طاعةُ الخلق، وينتظم بهم شمل الحق، وقد عَلِمَ

---

(١) اليم: البحر، والديمة والديم: المطرُ.

المُنصفُ المُطَّلعُ على تاريخ الأمم السالفة، أن العالم قبل بعثة عيسى عليه السلام، كان أجمعه تحت قبضة دولتي الفرس والرومان، فكانت الأولى في المشرق تعبد النار، والأخرى في المغرب تعبد الأصنام، حتى بلغ من جهلِ الأمة العربية التي هي أحد أمم المشرق، وسخافة عقلهم واستحكام الجهلِ فيهم، أن صنعوا أصنامهم من التمر، فعبدوها، ثم جاعوا، فأكلوها، وبلغوا من قساوة القلوب وفساد الأخلاق إلى قتلهم أولادَهُمْ خشيةَ الإملاق، ولا سيما قتل بناتهم تَخَلُّصاً من عار تزويجهن، إلى أمور تراخى فيها عقد نظام العالم، وانقصم لها عراه، حتى قيل: إن العالم بأسره أصبح فوضى، في العقل والدين معاً، إلى أنْ أتى عيسى بن مريم عليهما السلام، وجرى ما جرى عليه من شعوب اليهودية، ومن قومه، كما مر البحث عليه في هذا الكتاب.

وهكذا استطال هذا الزمان، بعد المسيح، في البغي والعدوان والشرك والطغيان، حتى أصبح التاريخُ العمومي يسمى زمان الفترة، كما قال الله تعالى في القرآن ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩ ﴾ [المائدة] إذ لم يكن فيه إلا دماءٌ مسفوكة، وقوى منهوكة، ونواميس مهتوكة، وشعور مسلوبة، وأموال منهوبة لفقد الاستقلال الشخصي، ولم نر ممن يعبد الله بين تلك الأمم إلا أفراداً، لا يتجاوز عددهم الآحاد، وهم بقية مَنْ عِنْدَهم بَعضُ عِلْمٍ من الكتاب الذي أُنزلَ على موسى، عليه السلام، ومن بعده من الأنبياء. وكانت إرادة الله تعالى متعلقة ببقاء هذا العالم إلى أجله المعلوم، وحكمته البالغة تقتضي إرجاعه إلى نظامه الفطري الذي فطره عليه.

وقد علم العاقل أن حاجة العالم الإنساني إلى الرسل، من مقتضيات العقول البشرية، وأن منزلتهم من العالم بمنزلة العقول من الأشخاص، وما ذلك إلا رحمةً من مُبْدِعِ هذا الكون وواهبِ الوجود، وقد انقضى دور كل رسول، وذهب

إلى ربه شاهداً على أمته، بتبليغ رسالته، وإنذارهم، وأنه قد أبقى فيهم خبرَ الرسول الذي يختم برسالته هذا الوجود، وهذا مما لا نِزاعَ فيه بين أهل الكتاب، بل بين العقلاء كافة من أهل الألباب.

وقد ذكرنا في كتابنا هذا قليلاً من كثير، في شواهد النبوات المبشرات برسالة هذا الرسول المنتظر، وأنه هو محمد سيد البشر ابن عبد الله بن عبد المطلب، نصّت عليه الأنبياء، بنَعْتِه ووصفه واسمه، رمزاً وتصريحاً، وأنه خاتمُ الرسل، وأنه الحبر الأعظم، ورئيس العالم، ورسول الختان الذي يأتي بآخر الزمان. وقد مَسَّتْ حاجةُ العالَم الإنساني إلى بعثته، ﷺ، لما أظل رؤوس جميع الأمم سحاب الجهل والغُمم، فأخذت هواتف البشرى، بظهوره، تتوالى، وأنوار نبوته تتلألأ، فولد يتيماً، توفي والدهُ قبلَ أن يولد، ثم توفيت والدته، بعد مولده بست سنوات، ولم يتركا له من المالِ إلا شيئاً زهيداً. وهكذا لم يقم على تربيته مُهَذِّبٌ، ولم يُعْنَ بتأديبه مؤدب، لا أستاذ ينبهه، ولا كتابٌ يرشده، فكان بين أولياء من عَبَدةِ الأوهام، وأقرباء من حفدة[1] الأصنام، وأتراب استحكمت فيهم الجاهلية، وعشيرة كانت حلفاء الوثنية، غير أنه، مع ذلك، كان ينمو ويتكامُل بَدَناً وعقلاً وفضيلة وأدباً، وكان يكنى، بين قومه، بالصادقِ الأمين، إلى أن تجلّى عليه النور القدسي، وهبط عليه الوحيُ من المقام العليّ، وأمره أن يبلغ قومه، فقام بهذه الدعوة العظمى وحده، والناس أحِبّاء ما أَلِفُوا، أعداء ما جهلوا، والقوم حوله عبيدُ شهواتهم، لا يفقهون ما يقوله، ولا يعقلون مَنْقُولَهُ، وهو يُسَفِّهُ أحلامهم، ويُقَبِّحُ أصنامهم، قائماً بأعباء الرسالة إلى أن أنقذهم من الضلالة، وقضى عمره وهو يجاهد في الله حق جهاده، بين تلك الصناديد من قريش وكبار المشركين وعظماء الأعراب والمعاندين، وهم أشد الناس حباً للعظمة والأَنَفَة، ومنهم القائل.

---

(١) الحَفَدَةُ: الأعوان والخدم.

لنــا نفــوسٌ لنيــلِ الفخــرِ عــاشقــةٌ وإن تسلَّــت أَسَلْنــاهــا علــى الأسَــل
يُبكــى علينــا، ولا نبكــي علــى أحــد ونحــن أغلــظُ أكبــاداً مــن الإبــل
لا ينــزل المجــدُ إلا فــي منــازلنــا كالنومِ ليس له مأوى سوى المُقَل

وهو كالضرغامِ بينهم، يصدعُ بكلمةِ التوحيد، ويحذّرهم في الوعد والوعيد، إلى أن أخرجهم من ظلمات الأصنام إلى نور الإسلام، وهذا كله على يد نبي يتيم، لم يَخُطّ كتاباً قط، فكيف يُتصوَّرُ - عقْلاً - صدور الكذب منه؟ وأنت تعلم أيها المسيحي العاقل! أن علماءكم من مؤرخيكم، وإنْ كانوا يجحدون رسالته، ولكنهم متفقون على أن خاتم الأنبياء ﷺ، كان أرزنَ الناسِ عقلاً، وأوفاهم عهداً، وأصدَقهم مقالةً، كيف ينادي بهذا الأمر العظيم افتراء بين تلك الصناديد الكثيرة، وهو يقدحُ في دينهم، فثبت ببداهة العقل أنه صادق بقوله، وأنه لا ينطق عن الهوى، إنْ هو إلا وَحْيٌ يُوحَى.

وهذه أسرارُ شريعته، أضحت قانوناً عمومياً، يعمل به المخالِفُ والموافق، لأنهم رأوها نقيةً بيضاء، مطابقةً للعقل ولما جاء في كتب السماء، وأباحت فيه ما عَمَّ نَفْعهُ من الطيبات، وحرمت ما ثبت ضرره، بالتجربة، عند الحكماء والعقلاء، كالخمرةِ ولحمِ الخنزير والميتة والدم، إلى غير ذلك من خبيث المأكولات والمشروبات، وتحذرنا بالوعد والوعيد والزجر الشديد عن ذلك وأمثاله، وحظرت علينا اللعبَ والمقامرة ومجامعةَ الحائض، وسنّت علينا الخِتان وأمثال ذلك، لئلا تَفتِكَ بصحتنا وأموالنا وعقولنا وحميتنا. وهذه حكوماتُ أوربا وعقلاؤهم المشهود لهم بالسياسة وصحة الفكر في دنياهم، أخذوا رويداً رويداً يُوجِبُونَ على أنفسهم الأحكام الإسلامية، ولا سيما في هذه السنين الأخيرة، فأباحوا ما أباحه القرآنُ وحَرَّمَتْهُ المُبْتَدِعةُ من الأساقفة والرهبان، فقرروا في أكثر الحكومات وجوبَ الطلاقِ، وتعدُّد الزوجات، وزواج الرؤساء الروحانيين، بعدما كان محرماً، حتى أخبرتنا الجرائدُ بأن عدد المُطَلَّقات يقارب المليون، في مدة

هذه العشرين سنة الماضية، وهكذا أخذوا في سد باب نشر القمار والمقامرة والسّكْر، وأظنهم إنْ داموا على ترقي معارفهم، يقبلون جميع ما أباحه القرآن، ويمتنعوا عن جميع ما أباحته الرهبان، وذلك بعد ما ثبت عندهم تجربة.

فيا أيها المسيحي! انظر، هداك الله، إلى ما جاء به الإسلام، من توحيدِ لله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله، وتنزيهه عن مشابهة المخلوقين، فإنه أقام الأدلة على أن للكون خالقاً ومدبراً واحداً، متصفاً بما دلت عليه آثار صنعه، لا يشبهه شيءٌ من خلقه، وأنه لا نِسبةَ بينه وبينهم، إلا أنه موجدهم، وأنهم له وإليه راجعون، وأن ذاته وصفاته يستحيل عليهما الحلول في جسدِ أو روحِ أحدٍ من العالمين، فاقتلع بذلك أصولَ الوثنية وضلالتهم، وخرافات النصارى وجهلهم في الثليث والتجسيد، بحيث أصبح الإنسان لا يخضع إلا لخالقِ السموات والأرض ومَنْ فيهن، وقاهر الناس أجمعين. والمصلوبُ الذي زعموا أنه إلهٌ، قهرته أذلة اليهود، وأصنامُ العرب أكلها الدودُ.

ثم افترض على الناس عامة أن يقولوا كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام] وقضى على الرسل والأنبياء، كغيرهم، بأنهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، وغاية أمرهم أنهم عباد مكرمون، وأن ما يجريه على أيديهم، من خوارق العادات، فإنما هو بإذن خاص، وتيسير خاص، في موضع خاص، بحكمة خاصة، وأن لكلِّ نفسٍ ما كسبت، وعليها ما اكتسبت، وأنْ ليسَ للإنسانِ إلا ما سَعَى.

وقد جاء الإسلام يخاطب العقل، ويستصرخُ الفهم واللُّبَّ، في إرشادِ الإنسان إلى سعادته الدنيوية والأخروية، ففرض عليه الصلاة، وأعلمه أن الصلاة تَنْهى عن الفحشاء والمنكر، والصلاة دعاء وتَضرُّعٌ وتسبيحٌ وخضوع وتعظيم لله، وليس فيها شيءٌ يرفضه العقلُ، بل هي موجبةٌ للصحة، لما أوجبه على المصلين من وجوب

نظافة الظاهر، كما أوجب عليهم نقاوة الباطن. ومَنْ نظر إلى أسرار الغسلِ والاستنجاء وما فيهما، من نشاط البدن، واستدامةِ نقاوته، عَلِمَ أنه السبب الوحيد في منع كثير من الأمراض. وأقل فوائد الصلوات المترادفة منعها من كثرة الجماع، لما أوجبه عليه من كلفة الغسل، عند كلِّ صلاة، وهو من أعظمِ الأسباب لحفظِ الصحة، ثم فرض عليه الصوم، فهو حرمان النفس في وقت معين، من لذة الطعام والجماع والشراب، حتى تُعْرَفَ مقاديرُ النعم عند فقدها، وشرع لنا في لياليه صلاة التراويح، وذلك ما عدا التهجد في السحر، وقد جُرِّبَ أن الصيامَ يزيدُ البدنَ صِحةً، كما ورد في الحديث: «صوموا تصحوا»[1] ثم فرض على المستطيع حج البيت، فهو أنموذجُ الحشرِ والنشر وتذكير يوم القيامة، وتعهد له بتمثيل المساواة بين الخاص والعام، ولو في العمر مرة، يرتفعُ فيه الامتيازُ بين الغني والفقير والصعلوك والأمير، ويجمعهم، في معرضٍ واحد، حفاةً عراةً مكشوفي الرؤوس وقوفاً مُتَجرِّدين عن آثار الصنعة، يكررون قولهم: الله أكبر، حتى ترتج الجبال من ضجيجهم وتضرعهم، للهِ الجبار الواحد القهار، ثم فرض على الغنيِّ زكاةَ أمواله، لمواساةِ الفقير، فهذه العباداتُ المفروضة على الإنسان بعد أن استجمعَ له، عند بلوغِ رُشْدِه، حريةَ الفكر، واستقلالَ العقل، وهما أساس المدنية، كما صدق عليهما بعض علماء الغربيين من متأخِّريهم بقوله: «إن نشأة المدنية في أوربا إنما قامت على هذين الأمرين، وقد برهن هذا العالم الحكيم أنه شعاع ساطع على الغرب والغربيين من آداب الإسلام» انتهى.

ويكفينا فخراً وذخراً في الدنيا والآخرة قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران] صدق الله العظيم. وقال عيسى عليه السلام في متى ص٢٤ - ف١٣ ونصه: «الذي يصير إلى

---

(١)

المنتهى، فهذا يخلص، ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة، شهادة لجميع الأمم، ثم يأتي المنتهى» انتهى.

وهو لا شك يخبرُ عن القرآن، والمُنْصِفُ إذا تَجنَّبَ عن الأغراض، بحكم بأن القرآن الكريم رفع ما كان قد وضعه رؤساء الملتين اليهودية والنصرانية من الحجْر على عقول المتدينين، من فَهْم الكتب السماوية، لأن القرآن جاء يُلبسهم عار ما فعلوه كما قال الله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة] ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾[الجمعة] وبهذا التقريع ونحوه فرض على كل مسلم أن يأخذ الحظ من علم ما أودع الله في كتبه، وما قرر مِن شرْعه، وجعل الناس في ذلك سواء. وهنا نأتي بعتاب خاص إلى الأورباويين، من شعوب النصرانية، فأقول: إنهم لما رأوا أن عقيدة النصرانية كملعبة أطفال، وأن العقيدةَ الإسلامية تعجز عن ردها فحولُ الرجال، هربوا من عار النصرانية، وقلدوا الملحدين استكباراً وحسداً للمسلمين، لأن عقلاءهم علِموا بأنْ لا نجاةَ في الآخرة، ولا تَمدُّن في الدنيا إلا بالإسلام، لأنه لا عيب ولا ريب فيه، وهو ثابتٌ ببداهة العقل، واستجماعُه الانتقام وكمال الفضل، وإنهاضه العزائم للسعي والعمل. وقد أغلق باب الشر، وسد ينبوع فساد المال والعقل والحمية بتحريم الخمر ولحم الخنزير والقمار، ولكنهم التجأوا إلى ما هو شر مما هربوا منه، فيصدق عليهم قولُ بطرس هامة الحواري حيث قال في رسالته الثانية من ص٢ - ف٢٠: «فقد صارت لهم الأواخر أشرّ من الأوائل» إلى أن قال فيها ف٢٢: «قد أصابهم ما في المثل الصادق: كانت قد عاد إلى قَيْئه، وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة» لأنهم في التجائهم إلى الملحدين، أنكروا كافة الرسل والأنبياء وكتب السماء، بعد أن كانوا لا ينكرون إلا رسالة محمد عليه الصلاة والسلام، فانتقلوا من الرمضاء إلى النار، ومن الهاوية إلى بِئْسَ القَرار، فهم كالخيل المربعة بلا لُجُم، لا شريعةَ إلَهية تَزْجُرُهم، ولا وجدان

يمنعهم، ولا عقاب يردعهم، ولا جنة تطعمهم، والنفس أمَّارةٌ بالسوء كما قال.

الظلمُ من شِيَمِ النفوس فإنْ تَجِدْ ذا عِفَّةٍ فلِعلّةٍ لا يظلم

ومعلوم أن انتظام العالم وكمال المدنية لا يتم إلا بأمرين: شريعة إلهية، وقوانين بشرية، الأولى تحيطُ بالثانية، ولا تحيطُ الثانية بالأولى البتة، وهذا ظاهرٌ، لأن قوة الشريعة الإلهية تخوف المقلِّدَ لها من عذاب الآخرة، ومن قصاص الدنيا، فيمتنع الكثير من الناس عن فِعْلِ الشر، في الخلوات والجلوات، فيكون كاملاً ومتمدناً حقيقياً، ولا يمتنع الملحد عن فعل الشر في الخلوات، لأنه آمِنٌ من عقاب الدنيا والآخرة، فلا يصح حينئذٍ تسميتهُ إنساناً كاملاً ولا متمدناً، فلا بد من المصير إلى الشريعة الإلهية، واعتقاد البعثِ والحسابِ، والانقياد إلى ما أتى به النبيون، والله الهادي إلى سواء السبيل، وهو حَسْبُنا ونِعْمَ الوكيل.

وهذا آخر ما يَسَّرَ اللهُ تعالى لنا من الجمع والتحرير، وهو لدى المنصف قليلٌ من كثير، فما أصبتُ فيه، فذلك من فضل المولى، عز وجل، وما أخطأت فيه، فمن قصوري في هذا الأمر الجَلَل، والحمدُ لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً، وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله، وعلى جميع إخوانه النبيين، وعلى آله وأتباعه أجمعين.

قد تم بعون الله وحسن توفيقه طبع كتاب «الفارق بين المخلوق والخالق»

ويليه «ذيله» المشتمل على أربعة رسائل من أهم ما ألف

بهذا الفن لسعادة مؤلف الكتاب المذكور

ضاعفَ اللهُ له الأجور

آمين

ذيل الفارق

البحث الأول

(في رد رسالة شرح التعليم المسيحي لقواعد الإيمان الكاثوليكي)

قد تَمَّ كتاب «الفارق»، والحمد لله، ووضَّحنا به ما فعلوه، من الفساد والزيادة والنقصان والتحريف والتغيير وأنواعه، في أناجيلهم المطبوعة، في زماننا، عند تطبيقها على الأناجيل المطبوعة سنة ١٨٤٨ في لندن وما قبلَها، وهذا التحريفُ الجديدُ علاوةً على تحريف المتقدمين، فصيّروا كتبهم المقدسة ظُلمات، بعضُها فوق بعض، بعدما كانت هدى ونوراً للعالمين. وكما أثبتنا في «الفارق»، خَلْطَ المتقدمين في كتبهم، كذلك نأتي هنا بخلاصة، نبين فيها خبط المتأخرين في تعليم أولادهم المساكين، وتكليفهم أن يؤمنوا بما لا يُعلم، ويعتقدوا بما لا يُفْهَم، فمنها تصنيف المطران بطرس الجريجيري رسالته المرتبة على سؤالٍ وجواب، في تصوير العقيدة بزعمه، وسماها «شرح التعليم المسيحي في قواعد الإيمان الكاثوليكي» المطبوعة طبعة ثالثة في بيروت سنة ١٨٩٦ ميلادي، زاعماً أنه أصلحَ ما أفسده أسلافُه، وصوَّرَ عقيدته تسكيناً لأضداده، وقد صَدَّقَ عليها جماعةٌ من أعاظم علمائهم الموظفين في الديوان البطريقي بدمشق الشام، تحت رياسة غريغوريوس البطريق في إنطاكية؛ وبينما كنت أعجبُ من عقول هذه اللجنة وبطريقها، كيف صدقت على هذه الرسالة وما فيها من المغالطات والمناقضات، وإذا هم أتوا بأمرٍ أشنع منها، يضحكُ منه الرفيع والوضيع، وهو تاريخهم، في ذيل تصديقها، وهذا نصه «بتاريخ ١٦ من تموز سنة ١٨٧٢ للتجسد الإلهي».

فانظر أيها النبيل إلى تبجح رؤسائهم وعظمائهم! كيف لا تأسف على وقوع مثل هذا من خواصهم، ولا سيما من بطريقِهم، بأمرٍ لم يسبقهم به أحد، وكيف قبلت هذه الأمة الكثيرة العدد، بعد تسعة عشر جيلاً، تبديلَ تاريخهم، وتحويله من الميلاد إلى التجسد الإلهي؟! فيستلزم من قوله: تقديم التاريخ العمومي سنة كاملة، كما لا يخفى ذلك على الأعمى، ولا يبعد هذا من قومٍ كذبوا التاريخ

المصحح من أنبيائهم، ولا سيما، على زعمهم، من إلههم، وزادوا عليه ثلاثةَ عشر يوماً ظلماً، من بعد ما مضى عليه تسعة عشر جيلاً. وإنْ شئت قُلْ: ستين جيلاً، ومن بعد هذا وهذا، فإن المصنف قد استعمل في رسالته الكذبَ أيضاً على كتب الله، لترويج تصنعاته، فمنها قوله في صحيفة ٦٩ من هذه الرسالة، أن وجوبَ يومِ الأحدِ من الوصايا العشرة التي أوصى الله بها موسى الكليم، صلواتُ الله عليه، ولفظه: «احفظ أيام الآحاد والأعياد».

انظر، هداك الله وعافاك، فإني فتشتُ التوراةَ والزبور وأسفار الأنبياء والأناجيل الأربعة، وأعمال الرسل ورسائلهم، والرؤيا وتصانيف السلف منهم والخلف، فلم أرَ فيها حرفاً واحداً مما قال، بل وجدنا مكتوباً فيها «احفظوا السبوت» مع التشديداتِ المكررة، وحتى إنَّ الله قال لموسى: الذي يكسرُ السبتَ، يموت موتاً. وهذه الكذبةُ الفاضحة منه على كتب الله المنزلة، تكفي طعناً في الرسالة المذكورة ومؤلفها والجمعية، وبطريقها الذين صدَّقُوا هذا الكذب، وابتدعوا تاريخها، من تجسد الإله، تعالى الله عما يَصِفُون.

ومن فضائحِ هذا المصنف أيضاً قوله في صحيفة ٩٦ ولفظه: «يوم الجمعة احتمل الآلام والموت الاختياري» وفي صحيفة ٤٣ من رسالته قال: «حكموا عليه بالموت ظلماً».

انظر أيها اللبيب! كيف يصحُّ قولُه أن موته كان اختيارياً، بعد قوله: إنَّ الحكمَ عليه بالموتِ ظلمٌ، وهذا تناقضٌ ظاهر، لا يُؤَوَّلُ على أن يوحنا الإنجيلي خالف هذين الوجهين، وصرخ بإنجيله أن قيافا رئيس الكهنة حكم بكفر عيسى حَدّاً بالإلهام، فهل يُعقل بعد صدور هذا الحكم، من هذا النبي المُلْهَم، بزعمهم، على خالقهِ بالكفر والموتِ ظلماً وقهراً؟ وقد تَبيَّنَ من كلام يوحنا أن الآلام والموت التي احتملها المصلوب، لم تكنْ ظلماً ولا اختيارياً، كما زعمَ المُصَنِّفُ صاحبُ الرسالة، وهذه الأناجيل الأربعة والرسائل وأعمال الرسل وكتب علمائهم

صرحت بأن المسيح، عليه السلام، كان يهربُ من اليهود، ويختفي من مكانٍ إلى مكان، ويخرُّ للأرض ساجداً، وعَرَقُه كدمٍ، ويدعو الله أن يخلِّصه من هذا الموت الذي زعم هذا المطرانُ أنه اختياريٌّ، حال كونهم قبضوا عليه قهراً، وأوجعوه ضرباً، وهو يصرخ بين أيديهم من العذاب، وينادي رَبَّ الأربابِ بصراحةِ قوله: «إلهي إلهي لماذا تركتني».

أيكون موتُ هذا الإله المهان والمصلوب بين لصين، على هذا الحالة اختيارياً، وهل يكونُ للإلهِ إلهٌ ثانٍ يناديه ويستغيثه؟ تالله إن هذا لمن أقبح أنواع الكفر، وأفحش أقسام الجهل.

ويكفي هذان البرهانان الساطعان، والدليلان القاطعان طعناً في هذه الرسالة، ولنذكر هنا بعضاً من تلك الأسئلة والأجوبة، من هذه الرسالة المذكورة، ونُحَشِّيها بأبحاثٍ، نُظْهِرُ بها دسائسهم وتبجح رؤسائهم على الأديان، عسى نرى من مُنْصِفٍ، يسعفُ الحقَّ، ويتبعه، ويكره الباطل، ويرفضه، فأقول، قال المؤلف برسالته المذكورة في صحيفة ١٩:

سؤال: «ما هي القضية الأولى من قانون الإيمان».

جواب: «نؤمنُ بإلهٍ واحد ضابط الكل خالقِ السماء والأرض وكل ما يُرى وما لا يرى».

سؤال: «ما معنى قولك: بإلهٍ واحد؟».

جواب: «أعني بذلك أنني مُصَدِّقٌ غايةَ التصديق، ومحقق كل التحقيق، أنه يوجد وجودٌ واحد، واجبِ الوجود، وهو روحٌ بسيط أزليٌّ أبدي غير مُتناهٍ، كُلِّيُّ الكمالِ، لا يقبلُ تغييراً ولا تبديلاً، قادر على كل شيء، عالم بكل شيء، علة العلل كافة، مُبْدِعٌ من العدم إلى الوجود كلَّ موجود، مجازٍ كلاً حسب أعماله، وهذا الوجود هو الله تعالى».

وفي صحيفة ٢٠:

سؤال: «برهن لي عن وجود الباري عز وجل».

جواب: «لا بد لكل معلولٍ من علة، فهذا الكونُ يدل على مكوِّن، وهو الله تعالى».

سؤال: «لماذا قلت: وجود واحد».

جواب: «لأنه لا يمكن أن يكون الإلّهان، بل إله واحد، إذ لا يمكن أن تكون العلل كلها إلا علة واحدة أولية».

سؤال: «ما معنى قولك: واجب الوجود، روح بسيط أزلي أبدي غير متناه».

جواب: «معناه: أن كونه ضروري، وعدمه مستحيل، ولا يمكن أن يقع تحت حواسنا، إذ لا جسمَ له ولا شكل، ولا بدايةَ له ولا نهاية، ولا يحصرهُ زمانٌ أو مكان، كائن أبداً على كل حال، واحد لا يعتريه نقص أو ضعف».

أقول: إنْ صَدَقَ المؤلفُ باعتقاده على هذا التوحيد الوحيد، وثَبتَ على هذا التنزيه المجيد المنقول من كتب الإسلام، فهو مسيحيٌّ حقيقي، كما كانت عليه الأنبياء، من مبدأ الخليقة إلى يومنا هذا، ولكن أين هو من هذه العقيدة الطاهرة، مع ما سيأتي له من الخرافات التي تشمئز منها الأسماع، وتأباها العقولُ السليمة، حيث قال في رسالته هذه:

سؤال: «لماذا قلت بإلهٍ واحد أب».

جواب: «لدلالته على أن الله يَلِدُ من الأزل ابناً، الذي هو إلّه نظيره، بهذا إشارة إلى سر الثالوث الأقدس».

أقول: إن هذا السؤال عبارة عن ثلاثة كلمات، وهي «إله واحد أب» ومعناه

ظاهر، لا غبارَ عليه، فمعنى «إله واحد» أي: لا إله إلا الله، وهو الغنيُّ عمن سواه. وأما قوله «أب» أي: موجدٌ لكافةِ الموجودات وعلة العلل، كما ذكر المؤلف آنفاً، ولا يحتمل الجواب غير هذا البتة، ولكن المؤلف شَطَر هذا السؤالَ بجوابِهِ المبرقع بالضلال، كما ترى، ومع هذا فهو فاسدٌ منطقاً، لأنه كيف يلتئم قولُه «يلد» بصيغة المستقبل مع قوله «منذ الأزل» الذي هو الماضي الذي لا أول له، ولو قال: ولد منذ الأزل، لكان أنسب لضلاله، ولكن هو معذورٌ بهذا الخبص، لأنه اقتحمَ لُجّة بحرٍ، لا ساحلَ له، ولم يكتف بالتشطير فقط، بل ثَلَّثَ الجملة أيضاً بقوله «إن فيها إشارة إلى سر الثالوث المقدس» فليت شعري! أي إشارة في هذه الكلمات الثلاثة على الثالوث، وكيف استدل منها على أن الله يلدُ ابناً منذ الأزل، الذي هو إلهٌ نظير الله؟ فهل يقال: لله نظير الله؟ كفانا الله شر التخميس من هذا المبتدع، بعد هذا التشطير والتثليث، ولعله استنبط الثالوث من عدد الكلمات، فإنْ كان المراد من المولود عيسى، فإنه عليه السلام لم يُولَدْ من الله منذ الأزل، ولا فيما بعد، بل وُلِدَ من العذراءِ البتول، في زمنِ بيلاطس الملك، والمسيحُ هو أحدُ أنبياء بني إسرائيل، بإقرارهم، ومرسولٌ لهم، ولا نزاع بذلك، وإن كان المراد من قوله: يَلِدُ ابناً، أي: يوجِدُ أو يخلقُ، والمعنى واحد، فإن الله لم يخلقْ عيسى وحده ابناً، أي باراً، بل خلق الأنبياءَ، والأبرارُ كُلُّهم أبناءُ الله، كما قال للمسيحيين: كونوا أبناء الله، وحينئذ عيسى لم يكن إلهاً، وقد تَسَمَّى منهم ابن الله آدم وداود وسليمان وغيرهم، عليهم أفضل الصلاة والسلام، وإن قصد من قوله: منذ الأزل، أنه في عِلْمِه القديم سيوجد ابناً، أي: رسولاً إلى مخلوقاته، فإن عيسى لا يختصُّ وحده بذلك، بل علمه محيط بكافة المصنوعات والموجودات قبل ظهورها، والأبرار والأنبياء من جملتها. وإن قصد أنه تَجسَّدَ منذ الأزل، فيكذبه الإنجيلُ بأن الكلمة تجسدت في رحم العذراء، ولا سيما إقرار البطريق في ذيل تاريخ التصديق بقوله: من التجسد الإلهي، وسيأتي أيضاً في صحيفة ٣٦ من هذه الرسالة ما يُكَذِّبُ ما قاله آنفاً، وهذا نصه: «الروح

القدس كوّن من دم مريم الجسد» وبديهي أن المسيح لم يكن جسداً، ولا شيئاً قبل حملِ العذراء به، وهذا البحثُ مُستوفىً في شرحنا على أول إصحاح من إنجيل يوحنا، فراجعه.

وخلاصة الأمر أن مقصد المؤلف من هذه الأسئلة والأجوبة، أن يصور عقيدة النصرانية، ويدفع اعتراض مَنْ يقول: إن المسيحيين عاجزين عن تصوير عقيدتهم العجيبة، فانتدب هذا المصنف، وصوّر العقيدة، زاعماً أنه فتح غامِضَها، حال كونه عمّاها، ولو أن هذا المؤلف لم يتعرَّضْ لهذا الأمر المهم، وأبقى ما كان على ما كان، لكان أسترَ لضلالِهم من هذا الإعلان بين الخليقة، الذي جعل علماء البروتستنت والأورباويين تَتضاحكُ على تضاربِ أجوبتِه وتناقضها، لأنَّ السائلَ يستوضحُ الغامضَ، والمسؤولُ يزيد بجوابه على الارتباك إشكالاً وإبهاماً فمنها قوله:

سؤال: «ما هو سر الثالوث الأقدس؟».

جواب: «وجود ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس، في إلهِ واحد، وهو الله».

سؤال: «من هو الأقنوم الثالث؟».

جواب: «الروح القدس، لكونه تعالى مصدر الأب والابن، كمن مبدأ واحد».

أقول: لما عَيَّنَ أسماء الأقانيم الثلاثة، وجعلها في إله واحد وهو الله، ثبت أنهم أربعة، لأن من صريح قوله، أن الأب والابن وروح القدس غير الله، لأنها مَظْروفةٌ في الله، والله ظرفٌ لها، كما يفهم من قوله: «في إله واحد وهو الله»، ولا شك أن المظروف هو غير الظرف، فتبين أن التثليثَ انقلب تربيعاً.

وأظن أن هذا المصنف رويداً رويداً يترقى إلى تخميس الإله، وكل آتٍ قريب.

ثم إنه لا يظهر معنى من خبصه في تعريف الأقنوم الثالث، وبينما كان ينبغي على المطران أن يوضِّحَ للسائل ما غمضَ عليه وأشكل، فإنه قد زاد على الإشكال إبهاماً، بحيث لا يفهمُ خَلْطَهُ فحولُ العلماء، فضلاً عن العامة.

سؤال: من صحيفة ٢٢: «هل كُلٌّ من هذه الأقانيم إله؟».

جواب: «نعم كُلٌّ منهم إله، لأنَّ لكلٍّ الطبيعةُ الإلهيةُ نفسها وصفاتها».

سؤال: «فإذاً هم ثلاثة آلهة؟».

جواب: «لا، بل هم إله واحد فقط، لأنَّ لهم جوهراً واحداً ولاهوتاً واحداً وذاتاً واحدة».

أقول: انظر، هداك الله، إلى تلاعب هذا المؤلف، فإنه يمحي ويثبت بلا تروٍ، تارة يجعلُ الآلهةَ ثلاثةً، وتارة أربعة، وتارة يخبص في جوهر التوحيد، ولا برهان يستند إليه، ولا دليل يبني عليه، فكأنه رسول يُشرِّعُ بإلهامٍ، بما لا تُدْرِكُه الأفهام، أو فرس مربّعة بغير لجام.

سؤال: «هل يتميزون عن بعضهم».

جواب: «يتميزون، ولا ينفصلون».

أقول: ثبت من قوله: يتميزون. أن كل أقنوم من الثلاثة له صفةٌ، يمتاز بها عن الاثنين، وكذلك كل واحد من الاثنين يمتاز بصفة، لم تكن في غيره، وهذا نقصٌ في كمالِ كلٍّ واحد من هؤلاء الآلهة الثلاثة. وقوله: لا ينفصلون، بعد قوله: يتميزون. كلام لغو، لا معنى له، لأنَّ التمييزَ يوجب الانفصالَ البتة، على أن المطران سيصرح في الجواب الآتي، بأنهم منفصلون، ولا حاجة إلى الإطناب هنا.

سؤال: «ما معنى قولك: يتميزون، ولا ينفصلون».

جواب: «أعني بذلك أن الأب ليس هو الابن ولا الروح القدس، والابن ليس هو الأب ولا الروح القدس، والروح القدس ليس هو الأب ولا الابن، والثلاثة متحدون في واحد».

أقول: فقد ثبت أن عيسى عليه السلام ليس هو الله، بصراحةِ إقرارِ المطران، وإن قيل بأن المطران قال في آخر كلامه بأنهم متحدون في واحد، فنقول: إن هذا كلام مُهْمَلٌ ساقط، لأنه كيف يَصحُّ قولُه: «متحدون في واحد»، بعد قوله: «إن الابن ليس هو الأب»؟ فإن اللّيْسِيَّة تستلزمُ الغيْرِيّة في الماهيَّة، والغيريةُ تستلزمُ الانفصالَ وعدمَ الاتحاد، ومن البديهي أن الشيء الواحد لا يكون هو وليس هو البتة، فثبت ببداهة العقل بطلان قوله: متحدون.

سؤال: «لماذا قلت: أب ضابط الكل؟».

جواب: «لأنه يستطيع أن يفعلَ كُلَّ ما يشاء».

سؤال: «هل الابن والروح القدس قادران نظير الأب».

جواب: «نعم إنهما قادران على كل شيء نظير الأب، لأنهما ذاتٌ واحدةٌ معه».

أقول: إذا كان الابن وروح القدس قادرين على كل شيء مثل الأب، فما الفائدة من قوله بأن الأب ضابط الكُلِّ ولا سيما لم يجف القلم بعد، من قوله آنفاً: إن الابن ليس هو الأب، كيف صارا هنا ذاتاً واحدة؟ ولو كانا، كما يزعم، ذاتاً واحدة، لاستلزمَ حينئذ موتُ الإله بموتِ المصلوبِ المهان، لأنهما، على زعمه، ذاتٌ واحدة، لا ينفصلان. فيبقى النصراني حينئذ كالفاسق المحروم، لا نبيَّ له، ولا رسول، ولا إله، ولا أقنوم، ولا روح القدس، ولا كلمة ولا اتحاد ولا توحيد، ولا شرك ولا تثليث، ولا ابن ولا حفيد، ومنها يتبينُ فسادُ تصويره.

سؤال: «لماذا إذاً تُنْسَبُ القدرةُ للأب خاصة؟».

جواب: «لانه مبدأ الأقنومين الآخرين، وهو الذي يشركهما بالقدرة بإعطائه لهما طبيعته نفسها».

أقول: فالذي يظهر لي من هذا الجواب ثلاثة أمور:

الأول: ثُبوتُ الشرك من قوله يُشْركهما.

والثاني: ثبوت مبدأ للأقنومين، كما يصرح به قوله: الأب مبدأ الأقنومين، والإله ليس له مبدأ ولا نهاية، كما صرح بذلك المصنف في مبدأ رسالته آنفاً، وحينئذٍ يخرج الأقنومان من كونهما ذاتاً واحدة مع الله.

الأمر الثالث: يثبت بأن الله هو المعطي وعيسى مُعْطىً له، من قوله بإعطائه لهما طبيعته، والمفتقرُ لغيره ليس بإلَهٍ البتة، فهذه أمور ظاهرة الثبوت والبيان، كما أن التثليث ظاهر البطلان.

سؤال: «أفلا يكون أحد هذه الثلاثة أقانيم أعظم وأقدم وأقدر من الآخر؟».

جواب: «لا بَلِ الثلاثةُ متساوون بالعظمةِ والأزليةِ والقدرةِ وباقي الصفات الإلهية».

أقول: إن المسيح صرح، في الإنجيل، بأن الله أعظم منه، فكيف يصح قول هذا المطران بأنهما متساويان بالعظمة، وكيف يلتئمُ قوله، في هذا الجواب، بأنَّ الابنَ أزليٌّ، مع قوله، في الجواب السابق، بأن الله مبدأ الابن؟ فالذي له مبدأ، كيف يكون أزلياً؟.

ثم قال في صحيفة ٢٢: سؤال: «أتستطيع فهم ذلك؟».

جواب: «لا، لأن هذه الأسرار تفوقُ الإدراكَ البشري، بل يجبُ علينا أن

نؤمنَ بها، لأن الله أعلنها لنا، وهو الحق، لا يقدر أن يغِش أو يُغش».

أقول: قد انتهى الحمق بين السائل والمسؤول وتقاسماه بينهما، لأن السؤال غريب، والجواب عجيب، كيف يقال: إن الله لا يقدر، وهو الذي خلق الغش والظلم والشر والخير، والقادر على كل شيء، ولو كان يعقل هذا المطران، لقال: إنَّ الله لا يغش، ولا يظلم أحداً، فقط بدون أن ينفي القدرة عنه.

ثم انظر أيها المسيحي اللبيب، إذا عجز هذا العالم النحرير عن تصوير ديانته وفهم عقيدته، وهو الذي ابتدعها، كيف يستطيع العامي المسكين دَرْك مذهبه؟ فالكلُّ يعبدون آلهة يجهلونها، ويسجدون لأسماء، لا يدركونها، ويخضعون بألسنتهم لما تنكره أفهامهم، لأنه قال: إدراكها خارج عن طوق البشر، فإذاً لا يعاقب جاحدها ومنكرها كاليهود الذين أتوا قبل الإسلام، فإنهم معذورون في عدم الإيمان بآلهة مجهولة، والحق معهم، لأن الله تعالى يقول ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة] والعجبُ كُلُّ العجبِ من هذا المطران، كيف يفتري على الله بقوله: إن الله أعلنها لنا.

فليت شعري! المسيح عليه السلام متى أعلنها لهم، وبأيِّ إصحاح وإنجيل قال لهم بأنه هو الله، وأن الله مركب من ثلاثة أقانيم؟ فلم نرَ في الأناجيل إلا عكس ما نقلوه، لأنه عليه السلام، قال بصراحة اللفظ، بأن له إلَهاً في السماء، يعبده، ويسجد له، حتى قال لهم: إلهي وإلهكم. وقال: لا أقدرُ أن أفعلَ شيئاً إلا بمشيئة الذي أرسلني، ولا أُجْرِي معجزةً إلا بأصابع الله. وأوصاهم بقوله لهم: لا تعبدوا إلَهاً على الأرض، لأن إلهكم واحد، وهو في السماء، ولا تأخذوا لكم معلّمَين، لأن معلّمكم واحد، وهو المسيح.

وقال في ص١ من متى: «ليس كل من يقول لي: يا رب يا رب! يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعلُ إرادةَ أبي الذي في السموات».

والمؤمنون الحقيقيون أيضاً تمسكوا بهذه الأقوال، وعبدوا الله وحده، وصدقوا بأن عيسى عبده ورسوله، ورفضوا خرافات الخلسة. أيقتدر هذا المؤلف أن يحمل أقوال المسيح على الغش وهذيان الأساقفة والمبتدعة على الوحي، على أن هذه العقيدة قد فهمها الأطفالُ وربّاتُ الحِجال، فضلاً عن عقلاء الرجال بأن خلاصتها شِرْكٌ صريح وخَبْص قبيح، والنتيجة قدحٌ بالأنبياء والمسيح، وخلاصة الخلاصة قد ثبت وتحقق من صراحة جوابه المار ذكره أن السؤال لا يفهم، والجواب لا يفهم، فصار لا يفهم فيما لا يفهم، وكل ما يُفَرّعُ عليه في المستقبل، كذلك لا يفهم ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴿٤٤﴾ ﴾ [غافر].

سؤال: «ما هي القضية الثانية من قانون الإيمان، وما تعلمنا هذه القضية؟».

جواب: «نؤمن بربٍّ واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأبِ قبلَ كل الدهور، نور من نور، إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للأب في الجوهر الذي به كان كل شيء، وأن ربنا المسيح هو الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، وهو إله واحد معه».

أقول: إن هذا الجواب من المطران خبص في الحقائق، لا يُفْهَمُ منه مقصد ولا مرام، وإني أظن أن المؤلف لم يجهل هذا الخبط والتدليس، بل تَعمَّدَ لكي يخبط في المعقول والمنقول، ويخفي الحقيقة على ضَعَفة العقول، وعلى كُلٍّ، فإننا أجبنا على مجملات هذا الجواب، ومفرداته في «الفارق» وفي شرحنا على هذه الرسالة، وسنكرر أجوبتنا، إن شاء الله تعالى، على تكرار أجوبته، وأجيبُ هنا مُجْملاً، بأنَّ الله واحد صمد، ليس كمثله شيء، لم يَلِدْ ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

ولنذكر أيضاً ما يزيدُ المطالعَ إيماناً واطمئناناً، وهو أن المطران المذكور نقض

كلامه بكلامه، وكذّب نفسه بنفسه، من حيثُ لا يشعر أو يشعر، ويفتري على الله، ليُضِلَّ من لا يشعر، فمنها ما يقوله قريباً في رسالته هذه، أن الروح القدس كُوّن من دَمِ العذراء البتول، في رحمها، جسد المسيح عليه السلام، وكل مسيحي يعلم أنها ولدته في زمن بيلاطس. وهنا قال بأنه وُلِدَ من الله قبلَ كلِّ الدهور، وهو ليس مخلوقاً، وهذا التناقضُ لا يلتئم. وأيضاً فإن المسيح قال: إن الله أعظمُ مني، وهنا قال المطران: إنَّ المسيح مساوٍ لله، وهذا تباينٌ فاحش، لا ينصلح، ولو سألتَ المطرانَ عن هذا التناقض، لأجابَ مسرعاً مدرّعاً بنسيج العنكبوت، قائلاً: لا تناقُضَ، لأني قصدتُ بلاهوتِ المسيح أنه مساوٍ لله، لا ناسوتُهُ. وأما المسيح فقَصَد بأن الله أعظم من ناسوته، لا مِن لاهوته.

قلت: فلم يميز، في القول الأول التخصيص باللاهوت، ولا بالثاني التخصيص بالناسوت، حتى يَصحَّ تَلفيقُكَ، بل إنما يُفْهَمُ من حديث المسيح عليه السلام، أن ذات الله أعظم من ذاته، لاهوتاً كان أو ناسوتاً، ابناً كان أو حفيداً. ويفهم من قولك: إن ذاك المسيحَ الذي زعمتَ أنه مساوٍ لله صُلِبَ، ومات مهاناً بين لصين على الخشبة، وبداهةُ العقل تحكمُ بأنه لم يكن مساوياً لله، لأن الله حَيٌّ وقاهرٌ فوق عباده، والمصلوبُ قهرته أذلُّ العباد، ومات وقُبر رحمة الله عليه، ويرحمنا إذا عدنا إليه. ولو أن المطران يقول: إن لاهوت المسيح معادلٌ لله، لأجبناه بالسكوت، لأنه كلامٌ مُهْمَلٌ فاسد، وعند علماء الكلام ساقطٌ كاسد، إذ كيف يقال لله، مساوٍ لنفسهِ؟! والأعظم أنه ابتدع لله جوهراً وطبيعة وأقنوماً، لا نعلمها، لأنه لم يذكرها رسولٌ ولا كتاب، وهي بعيدةٌ عن الصواب، ولم يكتف بذكرها فقط، بل بنى عليها أبنيةً جسيمة، لا أصلَ لها، بل أسَّسها على جُرُفٍ هارٍ، فانهار بِهِ إلى النار. وليت شعري! من أيِّ إنجيل اقتبسها، وما هو الأقنوم، وما هي الطبيعة، وما هو الجوهر، وما أراد بهم! فهل يزعم أن في الله معادنَ، تخرجُ منها تلك الجواهرُ والأقانيم والطبائع التي جعلها مداراً لضلاله؟! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. والحق ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ

﴿اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۝٢٣﴾ [النجم].

أيها المطران! أينَ أنتَ من معرفة حقيقة الله، وقد تاهت بمعرفته الأنبياءُ وفحولُ العلماء والحكماء، وتحيرت من كُنْهِ صفاته العقلاء؟! ولقد أجاد من قال:

تاه الأنام بسُكْرهم فلذاك صاحي القومِ عَرْبَد
فنجا من الشرك الكثيف مجردُ العزمات مُفْرد
يا بادعَ الأكوانِ لست لسرِّكَ المكنونِ أجحد
تالله لا موسى ولا عيسى المسيح ولا محمد
علموا ولا جبريلُ وهو إلى محلِّ القُدس يَصعد
كلا! ولا النفس البسيطة لا ولا العقل المجرد
عن كُنْهِ ذاتك غير أنك أوْحَديُّ الذات سرمد
فليخسأ الحكماء عن حَرَمٍ له الأملاكُ سُجَّد
من أنتَ يا رسطو ومن أفلاط قبلك يا مبلّد
ومن ابن سينا حيث أسس ما بناه لكم وشَيَّد
ما أنتم إلا الفرا ش رامَ السراجَ وقد توقد
ودنا فأحرقَ نفسه ولو اهتدى رشداً لأبعد

وقال بعضهم

سَبْسَبٌ أعجزت لمن يقتفيها وجبال أعيت لمن يرتقيها
رُدَّ عن دَرْكها الحليم سفيهاً حِكَمٌ حارت البريَّةُ فيها

وحقيق بأنها تحتار

سؤال: «خلاصة من أربع سؤالات ما معنى: يسوع ومسيح وابن الله، أليس المسيحيون كلهم أولاد الله؟».

جواب: «خلاصة من أربعة جوابات: معنى يسوع: مُخَلِّصنا، ومعنى مسيح: مَمْسُوحٌ من الله، نبيٌّ يعلنُ للعالم أسرارَ الله الغامضة، وكاهناً ليقدم ذاته ذبيحةَ الفداء كفارةً عن العالمين، وأما المسيحيون أبناء الله: بالذخيرة والنعمة، والمسيح ابنُ الله بالطبيعة».

أقول: لقد اعترف المطران بأن عيسى من الأنبياء والكهان، وبذلك هَدَمَ أركان دينه وعقيدته من حيث لا يشعر، ولعله يستهزىء بمن لا يشعر.

انظر - هداك الله - إلى قوله بأن عيسى ابن الله بالطبيعة، فما معنى قوله: بالطبيعة، أليس هذا إلا تَحَكُّماً، ولماذا لم يكن ابنَ الله أيضاً بالذخيرة والنعمة، كموسى وآدم وسليمان وداود وغيرهم، وأي امتيازٍ حصل له عنهم، تالله! إنَّ هذا لداء مُزمِن، تمكن فهم، لا دواء له، والخرق الأعظم قولهم: إن المسيح كفارة عن العالم.

يا أيها المسيحيون: أنصفوا، أنتم تُقِرُّون، وتعلمون بأن خطيئة آدم عليه السلام، كانت عبارةً عن أكلهِ من الشجرةِ المنهيِّ عنها، والله تعالى أخرجه من الجنة جزاء لمخالفته، وقد غفر له لندمه، كما صرحت بذلك كتب السماء، أما يكفي انتقاماً من آدم إخراجه من ذلك النعيم المقيم، وترْكُه في دار الشقاء والمحنة والفناء، يَعْبَثُ به وبذريته إبليس الرجيم، ولما أتى عيسى عليه السلام، لم يكن وقتئذٍ لآدمَ خطيئةٌ حتى يُعاقَبَ بها، ومع هذا، فكُتُب السماء كلها صرحت بأن الولدَ لا يُعاقَبُ بذنبِ أبيه، ولا بالعكس، ولو أنَّ الله تعالى نَدِمَ على عفوه، وحاشاه، وأرادَ أنْ ينتقمَ من عبده العاصي، فهو قادرٌ عليه في دار الدنيا، وفي يوم الجزاء.

ولو قالوا: وقع الصلبُ على إبليس، لأنه غَرَّ آدمَ وغواه، لكان أقرب للتطبيقِ وللعدل من أن يَصلبَ الإله نفسه سفهاً، لتخليصِ ذرية آدم من الخطيئة التي

اجتناها عليه إبليس، وإلا، فما فعلت الرسلُ والأنبياءُ والأبرارُ والأخيار حتى يستحقوا المُكْث ألوفاً من السنين في الجحيم، تالله! إن القول بهذا لَمِنْ أفحشِ أقسامِ الجهل والحمق، ولو أغمضنا عن هذا الهذيان، كيف نسكت عن قولهم: إن المسيح هدر دمه عن دم التيوس والثيران؟!

ليت شعري! هل عمّت خطيئة آدم على التيوس والثيران أيضاً، ولذلك أرى النصارى أبطلوا ذبح التيوس والثيران، لان المسيح فداهم بدمه، ولكن من الأسف صاروا يُعذِّبُونَهم بالمطارقِ، ويا ليتَ المصلوبَ لم يَفْدِهم بدمه، ويبقى الذبح كما كان، فذاك أوْلى لهم من عذاب المطارق والخنق، كما هو مُشاهَدٌ بالعيان.

سؤال: من صحيفة ٣٦: «ما هي القضية الثالثة من قانون الإيمان؟».

جواب: «هي سِرُّ التجسيد الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزلَ من السماء، وتَجسَّدَ من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنَّسَ».

سؤال: «ماذا تعلمنا هذه القضية؟».

جواب: «تعلمنا أن كلمة الله مولود الأب الوحيد، الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، تجسد في الزمان، أي صار إنساناً حقيقياً من مريم البتول ليعتقنا من عبودية الخطيئة، ويستحق لنا الحياة الأبدية».

أقول: إن هذا خَبْصٌ، لا تفهمهُ فحولُ العلماء، فَضْلاً عن الجهلاء، على أنه منطق مُهْمَل. ولا يستفاد منه قاعدة، فليت شعري! ما معنى قوله «كلمة الله مولود الأب» فإن كان الأب هو الله، كيف يقال: كلمة الله مولود الله؟ وإن كان الأب غير الله، فإذاً لزم أن يكون التثليث تربيعاً، كما نبهنا عليه سابقاً، لأن الابن وروح القدس والأب والله أربعة، فلماذا ثلثتم؟ والتربيعُ أنسبُ للتوجيه والتلفيق من التثليث، لأن طبيعة الحياة، عند الحكماء، محتاجةٌ إلى أربعة أشياء: التراب

والماء والنار والهواء، ولو تَمسَّكوا بأربعة أقانيم، لكان أقرب إلى الاستدلال على ضلالهم من التثليث، والكلُّ ما سوى الله باطل، ولعل إشاراتِ المطران على التغايرِ بين الأبِ واللهِ يقصدُ بها افتتاح باب التربيع تأسيساً لما يأتي، وهزيمةً من القولِ بالتثليث، وكل آت قريب.

وقوله «تجسد في الزمان» أعجب من الأول، لأنه كلام ناقص، وإكمالُه في قلبِ المؤلف، ونشكرهُ حيث أقرَّ بأن عيسى إنسان حقيقي، كما رأته الناسُ، وكفانا مُؤْنَةَ الإثباتِ، وحينئذٍ نطلبُ منه الإثباتَ على كونهِ إلهاً، كما قال الله تعالى ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة].

سؤال: «ما معنى: نزل من السماء؟».

جواب: «انحدر إلى الأرض، ليتَّخِذَ فيها الطبيعةَ البشرية، ويحيى حياتها».

سؤال: «كيف صار ابن الله إنساناً؟».

جواب: «بأخْذِه جسداً ونفساً نظيرَ جسدنا ونفسنا».

أقول: إن هذا الجوابَ لا يطابقُ السؤال، لأن السؤال هو بمقام التعجُّبِ، فكأنَّ السائلَ يقول: إن الإله ليس كمثله شيء، وهو مُنَزَّهٌ عن الجسد والعوارض البشرية، فكيف صار إنساناً. والمؤلفُ أغمضَ وتجاهلَ عن الحقيقة، وأبْهَم الجوابَ بألفاظٍ مُصَنّعة وملمعة، فلذلك بقيت مقاصد السائل في قلب المسؤول.

سؤال: «ماذا تريد بقولك: تجسَّد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنّس؟».

جواب: «أريدُ به أن الروح القدس كَوّن من دم مريم العذراء الجسد الذي أخذه كلمةُ الله، لَمَّا صار إنساناً».

سؤال: «كيف خُلِقت نَفْسُ المسيح؟».

جواب: «نظير نفوس بقية البشر، ولو أنها أكثر كمالاً من جميعها».

سؤال: «هل روح القدس وحده كَوَّن جسدَ يسوع، وخلقَ نفسه؟».

جواب: «لا، بل الثلاثة الأقانيم سعوا سعياً متساوياً بهذا الصنيع العجيب العظيم».

أقول: إن النصارى، إلى اليوم، وهم يعتقدون نفس الكلمة «تجسدت» ولعلَّ المطران رأى أنَّ رأيهم هذا فاسد، وأراد أن يصلحه، فقال هنا، بعد تسعة عشر جيلاً «إن الروح القدس كَوّن من دم العذراء الجسدَ» وقصد بذلك الخروجَ من تلك الخرافات، وتأويلاً لقوله في يوحنا «الكلمة تجسدت» أي: الكلمةُ صارت سبباً لتجسده من دم العذراء، وهذا التأويلُ موافق للعقل، ومطابق إلى بشارة جبرائيل المسمى روح القدس للعذراء، حين حملها كما في ص١ من إنجيل لوقا، وأما قوله: «بعد ما كون الجسد، أخذه كلمة الله لما صار إنساناً» أي أن الله، بعد خلق جسد المصلوب، لبسه.

انظر - هداك الله - إلى هذا الحمقِ والجهلِ والجنون الذي انتهى بهؤلاء القوم! فيا ليت شعري! هذا الإلّه المصلوب المهان، لم يجد جُبةً أو قميصاً أو لباساً يتردّى به غير جسد المصلوب المملوء دماً وفضلات وبولاً ونجاسات، ولم يجد تاجاً يليقُ بربوبيته إلا تاج الشوك، ولا صفة تليقُ بعظمته إلا الضعفَ والموتَ واللعنةَ ودخولَ الجحيم، ولم يجد كرسياً يجلسُ عليه بين خليقته إلا خشبةَ الصليب، ولا ملائكةً تقفُ حوله إلا لِصَّين؟! تالله! إن هذا لمن أقبح أنواع الكفر وأفحش أقسام الجهل، وبمثل هذا لا يليق أن يتكلم به حمقاءُ الناس فضلاً عن عقلائها وعلمائها ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].

والأعظم قوله: «إن الثلاثة أقانيم سعوا سعياً متساوياً على خلق المسيح» كيف لا يتحيَّر القلمُ في خَبْطهم وخبصهم؟ فهل يقصد بهذا السعي من الثلاثة كما

تَسعى الرجالُ مع النساء، أو كل واحد منهم خَلَقَ عضواً منه في رحم العذراء، أو كان من الضرورة تعاضُد جماعةٍ على خَلْقِ عيسى، والحق إن قوله: «سعوا سعياً متساوياً» من أفحشِ الهذيان، وأن عيسى عليه السلام تكوَّنَ بأمرِ الله، بقوله: كُنْ، فكان كما خلق آدم وكافة الخليقة والأكوان.

ولو قال هذا المؤلف: إن الذين سعوا على خلق عيسى اثنان، لكان أقربَ لخرافاته، لأنَّ الثالثَ وقتئذٍ مَعْدومٌ، لم يكن موجوداً حتى يسعى معهم، ولعله يُلَفِّق ويقول: إن الثالث ليس عيسى، بل المقصد منه الأقنوم الثاني، أي الكلمة. قلتُ: فإذاً لا مدخلَ لعيسى المَرْئيّ بين الناس في خَلْقِ نفسه وأمه، كما هو القولُ المخترع من علماء المتقدمين، ولا له حصة من هذا السعي المبتدع من علماء المتأخرين، وكُلٌّ من هذين الوجهين باطل، والحَقُّ ما قاله المطران آنفاً بأن الروح القدس كَوَّنَ من دمِ العذراء جسدَ المسيح، كما صرح به لوقا في ص١ من إنجيله، في بشارة جبرائيل عليه السلام.

سؤال: «فإذاً لماذا تنسب ذلك للروح القدس؟».

جواب: «بما أن التجسد الإلهي هو فعل صلاح الله، فنسب للروح القدس، لأن الجودةَ تُنْسَبُ له، كما تُنْسَبُ القدرةُ للأب، والحكمةُ للابن».

أقول: إن اعتراضَ السائلِ ظاهرٌ في محله، فكأنه يقول للمؤلف: لِمَ قلت: إن الذين سعوا على خلق عيسى ثلاثة، فلماذا تنسبُ الخلقَ لروح القدس وحده؟ فكان يلزمُ المطرانَ أن يوضِّحَ في جوابه عُذْرَهُ، فبدلاً عن ذلك، أتى بالعكس، وزاد على التناقض إشكالاً، وشدد ارتباكه، وصار يخبصُ خبصَ عمياء، ويخبطُ خبطَ عشواء، ويتبجح بجوابه كما ترى. والمفهومُ من أعذاره الباردة أن كل واحد من الأقانيم له صفة واحدة، لم تكنِ لغيره، فإذاً لا يُقالُ لكلٍّ واحدٍ من هؤلاء الثلاثة إله، على أن المطران ذكر في رسالته هذه مكرراً، أن كل أقنوم من الثلاثة

قادرٌ على كل شيء، فَنَفْيُه هنا القدرةَ على الابن وروح القدس، نفيُه الحكمةَ عن الأبِ وروح القدس، ونفيهُ خلْقَ الجسد وتكوينه عن الأب والابن، يمنع أن يكونَ كلٌّ واحدٍ من الأقانيم الثلاثة مُتَّصِفاً بصفات الثاني؟ وأما الصفاتُ الباقية التي لا تنفصل عن الإله، وهي واجبةُ الوجود، فبقيتْ مسكوتاً عنها بقلبِ السائل والمسؤول.

سؤال: «كم طبيعة في المسيح، وكم أقنوماً فيه؟».

جواب: «طبيعتان: إلهية وإنسانية، وأقنوم واحد فقط، وهو أقنوم ابن الله».

سؤال: «ألم يكفِ ابنَ الله إذ صار إنساناً عن أن يكون إلهاً؟».

جواب: «لا، بل لم يزل إلهاً، مع كونه إنساناً».

أقول: إن هذا السؤال غريب، والجوابُ عليه عجيب، لأنهما فرسا رهان، تسابقا في الخرف والهذيان، لأن هذا السؤال والجواب لا معنى لهما، ولا يُفهم المرام منهما، فكأنهما رُعودٌ عقيمةٌ على الآكام، من أصمّين راكبين عَزومَين بغير لجام، فإن صَحَّ هذا بأنه عقيدتهم، فعلى مذهب الكاثوليك السلام.

سؤال: «أيمكن إذاً ان تُدْعَى القديسة مريم البتول أمَّ الله؟».

جواب: «نعم! لأنها أم يسوع المسيح الذي هو إله، مع الأب وروح القدس».

أقول: قد سبق على هذه الأجوبة أدلة قاطعة وبراهين ساطعة، في «الفارق»، والتكرار هنا مُمِلٌّ.

سؤال: «أين يوجد سيدنا يسوع المسيح».

جواب: «أما من حيث أنه إله، فيوجدُ في كل مكان، وأما من حيث أنه إنسان، فلا يوجد إلا في السماء، وفي سِرِّ القربان».

أقول: أليس هذا الجواب من أفحش ما يهذي به المحمومُ، فكيف يصح قوله: «إن المسيح لا يوجد إلا في السماء وفي سر القربان» بعد قوله «يوجد في كل مكان» وهو ذات واحدة مَرْئيّ؟! ولعله يلفّق بقوله: إن جسد المسيح لا يوجد في كل مكان، بل الذي يوجد هو كلمة الله، وهو الله، وهو لا نزاع فيه بين الأديان، أنه لا يَحصُره زمانٌ، كما لا يحصره مكانٌ، وأما عيسى ابن مريم الذي صرح به بأنه لا يوجدُ إلا في السماء وسر القربان، من حيث أنه بَشَرٌ، كما يُفهم من ظاهرِ كلامه، فكيف يكون إلّهاً، وهو محصورٌ في سر القربان. ولعمري! لو صح أن الخبز والخمر ينقلبان عن جسد المسيح ودمه، وجاز تَجَسُّدُ الإلّه كما زعموا، فإنه لا يكون وجودٌ للإلّه ولا لعيسى، في الأرض، ولا في السماء، ولا في سر القربان، بل أكلتهما النصارى في أول قرن، كما أكلتِ العربُ آلهتهم المصنوعة من التمر، عند جوعهم «ومَنْ كان ذا لُبٍّ، فليتعجَّب».

قال المؤلف في صحيفة (٤٥):

سؤال: «هل مات المسيح كإلهٍ، أو كإنسان».

جواب: «مات كإنسان واقعاً من كونه إلهاً، فقد صَيَّرَ موتَهُ ذا ثمنٍ غير متناهٍ، ووفّى به لأبيه السماوي وفاء تاماً».

أقول: أيها المطران! لا تفترِ على الله ورسوله، بعد إقرارِكَ بأنه ماتَ كإنسانٍ، كيف يصحُّ قولُكَ «من كونه إلهاً، فقد صَيَّرَ موته ذا ثمن» إلخ. فإذاً لا إلهَ لك، لأنك زعمتَ أنه قد مات وفات، وسكن مع الأموات، رحمةُ الله عليه رحمةً واسعة، ويستحيلُ قيامهُ من الأموات، لأنه بعد موته لم يبقَ إلهاً قادراً على إحيائه، فهل يمكن للميتِ أنْ يُحْيِيَ نفسه؟ هيهات!!.

سؤال: «ما الذي سبب الله موته؟».

جواب: «خطايا البشر الذي كانت كفارتهم عنها فَدْواً فيه، لأن تلك الخطايا

مفعولةٌ بحقٍّ إلهٍ غيرِ متناهٍ».

سؤال: «لأجل مَنْ من البشر تألم المسيح، ومات؟».

جواب: «لأجل جميعهم».

سؤال: «فإذاً كيف يهلِك كثيرون؟».

جواب: «إما لأنهم لم يؤمنوا به، وإما لأنهم آمنوا، ولكن لم يحفظوا وصاياه، ولذلك لم ينتفعوا بآلامه وموته عنهم».

أقول: فإذاً قوله: «مات الإله عن خطايا كافة البشر»، بديهيُّ البُطلانِ، لأن المطران قَيَّدَ هنا بأن الذين لم يؤمنوا ولم يحفظوا وصاياه، لم ينتفعوا من تلك الخيرات الجسيمة التي حصلت من إهانة المصلوب وآلامه، حال كون الأمم السالفة لم يكونوا مؤمنين به ولا سامعين وصاياه، بل أغلبهم كانوا يجحدون ألوهيته وألوهية مَنْ صَوَّره وبعثه، وعند الصلب أيضاً لم يكن على وجه البسيطة مؤمنٌ به، بل كُلُّ مَنْ عليها رافضٌ وصاياه إلا ما ندر، وهم نفر معدودون من الحواريين، كما صرحت بذلك كتبهم بأنهم ارتدوا، فلذلك يبعد عن العقل، بل يستحيلُ قولهم بأن الله نزل عن كرسي عظمته إلى الأرض، وتحمَّلَ تلك اللطمات والبزق عليه وهلْسَ اللحية والعذابات الباهظة، لأجل أن يغفر خطايا أنفار معدودين ومحدودين، وهو في كل يوم يغفرُ خطايا مليوناتٍ من عباده، أَكانَ يُعجزهُ غفرانُ ذنوبِ تلك الأنفار، وهو الفاعل المختار؟! فلماذا تحمل تلك المصائب التي - لو أنها صُبّت على الايام، صرن لياليا -.

سؤال: «لماذا أراد يسوع أن يحتمل كهذه الآلام؟».

جواب: «اولاً: لكي يُظْهِرَ لنا عِظَمَ محبته، فنحبه، ثانياً: ليبين ما جسامة الخطيئة، فنبغضها. ثالثاً: لنعتبر شدة العذابات التي أنقذنا منها، فنرهبها، وعظمة

الخيرات التي استحقها لنا، فنتوق إليها».

أقول: يكفينا شاهداً عدلاً قوله بأنَّ المسيح مات كإنسان، والحقّ ما شَهِدَتْ به الأخصامُ لأن المرئي هو، ولا نرى غيره.

وقوله «ليبين ما جَسَامة الخطيئة، فنبغضها» وقد كررنا أن الله عفا عن خطيئة آدم، وهي عبارة عن أكلِهِ حبات من القمح، على رواية، وعلى روايتهم: تفاحة واحدة، اقتسمها مع زوجته، فقامت عليه القيامةُ، على تلك التفاحة، فكيف الإلهُ يفدي نفسه عن النصارى، وهم خالفوا أمره المصرح في التوراة والإنجيل، فأحَلُّوا الخِنزيرَ والميتة، وأبطلوا الخِتان، وكسروا السبتَ، ولو صَحَّتْ خُرافاتهم بأنَّ خطيئة آدم لا تغفر إلا بإهانةِ الإله وصلْبه، فإن مخالفة النصارى للتوراةِ والإنجيل لا تغفر، ولو أهانوا وصلبوا ألفَ ألفَ إلهٍ، لأن خطيئةَ آدم عليه السلام، بالنسبة إلى خطيئة النصارى، قطرة من بحر، غير أنه لمّا كان بابُ الغفرانِ مفتوحاً بيد القس، لا تثريبَ عليهم.

أهذا مصداقُ قول المطران: ليبين ما جسامة الخطيئة فنبغضها؟ فيا ليت شعري! بعد عفو الله عن خطيئة آدم، مَنْ جَسَّمها، ولماذا الخالقُ يستحق الجزاءَ عن ذنبِ المخلوقِ، والمجازي هو؟ ولسان حال المصلوب يقول:

غيري جَنَا وأنا المُعَذَّبُ فيكمُ ... فكأنني سَبّابة المتندّم

والأعظمُ قوله: «لنعتبر شدة العذابات التي أنقذنا منها، فنرهبها» فليت شعري! إنه لما أنقذكم من العذابات بصلبه، لم يبق محلٌّ للرهبة، ويصدق عليهم قوله:

فَبخٍ لهم، فالقسُّ قد قالَ اعملوا ... ما شئتمُ، فالذنبُ منكم مُغتفرْ

والمُضْحِكُ قوله: «صلب نفسه، وأهانها، لأجل أن يرى عظمة الخيرات التي استحقها إلَهَهم، فيتوقون إليها» ولعمري! لو صَحَّ هذا، فليس اليهود الذين صلبوه

بِمَلُومينَ، بل كان أول مَنْ يتصدى لتعذيبه وقتله الحواريون، حتى ينالوا من هذا الخيرِ العظيم والفوز بالنعيم، عافانا الله من ذلك.

قال المصنف في صحيفة (٤٦):

سؤال: «هل انفصل اللاهوت عن جسده وعن نفسه بعد موته؟».

جواب: «لا، بل استمرَّ دائماً متحداً مع جسده ونفسه».

أقول: إنَّ هذا السؤال والجواب يُثْبِتُ موتَ الثالوث، بموتِ المصلوب، وهو نص قوله عن اللاهوت: إنه استمرَّ دائماً، ومتحد مع جسد عيسى ونفسه. فبعد قولهم هذا، لا يصحُّ قولهم: أحياهُ الله، بعد موت الثالوث، كما مر بحثه غيرَ بعيد، لأنه لم يكن أحدٌ منهم حياً، لكي يحييَ الباقي، فعلى زعمهم وتصويرهم الفاسد، ماتَ الثالوثُ بموتِ المصلوب، رحمةُ الله عليه. وكيف يموت الحيُّ الأزليُّ الذي يُحْيِي ويُميت، وهو الدائمُ الباقي الذي لا يموت، ولا يتجسم، ولا يحول؟! وهنا ما عدا سخافة كلام هذا المؤلف الذي يهذي، من حيث لا يدري، تناقُضٌ، وهو قوله: «إن اللاهوت متحد بالجسم، بعد الموتِ، غير منفك مستمراً دائماً» فإنه يناقضُ قولَهُ قبلَ هذا البحث «من حيث أنه إنسان، فلا يوجد إلا في السماء، وفي سِرِّ القربان» فقط، فثبتَ بالبداهةِ فسادُ قوله وتناقضه، وعلى كل، يلزمُ إسقاط أحد القولين البتة.

قال المؤلف في صحيفة (٤٧) من رسالته.

سؤال: «إلى أين ذهبت نفس المسيح مدة إقامة جسده في القبر؟».

جواب: «إلى الجحيم من نفوس الأبرار، من آدم إلى المسيح، لأنهم لم يخرجوا من الجحيم إلا بعد قيام المسيح من القبر».

أقول: انظر - هداك الله - إلى هذا الخَرَف الذي يَجِلُّ المحموم من أن يأتي

بمثله، تالله! لو أراد الجاحدُ والعدوُّ والمعاندُ أن يبالغ بتحقير المسيح، ووصفهِ بأنواعِ تلك الرذائل التي عزوها له في الأناجيل، وفي كتب التفاسير، لقصّر لسانهُ أدباً عما جاءت به الأساقفةُ، لأنهم ما أبقوا صفةً حقيرة وخِصلة رذيلةً إلا ونسبوها للمسيح، صلى الله تعالى عليه وسلم، وطَهَّرهُ من كل ذميمة وألم، فجمعوا في وصفهم له جُموعَ الرذائل، كما جمع الله فيه أنواع الكمالات والفضائل، ولم تقصر ألسنتهم أدباً، بل جعلوا سببَ فوزِهم لعنه، ومفتاحَ الحياة الأبدية تحقيرَهُ، وقالوا: إنه صار فِديةً عن خذلتهم، ودخل الجحيمَ عن أشرارهم، وهدر دم تيوسهم وثيرانهم، وأولُ معجزة صدرت منه قلبُ الماء خمراً، ليزيد سكر سفالهم. ومُفَسِّرهم رأى أن أوحياء أناجيلهم قد قصروا بالوصفِ لهذا المصلوب، فقال: إن أسفال اليهود وخذلتهم هَلَّسَتْ لحيته، وهو يصرخ بين أيدي فُجّارهم، وتبزقُ عليه صبيانهم، وبعد أن ألبسوه تاج الشوك، هزأت به أولادهم وأطفالهم، وضحكت عليه نساؤهم، وبعد هذه الفضائح الرذيلة، اتخذوا هذا المصلوبَ، بعد موته، إلَهَهم، وزعموا أنه كان يدعو الله، ولا يجاب، ويستغيث فلا يُغَاث، ولم يكفهم هذا حتى زعموا أن رئيس كهنة اليهود نبيٌّ ملهم، لأنه حكمَ بكفرِ وصلبِ إلهِهِ وإلههم.

اللهم إني أبرأُ إليكَ مما قالوا، وأشهدك بأن عيسى عليه السلام عَبْدُك ورسولُكَ الذي رفعتَهُ إلى سمائك، بعد أن خَلَّصْتَهُ من أعدائك، وطهرته ونزهته من تحقيرِ ولعنِ تلك الفئة الباغية والفرقة الطاغية.

وهنا تم البحث الأول من ذيل كتاب «الفارق» وأختم كلامي بقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات].

البحث الثاني

(في رد الرسالة المسماة بالأقاويل القرآنية في كتب المسيحية)

أقول: وقد وجدنا أيضاً رسالة ثانية، لبعض أساقفة البرتستنت، مسماة «بالأقاويل القرآنية في كتب المسيحية» وهي من قبيل الرسالة المار ذِكْرُها آنفاً، وخلاصتها: أنه يستند بآياتٍ من القرآن على سلامة التوراة والأناجيل من التحريف، كما مر بحثه، وأن الإنجيل لم يكن مفقوداً، وأن المسلمين مجبورون على اتِّباعِ أحكام التوراة والأناجيل الموجودة بأيديهم، وأن المسيح قدم جسده فداء عن خطايا كافة الناس، وأن العبادات الروحية انكشفت لهم في الزبور والإنجيل، وأن التوراة لم ينسخها الإنجيلُ ولا كتابٌ آخر، بل أيَّدها. وهكذا أطال في أبحاثه إلى آخر ما قاله، وشَدَّدَ النكيرَ على المسلمين بالقرآن المبين، فكأنه فرس مربع بغير لجام، أو رعْدٌ عقيمُ النفع على الآكام. وأكثَرَ من ذِكْرِ الآيات ونقلها في رسالته، وهو يُبَرْبِرُ خلالها، ويزعمُ أنه قد أثبت بها دعاويه، حال كون أسانيده داحضة لأقاويله. وأظن الضرورة ألجأته لمراجعةِ القرآن الكريم، وذلك لعدمِ وجود سندٍ ودليل على إثبات أناجيلهم، ونعذره، لأن تصوير عقيدتهم، كما قالوا، خارجة عن الإدراك، فلذلك صاروا يخبصون بفهمِ آياتِ القرآن، وهي تشهدُ عليهم لا لهم، وزعموا أن تشبثهم بهذه الآيات بلا إيمان بها، وبالتوراة قولاً بلا عمل بها، يقنع بهما عوام اليهود والإسلام، وشتان ما بين عقيدتهم وعقيدتي الإسلام واليهود، ولا سيما في تنزيهِ اللهِ عن الشريك والنواقص. وهل يستوي الأصحاء والسكارى؟!.

ولو قيل لمؤلف الأقاويل: ما دمتَ اعترفتَ بأن التوراة ليست منسوخة بالإنجيل، واليهود والإسلام أيضاً تقول كما قلت، ورئيس فرقة البرتسنتت (لوطر) كذلك قال في كتابه، ونصه: «إن الحوراي ليس له أن يعين حكماً شرعياً، من جانب نفسه، لأن هذا المنصب كان لعيسى فقط» والمسيح أيضاً قال: «ما جئتُ

لأنقض التوراة، بل لأكملها». وقال أيضاً: «ما أُرسلت إلا إلى خراف إسرائيل الضالة»، وهو والتلاميذ، إلى أن ارتفع وانقرضوا، كانوا يتعبَّدون بالتوراة، ويحرِّمونَ حرامها. فبعد هذه البراهين القاطعة والدلائل المتضافرة المؤيدة بعضها لبعض، فمن حَلَّلَ لك إتيانَ المرأة وهي حائض، وعدم الغسل من الجنابة، وإبطال الختان، وكسر السبت، وتحريم الطلاق؟ ومن حرم تعدد الزوجات، ومَنْ حَلَّلَ أكلَ لحم الخنزير وكافة المحرمات، ومن أبطل الذبيحة بدم المسيح، ومن حَوَّلَ القبلة إلى مطلع الشمس، ومَنْ جَوَّزَ السجودَ للصور وللصليب والخمرة والخمير، ومَن دَلَّكَ على هذه العقيدة الروحية، وما هي الروحية، وبأيِّ إصحاحٍ ذكر فيه عبادات الروحية؟ ولا أظنك تُجيبُ إلا بافتراء لوقا في تأليفه أعمال الرسل، حيث زعم فيه أن بولس وبعضاً من التلاميذ اتفقوا على إبطالِ التوراة كما في ص١٥ وهذا إنْ صَحَّ فهو باطلٌ، لأنه قولٌ مجرد عن الدليل.

والحق أن الإنجيل لم ينسخ التوراة، بل أيدها كما صرحنا آنفاً، وأما النصارى فإنهم خالفوا قول المسيح عليه السلام والإنجيل وقول علمائهم، ورفضوا أحكام التوراة والزبور وأسفار أنبيائهم، صلوات الله عليهم أجمعين، فكأنهم جحدوها، وابتدعوا عقيدةً لم تكن فيها سنة واحدة من السنن التي سنها الله في عباده، من بدء الخليقة إلى يومنا هذا، كالإقرار بوحدانية الواحد الصانع لكل موجود، بدونِ اشتراكِ مع اسمه، ولا معادلٍ له، ولا اتحاد به، ولا مثيل له، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. لا يحولُ، ولا يزولُ، ولا يموت.

فيا أيها المنصف! يلزمك أولاً قبل كل شيء، أن توفّق بين التثليث والتوراة، وبعد توفيقها وتطبيقهما حينئذٍ يسوغُ لك أن تستشهد بالقرآن، أين أنت من التوراة، وبين عقيدتك والتوراة ما بينَ المَشْرقين، انظر - هداك الله - إلى أقاويل هذا المؤلف، فإنه اعترض فيها على مَنْ يَدَّعي نسخَ التوراة والإنجيل بقوله: «يوجد من النبوات في العهد القديم والجديد، فالبعض منها قَدْ تمَّ، والآخر لم

يتم بعد، فهل يعقل نسخ كتاب، حوى نبوات، لم تتم للآن؟ حاشا» انتهى قوله.

أقول: إن القرآن لم ينسخ التوراة والإنجيل، بمعنى أنهما ليستا كلام الله، ولم يقل بأن جميع أحكامهما منسوخة، وإنما جاء القرآنُ بنسخ البعض منها، وإقرار البعض على حاله، ولم يتعرض للأحكام المؤبدة أبداً، بل أيدها. فإذا عرفتَ هذا، فلا يصح قوله: كيف يُنْسَخُ كتابٌ لم تتم نبواته، فإنَّ القرآن الكريم لم ينسخ هذا الخبر المذكور الذي لم تتم نبواته، بل أيده، ولما كان هذا خبر الله، والأخبار لا تنسخ، فلا بد من وقوعه، وقد وقع ببعثة الرسول أحمد، ﷺ.

ثم أقول: لقد صرح هذا المؤلف بالحق، من حيثُ لا يشعر، لأنه أقرّ بدعوى الخصم، وأثبت أن النصارى ينتظرون نبياً، وهو، لا شك، الفارقليطُ المنعوت عندهم في الإنجيل مكرراً، ولا نزاعَ بيننا بذلك، بل نصادقهم بوعد المسيح المسطور في كتابهم، ونقول: إنه هو أحمد، ﷺ، قد أتى قبل ثلاثة عشر جيلاً، وشحن المسكونة قِسطاً وعدلاً، بعدما كانت مملوءة جَوراً وظلماً، ونادى بإعلاء كلمة الله، وشهد للمسيح، وذكّرهم بأقواله ووعده، وبكّتَ العالم، كما قال عيسى عليه السلام، وتمت النبوات المذكورة، في العهدين، بخاتم الأنبياء، وهم ينكرونه عناداً، وإلى الآن ينتظرون غيره كاليهود، فإنهم للآن وهم ينتظرون المسيح وبعده إيلياء، وينكرون عيسى وأحمد، صلواتُ الله عليهما عناداً، فإنْ قلت: إن النصارى أصابت بإنكارهم وانتظارهم. قلت: فحينئذٍ قولُ اليهود يكون أقرب للعقل من قولهم، لأنهم ينتظرون رسولَيْنِ مُوحِّدَيْنِ عبدين لله طِبقَ الأوصاف المذكورة في التوراة والأسفار، وعندهم أن عيسى وأحمد، صلواتُ الله عليهما، لم يكونا موصوفين بهذه الأوصاف، لأن الأول، على زَعْم اليهود والنصارى، ادَّعى النبوة والألوهية والبنوة معاً، وقد اتفقت هاتان الفرقتان كذلك على أن قيافا رئيس الكهنة كان نبياً مُلْهَماً من الله، حكمَ بكفرِ عيسى وإهانته وصلبه وقتله حَدّاً، بالإلهام، والثاني كذّب الفرقتين، وشهد بأن عيسى لم يَدَّعِ

الألوهية، وأنه عبد الله ورسوله إلى بني إسرائيل، وأنه مؤيد للتوراة، وكان يحيي الموتى بإذنِ الله، وصعد للسماء بقوة الله، وهو مخلوق كآدم، بكلمة الله، أي: بأمرِ الله من دون أب، والمصلوب غيره.

ومن حيث أن دعوى الألوهية، من عيسى، وصلبه، ثابتةٌ عند الفريقين، كيف يصدقون القرآن، وهو شَهِدَ بخلافِ زعمهم؟ فمنه تبين أن الأساقفة الذين ابتدعوا هذه العقيدة، صاروا سبباً مستقلاً لنفرةِ اليهودِ عن اتّباع المسيح، ولا سيما الأروباويين عن الدخول في سلك الكتابيين. والحق إن عيسى لم يدّع الألوهية، بل الرسالة، كما صَدَّقَهُ القرآنُ، ولَعَمرُ الحق! لقد مضى تسعة عشر قرناً، وهاتان الفرقتان تنتظران رسولين، بعدما كانت رُسُلُهم تترا في كل قرن وزمان، فما بالهم انقطعوا بعد هذه البراهين الساطعة والقرائن القاطعة إنكاراً وعناداً؟!.

أيها المؤلف أنصف، إذا لم تتمسكوا بشهادة القرآن الكريم، فبأيِّ سندٍ تناضلون أضدادكم؟ ولو اعترض عليهم يهودي أو جاحد قائلاً: كما أن ألوهية المسيح افتراء، فكونه من روحِ القدس كذلك كَذِبٌ، بل هو ابن يوسف النجار، وله إخوةٌ وأخوات منه، كما هو ثابت بإقراركم في أناجيلكم، ورسالته ومعجزاته أيضاً مصطنعة، وحتى إنه بعد صلبه أتت مريم المجدلية وبعض من التلاميذ ليلاً، وسرقوا الجسد من القبر، ونادوا برفعه إلى السماء افتراء، كما صرح بتفصيل ذلك الإنجيل.

وأناجيلكم هذه لم تكن إلهامية، بل مصطنعة، فإنكم في كل طبع تُبَدِّلون وتغيرون، وتَزِيدون وتُنْقِصُون، كما تشهد عليهم النسخ المطبوعة في لندن سنة ١٨٤٨ لأنها لو تطابقت على النسخ المطبوعة حديثاً في بيروت، لبان صريحاً فسادها، وظهر بأنها مكذوبة مصطنعة من رؤسائها.

ويكذب كتابكم قولكم: إنه إنجيلٌ واحد، ونرى بأيديكم أربعة، ينقضُ بعضُها

بعضاً، وهي تنقضُ عقائدكم على اختلاف مذاهبها. وليت شعري! ماذا تجيب علماؤكم هذا المعترض، فهل يوجد عندكم سندٌ غير القرآن، تَستندون له على رده وردِّ أمثاله من الملحدين؟ فإن قيل: روايات الأناجيل المتناقضة تغنيهم عن القرآن، قلت: كيف تقومُ الحجةُ بها، وفسادها أظهرُ من الشمس؟ على أن كثيراً من النصوص المدسوسة في الأناجيل تؤيد المعترض، ومع هذا، فالعقلُ لا يجوِّزُ الاستدلالَ بخلاف المحسوس، كما مر بيانه مكرراً.

أيها المصنف أفما خجلتَ حينما سَمَّيْتَ رسالتك بالأقاويل القرآنية، وهو الذي أخرس، عند نُطْقِه، الفُصحاءَ وفحولَ العلماء، وطاطأت لبلاغته رؤوس العظماء والخطباء، وختمت بصاحبه الرسل والأنبياء، أيكون هذا القرآن أقاويل؟!.

يا أيها المؤلف! اسمع بعضاً من بلاغة هذا القرآن العربي، ولا سيما في حق المسيح، من المدائح، ولكم من النصائح، بعد ذِكْرِ ما تنسبُ أنتَ للمسيح من القبائح، وفي الإنجيل من الافتراء والفضائح، وهاكَ ما أتلوهُ عليك أولاً، من كتبكم وعقيدتكم. قالت أَوْحياؤُكم في أناجيلكم، منها ما قال متى في ص٢٨ - ف١٥ ونصه: «فأخذوا الفضة، وفعلوا كما علموهم، فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم» وهذه الجملة صريحة بأنها لم تكن من الوحي، ولا من كلام المسيح عليه السلام، بل هي مرتبة من الأساقفة، بعد رفع المسيح بمدة، بدلالة قوله في آخر الجملة! فشاعَ هذا الخبرُ عند اليهودِ إلى هذا اليوم. فكل لبيبٍ يحكمُ بأنها مزورة.

ومنها قول مرقس في آخر إنجيله، ونصه: «وهذه الآيات تتبع المؤمنين، يُخْرِجُونَ الشياطين باسمي، ويتكلمون بألسنة جديدة، يحملون حَيَّات، وإن شربوا شيئاً مُميتاً لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المَرْضى فيبرؤون» أقول: إن هذه الجملة أيضاً ظاهرة البطلان، لأنه لم نسمع عنهم ولا منهم إلى يومنا هذا بأنهم أبرأوا مريضاً، بل نسمع عنهم أنهم مات منهم كثيرون من لسعِ الأفاعي، ومنهم

مَنْ مات منتحراً بالسم، فهذان الشاهدان العادلان كافيان لتكذيب الرواية.

ومنها ما قاله لوقا في أول إنجيله، ونصه: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقّنة عندنا، كما سلَّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخُدَّاماً للكلمة، رأيتُ أنا أيضاً، إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق، أنْ أكتبَ على التوالي إليكَ أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به» أقول: إن لوقا حكى الحق، وأقرّ بأنه كتبَ مكاتيبَ إلى هذا العزيز، يخبره عما سمعه من سيرِ المسيح عليه السلام، ولم يَدَّعِ الإلهام، وهذا ظاهرٌ لا غبار عليه.

ومنها ما قاله يوحنا في آخر إنجيله ما نصه: «هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا، وكتب هذا، ونعلم أن شهادته حق، وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع، إن كُتبت واحدةً واحدةُ، فلست أظن أن العالم نفسه يَسَعُ الكُتُبَ المكتوبة آمين» انتهى.

أقول: إن هذه الكذبةَ الفاحشةَ يضحكُ منها العاقل، ويكذبها الغبي الجاهل، ويجل الوحي عن التكلم بها، ولست أظن وِزْرَ العالِمِ يقابلُ وِزر مُبْتَدِعها. ليتَ شعري! فأي أشياء كثيرة صنعها يسوع، ولم تكتب، في مدته القليلة التي هي ثلاثون شهراً، ولو فرضنا أن الآيات تقع منه في كل يومٍ من أيام دعوته ألف واحدة، فإنها لا تزيدُ في مدته على ألف ألف آية، وهي إذا كتبت واحدة واحدة، تملأ كتاباً واحداً لا غير، فضلاً عن أن تملأ بيتاً من دار، في بلدة، من قطر، في زاويةٍ من الأرض، فكيف تملأ الدنيا، هل يتكلمُ الوحيُ بمثل هذا الهذيان، ومع ذلك، فإن هذه الآية تدل دلالةً صريحةَ اللفظِ والمعنى على أنها ليست من قولِ يوحنا، بل هي قولُ رجلٍ آخر، بدلالة قوله: «هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا، وكتب هذا، ونعلم أن شهادته حق» فدلَّ أن المتكلمَ غير يوحنا البتة، ومَنْ تَصدَّى وتحامل للجواب عما أوردناه على هذه الجمل الأربعة المار ذكرها، فليبرزْ غير

ناكصٍ، فإنْ الحقَّ يقطعه، والزور يفضحه.

وفي كتب تفاسيركم قالوا ما مضمونه: إن الله نزل عن كرسيٍّ عرشِ عظمته، ودخلَ في مريم، ثم خرجَ منها، وبعد أن ترعرع، وتعلم في مدارس اليهود، زعموا أنه ادَّعى الألوهية، فعند ذلك بزقت بوجهه أسفالُ اليهود، ولطم وجهه الكافر العنود، وبعد أن ألبسوه تاج الشوك، وهزأت به الفجار، وهلست لحيته الأشرار، وبعد هذا وهذا، صلبوه بين لصين عُنوةً، ودخل الجحيم، بعد أن صار لعنة؛ وكُلُّ هذا لأجلِ أن يغفرَ خطايا فرعون وهامان وعَبَدةِ الأوثان، وأهرق دمه عن دم التيوس والثيران، ثم بعد هذا القدح والتحقير كله، قالوا بأنه جلس على كرسي الربوبية في السماء، يدبر الأمر كيفما يشاء.

وأما ما جاء به القرآن الكريم المنزل من الرحمن الرحيم، قال الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٩١﴾ وفي سورة مريم: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ ۝٣١﴾ وقال فيها أيضاً: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ۝٣٣ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ۝٣٤﴾ [مريم].

وفي سورة الصف: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٦﴾ وفي آخر سورة التحريم: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ۝١٢﴾.

وفي سورة المائدة: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ

جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ إلى آخر السورة.

وفي سورة البقرة: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴿٢٥٣﴾﴾ وفي سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ إلى أن قال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران].

وفي سورة المائدة: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴿١٤﴾﴾ وفي سورة المائدة أيضاً: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴿١٥﴾﴾ وفيها أيضاً: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴿١٧﴾﴾ وفيها أيضاً: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴿١٩﴾﴾.

وفي سورة الأنبياء: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ وقال فيها: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ إلى أن قال فيها: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ انتهى.

أبعدَ هذا وهذا مجالٌ للمؤلِّفِ أن يفتريَ على فحولِ علماء المسلمين، والقرآن المبين، وينكر المحسوسات بقوله، في رسالته، في الفصل الثاني، من القسم الأول، ما مُلَخّصُه «إن المسلمين لما ظهر لهم بطلانُ قولهم في نَسْخِ الكتاب

المقدس، قالوا: إنَّ الإنجيلَ الحقيقيَّ مفقود، والموجود ليس أصلياً، فإن هذه الدعوى، من المسلمين، واهيةٌ، لا دليلَ لهم عليها. وإلى الآن لم يأتِ أحدهم ببرهانٍ على ذلك، واستند، في رَدِّه على المسلمين، بآياتٍ كريمات من القرآن العظيم، بأنها تُنْبِىءُ أن الإنجيل كان موجوداً في زمن خاتم الأنبياء، ولم يزل باقياً إلى اليوم، ولو كان الإنجيل مفقوداً، لما أمر القرآن أهلَ الكتابِ باتباعه والعملِ به» انتهى قول المؤلف.

أقول: لقد أعلن هذا المؤلفُ عن ضَعْفِ رأيه، بقوله: إن المسلمين لما ظهرَ لهم بطلانُ قولهم في نسخ الكتاب المقدس، قالوا: إن الإنجيل الحقيقي مفقود، إلى آخر ما قاله من الافتراء. ليت شعري! أي شيء ظهر على بطلان النسخ، هل تَبَدَّلَ القرآنُ أو فُقد، أو الموجود بأيدينا جمعته الخلسة، فأبطلوا منه النسخ، كما فعلت اليهود بتوراتهم، والنصارى بأناجيلهم؟ وبحثُ النسخ يأتي في البحث الثاني على النسخ، من رسالة «أبحاث المجتهدين» فراجعه، فهو أمامك.

وأما إصرار المؤلف على أن التوراة والأسفار والإنجيل لم تُفْقَدْ، فعجيبٌ وغريب، لأنه إنكارٌ للمحسوسات، وهو ناشىء من العناد، ولا سيما صدور هذا الإنكار من مثل هذا المؤلف، الذي هو من رؤساء البروتستنت، لأنه هو أدرى من غيره بمذهبه، وكيف لا! وعلماءُ البرتستنت كلهم متفقون على فقدانِ التوراة من الدنيا، في وقتٍ ما، وأنهم جمعوها بعد مدة من الأفواه، وأصابوا في جمعِ البعض منه، وأخطؤوا في البعض، وضم عليه تحريفهم عناداً عند ظهور المسيح وأحمد صلى الله عليهما وسلم، وكذلك فقدان الإنجيل الأصلي العبراني المنسوب إلى متَّى الحواري من مكتبة الإسكندرية، والموجود في زماننا ترجمة ذلك المفقود، وإلى الآن وهم مختلفون في تعيين المترجِم مَنْ هو، والقرائنُ القطعية تدلُّكَ على أن أصل الإنجيل عبراني، وما عداه فهو منقولٌ منه، أو ترجمة عليه، لان أصل الإنجيل واحد، ليس أربعة ولا خمسة ولا سبعين، كما

كانت في صدور النصرانية.

وقال بعض ضَعَفَةِ العقول من الأساقفة المتقدمين: إن أصل الإنجيل روماني، والبعض منهم قال بأنه سرياني، والبعض بغير لغة، وهو قول ضعيفٌ جداً ظاهر البطلان، والكلُّ باطلٌ عقلاً ونقلاً، كما أن كافة علمائهم، من المتقدمين، وجمهوراً من المتأخرين أجمعوا على أن الإنجيل الأصلي عبراني، وهو المنسوب إلى متى، وما عداه فرعٌ منه، ويشهد لهم المحسوس، وبداهة العقل تحكم بأن الإنجيل عبراني، لأن الكتب السماوية نزلت بلسان القوم، وعيسى عبراني من أشراف بني إسرائيل، وهو القائلُ بنص الإنجيل: «لم أرسل إلا إلى خراف إسرائيل الضالة» فهل يعقل أن يأتي بإنجيلٍ روماني أو هندي أو عربي، إلى قومٍ لا يعرفون إلا اللغة العبرانية؟ كما أن التوراة والزبور والأسفار عبرانية، والأناجيل الأربعة الموجودة كلها مترجمة من لغات متعددة، لم يكن فيها عبرانية، وأما العبراني الموجود في زماننا، كله مترجم من السريانية، أو من الرومانية، ولم يكن فيها نسخة عبرانية أصلية، حتى تكون مأخذاً ومداراً للتطبيق.

ثم إننا أوردنا في «الفارق» روايات كثيرة عن مفسريهم وعلمائهم، من المتقدمين والمتأخرين، ولا سيما من علماء البرتستنت، تشهدُ على وقوعِ الزيادةِ والنقصان في الأناجيل، والبعض منهم عَيَّنَ الآيات الزائدة والمدسوسة، والبعض أعلن التحريف.

وكذلك رحمة الله الهندي، والسيد نعمان أفندي الألوسي، قدس الله أرواحهم، فإنهم أشبعا في هذا البحث، ووضَّحُوا أسماء الكتب المنقولة منها، وأسماء علمائهم، أيَسُوغُ لك أيها المؤلف الإنكار والقول بأن المسلمين، إلى الآن، لم يأتِ أحدٌ منهم ببرهان، وكتب فحول علمائهم منشورة، تُدَرَّسُ في المسكونة، وهي مشحونةٌ من تلك البراهين الساطعة والدلائل القاطعة، على فقدان أصل الإنجيل وفساد أناجيلكم الموجودة.

لست أدري! ماذا يريد هذا المؤلف من البراهين أَزْيَدَ مما أتت به العلماء والقرآن المبين، أيظن أن الناس عميان، أو اعتراهم داءُ النسيان عن كتب الردود، من فحول العلماء، كابن تيمية والقرافي وابن القيم والآلوسي والهندي والقرطبي وابن حزم والرازي، وأمثالهم كثيرون، وهي مشحونةٌ من تلك القرائن الدالة على فساد كتبهم. وأظن لو حضر المسيح عليه السلام بذاته، وقال لهم: إن أغلب ما في هذه الأناجيل مَكْذُوبٌ عليّ، لقالوا له: أنتَ لستَ المسيح، ولا نصدقك، إلا أن تَدَّعي الألوهية، وتقر بأنك كنت مصلوباً، ولعنة عن خطايا العالم.

وأختم كلامي بقوله تعالى، عز وجل: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)﴾ [الصافات] وهنا تم البحث الثاني، من ذيل كتاب «الفارق».

البحث الثالث

(في رد رسالة أبحاث المجتهدين)

وقد وجدنا أيضاً رسالة ثالثة مطبوعة في مصر سنة ١٩٠١ ميلادي، تأليف نيقولا يعقوب غبريل المسماة «أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين» وهي مشتملةٌ على تسعة مباحث وفصول، يستشهد فيها بالآيات الكريمة من القرآن والأحاديث النبوية، وزعم أنها تدل على عَدَمِ تحريف التوراة والإنجيل، ويأمر المسلمين باتباع أحكامهما، وبذلك يريد أن يدلّس على ضَعَفَة العقول، ويزعم أنه أتى بعد ثلاثة عشر جيلاً بأمرٍ عظيم، لم يدركه المتقدمون والمتأخرون، من فحول العلماء والمفسرين، فلذلك التزمتُ رَدَّهُ مختصراً، لأن «الفارق» رَدَّ مِثْلَ أبحاثهِ رداً شافياً، وبما أن المصنف قال، في صحيفة ٤ من رسالته: «ليس في البحث مجاملة يا أم ارحميني» فلا يؤاخذني أخي المسلم إذا وجد في كلامي ما يثقلُ على سمعه، انتهى قوله. فأنا كذلك ألتمسُ أن لا ينفعلَ من الكلمات الموافقة للحق، لأني لا أرومُ من هذا الرد عليه فخراً ولا شراً، بل خيراً لنوع البشر، ولا أجادلُ بالباطلِ، إن شاء الله تعالى، بل كما أمرني الله تعالى بقوله ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت].

البحث الأول

فأقول للمسيحي المنصف: إن هذا المصنف قد افترى في رسالته على كتب الله المقدسة، وعلى أبناء جِلْدَتهِ، فلذلك أعمى اللهُ بصيرته، فَعثَرَ في أول شاهد من شواهده، فقال في إيراده العقيدة النصرانية ونصه: «لما كان الكتاب المقدس التوراة والإنجيل ركن عقائد الدين المسيحي وأساسه، والحكم الوحيد الذي يرجع إليه المسيحيون» انتهى بحروفه.

أقول: إنَّ الإنجيلَ والقرآن وأحاديث سيد الأكوان تشهد بأن التوراة كانت

أساسَ دينِ النصرانية، وهم كانوا ملازمين للعمل بأحكامها، كما قال المصنف وأثبتناه في «الفارق»، فليت شعري! هل تصادفة الطوائف النصرانية على ذلك، وهو قد هدم أركانَ التثليث، وكفَّرهم، وأبطلَ عقائدهم، ولعل هذا المؤلف يهودي أو نصراني على فطرة الحواريين، أو أراد من قرن التوراة بالإنجيل ستر فضائح أناجيلهم، عند المناظرة، ويصدق على هذا المؤلف ما قيل لرجل: ماذا تملك من قطيع هذه الغنم؟ فقال: لي ولابن أخي ستون نعجة، فقالوا له: ما نسأَلُك عن ملكية ابن أخيك، بل عما تملكه أنت، فقال: لي نعجة واحدة، وهي عاقرٌ. وكذلك هذا المؤلف.

فموضوعُ البحث بين المسلمين والمسيحيين منحصرٌ في الأناجيل والرسائل التي يزعمون أنها كتبٌ مقدسة سماوية، ومنزَّهةٌ عن الزلل والخلل فقط، وليس لنا حاجة الآن في البحث عن حالِ التوراة واليهود وعقائدهم، وإن أصررتَ وتشبَّثْتَ بأذيالهم، فيلزمك أولاً أن تختتن، وتحافظ على السبت، وتفعل كما يفعلون في الصلوات والصيام وأعيادهم، وتحرم لحمَ الخنزير والإبلِ والمحرمات، وتجتنب الحائض، وتغتسل من الجنابة، وتقبل تكليفاتهم، وأن لا تسجدَ للصليب ولا للخمرة والخميرة، ولا لمطلع الشمس، بل تجعل قبلتك بيتَ المقدس كما كان يفعل المسيح والحواريون في الهيكل، فحينئذٍ يسوغُ لك أن تجعلَ التوراةَ أساسَ دينك وركن عقيدتك، والحكمَ الوحيد الذي يرجع إليه المسيحيون، فكيف وأنت جعلت أوامرَ الإنجيل أحذيةً، وعيسى لعنةً، والذي يعملُ بالتوراة، يكون تحتَ لعنةٍ، وجعلت حروفها عتيقة لا تصلحُ لشيء، ورفضت كافةَ أحكامها، وأحللتَ حرامها، وجعلت قبلتها وراء ظهرك، وسجدتَ لغير الله، فكيف يسوغُ لك أن تتشبث بها، وتجعلها ستراً لضلالك، وأنت قد برّأت نفسك من أحكامها قولاً وفعلاً، وأبناء جلدتك في كل سنة يهرقون دماء ألوف مؤلفة من الذين يتعبدون بها.

فيا أيها المؤلف! لا تظن أني أريدُ من هذا البحث الهزيمة من مناظرة اليهود، في مساويهم، وتحريف كتبهم، ولا محبةً فيهم، كلا! بل القرآن الكريم أخبر بأنكم أقربُ مودة للإسلام، وصَرَّحَ بشدةِ عداوتهم لنا، وبُغضهم وقتلهم الأنبياء بغير حق، وصرح بتحريفهم للتوراة عناداً وكفراً، ولذلك لعنهم بصراحة القرآن الكريم، وكيف لا! وهذا كتاب «إظهار الحق» قدس الله روح مؤلفه، وضح مكنوناتهم ودسِّهم وتحريفهم وفضائحهم بحق الرسل والأنبياء، عليهم السلام، كقولهم على هارون، عليه السلام، أنه صنع العجل، وكفّر بني إسرائيل، وعن داود النبي عليه السلام، أنه زنى بزوجة رئيس جيشه، وهو غائبٌ، ثم قتله ظلماً، وعن يهوذا عليه السلام بأنه زنى بكنته تامار، وعن لوط عليه السلام بأنه سَكِر وزنى في بناته، وتناسلَ منهما ذريةً طيبة، وهلم جراً، مِنْ نِسبةِ التهتك إلى أنبياء الله العظام، حال كون هذا الفعل ليس الفجار والأشرار يأنفون منه فقط، بل البعض من الوحوش أيضاً، لا تَنْزُو على بناتها، ومنهم الجاموس.

فيا أيها العاقل البصير، أسألك بشرفِ الأنبياء، عليهم السلام، هل تقبل وتصدق أنَّ ما نقلناه آنفاً، من التوراة، هو منزلٌ من الله تعالى، فإن أصررتَ على غيِّكِ فابكِ على عقلك قبل دينك. وهذا البحثُ طويل، فإن أردتَ استقصاءه فراجع «إظهار الحق» ترى فيه ما يُغْنِيكَ عن السؤال وعن القِيلِ والقال، ولا حاجةَ لذكرها هنا لأننا وعدنا باقتصار الجواب على هذه الرسالة.

ومن افتراء المصنف أيضاً قوله في آخر ديباجة الرسالة، ولفظه: «راضخين لأحكامه ومستنيرين بمشكاة هداه، لأنه نور وهدى للعالمين».

أقول: إن افتراءه في آخر هذه الجملة أفضَحُ من أولها، وليت شعري! أين هو من الرضوخ، وعقيدته تنادي في المسكونة كلها بهتكِ التوراة والإنجيل، ورفض أوامر المسيح، كما مر بيانه في «الفارق» مفصلاً، ولا سيما التوراة، فإنهم نكثوها حرفاً حرفاً، ولم يتبعوا منها حكماً واحداً، حتى إنهم لما رأوا توحيد الإله في

التوراة والزبور والأسفار مشددة، ثلّثوه عكساً وعناداً باليهود؛ والمؤلف لم يكتف بذلك، حتى صار يفتري على القرآن الكريم أيضاً بزعمه أنه صَرَّحَ ببراءة التوراة والإنجيل من التحريف والتبديل، وأنه يحرّض المسلمين على اتّباعهما، إلى آخر ما قاله. فمنها استناده إلى قوله في سورة آل عمران ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ۝٤﴾ وهذه الآيةُ صريحة المعنى بأن التوراة والزبور والأسفار والإنجيل التي كانت نازلةً على الأنبياء، قبل تحريفها، نورٌ يُهتدى بها، قبل القرآن، ولا يفهم من الآية أن القصدَ منها هذه الكتبُ الموجودةُ بأيديهم، الثابت تحريفها، لأن الآية بنفسها فسرت نفسها، بقوله تعالى ﴿مِن قَبْلُ ۝٤﴾ [آل عمران] ولا حاجةَ للبيانِ أزيد من ذلك.

ثم قال المؤلف، من سورة المائدة ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۝٦٨﴾ والمفهومُ من هذه الآية والمفهوم من هذه الآية أن الله يأمرهم باتباعهما، واتباع القرآن معهما، لأنه قال تعالى في آخر الآية ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۝٦٨﴾ وهو القرآنُ، وهذا صريح، لا غبارَ عليه. وهم إنْ آمنوا بالقرآن كما آمنوا بكتبهم، فيكونوا مسلمين.

ولعل المؤلف يعترض بأنه لم ينقل آخر الآية في رسالته؛ فأقول: إني لم أزد شيئاً على الآية، من عندي، بل أكملتُ ما نقصه المصنف، وأظهرتُ ما اختلسَهُ المؤلف، وكيف أسكتُ عنها، ومدارُ الحكم على إثبات تصنيعه فيها. وتكذيب المؤلف متوقفٌ على ذِكْرِها.

ثم لا يخفى أن التوراة والإنجيل المذكورين في الآية الكريمة معرّفة بلام التعريف التي معناها هنا العهد الخارج، فيكون المعنى: حتى تُقِيمُوا التوراةَ والإنجيل المعروفَيْنِ المعهودين قَبْلاً، المنزلين على موسى وعيسى عليهما السلام، السالمين من التحريف والتبديل، لا الذي أثبتنا تحريفهما بالأدلة القطعية، كما ذكره فحولُ علمائنا في كتب الردود، وذكرناه في «الفارق» ويفهم

أيضاً من هذه الآية أن الأمرَ لهم باتباع التوراة والإنجيل، إنما هو اتباع أوامرهما، والعمل بما صَرَّحت به، من توحيد الله، وتنزيهه من الشريك والولد والتثليث.

فمنها قول المسيح عليه السلام في ص١٧ - ف٣ من إنجيل يوحنا، ونصه: «وهذه هي الحياةُ الأبدية، أن يعرفوك أنتَ الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته» وفي غير موضع من الإنجيل قال: «لا تتخذوا إلهاً على الأرض، فإن إلهكم واحد، وهو في السماء» ويأمرهم فيهما أيضاً بالإيمان بعيسى وأحمد، صلوات الله عليهما، المكتوب في التوراة وأسفار الأنبياء والإنجيل نَعْتُهما وأوصافهما وزمانهما ومحلهما وأفعالهما، ولا سيما ذكر أحمد ﷺ، كما مر البحث عنه في «الفارق» فمنه قول ملاخي النبي، عليه السلام في آخر آية من سفره، من قوله: «يأتي إيلياء النبي، وهو رسولُ آخر الزمان، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً» وكما صرح به أيضاً مفسر الأناجيل، بكتابه «تحفة الجيل» بتفسيره على ف١٦ من ص١٠ من إنجيل يوحنا، وخلاصة قوله: «إن إيلياء الرسول المذكور، في آخر سفر ملاخي، هو ملغوز، وهذا هو حَبْرُ العالم الذي يأتي في آخر الزمان» انتهى.

قول هذا المفسر وهذا الملغوز، هو لا شَكَّ أحمد (٥٣) الملغوز بإيلياء (٥٣) وهذا اللغز بحساب حروف أبجد، كما هو مستعملٌ ومعتبرٌ عند اليهود، وهو الفارقليطُ الذي ذكره المسيح في الإنجيل «بأنه يأتي من بعدي فارقليط آخر، ويذكِّرهم ويبكِّتهم ويشهد لعيسى وهو روح الحق» إلى أن قال: «إنْ لم انطلق، لا يأتيكم الفارقليط» وإذا نظرتَ ودقَّقتَ، وجدتَ اسم الفارقليط، فضلاً عن تفسيره بأنه رسولٌ كثيرُ الحمدِ، يستخرج منه أيضاً تاريخ ولادة المصطفى، ﷺ، بحساب أبجد، لأنك إذا حسبتَ من مبدأ انطلاقِ المسيح، عليه السلام، إلى ولادةِ خاتمِ الأنبياء بالحساب الشمسي، يبلغ ٤٦١ سنة على عدد اسم الفارقليط

(٤٦١) فيفهم أن مراده من هذا الرمز تعيين اسمه، وتعين الزمان، لظهور مولد سيد الأكوان، وأنه هو الفارقليط، لكيلا يلتبس الأمرُ بغيره، فوقع الأمر كما أخبر المسيح، فإنه ولد بعد رفعه بـ٤٦١ سنة كما ذكرنا، وبعد رسالته بكَّتَ العالم، وشهدَ للمسيح عليه السلام، وذكّرهم بأقواله ونصحه ووعظه، فضم على تلك النصوص من التوراة والزبور والأسفار هذه القرائنَ القاطِعةَ والبراهين المتضافرة والدلائل المترادفة، المار ذكرها في «الفارق» وأَنْصِفْ - هداكَ الله - ولا تكُنْ من الذين يخدعون أنفسهم، ويطيعون أهواءهم، أما ترى قول الله تعالى في سورة سبأ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۝٣١﴾ أي: لا نؤمن بخبر القرآن ولا بخبر التوراة والإنجيل عن إيلياء المرموز بأحمد، ولا عن الفارقليط الموصوف في الإنجيل، فعند ذلك قال الله تعالى في سورة القصص: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ ۝٤٩﴾ أي: فإنْ كنتم لا تؤمنون بهذه الكتب المار ذكرها، على صحة رسالة خاتم الأنبياء، فَأْتُوا بكتابٍ منزلٍ من الله غير هذه الكتب أتّبِعْه، وإذاً بُهتوا ولا جوابَ لهم، أي المشركين، فأينَ أنتَ يا أيها المؤلف مما جئت به من التصنيعات بالآيات؟

ومما يؤيد ما ذكرناه قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۝٤٧﴾ فإنها تدل على الحكم بما أنزل فيه، ومن جملته القول بالفارقليط المار ذكره، فإذا حكموا بذلك، وقالوا به، لا يبقى نزاعٌ بيننا، لأنهم يكونون مسلمين.

وفي صحيفة (٥) قال المؤلف من سورة النساء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝١٣٦﴾ وفي سورة المائدة ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ۝٤٣﴾ وقد استشهد أيضاً بالآياتِ الآتية على سلامةِ التوراةِ والإنجيل من التحريفِ، فقال في صحيفة (٨) من سورة

الكهف ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴿٢٧﴾ ﴾ وفي سورة الأنعام ﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ﴿٣٤﴾ ﴾ وفي سورة يونس ﴿ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ﴿٦٤﴾ ﴾ وفي سورة الفتح ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ ﴿٢٣﴾ ﴾ وفي سورة السجدة ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ ﴿٤٢﴾ ﴾ وفي سورة الحجر ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

فيا أيها المطالع! انظر إلى تدليساتِ هذا المؤلف وتمويهاته، فإنه يريدُ أن يقنع ضَعَفَةَ العقولِ بأن التوراة والإنجيل الثابت تحريفها في القرآن بريئةٌ من التحريف، بشهادة القرآن، فأقول: لا يوجد في هذه الآيات دليلٌ، لا صراحةً ولا إشارة على براءتهما، وهو لم يكتفِ بافترائه على معاني القرآن ومقاصده، بل صار يُسْقِطُ بعضَ جُمَلٍ من آياته، ويُلَفِّقُ بأقوال المفسرين آراء من عندياته، ويزيد وينقص لأجل ترويج تصنيعاته حال كون هذه الآيات كلها تنادي أهل الكتاب أن يؤمنوا بأن الله هو الإله وحده، لا ابن ولا تثليث ولا شريك له، وأن الملائكة والرسل الذين هم خيرة خلق الله حق، وأنَّ الكُتبَ المنزلة من الله السالمة من التحريف والتبديل حَقٌّ، ونور للناس في الدنيا وفي الآخرة، فإذا اعتقدوا ذلك، وعملوا به، وصدقوا بما هنالك يكونون من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فتبيَّن لك أيها الصاح أن هذه الأيات آمرةٌ بالإيمان فقط، كما فَصَّلنا، ولا يُفْهَمُ منها تصريحاً ولا تلويحاً الأمرُ لنا باتباع أحكام التوراة والأناجيل.

ومن تمويهات المؤلف، يظهر برسالته أن الإنجيل واحد، حال كونه أربعة، ورسائلِ وأعمال الرسل، ورؤيا، ولو قيل لصاحب الرسالة: أنت تدعو الناس أن يخضعوا للتوراة والإنجيل، وهي أناجيل كثيرة، فأي إنجيل منهم صَحَّ عندكَ، لكي يَتَّبِعُوه؟ ليت شعري! ماذا يجيب؟ ولعله يقول: الأربعة أناجيل والأعمال والرسائل والرؤيا، كلها إنجيلٌ واحد، كما يَدَّعي أن الثلاثةَ إلَهٌ واحد، فحينئذٍ يقالُ له: إن هذه الكتب تكذب بعضها بعضاً، فأيّ قولٍ وحكمٍ منها كلامُ الله، حتى يتبعوه، فَيُبْهَتُ عن الجواب، ويقف حمار الشيخ في العقبة، وهو لم يكتفِ

بهذا الافتراء، بل يَحُثُّ الموحِّدين للخضوعِ بأحكام التوراة والأناجيل، وكيف يكون هذا، والتوراة تكفّر مَنْ يقول: إنَّ من البشر إلهاً؟ كافتراء النصارى على الأناجيل بأنها تكفر مَنْ يجحد ألوهيةَ المسيح، وعلى هذا يلزم أن يكون الخاضعُ لهما قد كَفَرَ مرتين. وعلى كلٍّ، فلا تصح دعوى المؤلف إلا بعد أن يوفقهما على وجه واحدٍ البتة، أو يكذب أحدهما، وهذا صريح لا غبار عليه.

ومن تمويهاتِ علمائهم على أغبيائهم قولُهم لهم: إنْ وجدتم أحداً من المسلمين، يطعنُ في الأناجيل، بأنها مُبَدَّلَةٌ أو محرفة، أو أن الأصل مفقود، فقولوا له: فَأْتِنَا بإنجيلٍ حقيقيٍّ لكي نَتَّبعه، إنْ كنتَ من الصادقين.

أقولُ: أليس إن هذا تَمحُّلٌ ومغالطة من علمائهم، وغشٌّ صريح لأبناء جلدتهم؟! والغبيُّ المسكين لا يتعقل بأن الأناجيل الموجودة أربعة، بعدما كان واحداً عبرانياً، ينادي به المسيحُ في الهيكل، بين بني إسرائيل، كما صرحت به أناجيلُهم الموجودة، ثم بعد مدة اختلسوه وأضاعوه، وأظهروا تراجمَ متعددة، بلغاتٍ مختلفة، كما شهدت به علماؤهم، وقد مر ذكره في «الفارق».

والموجود الآن أربعة، ينقضُ بعضها بعضاً، ورسائل تنسخها، فهل من العقل طلبُ أصلِ الإنجيل من قومٍ، ظهروا بعد نزولهِ بستةِ أجيال، وقد مَزَّقته عواصفُ الأغراض؟! ولو أنهم طلبوا أصله من اليهود، لجاز طلبهم، لأن الإنجيلَ الحقيقي كان ينادي به المسيح وتلاميذه بينهم، ويحتمل أنهم حفظوا أصله عندهم، وهذا أيضاً محال، لأنه على فرض وجود الأصل عندهم، فإخراجه من اليهود أبعد من المحال، كما لا يخفى، وكيف يشهد القرآن بصحتهما، وآياتهُ تُصَرِّحُ بتحريفهما وتبديلهما، على أن الحِسَّ أيضاً يشهد بذلك.

أيها المؤلف! أتُنكِرُ تلَفَ التوراة ومحوها من الدنيا، وبعد مدة من الزمان جمعوها من أفواه الناس، وافتروا فيها على أنبيائهم، كما مر بحثه مكرراً، ولا

سيما تحريفهم لها بعد مجيء عيسى عليه السلام عناداً، كما شهدتْ بذلك أكابرُ علماء النصرانية، وأثبتناه في «الفارق» وكذلك الإنجيل الحقيقي العبراني المنسوب لمتَّى الحواري الذي أتوا به من الهند، وحفظوه في مدرسة الإسكندرية، وبعد مدة طويلة أظهروا ترجمته بلغات متعددة، وأعلنوا بضياع النسخة العبرانية الأصلية، وهم لا يعلمون إلى الآن اسم المترجم، بل تضاربت رواياتهم به، كما تقدم بحثه آنفاً، وفعلوا ما فعلوا بالترجمة حتى الآن، فإنهم يزيدون وينقصون، ويبدِّلُون، ويغيِّرون الأفعالَ المستقبلة بصيغةِ الماضي، والحاضر بالآتي كما أثبتناه ووضحناه في «الفارق» من أن النسخة المطبوعة في لندن سنة ١٨٤٨ لا يمكن تطبيقها على النسخة المطبوعة حديثاً في بيروت، والفرق بينهما ظاهر كالشمس في رابعة النهار، وفضلاً عن هذا كله، إنه لا خلاف في أن الإنجيل واحد، وقد صيروه أربعة، ينقض بعضها بعضاً، بل كل إنجيل منها بنفسه يُكَذِّبُ نفسه، وكيف يشهد القرآن بصحتها، وفي سورة البقرة قال الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿٧٩﴾﴾ وفيها قوله تعالى ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة] وفيها أيضاً ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ ﴿٤٦﴾﴾ [النساء] وفي سورة المائدة ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴿١٣﴾﴾ وفيها أيضاً ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة] وآيات التحريف كثيرة، والذي ذكرناه كاف للاستدلال.

ومعنى قوله ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴿٤٣﴾﴾ [المائدة] أي كيف يحكِّمون القرآنَ عليهم، وهم يجحدون نُزولَهُ من الله، وكيف يتركون أحكام التوراة، وفيها حكم الله، واعتقادهم أنه لم يتغير منها حرف واحد، ولا يقبلون نسخها، وهي ليست كذلك، بل البعضُ من أحكامها منسوخٌ بالقرآن، والبعض مُحَرَّفٌ، ويستحيلُ التمييزُ بين السالم والمحرف.

وأنتَ تعلم أيها اللبيب، بعد ثبوتِ تحريف البعض منها، يبطلُ الاستدلال بها والعمل بمضمونها وأحكامها، وهذه القاعدةُ أساسٌ لكافة الأديان، ولا يختلف اثنان في أنه لا حجةَ مع الاحتمالِ، فعليه، كيف يجوز التعبُّدُ بما فيها، واتباع أحكامها، فضلاً عن نسخ البعض منها بالقرآن الكريم؟!.

وأما ما استشهد به المؤلف، على عدمِ تبديلِ كلام كُتُبِ الله كافة، من الآيات التي تقدم نقلها، فمردودٌ من وجوه كثيرة، منها:

أن هذه الآيات ليس فيها صراحةٌ ولا إشارةٌ إلى التوراة والأناجيل، بل سياقُ البحث يدلك أن المراد منه القرآن، لا غيره، ومع هذا، فلا يفهم من قوله: «لا مُبَدِّلَ لكلماتِ الله» عدم تبديلِ الحروفِ المكتوبةِ في القراطيس، بل المرادُ لا تبديلَ لأوامرِ الله وأحكامهِ المُبْرَمة والمَسْنونة في خَلْقه، من آدم وإبراهيم وموسى وعيسى إلى خاتم الرسل، صلوات الله تعالى عليهم أجمعين، كالإقرار بواجب الوجود، وأنه لا شريكَ له، ولا تثليثَ، وكالوعد والوعيد، والعيش الرغيد، والعذاب الشديد في الآخرة، وأمثالها، فهذه أحكامٌ يُعَبَّرُ عنها بالكلمات، لا تتبدلُ ولا تتحوَّلُ ولا تتغير ولا تُنْسَخُ، ونحن معاشرَ المسلمين لا نستدل من هذه الآيات على حِفْظِ ألفاظ القرآن من التبديل والتغيير، بل استدلالنا على حفظه من قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر] ومن قوله تعالى في سورة فصلت ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۝٤٢﴾ والمرادُ من هاتين الآيتين القرآن فقط، وهو صريحٌ فيه، لا يشملُ غيره، لأن ظاهر الآيتين وباطنهما، وسياق البحث، يفيدُ قصدَ القرآن بمفرده، لا كافةَ الكُتُبِ المنزلة قبله. وأنت تدري أن الحكم لا يشملُ ما قبلَهُ، ومع ذلك، فالضميرُ الذي في قوله تعالى ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ مفرد، وكذا الضمير الذي في قوله تعالى ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ ضمير مفرد، والسياقُ في بحثِ القرآن وذكره فقط، فتبين أن كلاً من الضميرين المفردين، في الآيتين المذكورتين، راجعٌ للقرآن البتة، ولو كان راجعاً لكافةِ

كتبِ الله المنزلة قبل القرآن، لكان بحسب النظم العربي أن يقول: إنا نزلنا الذِّكْرَ وإنا لها لحافظون، وفي الثانية أن يقول: لا يأتيها الباطلُ من بين يديها ولا من خَلْفِها، فافهم.

ولعلك تقول: لأيِّ علة حُفظ القرآن، ولم يُحفظ باقي الكتب، والكل إلهية؟

قلت: الحكمةُ ظاهرة، لأن الكتب والأنبياء كانت تترادفُ، وتُصْلِحُ ما فسد بينها، ولكون خاتم الرسل والقرآن الكريم آخر رسولٍ وكتاب من رب الأرباب، وهما فصل الخطاب، وتقوم الساعة عليهما، ولا يأتي بعدهما رسولٌ ولا كتاب، لكي يصلح ما يفسد من أحكامهما، فتعهَّدَ بحفظ القرآن المنزل على سيد الأكوان، وهما أصدقُ شاهدٍ وأعدل حاكم على الأمم في الدنيا والآخرة، كما قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿١٤٣﴾﴾ وقوله في غير موضع ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران].

ولقد تبين مما تقدم أن المراد من قوله: «لا مبدل لكلمات الله» أي: لأوامرِ الله، ومما يؤيد ذلك قوله تعالى في سورة يونس ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس] وقوله تعالى في سورة الأنفال ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأنفال] وقوله تعالى أيضاً في غير موضع ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر] فقد تبيَّنَ من صراحة هذه الآيات الكريمات أن معنى الكلمة والكلمات: الأمر والأوامر، فقد ثَبتَ ببداهةِ العقل والنقل أن هذه الأبحاث كلها على القرآن، لا على التوراة والأناجيل.

وحتى إن التوراة مشحونة من الآيات التي فيها قوله «الكلمة مع فلان»

«والكلمة كانت لفلان» «والكلمة عند فلان» والقصد: أمرُ اللهِ صارَ عند فلانٍ، أو مع فلان، ليس القصد منه الكلمة اللغوية، وهذا ظاهر، وذهبت إليه كافةُ المفسرين، منهم النصرانية والمسلمون وحتى في أول ص٢ من مرقس ما نصه «فكان يخاطبهم بالكلمة» أي المسيحُ كان يخاطبُ الجُموعَ بأمرِ الله، ولا يقال: إنه كان يخاطبهم بالكلمة اللغوية، وهذا صريحٌ لا غبار عليه.

وإنْ كنتَ في ريب مما شرحنا، فراجع كتب التفسير، فهي تُغنيكَ وتشفيك من هذا المرض المزمن، إن شاء الله تعالى.

وقد استدل المؤلف على صحة هذه التوراة والأناجيل، وبراءتها من التحريف بقوله: «إنه يوجد في خزائن الملوك نسخ من التوراة والأناجيل، تاريخها من قبل الهجرة بـ٢٥٠ سنة، لا تختلفُ عن النسخ المتداولة في زماننا بحرف واحد».

أقول: قوله: «لا تختلف عن النسخ» الموجودة الآن بأيديهم محال، وإن سلم أيضاً، لا تدل على أنها سالمةٌ من التحريف، لأن التحريف وقع وجرى بعد انقراضِ الحوراريين، وانتهى الأمر بينهم في القرن الثالث، على هذه الأربعة أناجيل المتناقضة، كما أثبتناه في «الفارق» على أنَّ أعمالَ الرسل ورسائلهم نَسخَتْ أحكامَ هذه الأناجيل أيضاً، وذلك بعد ما كانت ستين أو سبعين إنجيلاً، ولم ينتهِ الأمرُ على هذه الأربعة أناجيل إلا بعد إهراقِ ألوفٍ من دماء الفقراء والمساكين، كما أثبتناه، ومَرَّ البحثُ عنه مفصلاً في «الفارق» فعليه، أيّ فائدةٍ تحصلُ من وجود نسخ قديمة منسوخة، بعد تحريفها، أي: بأن نسخت بعد قسطنطين الرومي.

ولو قال: يوجد نسخة منسوخة بخط بطرس هامة الرسل، لأمكنه الاحتجاجُ بها، وعلى فرض وجودها أيضاً، لا تطابق هذه النسخ المتداولة الآن بأياديهم، ولا النسخة القديمة الموجودة في خزائن الملوك تطابق هذه الأناجيل والتوراة البتة

(وعندَ الامتحانِ يُكْرَمُ المرءُ أو يُهان).

ولعله يعتذر بعدم اقتداره على إحضارها من خزائن الملوك، فنحنُ نتنازلُ، ونعفيه منها، ونقبلُ منه تطبيقَ النسخةِ المطبوعةِ سنة ١٨٤٨ في لندن، أي قبل خمس وخمسين سنة، مع النسخ المطبوعة حديثاً في بيروت، فإنْ سَلِمَتْ من التغايرِ والاختلافِ والتناقض والزيادة والنقصان، في الجمل والآيات، واختلافِ الضمائر، فحينئذٍ نُسَلِّمُ له بأن النسخة المحفوظة في خزائن الملوك مطابقةٌ بدون تطبيق، وإلا، فما الفائدةُ من دعواه؟ وهي ظاهرةُ البطلان.

فيا أيها المصنف! إنْ كنتَ منصفاً، فلا تَزُغْ يميناً وشمالاً، فلا حاجة لنا بالنسخة المحفوظة في خزائن الملوك، فدَع الملوك يَتعبَّدونَ بها، وحسبنا توراتُكم وأناجيلُكم ورسائلُ رسلكم الموجودة الآن بأياديكم، التي هي مدار تعبُّدكم، وأساس عقيدتكم، فإنها بالنسبة إلى النسخ المطبوعة قبل ٥٥ سنة كالمصفاة، لا يعيبها ثقب، ونسكتُ عن تطبيق التوراة التي بأيديكم على التوراة التي بيد اليهود، لأنه بأدنى تأمل يحكم العاقلُ بأن هذه التوراة غير تلك التوراة، وهاتان النسختان يدرسان بالميدان، ومن أراد الرد لما أوردناه، فليبرزْ غيرَ ناكصٍ، فإنَّ الحقَّ يَقطعهُ، والزُّورَ يفضحه.

البحث الثاني

(في أنه هل نسخ القرآنُ التوراةَ والإنجيلَ)

يلزم هنا أن نبسط للقراء تعريفَ النسخ، وما هو، وكيف، فأقول: إن النَّسْخ، عند العلماء، هو عبارة عن انقضاء المدة المعينة، في عِلْمِ الله تعالى، لإجراء تلك الأحكام التي تكون عمليةً محتملة للوجود والعدم، غير مؤبَّدة، وتسمى: الأحكام المطلقة، ولا يطرأ النسخُ على الأدعية كالزبور، والإقرار بوجود صانع العالم، ولا على الأمورِ الحسية، كضوء النهار وظلمة الليل، ولا الأحكام الواجبة على كلِّ مُكَلَّفٍ من البشر، كآمِنُوا بالله، ولا تُشْرِكوا، ولا على القصص والأخبار التي قصها الله تعالى في كتبه المنزلة على الأنبياء الماضية، وما سيكون في الآتية، كقول عيسى عليه السلام: يأتيكم فارقليطٌ آخر، أي رسولٌ آخر غيره، ولا على الوعدِ والوعيد في الآخرة، ولا على الأحكام المؤبدة.

ثم إن النَّسْخ لا يُخِلُّ بشرفِ الكتب المقدسة، لأن الناسخ والمنسوخ كلام الله، حتى إنه يوجد في الآيات القرآنية ما هو منسوخ بآيات أخر، وهو كتابٌ واحد، فإذا عرفتَ هذا، فاعلمْ أن القرآن الكريم لم يَنْسَخْ كافة ما في الكتب المقدسة، بل كَذَّبَ بعض الآيات التي دَلَّستها الخَلَسة، وصدّق البعضَ الصحيح، ونسخ بعضاً من الأحكام الغير مؤبدة، وذلك بمقتضى حكمة الله وسُنَّته الجارية بين الخليقة، ومراعاةً للزمان والمكان، كما هو مُسَلَّم، ولا نِزاعَ بذلك.

وأما الآيات الدالة على النسخ، فكقول الله تعالى، في سورة البقرة ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧ ﴾ وفي سورة آل عمران: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ

﴿ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ وفيها أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران] وفي سورة سبأ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿٢٨﴾﴾ وفي سورة الأعراف: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴿١٥٨﴾﴾ وفي سورة النحل: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٧٦﴾﴾ وفي سورة الكهف: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ وكثير من الآيات الدالة على النسخ، والبعض مَرّ نَقْلُه في بعض الأبحاث، من هذه الرسالة.

فيا أيها المؤلف! هذه آياتٌ صريحة ظاهرة المعنى، بأن الخليقة كلها مجبورةٌ على اتِّباع القرآن، والله صرح بأنه لا يقبلُ من أحدٍ إلا أن يؤمن بسيد الأكوان، ويخضع لأحكام القرآن، أيصِحُّ بعد كل هذا أن تُمَوِّهَ على ضَعَفةِ العقول، وتنادي بأن القرآن لم ينسخ الكتب، بل يأمر المسلمين باتباع التوراة والأناجيل المرفوضة منكم؟!.

ولنذكر هنا الآيات التي استند عليها المصنف، ليختلسَ بها عقولَ ضعيفي الرأي. قال في سورة البقرة مخاطباً لبني إسرائيل: ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴿٤١﴾﴾ وفيها أيضاً: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴿٩٧﴾﴾[البقرة] وفي سورة آل عمران: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴿٣﴾﴾ وفي سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴿٤٧﴾﴾ وفي سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٧﴾﴾ وفي سورة المائدة: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿٤٨﴾﴾ وفيها أيضاً ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ ﴿٦٨﴾﴾ [المائدة].

ثم بعد سردِ هذه الآيات، روى رواياتٍ عن علماء المسلمين، لا أساسَ لها، فلا نُجيبُه عنها، لأنها من الأكاذيب عليهم، ولو نقله من كتاب معين، لأجبناه، وأما الآيات المار ذِكْرها فواجبٌ على كل مسلم أن يؤمن ويصدق بأن التوراةَ

والإنجيلَ كلامُ الله، ومن يكذبهما ويجحدهما فهو من الكافرين، ولا يتردد في هذا فردٌ من أفراد المسلمين.

ومعنى قوله: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة]، أي رقيباً وشاهداً عليه، وهو كذلك، فإن القرآن لم يترك حرفاً واحداً من خفايا دسائسهم وملاعيبهم، في كتبهم، إلا وشهد عليهم بها، وأظهرها، فكان أيَّ رقيب على كتبهم، وأيّ شاهد على فضائحهم، ثم إني لا أتردد في أنّ هذا المصنف إما أنْ يكونَ جاهلاً، أو متجاهلاً، إذ لا يلزمُ من تصديق القرآنِ الكتبَ المنزلة قبله براءةُ هذه التوراة والأناجيل الأربعة والرسائل الموجودة الآن بأيديهم، من التحريف والتبديل والنسخ، ولا يلزم أيضاً وجوب اتباعها، فقوله هذا مغالطةٌ على ضَعَفَةِ العقول، وهو خلاف الظاهر والمحسوس.

والحق أن المفهوم، من سياق هذه الآيات المار ذكرها، أن التصديق كان لثبوت صحة نزولها من الله تعالى فقط، لا لبراءة هذه الكتب الموجودة من التحريف والتبديل والنسخ، ولو لزم من التصديق وجود المصدق به، لَلَزِمَ من تصديقِ الرسل وجودهم حين التصديق، وهذا فاسد.

ولعل المؤلف يزعم أن لفظ النسخ يفهم منه نسخ ما في الكتابين جميعاً، من التوحيد والوعد والوعيد، وأنه يسقط شرفهما، ولا يلزم الإيمان بهما، وهذا فِكْرٌ عاطل، لأن المقصدَ من النسخِ مَرَّ تعريفُه في مبدأ البحث، والمراد منه أن الدينَ الأحمديَّ جَبَّ ما قبله من الأديان، بقوله تعالى، كما مر آنفاً ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران] فهذا هو النسخ، أي انقضاء مدة تلك العمليات غير المؤبَّدَة.

البحث الثالث

(في هَتْكِهِ عصمةَ الأنبياء)

قال المؤلف ما خلاصته: إن كافة الأنبياء مخطئون إلا عيسى فهو معصومٌ، صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين، واستدل على ذلك بكثير من الآيات القرآنية، وأطالَ الكلامَ فيه، وكله مردودٌ، والجوابُ عنه والبحث فيه محتاجٌ إلى تأليفِ مجلدات كثيرة وأوقات وفيرة، بغير لزوم، فلذلك ضربنا صفحاً عن جوابه، فَمَنْ أراد الوقوف على حقيقة هذا البحث، فليراجع كتب التفسير، ولا يعتمد على نقل هذا المؤلف، لثبوتِ التغييرِ في نقله عما هو في الأصل، والبعض من رواياته لا أصلَ له، وقد ينقص في نقله من الآيات ما شاء، ويترك ما لا يوافقه، لأجل ترويج مقاصده، فلذلك ينبغي مراجعة الأصل ومع هذا فأقول:

إن المؤلف المسكين ماذا يفعل، وإنجيلُه وأساسُ دينه يُصَرِّحُ بأن الأنبياء الذين أتوا قبل عيسى كلهم لصوصٌ وسُرَّاقٌ، ولنذكر هنا جواباً وجيزاً مفيداً، للمنصف من النصارى، فأقول: لو سلم زعم المؤلف، وجاز تَطَرُّقُ الفسادِ والخطأ والكذب من الرسل والأنبياء بعد النبوة، لصحَّ مذهبُ مُنْكِرِ النبوات، لأنه أقربُ للتصديق عقلاً من تصديق رسالة الكاذب، والفاجر في بناته والكافر والمنافق وصانع العجل لتكفير قومه، كما مَرَّ البحث عن ذلك. والقولُ بتخطئةِ الأنبياء والرسل هو السببُ الوحيد لهروب الأروباويين من النصرانية إلى مذهبِ مُنْكِري النبوات والدهرية، والغريب زَعْمُ المصنف بأن الله يعصمُ أقوالَ الأنبياء حين وَعْظِهم، ولا يعصمهم بعد انتهاء الوعظ، أي يخطئون، ويَزْنون في بناتهم وكنَّاتهم، ويعملون العجلَ لتكفيرِ أقوامهم، ولو صَحَّ قولُ المؤلف: لماذا ما عصمَ اللهُ هارونَ النبي عليه السلام، عندما صنع العجل لبني إسرائيل، ليعبدوه، وهو مناقضٌ لقوله بعصمتهم عند الوعظ.

والذي يتحصَّلُ من قول المؤلف، أن للأنبياء طبيعتين، لاهوتية وناسوتية كالمسيح، تارة يُجرون النصيحة، وأخرى يرتكبون الفضيحة، وبهذا يتساوى النبيُّ والشقيُّ، والعجبُ من هذا المؤلف كيف صَحَّ عنده استثناء المسيح من الرسل، بقوله في أول البحث الخامس، وخلاصته: إننا معشر النصارى نعتقدُ بعصمةِ عيسى من الخطأ، لكونهِ ليس من زرعِ البشر، مع كونهم زعموا أنَّ المصلوبَ صار لعنةً عنهم ودخلَ الجحيمَ لأجلهم وبذلك يكون، على وَصْفِهم، رئيسَ الشياطين لأنهم قالوا: إنه ملعون، ورئيس المخطئين، لأنهم قالوا عنه: دخل الجحيم، فإن كان آدم عليه السلام أخطأ مرة واحدة، بمجرد أكْلهِ من الشجرة المنهيِّ عنها، فإنكم زعمتم أن المصلوبَ جُمِعَتْ فيه الخطايا كلها، وأنه صارَ لعنةً جهنمياً.

أيها المصنِّف: أنتَ الذي قلت: إن عيسى إنسانٌ بشرٌ ناسوتيٌّ، فكيف يصح، بعد هذا الإقرارِ منك، أنه ليس من زرع البشر، وأمه العذراء ولدته كما تلد النساء، فإنْ صَحَّ استدلالك الفاسد على أن عيسى لم يخطىء، لكونه من غيرِ أبٍ، لماذا لم يصح دليلك هذا في آدم أيضاً، وهو من غير أبٍ وأم، فهو أوْلى بالعصمة منه. ولعلك تقول: إن آدم أخطأ، وعصى، ثم ندم، واستغفر، فتابَ الله عليه وعفا، وعيسى لم يخطىء أبداً، فأقول: حينئذٍ بطل قولك بأن الذي لم يكن من أب، لم يخطىء، ونحنُ معاشرَ المسلمين نعتقدُ بعصمة الأنبياء، وعيسى معهم، ولكنك أنت الذي قلت وزعمت بأن قيافا رئيس كهنة اليهود نبيٌّ ملهم، حكمَ على عيسى عليه السلام بالكفر، ولم نر أنه، بعد كفره، تابَ وندمَ كما ندَم آدمُ، بل زعمتم أنه أصَرَّ على كُفْرِهِ وزَعْمِهِ بأنه هو الله، إلى أنْ ماتَ مصلوباً بحدِّ الإلهام، فكيف يكونُ معصوماً، ولا سيما زعمتم أنه إله، أرسلَ لِخَلْقهِ رُسُلاً وأنبياء كَفَرَةً ولصوصاً فَجَرة، وهل أعظم من هذا غِشّاً وخطيئة؟ وكيف يكون هذا معصوماً وأنبياؤه سُرَّاق؟! لعمري! لو جاز هذا على الأنبياء، لجاز الكذبُ في خبر الله، وانقلبت المعصيةُ طاعةً والهدايةُ ضلالاً، سبحان ربك رَبِّ العزة عما يَصِفون، وسلامٌ على المرسلين والحمدُ لله رب العالمين.

البحث الرابع

(في قضية الصلب)

أقول: هذا البحث قد احتوى على تمهيد وخمسة فصول، والكل فاسد كاسد، ولولا حصولُ المَلَلِ للمُطالع، لبسطناها ليعلمَ القارىءُ أن المؤلف ابتدع فيه، من الارآء السخيفة، ما لا يتصوره معتوهٌ، وأنا أحثُّ كُلَّ مطالعٍ لكتابنا هذا نصرانياً كان أو مخالفاً، أن يشتري نسخةً من هذه الرسالة، ويطالعها جيداً، لكي يثبت عنده صِدْقُ مقالتي، ولا سيما في هذا البحث الرابع، فإنه يضحك ويبكي، والأسفُ كل الأسف من عقول عقلاء الملايين، من النفوس التي ملأت كرة الأرض، من بدائع صنائعهم، كيف قبلوا هذه الخرافات.

ولنذكر هنا عنوان كُلٍّ من التمهيد والفصول جملة بعد جملة، ونُجيبُ على كل جملة منها بجوابٍ مختصر، وأحسنُ الكلام ما قَلَّ ودل، والتفصيلُ على كلٍّ منها مضى في «الفارق»، وسيأتي ذكر بعض منها في الرد على هذه الرسالة.

قال المصنف في صلب المسيح عيسى: تمهيد «لجسامة خطيئة آدم، صلب الله نفسه» قلتُ: ما انتقمَ اللهُ من صاحب جرم جسيم بمثل ما انتقم من آدم، بعد الندم، حيث أخرجَهُ من دار البقاء إلى دار الفناء، من أجل أكْلةِ تلك الحبات من الحنطة، والأبرار لا يكونون فداء عن الأشرار، كما زعمتم، بل الأشرارُ يكونون فداءً عن الأبرار، بنص التوراة.

قوله الفصل الأول: ما القصد من الصلب إلخ.

وقد أطال المؤلف بجوابه، والكل خبْصٌ فاسد جداً، والحق أن المقصدَ من صلبِ المصلوبِ حَسَدُ رؤساء اليهود، كما هو عادتهم في قتل أنبيائهم.

قوله: الفصل الثاني، ألا يصح غير المسيح لهذا العمل.

قال المؤلف: لا تصح هذه الإهاناتُ إلا للمسيح. قلتُ: إن قوله هذا خَرَفٌ، ولا يصلح الصلبُ إلا للمطرودين من رحمة الله، بنص التوراة.

قوله: الفصل الثالث، هل قبل المسيحُ الصلبَ اختيارياً.

قال المؤلف: صلب الإله نفسه اختيارياً. قلتُ: إن هذا لمن أفحش أنواع الكفر والكذب، والمصلوب صُلِبَ قهراً، بعدما أشبعوه ضرباً، والدليلُ أنه كان يهرب، ويدعو الله، وعَرَقُه كَدَم، أن يُخلِّصه من سفَلَة اليهود.

الفصل الرابع: صلب المسيح في القرآن.

أقول: قد خبص المؤلف بتفسير آيات الصلب حال كون القرآن صَرَّح بصلبِ الشَّبيه، لعدمِ إمكانِ صلبِ الأبرار بنص التوراة.

قوله: الفصل الخامس في صلب المسيح تاريخياً إلخ.

أقول: إن الكلام على هذا عَبَثٌ، لأن الصلبَ واقعٌ، لا نزاعَ فيه، والنزاعُ في امتناع الصلب عن الأبرار، كما يمتنع فداء الأبرار عن الفجار بنص التوراة كما صرحنا به مكرراً، ثم إن تكذيب صلب ذات المسيح مضى بحثه في «الفارق»، في شرح ص٢٧ و٢٨ من إنجيل متى، وأثبتنا فيه أن المصلوب غيرُه، فإن لم تُفِدْهم تلك الأجزاء المشحونة من تلك الآيات اللامعات والبراهين الساطعات والدلائل القاطعات، فليبكوا على عقولهم، قبل أن يَنُوحُوا على صَلْب إلههم، لأنه ما بعد الحق إلا الضلال، وإنني أعجبُ من قولِ هذا المصنف، وخلاصته بأن هذه الصفات والفضيلة لا تصلحُ إلا لمثلِ هذا الإلهِ المصلوب المهان، ويقصد بهذه الصفات والفضيلة تحقيرات اليهود له، حيث ألبسوه تاج الشوك، وبزقوا بوجهه بعد اللطم، وصلبوه بين لصين، بعدَ جلْدِه وهَلْسِ لحيته، وتشهيرِه في الأزِقّة، وجعْلِهِ لَعْنَةً في الجحيم عن خطايا الأبرار والفجار وعَبدَةِ الأوثان، ودمه فِديةً عن دم التيوس والثيران والعجول والخرفان.

أيها المصنف! بالله عليك أنصف! كيف تدّعي أن هذه الحقارات والإهانات صفات جميلة لإلهك، وتجعل هذا الموتَ القبيح فضيلةً، لا يصلح لها إلا صليبك، والله تعالى قال في التوراة «كل من علق على خشبة ملعون» وفي غير موضع من التوراة قال: «الأشرار يكونون فدية عن الأبرار». ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].

ومن افترائه على المسلمين قوله: «إذا سألتَ المسلم، لماذا لا تصدق أن المسيح صُلب فعلاً، أجابك، لأنه نبيٌّ من أولي العزم، والله لا يسلم نبيه الكريم بيد اليهود. نعم هم لم يُصَدِّقُوا بصلبه، لنفيِ القرآنِ عنه ذلك، لا لكونهِ مستحيلاً في حَقِّه، والدليلُ على ذلك قول الله تعالى في سورة المائدة ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴿١٧﴾﴾ [المائدة] وهذا زكريا عليه السلام، نشروه بالمنشار، وقطعوا رأس ابنه يحيى عليه السلام، وعلى زعم النصارى بأنه أفضل من عيسى وأعظم منه، لأنهم قالوا: إن المسيح قال: لا تلد النساء أفضل من يوحنا المعمدان، أي يحيى، ولا خلافَ بعيسى أنه مولودٌ من النساء.

أيها المصنف! كيف تفتري على أهل الإسلام ما لم يقولوه، هم معترفون بأنه لو أراد الله أنْ يسحقَ مَنْ في الأرض ومَنْ في السماء، من شقيٍّ ونبي، لم يبق على ظهرها من دابة، لَفَعَلَ، سواء كان من أولي العزم والحزم أو غيرهم، على أن الصلب لم يقع على الأنبياء والمرسلين قط، لأنهم خيرةُ الله، والصلب لا يقع إلا على الملعونين من خلقه، بنص التوراة، بقوله: «من علق على خشبة ملعون».

أيها البصير: أَمَا ترى أن الله ابتلى كثيراً من الرسل والأنبياء بأنواع البلاء والمحن، ولم يبتلهم بالصَّلْب، هذا وإنَّ الأبرار لا يكونون فدية للأشرار، بل قال

الله تعالى في التوراة عكس ذلك، بأن الأشرارَ فديةُ الأبرار، كما مر، فعليه ينبغي لك أيها المؤلفُ أولاً تنقيحُ أناجيلك من القرائنِ الدالةِ على عدم صلبِ ذاتِ المسيح، ثم ترجع لمناقشة المسلمين، وهي مُفَصَّلَةٌ في «الفارق» من صحيفة... إلى صحيفة... فراجعها، ولا تكن من الغافلين.

ومن تُرّهات المصنف قوله: يمكن تأويل آيات الصلب من القرآن، وتطبيقها على ثبوتِ صلبِ ذاته، لأن وفاته ثابتةٌ بنص القرآن، إلى آخر ما قاله من التمويهات.

أقول: إنَّ كون المسيح عليه السلام لم يُصْلَبْ، ولم يقتل، ثابتٌ بصراحة القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء] وهذا لا مراء فيه، وغير قابل للتأويل، ولا منافاة بين هذه الآية وبين قوله تعالى ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران] كما سبق بحثه مكرراً، لأن المفهوم من قوله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء] أي عدم وقوع الصلب والقتل عليه، ولا يفهم منها عدم وفاته، ويمكن أنه تَوَفَّاهُ الله تعالى، بعد صلبِ الشبيه، ثم أحياه ورفعه إليه، وأيُّ مانعٍ لهذا؟ والدليلُ على صحته صراحةُ أناجيلكم، حيث قالوا فيها: إنهم لم يروا جسداً في القبر إلا الأكفان، ولعلَّ الشبيه كان شبحاً وهيكلاً هوائياً، فلذلك لم يروه، لأنه لم يكن شيئاً، ورأوا الأكفان لأنها شيء، وهذا على فرض صحة ما ذهبوا إليه في قوله تعالى ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران] وإلا فقد ذهب أغلب المفسرين إلى أن الوفاةَ هو القبضُ والاستيفاء، وهو الأولى والأصوب، كما قال الله ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر] إلى آخر الآية.

وخلاصة ما ذهب إليه المفسرون: أن معنى «مُتَوفِّيك»، أي: قابِضُكَ ورافعك ومطهرك مِن لَعْن النصارى وهَتْك اليهود.

ولو أن المؤلف بدَل أنْ تأوَّلَ العدلَ بالمعوج والممكن بالمحال، وفسر آيات

الأناجيل المتناقضة، وتأوَّلها بأسلوبٍ موافقٍ للعقل، بأنَّ المصلوبَ شبيهُه، وليس هو، أفما كان أوْلى وأنسب لضلاله، بأنَّ المصلوبَ المُهانَ إلهٌ، كما ذهب إليه طائفة منهم، حيث أنكروا صلب ذاته، وأنكروا إخوته وأخواته بقولهم: إن هذا مُفْسِدٌ لدعوى ألوهيته.

ويسامحنا المصنف من تأويله الفاسد لآيات القرآن، لأن فحولَ علمائنا كالبيضاوي والزمخشري والرازي وأمثالهم الكثيرين كفونا شَرَّ تأويلات المؤلف وأمثاله.

البحث الخامس

(في عِصْمة المسيح ولاهوته وبُنُوَّته)

أقول: فأما البحث في عصمة المسيح عليه السلام، فقد سبق ذِكْرُه، وأجبنا عليه في آخر البحث الثالث المتقدم، وأما لاهوته وبنوته فقد قال المؤلف في صحيفة (٥٦) وخلاصته: أن المسيح إلهٌ وإنسان، وهذا ليس على الله بمستحيلٍ، ومثالُه أنَّ الله تجلى على يسوع المسيح، أو حَلَّ فيه حلوله في عليقة موسى، كما جاء في سورة طه بقوله تعالى ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴿١٢﴾﴾ حلولاً من غير حصر، وكما قال تعالى أيضاً في سورة النور ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ﴿٣٥﴾﴾ انتهى.

أقول: إن الشواهد التي أتى بها المؤلف، لا تطابق دعواه، ومذهَبُه فيها فاسدٌ جداً، والكلامُ عليه هنا عَبَثٌ، لأنه قد سبق هذا البحث في شرحنا على أول إصحاحٍ من إنجيل يوحنا في «الفارق» ولا سيما في الفصل المنقول هناك، من الكتاب المسمى «الجوابُ الصحيح لمن بدل دين المسيح» تأليف الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية، قدس الله روحه، فهو كافٍ للمُتَبَصِّر، وها هو أمامك فراجعه، ترى فيه ما يسرك، وهو فصلُ الخطاب من كل باب، ولكنْ ليتَ شعري! ماذا أراد من قوله: ليس بمستحيلٍ على الله، هل يقصدُ بذلك أنه لا يستحيلُ على الله أن يتركَ كرسيَّ عظمته، ويكون بشراً، تبزقُ بوجههِ سفلةُ اليهود، ويهلس لحيته الكافرُ العنود؟ أو يقصد من قوله: ليس بمستحيلٍ على الله أن يجعل دمه فدية عن دم التيوس والثيران، أو ليس بمستحيل على الله أن يصلب نفسه بين لِصّين لعنةً عن خطايا عَبَدَةِ الأوثان، أوليس بمستحيلٍ على الله أن يموت، ويدخل جهنم، عن خطايا فرعون وهامان، فإنَّ هذا زعمٌ فاسد ورأي مردود، لأنه لا يستحيلُ على الله أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه وكافة الخليقة، في رمشة عين، أو يعفو

عن خطيئاتهم. فسبحان مَنْ لا يَحْزُنُهُ[1] شيءٌ في الأرض والسماء، وهو القادر على كل شيء.

يا أيها المصنف! أنصِف، كيف جَوَّزتَ بأن الإله انقلب بشراً، والبشر إلهاً، بمجرد قولك: لا يستحيل على الله، ولِمَ لم تقلْ: لا يستحيلُ على الله تعالى أن يخلق في رحم العذراء ولداً من دون أن يَمسَّها بشر، بل اتخذت ذلك وسيلةً، فجعلته إلّهاً لكونه بغير أب، ولم تتخذ آدم إلّهاً، وهو أعظم خِلقةً من المسيح عليهما السلام.

أيها المؤلف! انظر - هداك الله - أي ضرورةٍ ألجأتكَ إلى هذا التمحُّل، أين رضوخك للتوراة، وأنت تجعلُ البشر إلّهاً، وما الذي أوجب عليك اقتحام تلك البوادي والجبال، تخبط فيها خبْطَ عشواء في الليلة الظلماء، على ناقة عمياء؟ والغريب أن هذا المؤلف لم يمكث حتى أحسَّ بضلاله، واستدرك بمقاله في صحيفة (٥٧) من رسالته فقال: «قد وقع الصلب على الناسوت فقط، دون اللاهوت» وحينئذٍ ثبت ببداهة العقل انفصالهما، وهما اثنان لا واحد، ولا ثلاثة.

وقد قال المطران بطرس في رسالته المار ذكرها قبل هذه الرسالة في صحيفة (٢٢).

سؤال: «هل انفصل اللاهوتُ عن جسده ونفسه بعد موته».

جواب: «لا، بل استمر دائماً متحداً مع جسده ونفسه».

وقال أيضاً في صحيفة (٤٦):

سؤال: «هل مات المسيح كإلّه أو كإنسان».

جواب: «كإنسان واقعاً، مع كونه إلّهاً».

---

(١) يحزنه: يَصعبُ عليه.

تالله! لقد تَحيَّرت عقولُ الفحول في تلاعبهم، تارة يصرحون بأن الله لبس الجسد، وافتداهم بنفسه، وتارة يقولون: ترك لباسه بيد اليهود، وبقيَ عرياناً كيوحنا، حينما هرب عرياناً من اليهود، وتارة يجعلون الله متحداً ومستمراً مع الجسد، حين الصلبِ، ومات كإنسانٍ، مع كونه إلَهاً، وتارة يقولون: قد وقع الصلبُ على الناسوت فقط، دون اللاهوت، أليس هذا ضرباً من الجنون؟! ولقد أحسن الرازي بقوله: إن مذهب النصارى مجهول. قال: ولا نرى في الدنيا أشدّ ركاكة وبُعداً من العقل، من مذهب النصارى.

والغريب أن هذا المؤلف جعل للكلمة طبيعتين كالمسيح، فقال: الكلمة لغير المسيح أمْرٌ، وللمسيح لم تكن أمراً كغيره، بل هو عينُ الكلمة، تجسَّد إنساناً، فلذلك صار هو الله. قلتُ: وما الفرقُ في الكلمة والخلقة بين آدم وعيسى وموسى وغيرهم، حتى لم تكن الكلمة في المسيح أمراً، ولو كان المسيحُ عينَ الكلمة لما جاز انفكاكها عنه في حالة الصلب، فمات الإلهُ بموت المسيح، وهذا فاسدٌ باطل، ينقضُ بعضُه بعضاً. والأعظم منه فساداً أن المؤلف ضرب مثلاً رداً للمسلمين، وترويجاً لضلاله قائلاً «قالت علماء الإسلام: إنَّ كل مخلوقات الله تسمى كلمات الله، لأنها خلقت بكلمة الله - أي بأمر الله - قلت: إن هذا باطل، وإلا لجاز أن تسمي الأثر المؤثر والكتاب قلماً» انتهى قول المؤلف.

قلتُ: وهذا المثلُ عليه، لا علينا، لأنه لو جاز تَجسُّد كلمةِ الله، على زعمه، بدلالةِ قوله تعالى لمريم عليها السلام ﴿يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴿٤٥﴾﴾ [آل عمران] لجاز أيضاً أن يكون آدم عليه السلام تجسّد من الكلمة التي صدرت عند خَلْقه، والباري، عز وجل، لم يُسَمِّ المسيحَ كلمةً، بل سماه عيسى بن مريم، وإنما قال: يبشرك بكلمة منه، أي بأمرٍ منه، يتكون من دمك، في رحمك ولد، اسمه المسيح عيسى بن مريم.

كما قال المطران بطرس في صحيفة (٣٦) من رسالته المقدم ذِكْرُها، قبل هذه

الرسالة، ولفظه:

سؤال: «ماذا تريد بقولك: تَجسَّدَ من روح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنَّسَ».

جواب: «أُريدُ به أن الروحَ القدس كَوّن من دم العذراء الجسدَ الذي أخذه كلمةَ الله، لما صار إنساناً».

سؤال: «كيف خُلِقَتْ نفسُ المسيح؟».

جواب: «نظير نفوس بقية البشر، ولو أنها أكثر كمالاً من جميعها».

سؤال: «هل روح القدس وحده كَوّن جسد يسوع، وخلق نفسه؟».

جواب: «لا، بل الثلاثة الأقانيم سعوا سَعْياً متساوياً، بهذا الصنيع العجيب العظيم».

فتبيَّنَ مما نقلناه، من رسالة المطران، أنَّ الكلمةَ والروح القدس لم يتجسدا، بل كَوَّنا جَسَد المسيح من دم العذراء، في رحمها، وهذا صريحٌ من كتبكم، ليس من كتبنا، ومما يدلك على وضوح ذلك قول المصنف نفسه في صحيفة (٥٦) من رسالته «أبحاث المجتهدين» التي نحن في صدد الرد عليها، ونصه: إنَّ الله لبس الجسد من غير حصر، وظهر للبشر، فلذلك صَحَّ أن يسمى المسيح إلهاً وإنساناً معاً، فليس الإنسانُ إلهاً بل الإلهُ إلهٌ، والإنسانُ إنسان، وليس إلَهان كما يتوهم المسلم في هذا، فالمسيحُ بقوته الإلهية عملَ المعجزات والأشياء الخارقة، بخلاف الأنبياء، لأنهم عملوا المعجزات بقدرة الله، لا بقدرتهم.

وقال أيضاً بصحيفة ٥٩ وخلاصته أنَّ المسيح ابنُ الله ليس بطريق التناسل، كما يقال لأبناء العلم وأبناء الدنيا وأبناء السبيل. ويقال أيضاً: فلان ابن فلان على طريق التبنِّي، فبنُوّةُ المسيح إذاً جائزةٌ على هذا النحو، ولكن قوله ابنه الوحيد،

فيكون هذه البنوَّة مغايرة لسائرِ ما قيل لهم أبناء الله، فلذلك لا نفهمُ ماهيةَ هذه البنوة، لأنها بعيدةٌ عن الإدراك» انتهى.

أقول: قد كفانا هذا المصنف، في هاتين القضيتين، مُؤْنةَ المكافحات. انظر أيها المسيحيُّ - هداك الله - إلى قول علمائكم من المتأخرين، وإنْ كانوا في بعض الحالات خالفوا، ولكنهم في قضية أساس الألوهية والكلمة والبنوة أنصفوا، وخضعوا للحق، والحقُّ حقيقٌ أن يتّبع، لأنه لما قال: الإلهُ لبس الجسد، من غير حصرٍ، ثَبتَ بالبداهة أنهما اثنان، لأن الملبوسَ غير اللابس البتة، ولا يختلف بهذا اثنان، ومثاله: لو لبس نيقولا يعقوب غبريل الجُبَّةَ، فهل يقال للجبة: نيقولا يعقوب غبريل؟ وكذلك زعمهم أن الله لبس جسدَ المسيح، فلا يقال لجسدِ المسيح إلّه، كما صرح المؤلف أيضاً في مقالته آنفاً بأنَّ الإنسانَ إنسانٌ، والإلهَ إلهٌ. ويؤيده قولُ المطران في صحيفة ٢٢ من رسالته ونصه: «إن الأب ليس هو الابن، ولا الروح القدس، والابن ليس هو الأب ولا الروح القدس» إلى آخر ما قاله.

فتبين أنهما اثنان ليس واحداً ولا ثلاثة، والقول بعيسى إلّه شِرْكٌ، وهو صريحٌ لا غبار عليه، ولكن قد عدم رشده بتردده في معنى الابن الوحيد، فهو غريبٌ من عقله وذكائه، لأنه كما قيل له، قيل لسليمان وداود وغيرهما، ومرّ بحثُه في «الفارق» في أول إنجيل يوحنا.

والحق أن المعنى من قوله في المسيح الابن الوحيد هو عينُ المعنى في قوله لسليمان وداود وغيرهما الابن الوحيد.

يا أيها المؤلف! أَنسيتَ كلامَ عيسى عليه السلام في الإنجيل مكرراً: بإصبعِ الله أعملُ المعجزات. وفي موضع آخر قال: بروح القدس أفعلُ الآيات. وبمواضع كثيرة قال: لا أقدر أن أفعل بمشيئتي إلا بمشيئة الذي أرسلني. وقال: إلهي

وإلهكم، وكَرَّرَ هذا، كما كرر قوله بأنه ابن الإنسان، وقال: لا تتخذوا على الأرض إلهاً فإن إلهكم واحد، وهو في السماء، إلى آخر ما قاله في الأناجيل، من هذا القبيل، فماذا يقولُ ويفعلُ هذا الرسول المعظم، حتى يخلُص من افترائهم ولعنهم.

وخلاصةُ الأمر قولهم على المسيح بأنه هو الله، وكلمة الله، وابن الله وحفيد الله، كما قال مفسرهم، قد مَرَّ بحثه في «الفارق» ولا سيما في شرحنا لأول إصحاحٍ من إنجيل يوحنا، مع ما ضَمَمْناهُ على البحث فصلاً كاملاً مستوفياً من الكتابَ المسمى «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لشيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالى، فراجعه، ولا تمل، فإنه يروي الغليلَ، ويَشفي العليل.

البحث السادس

(في امتياز المسيح في القرآن على سائر الأنبياء كافة)

أقول: إن خلاصة ما أتى به هذا المؤلف، من هذا البحث، بأن القرآن الكريم شهدَ بأنَّ عيسى خُلِقَ من روح الله وكلمته، وكان يَخلقُ من الطين كهيئةِ الطير بإذنِ الله، وهذا مُسَلّم، وقد أجبنا عليه في «الفارق» على شرحنا لأول إنجيل يوحنا مفصلاً، ويكفينا رداً على هذا المؤلف إقرارهُ بأن الله هو المانحُ لعيسى هذه الصفات، والممنوح له المسيح، ومن البديهي أنَّ المانحَ خالقٌ، والممنوح له مخلوقٌ، ولا خِلافَ فيه بيننا.

ثم لا أجد في القرآن الكريم آيةً تدل على امتياز المسيح على سائر الأنبياء عليهم الصلاة السلام، بل إنما توجدُ فيه آيات، تدل على المعجزاتِ الصادرةِ من غيره، بأنها أعظمُ من معجزاته، كعصا موسى، صلواتُ الله عليه، تارةً يضربُ بها الأرضَ القَفرةَ، فينبع منها اثنا عشر ينبوعا ماء، وتارة يضرب بها البحر، فينفلق اثني عشر طريقاً يبسا، وتارة تكون ثعباناً، وهذه المعجزةُ أعظمُ من خَلْقِ الطير، وإبراء الأكمه وإحياء الميت.

ونار إبراهيم عليه السلام صارت جنة بإذن الله، وإطاعة الجبال والحديد لداود، والريح والجن لسليمان، وحزقيال واليسع وإيلياء أحيوا الأمواتَ البالية وأبرؤوا البُرْصَ، وحتى قيل: إنهم وضعوا ميتاً على قبر إيلياء، بعد موته، فأحياه الله كرامةً له. وأخنوخ صعد إلى السماء، ويحيى بن زكريا كَلَّم الناسَ في المهد صبياً، كعيسى، والقرآنُ والتوراة والإنجيل والزبور وأسفار الأنبياء تشهدُ على ما ذكرناه، وحتى أن الإنجيلَ صرح بأن المسيح شهد، وقال: لم تَلِدِ النساءُ أعظمَ من يوحنا المعمدان، أي يحيى بن زكريا، عليهما السلام، ولا نِزاعَ في عيسى أنه تَولَّدَ من العذراء.

وخلاصته: أن الله تعالى كما خَصَّ عيسى بآياتٍ عظيمة وألقابٍ فخيمة، خَصَّ غيره أيضاً بمثلها وأعظم منها، وهذا «الفارق» قد نقل من التوراة والزبور والأسفار والأناجيل آيات وألقاباً، وتسجلت في شرحنا على الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا، وقد وَضَّحْنَا فيه عددَ الإصحاح والفقرات، حتى لا يعسرَ على المطالع تطبيقها، ولا يقتدر المعاند على تكذيبها، وها هي أمامك في «الفارق» فراجعها، وفيها من الأنبياء مَنْ يُسَمَّى بابنِ الله الوحيد، وروح الله، وكلمة الله، وهذا آدم عليه السلام، خلقه الله بيدَي قدرته وكلمته، ونفخ فيه من روحه، كعيسى عليه السلام، على أنَّ الله تعالى قد مَيَّزَ آدم، فأمر الملائكة بالسجودِ له، ولم يأمرهم بالسجودِ لعيسى، عليه السلام، وهذا القرآنُ يشهد بما ذكرناه، وهو مملوء من قصص الأنبياء ومدحهم، منها قوله تعالى في سورة مريم ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ إلى أن قال فيها ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ إلى أن قال أيضاً ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم].

ولو أردنا أن نستوعب كافة الآيات المختصة بمدح الأنبياء وخصائصهم، لضاق بنا الشرح، ويكفي من القلادةِ ما أحاطَ بالجِيد.

وخلاصة ما يُستفادُ من هذه الأبحاث والآيات، أنه لم يكن المسيح ممتازاً على كافة الأنبياء، إنما البعض منهم يمتازون على المسيح في بعض الخصائص، كما هو أيضاً يمتاز على البعض، كما قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ ﴿٢٥٣﴾﴾ وهذا التفضيل بالنسبة إلى بعض الخصائص التي

خَصَّها الله ببعضهم، ولم يجعلها في غيرهم من الأنبياء.

وأما قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة] وقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة] فصريحةٌ أنه لا نؤمن ببعض الرسل ونكفر ببعض، كما فعلت اليهودُ في تصديقهم لسائر الأنبياء، وكُفْرِهم بعيسى ومحمد ﷺ، بل نؤمنُ بجميعهم، وبجميع كُتُبِ الله المنزلة عليهم، بدون تفريق، لأن الأنبياء متفقون بأصل الدين، وهو الإقرارُ بأن الله وحده لا شريك له، وما يتفرع على هذا من الأحكام المؤبدة، ولعلَّ المصنف يزعم امتيازاً لعيسى، لأنه نال من الفضل والرِّفعةِ والإجلال من قومه ما لم تَنَلْهُ الأنبياء من أقوامهم، كاللطم والبزق عليه وهلس اللحية ولبس تاج الشوك والتشهير، وأزْيَدَ ما يفتخرُ به المسيحيون ولا سيما صاحب الرسالة جلدُه وصلبُه بين لصين حداً بالإلهام، حتى صار لعنة في الجحيم عن خطايا، أبرارهم وفجارهم، ودمه فديةً عن دم تيوسهم وثيرانهم، ونحنُ معاشرَ المسلمين لا ننكر صلب الشبيه، ولا قتل أنبيائهم، ولا ننكر تحقير الرسل من أقوامهم وكفارهم، وإنما ننكر الصلب والفداء عن كفارهم وثيرانهم، وذلك ليس فقط عن المسيح، بل نبرىء ونُنزِّهُ كافة الرسل والأنبياء، صلوات الله تعالى عليهم أجمعين، من الصلب والفداء، لأنه يلزم من نسبة الصلب والفداء لهم أنْ تكونَ الأنبياءُ أشراراً ولعنة، كما نص عليه توراتُهم وأناجيلهم، ولذلك نَزَّه القرآنُ العظيم ذلك الرسولَ الكريم من دَنِيَّةِ الصلب والفداء، وعصمه من اللعن والنار، وإخراجه من زمرة الأشرار، وصرح بأن الله أفداه بشبيه، كما فدى الذبيحَ بكبشٍ، فافهم.

البحث السابع

(في استدلاله على التثليث)

أقول: إن المؤلف ذكر في هذا البحث آيات كثيرة من القرآن الكريم، وجعلها دليلاً لإثبات التثليث والجسمية لرب البرية، تعالى الله عما يقولُ عُلُوّاً كبيراً. أما الآيات التي استشهد بها المؤلف، على تصحيح ضلاله، فهي عليه، لا لَه، كما تشهد عليه كتب التفاسير، وتفضح تصنيعاته وتدليساته، فيلزم على المطالع المهتدي أن يراجعها، ومع هذا فقد أجبنا في «الفارق» على مفردات خرافاته، بحروفها وظروفها، وذلك في شرحنا على ص١ من إنجيل يوحنا، ولا سيما في الفصل المنقول من الكتاب المسمى «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» تأليف الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية، قدس الله روحه، فراجعه، وهو أمامك غير بعيد، ترى فيه ما يَسرُّكَ، ويقهرُ عدوك.

ولنأتِ هنا بذكر بعض النُّبَذِ المبتدَعة من المؤلف، في هذا البحث السابع، كي لا يخفى تَدليسُه على المطالع والسامع، لأنه استعمل الخدعة في إثبات التثليث، من قواعد علمية، اختلسها من كتب الإسلام، ولم يكتفِ، بل استند أيضاً على آيات القرآن، ويقصد بهذا التصنيع، أن يُمَوِّه على ضَعَفَة العقول، على أن ما استندَ به، عليه، لا لَه، وهو مخالفٌ للظاهر والمحسوس، بديهي البطلان، ولله دَرُّه! ما أعظم مكره! ليت شعري! فهل من الممكن إثبات الضلال بالهدى، والغي بالرشد؟ فلذلك انجبرتُ لكشفِ الغطاء بين عقدتي التوحيد والتثليث، حتى يتبيَّنَ الصالحُ من الطالح، والطيب من الخبيث.

فأقول: لو سألنا صاحب هذا التصنيف عن قوم يعترفون بالإله الواحد، بدون تثليث، وقوم يثلثون الإله بدون توحيد، أيهما على الحق، فإنْ صَحَّحَ القولين بأنهما على الحق، فلم تبق إذاً حاجةٌ للقوم الموحدين أن يقولوا بالتثليث، لأنهم

اتبعوا التوحيد الذي صح عند المؤلف، وإن كفّر القومين القائلين بالتوحيد، بدون تثليث والتثليث بدون توحيد، فيلزم حينئذٍ تكفير المسيح، والعياذ بالله، من وجهين.

الوجه الأول: لأنه وَحَّدَ الله بدون تثليث، وذلك في مواضع كثيرة من الإنجيل، فمنها قوله في ص١٧ ف٣ من يوحنا، ونصه: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك».

والوجه الثاني: لأنهم زعموا بأنه قال بوصيته، حين الرفع، في آخر إنجيل متى، ونصه: «عَمِّدوا باسم الأب والابن وروح القدس» فقط، ولم يَقُلْ لهم: إله واحد. وأنت تدري أيها اللبيب! أن أساس التعميد بالتثليث مبنيٌّ على هذه الوصية فقط، ولا توجد في الأناجيل آيةٌ ثانية تؤيد زعْمَهم، فلم يبق إذاً إلا تكفير المسيح مع كافة الأنبياء والمرسلين ومَن آمن بهم من المسلمين، لأنهم كلهم مُوحِّدونَ بدون تثليث، على أن وصية التعميد بالتثليث وحدها تكفينا بأن هذه الأناجيل مصنعة، لأن يحيى عليه السلام صرح بأن المسيح سيعمِّدُكم بروح القدس، ولم يذكر التثليث، وكذلك متَّى ومرقس ولوقا ويوحنا، اتفقوا، وصرحوا، في أناجيلهم، بأن عيسى حين الرفع وقبله أوصى تلاميذه بأن يعمّدوا بروح القدس فقط.

والمترجم المختلس لإنجيل متَّى افترى، وذيّل ترجمته، وقال في آخرها: إن المسيح قبل الرفع أوصى التلاميذ بأن يعمدوا الأمم «باسم الأب والابن وروح القدس» فتبين ببداهة العقل أن هذه الجملة إلحاقيةٌ من المترجم، وإلا فلا يتصور أن متَّى يروي روايتين مخالفتين بإنجيله عن المسيح في آنٍ واحد.

وعلى فرض صحة رواية المترجم، فهي ليست تثليثاً للإله، بل إنما المقصد منها ظاهر، وهو قوله: «عَمِّدُوا الأمم باسم الأب» أي: لَقِّنُوا الأمَمَ المنتصرة بأنْ

يؤمنوا بواجبِ الوجود والموجد لكل موجود. وقوله «والابن» أي: وأن يؤمنوا أيضاً بعيسى رسول الله وكلمته. وقوله «وروح القدس» أي: وأن يؤمنوا بجبريل أمين الوحي لكافة الأنبياء، والمبشر للعذراء بحملها بعيسى، صلوات الله عليه، ولا نزاع في جبريل بأنه روح القدس، ولا خلاف في الأنبياء والرسل والأبرار بأنهم أبناء الله، أي أصفياء الله، كما ثبت ذلك في التوراة والزبور والأسفار والإنجيل، وهذا توجيهٌ وجيه، لا يحتمل غيره، لأنه موافقٌ لسنن الله في أنبيائه وخلقه، منذ خلق الدنيا إلى يومنا هذا، ومثل هذه الجملة جاء في القرآن الكريم ونصه ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة] فهذا أيضاً تلقين المسلم، ولا يلزم من هذه الآية أن تكونَ الملائكةُ آلهةً، ولا الكتب آلهة، ولا الرسل آلهة، كما زعمت النصارى في آخر جملة من إنجيل متّى، ولا عتبَ على المتقدمين منهم، لأنهم كانوا أجهل خلق الله، وإنما العتبُ على علمائهم المتأخرين كالمؤلف وأمثاله، بعدما ذاقوا طعمَ العلم، وعرفوا ما في الإنجيل، كما قيل: صرفوا علمهم في تأييد ضلال أسلافهم عناداً للمسلمين، فَضَلُّوا ضلالاً بعيداً، وذلك بقولهم في مناظراتهم بعد ذكر التثليث «إله واحد» على أن قولهم «إله واحد» غير معنى الجملة، وأخرجها من توحيد الإله إلى تثليثه، لأن بقولهم: «إله واحد»، أثبتوا أن الأب إله والابن إله وروح القدس إله، وما ضَرَّهم لو يبقون نص التثليث على ما كان عليه، بدون قولهم: إله واحد، ويفسرون الوصيةَ بالتعميد، كما شرحنا، ولا يخالفون سنن الله في خلقه، ولكن مَنْ يسمع منهم، ومن يقنع على أنهم لو تأمَّلُوا في قوله الله تعالى لموسى، صلوات الله عليه، في التوراة، ونصه «جعلتك على فرعون إلهاً» وهو ينادي بأنه عبدُ اللهِ ورسوله، وكذلك بنو إسرائيل إلى يومنا هذا، وهم لا يسمونه إلا عبد الله، ورجل الله، فما بالكم أيها المسيحيون اتخذتم المصلوبَ إلهاً مثلثاً، وصيَّرتم أنفسكم بين عقلاء الغربيين مضحكة! أيها المؤلف! أما تخاف مالِكَ يوم الدين، تنادي أربعمئة مليون من الموحِّدين إلى الشرك، رويداً، على

أنه لو صَحَّ ضلالك ومحالاتك، فلا يضرُّ دينَنا ولا يعيبُ عقيدتنا، لأننا لا نعبدُ، إلا إلهاً واحداً، مُتَّصِفاً بصفاته المعلومة التي لا تنفصلُ عنه، فمنها الحياةُ والكلامُ والقدرة والعلم، إلخ.

والنصارى وإن كانوا يزعمون أنهم يعبدون إلهاً واحداً، موصوفاً بالصفات المذكورة، فلا شك أننا وإياهم اتفقنا على توحيد الإله كما ذكرنا، وهو المعقول، ولكنهم نقضوا قولهم، حيث جعلوا الواحد ثلاثة بأن جعلوا صِفتين من صفات الله إلهين، فثلَّثوا الواحدَ بعد أن وحَّدوه، ثم وَحَّدُوا الثلاثةَ، بعد أن ثلثوها، وهذا مع كونهِ كلاماً لا يفهم، مردودٌ وغير معقول، فما ضَرَّهم لو قالوا: إن هاتين صفتان لله لازمتان غير منفكَّتين عنه، كما نقول، ولا نزاع بيننا أيضاً في جسد المسيح المنظور بين بني إسرائيل بأنه ليس بإلهٍ، فإنهم لا يقولون بألوهيةِ ناسوتِ المسيح، ولا نزاع في أن الناسوت هو الجسد، فإذاً لا يضرنا إنكارُ ألوهية ذلك الجسد، كما لا يضرنا أيضاً إنكار قولهم: إن الله لبس الجسد، لأنه لا نزاع في أن اللابس غير الملبوس، فعلى زعمهم الفاسد يقتضي أنَّ الله ترك لباسه حين الصلب، وفَرَّ عُرياناً، كما هرب يوحنا من شباب اليهود عرياناً ليلة أسر المصلوب، ولا يضرنا أيضاً تنزيه الباري عز وجل من لبس الجسد والصلب والفداء واللعنة، كما لا يضرنا تنزيهُ الأنبياء والرسل من الفُجورِ في بناتهم وكِناتهم، وفي نساء رؤساء جيوشهم، لأنه يستحيلُ ذلك عليهم، كما يستحيلُ عليهم الصلب والفداء، لأن الله تعالى حَصَرَ هذه الرذائلَ في الملعونين من خَلْقِهِ والمطرودين من رحمته، من الأشرار والفجار، وعصم أنبياءه بنص التوراة، وخَلَّصهم من هذا العار، فهل بعدَ تلك الدلائل مجالٌ للقول بالتثليث والفداء، وهتك عصمة الأنبياء.

والنصارى إلى اليوم وهم مُصِرُّون على أن المسيح سيجازي المسلمين بجهنم وبئس المصير. وإن سألتهم، لماذا؟ قالوا: لأن المسلمين أنكروا هتك المسيح

وإهانته وصلبه من اليهود، وكفّروا رئيس الكهنة قيافا الثابت نُبوَّته بنص الإنجيل لكونه حكم على عيسى بالكفر، وقتَله حداً بالإلهام، وما اكتفى المسلمون بهذا الذنب الجسيم، حتى إنهم نَزَّهوا المسيح أيضاً من الفداء واللعن، ومن دخول الجحيم، ولعنوا مَنْ لعنه. والأعظم من هذا أنهم استنكفوا من السجودِ للصليبِ المقدس والخمرة والخمير المُقَدَّسين من القس، ولأنهم حَرَّموا الطيبات كلحمِ الخنزير وشرب الخمور، وأباحوا الطلاق، وسنُّوا الخِتَان، وحجروا على نسائهم الرقصَ والمعانقةَ مع الشبان في المجتمعات، ولا سيما كفرهم بتثليث الإله، وتنزيهه عن لبس الجسد، وهلم جراً من الكفرِ الأسود، كيف لا يعذبهم الله عذاباً شديداً في جهنم خالدين فيها أبداً. انتهى زعمهم.

قلت: فإن التوراة والإنجيل يُصَرِّحان بأن الصلبَ والفداء لا يطرآن على الأنبياء، وذلك من قوله: «من علق على خشبة ملعون» وقوله: «الأشرار يكونون فدية عن الأبرار» وكُتُبُ الله المقدسة كلها تُحَرِّمُ السجودَ للصور والمنحوتات، وتحرم أكلَ لحم الخنزير والسُّكر، وتصرح بإباحة الطلاق وتعدد الزوجات، وأمرت بالختان، وصرحت بتكفير مَنْ يجعل لله مثلاً وعديلاً، والمسيح صرح بتأييد الكتب المقدسة بقوله: «ما جئتُ لأنقض الناموس»، وبقوله في ص١٧ من يوحنا: «هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنك أنتَ الإله الحقيقي وحدك» وقال: «لا تعبدوا إلهاً على الأرض، فإن إلّهكم واحد، وهو في السماء» وقال: «إلهي وإلهكم» وقال: «لا أقدر أن أفعل شيئاً إلا بمشيئة الله وأفعل المعجزات بإصبع الله» فأيّ ذنبٍ للمسلمين وهم يتلون القرآن ليلاً ونهاراً، وفيه يُمَجِّدون المسيحَ وأمه العذراء، فهل من العدالة أن يجازيهم بالعذاب؟!.

قالوا: لا نفقه ما تقول، وإنما يلزم على كل مُتَنفِّسٍ أن يتبع هذه التعليمات المرتبة من مجمع رؤسائنا، ومَنْ يخالفها فهو كافر. قلت: وإن اجتمعوا على الضلالة، كاجتماع بني إسرائيل على العجل؟ فبُهت.

البحث الثامن

(في الباركليت ومحمد)

قال المؤلف: «إن وجود الفارقليط في الإنجيل، إلى يومنا هذا، دليلٌ على براءة الإنجيل من التحريف» فكأنه يقول: إن النصارى لو كانوا يحرفون الإنجيل، لما تركوا لفظ الفارقليط فيه إلى اليوم، لأنه أعظمُ ما يَستدلُّ به المسلمون على صِدْقِ رسالة محمد ﷺ.

قلت: وهذا الكلام من المؤلف يتضمنُ الاعترافَ بأن الفارقليط هو أحمد، لأنه قال: عدم تحريفه دليلٌ على براءة الإنجيل من التحريف.

والعجب من هذا المؤلف، كيف ينكر التحريف، ويريد أن يسترَ الشمسَ بنسيجِ العنكبوت، مع كونهم لم يكتفوا بتحريف المتقدمين، بل هم في زماننا قد بَدَّلوا وغيروا، وزادوا وأسقطوا من أناجيلهم، وهي الآن، كما ترى، مباينةٌ لأناجيلهم القديمة، كما أثبتناه في مواضع كثيرة في كتاب «الفارق» فمنه ما في صحيفة ٤٨٢ إلى نهاية صحيفة ٤٩٠ فراجع ذلك، ولا تكن من الجاهلين. وكما أنهم غيرّوا وبدلوا في زماننا هذا، فكذا أسلافهم بأنهم حرّفوا الآيات التي جاء بها ذِكر الفارقليط، وغيروا بعض الضمائر منها، كقولهم: «سأرسله أنا من الأب» وبمقتضى سياق البحث ومجراه يلزم أن يكون الأصل «سيرسله الأب» وعلى كلا الوجهين فالمرسِلُ الحقيقيُّ هو الله، بصراحةِ النص، لأنه هو يفسر نفسه، والمؤلف تشبث بقوله «سأرسله» وأغمض عن ذكر باقي الجملة، وهي قوله «من الأب» وزعم بكتمانه هاتين الكلمتين إبطال رسالة رسول عَمَّ المسكونةَ دينُه.

ثم لا يبعد من جهل المتقدمين أنهم لم ينتبهوا إلى أن لفظ الفارقليط هو أحمد ﷺ، ولعل أحد العلماء من مفسري الإنجيل غَشَّهم، بأن المراد من الفارقليط هو روح القدس النازل على التلاميذ يوم الدار. ومن جهلهم بمعناه، صدّقوا به،

ولما انتشر العلمُ فيهم، وعرفوا ما في الإنجيل، بدّلوه قبل ثلاثين سنة «بالمعزّي» ظلماً وعناداً، وقصدوا بالمعَزّي تبعيده عن خاتم الأنبياء، وتطبيقه على روح القدس النازل على التلاميذ يوم الدار، أي: بعد العروج بعشرة أيام، على ما ذكروا، لكي يقال: نزل روحُ القدس معزياً لهم على ما أصابهم من الحزن، من إهانة إلّههم، وصلْبه.

ونشكرُ المؤلف حيث أظهر خفايا دسائسِ أسلافه، من تبديلهم لفظ الفارقليط بالمعزِّي، فقال في آخر البحث الثامن، ونصه «إن المسيح وعدهم بإرسال هذا الروح المعزي على عَجَل، وإلا فليس من فائدةٍ للتعزية وهم موتى». قلتُ: ويَصْدُقُ على هذا المؤلف قولهم المثل «زَنَّاه فحدَّه».

انظر - هداك الله - إلى قوله، فإنه أوضحَ سُوءَ مكنوناتهم، بتبديل الفارقليط بالمعزي، حتى يكون الروحُ القدس معزياً للتلاميذ، على أثر المصيبة، وأنْ لا يصدُق على خاتم الأنبياء ﷺ، لأنه أتى بعد المصيبة بست مئة سنة، فلا يصحُّ حملُه عليه بأن يكون معزياً للتلاميذ عما أصابهم من الحزن، لأن المقتضى أن يكونَ مجيءُ المُعزِّي للمصابينَ بعد المصيبةِ بقليل، فلذلك قال آنفاً: «ليس من فائدةٍ للتعزية، وهم موتى» أي: كيف يقال لمحمدٍ مُعَزِّياً للتلاميذ، وقد أتى بعد موتهم بمدة طويلة.

فتبين أن المقصد من تبديل الفارقليط بالمعزي جَعْلُه دليلاً على صحة عقيدتهم الفاسدة، ودفعه عن صاحب دِين أُسس على التقوى. وعلى فرض التسليم، فإنَّ الأوصافَ المذكورة في الإنجيل لا تنطبقُ على روح القدس النازل على التلاميذِ يومَ الدار، وبينهما مباينةٌ لا تلتئم، بل تنطبق على خاتم الأنبياء، لأنها وقعت بالفعل حرفياً، وجرت كما قال عيسى عليه الصلاة والسلام، وفَصَّلناهُ في «الفارق» ولا سيما الشيخ رحمة الله الهندي، قدس الله روحه، في كتابه «إظهار الحق» فإنه أشبعَ القولَ في هذا البحث، ولكن ما الفائدة، فإن العنادَ يُعمي،

والغرضَ يُصِمّ، على أنه لو أراد الله أن يرسل معزياً على قضية الصلب، لكانت العذراء أوْلى بالتعزية من التلاميذ، لأنَّ الفقيدَ ولدها وفَلْذة كبدها، وصُلِبَ، بزعمهم بحضورها.

هذا ولم يكتف المصنف بخبطه المذكور، حتى صار يخبصُ أيضاً في لفظ الفارقليط، تارةً يسميه باركليت، وأخرى بركلتوس، وتارة باركلتيس، وبعضاً يغيره بحروف الإفرنجي، وتارة باللغة اليونانية إلى أن قال: فالأولى «معزي».

قلتُ: وأظن أنه كما هو مسجل في إنجيلهم باللغة العبرانية «فارقليط» بدون تعريب، أي: فارق الحق من الباطل كثير الحمد، والعنوان الذي وضعه المسيح من مدة تسعة عشر جيلاً، كيف يسوغُ للأسقف، في زماننا، تبديلهُ؟! والغريب أن مؤلف «إظهار الحق» أثبت الفارقليط بأنه هو محمد ﷺ، بخمسة صحائف، ونحن أتينا بمثلهم في «الفارق»، وأما المؤلف فزعم أنه أبطلَ استدلالنا بصحيفةٍ واحدة من خمسة وجوه.

الوجه الأول: وخلاصته «أن الفارقليط هو روحُ الحق، ليس جسماً، وهذا الوصفُ لا يَصْدُقُ على محمد لأنه جسم».

أقول: إنَّ إظهار الحق أجاب عن هذا الطعن، قبل وقوعه من المؤلف، بجوابٍ قَطْعيٍّ المَفاد، يستحيلُ عليه الطعن، ولكن من العجب أن هذا المؤلف أتى بهذا الطعن الفاسد، ونسي أنه هو وحزبه ينادون في المسكونة أن المصلوب المهان المَرْئيَّ بالعيان هو الله الرحيم الرحمن، أفما كان هذا المصلوب جسداً، كيف جاز أن يكون هو الإله الحقيقي، وهو إذ ذاك الجسم المرئي، وكيف لا يجوز أن يكون روح الحق، بمعنى أنه المهدي إلى حقيقةِ الحق جسماً، أي يتكلمُ بروحِ الحق، كما ثبت من الإنجيل والتوراة، فإنْ كنتَ في ريب، فراجعه في صحيفة (١٥٨) من الجزء الثاني من كتاب إظهار الحق المطبوع في مصر سنة

١٣١٦ هجرية.

الوجه الثاني: وخلاصته: «يلزم أن يكون مجيء الفارقليط في زمن التلاميذ، ويمكث معهم إلى الأبد كما صرح الإنجيل، ومحمد أتى بعد ست مئة سنة، ولم يمكث في العالم».

أقول: إن هذا الاعتراض كذلك أوهنُ من بيت العنكبوت، كما ترى جوابَهُ في «إظهار الحق» و«الفارق» فراجعه فيهما، على أنَّ من دأبِ الأنبياء يخاطبون القوم الحاضرين، ويريدون بذلك الخطابَ العام الشامل، للحاضرِ والغائب، كقولِ المسيح للتلاميذ «عمّدوا بروح القدس» وأمرُ المسيح كان للتلاميذ فقط، بحسب الظاهر، إذ هم المخاطَبون بذلك، على أن أمره هذا عام، يشملُ الحواريين وسائر النصرانية، وإلى الآن يُعَمِّدونَ بذلك الأمر، فقوله: «يمكث معكم إلى الأبد» كقوله: «عَمِّدوا بروح القدس» وكما أن هذا عام، فهذا أيضاً عام، فلا وجه بتخصيصِ الأمرِ بالحواريين فقط، فتبين أن قوله بلزوم مجيء الفارقليط، في زمن الحواريين، ويمكث معهم إلى الأبد، فاسدٌ وخلاف الظاهر، لأنه أتى بعد المسيح بخمس مئة ونيف من السنين، وأثبت أوصافه لهم، كما قال عيسى عليه السلام حرفياً.

ومما يؤيدُ ذلك شهادة أكابر علماء النصرانية، فمنهم صاحب «تحفة الجيل» قال في تفسيرهِ الإنجيلَ، نقلاً عن أحد علماء النصرانية، وخلاصته: ينتظرون رسولَ آخرِ الزمان الذي يقال له: حبر العالم، المرموز في سِفر ملاخيا، عليه السلام، في آخر فقرة من العهد القديم، وقد مر بحثه في «الفارق» بأنه رمز أحمد (٥٣) بإيلياء (٥٣) وذلك بحساب عدد أبجد. وإنْ أصرَّ المؤلف على عناده، وقال: إن محمداً لم يمكث مع التلاميذ إلى الأبد. قلتُ: والتلاميذُ أيضاً لم يمكثوا مع الفارقليط أو روح القدس إلى الأبد، فما كان من حجتهم الفاسدة على محمد ﷺ، فهو حجتنا على التلاميذ، وأحق وأولى، لأن المُكْثَ إلى الأبد يشمل

الفارقليط والتلاميذ، والحق أن المراد من عين الماكث ليس الفارقليط والتلاميذ بذاتهم، بل المراد به بقاء الدين وحكم القرآن بين الخليقة إلى آخر الزمان.

الوجه الثالث: قال المؤلف ما خلاصته: «يقتضي أن الفارقليط كان مع التلاميذ، لأنه قال: ماكثٌ معكم، ومحمد لم يكن معهم وقتئذ».

أقول: إن سلمت هذه الجملة من التحريف، فجوابُه ضِمْنَ الجوابِ المتقدم في الوجه الثاني وهو عموميةُ الخطاب.

الوجه الرابع: قال المؤلف ما خلاصته: «إن المسيح أوصى التلاميذ بقوله: لا تبرحوا من أورشليم، وانتظروا ذاك المعزّي الروح القدس، والتلاميذ أيضاً انتظروا عشرة أيام، فجاءهم ذاك المعزي روح القدس كما في أعمال الرسل».

أقول: لا سائل يسأل، ولا سامع يسمع في هذه الملة، أيها المطالع! انظر إلى تدليس هذا المؤلف، فلم يكتفِ بأنْ يستشهد على إبطالِ صريح الآيات الإنجيلية بتلفيقاتِ الأساقفة من أعمال الرسل، فإنه أيضاً لم يتركها على حالها، بل زاد من عند نفسه لفظة «ذاك المعزّي» وسكت عن باقي الجملة، وهو بيتُ القصيد، فلذلك اضطررتُ لنقل الجملة، من نسخةِ أعمالِ الرسل حرفياً، حتى يظهرَ للمطالع تدليس هذا المصنف.

قال في كتاب «أعمال الرسل» بص١ ف٤ ونصه: «لا تبرحوا من أورشليم، بل تنتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني، لأن يوحنا عمّد بالماء، وأما أنتم فستعمدون بالروح القدس، ليس بعد هذه الأيام بكثير أما هم المجتمعون، فسألوه قائلين: يا رب! هل في هذا الوقت تردّ الملك إلى إسرائيل؟ فقال لهم: ليس لكم أنْ تعرفوا الأزمنةَ والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه، لكنكم ستنالون قوة متى حَلَّ الروحُ القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة، وإلى أقصى الأرض» انتهى.

انظر - هداك الله - إلى هذا المؤلف، كيف زاد من عنده «ذاك المعزي» على أن في كتاب «أعمال الرسل» لا يوجد لفظ معزي ولا فار قليط، وفضلاً عن ذلك، فإن وصايا المسيح عليه السلام، عن الفارقليط، كانت قبل قضية الصلب بمدة، والوصية الثانية التي ذكرناها آنفاً، كانت بعد قضية الصلب، وحين الرفع، وبين الوصيتين تَخالُفٌ عظيم في اللفظ والمعنى والوصف والزمان والمكان، فذاك أمرٌ، وهما أمامك، فراجعهما، ولا تكن من الخادعين لأنفسهم.

تنبيه: قد تبين من اعتراف بطرس، أن التعميد بروح القدس فقط، كما أوصاهم المسيح عليه السلام، ولو كانت الوصية بأن يعمدوا «باسم الأب والابن وروح القدس» كما روى مترجم متَّى، لما شهد بطرس، بعد رفع المسيح بمدة طويلة، بأنَّ التعميد بروح القدس فقط، بدون ذكر الأب والابن. أيقال: إن بطرس كتم الحق، والمترجم أظهره، كلا! بل ثبت ببداهة العقل والنقل أن جملة التثليث مزورةٌ من المترجم، ألحقها بعد انقراضِ الحواريين في ترجمته من آخر إنجيل متى، وهذا صريح، لا غبار عليه البتة.

الوجه الخامس: قال المؤلف ما خلاصته، من آخر البحث الثامن: «ولست أظن أن الأخ المسلم، يريدُ أن يعتقد أن المسيحَ هو الذي أرسل محمداً لأن الآيات السالفة تُبيِّنُ أن المسيح هو الذي أرسل الروح القدس، فإنْ كان ذلك كذلك، فلنا معه بحث آخر، فيه يضطر المسلم أن يُسَلِّمَ بألوهيةِ المسيحِ الراسلِ، لأن محمداً كان يَدَّعي أنه رسولُ الله، فتأمل» انتهى.

أقول: لقد تأملنا، حسب أمره، في تمويهاته رويداً، فوجدناها حديثَ خرافة، بل تَبَجُّحٌ وتدليس بين الملتين، على أن هذا قد سبق في أول البحث، ووضَّحنا فيه أن المسيح، عليه السلام، فسر قوله بقوله: «سأرسله أنا من الأب» فتبين أن المُرْسِلَ الحقيقيَّ هو الله تعالى، على أن لو سَلِمَتْ هذه الجملةُ من التحريف، فمعنى «سأرسله» ظاهر، وهو لا يبعد بأن المسيح لما رأى جسامةَ افتراء القومِ

عليه، بقولهم بألوهيتهِ بعده، طلبَ من الله تعالى إنجازَ وعدهِ بإرسال الفارقليط، فأرسله، كما وعد في إنجيل يوحنا. والفارقليط أيضاً، أي: محمد ﷺ، ادعى الرسالة، كما ادعى عيسى، عليه السلام، وكرر في الأناجيل أزيد من سبعين مرة بأنه رسولٌ وابن الإنسان، وبإصبعِ الله يفعلُ المعجزات، ويسجدُ لله، ويستغيثُ به، وينادي على المنائر والمنابر والسطوح بقوله: إلهي وإلهكم! وبموضع آخر قال: «إلهي إلهي! لماذا تركتني؟» فَمَنْ كانت صفته وأفعاله وأقواله كما ذكرنا، كيف يكونُ إلّهاً، ويرسل رسلاً، فأنت أيها المؤلف! قُلْ ما شئت، فإن أناجيلك تكذبك.

وأختمُ كلامي، وإن تكرر، بقولي: إن المسيح كرر بقوله فارقليطاً آخر، أي: رسولاً آخر، يُوبِّخُ العالم، ويبكتهم، إلى أنْ قال بآخر الإصحاح الرابع عشر، من إنجيل يوحنا ما نصه: «قلت لكم الآن أقبلُ أن يكون حتى متى كانَ تؤمنون (أي بالفارقليط) لأتكلم معكم كثيراً، لأن أركونَ هذا العالم يأتي، وليس له فيَّ شيء، ولكن ليفهم العالم أني أُحبُّ الأب، وكما أوصاني الأبُ هكذا أفعل، قوموا ننطلق من ههنا» انتهى.

أقول لمن يعقل: فإن هذا النص صرح بأن الفارقليط غير المسيح، وذلك من قوله: «فارقليطاً آخر»، فإذا لم يكن هو محمداً، ﷺ، فإذاً مَنْ هو هذا الذي يأتي، وهو أركون العالم، ويبكتهم، وليس له في المسيح شيء؟ فإن قلت: إنه هو روح القدس النازل على التلاميذ، قلت: فقد أبطلتَ عقيدتك بقولك: إن الأب والابن وروح القدس إلهٌ واحد، إذ كيف يكون روحُ القدس فارقليطاً آخر للمسيح، وهما - بزعمك - واحد، ولا سيما قوله: «ليس له فيَّ شيء»، وأنت تنادي بأنهما واحد!؟، وكيف ترضى أيها المسحيُّ أن يكون روح القدس ليس له في المسيح شيء، ومتى روح القدس بكّت العالم، وبأيِّ محفل بَلَّغهم الأحكام، وفَهَّمهم إياها، وبأي مجمع وَبَّخهم، ومتى شهد روح القدس للمسيح، وبأيِّ

محل مَجّده، ولأي سببٍ اختص روح القدس بكونه أركونَ العالم دونَ الابنِ والأب، وكيف صار غيرهما، وتزعمون أنه هو هما؟!.

يا أيها المسيحيون: أفلا تبصرون؟! إن خاتم الأنبياء هو الذي فهم العالم، وشهد للمسيح، ومجده، وبكّتَ اليهود، ووبخ النصارى على افترائهم عليه وعلى أمه العذراء البتول. تالله! مَنْ له أدنى إدراك من العقل، لا يقبل أن يقول بأن الفارقليط الآخر الموصوف بهذه الصفات هو روح القدس قط.

تنبيه: ومن ضعف عقول الأساقفة، بعد انقراض التلاميذ، قالوا بلزوم مجيء الفارقليط، في زمن الرُّسُلِ، وظهر لهم ذلك من ظاهر خطاب المسيح بقوله: «سأرسل إليكم من الأب فارقليطاً آخر، يمكثُ معكم إلى الأبد ويذكِّركم بكل ما قلتُه لكم، ويعلمكم، ويبكت العالم، ويشهد لي وليس له فيَّ شيء».

وبما أن الفارقليط لم يأتِ في ذلك الزمن، فتأولوا أن روح القدس النازل على التلاميذ هو الفارقليط، ولم يشعروا بأن أوصاف الفارقليط الآخر الموعود به أوصافٌ لا تنطبقُ على أوصاف الروح النازل على التلاميذ يوم الدار، لأنه لا يقالُ للروحِ رسول آخر، لأن الروحَ واحدٌ، ليس روحين حتى يقال للثاني آخر، ومع ذلك فإن الروح لم يبكّت أحداً، ولا مكث معهم، وهم لم يمكثوا معه إلى الأبد، بل ماتوا، والذي مكث إلى الأبد الإسلام، وشهد لعيسى، وذكّرهم، وعلّمهم وبكّتهم، فلذلك قال «ليس له فيَّ شيء» ولا يقال للروح: ليس له مع المسيح شيء، لأنهم يعتقدون بالمسيح هو روح القدس، وبالعكس، فكيف يقال للروح هو الفارقليط الآخر.

وهذا المذهبُ الفاسد الذي تأولوه، ليس أول قارورةٍ كُسرت فيهم، إذ إنهم كما اعتقدوا بالفارقليط، أنه يأتي في زمن الحواريين، فكذلك اعتقدوا بأنَّ المسيحَ ينزلُ من السماء، والتلاميذ في قيد الحياة، وأن الساعة في زمنهم تقوم،

وذلك لعدم وقوفهم على رموز الكتب، وتأملهم سياق الكلام، بل إنهم يفسرون أحاديث المسيح على ظاهر الألفاظ، وهو قوله للرسل عندما سألوهُ عن الساعةِ وعلاماتها، فقال عليه السلام، بعد أن وَضَّح وفَصَّل العلامات والوقائع لهم في ص٢٤ من إنجيل متى، ونصه: «لا يمضي هذا الجيلُ حتى يكون هذا كله، السماءُ والأرضُ تزولان، ولكن كلامي لا يزول» وفي غير موضع قال: «توبوا وآمنوا بالإنجيل، لأنه قد قرب ملكوتُ الله» وقال أيضاً: «قبل أن تكملوا مدن إسرائيل يأتي ابنُ الإنسان» فلذلك ترى علماءهم المتقدمين جزموا بوقوعِ العلاماتِ وقيامِ الساعة ونزولِ المسيح ومجيء الفارقليط، في زمنِ الرسل، وهذا رأيهم، وقد دَوَّنُوه في كتبهم، وأنت ترى قد مضى تسعة عشر جيلاً، ولم يكن شيء من ذلك، وقِسْ عليه البواقي، أيها الفهيم! فإنا لو أغمضنا عن علمائكم المتقدمين، كيف نسكت عن المتأخرين، ولا سيما علماء عصرنا!.

أيها العقلاء! كيف قبلتم القولَ بالفارقليط الآخر أن يكون هو روح القدس، وبزعمكم أنه هو ذاك المصلوب بين لصين، أليس هذا من أفحش ما يهذي به المحموم؟! بل كيف أصغيتم لهذا المؤلف بقوله: إن الفارقليط هو باللغة اليونانية، وتعريبه معزّي، وهو خلافُ الظاهر، لأنه لا يوجد في اللغة اليونانية لفظ فارقليط، ولا قائل بأن تعريب الفارقليط معزي، بل هو اختراعٌ جديد، ابتدعته الخَلَسة، اللهم إلا إذا رضيت علماؤهم بحكم القسيس، بقوله من رسالته المطبوعة سنة ١٢٦٨ هجرية في كلكته الذي حكى عنها صاحب «إظهار الحق» وخلاصته. أنَّ لفظ الفارقليط غلط، والصحيح هو «باركلي طوس» فحينئذٍ يمكن تعريبه بالوكيل والمعين والمعزي، وهذا تغييرٌ وتبديل وتحريف، وتمحّل ظاهر البطلان، لا يرضى به إلا من سخف عقله، وضعُف رأيه، ورضي أن يخدع نفسه.

فيا أيها الرؤساء! لا تغشوا أبناء جلدتكم، بل أبناء نوعكم، فإن نزول روح

القدس على التلاميذ مسألة، والفارقليط الآخر مسألة أخرى، لاتَماسّ بينهما، والله تعالى كما أنجز وعده بالروح القدس، أنجز وعده أيضاً بإرسال الفارقليط، أين هذا من هذا ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].

البحث التاسع

(في النبوات)

اعترض المؤلف على البشارة الأولى من التوراة، ونصها: «يقيمُ لك الربُّ إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسعون» إلخ.

أقول: إن «إظهار الحق» و«الفارق» نقلاً هذا النص من النسخ المطبوعة قديماً، فمنها طبع لندن سنة ١٨٤٨ والمؤلف نقل النص المذكور من النسخ المطبوعة حديثاً في بيروت، وبينهما اختلافٌ ظاهر، لأنهم قد حرفوا ذلك، وغَيَّروا الضمائر، وبَدَّلوا الغائب بالحاضر، وزادوا ألفاظاً، ونقصوا، كما أثبتناه في «الفارق» في بحثِ تطبيقِ النسخ المطبوعة قديماً وحديثاً، فلذلك لا عبرة بنقل هذا المؤلف، ولا بطعنه الفاسد، لأن المبني على الفاسد فاسد، ومَنْ أراد الوقوف على الحقيقة، فليراجع نقول النصوص والقول عليها في «إظهار الحق» و«الفارق» وهما شاهدان عدلان، شهد بتزكيتهما تناقُضُ كُتُبهم وتضارُبُ نصوصها وتخالُفها وتغايرُها.

قال المؤلف ما ملخصه: إن إسماعيل لم يكن أخاً شرعياً لإسحاق، لأنه كان ابنَ الجارية «وأنّى للعبد أن يساوي السيد؟!».

أقول: قد دَلَّ طعنه هذا على قِصر باعه بالرد على أصل المطلب، لأنه خرج عن موضوع البحث، وسلك مسلك الأطفال، بالتفاخر مع بعضهم، حال كون موضوع البحث هنا لم يكن بالتفاضل بين الإخوة، بل الاختلاف في نص التوراة، هل أراد به عيسى أو محمداً، صلواتُ الله عليهما، ليت شعري! هل قصد بطعنه أن إسماعيل ابن زنا كما قالت اليهود في عيسى، أو لكونه لا يرثُ مع أخيه إسحاق؟! فعلى كلا الوجهين، هذا قولٌ مردود بقوله تعالى، جل شأنه، لإبراهيم عن ابنه إسماعيل عليهما السلام، ما خلاصته «سأباركه، وأكثره، وأجعله على

شعبٍ كبير، لأنه نَسْلُكَ» وفي غير موضع من التوراة أيضاً «لما كانت هاجر الجارية تبكي في البرية، وطفلها يصرخ على الأرض من العطش، فجاء الوحيُ من الله قائلاً لها: لا تبكي، فإن الله يأمرك بأن تأخذي ابنكِ هذا، لأنه سيكونُ على شعبٍ كبير، ويباركه، فعند ذلك استبشرت، وأخذت الطفل» وكان ما كان من أمرها، والقصة معلومة، لا نزاع فيها، وهي ثابتةٌ بنص التوراة، فهل يقال لإسماعيل: ليس أخاً شرعياً، والله يصرح لإبراهيم بأنه نَسْلُكَ؟! أي: كما أن إسحاق نسلك، فإسماعيل أيضاً نسلك. ثم إن عدم الإرث لا يقطعُ النسبَ، ولو كان يقطع النسب، لَمَا قيل لأخِ الميتِ أخٌ، مع وجود الابن، وكونه لا يرث، فتبين بطلان قوله.

ولعمري! إنَّ العناد أجبرهم على إنكار نسب الأنبياء، ولا عتبَ على المؤلف حيث ازدرى بإسماعيل، لكونهِ ابنَ الجارية، فإن أسلافه افتروا على جَدَّاتِ المسيح عليه السلام بأنهن زوانٍ، ودَسُّوا ذلك في التوراة، كقولهم: إن بنات لوط فجرَ بهن أبوهن، وولَدْنَ منه أولاداً. وكذلك قالوا بأن يهوذا، عليه السلام، فجر بكنته تامارا، وأولدها نسلاً، ويعتقدون من هذين النسلين تناسل الأبرارُ والأنبياء، ومنهم عيسى عليه وعليهم السلام.

أيها المؤلف! أفما يعرقُ جبينك من ازدرائك بإسماعيل، لكونه ابن جارية، وافتخارك بالمسيح، وأنه بزعمك ابن زنا؟! وما ضَرَّ هاجر كونها جاريةً مع عِفَّتها، لأنها لم تَزْنِ، بل قبلت إبراهيم زوجاً لها، أَحَلَّها الله له بملك اليمين، كما أحل المرأة بالنكاح، وأظن أن المؤلف غلبت عليه عادة الإفرنج، فصار ينظر الجارية المحللة لمالكها شرعاً زانية، وأولادها أردياء، وينظر أولاد الزنا من المرأة المنكوحة أنبياء، ويصدق عليهم قول عيسى عليه السلام في آخر ص٧ من إنجيل متَّى: «أخرجْ أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر طِيبَ أن تخرج القذى من عين أخيك».

والعجب من هذا المؤلف، كيف صَحَّ الشَّبهُ عنده والمماثلةُ بين عيسى وموسى، وأعمالهما وأوصافهما متغايرة، ولا سيما يزعم بأن الأول إلهٌ خالق، وأن الثاني رسولٌ وعبدٌ مخلوق، أنسيَ قولَهُ غير بعيدٍ «أنّى للعبد أن يساويَ السيد» كيف صَحَّ عنده هنا المماثلة بين العبد والسيد، وهما موسى وعيسى، ولم يصح عنده الشبهُ والمماثلةُ بين عبدين لله، وهما موسى ومحمد، على أنهما يجتمعان في إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، وأوصافهما وأفعالهما واحدة، فأقول بعيسى وموسى كما قال بإسحاق وإسماعيل، رداً للمؤلف لا اعتقاداً «وأنى للمخلوق أن يماثل الخالق».

فعلى كلٍّ لا مجال للقول بأن النبي الموعود هو عيسى، ومع هذا فإنجيل متى صرح في ص٢ ف٦ نقلاً من النبوات، بحق المسيح، بنص صريح، ولفظه: «وأنتِ يا بيتَ لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدبّر، يرعى شعبي إسرائيل» ويؤيد ذلك قول عيسى عليه السلام بنص الإنجيل: «لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» وكثير من الآيات والنصوص التي تدل على أنَّ عيسى لم يأتِ بشريعةٍ مستقلة، تنسخُ ما قبلَها، كموسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بل أتى مؤيداً للتوراة، كما صرح بذلك في قوله في ص٥ من إنجيل متى: «ما جئتُ لأنقض الناموس، بل لأكمله».

فتبين بالبداهة أن عيسى نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل، وإنجيله كأسفارهم تابع لشريعة موسى.

وأما ذكر المؤلف في أوجه النسبة بين موسى وعيسى بقوله:

الوجه الأول: القربى الخ فنقول: قد ذكرنا آنفاً أن أنبياء بني إسرائيل وموسى وعيسى ومحمد يجمعهم النسب في إبراهيم، صلواتُ الله عليهم أجمعين، لأنه هو أبو الأنبياء، وعهد الله مربوطٌ فيه وفي ولديه إسماعيل وإسحاق، فجعل العهدَ

أولاً في نسل إسحاق من فخذ يهوذا، وبعد انقضاء المدة المعينة في علم الله القديم، بزوالِ القضيبِ والنبوةِ من فخذ يهوذا، كما صرحت التوراة بأنه لا يزولُ القضيب من فخذ يهوذا حتى يأتي شيلون، أي محمد ﷺ، الذي هو كذلك من نسل إسماعيل بن إبراهيم، كما أخبر اللهُ عنه في التوراة بما خلاصته: «وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك، فقال الله، بل سارة امرأتك تلدُ لك ابناً، وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي بنسله، وأما إسماعيل فقد سمعتُ لكَ فيه، ها أنا أباركه، وأثمره، وأكثره كثيراً جداً اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله لشعبٍ كبير لأنه نسلك». أي يظهر من نسله رسولٌ، سيكونُ على شعبٍ كبير، فكان، وهو أصدق القائلين.

ثم أي مشابهة تحصل من قوله: إن موسى كليم الله، وعيسى كلَّمه الله، فإن كون موسى كلمه الله تكليماً، مُسَلّم، ولكن لم نر في الأناجيل بأن عيسى أيضاً كلمه الله كموسى، بل افتريتم عليه بقولكم: إنه هو الله، ووجه المماثلة بينهما أبعد من المشرقين.

قال المؤلف:

الوجه الثاني: الشبه، «لأن موسى كان وسيطاً بين الله وبين بني إسرائيل، وعيسى أيضاً وسيطاً بين الله والناس».

أقول: أيها المؤلف! أنت تعلم بأن بني إسرائيل أقل من معشارِ عُشْرِ الناس، كيف تحصلُ المماثلةُ بين موسى الذي هو نبي على عشر معشار الناس، وبين عيسى الذي زعمتم أنه وسيطٌ على كلِّ الناس، والحق أن كافة الرسل والأنبياء هم وسطاء بين الله وبين مَنْ أُرسِلُوا إليهم، ولو أنهم يجعلون المسيح كموسى عبد الله ورسوله، لأغمضنا عن مناظرتهم في هذا الوجه، واكتفينا ببقية البشارات والآيات الدالة على ثبوتِ رسالةِ خاتم الأنبياء، ﷺ.

وقال المؤلف! الوجه الثالث: «قيادة موسى لبني إسرائيل من مصر إلى أرض الحرية، والمسيح أيضاً قائد المؤمنين ومخرجهم من عبودية الشيطان الرجيم، وموصلهم إلى أرض الحرية جنات النعيم».

أقول: إن هذا التمثيل بين الرسولين خَبْطٌ في المماثلة، بل خَرَف، لأنه وصف الكليمَ بقائدِ جيشٍ من أرضٍ إلى أرضٍ في الدنيا، ولم يجعلْ له نصيباً في الآخرة، ووصف المسيح بأنه أنقذ المؤمنين من الضلال إلى الهدى، وأدخلهم الجنة دار القرار، ولم يجعل له نصيباً في الدنيا، فأين وجه المماثلة بين الدنيا والآخرة، وعيسى وموسى، وصفاتهما متناقضة، على أن عيسى وموسى وأنبياء بني إسرائيل كافة ومحمداً ﷺ أنقذوا قومهم من الضلال إلى الهدى، فتأمل.

ومن تشبيهاته السخيفة قوله في التشبيه الرابع ما ملخصه: «أن موسى حارب أعداء الله، وأخضعهم، والمسيحُ حارب حرباً روحياً، وأخضع القلوبَ والأميال التي هي أعظم من إخضاع الرقاب، وسوف يخضعُ له كلُّ شيء تحت قدميه، ويهلك أعداءه».

أقول: إن هذا المؤلف لا شَكَّ سكران من خمرةِ التثليث، لأنه أثبت المناقضةَ في صفاتِ هذين الرسولين، من حيث لا يشعر، وخرج عن صدد البحث، ولا نفهم مراده من قوله حرباً روحياً، ولعل آلات الحرب يقال لها روحية، بلغةٍ مّا، لا يعلمها إلا الراسخون بعلم التثليث، حتى يصلح جواباً لخلطه (وآية السيف تمحو آية القلم) والحق إن قوله هذا يشبه كلام بولس في رسالته ونصه: «نعبد بجدة الروح، لا بعتق الحرف» ولرُبَّ قائلٍ يقول: إن المقصد من قوله: حرباً روحياً، أي أن روح القدس أخضع قلوب الناسِ للإيمان بعيسى، عليه السلام.

قلتُ: وهذا لا يقال له حرب روحي، بل يقال: عناية الله جعلت الهداية في قلوب المؤمنين، فآمنوا، قال الله تعالى ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ ﴿٣١﴾﴾

[الرعد] ولكن لم يشأ. على أنَّ الصحف السماوية أخبرتنا عكس دعواه، فهذه التوراةُ تنبئنا بأن موسى عليه السلام، بعد محارباتٍ عنيفة دموية، أخضع لرسالته أمماً كثيرة، لا يعلم عددَهم إلا الله تعالى، وكذلك محمد ﷺ، فإنه حارب حتى سالت أوديةٌ من دماء المشركين، وخضعوا لرسالته من المغرب إلى الصين، ولم نسمع بخضوع أحدٍ للمسيح إلا التلاميذ، ونفر معدودين، على أن الإنجيل أيضاً يخبرنا أنهم ارتدوا حين الصلب إلا بطرس، وقليلاً من التلاميذ، وعددٍ يسيرٍ أخفوا إيمانَهم خوفاً من اليهود، حتى إن عيسى عليه السلام طلب من التلاميذ أن يشتروا سيوفاً، لمدافعةِ اليهودِ عنه، فلم يُطِعْهُ أحدٌ منهم، إلا اثنان، بطرس وتلميذ آخر، فأين ذلك الحرب الروحي الذي أخضعَ كُلَّ شيء تحت قدميه، على زعم هذا المؤلف، على أننا لم نجد في كتبهم حرباً روحياً ولا بشرياً، ولا سيما قوله: سيخضع لعيسى كل شيء تحت قدميه، في مستقبل الزمان، فهل يصحُّ تشبيهُ الموهومِ بالمحسوس، وكيف جازَ له إنكارُ المحسوس الذي هو حروب نبينا ﷺ الذي عَمَّ الدنيا تأثيرها.

ومن تشبيهات المؤلف ما قاله في الوجه الخامس، وهو آخر تشبيهه للمسيح بموسى، عليهما السلام، وخلاصته «شريعة التوراة أُعطيت لموسى، وشريعة الإنجيل أُعطيت للمسيح، والمسيح قد فاق بما لا يقاس، لأن الناموس بموسى أُعطيَ، وأما النعمةُ والحق فبيسوع صارا» انتهى قوله.

أقول: إن كلام هذا المؤلف ينقضُ بعضُه بعضاً، لأن في آخر الجملة لم يُثْبِتْ لعيسى ناموساً كموسى، بل النعمة والحق، وفي أولها يثبت لعيسى ناموساً كموسى، وفي وسط الجملة صرح بأن موسى لم يكن مثل عيسى، وبينهما بَوْنٌ بعيد، وذلك يفهم من قوله: إن المسيح فاق موسى بما لا يقاس، فاعترف بفساد تمثيله.

ولا حاجة إلى تكلُّفنا للإثبات، فتحقَّقَ أن النبيَّ الموعودَ في التوراة لم يكن

عيسى، ولم يأت بعد عيسى رسولٌ موصوف بما وصفه موسى غير محمد ﷺ، لأنه مثل موسى، وكتابه مستقل بأحكامه كما استقلت التوراة بأحكامها، من إرثٍ وحرب وجِزية وقصاص وصوم وصلاة وتحريم وتحليل وختان وطلاق وتعدد زوجات وزكاة وقرابين وأعياد.

أيها المؤلف! ما بالك تخبص بالرد بدون تروٍّ ولا تدبُّرٍ، كما صِرت تخبط خبط عشواء في جبال فاران، تارة تثبت جبل فاران في الحجاز، وتارة في مكة، وأخرى في سينا، وتارة في مصر، وأخرى في همدان العجم، على أنه لو ثبت قولك، فلا يضرُّ في أساس البحث وموضوعه، لأنك اعترفتَ بوجود جبلٍ في مكة أو الحجاز اسمه فاران، وهو المقصد، فتبين فساد رَدِّكَ من أساسه.

ومن أراد زيادة الاطمئنان، فليراجع «الفارق» و«إظهار الحق» ففيهما الكفاية.

وفي صحيفة (٨٨) من رسالته اعترف بأن نُسَخَ التوراةِ والأناجيل يخالف بعضها بعضاً، وهذا هو التحريف الذي صرح به القرآن الكريم، وذلك في بحث إبراهيم وابنه إسماعيل، عليهما السلام، حيث قال في النسخة المطبوعة قديماً سنة ١٨٤٨ كما في التثنية «وأجعله لشعبٍ كبير» وفي النسخة المطبوعة حديثاً غيروه، وجعلوه هكذا «وأجعله أمة كبيرة» وبين الجملتين بَون بعيد بالمعنى، لأن الذي يفهم من النسخة القديمة ظهور نبوة في إسماعيل ونسله، ولا يُفْهَمُ من النسخ المطبوعة حديثاً في بيروت نبوةٌ في نسله، وهذا هو التحريف.

والمؤلف يتجاهل معرفة معنى قوله: «لشعب»، إلى أن قال ما لفظه: «ما معنى لام الاختصاص في كلمة لشعب، هل يريد صاحب الإظهار أن إسماعيل سيكون ملكاً أو مختصاً بمحمد! إن هذا لمن التآويل التافهة، ولماذا لا يكون لغيره» انتهى كلامه بحروفه.

أقول للمتجاهل في معنى هذا النص، وهو عارف به، وبمعناه، ولكن العناد

أعماه: إن معنى قوله من النسخة القديمة «وأجعله لشعب كبير» أي: سيظهرُ من نسله رسولٌ، صاحبُ شعبٍ عظيم، ووقع الأمر طبق قوله، وصدقت الرؤيا بالفعل.

ومعنى قوله من النسخة الجديدة: «وأجعله أمة كبيرة»، أنَّ نَسْلَهُ يكونون أمة كبيرة، فهذا التحريفُ نفى النبوةَ والرسالة من نسل إسماعيل، بل جعله أمةً عظيمة فقط، وهو المرادُ من التحريف عندهم.

والمؤلف بعدما تلا ودرس تفصيل ذلك من كتاب «إظهار الحق»، تجاهل بمعناه، فكأنه ما فهم القصد من لام الاختصاص، من لفظ «لشعب» ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].

ثم اعترض المؤلف في صحيفة (٨٨) من رسالته بما نصه «الخامسة: لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب» قال صاحب «الإظهار»: «إن المقصود بشيلون هو محمد، وحاول أن يبين فساد إسنادها إلى المسيح تاريخياً، فَضَلَّ ضلالاً بعيداً» انتهى.

أقول: إن هذا المعترض استعمل أنواع الحيل والتصنيعات في اعتراضه، ولا سيما في نقل النص من النسخ الجديدة، ولنأت هنا بنقله من النسخة القديمة المطبوعة في لندن سنة ١٨٤٨ قال في سفر يعقوب النبي عليه السلام، لما حَضَرَهُ الموتُ، وأوصى أولاده قائلاً في ص٤٩ ما نصه: «فدعا يعقوب بنيه، وقال لهم اجتمعوا، فأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام» إلى أن قال فيه ف١٠ ونصه: «فلا يزولُ القضيبُ من يهوذا والمدبر من فخذه، حتى يجيء الذي له الكُلُّ، وإياه تنتظرُ الأمم» انتهى.

وذلك أن شيلون لفظة عبرانية، وترجمتها بالعربية «له الكل» وعلى روايةٍ «رئيس السلام الذي له الحق» فانظر - هداك الله - إلى اختلاس هذا المؤلف،

في نقله الأول، فإنه رفع الألف واللام من لفظة «القضيب» وبَدَّله بلفظ «قضيب» بدون الألف واللام، وبهذه الدسيسة غَيَّر المعنى والموضوع.

ثم في النسخة القديمة هكذا «والمدبر من فخذه» فَغيَّرهُ المؤلف فكتبه «ومنتزع من بين رجليه» فبهذا التبديل اختلف المعنى المقصود.

وفي النسخة القديمة ما نصه «وإياه تنتظر الأمم» فبدله وغيره المختلسُ بقوله «وله يكونُ خضوعُ شعوب» وهذا أيضاً مغاير جداً.

وخلاصة الأمر: أنه قد استعمل التحريفَ بأنواعه في هذا النص، ولا يخجل من قوله بصحيفة (٨٧) أن صاحب «إظهار الحق» ترك آيتين سابقتين عمداً، فالأولى منهما أن إبراهيم دعا الله أن يقيم عهده من بعده بابنه إسماعيل، والثانية أن الله قال لإبراهيم: بل أقيمه بابن سارا، وسأجعل إسماعيل لشعب كبير، لأنه نسلك.

أقول: عدم ذكرهما في «إظهار الحق»، لعدم تَماسّهما بالبحث، ولا نزاع في أن الله أقام عهده بعد إبراهيم أولاً بإسحاق، ثم بشّره بإسماعيل، بأنه سيكون على شعب كبير وسيباركه، لأنه نسلك.

وأما تَقَوُّله على «إظهار الحق»، بقوله: إنه «حاول أن يبين فساد إسناد هذا النص المار ذكره في شيلون إلى المسيح تاريخياً» إلخ.

فأقول: إن صاحب «إظهار الحق» قدس الله روحه لم يستند على التاريخ إلا لِيُبْطِلَ ما ذهبت إليه الطائفةُ البروتستانية، لأنهم فسروا المدبر والقضيب بالسلطة الدنيوية، خلافاً للطائفة الكاثولوكية والإسلام، وأما ما تَدَّعيه الكاثوليك وكل مسيحي في شيلون أنه هو المسيح فباطلٌ من جهاتٍ أُخر غير التاريخ، وسنكرر هنا توضيحه أيضاً، وهو أن مَنْ تأمل في تفسير هذا النص من صاحب «إظهار الحق» و«الفارق» والكاثوليك بل سائر الفرق النصرانية ما عدا البروتستانية، فإنهم

متفقون على أن المراد من القضيب هو حكم الشريعة، والمدبر هو الرسول المُرْسَلُ إلى رعايةِ القوم بذلك القضيب، أي بأحكامِ تلك الشريعةِ ليستقصَّ بها، ولا خلاف في ذلك، وإنما الخلافُ في أن شيلونَ هل هو عيسى أم محمد، صلوات الله عليهما.

والذي يفهم من صراحة النص أن شيلون لم يكن من فخذ يهوذا، وبمجيئه تَبطلُ النبوةُ والشريعة التي كانتا منحصرتين في فخذ يهوذا، ولا نزاع في عيسى بأنه من فخذ يهوذا، فلذلك يمتنع أن يكون هو شيلون، بل شيلون هو رسولُ آخرِ الزمان الموعود بمجيئه من نسلِ إسماعيل، كما تقدم بحثه، ولا سيما في آخر فقرة من العهد القديم، فإنه صرح فيها تصريحاً بيِّناً، ورمزه بإيلياء رسول آخر الزمان، أي أحمد، ويؤيده توافق عددهما على حسب عدد حروف أبجد، كما أن هذا الحساب والرمز تعتبره بنو إسرائيل، وقد أشار إليه مفسر الإنجيل، وتكرر بحثه هنا و«بالفارق».

وبما أن الله تعالى جعل لكل شيء أجلاً وقدراً، اقتضت حكمته الباهرة، بعد انقضاء المدة المعينة في علمه لبني إسرائيل وأنبيائهم، فأرسل شيلون الذي هو خاتم الأنبياء، وهو الذي تنتظره الأمم المسمى «رئيس السلام، وله الحق» كما فسره المؤلف، فهذا هو الذي وعد به يعقوب النبي عليه السلام، فحضرَ، وملأَ الأرضَ قِسطاً وعدلاً بعد ما كانت مملوءة جوراً وظلماً، وثُم فضلاً عن هذا، فإن قيافا رئيس كهنة اليهود الذي هو نبيٌّ مُلْهم، على زعمهم، وهو ولا بد أن يكون من فخذ يهوذا، لأن النبوة وحكم الشريعة أي القضيب، على مقتضى النص، منحصرتان في فخذ يهوذا، وقد حكم هذا النبيُّ على عيسى بالقتل حداً بالإلهام، بمقتضى حكم الشريعة المعبر عنها بالقضيب، فلو كان المقصد من شيلون هو المسيح عليه السلام، لكان بمجرد مجيئهِ زال القضيبُ وحكمُ الشريعة والرياسة من قيافا، والحال أن المسيح جاء، وحكمَ عليه قيافا هذا بالصلب، ومات

والقضيبُ باقٍ بيده، يحكمُ به بين بني إسرائيل، بعد رفع المسيح، فتحقق من هذا الوجه أيضاً تحقيقاً صريحاً لا غبار عليه بأن شيلون هو غير المسيح، وأنه محمد عليهما الصلاة والسلام. إذ القضيب والمدبر زالا من فخذ يهوذا، حينما جاء محمد ﷺ بالرسالة.

ومما يزيدك اطمئناناً، أنه مضى تسعة عشر جيلاً، ولم يظهر بعد المسيح رسولٌ، ولا نبي، من بني إسرائيل، ولا من فخذ يهوذا، ولا من غيرهم، غير أحمد، بعد ما كانت الأنبياء من بني إسرائيل تَتْرى، في كل وقت وزمان، فهل بعد هذا التوضيح إنكار وتدليس، فتبيَّنَ أن شيلون هو أحمد رئيس السلام، وله الحق، ﷺ.

ومن اعتراضات المؤلف، على البشارات الواردة في النبوات، قوله في صحيفة (٩٢) من رسالته ما نصه «الثامنة: هو ذا الأُوْليات قد أتت، والحديثات أنا مُخْبِرٌ بها» إلخ ٤٢-٩-٣٢ راجع هذا في محله في التوراة، فإن كل ما في هذا الفصل مما يستحق الذِّكْرَ في بحثنا هو جملتان: «غنوا للرب أغنية جديدة» و«لترفع البرية ومدنها صوتها، والديار التي سكنها قيدار» فصاحب «الإظهار» قال: إن الأغنية الجديدة عبارة عن العبادة على النهجِ الجديد التي هي في الشريعة المحمدية، ولفظ قيدار أقوى إشارة، إلى محمد، ولكن الحقيقة ليس ما زعم، وما حمل أشعياء على القول «غنوا للرب أغنية جديدة» هو عَدَمُ وفاءِ الأغنية القديمة بالمرام، لتقديمِ الشكرِ لله على نعمه العظيمة التي سيمنحها للعالم، بواسطه المسيح، وعمل الفداء، وهذه التسبيحة أو الأغنية ستعم الديار التي سكنها قيدار، أعني: نسلَ قيدار «النبوةُ تشير إلى جمع، لا فرد، فلا تصدُق على محمد» الذي هو الابنُ الثاني لإسماعيل، وستعم سكان سالع ساكني الجبال الصخرية، وستعم الجزائرَ والبحر وأقصى الأرض، كل هذا إشارة إلى امتداد الديانة المسيحية، وارتفاع شكر الذين اعتقدوها برهاناً على شعورهم بفضل الله، إذ منحهم الخلاص

والحياة الأبدية بالمسيح، وقد تمت هذه النبوة تماماً خصوصاً في أيامنا هذه، إذ نورُ معرفة الإنجيل قد أضاء في كل أنحاء الأرض، ولست أذكرُ بلاداً إلا وقد دخلها الدين المسيحي، فلم تبق جزيرةٌ من الجزائر، أو منطقة من المناطق الست، أو بلاد من البلدان، إلا وفيها مَنْ يشعر بمراحم الرب، ويغني له أغنيةً جديدة، ولكن الديانة الإسلامية لم تصل إلى نصف هذا الحد من الامتداد، بل لم تزل منحصرةً في محالّ، كما هو معلوم، ألم تعتنق قبائل العرب المتعددة الديانة النصرانية، كما عرفت سابقاً، أليست هذه من قيدار من نسل إسماعيل، ألم تغن هذه الأغنية الجديدة، ألم يوجد من العرب مَنْ يُسَبِّح الله في رؤوس الجبال قبل الإسلام؟! فما بال صاحب «الإظهار» كلما آنس كلمة تنسب إلى إسماعيل أو العرب، نسبها إلى محمد؟! ألا يوجد في العرب غير محمد، إن هذا لعجب عجاب» انتهى قول المعترض على «إظهار الحق».

أقول: إن هذه النصوص من سفر أشعياء عليه السلام، ذكرها «الفارق» و«إظهار الحق» وشرحاها مفصلاً، يَفهمها البليد، ويخضعُ لها المُكابِرُ الشديد، ولا يحتمل تأويلها وحملها وتطبيقها على غير الملة الإسلامية، وهي وإن كانت منقولة في «إظهار الحق» و«الفارق» بحروفها، ولكن من حيث أن هذا المؤلف استعمل، برَدِّه على هذه البشارات، أنواع الفساد والتمويهات والكتم والزيادات، اضطررتُ لتكرار نقل نص واحد، منها، وهو الذي أبرق به وأرعد، وعربد وأزبد.

قال في أسفار أشعياء عليه السلام في ص٤٩ نقلاً من النسخة القديمة المطبوعة في لندن سنة ١٨٤٨ «هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي انسرَّتْ به نفسي، وضعتُ روحي عليه، فيخرج الحق للأمم، لا يصيحُ ولا يرفع، ولا يسمع في الشارع صوته، قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا تُطفَى، إلى الأمان يخرج الحق، لا يكِلّ، ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر

الجزائر شريعته. هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الأرض ونتائجها، يعطي الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحاً، أنا الرب، قد دَعَوْتُكَ بالبر، فأمسك بيدك، وأحفظك، وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم، لتفتحَ عيونَ العُمي، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة، أنا الرب، هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر، ولا تسبيحي للمنحوتات، هُوَذا الأُوليات قد أتت، والحديثات أنا مُخْبِرٌ عنها، قبل أن تنبت أعلِمكم بها، غنوا للرب أغنية جديدة، تسبيحة من أقصى الأرض، أيها المنحدرون في البحر وملئه، والجزائر وسكانها، لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيدار لتترنَّم، سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا الرب مجداً، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر، الرب كالجبار، يخرج كرجل حروب، ينهض غيرته، يهتف، ويصرخ، ويقوى على أعدائه» انتهى بحروفه.

فالذي يفهم من عموم هذا النص أن الرسولَ الموعودَ به هو محمد ﷺ، والمفهوم من خلاصة كلام المؤلف، على هذا النص، أن الرسول الموعود به هو عيسى عليه السلام، فانحصر الأمر بين أن يكون هذا الرسول الموعود به عيسى أو محمداً، صلوات الله عليهما، فلا ثالث، باتفاق الفريقين.

فأقول: أما دعوى النصارى بهذه النبوة، لاتصحُّ قطعاً، لأن الله صرح في أول كلامه بالنص المذكور، بأن الرسول الموعود به هو عبده ورسوله، والنصارى تزعم وتصرح بأن المسيحَ هو الله، ومعادلٌ لله وشريكهُ وحفيده، سيداً ليس عبداً، فثبت بالضرورة أن الموعود به في نبوة أشعياء هو غير المسيح البتة.

وعلى فرض رجوع النصارى عن ضلالهم هذا، وخضوعهم بأن عيسى هو الرسول الموعود به في هذه النبوة، لأن الرسول المذكور في هذا النص مُقَيَّدٌ بقيود، يجبُ اعتبارها، وموصوفٌ بصفات، يلزم أن تُراعى، ليصح التطبيق، وهذه القيود والأوصاف لم تكن في عيسى، فمنها قوله: «لا يكلُّ ولا ينكسر

حتى يضع الحقَّ على الأرض» وهذا لا يَصْدُقُ إلا على خاتم الرسل، لأنه ﷺ، حارب المشركين من غير ملل، وكسر أصنامهم حتى ملأ الأرض قسطاً وعدلاً وحقاً. وأوصافُ عيسى عليه السلام خلاف ذلك، فإنه لم تمتد مدة رسالته أزيد من ثلاثين شهراً، وعلى ما زعمتم عنه، أنه كان في هذه المدة القليلة يهربُ من اليهود، ويختفي، وعندما يجتمع معهم في الهيكل، تارة يرجمونه، وتارة يُحَقِّرونه بكلام ثقيل خارج عن الأدب، إلى أنْ وجدوه يوماً مختفياً في بستان، فأخذوه قهراً، وبعد أن جلدوه ولطموه وبصقوا في وجهه، صلبوه بين لصين. فكيف يقال لهذا المنعوت، برواياتهم بهذه الأوصاف، لا يكِلُّ ولا ينكسر حتى يضعَ الحق في الأرض.

على أننا وجدنا في كتبهم المقدسة بأنه لم يحكمْ بحدِّ الزانية، ولم يحكم بقضيةِ إرثٍ بين أخوين، وأنه أعطى الجزية إلى مَنْ كفر بدينه. ويل هذا المؤلف! ألا يعرقُ جبينه خجلاً عندما يتبجح على «إظهار الحق» ويعترض عليه بقوله: «النبوةُ تشير إلى جَمْعٍ، لافرد، فلا تصدُق على محمد».

أقول: وعلى زعمه لا تصدق أيضاً على عيسى، لأنه كذلك هو فرد، وإن قال بأن المراد منها الملة المسيحية، قلت: ولماذا لم يكن المراد منها الملة الإسلامية؟! فما بالك أيها المؤلف! تروغُ كما يروغ الثعلب، ويظهر لي من حالته أنه غضب من صاحب «إظهار الحق» وحُمَّ من هذه البشارات الواردة في سفر أشعياء، حتى صار يهذي بمدافعاته، من حيث لا يدري، مع أنه خرج عن صدد البحث بقوله: «إن النصارى استولت على البلاد والعباد، في أنحاء المسكونة، من كافة الجهات، ولم تبق فيها زاويةٌ إلا وغنت فيها الأغنية الجديدة، ولا سيما في زماننا.

ويقصد ضمناً الإشارة باستيلاء ملوك الإفرنج على بعض البلاد، وأنهم قد نادوا فيها بالتثليث ونشر الفساد، فأقول: ليته سكتَ عن هذه الإشارات، لأن دخول

الدول الأوروباوية في أفريقيا وفي بعض المدن من آسيا، ليس لإعلاء كلمة الدين المسيحي، بل لمجرد القهر والغلبة والأطماع الدنيوية، ولم يدخل معهم الدين المسيحي الحقيقي كما ذكر وتبجح وافتخر، ولم يغنوا بالتسبيحات القديمة ولا الجديدة، بل غنت نفوسهم فرحاً بإشهار الصليب والمناداة بالتثليث، في تلك الديار، واستيلائهم عليها، وهذا لم يكن بمحاربةٍ روحية، كما زعم المؤلف، بل دخلوها بواسطة قوة الوابورات البرية والبحرية المتحركة بالقوة البخارية، كما لا يخفى، وتلك الدول المستولية ليس فيهم مسيحي حقيقي، بل هم حشرات العالم، لا يُعْلَمُ دينهم، فمنهم الطبيعيُّ، ومنهم مُنْكِرُ النبوات، وآخر يهودي، أو عابد صنم، وقليلٌ منهم مَنْ يعبد الصليب، ولعله لا يوجد فيهم مسيحي حقيقي.

والحق إن الدين المسيحي الحقيقي انقرض بانقراض الحواريين ومَنْ تَبِعهم على الحق، لأن عيسى والتلاميذ والمؤمنين به كانوا يتعبدون في الهيكل مع اليهود، ويسبحون الله بالتسبيحات القديمة المسجلة في التوراة، ويغنون بالأغنية المذكورة في الزبور، إلى أن انقرضوا، كما صرح بذلك الإنجيل، ولا يقال لها: أغنية جديدة، بل قديمة، فكيف يصح ما ذكره هذا الفخور؟!.

وقوله: «ألم يوجد مَنْ سَبَّحَ الله في رؤوس الجبال قبل الإسلام؟».

نعم! يوجد القليل من العرب، ممن كان على شريعة موسى وعيسى، عليهما السلام، يسبح الله، فلا يقال: تسبيح هؤلاء أغنية جديدة، بل عتيقة، لأنهم كانوا مأمورين أن يتعبدوا طبق أحكام التوراة والزبور، والكثير من العرب، بل كلها إلا النادر الذي هو قبيلة تغلب فقط، من قيدار، ولم يكونوا نصارى، ولا يهود، بل كانوا مشركين، وهذا لا نزاع فيه بيننا وبينكم، والحكم لا شك على الأغلب، والنادر القليل كالمعدوم، لا حكم له.

وعلى تسليم كون القليل، من قيدار، كان يهودياً أو نصرانياً، وكانوا يغنون

ويسبحون، فإن أغنيتهم تلك لم تكن جديدة، بل هي الأغنية القديمة، ومع ذلك فما كانوا يسبحون على رؤوس الجبال، بل الذي يغني بالأغنية الجديدة على رؤوس الجبال هو الإسلام، قد مضى على ظهور الإسلام ألف وثلاث مئة وعشرون سنة، والجبال من عرفات يُسبّح فيها في كل سنة ما يزيد على نصف مليون، من أهل الإسلام الموحدين، فأي تسبيح وأغنية على رؤوس الجبال أعظم من هذا، ويا ليت النصارى يُسَبِّحون الله الواحد، ويغنون بالأغنية القديمة التي كانت مفروضاً عليهم إجراؤها في بيت المقدس، التي جعلها الله لهم قبلةً عند صلاتهم، ولم يحوِّلُوا قبلتهم إلى مطلع الشمس، ويسجدوا لخشبة الصليب والخمر.

ومما يؤيد ذلك بأن الرسول الموعود به غير عيسى قولُه في هذا السِّفْرِ: «أنا الرب، قد دعوتك بالبرِّ فأمسك بيدك، وأحفظك، وأجعلك عهداً للشعب» ولو كان هذا الرسول الموعود به بهذا السفر هو عيسى، عليه السلام، لَلَزِم منه أن يكون الله أخلف وعده، لأنه لم يُمْسِكْ بيدِهِ ولا حَفِظَهُ من اليهود، على زعم النصارى، بل زعموا أنه استغاث بالله، ولم يُغِثْه، وسأله أن يخلصه من سفلة اليهود، ولم يعطِه، فتبين بما ذكرنا أن الرسول الموعود به في هذه النبوة هو غير عيسى، ولا يصدُق إلا على خاتم الأنبياء، ﷺ البتة، لأن الله أمسك بيده، ونصره، وليس على ضَعفَةِ اليهود فقط، بل على الخليقة كلها، ولا سيما حفظه من صناديد قريش، كما صرح بذلك القرآن الكريم بقوله ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة] وكان الأمر كما أخبر الله تعالى في سفر أشعياء، وفي القرآن، وهو أصدقُ قائل وأعدل شاهد.

ومما يؤيد ذلك ما جاء في هذا السفر المذكور ما نصه: «أنا الرب، هذا اسمي، ومجدي لا أعطيه لآخر وتسبيحي للمنحوتات».

تنبيه: من هذا يفهم صريحاً «أن الله لا يقبل أن يقال لعيسى هو الله، ولا

يرضى بالسجودِ والتسبيحِ لخشبة الصليب والخمر» إلى أن قال في السفر المذكور «هُوَذا الأُوليات قد أتت، والحديثات أنا مُخْبِرٌ عنها، قبل أن تنبت أعلمكم بها» انتهى.

انظر - هداك الله - إلى هذه الدقائق والإشارات البينات، من هذه النبوة، فإن الذي يفهم منها أن الله تعالى يخبر عن حال اليهود وطغيانهم وقتلهم الأنبياء، وذلك من قوله: هوذا الأوليات قد أتت. وكذلك يخبر عن ضلال النصارى قبل وقوعه، بقوله: والحديثات أنا مخبر عنها قبل أن تنبت الخ أي: سيتَّخذون المصلوبَ إلَهاً، ويُمَجِّدونه، ويسبّحون للمنحوتات والتماثيل والأيقونات المار بحثها، فلذلك قال: «اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر، وتسبيحي للمنحوتات» إلخ فكأنه يشير إلى أن عند وقوع ذلك، أسلبُ القضيبَ والنبوة منهم، وذلك بظهور رسولٍ صاحبِ شريعة مستقلة، ليس من بني إسرائيل كما صرح آنفاً بقوله «وأجعلك عهداً» فكان كما قال، فإن محمداً، ﷺ، أتى بالقرآن، وفيه تسبيحاتٌ وعبادات جديدة غير الأغنية القديمة التي كانت في التوراة والزبور، فلذلك قال في نبوة أشعياء المذكورة: «غنُّوا للرب أغنية جديدة، تسبيحة من أقصى الأرض، أيها المنحدرون في البحر وملئه، والجزائر وسكانها، لِتَرْفَعِ البريَّة ومدُنها صوتها، الديارُ التي سكنها قيدار لتترنم، سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا الرب مجداً، ويخبروا بتسبيحة في الجزائر» انتهى.

انظر، أيها اللبيب! فإن الديار التي سكنها قيدار، لا نزاع فيها بأنها بطحاء الحجاز التي منها مكة والمدينة، وأما سالع فهو اسم جبل في باب المدينة، على صاحبها أفضلُ الصلاة والسلام، وفي العبرانية يقال له سالع. وفي العربية سلع، وإن سكان تلك الأراضي والديار، لا شك هم أول المؤمنين برسالة خاتم الأنبياء، ﷺ، وهم مَجَّدوا الله تعالى، وسبحوه بعدما كانوا يسبحون للمنحوتات، ولا سيما في جبل عرفات، فإنهم كبروا الله وعَظَّموه وهللوه ووحَّدوه ونزهوه،

وبعد الهجرة ترنمت سكان سالع بأنواع التسبيح والتهليل والترحيب الجديدة بمن هاجر إليهم، وانتشر الدين منهم وعنهم.

والعجب لهذا المؤلف، فإنه تارة يسمي سالع جبال صخرية بدون تعيين محلها، هرباً من الفضيحة، وتارة يدلس بقوله: إن الإسلام لا يمتد في المسكونة مثل امتداد النصرانية، وهذا أيضاً خلاف الواقع، وخارج عن الصدد والبحث، ولو كانت الكثرةُ والامتداد تفيد الصحة، لكان أصح الأديان عقيدة عَبدَةِ النيران والأوثان وسائر الأديان المخالفة للكتابيين، ومنهم النصارى، لأنهم أشركوا بصراحة القول والفعل، وتَمَسُّكهم بالتوراة والإنجيل لفظٌ باللسان، ورفضٌ في الجَنَان، كما يدل عليه فِعْلهم وعملهم، بل دعواهم عارية عن الدليل، وأعظم أركان عقائدهم اعتقادهم بأن الخمر والخبز ينقلبان عن دم المسيح وجسده، فهم في كل يوم يأكلون جسد إلَههم، ويشربون دمه بلا ضرورة، بل تعبُّداً، على أنَّ مشركي العرب أهونُ شراً منهم، لأنهم كانوا يأكلون آلهتهم المصنوعة من التمر، عند الجوع ضرورةً لا تعبداً.

والعجب كل العجب من هذا المؤلف، كيف ينكرُ الشمسَ في رابعة النهار، وإن كتبهم تصرح، ومؤرخوهم يوضحون أن الدين الأحمدي انتشر بسرعة، وعَمَّ المسكونةَ، ولم تمضِ من وفاة النبي الأمي، ﷺ، ثلاثون سنة إلا وعمّ دينه الخافقَين، وزِد على ذلك جزائر البحار حتى زاد عددهم على أربع مئة مليون من النفوس، وأما الدين المسيحي، كما ترى وصفه وحاله في «إظهار الحق» و«الفارق» فإنه لما هجمت اليهود على المسيح، لم يبقَ معه أحدٌ من التلاميذ والمؤمنين به، بل كلهم هربوا، وبعضهم ترك الإزار بيد اليهود، وانهزم عرياناً، وارتدَّ البعضُ من الحواريين، حتى إنهم زعموا أن الله - تعالى عما يقولون - كان لابساً جسدَ المسيح، وعند الصلبِ ترك لباسَهُ بيد اليهود، ولم يبق إلا بطرس يتبعه من بعيد، وهو أيضاً أنكره، ولعن نفسه، وأقسم بالله بأنه لا يعرفه، وكذلك

زعمتم أن المسيح كان يصرخ من العذاب، حتى استغاث بالله أن يُخَلِّصَهُ، ولم يُغِثْه حتى تَبرّأ الخالقُ والمخلوق منه، بزعمكم، فأين تلك المحاربات الروحية التي ذكرها المؤلف، والإله بعدما كان لابس الجسد، تركه بيد اليهود، ولم يتقبل دعاءه، على زعمهم.

وخلاصة الأمر: بقيَ الدينُ بعد قضية الصلب ضعيفاً جداً، ولم ينتشر الدين إلا بعد انقراض الحواريين، لأن رؤساء الضلال والخَلَسة، ولا سيما الذين هم من الأورباويين، تَغلَّبُوا بواسطة ملوكهم، كقسطنطين الرومي وأمثاله، فأخفوا أصلَ الإنجيل العبراني المجلوب من الهند إلى الإسكندرية، المنسوب إلى متى، كما مر بحثه، وفعلوا ما فعلوا في بقية الأناجيل، إلى أن استقر حالهم على هذه الأناجيل الأربعة، كما تراها، وهي ينقضُ بعضُها بعضاً، وأباحوا كافة المحرمات، كلحم الخنزير والسُّكْر، وبَدَّلُوا القِبلة إلى مطلع الشمس، عناداً باليهود، واتخذوا المصلوبَ المهان إلَهاً ثانياً ومعادِلاً لله، وشريكاً بقداسته، وخالقاً مثله، ليس مخلوقاً، ورفعوا التكليفات، ولا سيما الخِتان، وكسروا السبت، وأباحوا للرجال والنساء الاجتماع في الجلوات والخلوات، في المعابد والمنتزهات، لا شرعَ يمنعهم، ولا رجل يردعهم، فالزواني منهن يغفرُ لهن القس في الخلوات، والمخدرات يتراقصن في المجتمعات، وهن معتنقات بالشبان الحسان، وهكذا انتشر دينُ الخلاعة، لا دينُ المسيح.

أيها المؤلف! فأيّ فَخْرٍ لك في هذا العار المبني على جُرُف هار، فانهار بك إلى النار؟! أتظن أن الحياة الأبدية تحصل من تغلب الطبيعيين والماديين، أو من قوة البخار، أبعد هذا يسوغُ لك أن تغضب على صاحب «إظهار الحق»، وتسميه إظهاراً، وتكتم الحق، كقولك في رسالتك بصحيفة (٩٣) ما بال صاحب الإظهار، كلما أنس من كلمة تنسب إلى إسماعيل أو العرب، ينسبها إلى محمد، ألا يوجد في العرب غير محمد! إن هذا لعجب عجاب.

أقول: نعم! كما لا يوجد في بني إسرائيل رسولٌ مثل موسى، صاحب معجزات وشريعة مستقلة، كذلك لا يوجد في العرب مثل محمد رسول، صاحب معجزات وشريعة مستقلة، وقد انتشر دينه من المشرق إلى المغرب، وكما أن المؤلف جمع في المصلوبِ أنواعَ الرذائل، فكذلك صاحب «إظهار الحق» جمع في محمد أنواع الفضائل، كما قال البوصيري، رحمه الله تعالى.

دع ما ادَّعتْهُ النصارى في نبيهم ... واحكمْ بما شِئتَ مَدْحاً فيه واحتكمِ
لا تعجبَنْ لحسودٍ راح ينكرها ... تجاهُلاً وهو عين الحاذق الفَهَمِ
قد تُنكِرُ العينُ ضوءَ الشمس من رمد ... وينكر الفمُ طعمَ الماء من سَقَمِ

ومع ذلك فالمعترض على «إظهار الحق» قد خرج عن الصدد، في ذكر انتشار الدين المسيحي في أنحاء الأرض، أزْيَدَ من الدين الإسلامي، لأن البحث هنا في التغنِّي بالأغنيَة الجديدة على رؤوس الجبال، المار ذكره في سفر أشعياء، وهو لا ينطبق على تغني اليهود والنصارى، لأن صلاتهم وتسبيحاتهم قديمة، مأخوذةٌ من التوراة والزبور، وعلى هذا فبالضرورة يلزم أن يكون التغني الجديد هو غير تغني اليهود والنصارى، كما ذكرنا، ولا يوجد تغنٍ جديدٌ على سطح الأرض وفوق رؤوس الجبال غير التغني بالدين الإسلامي، فافهم وتأمل.

وهكذا سائر تأويلات المؤلف للنبوات، واعتراضاته على «إظهار الحق»، فإنها كلها قضايا مموهة ومصنعة، على خلاف الحقيقة، فيلزم على كل مطالعٍ لرسالة هذا المطران أن لا يعتمد على نقولها من الكتب المقدسة، و«إظهار الحق» لأنه يزيدُ وينقص، ويكتمُ الحقائق، ويتكلمُ بكلامٍ غير لائق، ولا حاجة لذكره.

ومن أراد الوقوف على الحقيقة، فليراجع الأصل، ولا يعتمد على نقله. انتهى.

البحث الرابع

(في رد الرسالة الرِّعائية)

وقد عثرتُ برسالة رابعة، تسمى «رعائية» لمؤلفها بطرس أبو كرم، مطران الطائفة الكاثوليكية المارونية في بيروت، فطالعتها أثناء اشتغالي بكتابة هذا الذيل، فوجدته يرد فيها على الفاضل بولس كين الأميركاني، في اثني عشر اعتراضاً على العقيدة الكاثوليكية، وهذه الرسالة بعدما طبعت أولاً في سنة ١٨٢٠ ميلادية بمدينة رومية، طبعت ثانية بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٧١، والنسخة التي عثرت بها هي من الطبعة الأخيرة، وبعد التأمل فيها، وجدتُ المُعْتَرَضَ عليه أصاب المرمى والمطلب، والمطرانُ يروغ في ردوده كما يروغ الثعلب، وقد أخطأ في أجوبته، وأتى في بعضَ أبحاثه بما يتوهم القارىء أنه ينفي بعض ما أثبتناه في كتابنا «الفارق» فلخَّصتُ تلك الأسئلة والاعتراضات، بردودها على ترتيب الرسالة، في هذا البحث، وجعلته خاتمة لهذا الذيل، ليقف القارىءُ على تلك الجهالات التي يدعي هذا المطران أنها هي الدين المسيحي، وما عداها باطل. قال المطران:

الاعتراض الأول

يقول هذا الفاضل الأميركاني ما خلاصته: «إن المسيح عليه السلام، هو وحده رئيسُ الكنيسة، يعني هو الشارعُ لها، فعنه وحدَهُ يُؤخَذُ الدين المسيحي، واستدل لذلك بما في الإنجيل المنسوب لمتَّى، ونصه «فأما أنتم فلا تدعوا معلمين، فإن معلمكم واحد وهو المسيح، وأنتم جميعاً إخوة، ولا تدعوا لكم أباً على الأرض، فإنَّ أباكم واحد، وهو الذي في السموات»، وأيَّدَ ذلك بما نقله من رسالتي بولس وبطرس، بتأكيد القول والعمل، بموجب هذا النص، ثم أردف هذا التأكيد بقوله: بعد مرور أجيال من عروج المسيح، وجد أول أسقف في رومية،

إلا أنه لم يتجاسر أن يجدف بقوله: إنه هو رأس الكنيسة، وقال أيضاً ما يؤيد قوله: إن المسيحيين الأولين ما افتكروا قطعاً أن يدعوا أحداً رأس الكنيسة إلا المسيح».

قلتُ: وبهذا بطلت وظيفةُ البابا الذي أقام نفسه بأنه المعلم للكنيسة المسيحية ورأسها، بمعنى أن ما يُحِلّه للأمة فهو حلالٌ، وما يحرمه عليهم فهو حرام، ولعمري! إن هذا الاعتراض لهو الحق، ولو أطلق للأمة المسيحية العمل بموجبه، لما نشأت فيها تلك الضلالات، لأن هذا القيد الذي تقيدت به، هو الذي أوقف الأفكار عن مسارح النظر، في الاستدلال على وجود الصانع، وتنزيهه عن النقائص، ولو خُلِّيَ الإنسان على فطرته، وإنْ نشأ في شاهقِ جبلٍ، يعلمُ ويعقلُ من جهة النظر أن الثلاثةَ غير الواحد، والواحد لا تطرأ عليه الكثرة، ولكن أتت وظيفة البابا تغذي المسيحي، وهو طفل بأنَّ الاستدلالَ من جهة النظرِ حرامٌ عليه، ففطر عليها، وعليها دبَّ ودرجَ، وصار يعبد آلهة لا يدركها، ويعتقد عقيدة لا يفهمها، ولعمري! إن هذا الفاضل الأميركاني أتى بطامة، تقطعُ وسائلَ رزق القس والمطران والأسقف والرهبان حيث يقول في اعتراضه «وأما البابا فإنه ضابطٌ بيدهِ سيفاً أرضياً، وهو يملكُ كأرباب العالم» انتهى قوله ومقالتنا عليه.

قال المطران في مقدمة الجواب ما ملخصه: «إنَّ للكنيسة رأسين منظوراً وغير منظور»، وجعلهما من وظيفة المسيح، ما دام على وجه الأرض، وبعد عروجه إلى السموات العُلَى سلب عنه الوظيفة الأولى، وقد أثبت ذلك بتمثيله بالرأس الطبيعي في تدبيره البدن، وليته يعلم أنَّ كلَّ عاقلٍ مسيحياً كان أو غير مسيحي يرفضُ مقالته هذه، ولا يعتبر له هذه الفلسفة المنقوضة من سائر أطرافها، ثم أخذ يثبت بطريق هذه الفلسفة أن البابا هو الرأس المنظور، ويخبطُ خبطَ عشواء، وقد ملأ نحو عشرين صحيفة، لو اطلع عليها القارىء، لوجدَ هذا المطران قد أخذ بيده مِعْوَلاً، يهدمُ به ما أقامته أسلافُه من دعائم العقيدة المسيحية، وأقوى ما

تَمسَّكَ به لإثبات البابوية قول المسيح لبطرس ونصه: «ولكَ أُعطي مفاتيحَ ملكوت السموات» إلخ. ولم يعلم أن هذا النصَّ مطعونٌ فيه، ومنازع عليه، هل هو من أصل الإنجيل، أو إلحاق من الأساقفة كما مر بحثه في «الفارق»، و«إظهار الحق».

ثم لو صَحَّ، لكانت تلك الرياسة منحصرةً في بطرس فقط، لا تتعداه، كما هو مقتضى نص الإنجيل، وقد تقدم في «الفارق» الكلامُ عليه، ونحن لا ننازع في رياسة بطرس، ولا في من أقامه بعده رئيساً، ونسميها رياسة دينية، وهي قانونٌ في سائر الأمم، من ابتداء خلق الله العالم إلى أن يفنى، ولكن لا بمعنى أنه معصومٌ وشارع، يُحَلِّلُ ويحرِّمُ ما يريد، لأن هذا المنصب لا يليق إلا للرسول، عليه السلام، كما قالت به العلماء البروتستانية، وهو الحق.

على أننا نجد أنكم سوّدْتم صحائفَ الكتب المقدسة بصدور الخطأ وكبائر الآثام، كالزنا وشرب الخمر والكذب والسرقة، وقتل النفس ظلماً، ونقل الكفر عن الرسل والأنبياء، فعلى فرض أن بطرس مثلُهم، أفلا يجوز عليه ما جوّزتم صدوره منهم، وهو منافٍ للعصمة.

ثم هؤلاء مؤرخوكم ينسبون للباباوات كبائر الذنوب، كما نقلناه عنكم في «الفارق» فَمَنْ تكون هذه حالتُه، فكيف يأمَنُه الشارعُ على تغيير ما جاء به من الله بمجرد هواه، نعم! قد استفادت الأمة المسيحية من البابوية رفعَ التكليفات والختان، وكسر السبت، وتحليل لحم الخنزير وكافة المحرمات المشروعة، بنص الكتب المقدسة، على الأمة المُرْسَلِ إليها المسيحُ، إذ أبطلت الوظيفة البابوية جميع ذلك، وشرعتْ لهم شرعاً جديداً روحياً، استغفلت به عوام الأمة النصرانية، فدبَّ دَبيبهُ إلى عقلائها، وذلك غفران الخطايا، ولنِعْمَ الرشوةُ التي في مقابلتها أبطلت الوظيفةُ البابوية ما شرعه الله تعالى في التوراة والإنجيل.

ومن أين يرى العالَمُ البشريُّ شرعاً، يَدَعُ الإنسانَ يمرحُ في ميادين الجهل، يسرق ويكذب ويزني، ويشرب الخمر، ويأتي كل الفجور، وهو آمنٌ من مكرِ الله وعقابه، بمجرد قول القس له: قد غفرتُ لك، فهذا الذي اعترض عليه هذا الفاضل الأميركاني، من تلك الرياسة التي أنكرها.

ولعمر الحق! إنه قد شَمَّ رائحةَ العقل، ومَيَّزَ بفكره بَعْد أن أقر بوجود الصانع، أنه هو وحده لا شريك له، وأنه هو المعطي والمانع.

الاعتراض الثاني

يقول هذا الفاضل، مستنداً لنص بولس من رسالته الأولى إلى تيموثاوس، ونصه: «قد يجب أن يكون الأسقف من لا يوجد فيه عيب، ومن كان بعل امرأة واحدة إلخ» ومرمى غرضه أن الكنيسة الرومانية حرمت التزوج على أصحاب الوظائف الدينية، ولعمري! إن هذا الاعتراض هو الذي أقام أوربا وأقْعَدها، ولا سيما في زماننا، وقد قبلته أخيراً الدولُ المسيحية التي دخلت في دور المدنية الإنسانية، ونزعت لباس التوحش، ولنأتِ على جواب المطران، فنقول:

قال المطران «كيف لا يخجل هذا الأميركاني من أن يفضل الزواج على العفاف والبتولة»؟

أقول: هذا من باب التمويه على ضعفة العقول، لأن اعتراض الأميركاني لم يكن في بحث تفضيل الزواج على البتولة، حتى يتكلَّفَ هذا المطرانُ لإثباتِ عكسه، بل إن نَصَّ كلامهِ صريحٌ في الاعتراض على أصحاب الوظائف الدينية الذين حرموا الزواج على أنفسهم، مع أنهم مأمورون به نصاً وعقلاً، كما أباحوا لأنفسهم الخلوةَ بالنسوة والمُرْدِ الحِسان، وهو مخالفٌ للعقل والنقل. وزعم المطران أن هذا النص الذي احتج به الأميركاني، لا يوجد فيه وصية، ولا حَتْم.

أقول: انظر أيها اللبيب إلى هذا الكلام العقيم والرأي السقيم! حيث لم يفهم

معنى قول بولس «وقد يجب» وهل الوجوب غير الحتم، فإن الواجب ضروري الاتباع، وترْكه معصية، ولا يُحمل الواجبُ على غير هذا المعنى، ولا يَخْفاكَ أن الأمر ثلاثة أنواع: الوجوب، والاستحسان، والإباحة. وأما الأمر المصرح فيه بلفظ الوجوب، فلا يحمل على غير النوع الأول، فافهم.

وقوله: إن هذا النص مدفوع بنص آخر، عن بولس ذاته، كما في رسالته الأولى إلى كورنثوس - ص٧ ونصه: «فجيدٌ للإنسان أن لا يلامسَ امرأة».

أقول: لعمري إن هذا المطران ممن نص عليه المسيح، إذ تلبّس للأمة النصرانية (بثياب الحملان) لأنه افترض على الأمة عدم ملامسة النساء، بمجرد قوله في النص «فجيد» ورفع عنها وجوب التزوج المنصوص بقوله «وقد يجب» ولم يكتف، بل كتم أغلب النص، وتمامه هكذا «ولكن لسبب الزنا، ليكن لكلِّ واحدٍ امرأته، وليكن لكلِّ واحدةٍ رَجُلها».

انظر - هداك الله - إلى اختلاس هذا المطران، وغِشّه لهذه الملة، فقد كتم من هذه الجملة نصفها، ولله دَرُّه ما أشرهه وأوسع بطنه، والأعظمُ منه أنه تناول الأخرى قبل أن يمضغ الأولى ويبتلعها، حيث استشهد على خصمه بفقرة من رسالة بولس المتقدم ذكرها، ونصها «إنني أشتهي أن تكونوا جميعكم مثلي، وأقول للذين لا نساء لهم وللأرامل: إنه حسنٌ لهم إذا مكثوا مثلي» فانظر أيها اللبيب! كيف سكت عن باقي هذه الجملة صنيعة، وهي أزْيَدُ من النصف، وهاكَ نصّ الباقي «ولكن إنْ لم يضبطوا أنفسهم، فليتزوجوا، لأن الزواجَ أصلحُ من التحرّق».

ولعمري! لو نظر المسترشد نظرَ المنصفِ إلى درجة ركاكة هذا المذهب، وارتكاب هذا المطران وخيانته للأمة النصرانية وجراءته على تكذيبِ المسيح والحواريين وبولس معهم، ومن قبلهم من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم

أجمعين، لولّى مُدْبراً، ولم يعقّب، لأنه ليس فيهم مَنْ يقولُ بتحريم الزواج، وتَحمَّلَ المطرانُ هذا التكلُّفَ كله، لينتصرَ لمذهبه الذي لم يَقُلْ به أحدٌ سوى البابا وحده، وقد علمتَ أنه من الآراء الفاسدة، ولو كان الأميركاني ذاهباً إلى أفضلية الزواج على التبتل، لجاز له أن يتمسك في رده بأقوال بولس، من هذه الرسالة، كقوله «مَنْ تزوج، فحسناً يفعل، ومن لا يتزوج يفعل أحسن» فهذا على الاستحسانِ لا على الأمر، كما هو صريحُ اللفظ، وكقوله فيها: «أنت منفصل عن امرأة، فلا تطلب امرأة، لكنك إن تزوجت، لم تخْطِ، وإن تزوجت العذراء لم تخط» لَكُنَّا التمسنا لردِّه عُذْراً، ولكنه ذهب إلى تحريمِ الزواج، ولا سيما على الراهب المسكين والراهبة الحزينة، بعد أنْ أمرهما بشرب الخمور وأكل لحم الخنزير اللذين هما من أقوى أسباب توفر المادةِ الشهوانية في جسم الإنسان وقد حبسهما في الليالي، في خلوةٍ واحدة، أليس هذا منه إذنٌ عام لهما بالزنا الصريح، وارتكابِ فعلِ القبيح، فلذلك أخذت الحمية الإنسانية تثور في فكر الفاضل الأميركاني، وأمثاله من العقلاء، على مقاومة هذا المذهب الباطل الذي لم ينص عليه وحيٌ منزل، ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ، وما هو إلا مجرد اتباع الهوى ووسوسة الشيطان الرجيم. ويضحكني تفسير المطران وتأويله الفاسد لقول بولس ولفظه.

قوله: «يجب أن يكون الأسقف بعلَ امرأةٍ واحدة» أي لا يكون تزوج امرأة وماتت، ثم أخذ غيرها بعدها، لأن هذا يسمى بعل امرأتين، فمن مثل هذا يفهم قول الرسول: إنه لا يجبُ أنْ يكون أسقفاً.

هذا كلامه بالحرف، وهو عين الخَرَف، ولقد تضحكُ منه الثكلى، لأن تأويله ينقضُ مذهبه، ويؤيد حُجةَ خصمهِ الأميركاني، لأن الذي يفهم من تأويله أن الأسقف مأذونٌ له بالزواج، ولكن إذا ماتت امرأته، لا يسوغُ له أن يتزوج بأخرى، لأنه حينئذٍ يسمى بعلَ امرأتين، على أنه لو ماتت الثانية، وأخذ غيرها،

وماتت أيضاً، وأخذ بعدها ثالثة، وهكذا إلى ما لا نهاية له، فلا يُسَمَّى بعرفِ أرباب العقول إلا بعل امرأة واحدة البتة. وهل في قوانين المخاطبات غير ذلك إلا إن كان ذلك بين المجانين.

ولعمري! إن هذه الفضيحة جعلت هذا المطران بعيداً عن العقلاء رأساً، فالويلُ له يوم يَلْقى بولس بين يدي الله، ويقول يا رب: إنَّ هذا ظلمني، وكذبَ عليَّ وعلى كتبك وأنبيائك، بتأويله العقيم الذي استنتجه من عقله السقيم، وأنتَ تعلمُ بأنِّي لم أقل إلا هكذا «فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة صاحياً عاقلاً يدر بيته حسناً، له أولاد في الخضوع بكل وقار، وإنما إن كان أحد لا يعرف أن يدر بيته، فكيف يعتنى بكنيسة الله».

ليت شعري! فماذا يكون حينئذ جواب المطران؟ أنصفني - هداك الله - أيكون بعد هذا البيان تدليس في التأويل.

ومن تدليسات المطران، لمنع الزواج كذلك، ما استشهد به من قول بولس، من رسالته، ونصه.

«إن الذي لا زوجةَ له يهتمُّ بأمرِ الرب، كيف يرضي الله، والذي له زوجة يهتم لأمر الدنيا، كيف يرضي زوجته» فزعم أن هذا النص أحد النصوص التي حرمت على الأسقف الزواج، حال كونه ابتلع آخر النص، وهذا نصه «مَنْ تزوج فحسنٌ، ومَنْ لم يتزوج فأحسن».

انظر - هداك الله - إلى غباوة هذا المطران وتدليسه على الملة، فإن الزواجَ أغضُّ للبصر وأحصنُ للفرج وأرضى للرب، وهل تمنع الزوجةُ الرجلَ عن العبادة؟ كلا وأيمُ الله! إنها تُعينه على ذلك، ومَنْ تأمل في حالة الرجل الأعزب، رآه في الأكثر مهتماً بتفريغِ شهوته بأيِّ صورة كانت، ولا سيما الشاب والكهل، ولا سيما الأسقف ومَنْ على مَسْراه، ممن يختلي بالحسناء، لأجل الغفران، وهو

ذلك الرجلُ الفحلُ الممتلىءُ جسمه دماً، من شُربِ الخمر وأكل لحم الخنزير، ويسمعُ إذ ذاك إقرارها الرقيق، وكيف فعل بها العشيقُ، لعمري! لو أنها عجوزٌ في الغابرين، لم يمكنه أن يملك نفسه عنها، بل هو معذورٌ من وقوع الفجور منه، لا سيما وقد تقرر في مذهبه أن خطيئته مغفورةٌ من الرئيس، وذنوبه عليه غير محصورة من إبليس، ولا سيما أن إلّهه المصلوب قد قتل نفسه، ودخل جهنم، وصار لعنةً عن خطيئته، وأن دمه فدية عن دم نعجته، ولعمري! لو كان الزنا كالخمر يهتك مقترفه، لانجلى الغبار عن مثل تلك الحالة، ولله در القائل.

لـو كـان كـل حـرام كـالمـدام بـه ... سُكْرٌ لبانَ صريحاً مَنْ هو الصاحي

ثم استدل المطران على نقض كلام الأميركاني بقوله: «لو كان لا يجوز للأسقف أن يكون بتولاً، بل بعل امرأة، كما زعم الخصمُ، لكان بأولى حجة لا يجوز أن يكون يوحنا الحبيب أسقفاً، لأنه كان بتولاً، ويكون السيدُ المسيحُ قد غلط بتعيينه، ولا كان يجوز تعيينُ بولس الرسول أيضاً أسقفاً، من حيث أنه ليس ببعلِ امرأةِ إلخ».

أقول: هذه مغالطةٌ من المطران، كما غالط أولاً، لأن الأميركاني لم يقل بحرمة التبتل، حتى يستدلَّ على نقض كلامه بما ذكره، وهذا على فرض صحة القول بتبتلهما، وإلا فقد وافتنا الأخبارُ عن كتب علمائهم، بأن العرس الذي دعي له المسيح وأمه، في قانا الجليل، وقلبَ فيه الماء خمراً للسكارى، كان عرسَ يوحنا الحبيب، ومع ذلك فإنهم زعموا بأن يوحنا وبولس رسولان، يُوحَى إليهما كموسى والأنبياء، فكيف يكونان أسقفين. وهذا قولٌ بِدْعٌ في الدين، ولعل النصرانية لا ترتضيه. وعلى كلٍّ فإن مدافعات هذا المطران فاسدة ومردودة البتة.

لطيفة: لو سألنا المطران عن امرأة، تزوجت برجل، فمات، ثم تزوجت بآخر، وهكذا إلى عشرة أزواج، فهل يقال لتلك المرأة: ذات عشرة أزواج، أو

ذات زوج واحد؟ فعلى مقتضى تأويله ومذهبه، لا بد أن يقول: إنها ذات عشرة أزواج، فأجيبه أنا، بل تجيبه العرب والعجم حينئذ: كَهْ كه[1].

الاعتراض الثالث

قال الفاضل الأميركاني: «إن بولس يقول في رسالته إلى تيموثاوس «إن الله واحد، والمسيح وسيط، لا يأتي أحد إلى الأب إلا بالمسيح» والكنيسة الرومانية تقول: «إن مريم العذراء والقديسين والملائكة أيضاً وسطاء» فكأن الأميركاني يقول: لو جاز وساطةُ غيرِ المسيح، لكان صلبُه والفداءُ عَبَثاً.

فأقول: أما كون العذراء والأبرار شفعاء، فمسَلَّمٌ، وأما البابا وأمثالُه فلا، ولكن المطران لم يُعْطِهم رتبةَ الشفاعة فقط، بل جعلهم وسطاء كالأنبياء، وزعم أنهم أعلى من الرسل، لأنهم يغفرون خطايا مَنْ شاؤوا من المذنبين، فتبين أن اعتراض الأميركاني على الكنيسة الرومانية واردٌ البتة، ويجب حينئذٍ إما رفض عقيدة الاعتراف، أو رفض عقيدة الصلب، بزعمهم أنه كان للفداء عن الخطايا، والوجهان باطلان، كما مر إثباته في «الفارق» و«إظهار الحق».

الاعتراض الرابع

قال الفاضل الأميركاني: «يقول الله في الوصية الثانية من الوصايا العشرة المكتوبة على اللوحين، ونصها:

لا تتخذ لك صورة وتمثالاً، ولا تسجد لهن، ولا تعبدهن. من سفر الخروج والكنيسة الرومانية تصنع جوقة من الصور والتماثيل، ويسجدون لها».

أجاب المطران: إننا استدلينا على جواز السجود للصور والتماثيل تقويةً، من ظهور الصور القديمة التي هي من أزمنة الرسل، ومن مرسوم المجمع النيقاوي

---

(١) تعبيرٌ عن الضحك والقهقهة، أو هو صوتُ القهقهة.

الثاني، ومن أوامرِ اللهِ لموسى بأن يصنع كاروبين من الذهب، على جانبي التابوت، وأنْ يصنع حية من نحاس، ويجعلها آية لمن تلدغه حية، فينظر إليها، فيحيى. انتهى.

أقول: إن استدلالَ المطران بظهور الصور القديمة ساقط، لأنها لا تكون حجةً على جواز السجود الذي منعته الكتبُ المقدسة، وكذلك استدلاله بالمجمع النيقاوي الثاني أيضاً فاسد، إذ المجمع النيقاوي وغيره من المجامع لا يُغَيِّرُ حُكْمَ التوراة والإنجيل، واجتماعهم على إباحة السجود للصور كاجتماع بني إسرائيل على العجل.

وأما استدلاله بأوامر الله لموسى صلوات الله عليه، فقد تَصفَّحنا التوراةَ كلها، فلم نجد كلمة واحدة منها تدلُّ على الأمرِ بالسجود للصور والتماثيل، بأيِّ كيفيةٍ كانت، وإنما هي عبارة عن بيان حكمة ومعجزة، لا أمرٍ بالسجود لها، وهذا صريحٌ ومفهوم، لا غبار عليه.

وقوله: يجوزُ السجود للتماثيل والصور تقويةً، لا لأنها آلهة، أي تعظيماً، ولا أعلمُ حينئذٍ ما الفرقُ بين ذلك وبين عبدة الأوثان والأصنام، لأنهم كذلك، لا يعتقدون بأنَّ الصورَ آلهة، بل يُعظِّمونها، لأنها تُقَرِّبُهم إلى الله زُلْفى، كما قال المطران بأنهم يسجدون لها سجوداً، لوجوبِ إكرامها، وهو عينُ الشرك، ولا فرقَ بينهما.

على أن المفهوم من خلاصة جواب المطران: أن أوامر البابا للشعب بأن يسجدوا للصور كأمرِ الله لموسى بأن يصنع الحية والكاروبين المار ذكرهما، وعلى زعمه في هذا القياس، فإن البابا يقتدر أيضاً أنْ يأمرَ الشعبَ بأن يسجدوا له، كما هي عادتهم، مستدلاً بأمر الله للملائكة أن يسجدوا لآدم، فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر.

وعلى مقتضى فِكْرِ المطران ومذهبه، فما جازَ لآدمَ، جاز للبابا، لأن كلاً منهما بشرٌ، بل سجودُ الملائكة لآدم يكون أعظم تعجباً من سجود النصارى للبابا، ولو أن المطران يُغمضُ عن محاورةِ الأميركاني، لكان أسْتَرَ لضلاله من هذا الجوابِ الفاسد، وقد فضح نفسه بين الناس، وهذا كله مبنيٌّ على الفساد وسقامة الفكر وحب الرياسة والكبر، وإلا، فكيف يخطر بفكر العاقل بأن أمْرَ البابا كأمرِ الله، لا يُسأل عما يفعل.

الاعتراض الخامس

يقول الفاضل الأميركاني ما خلاصته: إن يوحنا الحبيب يقول: ودَمُ ابنه يسوع المسيح يُطَهِّرنا من كل خطيئة، والكنيسةُ الرومانية تعلم بأن المطهر واجب، ليطهر من الخطايا في بعض الأحوال، وإذا كان ذلك كذلك، فليس الخلاصُ بكلّيته متعلقاً بآلام المسيح. انتهى قوله.

أقول: من حيث أن هذا الاعتراض لا كبير فائدة تحته، وأنَّ جوابَ المطران ساقط بالكلية، أضربنا عن الخوضِ في البحث فيه، ومع ذلك فإن المطران قد سَوَّدَ خمسَ صحائف، في الرد عليه، وكافة أدلته عبارة عن أوهام، وهي أضعفُ من نسيج العنكبوت، والعاقلُ يعلم أن هذه خرافة، ولا حاجة إلى تكرار البحث هنا، لأن ما حكيناه، في الاعتراض الثالث، كافٍ للرد، ولا سيما وقد سبق البحث في كتابنا «الفارق» في ذلك، ومَنْ أراد الوقوف على تلك الأبحاث، فليراجعها فيه، وعلى كلٍّ فإن قضايا الصلب والفداء وغفران القس ظاهرة البطلان البتة.

الاعتراض السادس

قال الأميركاني: إن القدماء مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، صلوات الله عليهم كانوا يصلون لله، وقد قال يسوع: إنه مكتوبٌ للربِّ إلهك تسجد وله، وحده

تعبد. وقال ماربولس: إن الصلاة والتضرع، مع الشكر، تظهر طلباتكم قدام الله، وهكذا الرسل كافة، كانوا يصلون لله، ويسجدون له وحده، وأن بطرس ما كان يأذن لكرنيليوس بأنْ يسجدَ قدامه. وفي كتاب الرؤيا، قال يوحنا: خررتُ لأسجدَ للملاك، فقال لي: لا تفعل: إني عبد مثلك ومثل إخوتك الأنبياء، والذين يحفظون كلام نبوة هذا الكتاب، فاسجد لله. وقال يسوع لتلاميذه: إذا صليتم، قولوا أبانا الذي في السموات.

ولكن الكنيسة الرومانية تُلَقِّنُ أولادها أن يسجدوا للقديسين والملائكة، وأن يقولوا: يا قديسة مريم: يا والدةَ الله! يا مار بطرس! يا مار ميخائيل! إلخ، على أنه لا توجد وصيةٌ ولا أمرٌ ولا إذن، في جميع كتب الله، أن يُصَلَّى لأحدٍ غير الله، بل ولا في سائر الكتب المقدسة، لا يوجد فيها أنموذجٌ يجوّزُ تقديمَ الصلاة لأحد القديسين. انتهى.

أجاب المطران معترفاً بكل ما اعترض به هذا الفاضل الأميركاني، لكنه أخذ يتعلل ويخبص خبصَ عمياء، ويخبطُ خبطَ عشواء، وخلاصة ما استدل بزعمه على وجوب السجود والعبادة للقديسين، بأمور عديدة صريحة البطلان، فمنها قوله: إنَّ الله أوصانا أن نُكَرِّمَ الوالدين والشيوخ والقديسين.

قلتُ: لا توجد في الدنيا مِلة، كتابية كانت أو وثنية إلا وتأمرُ بإكرامِ الوالدين والشيوخ والقديسين، أيها المطران! متى البروتستانية أهانوا الوالدين والشيوخ والقديسين، حتى تستدلَّ عليهم بذلك؟ ولكنهم لا يسجدون لهم، ولا يطلبون منهم الغفران، ولا يستغيثون بهم كما تفعل الكاثوليك، بل يُكَرِّمونهم، ويُعظِّمونهم، ويحترمونهم، كما قال الله تعالى في كتبه المقدسة، ومنها أيضاً قوله: إن المجمع السابع شهد بلزوم السجود والعبادة للقديسيين.

أقول: قد أجبنا عن المجمع المذكور بأن شهاداته لا تُبطِلُ أحكامَ الناموس.

ومن استدلاله أيضاً قوله: إن إبراهيم ولوطاً ودانيال وغيرهم سجدوا للملائكة.

قلتُ: على فرض صحة هذه الروايات من التوراة، فتفسيرها ظاهر، وهو لا يخرج من وجهين: إما أنهم سجدوا للهِ الذي أرسلَ الملائكة لهم، أو كان في الزمن السابق تعظيمُهم وتَحِيَّتُهم بالسجودِ جائزاً، ولا سيما إذا كان ملكاً مرسلاً من ملك الملوك، وعلى أيِّ وجهٍ كان، فلا يصح أن يكونَ هذا السجودُ دليلاً على صحة ضلال المطران، من وجهين.

الوجه الأول: أن عيسى عليه السلام وتلاميذه ومَنْ هو على فطرته، حَرَّمُوا السجود تعظيماً كان أو تحية أو تَقْوِيةً، وأبطل هذه العادة التي كانت مستعملة قبله، والدليلُ عليه أن كل واحد منهم كان يمنع السجود، كما ذكر الأميركاني آنفاً، حتى أن رجلاً قال للمسيح: أيها الصالح! فأجابه، لا تَقُلْ لي يا صالح! ليس صالحاً إلا الله. على أن المسيح كان أصلح من الصالح، ولكنه سداً لبابِ الفساد في الغلُوِّ والإطراء، رده وعَزَّرَه، فكيف يقبل السجود؟! وإنْ كان من باب التعظيم.

الوجه الثاني: لو سلم جواز السجود تعظيماً وتحية وتقوية، فلا نُسَلِّمُ جوازَهُ لطلبِ الغفران من القديسين، والاستغاثةِ بهم، لأن الصلاة لا تجوزُ إلا لواجبِ الوجودِ، كما هو مُسَلَّمٌ عند الجميع، وهذا المطران صرح واعترف بأنهم يسجدون للقديسين، ويستغيثون بهم، ويطلبون منهم الغفران، ويصلّون لهم، ولو كان الأمرُ منحصراً في السجود فقط، لالتمسنا للمطران عذراً وتأويلاً بأنَّ سجودهم تقوية، وليس عبادة، كما لفّق بجوابه الأول، ولكنهم يفعلون للقديس كما يفعلون لله تعالى، لا يفرقون بين العمل لله والعمل للقديسين قولاً وفعلاً واستغاثة وطلباً وغفراناً، فلذلك صح اعتراض الأميركاني، وبطلت مدافعات المطران.

الاعتراض السابع

قال الأميركاني: إن المسيحَ ليلة أُسِر للصلب، أوصى تلاميذه بأن يفعلوا كما فعل هو بكسرةِ الخبز وكأسِ الخمرِ تذكاراً، والقدماء قد فعلوا كقوله، والكنيسة الرومانية خالفت وصية المسيح وفِعْل القدماء، فهم يستعملون الخبز فقط دون الخمرة، ويعتقدون أنه ينقلب عين جسد المسيح ذبيحة يومية، وهذا خلافٌ للوصية ولقولِ بولس والقدماء، ومنافٍ للعقل، ويستلزم من زعمهم هذا أن يتألم المسيح عليه السلام في كل يوم «وأجاب المطران جازماً، أن الكاهن عندما يقول على الخبز: هذا هو جسدي، وعلى الخمر: هذا هو دمي، يوجد المسيح كاملاً تحت هذين الجوهرين، واستدلَّ على ذلك بقوله: إذا لم يكن ذلك كذلك، لما صَحَّ البتة أن يقال قولاً حقيقياً: هذا هو جسدي إلخ» انتهى.

أقول: فتأمل - يرحمكَ الله - إلى هذه الخرافة، يزعمون أنهم في كل يوم وفي كل زمان وقطر ومكان، يأكلون إلّههم، فليت شعري! بعد أنْ يستحيلَ في المعدة، ماذا يكون؟ ولعمري! إنَّ هذا المطران أظنه قد جاوز الثمانين، فلا يعلمُ ما يقول، ثم أجاب المطران عن أكل الخبز دون الخمر، وملخص جوابه هو أنَّ الخبزَ بعد أن ينقلب عين جسد المسيح، فلا بد من وجود دم المسيح في ذلك الجسد، فلا حاجةَ حينئذٍ للخمر، لأنَّ أكلَ الجسد يشملُ شُرْب الدم أيضاً، وهذا اختلافٌ كائن بين علمائهم الراسخين في هذا العلم، لا نفهمه، ولا تعلُّقَ لنا فيه، وهو وإنْ كان من القضايا الفاسدة، ولكن الحقّ مع الأميركاني، لأنه جعل أمرَ المسيح لتناولِ الخبز والخمر للتذكارِ فقط، لا لكونهما ينقلبانِ جسد المسيح ودمه حقيقة، فإذا صح اعتراضه على الكنيسة الرومانية، باقتصارها على الخبز فقط، دون الخمر، يكون خلافاً لأمره عليه السلام.

والأعظم منه زعْم المطران أن إنكار الأميركاني لانقلاب جسد المسيح خبزاً، ودمِهُ خمراً في كل يوم، لا معنى له، وقد رَدَّهُ بأجوبة تضحكُ منها الثكلى،

والويلُ لهذا المطران بعد أن تقرر في اعتقاده أن المسيح هو الإله، كيف يصح قوله بأنه يُقَدِّمُ نفسه من أجلهم في كلِّ يومٍ ذبيحةً لإلهٍ ثانٍ، وهل هو إلا إنكارٌ لألوهيتِهِ، ولا يبعد على عقله أن يقول: قَدَّمَ نفسَهُ لنفسِهِ ذبيحةً عن خطايا خلقه، وهو عينُ الخرَف.

وعلى كلٍّ فإن قضية انقلاب الخبز والخمر جسداً ودماً، بسطناها في «الفارق»، ولا حاجة لتطويل البحث هنا فيها. انتهى.

الاعتراض الثامن

يقول الفاضل الأميركاني ما خلاصته: إن الكنيسة الرومانية والمارونية والسريانية تحتم بأن تكون الصلاةُ باللغة اللاتينية والسريانية، والحال أن هاتين اللغتين لا يفهمها العامة، وأن ماربولس يصرح ضد استعمال الألسنة الغريبة في الكنيسة، لكونها غير مفهومة من السامعين، إلى أنْ قال: وأنا أشكرُ الله، لأني أنطقُ بالألسنة أكثر من جميعكم، ولكن أحبُّ أن أنطقَ في الكنيسة خمسَ كلمات بفهمي، لأفيدَ علماً للسامعين أفضل من عشرة آلاف كلمة بلسانٍ غير مفهوم. انتهى.

وقد أطال المطرانُ في الجواب نحو خمس صحائف، وختم الجواب بما يؤيد الاعتراض، وذلك من استناده لقولِ الرسولِ بولس ونصه: «لا تمنعوا من الكلام بأصناف الألسنة» ولعمري إنه يريد بذلك عين ما قصده الأميركاني باعتراضه، لأن معنى كلام بولس عدم وجوب التكلم بلسان مخصوص، فكأنه يقول: كل إنسان يتقيد بما يفهم معناه.

ومع قطع النظر عن اعتراض الأميركاني، فإني أقول: من أين لرؤساء الطائفةِ الكاثوليكية أن تُقَيِّدَ الأمةُ باللسان السرياني أو اللاتيني؟! ولِم لَمْ تقيدها باللغة العبرانية التي هي لغة التوراة والإنجيل، والمسيح عليه السلام، فإن كان التقييد

لازماً، فاللغةُ العبرانية أوْلى، لما ذكرنا، وإلا، فلا وجه للتقييد باللاتينية والسريانية، ولكنهم معذورون، لأن حضرةَ البابا منعهم من قراءة الكتب المقدسة، وعن تدبُّر معناها، ولا سيما التوراة واللغة العبرانية، خلافاً لوصايا بولس، ولهذا ضَلَّتْ أفهامهم عن معنى ما يتلونه في عباداتهم وعقائدهم.

الاعتراض التاسع وخلاصته

يقول هذا الفاضل الأميركاني: إن المسيح قال: مَنْ يؤمن بي، فله حياةٌ أبدية، ولم يقل، بالإيمانِ بغيره، وكذلك التلاميذ كانوا ينادون بالإيمان بالمسيح فقط، والكنيسة الرومانية تقول بأنه لا خلاصَ لنا إذا لم نؤمن بالبابا.

أقول: والذي يفهم من جواب المطران «إن الإيمان نوعان: إيمانٌ بسيدنا المسيح، وإيمان بالبابا».

أقول: وإنْ كان اعتراضُ الأميركاني متيناً، وجوابُ المطران فاسداً، ولكن من حيث أن هذا البحث عقيمٌ عديمُ النفع، لا طائلَ تحته، تركناه.

الاعتراض العاشر

قال الفاضل الأميركاني ما نصه: «إنه يَتَّضِحُ جلياً من الكتاب المقدس، أننا نأخذُ المغفرةَ باستحقاقات يسوع المسيح فقط، والكنيسة الرومانية تزعم بأن لها خزانة ذات قدر جزيل، من استحقاقات القديسين، منها تمنح الغفرانات، لا سيما إذا استوفَتْ ثمناً جزيلاً لأجلها» انتهى.

أقول: وجوابُ المطران وخلاصته: «إن الخطيئة يوجد فيها شيئان، دَنَس النفس وجرحها، الخ، وهنا كذلك جعل الغفران نوعين: فنوعٌ يُغفر بدمِ المسيح، ونوع يغفره القديسون.

ولعمري! إنها ليست أول قارورة كُسرت في النصرانية، ولا يزال هذا المطران

يحاول، بتقسيم أجوبته، على اعتراض الفاضل الأميركاني، ويتدلّس، ويطفرُ[1] مقابِلَ الخصمِ، من مكانٍ إلى مكان، كأسلافه، إذ جعلوا أغلبَ ضلالهم نوعين، كقولهم: في المسيح طبيعتان مداراةَ الهزيمة، والتنقُّل من طبيعةٍ إلى أخرى، عند الاعتراض، وأين له الجوابُ السديد، ومَنْ يعقلُ أنَّ للخطيئةِ بطناً وظهراً، كما قال «دنساً وجرحاً» ولكنهم يتأولون هذه التأويلات الباطلة، ليجعلوها شَرَكاً يصطادون به النسوة والمُرْدَ الحِسان والدرهم والدينار، وأيم الله! إن القلم يستحي أن يذكر ما سَوَّده هذا المطران، من هذه الأجوبة الفاسدة المحتوية على سبع صحائف، وهي عبارة عن خبص وخبط، لا يفهم تأويله، وآخرهُ يكذّب أولَه، وبما أنّ بَسْط هذا الخبص والخبط يُوجِبُ الخجلَ والملل، ولا طائلَ تحته، صرفنا النظر عنه، ومن أراد أن يتفكّه أو يقف على نوادر تأويلاته، فليطالع هذه الرسالة.

الاعتراض الحادي عشر

قال الفاضل الأميركاني: «إن الأمر محقق، أنّ يسوع ما أوصى تلاميذه أن يستعملوا الطرد، أو أن يسفكوا دماء اليهود أو الوثنيين أو النصارى، بل بعكس ذلك، قال: إنهم هم مطرودون ومضطهدون. قال مار بولس: وكل الذين يحبون أن يحيوا بيسوع المسيح يُضَّطهدون».

تنبيه: نسي هذا الفاضل أن يورد على الأخصام ما يُثبتُ دعواه، من النصوص الصريحة، وها أنا أُوردها إتماماً للفائدة، فمنها قول المسيح، عليه السلام، لِمَنْ قطع أُذُنَ عبدِ رئيسِ الكهنة بالسيف: رُدّ سيفك إلى غمده. وانتهرَهُ. مع أن الضارب كان بطرس هامة الرسل، والمضروب عدوٌّ للمسيح هجم عليه لقتله. وقوله أيضاً في وصيته للرسل، حين أرسلهم للأمم: فإن طَردوكم أهل القرية،

---

(١) أي: يقفز.

فانفضوا غبار أرجلكم من تراب تلك القرية، واخرجوا منها» فإن مَنْ هذا قولُه وفعله، كيف يُوصِي تلاميذه بسفك دماء الناس؟!

ولنرجع إلى إكمال البحث. قال الفاضل الأميركاني: وأما الكنيسة الرومانية، فقد استعملت مرات كثيرة الاضطهادات والطرد الأرهب ضد البروتستانيين، أي الشهود: أو بالحرى الشهداء، وذلك في ممالك أوربا، ويخال أنها أحرقت في النار أقل ما يكون مئتين وثلاثين ألفاً، آمنوا بيسوع، واتخذوا الكتب المقدسة هدى وإرشاداً لإيمانهم وأعمالهم، لكنهم ما كانوا يؤمنون بالبابا، وقد قتلت أيضاً ألوف ألوف وربوات ربوات، منهم بالسيف، ومنهم بالحبوس، ومنهم بآلةٍ تخلعُ المفاصل، ومنهم بأفظع العذاب، وذلك في بيوتِ التفتيش الجهنمية المسماة «السنثوفيثوا» ففي فرانسا قتلت في يوم واحد ثلاثين ألف رجل، وذلك في اليوم الملقب بيوم «برتولماوس» وعلى هذا الأسلوب فأذيالها مخضبة بدماء القديسين» انتهى.

أقول: قد سَوَّدَ هذا المطران نحو عشر صحائف جواباً للأميركاني، ونتيجتها أنه يُنكرُ بعضَ الوقائع، وفي البعض يجعل حرب الشعب تدافعاً من هجوم البروتستانيين، ولو سُلّم، فكيف ينكرُ طردَ اليهودِ من أوطانهم وقتلهم، وهو واقعٌ قبلاً، وفي زماننا، ولولا مراحم الدولةِ العليَّةِ العثمانية على تبعتها وأدام الله سرير ملكها، لأصبحوا تائهين، لا مَقرَّ لهم، كَتِيْهِ أجدادهم في القفار؛ والشاهد على ذلك مُهاجَرتهم والمسلمون معهم، من بعضِ حكوماتِ المسيحيين، ولم يهاجروا من بلاد الوثنيين، كالهند والصين، فتبين كرههم وعدوانهم لأهلِ الكتاب والموحِّدين فقط، والدليلُ أنه لم يهاجر من بلاد المسيحيين وثنيٌّ ولا طبيعي، ولا يعنينا بسطُ هذا البحث هنا، لأنه خارج عن الموضوع ولكني أقول الحق: إن الكنيسة الرومانية هي السبب لظهورِ هذه الفتن بينهم، لأنها ابتدعت عقيدةً تخالفُ العقلَ والنقلَ، وتُضَادُّ الظاهرَ والمحسوس، وبعيدة عن دائرة الإدراك، فلذلك

اشتد الأمر، وتفاقم، ولا سيما أن رؤساء الفريقين كُلٌّ منهم يريد التفرُّدَ بالرياسة دون غيره، ويستحيل إطفاء هذه النار الملتهبة من ثورة العداوات والاضطهادات الدموية بينهم، كما أخبرنا الصادق الأمين في القرآن المبين، قبل ثلاثة عشر جيلاً بما نصه: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ ١٥﴾ [المائدة] صدق الله العظيم.

الاعتراض الثاني عشر

إن الذي يُفهم من خلاصة اعتراض الفاضل الأميركاني، أنه قد استدل بنصوصٍ صريحة من الكتب المقدسة، على أن مَنْع الكنيسة الرومانية، أي البابا، للطائفة الكاثوليك عن مطالعة الكتب المقدسة، والتدبر فيها، هو خلاف حِكمةِ إرسال الرسل، وذلك من قوله: إن الله تبارك وتعالى قد أنزل الكتاب المقدس، لبني البشر تعليماً لهم وهدى وتعزية، وفيه أظهر لهم ذاتَهُ المقدسة، وأما الكنيسةُ الرومانية فإنها تَجِدُّ وتكِدّ بغاية قوتها، أنْ تمنع توزيعه وإشهاره.

وهنا أقول: إنَّ لا جواب للمطران على ذلك إلا أن يقول: مَنَعْنَا الشعب من قراءة الكتب المقدسة، لئلا يَطَّلِعَ على ما أفسده فيها المتقدمون، وما أوردوا في العقيدة من العجائب والغرائب الخارجة عن طوق البشر إدراكُها وتَصَوُّرها، ولنرجعْ إلى أصل ما لفَّقه المطران من الجواب في رسالته فإنه سوّد على هذا الاعتراض نحواً من خمس وعشرين صحيفة، يريد أن يدفع الحق بالباطل، وقد تمحّل وقدّم أمام ذلك مقدمات، هي عبارة عن تمويهات ومغالطات، لا طائل تحتها، ثم أخذ يقول في صحيفة (١٠١) من رسالته: «فنخضع لكل ما في التوراة والإنجيل، ونكرمهما، ونحترمهما بالسوية لأن منزّلهما الله، وأيضاً بالتقليدات

وتثقيف السيرة، لأنهما ملفوظةٌ من فمِ المسيح، أو مُلْهَمةٌ من روح القدس، ومحفوظةٌ في البيعة الكاثوليكية بتسليمٍ متسلسل، إلى أن قال: يوجد في الإنجيل أشياء كثيرة، عسرة الفهم، وتعتاصُ معانيها، وبدون التقليدات لا يُفهم ما هي الكتب المقدسة الحقيقية وكم هو عددها، واستشهد بقول بطرس من آخر رسالته الثالثة، ونصه: «كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الحكمة المعطاةِ له، كما في الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور التي فيها أشياء عسرة الفهم، يحرفها غير العلماء وغير الثابتين، كما في الكتب» إلى أن قال في صحيفة (١١٤) من رسالته ما معناه: «إن البروتستانيين قد انطبعوا على تحريف الكتب المقدسة، عند طبعها، ولذا منعنا الشعبَ عن مطالعتها، احتراساً من أن ينخدعوا بمجرد معنى الحرف، كما انخدع الأراتقة، لأن الحرف يقتل» انتهى.

أقول: إن ما أراده الأميركاني، باعتراضه، غير ما أتى به المطران في جوابه، وهنا مؤاخذاتٌ على جواب المطران، نناقشه في بعضها، ليعلم المطالعُ سوءَ نيته، وفسادَ طويّتهِ وخديعته ومكرهِ لأبناء جلدته، فإنه قد أقر بأن الكنيسة الرومانية تخضع للعبادات طبق التوراة والإنجيل، ونراهم قد خالفوهما، فهل، بحقك! في التوراة والإنجيل، أنَّ المسيحَ خلق نفسه وأمه، أو أنه ثالثُ ثلاثةِ أقانيم، أو منقسم إلى طبيعتين لاهوتية وناسوتية، وهل ترى فيهما أمراً بالسجودِ للخمرِ والخميرة، وللصليبِ وللصور والتماثيل، وهل ترى فيهما تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مشرق الشمس، ونراهم قد أبطلوا الخِتانَ والسبتَ، وقد شَدَّدَ الله بلزومهما عليهم، وفرضوا على أنفسهم بدعةَ يوم الأحد، وهو لا وجودَ لِذِكْرِهِ في كتبهم، وهل فيهما تحليلُ الخنزير وكافة المحرمات والمسكرات، وهي محرمة في الكتابين، وأي من الكتابين جعل أمر البابا كأمر الله، تعالى اللهُ عن الشريك، وجَلَّ عن النظير.

انظر - هداك الله - أين في التوراة والإنجيل وجوبُ ذبيحةِ المسيح عن كافة البشر، لتطهير خطاياهم، ودمه بدلاً عن تيوسهم وثيرانهم، مع زعمهم أنه هو الله وابن الله.

أيها المسيحي المسكين! أتعبدُ إلّهاً عجز عن غفرانِ خطيئةٍ واحدة، وهي أخف الخطايا عن عبده الذي أكل تلك الحبات الحنطة، حتى ألزمه الحال لأنْ يصلبَ نفسه، ويذِيقَها أنواعَ الآلام.

أيها المسيحي! أتعبدُ إلهاً عجز عن مقاومة شِرذمةٍ قليلة من أضعفِ عبيده، حتى صفعوه بنعالهم، ونتفَ لحيته سفهاؤُهم، وبصق بوجهه فُجّارهم، وإنْ أنكرتَ ذلك، فها كتابنا «الفارق» بين يديك، دليلٌ لكل مهتدٍ صادق.

أيها المطران! فأين أنت إذاً من دعواك الخضوعَ للإنجيل والتوراة ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة].

والأعظم تردُّدُه بقوله بأن التقليدات إما ملفوظةٌ من فمِ المسيح، أو مُلْهَمةٌ من روح القدس، فلا شك بأنه شاكٌّ في ذلك، حتى أتى بلفظ «أو» التي هي للتشكيك، فلا يصح إذاً قولُه ودعواه بأنها محفوظةٌ في البيعة الكاثوليكية، بتسليم متسلسل، ثم قوله عن حروفِ الإنجيل، لكونها سُماً قاتلاً، وهو يعتقد بأنها كلام الله.

لعمري! لماذا حروف التقليد المبتدعة، من البابا، لم تَكُنْ سماً قاتلاً، وقدْ ماتَ من سُمِّها ألوف ألوف مليونات من الذين اتبعوها، فهل كانت الأقاويل المدسوسة أهدى من الكتب المقدسة، ولم تكن التوراة والإنجيل عويصةً، بل هي صريحةُ اللفظ والمعنى، قال فيها: إنَّ الله واحدٌ في السماء، وعيسى رسولٌ ومعلِّمٌ في الأرض، ولكنَّ التقليدات عويصة، حيث قالوا فيها: إن الله نزل للأرض، ولبسَ جسداً، وصُلِبَ، ومات قهراً، بعد أنْ هزأ منه الفُجَّارُ والأشرار،

وأشبعوه ضرباً، فهي التي قال عنها علماؤكم، وأقروا بأنها لا تُدْرِكُها العقولُ، هي التي ينبغي منعُ العامةِ عن تدريسها، لأنها حقيقةٌ خبصٌ وخبط، وعويصةٌ يستحيل تصوُّرها، ومع ذلك فالقرائنُ تدل على أن التقاليدَ حادثةٌ بعد أجيالٍ كثيرة من الميلاد، ولم يخرجْ من فمِ المسيح حرفٌ من هذه التقاليد، ولا من فم بطرس، ولا ذكرها أحدٌ من الرسل في رسائله، ولا لها ذِكْرٌ في أعمالهم، فكيف يقبل من المطران قوله: «ملهمة». والمُلْهَمُون، على زَعْمِ النصارى، كلهم انقرضوا، ولعلَّ الوحيَ عندهم صاعدٌ نازل عليهم، في كل وقت وزمان، أستغفر الله، بل هو مخصوصٌ بالأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين، على أنَّ بطرس قطع طريقَ الخلسة والفساد بقوله في ص١ - ف٢٠ من رسالته الثانية ما نصه: «كلُّ نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص، لأنه لم تأتِ نبوةٌ قَطُّ بمشيئةِ إنسان، بل تكلَّم أناسُ الله القدِّيسون مَسُوقين من الروحِ القدس» وهذا النصُّ صريحُ البيان، مؤيِّدٌ لاعتراضِ الأميركاني، ومُبْطِلٌ لما أتى به المطران من الافتراء والبهتان.

وأختم كلامي بقوله تعالى ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [الصافات] انتهى.

تم تأليف هذا الكتاب سنة ١٣١٨ هجرية

فهرس الموضوعات

الموضوع **رقم الصفحة**

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع **رقم الصفحة**

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع **رقم الصفحة**

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع رقم الصفحة

الطابعون
جمعية عمال المطابع التعاونية
هاتف ٢ ـ ٤٦٣٧٧٧١ ـ فاكس ٤٦٣٧٧٧٣
ص. ب ٨٥٧ ـ عمان ١١١١٨ الأردن